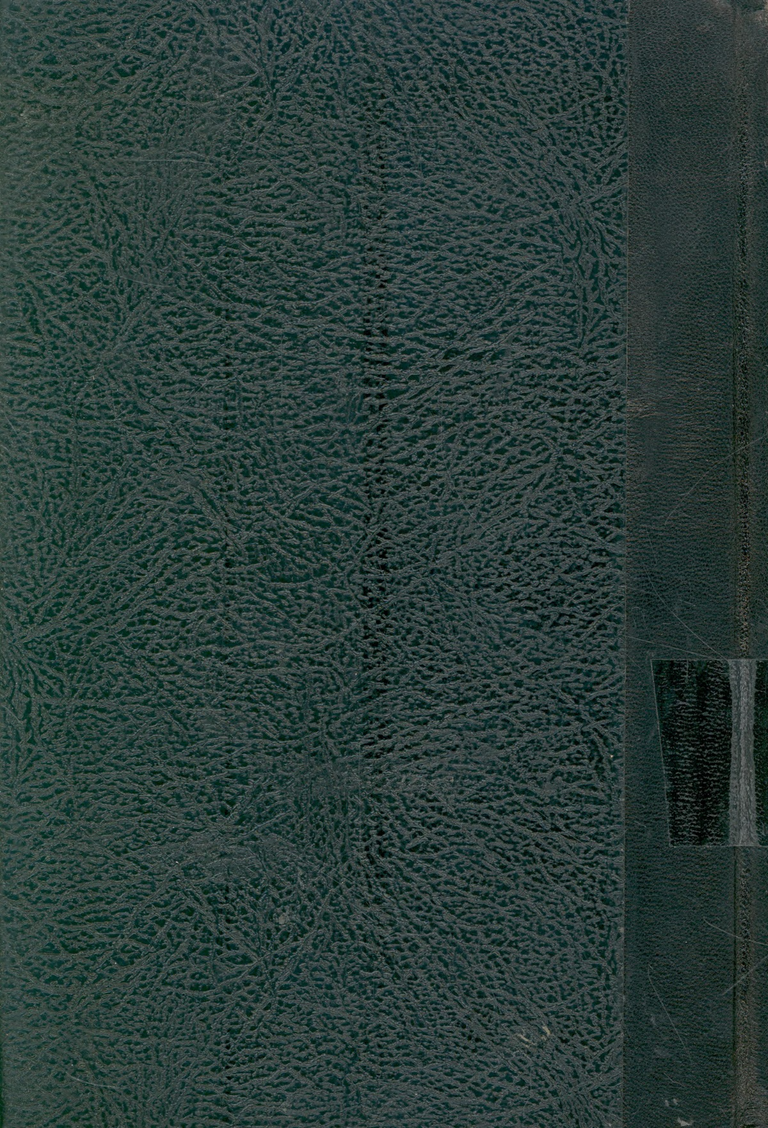


FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الثامن والاربعون

يناير الى يونيو سنة ١٩١٦

قيمة الاشتراك في السنة جنيه افرنجي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY DR. Y. SARRUF

Vol. XLVIII

January—June, 1916.

PUBLISHED MONTHLY

AL-MUKTATAF PRINTING OFFICE
CAIRO, EGYPT.

فهرس المجلد الثامن والاربعين

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والاربعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤

حقيقة الحال في المانيا

يودُّ المرء ان يعرف حقيقة الحال في المانيا في هذا الوقت . اي هل الطعام ميسور لسكانها بعد ان سُدَّت في وجههم طرق البحر لانهُ ان كان قد قلَّ حتى امسى غير كافٍ لمعيشتهم فلا بدَّ من ان يثوروا على حكومتهم لان الجوع كافر لا يصبر الناس عليهِ طويلاً وتكون نهاية هذه الحرب قد دنت

ولقد كثرت الاقاويل وتوفَّرت القرائن على ان الطعام قلَّ في المانيا حتى جعل الالمان المقيمون في اميركا يرسلون الى اقاربهم طروداً منهُ بالبريد وان علماء الالمان استنبطوا وسيلة لتحويل المواد غير الآلية التي لا تؤْكل الى مواد آلية مغذية فيمزجون كبريتات النشادر بسكَّر البنجر ويعالجون المزيج على طريقة كيماوية تجعلهُ طعامًا مغذيًا اي يجعلون النيتروجين الذي في كبريتات النشادر يتحد بالسكر فتصير منهُ مادة آليَّة كاللحم تغتذي بها الخنازير وتصير لحمًا في ابدانها . والحاجة تفتق الحيلة

وقد وقفنا الآن على رسالة رجل انكليزي كان معتقلاً في المانيا وأُخلي سبيلهُ حديثًا فوعى في ذاكرتهِ ما رآهُ وما سمعهُ وهو معتقل مما يستدلُّ منهُ على حال الالمان الآن من هذا القبيل . ويظهر لنا انهُ صادق وان استدلالهُ في محلهِ وعليهِ فيبعد جدًّا ان تطول هذه الحرب سنة اخرى الاَّ اذا حدثت حوادث ليست في الحسبان اغدقت الطعام على المانيا وزادت عدد جيوشها او اوقعت الشقاق بين الحلفاء او اثارت عليهم شعوبهم . وهاك خلاصة هذه الرسالة

انا نحن المعتقلين في رُهلبن قلما كنا نرى شيئًا نستدلُّ منهُ على احوال الحرب ولكننا كنا نرى اموراً كثيرة تدلُّ على احوال السكان وما آلت اليهِ بسبب الحرب . ولا شبهة

ان بعض ذلك كان يتسرَّب الى البلاد الانكليزية مما ينشر في الجرائد الالمانية وتنقلهُ عنها جرائد المحايدين اما نحن فكنا نقرأُ الجرائد الالمانية بالاضطراد وكنا اقدر من المقيمين في انكلترا على الفصل بين الغث والسمين منها فلم يكن في طاقة الجرائد الالمانية مثلاً ان تخدعنا بقولها ان مواسم سنة ١٩١٥ اقبلت اقبالاً عظيماً لاننا رأينا القيظ امتدَّ من اواخر شهر مارس الى اوائل شهر يوليو ثم هطلت امطار غزيرة مصحوبة بالصواعق . رأينا ذلك بعيوننا وسمعنا الحراس يشكرن من انقطاع الامطار وضرر انقطاعها بالمزروعات . وكان بيننا اناس كثيرون على خبرة تامَّة بالزراعة فلم يخدعوا باقوال الجرائد . وعلمنا ان قش الحنطة قلَّ لانهم لم يعطونا قشاً لفرشنا فحشوناها بنشارة الخشب . وسُئل رجل اميركي خبير عن مقدار النقص في المواسم فقال انهُ يختلف بين ولاية واخرى وان الولاية التي كان فيها لم يحصد الزارعون شيئاً من مزروعاتها.

والذي يقرأُ الجرائد الالمانية كلها من اولها الى آخرها كما كنا نفعل يستدلُّ منها اكثر مما يستدلُّ من يقرأُ بعض الاقتباسات منها لا سيما واننا كنا متصلين بالسكان . وقد افرج عن البعض منا ثم اعتُقلوا فاخبروا الذين كانوا لا يزالون معتقلين بما رأَوهُ وسمعوهُ . وكان يصل الينا من وقت الى آخر اناس من الانكليز اعتُقلوا حديثاً وهم عارفون بما وقع تحت نظرهم في البلاد فيخبروننا بما يعلمونهُ . وكان بيننا رجال لهم زوجات المانيات كنَّ يكاتبنهم ويذكرن اموراً طفيفة لا يرى الرقيب بأساً بالاغضاء عنها او لا يرى لها معنًى سياسيًّا وهي عندنا ذات معنى كبير . مثال ذلك ان يأْتي كتاب الى رجل من زوجتهِ تقول لهُ فيهِ أُخذ جارنا شرودر للجندية . والرجل يعلم ان شرودر هذا بدين سمين ثقيل الحركة يقضي ايامهُ في القهوات فيستدل من ذلك ان المانيا جنَّدت كل الذين يليقون للحرب وهي تجند الآن الذين لا يليقون لها ولا سيما اذا قالت زوجتهُ انهُ لم يخطر على بال شرودر انهُ يمكن ان يجنَّد

وعبارة واحدة مثل هذهِ في كتاب واحد لا يبنى عليها حكم لانها قد ترد على سبيل التهكُّم ولكن اذا تكرَّرت امثالها في مكاتيب عديدة لاناس كثيرين لم تفسَّر الاَّ بان الحكومة الالمانية استنزفت كل اللائقين للخدمة الحربيَّة واخذت تدعو غيرهم . فقد سمعت انها جندت رجلاً لا يستطيع ان يمشي ميلين وان رجلاً آخر فقئت عينهُ في الحرب فأُعيد الى فرقتهِ لتفقأ عينهُ الاخرى وجندت رجلاً حاسر البصر لا يرى على بعد خمسة امتار ولما اعتذر بقصر بصرهِ قيل لهُ يمكنك اذاً ان تقف امام صفك لترى العدو

حينما نشبت الحرب منع الالمان من جعل خبزهم كلهِ من دقيق الحنطة وامرت

الحكومة بمزجه بعشره الى خمسه من دقيق البطاطس فجعل الذين ضلعهم مع المانيا يفتخرون بان قمحها يكفيها الى منتهى الحرب . وكان الخبز كثيراً في اول الامر وبقي كثيراً الى شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ حينما كان الالمان يتوقعون ان يقهروا الحلفاء ويبلغوا آمالهم . ثم تغيرت الحال في اواخر دسمبر وارتفع ثمن الخبز وصغرت ارغفته وانحط نوعه وصار صلباً قاسياً وزاد اسوداداً شهراً بعد شهر . ثم منع بيع خبز الحنطة لنا وصرنا نأكل الخبز الاسمر المصنوع من حبوب اخرى غير القمح . وفي اول الامر تعذر علينا هضم هذا الخبز ثم قيل لنا ان الحكومة ستقلل جرايتنا منه لاننا لم نكن نأكلها كلها . الا ان الجندي الذي اخبرنا بامر الحكومة قال ايضاً ان الحبوب امست قليلة في البلاد فلا بد من الاقتصاد . وبعد قليل صار الخبز يوزع على البيوت في البلاد كلها بمقدار محدود حسب عدد الانفس . سمعت انكلترا بذلك سمعاً اما نحن فعرفناه بالخُبْر لا بالخَبَر فان كل رجل منا كان يُعطَى خُمس رغيف في اليوم اي مقدار ما يعطاه النفس في كل البلاد الالمانية فان الرغيف الواحد كان يقسم على خمسة انفس وقشرته صلبة لا تعمل بها الا الاسنان القوية فصرنا نتضوّر جوعاً

والجوع من جراء ذلك اصاب الفقراء دون الاغنياء لان الغني يستطيع ان يأكل مآكل كثيرة غير الخبز اما الفقراء فالخبز قوام معيشتهم . وكان بعض الفقراء يأتون سجننا من وقت الى آخر مرسلين في بعض الشؤون فكان همهم الاكبر الوصول الى المطبخ والتهام ما فيه من فضلات الطعام . وذكرت الجرائد حينئذٍ ان في البلاد نباتات كثيرة يمكن اكلها والاغتذاء بها بدل الخبز . وقد رأيت مرةً امرأةً ملأت خرجها من البقول البرية وعادت وهي تقول اخذوا اولادنا ورجالنا ليُقتلوا وتركونا نخرج الى الحقول ونأكل الحشيش

ورأيت بعض الجنود من حراسنا يفتشون في الكناسة عن فتات الخبز العفن الذي كنا نطرحه ويجمعونه ويأخذونه الى عيالهم . وقال لنا واحد منهم ذات يوم « ان الخبز يفضل عنكم لكثرة ما يأتيكم من البسكت من بلادكم فارجو ان لا تطرحوا ما يفيض عنكم منه بل تعطوني اياه لارسله الى بعض اصدقائي في سبندو فان النساء الفقيرات هناك يكدن يمتن جوعاً » هذا مع ان سبندو دار صنعة الحكومة وهي اصلح حالاً من غيرها

وكل ما قيل من ان المانيا لم تعبأ بالحصر البحري ولا اثر فيها هذا الحصر هذر وهذيان . فان الحصر البحري اثر فيها اشد تأثير فانه لم يبقَ فيها شيء من الاطعمة معتدل السعر الا البطاطس والخضر . وقد كثرت الخضر في ابانها لانه لم توجد علب من الصفيح لكبسها وحفظها الى غير وقتها اما الآن فلا بد من ان تكون قد قلت كثيراً . وكثر

البطاطس في الفصل الذي يجنى فيهِ اما قبل ذلك فكان ما يباع منهُ للاكل كالبطاطس الذي يطعم للخنازير

ثم ان اهتمام الحكومة الشديد بامر البطاطس كان من اكبر الادلة على شدَّة الضيقة فانها وضعت يدها على كل غلتهِ لكي تتحكم في بيعهِ للبلديات وهي تبيعهُ للسكان · واتفق ان بلدية برلين خزنت نصيبها في اقبية تحت سكة الحديد فدبَّ فيهِ الفساد حتى اضطرَّت اخيراً ان تنقلهُ الى الحقول سماداً للزروعات · وحدث مثل ذلك في اماكن اخرى خزن البطاطس فيها · واذا فقد الالمان البطاطس فبماذا يتقوَّتون

وكانت الحكومة الالمانية قد امرت ببيعنا بعض الاطعمة باثمان رخيصة بالنسبة الى ثمنها في البلاد لكي لا نعلم ما حدث من الغلاء فكنا نشتري رطل الزبدة الطبيعية بتسعة غروش وثمنهُ في برلين ١٢ غرشاً ورطل الزبدة الصناعية بستة غروش وثمنهُ لغيرنا ثمانية غروش

وبذل الالمان همهم في ابدال صنف بآخر فابدلوا البترول بالفنول وقالوا ان في نشارة الخشب مادة مغذية يجب استخراجها منها كيماويًّا واستعمالها طعاماً · وبلغ ثمن الرطل (الليبرة) من لحم الخنزير ١٥ غرشاً وهو هزيل اعجف لان الالمان كانوا يسمنون خنازيرهم باطعامها كسب جوز الهند وهذا بطل ورودهُ الى بلادهم الآن فلم يبقَ للخنازير طعام آخر تتقوت بهِ · ثم ابطلوا تقديم لحم الخنزير للمعتقلين وابدلوهُ ببعض انواع السمك · وجعلت الجرائد الالمانية تتغنى بمدح السمك طعاماً · وكان السمك يأتي الى المانيا من نروج بطريق اسوج ونحن نعلم كيف كان يأتي وبأية حالة لكن الالمان مكابرون وسيكابرون الى ان لا يبقى عندهم شيء يأكلونهُ وقد يستحيل عليهم ان يمضوا شتاء آخر

وكما نفدت مواد الطعام نفدت مواد الصناعة كالنحاس والنكل فاضطروا ان يصهروا ما عندهم من الادات النحاسية ليصنعوا منها كبسول قنابلهم وان يصهروا نقود النكل ليصبوا اغلفة خرطوشهم ومنعوا كل احد من ركوب اوتوموبيلهِ الاَّ اذا كان طبيباً لقلة الكاوتشوك واخذوا كل ما يستغني عنهُ السكان من احرمة الصوف · واقفلت كل معامل النسج والغزل الاَّ التي تعمل لاجل الجيش لقلة القطن والصوف · وغلا ثمن الجلد حتى صار ثمن الرطل (الليبرة) منهُ ٤٥ غرشاً

ولما أُطلق سبيلي رأيت في طريقي النساء في برلين يكنسنَ الشوارع ويسقنَ المركبات لقلة الرجال · ولما كنت منتقلاً كنت ارى النساء يمددن خطوط سكك الحديد حتى رسخ في ذهني وذهن رفاقي انهُ لم يبقَ من المانيا الاَّ القشور

وقد ثبت لنا ان ما اظهرهُ الالمان في اول الامر من العداء للانكليز كان ثورة غيظ اثارها في نفوسهم اقوال جرائدهم ونعاليم مثل رڤنتلو وترنشكي . ففي اول الامر كان الحرَّاس الذين يحرسون اسرى الحرب يقولون ان اولئك الاسرى مجرمون ويجب ان لا يطعموا الاَّ مرةً في النهار ويجب ان يكون طعامهم الخبز القفار لا غير . والجنود الذين كانوا يحرسوننا كانوا يعاملوننا بالفظاظة في اول الامر ثم تغيرت الحال رويداً رويداً لان غيظهم الاول كان اشد من ان يدوم « كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكلهُ » ولاسيما بعد ان عاشروا الانكليز . قال لي احد الجنود انهُ أُقنع قبلاً بان الانكليز متوحشون كلهم فوجد بعد الاختبار ان اكثرهم على جانب من الادب والظرف

ولو اجاز الرقيب لمحرر جريدة برلنرتاجبلات ان يكتب ما يشاء لاطنب في مدح الانكليز فقد انشأ مقالات كثيرة قال فيها ان اعداء الالمان الحقيقيين هم الروس لا الانكليز لان الانكليز لا يريدون محق المانيا بل ان تبقى دولة قوية عزيزة الجانب لتصد تيار السلاف لكن الرقيب اوقفهُ قبلما اوغل في هذا الموضوع . غير انهُ بقي يلمح اليهِ بالاستعارات وبيَّن ان ما قيل عن سوء معاملة الاسرى الالمان في البلاد الانكليزية غير صحيح . واعترض على الاغنية المسماة « اغنية البغض » وقال انهُ لا يليق وضعها في كتب تعليم القراءة ولام ناظمها لوماً شديداً . والَّف بعضهم تاريخاً ذم فيهِ انكلترا فانحى باللوم عليهِ وقال اننا ننتظر من اساتذتنا ان يمهدوا السبيل للصلح لا ان يزيدوا الاحقاد والضغائن

ولا يظهر لي ان المانيا كلها صارت من مذهب هذا المحرر بل لا يزال العتو والعنفوان شعار الجمهور في احاديثهم العمومية ولا يزالون يتوعدون و يتهددون قاصدين ان يبثوا الحماسة في نفوس سامعيهم و يقولون انهم لا يغمدون سيوفهم حتى تلحس انكلترا التراب امامهم . ولكن غطرستهم الفارغة قلما تخفى على الناقد البصير . وكل ثورة من هذه الثورات ثورات العتو والتبجح صارت اقصر من التي قبلها . وكثيراً ما قال عقلاؤُهم ان المعارك في روسيا لا تنتج لهم شيئاً ولو كان الفوز فيها لهم لان الفوز الحقيقي في الميدان الغربي وهذا الفوز لا يزال ابعد من البعْد

قال احد الاسرى لضابط صغير انهُ راهن على ان المانيا تخرج من هذه الحرب ظافرةً في ستة اشهر . فقال لهُ الضابط انك مجنون وحسبُ المانيا ان تخرج من الحرب في سنتين . وقال آخر على مسمع مني ان هذه الحرب ستزيد عدد الاشتراكيين في المانيا وان العمَّال فيها مجانين

ولا شبه عندي ان الآمال التي كانت تحيك في صدر الالماني في بداءة الحرب قد زالت الآن . ومن المحتمل انهُ لا يقدّر الفشل التام لبلاده ولكنهُ عدل عن تقدير الفوز لها وصار يحسب ان الخاتمة ستكون صلحاً شريفاً لا تغبن بهِ بلادهُ واعجلهُ افضلهُ . وان تأخير عقد الصلح سببهُ الدعاوي الفارغة التي يدَّعيها محبو السيادة ومنعهم الجرائد من الخوض في طلب الصلح وتعيين شروطهِ

ولا يصدّق الالمان ما يقال عن المنكرات التي ارتكبها جنودهم لا سيما وانهم قلما سمعوا عنها لان جرائدهم ممنوعة من الاشارة اليها واذا بلغهم شيءٌ من اخبارها قالوا انها اقاصيص مختلقة او مبالغ فيها وان كل ما حدث انما هو من الاعمال الحربية الجائزة او التي تكال للعدو صاعاً بصاع مقابل ما يأتيهِ من المنكرات . ولذلك اذا ارادت الحكومة الالمانية ان تلجأ الى وسيلة من الوسائل المنهي عنها في الحرب ادَّعت اوَّلاً ان اعداءها استعملوا هذه الوسيلة وجعلت الجرائد تنشر ذلك في طول البلاد وعرضها حتى اذا توسَّلت هي بها لم يلمها شعبها بل قالت انها تكيل لاعدائها الصاع بالصاع . وقد اعتذرت عن اعمالها الاخرى بالخداع فقالت ان سكاربرو التي ضربتها بوارجها وقتلت النساء والاطفال فيها هي قاعدة حربية وان مدينة لندن التي رمتها بلونات تزبلين بالقنابل حصن حربي ويجب ان لا يقيم فيها السكان وان الباخرة لوزيتانيا طرَّاد مسلَّح . هذا ما ادَّعتهُ الحكومة الالمانية تضليلاً لعامة الشعب ولذلك لا تبالي العامة الاَّ بما يمسها فعلاً كالضيق المالي والجوع وفقد الاهل والاقارب او رجوعهم مثخنين بالجراح او مصابين بعاهات لا شفاء لهم منها فقد بلغني ان في برلين وحدها عشرة آلاف من الجنود الذين فقدوا بصرهم في الحرب ويُرى ان تدبير عمل لهم يتعيشون بهِ في المستقبل من اكبر المشكلات

واهل النظر من الالمان يفكرون في حال البلاد المالية قلقين لانهم يعلمون ان ما قيل عن نجاح قرض الحرب خداع في خداع فان الذين اكتتبوا بهِ هم من المورّدين للحكومة الذين يقبضون منها ورقاً ثمن ما يوردونهُ لها فردوا لها ورقها ومن الذين اودعوا في البنوك اسهماً وسندات لا قيمة لها والسكان يفكرون في مقدار الضرائب التي ستضرب عليهم بعد الحرب وترتعد فرائصهم لانهُ لم يبقَ لهم رجاءٌ باخذ غرامة حربية

الزكام وعلاجه

جاء الشتاء واشتد البرد وكثر تعرّض الناس للزكام وآفات الحلق . وقلما يصاب احد بشيء من ذلك الاّ ويسأل نفسهُ قائلاً هل بردتُ او ابتلّت رجلاي او تعرّضتُ لمجاري الهواء البارد او جلست مع احد مزكوم . ولا شبهة انّ هذه الاسباب تساعد على احداث الزكام وآفات الحلق في كثير من الاحوال ولكن قد يتعرّض الانسان لاشدّ درجات البرد وتبتل ثيابهُ كلها ويبتل بدنهُ ايضاً بل يغوص في لجة البحر ولا يصاب بشيء من ذلك

والزكام وآفات الحلق واكثر الادواء الداخلة والباطنة تحدث من انواع خاصة من الميكروبات . وقد وُجد بالامتحان ان الذين فحصت حلوقهم وجد ميكروب التهاب الرئة في ربعها وميكروب الدفتيريا في عشرها وميكروب النزلة الوافدة (الانفلونزا) في ثلثها وميكروب الصديد في نصفها

وهذه الميكروبات تزيد عندنا في الشتاء والربيع وتقلّ في الصيف وتدخل بيوتنا من غير استئذان وقلما يتيسر لنا منعها من الوصول الينا . ولا داعي لهذا المنع لان الجندي الذي لا يتمرّن على الحرب ابداً ولا يتعرّض للمخاطر لا يقوى على اعدائهِ ولا ينجو من الخطر اذا احدق بهِ

الوقاية مفيدة اذا كانت ممكنة ولكن المقاومة افيد منها . يحسن بالناس ان يسكنوا مدناً تحيط بها الاسوار والخنادق وبلاداً تكتنفها القلاع والحصون ولكنهم اذا صرفوا ما عندهم من الجنود حينئذٍ وابطلوا التمرّن على استعمال الاسلحة جاءتهم الميكروبات يوماً بمدافع كمدافع الالمان واخذتهم على غرّة فدكت حصونهم وهدمت اسوارهم

والناس درجات كثيرة من حيث تعودهم مقاومة عوادي الادواء فالذي جُدِر مرّة او طُعِّمَ بطعم الجدري مراراً لا يخشى القيام مع المجدورين ولكن الذي لم يجدَر ولم يطعَّم قلما يسلم من العدوى اذا دنا من مجدور . وعلى مقدار تعرّض الناس للادواء يقلّ فعل الادواء بهم ولكن يشترط ان يكون هذا التعرّض متدرّجاً حتى يكون ما يدخل الجسم من ميكروب الداء اقل مما يكفي للتغلب على جنود الجسم الطبيعية اي خلايا الدم البيضاء وبعض العصارات الواقية . والمعركة الاولى التي يكون الفوز فيها للجسم تزيدهُ قوة على الظفر في المعركة الثانية

جنود الجسم المنتبه (اي كريات دمه) اقدر على مقاومة عوادي الادواء من جنود الجسم الغافل ولذلك يؤثر البرد في النائم اكثر مما يؤثر في المستيقظ

خرجنا يوماً من ايام الشتاء قاصدين سقارة وكانت السماء صحواً في الصباح والشمس

مشرقة فلم نُعنَ بلبس ثياب مدفئة ولم نكد نصل الى سقارة حتى غابت السماء ووقع المطر وثارت ريح هوجاء شديدة البرد فابتلت ثيابنا وقرسنا البرد ولكننا حاولنا دفع البرد بالحركة وعدنا ولم نصب بمكروه لشدَّة انتباه اعصابنا

كان النساء منذ سنتين يلبسنَ اطواقاً تغطي اعناقهنَّ ويلففنَ حولها الفراء خوفاً من البرد · ولا شبهة في ان البرد كان يضرُّهنَّ حينئذٍ ثم ابطلنَ لبس الاطواق العالية وصرنَ يكشفنَ العنق والنحر وجانباً كبيراً من الصدر فلم يصبن بمكروه بل صرنا اقدر على احتمال البرد

ينام الناس في فصل الصيف في هذا القطر من غير غطاء في الغالب وقد يستمرون على ذلك الى اواخر الخريف ولا يبردون ولا يصابون بآفة سببها البرد ولو نزعوا غطاءهم في الربيع دفعةً واحدة لبردوا واصيبوا بزكام شديد او بذات الرئة ولو كانت درجة حرارة الهواء حينئذٍ اعلى من درجة حرارتهِ في اواخر الخريف وما ذلك الاَّ لان الجسم يكون قد تدرَّج الى احتمال برد الليل من الصيف الى الخريف فبطل تأثير البرد فيهِ اي ان جنوده الداخلية تبقى مستيقظة عاملة تهجم على ما يدخلهُ من ميكروبات الامراض المشار اليها آنفاً وتقتلها او تأكلها · واما في الحالة الثانية فتكون جنود الجسم قد الفت الدفء فاذا جاء البرد بغتةً اضطرت ان تبذل كل قوتها في مقاومة فعلهِ فتعجز عن القيام بعمل آخر مع عملها اي تعجز عن محاربة ميكروبات الامراض وقتلها · ولكن اذا خفف المرء دثارهُ رويداً رويداً او اذا انتظر الى ان يشتد الحر في ايام الخماسين وخفف دثارهُ حينئذٍ دفعةً واحدة لم ينلهُ اقل ضرر لان الهواء لا يبرد حينئذٍ برداً يدعو جنود الجسم الى الاهتمام بهِ فتبقى على حراستها مستعدة لمحاربة الميكروبات

وهناك امر آخر لا يصحُّ الاغضاء عنهُ وهو ان الزكام يبقي في الجسم نوعاً من الوقاية كما ان الجدري يقي من يصاب بهِ من ان يجدر ثانيةً لكن الوقاية من الزكام لا تدوم اكثر من ثلاثة اشهر او اربعة على الراجح وقد لا تدوم ابداً ولذلك يصاب البعض بالزكام مرةً او مرتين فقط في السنة ويصاب غيرهم مراراً كثيرة · والظاهر ان هذا يتوقف على استعداد طبيعي في الجسم للانفعال بميكروبات الزكام وعلى تقوية حصونهِ الصحية لمقاومة هذه الميكروبات · اما الاستعداد الطبيعي فموروث ولكنهُ ليس صفة ثابتة كقصر القامة وبياض الوجه بل هو من الصفات المفارقة التي تتغير بتغير الاحوال فاذا قاومهُ المرء بتقوية جسمهِ والاقامة في اماكن مطلقة الهواء ضعف استعدادهُ الطبيعي لهُ

واذا حدث الزكام إما من اهمال الوقاية وقلة الاحتراس واما من كثرة ميكروباتهِ وتغلبها على حراس الجسم فخير دواء لهُ الفراش والدفء التام وتقليل الطعام

كفاف الانسان من الارض

من اوضاع الكونت تُلستوي الفيلسوف الروسي الشهير

اختان اقترنت كبراها بتاجر في احدى المدن والصغرى بفلاح مقيم في اطيانهِ · وذات يوم زارت الكبرى اختها الصغرى وجعلت تقابل بين عيشة المدن وعيشة الارياف وتفضل الاولى على الثانية ومما قالتهُ ان بيتها فاخر الرياش وثيابها وثياب اولادها نظيفة دائماً وعلى آخر زي وهم يجدون في المدينة كل ما يشتهون من انواع الطعام · واسبابُ التسلية وافرة لهم بين الملاعب والحدائق · فاغتاظت الصغرى من هذا التعريض وقالت لاختها اخطأتِ وانا لا ابدل بيتي ببيتكِ ولا عيشتي بعيشتكِ · نعم ليس عندنا اماكن للهو كالملاعب والمشاهد ولكننا آمنون صروف الدهر لا مثل التجار الذين يغتنون اليوم و يفتقرون غداً · ولا ننتظر ان نغتني ولكننا واثقون اننا نجد في اطياننا دائماً ما نأكل وما نشرب

فقالت الكبرى نعم تجدون طعامكم وشرابكم كالمواشي وهما جدّ زوجك واجتهد فانتِ لا تجدين الى الراحة سبيلاً بل تعيشين في الفاقة والتعب طول عمركِ ولا يكون اولادك احسن منكِ

وكان زوج الصغرى واسمهُ باخوم جالساً يسمع ما دار بين الاختين من الحديث فقال في نفسهِ لقد اصابت زوجتي ولو كانت اطياني واسعة كما اشتهي لقورت عيني ابليس ولم احسد احداً على عيشتهِ

وكان ابليس مختفياً وراء الموقد فسرّ بكلام باخوم وقال في نفسهِ اني ساعطيهِ كل ما يريد من الاطيان ونرى من يقور عيني الآخر

ومرّت الايام و باخوم يقتصد في نفقاتهِ فاشترى بعض الفدن المجاورة لاطيانهِ فزاد تعبهُ ولكنهُ لم يتذمر · وزارهُ ذات يوم احد الفلاحين واخبرهُ عن اراضٍ واسعة قرب نهر الفلغا وهي من اخصب اراضي الدنيا وثمنها بخس جدّاً · فقال باخوم هذه بغيتي وللحال باع اطيانهُ وذهب وشاهد الاطيان المشار اليها فاشترى منها بما معهُ من النقود ولكنهُ وجد ان الارض الصالحة منها لزرع القمح قليلة ومع ذلك واظب على زرعها خمس سنوات وهو يقتصد في نفقاتهِ الى ان اجتمع لهُ الف ريال فعزم ان يشتري اطيان جارهِ وكان جارهُ قد افلس · و بينما هو يفكر في ذلك مرّ بهِ تاجر واخبرهُ عن بلاد البشكير[1] حيث كان قد اشترى

(١) جيل من الناس يسكنون البلاد الواقعة في سفح جبال اورال بروسيا

خمسة آلاف فدان بالف ريال فقط . فسأل التاجر عن كيفيَّة الوصول الى ذلك . فقال التاجر ليس عليك الأ ان تصادق شيوخ القبيلة وتهاديهم بقليل من الجبب والبسط والخمر والشاي وانا لم ادفع ثمن الفدان اكثر من غرشين . ثم اخرج عقد البيع واراهُ لباخوم وقال لهُ ان الارض بور كلها ولكنها مرج واسع يغطيهِ النبات ويخترقهُ نهر كبير . والبشكير اصحاب الارض من اجهل الناس ويمكنك ان تأخذها منهم بلا ثمن

فابرقت اسرَّة باخوم وقال لقد وجدت ضالتي وعزم من ساعتهِ ان يقوم ويذهب الى بلاد البشكير ويبتاع منهم كل ما يستطيع ابتياعهُ من الاراضي . ثم سأل التاجر عن الطريق الموصلة الى تلك البلاد واخذ يتأهب للسفر اليها وودَّع زوجتهُ واخذ معهُ واحداً من خدمهِ وسار الى اقرب مدينة واشترى منها جبباً وبسطاً وشاياً وخمراً وسار الاثنان في مركبة اسبوعاً كاملاً قطعا فيهِ نحو ثلثمائة ميل الى ان وصلا الى بلاد البشكير فرأى كل شيء كما وصفهُ لهُ التاجر فان البشكير يسكنون في خيام من الشعر على ضفتي نهر وهم قبائل رُحَّل لا يحرثون ولا يزرعون بل عملهم انتجاع المراعي وتربية الخيل والغنم والبقر يأكلون لحومها ويشربون البانها ويرتدون بجلودها وهم اهل ضيافة وكرم . فلما اقبل عليهم اجتمعوا حولهُ وكانوا يجهلون اللسان الرومي ولكن اتفق وجود ترجمان هناك فجعل يترجم بينهُ وبينهم فاخبرهم بلسان الترجمان انهُ جاء ليشتري منهم بعض اراضيهم . فرحَّبوا بهِ واخذوهُ الى اكبر خيامهم وقدموا لهُ لبناً فشرب ثم ذبحوا لهُ خروفاً ليولموا لهُ

فسُرَّ بذلك وامر خادمهُ ان يأتي بما معهُ من الجبب والبسط والشاي والخمر واهداها الى رؤَسائهم . فجلسوا يتشاورون فيما بينهم ثم قالوا للترجمان قل لهُ اننا نحب الضيف على الرحب والسعة ونعرف قيمة الكرَم فلا ندعهُ اكرم منا فاسألهُ عمَّا يريد فلا نبخل عليهِ بهِ

فقال للترجمان قل لهم انني سررت ببلادكم واريد جواركم واحب ان تعطوني جانباً من اراضيكم لان الارض عندنا ضيقة وخصبها قليل وانتم اراضيكم واسعة خصبة

فترجم لهم الترجمان ما قال فجعلوا يتكلمون ويقهقهون وباخوم لا يفهم شيئاً من كلامهم ولكنهُ استنتج من ضحكهم انهم سروا بكلامهِ . واخيراً قال لهُ الترجمان انهم يسمحون لك ان تمتلك من اراضيهم قدر ما تريد جزاء لكرَمك

فقال لهُ اشكرهم عن لساني وقل لهم انني اريد ان اشتري منهم مساحة محدودة بثمن محدود واكتب ذلك في حجة حتى لا ينازعني احد في ملكي

ثم التفت الى شيخ القبيلة وقال لهُ اني شاكر لكم ما اظهرتم من حسن الضيافة والكرم

ولكنني لا اريد ان آخذ من ارضكم شبراً الاَّ بالشراء فهلمَّ نتفق على المقدار الذي تبيعونني اياهُ وعلى ثمنهِ حتى يكون البيع صحيحاً نافذاً عليكم وعلى اولادكم من بعدكم

فبشَّ لهُ الشيخ وقال ليكن لك ما تريد

فقال باخوم بلغني ان تاجراً مرَّ بكم من عهد قريب واشترى منكم جانباً من اراضيكم وكتبتم لهُ حجة في ذلك واود ان تعاملوني كما عاملتموهُ

فقال لهُ الشيخ عمك مرادك وعندنا هنا كاتب ماهر فنبيعك الارض التي تختارها ونكتب لك حجة بها ونوقعها كلها بختومنا

فقال باخوم واريد ان اعرف الثمن الذي تطلبونهُ

فقالوا اننا نطلب ثمناً واحداً وهو الف ريال كل يوم

فلم يفهم مرادهم وقال لهم ماذا تعنون باليوم وكم فدان يساوي

فقالوا لا نعلم ولكننا نبيعك كل الارض التي تستطيع ان تسير حولها في يوم واحد بالف ريال

فقال اني اقدر ان اطوف حول ارض واسعة جدًّا في اليوم

فقالوا لا مانع عندنا والارض التي تطوف حولها كل يوم نعطيك اياها بالف ريال مهما كان اتساعها ولا بدَّ من ان تقوم من نقطة معينة في الصباح وتعود اليها قبل غروب الشمس والاَّ خسرت الثمن

فقال ومن يعين الحدود التي امرُّ فيها

فقالوا يجب ان تعينها انت ويركب معك بعض رجالنا ويدقون اوتاداً فيها حيث تقول لهم . ثم نصل بين هذه الاوتاد بتلم فيكون الحد الفاصل للارض التي تختارها . ولك ان تختار الارض التي تريدها والمقدار الذي تريدهُ على شرط ان تطوف حولهُ في يوم واحد وتنتهي حيث ابتدأت قبل غياب الشمس

فسرَّ بذلك وتمَّ الاتفاق على ان ينهض في صباح اليوم التالي ويعمل حسبما قالوا . وتعشَّى تلك الليلة من الخروف الذي ذبحوهُ لهُ ونام على فراش من ريش فرشوهُ لهُ ولكن لم يغمض لهُ جفن من شدة فرحهِ لانهُ حسب انهُ سيقتطع من اراضيهم قطعة تساوي مملكة فان الوقت كان صيفاً والنهار طويلاً وحسب انهُ يقدر ان يمشي ثلاثين ميلاً على اقل تقدير فيقتطع قطعة ارض مساحتها نحو اربعة آلاف فدان فيحرث بعضها و يترك الباقي مراعي .

وقبل الفجر ران الكرى على جفنيهِ فنام وحلم انهُ سمع اناساً يمزحون ويضحكون امام باب الخيمة فنهض وخرج ليرى من هم واذا هو بشيخ القبيلة جالس امام الخيمة يضحك و يداهُ على خاصرتيهِ فقال لهُ ما يضحكك ايها الرجل فانقلب بغتةً وصار مثل التاجر الذي مرَّ بهِ واخبرهُ عن هذه الارض ولم يكد يتعرفهُ جيداً حتى انقلب وصار مثل الفلاح الذي ضافهُ ذات يوم واخبرهُ عن اراضي الفولغا وقبل ان يكلمهُ غاب عن بصرهِ وقام مقامهُ ابليس اللعين وقرنان في رأسهِ . فنظر اليهِ باخوم فرآهُ اخذ يتبسَّم ثم جعل يضحك فدنا منهُ واذا امامهُ رجل مطروح على الارض ميتاً ووجههُ مثل وجههِ تماماً فاستيقظ حينئذٍ وهو يقول اضغاث احلام. واراد ان يغمض عينيهِ ثانيةً و ينام ولكنهُ رأى ان الفجر قد بزغ فنهض وايقظ خادمهُ وامرهُ ان يشد على مركبتهِ و يوقظ رجال القبيلة

وللحال اجتمع رجال القبيلة حول شيخهم والحوا على باخوم ليفطر معهم فابى قائلاً انهُ حان الوقت للطوفان حول الارض

وسارت الجماعة معاً بعضها على ظهور الخيل و بعضها في مركبات وسار هو في مركبتهِ مع خادمهِ الى ان وصلوا الى السهل قبلما أُشرقت الشمس فنزلوا على رأس تلة وتقدم الشيخ من باخوم واشار الى سهل فسيح وقال لهُ كل هذا السهل لنا فاختر منهُ ما تريد

وكان السهل مرجاً واسعاً لا ترى العين آخرهُ وقد غطاهُ الكلأُ وعلا حتى اذا مرَّ رجل فيهِ لا يبين. ثم خلع الشيخ قبعتهُ ووضعها على رأس التلة وقال لباخوم قل لخادمك ان يقيم ههنا عند هذه القبعة وسر انت حول الارض التي تريدها مبتدئاً من ههنا و يجب ان تعود وتلمس هذه القبعة قبل مغيب الشمس وكل الارض التي تدور حولها في بحر النهار هي لك بالف ريال

فاخرج باخوم الدراهم من جيبهِ ووضعها على القبعة وخلع جبتهُ ووضعها الى جانبها وشدَّ منطقتهُ واخذ معهُ بعض الارغفة ودورقاً من الماء والتفت يمنةً و يسرةً ليرى في اي الجهات يسير فحار في امرهِ لان السهل كلهُ على نسق واحد واخيراً اختار ان يسير مشرّقاً . ولم تكد الشمس تبزغ فوق الافق حتى اخذ يعدو امام الجماعة ولما قطع نحو ميل وقف فدقوا وتداً في الارض ثم استأنف السير لا سريعاً ولا بطيئاً الى ان حسب انهُ قطع ميلاً آخر فوقف حتى دقوا وتداً آخر. ولم يكد يتم الميل الثالث حتى شعر بالحر فخلع قفطانهُ واستأنف السير والتفت الى الاكمة فرأى شيخ القبيلة واتباعهُ لا يزالون جلوساً عليها بمرأى منهُ . وسار ثلاثة اميال اخرى فاشتد الحر جدًّا والتفت الى الشمس وقال حان الوقت لأكل لقمةٍ واظن

انني قطعت ربع المسافة ولا يزال امامي ثلاثة ارباعها فيحسن بي ان اخلع نعليَّ و بعد ثلاثة اميال ادور الى الشمال والارض اجود من ان اتركها واراها تزيد جودةً كلما تقدمتُ · فاستمرَّ في سيرهِ واخيراً التفت الى ورائهِ فرأى التلة عند الافق والرجال عليها صغار كالنمل فابرقت اسرتهُ وقال لقد قطعت الآن قطعة كبيرة من هذه المروج فصار عليَّ ان ارجع

وجعل العرق يتصبَّب من بدنهِ وشعر بعطش شديد فوضع الدورق على فيهِ وشرب وهو سائر ثم وقف بغتة وقال للرجال الذين معهُ ان يدقوا وتداً ودار الى اليسار · وكان العشب طويلاً والحر شديداً فالتفت الى الشمس واذا هي قد تكبَّدت السماء فشعر بالجوع مع التعب ففتح مزودهُ واكل قليلاً وهو واقف ولم يجلس لانهُ خاف ان يجلس فيغلبهُ التعب والنعاس فينام وبعد ان وقف بضع دقائق استأنف السير وكان قد استردَّ بعض قوتهِ بالطعام فسار اولاً بخطى واسعة ولكن كان الحر قد اشتدَّ جدًّا حتى صار فوق الاحتمال وكاد التعب والنعاس يتغلبان عليهِ لكنهُ قال في نفسهِ تعب ساعة وراحة العمر فتنشَّط وواظب على السير الى ان قطع اربعة اميال · وعزم حينئذٍ ان يدور نحو التلة لكنهُ رأى مرجةً مبسوطة امامهُ كراحة اليد والنبات فيها على اخصبهِ فقال ما اصلح هذه البقعة لزرع الكتان وهل يليق بي ان اتركها فسار الى ان وصل الى آخرها ودق وتداً هناك ودار قاصداً الوصول الى التلة قبل ان تغيب الشمس لئلاَّ يخسر كل شيء · ونظر الى التلة فرآها على حد الافق وقدَّر انهُ صار على عشرة اميال منها وكان قد قطع ضلعين من اضلاع مربع وعليهِ ان يقطع ضلعين آخرين قبل ان يصل اليها فقال لا بدَّ من تقصيرها لانني طوَّلت الضلعين الاولين اكثر مما يلزم فينبغي ان اقصر هذين فسار حتى قطع ميلاً وتنفَّس الصعداء والتفت الى التلَّة فرأى ان لا بد لهُ من ان يسير اليها على خط مستقيم · وكانت رجلاهُ قد تورمتا وقوتهُ خارت من التعب وصار يستحيل عليهِ ان يقف ليستريح لان كل دقيقة تضيع قد تخسرهُ الارض والثمن فجعل يتأوه من الم رجليهِ · ثم تدرَّع بالصبر واسرع العدو والدم ينزف من قدميهِ فطرح قبعتهُ ونعليهِ والتفت فاذا الاكمة لا تزال بعيدة عنهُ فجعل يلعن الطمع وكاد يقطع الامل من الوصول اليها فنشف ريقهُ ولصق لسانهُ بحلقهِ وتبلَّلت ثيابهُ بالعرق ولصقت بجلدهِ وجعل قلبهُ يخفق وخدرت قدماهُ فبطل شعورهُ بهما ونسي الارض وما فيها وصار يخشى ان يقع ميتاً من التعب والاعياء وتصوَّر الموت امامهُ بصورة رهيبة لكنهُ قال في نفسهِ ماذا يقول الناس عني اذا وقفت الآن وابطلت السعي · وكأنهُ سمع رجال البشكير يضحكون عليهِ ويهزأون بهِ فاستجمع ما بقي فيهِ من القوة والرمق وكدَّ نحو الاكمة وكان قد قرب منها وصار

يميز الرجال عليها واذا هم يشيرون اليهِ لكي يسرع ثم رأى القبعة التي لا بدَّ من وصولهِ اليها قبل غروب الشمس فتشدَّدت عزائمهُ وقوي املهُ بالحصول على الارض التي اختطها لنفسهِ ثم خطر على بالهِ الحلم الذي حلمهُ وتمثل لهُ شخصهُ الذي رآهُ ميتاً فارتعدت فرائصهُ وقال في نفسهِ ترى هل يمدُّ الله في اجلي حتى اتمتَّع بهذه الارض واذا لم يفعل فاكون انا الجاني على نفسي بطمعي . ثم التفت الى الشمس واذا قرصها يكاد يمس الافق فاندفع بكل جهدهِ نحو التلة الى ان بلغها والتفت الى الشمس واذا نصفها تحت الافق وخطر لهُ حينئذٍ انها وان غابت عن اسفل التلة تبقى مشرقة على رأسها فجرَّ نفسهُ وهو يدبُّ على يديهِ ورجليهِ الى ان وصل الى اعلى التلة وحينئذٍ زلَّت قدمهُ فسقط على وجههِ لكنهُ مدَّ يديهِ بكل ما بقي فيهِ من الرمق الى ان لمس القبعة وهو مرتمٍ على الارض . فهتف لهُ رجال البشكير وهم يقولون احسنت احسنت عفارم عفارم . واسرع اليهِ خادمهُ لينهضهُ واذا بالدم يتدفق من فيهِ وهو جثة هامدة . وجلس رئيس القبيلة امامهُ وهو يقهقه ويفحص الارض برجليهِ ثم نهض وتناول رفشاً وسلمهُ للخادم لكي يحفر لهُ قبراً . وركب هو ورجالهُ خيولهم ومركباتهم وعادوا الى خيامهم . وحفر الخادم قبراً لسيدهِ طولهُ ست اقدام وعرضهُ ثلاث وواراهُ فيهِ وهذا كفاف الانسان من الارض

الطب الشرعي

١ — الطب الشرعي — ٢ — الطبيب الكشاف والخبير — ٣ — التقرير الطبي الشرعي — ٤ — الاهمال في تعاطي صناعة الطب والتدجيل — ٥ — السر الطبي — ٦ — فحص الاحياء والاموات — ٧ — عمل الصفة التشريحية والآلات اللازمة — ٨ — صندوق الاسعاف

الطب الشرعي علم يبحث في تطبيق العلوم الطبية على الاجراءات القانونية فهو بذلك خاص بالمعلومات التي لها مساس بالقانون من جهة ومن جهة اخرى شامل لكل العلوم الطبية . وقد توسع بعض الاطباء الشرعيين وادمجوا فيهِ كل فن لهُ علاقة بالقانون حتى القوانين الصحية

الطبيب الكشاف والخبير

الطبيب الكشاف هو الذي يطلب منهُ المحقق الكشف عن مصاب او جثة كشفا

سطحياً او تشريحها لمعرفة كيفية حدوث الاصابة وتاريخ حدوثها والمدة اللازمة لعلاجها او لمعرفة سبب الوفاة وتاريخ حدوثها ايضاً وقد يكون ذلك في محل الحادثة او بعيداً عنها

الاطباء الكشافون في القطر المصري هم اطباء المراكز والمستشفيات ومفتشو صحة المديريات والمحافظات

الخبير الطبي عادة هو الطبيب الشرعي بمصر او مساعدوهُ وفي بعض الاحيان يقوم بالكشف الابتدائي او يعيد الكشف عن مصاب او جثة سبق الكشف عنها سواء دفنت او لم تدفن او يبدي رأيهُ في تقارير طبية عملها سواهُ او يكشف عن مصاب بعد شفائهِ ليعرف هل تم شفاؤهُ او لم يتم وغير ذلك من الاعمال الهامة التي تحتاج الى خبرة واسعة ليست لسواهُ . وفي كثير من الاحوال يستعين المحقق بأقوال خبراء غيرهِ اختصاصيين في فروع مخصوصة كالرمد او الاسنان او امراض النساء او العظام كفحصها بالاشعة والتصوير وغير ذلك . ويجدر بي في هذا المقام ان اقول انهُ ليس في مقدرة كل طبيب ان يقوم بمهمة الطبيب الكشاف او الطبيب الشرعي . فقد يكون من اعلم الاطباء واشهرهم ولكنهُ امام مسألة طبية شرعية صغيرة قد يبدي آراء تكون السبب في تقويض اركان العدالة وقد يكتب تقريراً غير واضح او يملأهُ بالاصطلاحات التي لا يفهمها المحققون او بلغة معقدة . فالطبيب الكشاف يجب ان يكون لديهِ علاوة على معلوماتهِ الطبية خبرة بالمسائل الطبية الشرعية وان تكون لغتهُ سهلة الفهم يهتم باصغر الامور قوي الملاحظة ذا ذوق سليم

التقرير الطبي الشرعي

يجب ان يكون التقرير الطبي الشرعي عبارة عن حقائق طبية شوهدت وان يكون ما يستنتج من هذه الحقائق مفرغاً في قالب سهل بعيد عن الاصطلاحات الطبية ما امكن واحسن طريقة منظمة لكتابة التقرير هي تقسيمهُ الى ثلاثة اجزاء المقدمة والشرح والنتيجة . ففي المقدمة يذكر الانتداب وساعة حصولهِ ثم ساعة توقيع الكشف ثم يذكر القسم القانوني الذي يجب تأديتهُ قبل الشروع في الكشف ويجب ذكر اسم من حصل امامهُ القسم ولقبهُ ووظيفتهُ . وفي الشرح يجب ترتيب ورود الحقائق الطبية فيذكر اولاً تاريخ الاصابة وثانياً الوصف الظاهري للجثة او الشخص فيذكر الاسم والجنس ووصف الملابس تفصيلياً وما يشاهد بها من الامور غير العادية وما لم يشاهدهُ من الامور التي ينتظر ان تكون ذات فائدة في الموضوع . ففي حادثة مشاجرة مثلاً يجب ان يذكر هل وجد تمزق بالملابس او دم ثم تذكر السن والعلامات المميزة كالوشم او ندب الالتحام ولون الشعر والقامة والبنية ثم الاصابات

الظاهرة . توصف بالتطويل كما سيأتي وحالة الجثة هل كانت متيبسة او متعفنة او فاقدة جزءا منها وغير ذلك . وان لم يجد الطبيب شيئًا من ذلك يدونهُ صريحًا ثم يحترس في مقابلة الثقوب او الحروق التي في الملابس بالاصابات التي في الشخص او الجثة ويجب عليهِ ملاحظة حالة الجو لأهمية ذلك في التعفن الرمّي وملاحظة وضع الجثة وما حولها . ويجب ان يبدأ بشرح الحقائق التي يشاهدها في مجلس الاصابة اولاً ثم ينتقل لباقي اجزاء الجسم او الجثة مبتدئًا بالرأس حتى يصل للطرفين السفليين فان لم يشاهد شيئًا في اي جزء من الجسم ذكر ذلك

واما النتيجة فلا يكتب فيها الاَّ ما يستنتجهُ من الحقائق التي ذكرها في الشرح ولا يرتكن الاَّ على الاصول الطبية الثابتة ولا يذكر ما رآهُ في الكتب ولا ما استنتجهُ سواهُ بل ما يراهُ هو وما يستنتجهُ . ولتكن النتيجة منظمة مرتبة خالية من الاصطلاحات الطبية بالمرة مستوفية بحيث لا يحتاج لمناقشة فيها و يذكر فيها في حالة الجثث التصريح بالدفن وذلك بعد اخذ رأي المحقق ومحل الدفن ويجب ان يوقع معهُ من حضر الكشف من المحققين او مندوبيهم

في بعض الاحيان يطلب من الطبيب اعطاء رأي احتياطي في نفس محضر التحقيق فاذا كان الطبيب قد كوّن لنفسهِ رأيًا فيمكنهُ اعطاؤُهُ وان لم يكن فليذكر ذلك صريحًا حتى يمكن للنادب ان يَنْدُب سواهُ معهُ ليستعين برأيهِ . وأرى انهُ يجب على الطبيب اذا اشكل عليهِ امر ان لا يحجم عن طلب زميل لهُ معهُ فان هذه مسائل هامة ولا يعتبر ذلك جهلاً منهُ ابداً بل هو حرص على الحق واذا نوقش الطبيب في رأي شفهي ابداهُ فلا يتسرع في تأييدهِ او العدول عنهُ بل يجب ان يفكر كثيراً قبل الاجابة واذا اجتمع مع زملاء لهُ في مشورة طبية شرعية فلا يعجل في تخطئة زملائهِ بل يجب عليهِ التأني والمناقشة بعقل مع مراعاة آداب الصناعة واذا اختلف مع زملائهِ في الرأي فليدون ذلك في تقريرهم ولا ينفرد بتقرير خاص بشكل غير مرض لان ذلك يحط من قدر الاطباء في اعين الغير . و يجب عليهِ ان لا يصر على رأيهِ اذا اقنعهُ زملاؤُهُ بعدم صحتهِ

الاهمال والتدجيل

لم اسمع بان دعوى رفعت في مصر لمناسبة اهمال في تعاطي صناعة الطب وذلك لانهُ اذا حصلت وفاة فلا بد من تشريح الجثة وهذا امر يستهجنهُ الاهالي وفضلاً عن ذلك فالاهمال يصعب اثباتهُ وهو اما اهمال في التشخيص او العلاج . فاهمال التشخيص كعدم معرفة الكسر في المفصل من الرض او الالتواء او الخلع وقد ينشأ عن ذلك عاهة مستديمة . والاهمال في

العلاج كترك المريض بلا علاج بالمرة او عدم العناية بهِ كترك قطعة قطن او جفت او غيرهِ في البطن او عدم رد الخلع في وقتهِ او ثقب الرحم في عمليات الولادة او استعمال الكهرباء وهي غير لازمة او التسرع في عمل عملية غير ضرورية · ومع ذلك فهذه جميعها اغلاط شوهد حدوثها على ايدي كثير من الاطباء والجراحين المشهورين والمدار في ذلك على حسن النية كما في حالة اعطاء المخدر لاجراء العمليات الجراحية فقد يموت المريض بلا سبب واضح وجميع احشائهِ خالية من الامراض التي تمنع اعطاء المخدر وانما الواجب ان يعطي المخدر العمومي طبيب مرخص لهُ بتعاطي صناعتهِ · اما الدجال فهو الذي يدَّعي لنفسهِ فنًّا لم يدرسهُ و ينشأ عن تداخلهِ فيهِ اضرار عديدة · والتدجيل الطبي يكثر بين طبقة الحلاقين والتمورجية والقابلات و يظهر باجلى مظاهرهِ في طرق الاجهاض · وسنتكلم على ذلك في موضعهِ و يجب الضرب على ايديهم كما سنحت الفرصة وعدم التجاوز لهم عن عملهم مطلقاً

السر الطبي

المادة ٢٦٧ من قانون العقوبات تقول :

« كل من كان من الاطباء او الجراحين او الصيادلة او القوابل او غيرهم مودع اليهِ بمقتضى صناعتهِ سر خصوصي ائتمن عليهِ فافشاهُ في غير الاحوال التي يلزمهُ القانون فيها بتبليغ ذلك يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور او بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً »

فمن ذلك ترى انهُ اذا كان بافشاء هذا السر يمنع الطبيب حصول جريمة فلا عقاب عليهِ ولكن اذا دخل منزلاً فحرم عليهِ ان يصف الامور التي يعتبرها اصحاب المنزل سراً خاصاً بهم كأوصاف السيدات او اي جزء من اجسامهنَّ او اذاعتهُ بان سبب جنون شخص دينهُ او اذاعة انواع الامراض

المادة ٢٠٥ من قانون المرافعات :

« كل من علم من الافوكاتية او الوكلاء او غيرهم بواسطة صناعتهِ او خدمتهِ بامر ما او بتوضيحات عن ذلك الامر لا يجوز لهُ في اي حال من الاحوال الاخبار بذلك الامر ولا بالتوضيحات ولو بعد انتهاء خدمتهِ او اعمال صنعتهِ ما لم يكن الغرض من تبليغ ذلك اليهِ ارتكاب جناية او جنحة »

المادة ٢٠٦ من القانون نفسهُ :

« ومع ذلك يجب على الاشخاص المذكورين في المادة السابقة ان يؤدوا الشهادة عن الامر والتوضيحات المتقدم ذكرها اذا طلب منهم ذلك من بلغها اليهم »

وهنا اذكر مسألة الشهادات الطبية من حيث علاقتها بالسر الطبي فاذا كان الطبيب موظفاً ومن ضمن وظيفتهِ كتابة مثل هذه الشهادات فلا جناح عليهِ اذا صرح بنوع المرض بصفة رسمية اما بغير ذلك فلا حق لهُ في اعطاء شهادة طبية عن حالة شخص لآخر بل يعاقب جنائيًّا على ذلك اما اذا اعطاها لنفس الشخص فلا عقاب عليهِ

فحص الاحياء والاموات

يدعى الطبيب بصفتهِ طبيباً كشافاً رسميًّا او طبيباً يشتغل لحسابهِ للقيام بالمأموريات الآتية : —

فحص رجل او امرأة بالغة او دون سن البلوغ . فحص رجل او امرأة بالغة ولكن لا يمكن ايهما ان يقبل توقيع هذا الكشف . وفي كل هذه الاحوال يكون الرجل او المرأة متهماً او مجنياً عليهِ او مشتبهاً فيهِ فقط . ففي جميع هذه الاحوال — في مصر يكشف الطبيب المندوب رسميًّا بلا استئذان المكشوف عليهم ما دام هذا الكشف يحصل بناءً على طلب المحققين ولكن في حالة المرأة يحسن استئذانها والبنت يطلب اذن ذويها وفي الحالتين يجب وجود امرأة اخرى مع الطبيب الكشاف وان تعذر ذلك يترك الباب مفتوحاً نصف فتحة . ومندوب التحقيق يقف بالباب او داخلهُ ان لم يكن الكشف على اعضاء التناسل واما الاطباء غير المندوبين رسميًّا للكشف الطبي الشرعي فلا حق لهم في اجراء الكشف الاَّ بارادة المرضى المحضة والاَّ عرضوا انفسهم للعقاب . وقد يدعى الطبيب للكشف عن فتاة او خادمة لمعرفة ما اذا كانت بكراً او ثيباً او حبلى فعليهِ ان يفهمها ذلك قبل الكشف و يأخذ منها قبولاً اذا كانت نتيجة الكشف في غير مصلحتها بامكان اذاعتها لطالبي الكشف وكذلك في احوال المرضعات اذا طلب الكشف على احداهنَّ ليعرف هل كانت مصابة او غير مصابة بمرض سري . اما من جهة فحص الاموات فاقول ان الاطباء الصحيين هم الذين لهم حق الكشف عن الموتى واعطاء شهادة بالوفاة والتصريح بالدفن . والاطباء الخصوصيون لهم الحق فقط في اعطاء شهادة بالوفاة في حالة المرضى الذين كانوا يعالجونهم قبل الوفاة مباشرة . واما فحص الجثث لمعرفة سبب الوفاة الجنائي فهذا لا يفعل الاَّ بامر المحقق سواءٌ كان من البوليس او النيابة . وكذلك اجراء عملية التشريح . ففي الاحوال التي لا بد من التشريح فيها يجوز ان يعمل بامر البوليس وفي الاحوال المشتبهة والعارضية يجب ان يكون بامر النيابة ويجوز للطبيب

ان يفحص الجثة ظاهرياً ليعلم هل هناك سببٌ جنائي للوفاة بناءً على طلب اقرباء المتوفى فاذا وجد شبهة اخطر النيابة لتتصرف في الجثة

عمل الصفة التشريحية والآلات اللازمة لها

قبل البدء بعمل الصفة التشريحية يجب فحص الجثة من الظاهر كما شرحنا ذلك في موضوع التقرير الطبي الشرعي وخصوصاً لتحقيق شخصية المتوفى بعرض الجثة على اهلهِ وان كان مجهولاً تؤخذ صورتهُ الشمسية ويجب تشريح جميع اجزاء الجثة ولا يكتفى بموضع الاصابة لمعرفة سبب الوفاة لانهُ اذا ترك جزء بلا تشريح يعرض الطبيب كشفهُ للتجريح بواسطة المحامين كما انهُ لا يمكن الطبيب ان يقسم ويجزم بان سبب الوفاة هو كذا فيجوز انهُ ترك الرأس بلا تشريح وفي داخل الجمجمة ورم او غيرهُ لهُ دخل في الوفاة . ويجب اخذ مذكرات بكل ما يشاهدهُ بجوار الجثة وبقدر المستطاع ان يسرع في عمل الصفة التشريحية قبل ابتداء التعفن الرمّي فيها لانهُ يغير معالم الجثة. ويجب ان يوجه عنايتهُ الى محتويات المعدة فقد يجد في جدرانها تقرحاً او تأكلاً او ثقباً فلا يتسرع ويحكم بان هذه الحالة مرضية بل ليعلم ان المعدة تأكل نفسها احياناً فالقرحة المرضية تكون حافتها مبتورة وغير رقيقة والغشاء المخاطي يمكن سلخهُ اذا شرعنا في ذلك مبتدئين من حافة القرحة او بالعكس والعضلات اسفل الغشاء او الجزء الملتهب عند حافة القرحة غير متأثرة ويجوز وجود التصاقات ما بين المعدة والاحشاء المجاورة او وجود صديد او علامات الالتهاب الحيوي واما في حالة التأكل الهضمي فحافتهُ غير مبتورة وغير رقيقة ولا يمكن سلخ الغشاء المخاطي منها لانهُ رخو وعجيني القوام ويكون التأكل في الغشاء والعضلات بدرجة واحدة والجميع رخو ولزج ولا توجد التصاقات ولا علامات للالتهاب الحيوي في جميع الانسجة

واما طريقة عمل الصفة التشريحية فهي ان يفتح الصدر اولاً برفع عظم القص وفحص احشائهِ ثم البطن بشق رأسي وآخر افقي عليهِ اسفل السرة مباشرة ثم العنق مع نشر الفك السفلي والمحافظة على العظم اللامي ثم الرأس برفع الفروة اولاً بشق يبتدئ امام اعلى نقطة لصيوان الاذن و ينتهي عند النقطة المقابلة لها امام الاذن الاخرى ثم تنشر الجمجمة ويفحص المخ وتشرح الاطراف والعامود الفقري ان كان هناك ضرورة

والآلات اللازمة جدًّا هي سكينان متينان ومشرط ومقص عادي ومقص امعاء ومنشار وشاكوش وازميل ومسبر ومبر وخيط والادوات هي بشكير وصابون ومحلول فنيك وماء . وفي احوال التسمم تلزم ادوات اخرى سيأتي ذكرها

صندوق الاسعاف

ان لم يكن عند الطبيب صندوق مجهز كالمجهز للطبيب الكشاف خصيصاً من محل ماثيوز واخوتهِ بلوندرة فيمكنهُ اعداد صندوق معدن ٣٠ × ١٢ سنتي متر ومجهز بغلاية ولمبة وعلبة بودوفورم ومكنة شعر او موسى واربطة وشاش سيانور ومشمع وقطن وزجاجة اقراص سليماني ومقص وخيط حرير ومسبر قنوي ومسبر مدرج وجفتي شرايين وجفت تشريح وابر وقسطرة وانبوبة اسمارك وحقنة تحت الجلد وانابيب كافور واستركنين ومورفين واما السموم فلها صندوق خاص بها

الدكتور محمد زكي شافعي
طبيب مركز الفيوم

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

كتب الاستاذ جوردان رئيس جامعة لالند ستانفورد الاميركية مقالتين في مجلة العلم العام الاولى بعنوان « الانتخاب الحربي في اوربا » . والثانية بعنوان « الانتخاب الحربي في العالم القديم » . وقد اراد بالانتخاب الحربي اثر الحرب في الامم . واستعار هذا التعبير من الانتخاب الطبيعي في مذهب النشوء حيث اثبت داروين ان مدار هذا المذهب على انتخاب الطبيعة للاحياء وبقاء الاصلح منها للبقاء . ولكن كاتب المقالتين ابان ان فعل الحرب بالامم المختلفة هو ابقاء الضعيف وافناء القوي الاصلح للبقاء فهو عكس فعل الانتخاب الطبيعي

والاستاذ جوردان هذا هو الذي قيل منذ شهر ان الكونجريس الاميركي اي مجلسي النواب والشيوخ اختارهُ لمذاكرة الرئيس ولسن في توسط الحكومة الاميركية بين الدول المتحاربة سعياً الى الصلح . وقد رأينا ان نلخّص مقالتيهِ مقدمين الثانية لتقدم موضوعها على موضوع الاولى قال :

رومية

وصف المؤرخ حالة السلطنة الرومانية في عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس بقولهِ « كان الحصاد الانساني رديئاً » . اراد بذلك ان السكان كانوا على نماء والثروة على ازدياد ولكن كان هناك قحط في الاشداء من الرجال . فقد كادت الاسواق والمعسكرات تنغص بالرجال وكان اهل العمل واهل البطالة كثاراً ولكن لم يكن في البلاد كفايتها من الجنود الاشداء مع ان الحرب شغلها الشاغل في ذلك العصر

لقد اعترف بعض انصار النشوء الاجتماعي بما للانتخاب الحربي من النتائج الو بيلة ولكن تطبيق المذهب الداروني على التاريخ لم يكد يظهر حتى الآن فيما نكتبهُ عن الحرب والسلم

كانت القبائل الرومانية في اوائل عهدها موءلفة من اقوام ذوي شجاعة ونشاط يحبون العمل ولا يثقل عليهم شظف العيش · وقد قال فيهم احد المؤرخين « انهم لم يكونوا يحسبون احداً اعلى منهم او ادنى » لذلك طال عهد رومية بالجمهورية لان الرجال الاحرار يملكون زمام انفسهم · قال كاسيوس « ليس الذنب على طوالعنا في صيرورتنا عبيداً محكومين بل الذنب ذنبنا » · وقد وضعت رومية اساس عظمتها يوم كانت حرة صغيرة لا مجد لها ولا ثروة ولا مستعمرات ولا عبيد

ولكن الحرية والاستقلال تلاشيا منها شيئاً فشيئاً وحل محلهما حب السلطة والاستعباد · فلم يكد القوم يشعرون بقوتهم حتى اخذوا يستخدمونها ضدّ اخوانهم · وهذا التحول افضى الى العدوان والاغتصاب والنهب والنزاع والنخفخة وسائر ما يلابس الحروب فراح بذلك استقلال الجمهور ضحية مطامع البعض وصار للوطنية معنى جديد بعد انتقالها من العائلة والبيت الى الجيش والمعسكر

قال احد مؤرخي الرومان يصف الانقلاب الذي طرأ على رومية بعد فتوحاتها ان « الهومو » حل محلّ « الفير » · ومعنى « الهومو » عامّة الناس ومعنى الفير خيار الناس دون شرارهم اي ان خيار الرجال قتلوا في الحروب فبقي في البلاد العامّة فقط لحرث الارض وولادة الاولاد وقام ابناء العبيد والاماء والاتباع مقام اهل الحسب والنسب

هذا ولم يكن سبب سقوط رومية بذخ اهلها ولا تخنثهم ولا انتشار الرشوة فيهم ولا قسوة نيرون وكاليغولا ولا اشتغال نسل قسطنطين بالسفاسف والسخائف بل ان ذلك السقوط بدأ يوم تغلّب حب السلطة والسيادة على حب الاستقلال والحرية · وزاد استبداد الامبراطرة بزيادة ضعف الشعب حتى كان يصحّ اتخاذهُ مقياساً تاريخيًّا يقاس بهِ مقدار هبوط الامة وانحطاطها · فلم يستطع يوليوس قيصر ان يستبد بالسلطة و يفوق في القوة الاّ لان عهد سنسناتوس و يونيوس و بروتوس مضى وانقضى · وكانت قوة اوغسطس قيصر قائمة بشخصهِ · وزادت قوة الامبراطرة المتأخرين بضعف الشعب حتى بات خنصر قسطنطين اغلظ من متني اوغسطس · ولم يكن سبب ذلك قوة قسطنطين بل انقراض الاقوياء من الشعب و بقاء الضعفاء على ضد ناموس الانتخاب الطبيعي حتى بات الامبراطور معبود القوم بعد ما كان عملهُ الاول الوقوف بينهم وبين اهل المطامع · ولا ريب ان اوغسطس رومولس هو آخر امبراطور

روماني عدَّهُ شعبهُ اشبه الامبراطرة بالآلهة قبلما قضى القوط الغزاة عليهِ وعلى مملكتهِ

ولو ان ابناء الجمهورية الرومانية تنحوا عن الفتوحات لبقيت جمهوريتهم حتى يومنا هذا على الراجح . فقد زرعت بزور سقوط رومية يوم قُطع خيرة ابنائها عن ولادة الاولاد وتُرك الضعاف العجزة يتزاوجون و يتوالدون . ولم يكن لسقوطها علاقة بنوع الحكومة او بمقدار الثروة او بشيخوخة الامة . قال الاستاذ سيلي « ان سبب سقوط السلطنة الرومانية افتقارها للرجال » . وقد انتبه يوليوس قيصر الى قلة الرجال مع كثرة سكان المملكة وازدحامها بهم فقال ما فحواهُ ان السكان ينمون نموًّا مطرداً ورومية تغصّ باهلها كمستنقع يفيض ماؤُهُ على جوانبهِ وبعض اصناف الرجال موفورون ولكن الفلاحين الخشان بقايا عصور رومية الاولى كانوا يضمحلّون سريعاً . ومنذ تغير نوع الرجال ظهرت على الدولة الرومانية بوادر الانحلال . وقال الاستاذ بري « كانت نتيجة الحروب الرومانية تناقص صغار الفلاحين وازدياد الارقاء الذين لا ينتظمون في الجيش وبذلك حلّ العامَّة محل الخاصَّة وقام الضعاف مقام الاقوياء فامتلأَت رومية بالطغام وتسنّم الاريكة الرومانية كل مَن وقع اختيارهم عليهِ فلا بدع والحالة على ما رأَيت اذا ظهر قسطنطين اعظم من اوغسطس ولا بدع اذا بات الامبراطور فالنتينيانوس يؤَدب رعيتهُ بالعقارب بعد ما كان طيباريوس يؤَدبهم بالسياط اي ان طيباريوس على قسوتهِ وشراسة اخلاقهِ كان اوسع خلقاً واخفّ وطأَة على رعيتهِ من فالنتينيانوس الذي عدَّهُ قومهُ من المحسنين

وكانت الحروب تقام والمواليد على تناقص وتنبه ساسة الرومان الى انحطاط الامة كمًّا وكيفاً فسعوا في سدّ نقص العدد بجلب السكان من خارج المملكة اليها طوعاً او كرهاً . اما النقص في الصفات فاستعصى على العلاج . قال الاستاذ زِمّت « لما ظهر رجال الحكومة بمظهر اشباه الآلهة حوَّطوا انفسهم بما يناسب هذا المظهر ولبسوا لهُ لبوسهُ وازدانوا بغواشيهِ فكان على هذا الاثر ان الموظفين تضاعفوا والرعية فقدت حقوقها فملأَت رهبة الحكام وخشيتهم قلوبها وثمل اهل السلطة بخمرة الزهو والظلم . وصار للامبراطور قوة هائلة في الجيش لا يد للرعية فيها . وكان هذا الجيش اصمّ لصوت العقل لا وطنية لهُ اذ كان بلا وطن ولا مروءة تجول في صدورهِ اذ كان فاقد الروابط العائلية . وكيفما قلّبت التاريخ الروماني تجد الناس صنفين لصًّا وبربريًّا [1] وكلاهما يكره العمل ويستنكرهُ . ولم تكن الحضارة الرومانية للبنيان بل للتقويض والهدم لانها كانت عسكرية »

(١) كان الرومان يلقبون الدخلاء بينهم بالبرابرة

وكانت عاقبة ذلك كله ان الامة فقدت ابناءها فاضطرت ان تلجأ الى الشاكرية[1] في حرث حقولها فكانت تستأجر قبائل برمتها لهذا الغرض · فلما قام الاجراء والعبيد والافاقون والطغام مقام الاحرار اهل النظر السديد والساعد الشديد وباتت المملكة بلا حول ولا قوة اجتاحها جموع الغزاة وعاثوا فيها مفسدين وقطنت عصابات البرابرة بلادها واتخذوها وطناً لهم ولكنهم لم يفتحوها وكان ضعف رومية المثقلة باصفاد الحروب فرصة القبائل الجرمانية التي اغارت عليها وملكتها · ولقد صدق برنارد شوحيث قال « ان الامة كالنحلة حينما تلسع تموت »

بسط الدكتور اوتوسيك الالماني في كتابه « سقوط العالم القديم » اسباب سقوط الدولة الرومانية فاشار في بدء بحثه الى الجمود العقلي الذي شمل السلطنة الرومانية في اوائل التاريخ المسيحي فقال انهُ لم تظهر حينئذٍ فكرة جديدة يعتدّ بها سواء كان ذلك في العلوم او المباحث الفنية والسياسية · وتلاشت قوة الابتكار في الآداب والفنون واكتفى اهلها بتقليد القديم · وكان سبب ذلك كله استئصال شأفة الخاصة والسراة بسبب الحروب

ومثل هذا جرى في اليونان حيث طال عهد الخصام وسفك الدماء بين الاحزاب السياسية الداخلية · وكان الخصام ينتهي بانتصار هذا الحزب وانخذال ذاك وكانت عادة المنصورين ان يقتلوا زعماء الحزب المخذول او ينفوهم من البلاد · وكثيراً ما كانوا يقتلون اولادهم ايضاً فانضى قتل النوابغ عن الجانبين الى انخفاض المستوى العقلي في الامة · قال سيك :

« ان حروباً داخلية مثل هذه تنكب الامم بفقر ادبي لا يستقصى · ففي رومية ذبح ماريوس وسنّا اعيان الامة بالمئات والالوف · واعمل سلاّ في الديموقراطيين طعناً وقتلاً · ومن سلم من هذه المذابح سقط ضحية في يد الترايمفرايت[2] · ولما كان اليونان اوسع حيلة من الرومان جاء الرومان الخراب باسرع مما جاء اليونان · ومن كان منهم عصامياً فارتقى بجده في المناصب السياسية تألبوا عليه واسقطوهُ سريعاً فلم يبقَ في البلاد الاّ الجبناء وذريتهم · وكان عنوان ذلك الجبن ضعف قوة الابتكار واحتذاء النير احتذاءً تاماً والسير على التقاليد بلا تصرّف ولا تفنن »

ومن شذّ عن هؤلاء المؤرخين مثل ڤارو وانصاره قال ان رومية ماتت حتف انفها

---

(١) العمال المستأجرون (٢) حكومة من ثلاثة رجال في عهد الرومان · واشهر هذه الحكومات الحكومة التي تألفت من بمبي وكراسوس ويوليوس قيصر في القرن الاخير قبل التاريخ المسيحي والحكومة التي تألفت من اوكتافيانوس (اوغسطس قيصر فيما بعد) ومارك انطونيوس وليبدس في اواسط القرن الاول من التاريخ المسيحي

لانها شاخت . ولكن من الوهم ان يتصور ان الامم تولد وتشب وتشيب طبقاً لناموس ثابت كالناموس الذي يخضع لهُ الافراد. فان الامة مجموع احياءٍ وهي عرضة للشتات اذا ساءت قيادتها او هاجمها عدو اقوى منها ومتى قلت نسبة اهل العقول والقلوب فيها كان مستقبلها نتيجة القوى التي بقيت فيها . وقد هزأ سيك بقول القائلين ان رومية ماتت حتف انفها وانكر قول من قال ان سقوطها نشأ عن البذخ او اهمال الخطط الحربية او عن المغالاة في الحضارة قال :

« ولا يُعقل ان الرومان ضُرُّوا من زيادة الحضارة ولا ان بذخ اغنيائهم كان سبب سقوطهم . فان اغنياء القرنين الخامس عشر والسادس عشر لم يكونوا اقل بذخاً منهم ومع ذلك لم يُحل بذخهم دون تقدم الامم التي ينتمون اليها . وزد على ذلك ان اهل البذخ في رومية كانوا اكثر تفرقاً من اهل البذخ في كل بلد اوربي حديث وان جمهور الرومان كان في كل زمان كثير التقشف والزهد في معيشته بطبيعة الحال . وهل يتصور ان امة حربية مؤلفة من ملايين عديدة تمسي مخنثة ببذخ بضع مئات منها . فقد مضى زمان طويل والمؤرخون يتحدثون بما للاغنياء والامراء في العالم من اليد الطولى في تغيير وجههِ وتعيين مستقبلهِ . على ان نصف المملكة الرومانية كان مؤلفاً من البرابرة الخشان الذين لم تصقلهم الحضارة اليونانية ولا ثقفتهم المدنية الرومانية

« ومهما يكن السبب البعيد في سقوط الدولة الرومانية فان السبب المباشر لسقوطها هو انحلال قواها الجسمية لا الادبية . فقد بقيت الجيوش الرومانية حيث كانت على الدوام من قبيل البسالة وحسن النظام وادارة الحرب على مقتضى العلم . وكان امبراطرة الىريكاوم الفلاحون خير خلف لاسلافهم من امثال سنسناتوس ومار يوس . ولكن بقيت مسئلة سد النقص في الجيوش . فان الرجال قلُّوا فتقوضت اركان الامبراطورية الرومانية من قلة الرجال »

وبينا انا اكتب هذه السطور نُشر كتاب من قلم الدكتور الفرد شولتس في نيويورك ذهب فيهِ الى ان سبب سقوط رومية النغولة اي فساد دم الرومان بامتزاجهِ بدماء القبائل الخاضعة لهم . وعندي ان النغولة كانت نتيجة انحطاط رومية لا سبباً لهُ فان رجال القبائل التي اخضعتها رومية أُخذوا لسد الفراغ الحادث من هلاك رجال الرومان في الحروب . والاستمرار على قتل الاصلح فتح مجالاً واسعاً للامم غير الرومانية التي باعت سرير الملك مرة بالمزاد العلني . ولما قتل الرومان في الحروب الداخلية والخارجية اندفع الدم الغريب والدخيل من كل فجّ وصوب ليملأ مكان الاصيل

قال جبّن «وكان الرومان يزدادون قصر قامة كل يوم فنغصت السلطنة الرومانية بالاقزام حتى اجتاحها جبابرة الشمال فاصلحوا ما افسده الزمان فيها واعادوا اليها الرجولة والاستقلال . و بعد ثورات دامت عشرة قرون اصبحت الحرية ام العلم والذوق السليم» . وكانت الامة الايطالية الحاضرة

اليونان

كان اليونان فيما سلف من الدهر قادة العلم في الفنون والشعر والفلسفة . وكان ابهى بناء بناهُ الناس قصر السلام او البارثنون الذي اقامهُ بركليس تذكاراً لانتهاء الحروب اليونانية . وبقي قائماً ما ينيف على الفي سنة الى ان هُدم في اواخر القرن السابع عشر للمسيح

لكن مجد اليونان كان قد انقضى قبل تهدُّم البارثنون وكان سبب انقضائهِ فناء الرجال الاقوياء بالحرب . فقد كانت المدنية اليونانية في اوجها مبنية على الرق اذ كان في اليونان رجل حرّ واحد لكل عشرة ارقاء . فلما ذهب الاحرار حلَّ العبيد محلهم قادمين من الشمال ما بين بلغاري والباني وفلاخي وامثالهم . ولا تزال اللغة اليونانية القديمة حية اما اليونان القدماء يونان الآداب والفنون والفلسفة فلن يعرف مكانهم . قال المستر ارلند « ان معظم الامة اليونانية القديمة زال و يقطن البلاد الآن قوم من السلالة الصقلبية . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بان في جيش ادهم باشا العثماني من دم ابطال اليونان القدماء اكثر مما في جنود الملك جورج »

وقد عزا شولتس سقوط اليونان الى مثل السبب الذي افضى الى سقوط رومية وهو تزاوج اليونان والقبائل البربرية التي تدفقت عليها من كل جهة . وكان هؤلاء الدخلاء يزدادون كلما نقص اليونان الاحرار بالحروب . ثم حُرِّر العبيد ليحلوا محل اليونان الاحرار الذين قُتلوا في ميادين الحرب وحينما هلك هؤلاء حل الدخلاء محلهم . ومن المحقق ان سكان بلاد اليونان الحاليين ليسوا امة واحدة والفرق بين الذين يسمون يونانًا و بين سائر البلقانيين ان سكان بلاد اليونان يتكلمون لغة مشتقة من اليونانية القديمة

ولكن عند مقابلة اليونان معاصرينا باليونان القدماء نقول إنصافًا لهم انهم متصفون بكثير من الخلال الطيبة . ومن تلك الخلال الصراحة والرجاء والغيرة الوطنية . واليوناني الجبلي يعرف قيمة الحرية وقد طالما قاتل في سبيلها . و يقال ان اهل ثساليا اقل استقلالاً وحبًا للحرية من سكان الجبال . ولا غرو فان ذلك شأن سكان البطاح والسهول اينما كانوا

الحال بعد الحرب

لا شبهة ان نفقات هذه الحرب فاقت كل نفقات الحروب قبلها · ويرى كثيرون من الباحثين ان ممالك اوربا التي اشتركت فيها لا تسترد ما خسرتهُ الأ بعد السنين الطوال · اما نحن فلا نرى ذلك لان الاموال التي انفقتها الدول المتحاربة استدانت اكثرها من شعبها ثم ردت اليهِ اكثر ما استدانتهُ منهُ · ولان الناس اضطروا الآن الى الاقتصاد في نفقاتهم فاقتصدوا منها ما يساوي جانباً كبيراً من النفقات الحربية

وقد طرق المستر اليس باركر الكاتب الانكليزي المشهور هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فتوسَّع فيهِ وبيَّن بالادلة الكثيرة ان البلاد الانكليزية ستنهض من عثرتها وتسترد ثروتها وتروج صناعتها وتجارتها بعد الحرب رواجاً ينسي الناس ما خسروهُ فيها · ومما قالهُ في هذا الصدد ان المانيا انفقت في تسعة اشهر على حربها الماضية مع فرنسا ٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان ترعة بناما وهي اكبر الاعمال الهندسية التي عُملت في الدنيا انفقت عليها الحكومة الاميركية ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان حرب البوير التي دامت ثلاث سنوات انفقت فيها انكلترا[1] ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اما الحرب الحاضرة فتنفق فيها انكلترا كل شهرين مقدار ما انفقتهُ في حرب البوير مدة ثلاث سنوات

وقد بلغت نفقات انكلترا في هذه الحرب حتى الآن نحو ١٣٠ مليون جنيه واذا دامت الحرب سنتين اخريين فلا يبعد ان تستنزف ثلث ثروة البلاد الانكليزية لانها تقدَّر بنحو ١٢٠٠٠ مليون جنيه · وقد كانت النفقات السنوية للحكومة الانكليزية قبل الحرب ٢٠٠ مليون جنيه فلا يبعد ان تصير بعدها ٤٠٠ مليون جنيه لما يقتضيهِ ربا الدين الجديد ومعاشات الذين اصابتهم العاهات في الحرب والذين قتل ذووهم فيها فهل تستطيع الامَّة الانكليزية تحمُّل هذه النفقات كلها واحتمال اعباء هذه الديون

منذ مئة سنة وضعت الحرب اوزارها بين انكلترا وفرنسا (حرب نبوليون) بعد ما انفقت فيها انكلترا ١١٠٠ مليون جنيه · نعم ان الديون التي استدانتها في تلك الحرب لم تبلغ سوى ٦٠٠ مليون جنيه ولكن الحكومة زادت الضرائب في غضونها نحو ٥٠ مليون

(١) يراد بانكلترا في كل ما يلي البلاد الانكليزية اي انكلترا واسكتلندا وارلندا ويراد بامبركا والحكومة الاميركية الولايات المتحدة الاميركية وحكومتها

جنيه فقد كانت الضرائب السنوية في اول الحرب سنة ١٧٩٢ نحو ١٩ مليون جنيه فصارت في آخرها سنة ١٨١٩ نحو ٦٢ مليون جنيه ولو جرت زيادة الضرائب مجراها الطبيعي حسب زيادة عدد السكان لبلغت ٣١ مليون جنيه فقط ولبلغ مجموعها كلها في تلك السنين ٦٠٠ مليون جنيه لكنهُ بلغ نحو ١١٠٠ مليون جنيه فالزيادة وهي ٥٠٠ مليون ضمَّت الى الديون لاجل نفقات الحرب ولذلك فنفقات تلك الحرب التي انفقتها انكلترا بلغت ١١٠٠ مليون

وكانت ثروة انكلترا سنة ١٨١٤ تقدَّر بنحو ٢٧٣٧ مليون جنيه فالنفقات الحربية كانت بين ثلث ثروة البلاد ونصفها ومع ذلك حملتها البلاد ولم ترزح تحتها فلا عجب اذا حملت الآن نفقات تعادل ثلث ثروتها او اكثر

ثم انهُ لما كانت الحرب مع نبوليون زيدت الضرائب في البلاد الانكليزية اربعة اضعاف في عشرين سنة اما الآن فلم تزد الاَّ خمسين في المئة اي ثمن ما زادتهُ حينئذٍ وتظهر زيادة الضرائب حينئذٍ من النظر الى الجدول التالي

	سنة ١٧٩٢	سنة ١٨١٥
الاموال المقرَّرة	٣ ٨٣٧ ٠٠٠ جنيه	٢٥ ٤٣٨ ٢٥٠ طنًّا
ضرائب الاطعمة والاشربة والتبغ	٩ ٠٣٥ ٧٨٣ ·	٢٩ ٤٠٦ ٤٩٤ ·
عوائد الجمارك والمواد الاصلية	١ ٤٦٧ ٠٠٠ ·	٠٦ ٠٦٢ ٢١٤ ·
عوائد المصنوعات	١ ٦٥٦ ٠٠٠ ·	٠٤ ٠٨٠ ٧٢١ ·
التمغة	٠ ٢٥٢ ٠٠٠ ·	٠٢ ٧٤٣ ٠٠٠ ·

وواضح من ذلك ان الضرائب بلغت بعد الحرب مع نبوليون ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ قبلها فاحتملها الانكليز مع انهم لم يكونوا في سعة تقابل بسعتهم الحاضرة ولا بدَّ من ان كثيرين شكوا منها حينئذٍ بحق او بغير حق كما سيشكو كثيرون الآن ولكن البلاد نجحت بعد تلك الحروب نجاحًا لا مثيل لهُ رغمًا عما قدَّرهُ كثيرون من عظماء الرجال مثل فردرك الكبير ونبوليون الاول وغيرهما وما ذلك الاَّ لان الضرائب الثقيلة التي القيت على عواتق الناس دفعتهم الى السعي والجد والتدبير والاقتصاد · ومتى عكف الناس على اعمالهم واقتصدوا في نفقاتهم زاد دخلهم وقلَّ انغماسهم في الملاهي والملاذ فزادت ·واليدهم· وهذا يفسر ما قالهُ الاقتصادي الشهير ادم سمث وهو ان الرجال يكثرون حينما تدعو الحاجة الى كثرتهم · فان عدد الانكليز كان ١٠٩٤٢٦٦٦ سنة ١٨٠١ فبلغ ١٨٧٢٠٣٩٤ سنة ١٨٤١ اي كاد يتضاعف في اربعين سنة· وكادت غلة ارضهم تتضاعف

في هذه المدة فقد كان مجموع ايجارها ٢٢ مليون جنيه ونصف مليون سنة ١٨٠٠ فبلغ ٤٠ مليون جنيه سنة ١٨٤٣ وزاد سكان المدن الصناعية زيادة كبيرة جداً كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٨٠١	سنة ١٨٤١
سكان منشستر	٩٤ ٨٧٦	٣١١ ٠٠٩
« لفربول	٨٢ ٢٩٥	٢٨٦ ٤٨٧
« برمنجهام	٧٠ ٦٧٠	١٨٢ ٩٢٢
« ليدس	٥٣ ١٦٢	١٥٢ ٠٧٤
« شفيلد	٤٥ ٧٥٥	١١١ ٠٩١

وقس على ذلك سائر المدن الصناعية فان سكانها كلها زادت نحو ثلاثة اضعاف في اربعين سنة . اما المصنوعات فزادت اكثر من ذلك كثيراً كما ترى في الجدول التالي وفيهِ ما ورد الى البلاد الانكليزية من القطن والصوف لكي يغزلا وينسجا فيها وقد اكتفينا بالملايين

السنة	الوارد من القطن	الوارد من الحرير	الوارد من الصوف
١٨٠١	٥٤ ٠٠٠ ٠٠٠ ليبرة	١ ٠٠٠ ٠٠٠ ليبرة	٧ ٠٠٠ ٠٠٠ ليبرة
١٨٤٥	٧٢١ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٦ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٧٧ ٠٠٠ ٠٠٠ «

فالقطن الخام زاد اكثر من ثلاثة عشر ضعفاً والحرير زاد ستة اضعاف والصوف احد عشر ضعفاً . وكذلك زاد ما استخرج من الحديد سبعة اضعاف فانهُ كان ٢٠٤ الف طن سنة ١٨٠٦ فبلغ ١٧٠٠٠٠٠ طن سنة ١٨٤٥

ومعلوم ان الفحم الحجري قوام الصناعة وقد بلغ المستخرج منهُ في البلاد الانكليزية سنة ١٨٤٥ اكثر من ٣١ مليون طن والمستخرج من بلجكا وفرنسا وروسيا والنمسا والولايات المتحدة الاميركية اقل من ١٨ مليون طن اي ان البلاد الانكليز كانت تستخرج نحو ثلثي الفحم الحجري المستخرج من الدنيا . وكانت تستخرج ايضاً ثلثي الحديد المستخرج من الدنيا . ومن ثم صارت انكلترا المعمل الكبير لصناعات المسكونة فنقضت ما تكهن بهِ فردرك الكبير ونبوليون الاول اللذين قدّرا انها سترزح تحت اثقال ديونها الوطنية وضرائبها الفادحة وما ذلك الآ لأن الحاجة تفتق الحيلة ولان الانسان كسول بالطبع ولا يجدُ

و يجتهد الآن مضطرًّا فالضرائب الثقيلة نفت الكسل من محيى الكسل والبطالة وحملتهم على الجد والاجتهاد

اذا رأى الانسان انهُ تطلب منهُ اموال كثيرة فاول شيءٍ يعملهُ انهُ يقتصد في نفقاتهِ ويحرم نفسهُ من كثير من ملذاتها ثم يجتهد ليزيد دخلهُ بالعمل والاختراع والاستنباط . وقد نبغ المخترعون في انكلترا في ذلك العصر عصر الشدَّة والسعي مثل وط و بولتن وترفثك ومودسلي ونسمث وستفنصن وهرغريفس واركريت وكارتريت وسميتون و بريستلي ودلتن وفاراداي وداقي وودجود وكثيرين امثالهم

وكان الانكليز في النصف الاخير من القرن الثامن عشر والاول من القرن التاسع عشر اعلى ام الارض همَّةً واقداماً فاخترعوا اهم المخترعات الصناعية الحديثة وسبقوا غيرهم الى استعمال المخترعات التي اخترعتها الام الاخرى . ثم تغيرت الحال بعد ذلك فصار الالمان والاميركيون يتناولون المخترعات الانكليزية ويعملون بها والانكليز يهملون امرها . فاستخراج الاصباغ من قطران الفحم اكتشفهُ عالم انكليزي ولكن الالمان استعملوهُ حتى كاد استخراج هذه الاصباغ ينحصر فيهم . والانوال الآلية استنبطها رجل انكليزي ولكن هذه الانوال قليلة الآن في انكلترا وكثيرة جدًّا في اميركا . وزاد التراخي في امر الصناعة الانكليزية في الخمسين سنة الاخيرة والسبب الاكبر لذلك غنى البلاد واستغناء اهلها عن الكد والكدح وميلهم الى الراحة بعد التعب . والمرجح انهُ اذا زادت الضرائب على الشعب الانكليزي حتى اضطرَّ ان يعود الى سابق اجتهادهِ فلا يحتاج ان يخترع مخترعات جديدة بل حسبهُ ان يجري في اعمالهِ على الاساليب الاميركية

والبلاد الانكليزية اصلح بلدان المعمور لتوسيع نطاق الصناعة لغزارة مناجم الفحم فيها وقربها من البحر فتستطيع ان تنقل مصنوعاتها الى سفنها باقل ما يكون من النفقة وزد على ذلك ان مستعمراتها اوسع من مستعمرات سائر الدول فتجلب منها كل ما تحتاج اليهِ الصناعة من المواد الاصلية

وقابل الكاتب بعد ذلك بين اكثر الصناعات الانكليزية والاميركية اظهاراً للفرق بينهما في مقدار الاعتماد على الآلات البخارية . ونشر جدولاً كبيراً ذكر فيهِ عدد العمال في كل صناعة وقوة ما يستعملونهُ من الآلات البخارية وقيمة ما يعملهُ الواحد منهم في السنة . وقد اخترنا منهُ المصنوعات التالية

		قيمة ما يصنعهُ العامل في السنة	قوة الآلات البخارية لكل الف عامل
الاحذية	في انكلترا	٠١٧١ جنيهًا	٠٠١٧٢ حصانًا
	في اميركا	٠٥١٦ «	٠٠٤٨٦ «
السمنت	في انكلترا	٠١٩٢ «	٠٣١٩٥ «
	في اميركا	٠٤٧٢ «	١٣٨٧٣ «
الثياب	في انكلترا	٠١٥٨ «	٠٠٠٤٥ «
	في اميركا	٠٤٨٤ «	٠٠١٦٥ «
المنسوجات القطنية	في انكلترا	٠٢٣٦ «	٠٢٢١٤ «
	في اميركا	٠٣٣٢ «	٠٣ ٢٣ «
الساعات	في انكلترا	٠١٣٧ «	٠٠١٢٥ «
	في اميركا	٠٢٩٦ «	٠٠٦٢٨ «
السكاكين ونحوها	في انكلترا	٠١٦٤ «	٠٠٤٢٠ «
	في اميركا	٠٣٢٣ «	٠٢٠٦٩ «
الاسلحة	في انكلترا	٠١٢٥ «	٠٠٥٩٥ «
	في اميركا	٠٤٦٤ «	٠١٢١٤ «
دبغ الجلود	في انكلترا	٠٦٨٦ «	٠٠٨٤٧ «
	في اميركا	١٠٥٤ «	٠٢٣٨٩ «
الاصباغ	في انكلترا	٠٨٦٣ «	٠١٣٧٥ «
	في اميركا	١٧٥٤ «	٠٤٠١٢ «
الورق	في انكلترا	٠٣٣٠ «	٠٤٢٠١ «
	في اميركا	٠٧٠٥ «	١٥٨٤٦ «

ولم يكن الامر كذلك في سالف الزمن لما كانت السيادة للانكليز في الصناعة فقد كان الصانع منهم يعمل في يومهِ اكثر ممَّا يعملهُ الصانع في كل بلاد اخرى · ولم يقتصر ذلك على

الصناعة بل تناول الزراعة والتعدين ثم تغيرت الحال فصار الانكليز في بلادهم اكسل منهم في غيرها فقد كان المتوسط السنوي لما يستخرجهُ العامل من الفحم الحجري بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٠ في انكلترا ٣١٢ طنًا وفي الولايات المتحدة ٤٠٠ طن وفي استراليا ٣٣٣ طنًا وفي زيلندا الجديدة ٣٥٩ وفي كندا ٣٤١ فنقص المستخرج في انكلترا رويداً رويداً وزاد في غيرها رويداً رويداً حتى صار في انكلترا ٢٤٤ طنًا وفي اميركا ٦٦٠ طنًا وفي استراليا ٥٤٢ طنًا وفي زيلندا الجديدة ٥٠٣ اطنان وفي كندا ٤٧٢ طنًا

ولذلك زادت نفقات استخراج الفحم في انكلترا فبعد ان كانت نفقة استخراج الطن ٢٤ غرشاً سنة ١٨٨٦ صارت ٤٥ غرشاً سنة ١٩١٢ اما في اميركا واستراليا فزيدت اجور العمال ومع ذلك هبطت نفقات استخراج الفحم ولو قليلاً فكانت في استراليا مثلاً ٤٥ غرشاً للطن سنة ١٨٨٦ فصارت ٣٧ غرشاً سنة ١٩١٢

وكانت انكلترا سابقة المانيا في استخراج الحديد وعمل الفولاذ منذ خمسين سنة فسبقتها المانيا الآن في الاثنين كما ترى من هذا الجدول

		سنة ١٨٦٥	سنة ١٩١٠
المستخرج من الحديد	في انكلترا	٤٨٩٦٠٠٠ طنًا	١٠٣٨٠٠٠٠ طنًا
	في المانيا	٠٩٧٥٠٠٠ »	١٤٧٩٣٠٠٠ »
المصنوع من الفولاذ	في انكلترا	٠٢٢٥٠٠٠ »	٠٠١٠٠٠٠٠ »
	في المانيا	٦١٠٧٠٠٠ »	١٣٦٩٩٠٠٠ »

مع ان استخراج الحديد وعمل الفولاذ اسهل في انكلترا منهُ في المانيا

وكما تأخرت الصناعة في انكلترا بسبب الغنى ورخاء المعيشة تأخرت الزراعة كما يظهر من المقابلة بين زراعتها وزراعة المانيا فان مساحة الاراضي الزراعية في انكلترا نحو ٤٧ مليون فدان وفي المانيا نحو ٧٨ مليون فدان ومع ذلك فقد بلغت غلة القمح والراي سنة ١٩١٢ في انكلترا ١٥٦٨٧٠٠ طن وفي المانيا ١٥٩٥٨٩٠٠٠ وغلة الشعير في انكلترا ١٣٢٠٤٠٠ طن وفي المانيا ٣٤٨٢٠٠٠ طن وغلة البطاطس في انكلترا ٥٧٢٦٣٤٢ طن وفي المانيا ٥٠٢٠٩٥٠٠ طن اي ان الارض الزراعية في انكلترا نحو ثلاثة اخماس الارض الزراعية في المانيا ومع ذلك فغلة انكلترا من القمح والراي عشر غلة المانيا ومن الشعير نحو ثلث غلة

المانيا ومن البطاطس نحو تسع غلتها . ويربي الالمان من المواشي اكثر جداً مما تقتضيه النسبة بين اراضي البلادين فعندهم من البقر مضاعف ما عند الانكليز ومن الخنازير اكثر من خمسة اضعاف ما عند الانكليز . والغنم اكثر في بلاد الانكليز منها في المانيا ولكن لا يعتنى بتسمينها كما يعتنى بتسمين الخنازير في المانيا

ومما يدل على اجتهاد الالمان واقتصادهم الاموال التي اودعوها بنوك الاقتصاد قبل نشوب الحرب فقد كانت هذه الاموال في انكلترا والمانيا واميركا كما ترى في هذا الجدول

السنة	في انكلترا	في المانيا	في اميركا
١٨٨٠	٧٧٧٢١٠٠٠ جنيه	١٣٠٦٩٠٠٠٠ جنيه	١٦٣٨٢١٠٠٠ جنيه
١٩٠٠	١٨٦٠٠٦٠٠٠ «	٤٤١٩٢٩٠٠٠ «	٤٧٧٩٤٤٠٠٠ «
١٩١٢	٢٣٥٩١٦٠٠٠ «	٩٣٣٩٩٠٠٠٠ «	٩٤٥٤٨١٠٠٠ «

فزادت هذه الاموال في انكلترا ١٦٠ مليون جنيه بين سنة ١٨٨٠ و ١٩١٢ ولكنها زادت في كل من المانيا واميركا ٨٠٠ مليون جنيه اي ستة اضعاف ما زادته في انكلترا

والظاهر ان هذه الحقائق ستنهض همة الانكليز وتضطرهم نفقات الحرب الحاضرة ليعودوا الى سالف عهدهم من الاجتهاد والاقتصاد فيسترجعوا في سنوات قليلة ما انفقوهُ عليها ولو لم يأخذوا شيئاً من الغرامة الحربية

وسيكون تأثير الحرب في فرنسا وروسيا والمانيا والنمسا من حيث دفع الشعب الى الاقتصاد والاجتهاد مثل تأثيرها في الشعب الانكليزي اي ان اكثر سكان اوربا سيصيرون خيل رهان في ميدان العمل . فماذا يكون حالنا حينئذٍ نحن الشرقيين في هذا المعترك هل نجاري اهل الاقتصاد والاجتهاد او نمسي طعمة لكل آكل

لما ضربت الضائقة المالية اطنابها عندنا منذ سنة من الزمان جعل الناس يقتصدون في نفقاتهم حتى كادت مخازن البضائع الاوربيَّة تقفل لقلَّة ما يباع منها . ولكن لم تنقضِ بضعة اشهر بعد ذلك حتى اخذت اموال الجيش البريطاني تنتشر في البلاد وتلتها الاموال من ثمن القطن فعاد كثيرون الى الاسراف الذي اعتادوهُ . والآن تكاد المخازن المشار اليها آنفاً تغص بالمترددين عليها وزاد دخل الجمارك سنة ١٩١٥ مع انها سنة جرب على دخلها سنة ١٩١٤ مع ان سبعة اشهر منها كانت سلماً . والمرء لا يعتبر الاَّ اذا مسَّهُ الضرُّ

الحرب وويلاتها

رأس الاستاذ داود ستاد جوردان مؤتمر شركات الضمان الذي عُقد في المعرض الاميركي في ١١ اكتوبر الماضي وخطب فيهِ خطبة نفيسة في هذه الحرب وتأثيرها في التجارة وشركات الضمان فاقتطفنا منها بعض ما يأتي

ان مضار هذه الحرب كثيرة متعددة فانها شفَّت عن كبائر تقشعرُّ منها الابدان . ومطالب تنافي الحجى والحنان . واماني بالتُّوسع من اضغاث الاحلام . ومطامع بالكسب من طريق السلب والإغرام . ولو اقتصر الامر على المطامع والاماني لقلنا الظلم من شيَم النفوس والنفس امَّارة بالسوء ولكن رجال هذه الحرب لم يقفوا عند هذا الحد بل غاصوا في الزرد والحديد واستخدموا كل آلات الهلاك والدمار . واذا دارت رحى الحرب وثار غبار المعارك صُمَّت الآذان عن سماع صوت الشرائع . وعميت العيون عن رؤْية منكرات الفظائع . و بطل كل عمل يراد بهِ اصلاح شؤُون الناس

شرعت الحكومات الاوربية تستدين الاموال لاجل حروبها بعد ما صارت نيابيَّة . وقبل ذلك كان الملوك يستدينون الاموال من الاغنياء فيوفون ما يستدينونهُ او لا يوفونهُ حسب اهوائهم . وكان الذين يدينونهم الاموال يتقاضون منهم ربًا فاحشًا حتى اذا ضاع لهم دَيْن ربحوا من غيرهِ ما يقوم مقامهُ . ولكن كانت اكثر الديون الوطنية مغارم يبتزها الملوك غصْبًا بالسجن والدعق فلما انشئت مجالس النوَّاب صارت الاموال التي تستدان لاجل الحروب والاعمال العمومية بمأمن من الضياع فنشأَت البيوت المالية التي تدين الدول كبيت روشيلد وكان من نتائج ذلك ان المانع الاكبر الذي كان يمنع الملوك من اثارة الحروب أُزيل لانهُ صار يسهل على الدول ان تستدين ما تحتاج اليهِ من الاموال لنفقات حروبها

ثم لما استُعمل البخار لتسيير السفن وانشئت سكك الحديد وسُهِّلت طرق المعاملات بما وصل اليهِ العلماء من المكتشفات زادت السهولة في اقتراض الاموال ودفع فوائدها فزادت الدول دَينًا لانها رأَت الدين اسهل سبيل تلجأُ اليهِ كلما احتاجت الى الاموال لعمل عمومي . ولم يضنَّ عليها الماليون بمال لانهم رأَوا مواردها مأْمونة فلا يخشى على اموالهم وفوائدها من الضياع

والحروب اكبر مهلكات الاموال ولقد كانت كذلك من سالف الزمن ولا تزال . وقلما تبطل حرب ما دام اصحابها يستطيعون الانفاق عليها سواءٌ كانت هجومًا او دفاعًا واذا قصرت

اموالهم عن الانفاق لجأُوا الى الاستدانة من الغير · ولكن للدين حدًّا لا يتجاوزهُ لان اصحاب الاموال لا يجودون بها الاَّ اذا كانوا واثقين انهم يستوفونها مع رباها

واكبر الدواعي لاقتراض الدول للاموال الحرب او الاستعداد لها · ولولا الحروب ما اضطرت دولة من دول الارض الى اقتراض غرش · ولو استعملت الدول الآن كل الاموال التي تجبيها من رعاياها للاعمال السلمية لا لسواها لاجتمع لديها ما يكفي لايفاء كل ما عليها من الدين وعاشت بعد ذلك مطلقة اليدين · لكن دول اوربا تنفق على الحرب حتى في زمن السلم اكثر مما تنفق على غيرها

ابتدأ دين الحكومة الانكليزية وقتما ثارت الثورة في بلادها في اواخر القرن السابع عشر (سنة ١٦٩٣) وكان ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه ثم تلتهُ ديون اخرى رُهنت لايفائها مكوس الجمارك والضرائب التي ضربت على العزاب والارامل والزيجات والمآتم · ولما انقضت تلك الثورة كان دين الحكومة الانكليزية قد بلغ ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه · وجاءت حروب نبوليون بعد ذلك فبلغت بها ديون الحكومة الانكليزية ٨٨٦٠٠٠٠٠٠ جنيه · ثم توطَّد السلم وجعلت الحكومة توفي ديونها شيئًا فشيئًا حتى هبطت الى ٦٢٨ مليونًا سنة ١٨٩٩ ثم زادت بسبب حرب البوير حتى بلغت ٧٧٠ مليونًا سنة ١٩٠٣ ونقصت رويدًا رويدًا بعد ذلك حتى بلغت ٦٥١ مليونًا في اوائل سنة ١٩١٤ لكن سنة واحدة من سني هذه الحرب رفعتها الى الفي مليون جنيه

ودين الحكومة الفرنسوية ابتدأَ في زمن الثورة وابلغهُ الاسراف حينئذٍ الى ١٤٠ مليون جنيه لكن الجانب الاكبر منهُ أُوفي باوراق مالية وباستصفاء اموال بعض الناس فلم يبقَ منهُ سوى ٣٢ مليون جنيه · ثم توسعت الحكومة الفرنسوية في نفقاتها بعدما اوفت الغرامة لالمانيا فبلغ دينها قبيل هذه الحرب ١٣٠٠ مليون جنيه ولم تمر سنة على الحرب حتى بلغ ٢٢٠٠ مليون جنيه

والامبراطورية الالمانية من الدول الحديثة في اوربا فهي اكثر اقتصادًا من سائر الدول الكبرى · وقد كان دينها نحو ٢٠٠ مليون جنيه فقط سنة ١٩٠٨ وكان دين الممالك المؤَلفة منها ٨٠٠ مليون جنيه حينما نشبت هذه الحرب فبلغ دين المانيا الآن ١٨٠٠ مليون جنيه

وكان على حكومة الولايات المتحدة دين طفيف قبل الحرب الاهلية فزاد بها حتى بلغ ٢٧٧٣ مليون ريال او نحو ٥٥٥ مليون جنيه ثم هبط رويدًا رويدًا حتى بلغ ٩١٥ مليون ريال او نحو ١٨٣ مليون جنيه فقط

الاَّ ان على المجالس البلدية في كل الممالك ديونًا غير ديون الحكومة كأَن ابناء هذا العصر

لم يشاءوا ان يحملوا كل نفقات ما عملوهُ من الاعمال العمومية فابقوا بعضها ديناً على ذريتهم من بعدهم وهذا عدل لا مشاحة فيهِ

وقد كانت ديون حكومات اوربا واميركا قبل الحرب تزيد على ستة آلاف مليون جنيه اي ثلاثة اضعاف النقود الذهبية والفضية في الدنيا ويبلغ رباها السنوي نحو ٢٥٠ مليون جنيه . ولكن النفقات الحربية العادية تزيد على ربا هذه الديون . فالحروب الماضية حمَّلت الناس ديوناً رباها السنوي ٢٥٠ مليون جنيه والاستعداد للحروب المقبلة يحملهم من النفقة السنوية ما يبلغ ٥٠٠ مليون جنيه ناهيك بالمعاشات التي تعطى للجنود والضباط المتقاعدين ولعيال الذين قتلوا منهم . اما ما خسرتهُ هذه الممالك من اموالها ورجالها بسبب الحروب الماضية فما يفوق كل احصاء

قلنا ان ديون الحكومات الاوربية كانت قبل الحرب اكثر من ٦٠٠٠ مليون جنيه وقد زادت في السنة الاولى من هذه الحرب اربعة آلاف مليون جنيه فصارت ديون هذه الحكومات عشرة آلاف مليون جنيه . ولكن قيمة هذه الديون الآن اي قيمة سنداتها نقصت نقصاً فاحشاً وقد بلغ النقص في سندات بعض الممالك عشرين او ثلاثين في المئة وبلغت الخسارة المادية في الرجال والاموال ما يزيد على ٨٠٠٠ مليون جنيه

وضع بعضهم رواية سماها الامبراطورية الخفيَّة قال فيها ان سفير الولايات المتحدة الاميركية حاول اقناع وزير الامبراطورية الالمانية بان محاربة انكلترا لا تجدي المانيا نفعاً بقولهِ « ان الحرب الاهلية (في اميركا) كلفتنا عشرين الف مليون ريال ، (٤٠٠٠ مليون جنيه) عدا المعاشات التي دفعتها الحكومة بعد ذلك وعدا ما خسرتهُ البلاد من الرجال والاموال وما حلَّ بالبيوت من الخراب والاضمحلال . وهذه العشرون الفاً من ملايين الريالات اموال انفقناها على الحرب فلو لم نلجأ الى الحرب لتحرير العبيد بل اشتريناهم بالثمن وحررناهم — ولنفرض ان عددهم اربعة ملايين واننا دفعنا ثمن كل عبد منهم الف ريال — لامكننا ان نحررهم كلهم من غير حرب ونوفر من الاموال التي دفعناها في الحرب ١٦ الف مليون ريال »

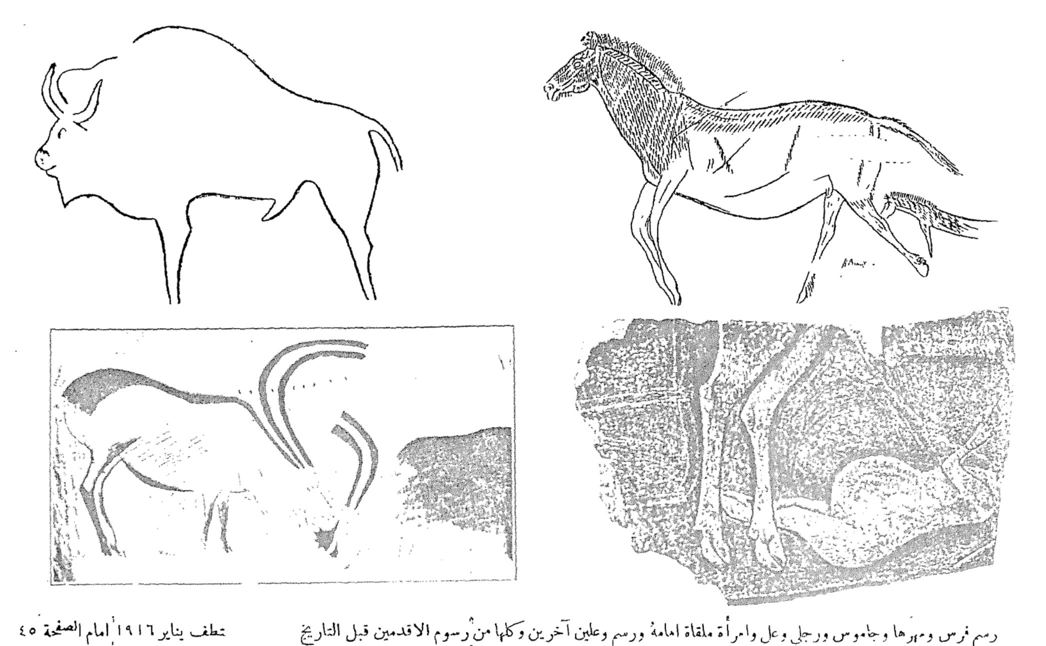
وقد وقعت الحرب التي قدَّرت تلك الرواية وقوعها واقل ما يقال فيها انها حرب خاسرة ولو ماليًّا . فقد قدَّر الاستاذ ريشه سنة ١٩١٢ انهُ اذا نشبت حرب اوربية عمومية كانت نفقاتها اليومية خمسين مليون ريال او عشرة ملايين من الجنيهات كما ترى في هذا الجدول

طعام الجنود	١٦٢٠٠٠٠٠	ريال
علف الخيل	٠١٠٠٠٠٠٠	«
اجور الضباط والجنود	٠٤٢٥٠٠٠٠	«
اجور العمال في دور الصنعة	٠١٠٠٠٠٠٠	«
اجرة نقل الجنود	٠٢١٠٠٠٠٠	«
« « المؤونة	٠٤٢٠٠٠٠٠	«
ذخائر المشاة	٠٤٢٠٠٠٠٠	«
« للمدفعية	٠١٢٠٠٠٠٠	«
« للمدافع البحرية	٠٠٤٠٠٠٠٠	«
تجهيز الجنود	٠٤٢٠٠٠٠٠	«
نقل الجرحى	٠٠٥٠٠٠٠٠	«
نفقات السفن الحربية	٠٠٥٠٠٠٠٠	«
قلة الواردات	٠٥٠٠٠٠٠٠	«
اسعاف الفقراء	٠٦٨٠٠٠٠٠	«
قيمة ما يخرب من المدن يوميًّا	٠٢٠٠٠٠٠٠	«
والجملة	٤٩٩٥٠٠٠٠	«

وقد نقص الاستاذ ربشه النفقات كلها ولاسيما النفقات البحرية واغضى عن النفقات الجوية . ولعلَّ النفقات كلها الآن لا تنقص عن ٧ مليون ريال في اليوم او ١٤ مليون جنيه هذا عدا ما يقتل من الرجال والخيل والبغال

يقال ان الحرب العوبة للملوك ولكنها ليست العوبة للشعوب التي تنفق فيها اموالها ودماء رجالها فقد قدَّر المستر ادغار كرامُند سكرتير بورصة لفربول ان نفقات هذه الحرب بلغت في اول اغسطس الماضي ٣٥٠٠ مليون جنيه واذا اضفنا اليها قيمة سائر ما اتلفته الحرب الى ذلك التاريخ بلغت خسائرها ٩٢٠٠ مليون جنيه وان نفقات انكلترا وحدها بلغت تلك السنة على الحرب ٧٠٠ مليون جنيه اي مقدار ما تراكم على حكومتها من الديون في مئة سنة

وهذه التسعة آلاف مليون من الجنيهات التي اضاعتها اوربا بسبب الحرب في السنة الاولى هي اربعة اضعاف كل ما في ايدي الناس من الذهب والفضة . ولو كانت كلها ذهبًا لبلغ وزنها مئة الف طن . وهي تساوي كل ثروة المانيا وتزيد على ثروة روسيا وتعادل ثروة



رسم فرس ومهرها وجاموس ورجلي وعل وامرأة ملقاة امامهُ ورسم وعلين آخرين وكلها من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

ايطاليا واليابان وهولندا وبلجكا واسبانيا والبرتغال لو جمعت معاً . وتفوق كل الديون التي تراكمت على حكومات الارض قبل نشوب هذه الحرب

ولو أنفقت هذه التسعة آلاف المليون من الجنيهات في الاعمال الخيرية والصحية لكفت لكل المشروعات التي من هذا القبيل في كل البلدان المتمدنة ولزالت بها عوادي الادواء واكثر اسباب البؤس والشقاء

قال احد كتّاب الروس « ان اعداءنا من الاحداث الجوية والمكروبات والحشرات تسطو علينا كل دقيقة بلا انقطاع ومع ذلك نغض الطرف عنها ويقتل بعضنا بعضاً كأننا فقدنا حواسنا ويعمل جنودنا كل سنة خمسة آلاف مليون يوم لكي نوسع تخومنا بعض التوسيع فلو بذلنا هذا الجهد في محاربة المكروبات والحشرات والحيوانات المفترسة لصحّت اجسامنا وسلمت مزروعاتنا . ولو عرف الناس اعداءهم الالداء لنفوا ما بينهم من المداوات وتحالفوا عليها حتى يفنوها وحينئذٍ تصير السيادة لهم حقيقة على هذه الارض »

يزعم الالمان ان السبب الاكبر لهذه الحرب هو حسد الانكليز لهم على نجاحهم الصناعي والتجاري . وهذا الزعم باطل ووقائع الحال تناقضهُ فان شركة همبرج اميركا وهي اكبر الشركات الالمانية التجارية كان صافي ربحها في السنة لا يزيد على ثلث نفقات السفن الحربية التي انشئت لحمايتها . ولو جُمعت ارباح هذه الشركة في سبعين سنة مثل السنة الاخيرة قبل الحرب ما وفت بنفقات هذه الحرب في سنة واحدة . وكل ارباح التجارة الاوربية البحرية في مئة سنة لا تفي بنفقات هذه الحرب في سنة واحدة . فالحرب تقتل التجارة كما تقتل كل وسائل العمران .

كانت قيمة كل السندات والاسهم الصناعية والتجارية التي في ايدي الاوربيين قبل الحرب اربعين الف مليون جنيه فانظر كم قيمتها الآن يتضح لك مقدار الخسارة المالية التي خسرتها اوربا في صناعتها وتجارتها

ولكن الصحيح ان الحسد التجاري سبَّب هذه الحرب . ان اكبر الشركات البحرية التجارية في الدنيا شركتان المانيتان وهما شركة همبرج اميركا وشركة نوردتشر لويد وقد بلغت هاتان الشركتان ما بلغتاهُ من النجاح بما كانتا تنقلانهِ من المتاجر الانكليزية . فهل يعقل انهما كانتا تودان الحرب التي تبطل ربحهما . ان الهربلين مدير شركة همبرج اميركا انفق على بناء الباخرة الكبرى المسماة امبراطور ١٨٠٠٠٠٠ جنيه استدان ١٢٠٠٠٠٠ جنيه منها فهل يعقل ان لهُ يداً في هذه الحرب لكي تقف هذه الباخرة بلا عمل بعد ان سافرت

سفرات قليلة . وهل يعقل ان شركة النوردتشر لويد كانت تفكر في حرب تلقي باخرتين من اكبر بواخرها في احد المرافئ بلا عمل حتى تباعا لدفع رسوم بقائهما في المرفإ

التجارة عمل مشترك يستفيد منهُ البائع والشاري على حدٍّ سوى فلا يعقل ان يكون سبب هذه الحرب حسد الالمان للانكليز لنجاحهم التجاري كما لا يعقل ان يكون سببها حسد الانكليز للالمان لنجاحهم التجاري فان ما اصاب شركات الملاحة الالمانية كاد يصيب شركات الملاحة الانكليزية

ولكن الحرب لا تشبُّ من نفسها ولا بدَّ لها من سبب او اسباب . ومن رأي الاستاذ ستار جوردان ان سبب هذه الحرب رجال يحبون الحروب دفعهم اليها اناس لا يحجمون عن عمل مهما كان شائناً بعد ما طال التحريض على الحرب والترغيب فيها

الغذاء في اللحم

اكثر الاختلاف في لحوم الحيوانات التي تذبح وتؤْكل وفي القطع المختلفة من ابدانها قائم بما فيها من الدهن فان العضل او اللحم الاحمر اكثرهُ بروتين ممزوج بثلاثة امثالهِ او اربعة امثالهِ من الماء والدهن الذي فيهِ راسب بين دقائقهِ او مجتمع في طبقات كبيرة حولهُ . ففي كل قطعة من اللحم مهما كانت دهن وبروتين ممزوج بثلاثة امثالهِ او اربعة امثالهِ من الماء . وهذا يصدق على كل انواع اللحوم كما ترى في هذا الجدول

انواع اللحم	الماء	البروتين	الدهن	المواد المعدنية
لحم البقر السمين	٥٩٫٧ «	١٧٫٧٥ في المئة	٢٢٫٠ في المئة	٠٫٩ في المئة
« « الهزيل	٦٧٫٢ «	١٩٫٠ «	١٣٫٠ «	٠٫٩ «
« العجل	٧١٫٣ «	١٩٫٩ «	٨٫١ «	١٫٠ «
« الخرفان	٥٣٫٦ «	١٦٫٠ «	٢٩٫٨ «	٠٫٨ «
« الحملان	٥٨٫٢ «	١٧٫٦ «	٢٣٫١ «	١٫١ «
« الخنزير	٣٤٫٤ «	٩٫٥ «	٥٥٫٣ «	٠٫٥ «
« الدجاج	٦٣٫٧ «	١٩٫٢ «	١٦٫٣ «	١٫٠ «
« سمك السمون	٦٤٫٦ «	٢١٫٦ «	١٢٫٨ «	١٫٤ «
« الشوط	٧٠٫٦ «	١٨٫٧ «	٩٫٥ «	١٫٣ «

ولو حُلل لحم الغنم والبقر التي تذبح في هذا القطر لوجد مختلفاً عن لحم الغنم والبقر التي تذبح في اوربا عادة في نسبة الدهن الى البروتين فان الخروف الاوربي اليتهُ صغيرة جداً او لا الية فيهِ فيتوزع دهنهُ في بدنهِ وهو في الغالب اسمن من الغنم التي تذبح في هذا القطر والقطر السوري . والثيران التي تذبح في اوربا اسمن جداً من الثيران التي تذبح في هذا القطر واكثر السِمَن في الغنم والثيران يكون ناتجاً من كثرة الشحم والدهن في ابدانها ومتى كثر الشحم والدهن قلَّ الماء . ولا يشبه الغنم الاوربية في كثرة الدهن والشحم وقلة الماء الاَّ الغنم التي تعلَّف في سورية فان مجموع لحمها وشحمها ودهن اليتها يوازي اسمن الخرفان الاوربية

وفائدة الشحم والدهن توليد القوة والحرارة في الذين يأكلونهما . ففي الغرام من الدهن او الشحم قوة لتوليد ٩ فيوح (وحدات) من الحرارة وفي الغرام من اللحم الهبر ربع غرام من البروتين وهو يولد فيحاً واحداً من الحرارة وفي اللحم عدا الدهن والشحم والهبر مستخلصات طفيفة لا يزال امرها مطروحاً على بساط البحث

المواد المعدنية

واذا حُرق اللحم طارت كل المواد الالية التي فيهِ غازات وبقي منهُ شيء من الرماد وهذا الرماد هو المواد المعدنية التي في اللحم . وهو قليل قلما يزيد وزنهُ على واحد في المئة من وزن اللحم كما رأيت في الجدول السابق واكثرهُ في اللحم الاحمر وقلما يكون منهُ شيء في الدهن فاذا كان في قطعة من اللحم الف درهم من البروتين ففيها سبعة اعشار الدرهم من الكلس ودرهمان من اكسيد المغنيسيوم وعشرون درهماً من اكسيد البوتاسيوم واربعة دراهم من اكسيد الصوديوم و ٢٣ درهماً من اكسيد الفصفور الخامس ودرهمان من الكلور وتسعة دراهم من الكبريت ونحو سبعة دراهم من الحديد وهذه المواد المعدنية لازمة جداً في اللحم كما سيجيء

هضم اللحم

يهضم بروتين اللحم بسهولة في الغالب ويهضم منهُ ما يهضم من بروتين اللبن والبيض اي نحو ٩٧ الى ٩٨ في المئة . والمرجح ان المستخلصات التي في اللحم تساعد على هضمهِ لانها اذا نُزعت قل ما يهضم منهُ وصار ٨٩ الى ٩١ في المئة فقط ولذلك يهضم من بروتين اللحم الجديد اكثر مما يهضم من بروتين اللحم القديم والمقدد

وهضم الدهن يتوقف على مقدارهِ فاذا كان كثيراً قلَّ ما يهضم منهُ . واذا كان قليلاً هضم اكثرهُ وقد يهضم منهُ حينئذٍ ٩٥ في المئة

ويختلف الزمن الذي يقيمهُ اللحم في المعدة حسب مقدارهِ ومضغهِ وطرق طبخهِ وما فيهِ

من الدهن · ولا اختلاف في ذلك بين انواع اللحم المختلفة او الاختلاف بينها قليل جداً لا يعتدُّ بهِ

وخلاصات اللحم المشار اليها آنفاً تساعد على الهضم ولكن لا قيمة لها كمواد مغذية لقلتها ولذلك يحسن ان تضاف الى اللحم الذي تكون قليلة فيهِ

ومهما اعتني بسلق اللحم لشرب مرقهِ لا يكون في المرق اكثر من ١٣ في المئة من بروتين اللحم · والغالب ان لا يكون في المرق اكثر من ٧ في المئة من البروتين · ولذلك فقولهم « من فاتهُ اللحم فليشبع من المرق » خطأ لان المرق لا يُشبع ولا يقوم مقام اللحم · واسخف من ذلك ما جرت بهِ عادة بعض المتأنقين من سلق اللحم والاكتفاء بمرقهِ وطرح اللحم للكلاب اعتقاداً ان كل قوتهِ نضحت في المرق فالذين يشربون ذلك المرق ينالون عشر اللحم والكلاب تنال التسعة الاعشار

اما خلاصات اللحم التي تباع في السوق فلا تقتصر على مرق اللحم المكثَّف بل يكون فيها ايضاً من مسحوق اللحم اي من اللحم الذي جُفّف وسحق ومن المستخلصات المشار اليها آنفاً

قلنا في الجزء الماضي ان باعة اللحم عندنا يبيعونهُ بثمن واحد سواء كان من الفخذ او الكتف او الظهر او الصدر او الخاصرة · ولكن الفائدة الغذائية تختلف كثيراً باختلاف هذه القطع فاذا نظرنا الى ما في كل قطعة من البروتين وجب ان تكون القطع في اسفل الظهر فوق الكفل اغلاها وهي التي عددها ١٠ في صورة الثور المرسومة في مقتطف دسمبر الماضي ويليها لحم الاضلاع المدلول عليهِ بالرقم ٣ ثم لحم ارومة الفخذ المدلول عليها بالرقم ١٣ ثم لحم الكتف المدلول عليهِ بالرقم ٢ · ثم لحم الصدر المدلول عليهِ بالرقم ٨ ثم لحم المراق المدلول عليهِ بالرقم ١١ واخيراً لحم الساعد المدلول عليهِ بالرقم ٥ فاذا بيع الرطل من الكفل بواحد واربعين مليماً وجب ان يباع الرطل من القطع الباقية بالاسعار المذكورة في الجدول التالي

ثمن الرطل من لحم		رقم	يساوي	
ثمن الرطل من لحم	الكفل	١٠	يساوي	٤١ مليماً
« « « «	الضلع	٣	«	٣٥ «
« « « «	ارومة الفخذ	١٣	«	٢٨ «
« « « «	الكتف	٢	«	٢١٫٥ «
« « « «	الصدر	٨	«	١٧٫٥ «
« « « «	الساعد	٥	«	١٧ «
« « « «	المراق	١١	«	١٦ «

والقطع المجاورة لهذه تجري مجراها في القيمة . واكثر الاختلاف في القيمة ناشيء عن مقدار الدهن في كل قطعة من هذه القطع

مقام اللحم من الطعام

قلنا في الجزء الماضي ان متوسط ما يأكلهُ كل واحد من سكان الولايات المتحدة في السنة من اللحم ثمنهُ اكثر من اربعة جنيهات على رخص اللحم عندهم . وقد ظهر من احصاء ديوان الزراعة في الولايات المتحدة ان متوسط ما يأكلهُ النفس في السنة فيها وفي بعض الممالك الاوربية هو كما ترى في هذا الجدول

متوسط ما يأكلهُ النفس من اللحم في الولايات المتحدة سنويًّا	١٧٩	رطلاً
« « « « « « بريطانيا العظمى «	١٢٢	«
« « « « « « المانيا «	٠٩٩	«
« « « « « « فرنسا «	٠٨٠	«
« « « « « « الدنمارك «	٠٧٦	«
« « « « « « البلجيك «	٠٧٠	«
« « « « « « اسوج ونروج «	٠٦٢	«

واذا حسبنا ان متوسط ثمن الرطل في القطر المصري غرشان ونصف غرش فمتوسط ما يأكلهُ النفس هنا في السنة عشرة ارطال لا غير او نحو عشر ما يأكلهُ النفس في اوربا ومع ذلك لا نرى السكان في اوربا فلاحيهم ومدنييهم اجود صحة من سكان القطر المصري . نعم ان عدد الوفيات هنا اكثر منهُ في اوربا ولكن ذلك ناتج من كثرة وفيات الاطفال بسبب كثرة المواليد وقلة الاعتناء بالاطفال

ولا يخفى ان اهل البلاد الواحدة بل والمدينة الواحدة والبيت الواحد يختلفون كثيراً في مقدار ما يأكلهُ الواحد منهم من اللحم حسب غناهم او اذواقهم . والغالب ان اهل اليسار منهم يكثرون من اكل اللحم لانهُ طيب الطعم ومستخلصاتهُ تنبه عصارات الهضم . والفقراء يقل اكلهم للحم لغلاء ثمنهِ لا لانهم يكرهون طعمهُ . والمرجح ان اكل اللحم يقوي الجسم ويزيد النشاط ويشحذ الاذهان ولكن اذا اكثر منهُ الذين لا يعملون اعمالاً بدنية شاقة ولا يروّضون اجسامهم كثيراً زاد تولد الحامض اليوريك في ابدانهم وما ينشأ عنهُ من الامراض وتعرضوا كذلك لأكل الاطعمة الفاسدة لان الاطعمة الحيوانية اشد تعرُّضاً للفساد من الاطعمة

النباتية وزد على ذلك ان الاطعمة اللحمية عرضة لتوليد الحوامض في الجسم فالذين يكثرون منها يكثر تولد الحوامض الى اجسامهم

فاللحم من الاطعمة المغذية جدًّا السهلة الهضم الطيبة الطعم ولكن ذلك لا يوجب الإكثار منهُ ولا يمنع ضرر هذا الاكثار لانهُ قد يضر ضرراً كبيراً وخير الامور الوسط . ومن المرجح عندنا ان اهل اليسار في هذا القطر يأكلون من اللحم اكثر مما تقضي بهِ الحكمة والفقراء لا يأكلون القدر الذي يلزم لتقوية اجسامهم وعقولهم . ومتى زاد الاغنياء علماً قللوا من اكل اللحم ومتى زاد الفقراء ثراء زادوا من اكلهِ فيعتدل الفريقان وخير الامور الوسط

علم الانسان

ANTHROPOLOGY.

الانثروبولوجيا علم الانسان من حيث كونهُ حيواناً اجتماعيًّا . او هي التاريخ الطبيعي للانسان باوسع معانيهِ اذ تبحث في علاقتهِ بالعجماوات ونشوئهِ وارتقائهِ وقبائلهِ المختلفة وما اشبه ذلك . فهي بعبارة اخرى تاريخ الانسان في كل زمان ومكان وجد فيهما من حيث نشوءهُ وارتقاؤهُ حتى لقد سماها بعض العلماء بنت داروين يريدون بذلك انها اساس مذهبهِ او هي مذهبهُ بعينهِ . وخلاصة هذا المذهب كما هو مشهور ان انواع الاحياء وتنوعاتها المتعددة في هذه الدنيا مرتبط بعضها ببعض وان روابطها متجانسة الى حدٍّ يسمح بوضعها تحت ناموس واحد هو ناموس النشوء

وهذا البحث يشتمل على موضوعات شتى اخصها ما يأتي :

قِدَم الانسان . وشعوبهُ . وبيئتهُ . ولغاتهُ . وفرقهُ . وشرائعهُ . واديانهُ . واخلاقهُ . والانسان من حيث كونهُ فرداً . فلنبحث في كلٍّ من هذه الموضوعات على حدتهِ

(١) قدم الانسان

التاريخ على ثلاثة اقسام . الاول ما اعتمد على الاخبار المكتوبة وهو التاريخ الحقيقي . والثاني ما اعتمد على الاساطير والتقاليد والسماع كاخبار الجاهلية عند العرب . والثالث ما اعتمد على الآثار الصماء وهو يتناول العصور التي عرفت باسم ما قبل التاريخ وعليها مدار كلامنا فنقول :

كان بعض العمال يحفرون في حديقة حتى بلغوا عمق ٣٠ قدماً . فوجدوا ان سمك تربة الحديقة العادية ٥ اقدام فقط . وتحتها طبقة من الطحلب وجذور الاشجار البالية المتلبدة سمكها ٣ اقدام . فاستدل من هذا على وجود اجمة في ذلك المكان قبل ابتداء العصر البرنزي . وهو العصر الذي كان فيهِ الانسان يستعمل البرنز (اي مزيج النحاس والقصدير الذي اطلق عليهِ العرب اسم القلز) سلاحاً لهُ في الدفاع عن نفسهِ وعمل مساكنهِ واقتناص الحيوانات لطعامهِ . وهذا العصر واقع بعد العصر الحجري وقبل الحديدي وتحت تلك الطبقة طبقة اخرى تكونت بالرسوب وفيها اصداف بحرية وسمكها قدمان او ثلاث . فاستدل من ذلك على ان تلك الطبقة كانت مغمورة بماء البحر في العصور الخالية . وتحتها طبقة من بقايا الاشجار المتلبدة وفيها جذوع اشجار كبيرة و بقايا غابة لا بدَّ لها من ارض كثيرة التراب لتنمو وتزكو فيها . وسمك هذه الطبقة ٥ اقدام الى ٧ . ووجد في اللبد قطعة سلاح من الحجر المصقول وفي قعر اللبد شقفتان من الفخار احداها منقوشة بثقوب . فاستدل من ذلك على ان سكان تلك الغابة من اهل العصر الحجري الحديث حينما كانت الادوات الحجرية او الصوانية اتقن مما كانت من قبلُ . وتحتها طبقة من الرواسب سمكها ٤ اقدام وفيها اصداف بحرية دلالة على ان البحر كان يغمرها وتحتها طبقة سمكها بين ٦ و ٨ اقدام وهي مكونة من الطفَل او الصلصال الاصفر وقد دُفنت فيها قطع من الصخر المجروف مما يبرز الطوفانات الهائلة التي كانت تفيض في العصر الجليدي . وتحتها طبقة من الطفَل الازرق سمكها ٣ او ٤ اقدام وهي الاخيرة اذ ليس تحتها الا الصخر . والدلائل تدلُّ انها مكونة بفعل البحر وبالتالي على ان البحر كان يغمرها في عصر اقدم

ترى مما تقدم ان معظم الطبقات المذكورة جيولوجية لا اثر للانسان فيها الاَّ في مكان واحد حيث وجدت قطعة السلاح وشقفتا الفخار . وفي اماكن اخرى كما في ضواحي اميان الفرنسوية وجد احد العلماء المنقبين ادوات واسلحة مختلفة الاشكال في ثماني طبقات من اثنتي عشرة طبقة

والباحثون في قِدَم الانسان قبل التاريخ يعتمدون في تقدير قدَمهِ على ثلاثة اشياء : عظام الحيوانات التي توجد مع آثارهِ . والعظام البشرية . والادوات البشرية على اختلافها كما يتضح من الحادثة الآتية :

كان احد العلماء ينقب عن آثار الاقدمين في كهف مشهور نحفر فيهِ الى عمق ٢٠ قدماً فعثر على موقد قديم اثافيهُ من الحجارة وآثار الرماد فيهِ . والى جانبهِ بقايا عرمة من

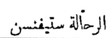
العظام المطروحة من الطعام . وكانت العظام بالية الى حدٍ لا تستطيع عندهُ عين غير الخبير ان تهتدي بها الى شيء من الاشياء او تستوضحها نبأً من الانباء . ولكنها عُرضت على خبير واخبر بانها بقايا حيوان قديم اعظم من المموث واشدّ مراساً وهو المسمى فرس النهر ذا الصوف . وبقايا الرنّة وصنفين من الفرس احدهما الفرس البري الصغير الجسم الذي لا يزال موجوداً في صحارى منغوليا الصينية . وبقايا الثور البري والغزال

كذلك وجد في تلك العرمة ١٣ سنًّا بشرية لا تزال قوية مما دلّ على ان صاحبها لم يزد عمرهُ على الثلاثين عند موتهِ او قتلهِ . نقول قتلهُ اذ لا يعقل ان تكون اسنانهُ واضراسهُ قد سقطت من نفسها فلا بدّ ان يكون قد قتل وطبخ وطبخهُ لا يكون الاّ لأكلهِ مما يحمل على الظن ان سكان ذلك الكهف كانوا من اكلة لحوم البشر . وقد عُرضت هذه الاسنان والاضراس على خبير آخر فقال ان طول جذورها يدلّ على فكين هائلي القوّة وبالتالي على جمجمة اكبر من جمجمة الانسان الحالي بكثير واقرب منها الى جماجم القرود . وهي الجمجمة التي سميت جمجمة « نياندرتل » وهو اسم البلاد التي وُجدت فيها . فذهب بعض العلماء وفي مقدمتهم هكسلي الى انها اقدم جمجمة معروفة لصنف من الناس سكن اوربا في العصور الخالية . واخصّ خصائصهِ كون رأسهِ مصفحًا اي ان قطر الجمجمة من مقدم الجبين الى قفا الرأس اطول من قطرها بين الصدغين . وذهب فرخو وغيرهُ ان شكل هذه الجمجمة مرَضيّ اي ناشيء عن مرض أصاب صاحبها في حياتهِ . ولكن اكتشاف جمجمتين في البلجيك مثلها فيما بعد أيّد رأي هكسلي وهو رأي جمهور العلماء الآن

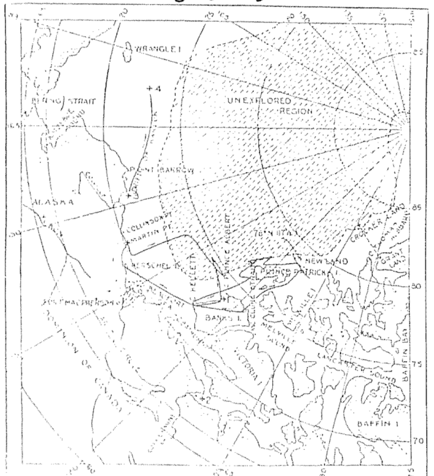
ووجد في هذه العرمة ايضًا كثير من السكاكين الصوانية وهي ذات طراز خاصّ بها . ومن رأي أحد الخبيرين انها من صنع الانسان الذي عاش في العصر الملقب « مُستيريان » نسبة الى « لمستيه » بلد في فرنسا حيث وجدت

قلنا فيما سلف ان العصور التي ما قبل التاريخ مقسومة ثلاثة اقسام : اولها واقدمها الحجري وهو ثلاثة ازمنة (١) الايوليثك اي الفجْري . و (٢) البـاليولثك اي القديم . و (٣) النيولثك اي الحديث . وهي ذات فروع لا محل لذكرها هنا وثانيها النحاسي او البرنزي . وثالثها الحديدي واوائلهُ عند حدّ عصور الجاهلية العامة التي نعرف عنها ما نعرف بالتقليد والسماع كما تقدّم القول . ومن اصعب الصعاب معرفة قِدَم العصر الاول ولو على سبيل التخمين والتقدير اي تقدير الزمان الذي وُجد فيهِ انسان الايوليثك الذي عاش في فجر العصر الحجري . ولكن العلماء يكتفون بتقديرهِ بمئات الالوف من السنين غير جازمين بعدد تلك





الرحالة ستيفنسن



مقتطف يناير ١٩١٦

امام الصفحة ٤٩

المثات · ومن رأي السر راي لنكستر في مقالة من سلسلة مقالات علمية نشرتها الدايلي تلغراف ان اول عهد الانسان بالارض كان منذ مليون سنة على الاقل · ولو شئنا الاتيان على الطريقة التي توصل بها علماء البيولوجيا والجيولوجيا والفلك الى حسابهم وتقديرهم لما وسعنا المجال ولخرجنا عن غرض هذه المقالة

و بل ترك هذا الباب لا نرى بأساً من وصف بعض الكهوف والاغوار التي كان الانسان الحجري يسكنها والتي اهتدينا بها الى الحكم على هويتهِ وماهية معيشتهِ · وفي مقدمتها كهف « غرغاس » قرب افنتيان في جبال البيرنه العليا بفرنسا · وهو واقع في اكمة عالية وسط صخور وحجارة متفتتة تدل على انها من بقايا العصر الجليدي الذي استولى على تلك الاصقاع في الماضي · فاذا وصل قاصد الكهف الى بابهِ ودخلهُ نزل منهُ الى شبه قاعة واسعة واطئة السقف طولها نحو ٥٠٠ قدم وظلامها يكاد يلمس باليد · وعند باب الكهف بقايا موقد وفضلات عظام واسلحة صوانية ورماد · وهي تدل على ان سكان ذلك الكهف هم من الصنف الاورنياك نسبة الى بلدة اورنياك في فرنسا وقد عاشوا في فجر الدور الثالث من ادوار العصر الباليولثك (الحجري القديم اوالثاني) · والظاهر انهُ بعد اختفائهم وانقراضهم او مغادرتهم لذلك الكهف سدتهُ الطبيعة وبقي مسدوداً حتى فُتح في عصرنا هذا

فاذا دخلنا الكهف لنشاهد ما فيهِ ومصابيحنا في ايدينا فاول ما نشاهده على جانبيهِ حفر صغيرة مستديرة لونها ابيض وعلى وجهها غشاء من الرواسب الكلسية حفظها هذه المدة الطويلة · وعلى ذلك الغشاء رسم كفوف كثيرة معظمها يُسريات مما يدل على ان اهل تلك الكهوف كانوا يستعملون ايديهم اليمنى مثلنا فرسموا بها اكف ايديهم اليسرى على جدران الكهوف · وصبغوا ما بين الاصابع بالتراب الاسود او بالمغرة الحمراء (وهذه العادة شائعة بين اهل استراليا الاصليين حتى الآن ولا يعلم هل لهم غرض من ذلك سوى التسلية لانهم يتكتمون في الامر كل التكتم) · وكثير من الكفوف فاقد احدى الاصابع مما يدل على ان سكان تلك الكهوف كانوا يبترون احدى اصابعهم لغرض ديني او غيرهِ · وكذلك يفعل اهل استراليا الاصليون وغيرهم من القبائل الهمجية الآن

وعلى الجدران ايضاً رسوم الحيوانات التي كان ساكنو الكهوف يقنصونها لطعامهم وهي اشبه في سذاجة صنعها برسوم الصغار · فبينا ترى الواحد منهم يصور رأس الجاموس الذي صادهُ صورة جانبية تراهُ يرسم قرنيهِ كما لو كان ينظر اليهِ من الامام · و يصور قوائمهُ فاذا هي

تشبه شيئًا في مخيلتهِ لا القوائم التي يراها بعينيهِ . وفي ارض الكهف حفرة عميقة فيها كثير من عظام الدببة التي اوت الى تلك الكهوف فسقطت في حفرتها

ومن تلك الكهوف كهف نيو في جبال البيرنه الصغيرة شرقي الكهف الاول . طولهُ نحو ميل والنصف الاول منهُ مملوء بالصخور والحجارة فاذا انتهيت منهُ انفرج الكهف امامك فرأيت بقعة فسيحة اتخذها سكان هذا الكهف قاعة لرسومهم وصورهم بعد ما اصبحوا احذق في فن الرسم من اسلافهم . فانهم صوروا الفرس بعرفهِ وذنبهِ المسدولين ووجههِ الجميل وصبغوهُ بالابيض والاسود وجعلوا طولهُ ٥ اقدام وليس فيهِ اثر للخشونة البتة بل ان هذه الصورة وغيرها من صور حيوانات الصيد الاخرى التي صورت على جدران هذا الكهف وهي تزيد على الخمسين تدل على ان سكانهُ كانوا صنَع الايدي في فن الرسم والتصوير يتقنون تصوير ما يرونهُ و يلونونهُ

ثم انهم كانوا يستطيعون تصوير ما لا يرون ايضاً . فعلى الجدران نقط ورسوم واشكال هي رموز لاشياء مجهولة وربما كانت ضربًا من الكتابة بالصور المعروفة بالهيروغليف

ومن الفروق بين اهل العصر الحجري القديم واهل العصر الحديث ان الثانين صقلوا ادواتهم الحجرية على الغالب واستعملوا الفخار وربوا المواشي وزرعوا الارض دون الاولين على ما يظهر من آثارهم . اما ان كان اهل العصر القديم قد استعملوا الفخار وربوا الماشية وحرثوا الارض فهذا امر لم تؤيدهُ الاكتشافات حتى الآن . فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا الرجل الحجري القديم يندثر ويضمحل امام الجديد و يزول ليحل الاصلح للبقاء محلهُ . على ان كيفية زوالهِ لا تزال مجهولة عندنا . فهل سار في اثر الحيوانات القطبية التي كان يعتمد عليها في طعامهِ عند ارتحالها شمالاً بشرق ؟ ام اجتاحهُ سيل غزاة العصر الحديث من الجنوب ؟ ام اندمج الفريقان الواحد بالآخر تزوجًا ؟

ومما نعلمهُ عن الرجل الحجري الحديث الذي كان يقطن غربي اوربا انهُ كان صغير الجسم مسودّ البشرة طويل الرأس ترك اثراً من لسانهِ في لغة الباسك الذين انتشروا في غرب اوربا وبلغوا انكلترا — وكانت قد صارت جزيرة حينئذٍ في الراجح — وتركوا من آثارهم التلال الصغيرة المستطيلة التي كانوا يقيمونها على قبورهم وهي غير التلال المستديرة التي كان اهل العصر النحاسي يقيمونها على القبور

وكما وجد الانسان في اوربا في ذلك العصر وجد في اسيا وافريقية فقد نشرنا في المجلد الثامن من المقتطف منذ احدى وثلاثين سنة خطبة للسر وليم دوصن الجيولوجي المشهور

القاها على مسمع منا في المدرسة الكلية السورية في بيروت وجاء فيها الكلام التالي

« واما في سورية فقد كشفوا آثار القدماء على عدوة نهر الكلب (قرب بيروت) فلا يخفى ان الذاهب الى نهر الكلب يرى بجانب الطريق التي فتحها الرومانيون نقوشاً وكتابات مختلفة نقشها رعمسيس ملك مصر وغيره من الذين قهروا هذه البلاد وابقوا تاريخهم منقوشاً على صفحات صخورها . والجيولوجيون يرون بالقرب منها آثار اناس عاشوا قبل اولئك فالظافرين وبادوا وانطفأ خبرهم . وهؤلاء كانوا يسكنون مغراً قديمة هناك قد هدمها كرور الايام فذهب بالجانب الاكبر من سقوفها . ومنها مغارة كبيرة كشفها القانون ترسترم فوجد فيها عظاماً وغيرها . والظاهر انها كانت قديماً بارزة اكثر مما يُرى اليوم كما يستدلُّ من وضع الرواسب الكلسية في ارضها . ويحتمل ان قسماً منها تهدَّم بعد ان فتح الرومانيون طريق نهر الكلب حيث قطعوا جانباً من رواسبها
الكلسية وجعلوهُ على حافة الطريق وقد دُحرج جانب آخر منها الى شاطئ البحر

وقد اكتشفتْ مغارة ثانية قرب انطلياس تهدَّم سقفها ورسبت الرواسب الكلسية في ارضها حتى تعالت فوقها اربع اقدام فاقتضى لهذه الرواسب زمان طويل حتى تراكمت وبلغت هذا السمك ولعلها لم تستغرق زماناً اطول مما بيننا وبين زمان رعمسيس لان هذه الرواسب قد تسمك كثيراً في زمان غير طويل فلا تطَّرد دلالتها على قدم الزمان (فقد اثبت العلاَّمة دُوكنس وغيرهُ ان الرواسب قد تبلغ ربع قيراط من السمك في السنة في بعض الكهوف ولا تبلغ ذلك السمك في سنين كثيرة في كهوف اخرى) وخلاصة ما يقال في هذا الشان ان الناس كانوا قديماً يسكنون كهوف هذه النواحي كالحور بين سكان الكهوف الذين طردهم الكنعانيون كما ذكر موسى الكليم . وقد فحص العلماء العظام التي وجدها ترسترم في مغارة نهر الكلب فحكموا انها عظام حيوانات لا تعيش اليوم في هذه النواحي بل في النواحي الشمالية الباردة وذلك يدلُّ على ان هواء هذه البلاد كان حينئذٍ ابرد من هوائها اليوم وان الناس الذين عاشوا في تلك الايام هم من اهل المدة التالية للعصر الجليدي . ولما كان البر في تلك المدة اكثر ارتفاعاً مما هو اليوم فلا يبعد انهُ كان امام الشرف المحاذي للبحر عند نهر الكلب سهلٌ متَّسع يفصل بينهما ثم غمرهُ الماء عند انخفاض البر في اواخر المدة التالية للعصر الجليدي فاضحى مكانهُ بحراً

واما مغارة انطلياس فأحدث عهداً من مغارة نهر الكلب على ما يظهر وعظام الحيوانات التي قد تحجرت رواسبها عليها تدلُّ على ان حيواناتها حديثة العهد وليست كحيوانات مغارة

نهر الكلب . وقد وجدتُ فيها اسنةً وسكاكين من الصوَّان وعظاماً رسبت عليها الرواسب وتحجَّرت كما ترون (ثم ارانا اياها واطنب بمهارة الذين صنعوها) وفي هذه البلاد كهوف كثيرة تحتوي عظاماً وظراناً بين رواسبها ولكنها لم تُعرَف حتى الآن لقلة من يبحث عنها . وهذه الرواسب حديثة بالنسبة الى ما يوجد تحتها من آثار القدماء ولكنها لا تزال اقدم من زمان الفينيقيين . والظاهر ان الناس كانوا يسكنون الكهوف في هذه البلاد قبل ان خسفت الارض خسوفها الثاني بعد العصر الجليدي فبادوا حين خُسِفَت بهم وطغى الماء عليهم ومنهم البقايا التي في مغارة نهر الكلب . ثم سكنها اناس مختلفون عنهم شعباً بعد ارتفاع البر من تحت الماء . وهذه الكهوف نوعان كهوف حفرتها السواقي ومجاري الماء في بطون الجبال ثم انفتحت لها منافذ دونها فتركتها وتحولت الى تلك المنافذ . وكهوف نقَرتها امواج البحر في الصخور ثم ارتفعت لما شخصت الارض بها بعد العصر الجليدي . والمرجَّح ان مغارة نهر الكلب هي من هذا النوع الثاني . وتكثر الكهوف في جبل لبنان لسهولة نقرها فان هذا الجبل مؤلَّف من صخور كلسية تكوَّنت في اواخر الزمان الذي تكوَّن فيهِ القسم الثالث من طبقات الارض (اواخر الدور الثاني)

واما سبب سكن الناس فيها فيتضح من النظر الى كهف صغير قرب نهر الكلب امامهُ ارضٌ يسهل على الانسان ان يصل منها الى البحر وفوقهُ ارضٌ تناسب لغرس الاشجار وهو في بقعة منفردة بحيث يأمن ساكنهُ اغتيال العدو ومفاجأَة الضواري ويبيت مطمئن البال طيب الخاطر فلهذه الاسباب كان الناس يأْوون قديمًا الى الكهوف »

الى ان قال :

« الاَّ ان الادوات الحجرية التي وجدت في اوربا مثلاً لا يقطع منها بكون صانعيها اقل تمدُّناً من الذين استعملوا الحديد بعدهم . ولا يصح ان يساووا بمتوحشي هذه الايام ولو تساوت مصنوعات الفريقين لان متوحشي هذه الايام منحطون في الحضارة مع سهولة ارتقائهم فيها لو اقتدوا بالمتمدّنين واما القدماء فلم يكن في زمانهم من يقتدون بهِ في الحضارة فلا غرابة ان لم يتقدَّموا الاَّ رويداً . ويستدلّ البعض من النقوش التي بقيت بعدهم انهم كانوا سليلة قوم متمدنين ثم انحطوا في التمدن حتى بلغوا حالة الخشونة التي وجدت آثارهم عليها . والله اعلم »

اكتشاف ارض جديدة

في دائرة القطب الشمالي

في اوائل سنة ١٩١٣ قام رحالة نروجي الاصل كندي الجنسية اسمهُ ستيفنسن يجهز بعثة الى الاصقاع القطبية الشمالية بمساعدة حكومة كندا وبرعاية متحف التاريخ الطبيعي الاميركي والجمعية الجغرافية الوطنية في كندا · وكانت هذه البعثة هي الثالثة في بابها (الاولى سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧) والثانية سنة ١٩٠٨ — ١٩١٣) · فاعدَّ لذلك سفينة كبيرة اسمها «كرلوك» وسفينتين اصغر منها واثاثاً ومؤونة تكفي الحملة ٣ سنوات

وفي يونيو من السنة المذكورة اقلعت السفينة بهِ وبجماعتهِ من جنوب جزيرة فكتوريا شمالي كندا في مكان على نحو الدرجة ٦٨ من العرض الشمالي (وعليهِ الرقم ٢ كما يرى في الشكل) · وكانت جماعتهُ مؤلفة من بضعة عشر رجلاً من الخبيرين بالعلوم والفنون اللازمة في الاسفار القطبية والمعتادين لمشاق تلك الاصقاع الباردة

واتفق ان صيف تلك السنة كان قصيراً فلم تستطع البعثة بلوغ بحر بوفور تلك السنة (انظر الخريطة) · والظاهر ان السفينة الكبرى كرلوك ابعدت عن الشاطئ كثيراً فاحاط بها الجليد وهي على بعد ١٨ ميلاً من الشاطئ وكان ستيفنسن وخمسة من رجالهِ قد نزلوا الى البرّ يصطادون فثار نوءٌ فصل الجليد العالق بالسفينة عما حولهُ فساقتها الرياح والامواج غرباً وبقيت على تلك الحال اربعة اشهر ثم غرقت في شهر يناير من سنة ١٩٠٤ بعد نقل ما فيها الى الجليد

واختار ستيفنسن سبعة من رجالهِ ليتقدموا البعثة ويعدوا الطريق امامها ويكونوا بمثابة روّاد لها · فشخصوا الى جزيرة اسمها جزيرة هرالد تبعد عن مقر البعثة ٤٠ ميلاً ولكنهم لم يلبثوا ان رأوا ماءً غير جامد فعاد ثلاثة منهم يخبرون بما رأوا وبقي اربعة يحرسون ما معهم من الزاد · وفي خلال ذلك خرجت جماعة اخرى مؤلفة من طبيب البعثة وعالِمين من علمائها في اثر الجماعة الاولى رغم نهي اخوانهم لهم عن ذلك · فهبت زوبعة ثلج شديدة ففقدوا هم والاربعة الذين بقوا يحرسون الزاد · اما بقية رجال البعثة فبلغوا جزيرة هرالد ثم جزيرة رنجل غربيها (انظر الخريطة) في ١٢ مارس · وفقد في اثناء ذلك اربعة رجال آخرون فبلغ عدد المفقودين كلهم ١١ رجلاً

اما ستيفنسن فعقد العزم على انفاذ خطتهِ الاولى رغم غرق سفينتهِ الكبرى · واغاثتهُ الحكومة بالزاد والمهمات وارسالها على سفينة لم تبلغ جزيرة هرشل الآ في صيف السنة الماضية· وكان غرضهُ الاكبر اكتشاف ارض يقال انها واقعة شمالي الاسكا وسيبيريا في وسط الاوقيانوس المتجمد الشمالي · فقصدها من نقطة مارتن برفقة بعض زملائهِ · فلم يبعدوا عن الشاطئ الآ قليلاً حتى هبت عاصفة ثلج استاقتهم شرقاً · وفي ٧ ابريل عاد رجال الحملة ادراجهم ولم يبق سوى ستيفنسن واثنين من رجالهِ فهؤلاء ساروا في سبيلهم غير هيابين وكان معهم مزلجة تجرها الكلاب و ١٣٠٠ رطل من الاثاث والزاد وبندقيتان و٣٦٠ خرطوشة

وفي ٢٧ ابريل بلغوا نقطة على الدرجة ٧٣ من العرض الشمالي و ١٤٠ من الطول الغربي تبعد ٢٤٠ ميلاً عن قاعدتهم · ولما بلغوا الدرجة ٧٤ قلَّ ما معهم من الزاد والوقود كثيراً فقصدوا الزاوية الشمالية الغربية من (ارض او جزيرة) بنكس ولكنهم لم يستطيعوا التقدم بسبب الزوبعة فمكثوا حيث كانوا ينتظرون ركود الزوبعة وجمعوا صيداً كثيراً في خلال ذلك · وفي ٢٦ يونيو نزلوا على بعد ٣٠ ميلاً من راس البرنس البرت غربي ارض بنكس · وهناك انتظروا سفينة تقل البعض من رجال البعثة ولما لم تصل سار هو ورفيقاهُ الى راس كليت حيث وجد سفينة اخرى تقلُّ بقية البعثة

فقضى الشتاء هناك وفي فبراير سنة ١٩١٥ سافر شمالاً فبلغ راس مكانتوك في ١٥ يونيو · وبعد ذلك باربعة ايام وجد الارض الجديدة التي اكتشفها عند الدرجة ٧٨ من العرض الشمالي و ١١٧ من الطول الغربي (انظر الخريطة) · فسار حذاء ساحلها مسافة ١٠٠ ميل شرقاً واخذ ارصاداً كثيرة على بعد ٢٠ ميلاً الى الداخلية وعلى علو الفي قدم فاستدل ان طول الارض التي اكتشفها ١٥٠ ميلاً على القليل

ثم عاد هو ومن معهُ في طريق شرقي جزيرة البرنس بتزيك وقطع ارض بنكس من خليج مكلور الى قاعدتهِ في راس كليت حيث ينوي استئناف اعمالهِ بعد اجتياز مسافة طولها ٧٠٠ ميل · وكانت اخبارهُ قد انقطعت بعد مغادرتهِ نقطة مارتن حتى قطع العالم الرجاء منهُ واذا بهِ قد ارسل في الخريف الماضي رسالتهُ من راس كليت فاحيا بها ميت الرجاء

ولاكتشاف الاراضي الجديدة في الاصقاع الشمالية والجنوبية فوائد علمية كثيرة في البحث عن مغنطيسيَّة الارض وجيولوجيتها ونباتها وحيوانها · وقد يكون منهُ فوائد تجارية ولاسيما في الدائرة الشمالية ولكننا نرتاب في الحصول على فوائد مادية توازي ما ينفق لاجلها من الاموال ويموت في سبيلها من الرجال

دمعة

على فقيدة عزيزة

بنتاهُ قد نوّر زهرُ الرُّبى   واورق الغصنُ النديُّ الرطيبْ
وفاح نفحُ الوردِ من كمّهِ   وصاح في افنانهِ العندليبْ
وألبستْ شمسُ الضحى الارضَ من   حوكِ خيوطِ التبرِ بُرداً قشيبْ
والناسُ للنيروز قد بكّروا   يشوقهم روضُ الجِنان الخصيبْ
وانتِ قد امسيتِ في حفرةٍ   جاراكِ حوليها غرابٌ وذيبْ
يا بئس ما جاورتِ من بعدما   أُنزلتِ منّا في سوادِ القلوبْ

***

بنتاهُ ان تستيقظي في الدُّجى   وتصرخي « بابا » وما من مُجيبْ
فلا تُراعي واهجعي ربّما   تأتيك بشرى مقدمي عن قريبْ
ماذا عسى يجدي لدى الموتِ ان   شقّت قلوبٌ قبل شقّ الجيوبْ
فهل يردُّ الميتَ تعديدُهُ   ام يجلب السلوانَ فرط النحيبْ
طبيبكِ الباشا ولكنهُ   لم يدفع المقدارَ قدرُ الطبيبْ
خانتهُ في الطبّ عقاقيرهُ   وليس في العقّار سرٌّ غريبْ
يا عيدُ قد عدتَ بلا بهجةٍ   وهل يسرُّ العيدُ قلبَ الكئيبْ
اليك عني لست لي صاحباً   لا يصحبُ الأعبدَ حرٌّ نجيبْ

***

بنتاهُ كم خلفتِ من حسرةٍ   ترنُّ في قلبي وكم من وجيبْ
فان صفا بعدك لي موردٌ   او غاض لي دمعٌ فامرٌ عجيبْ
في حولكِ الرابع اوحشتِنا   يا كوكباً قد غاب قبل المغيبْ
لقد أضعنا فيك مكنونةً   كنّا ذخرناها ليومٍ عصيبْ
يتيمةٌ ما هذّبتها يدٌ   ولا عرا جوهرَها ما يشوبْ
لستُ انانيًّا فابكي على   اللذاتِ راحت بعدها لا تؤوبْ
وانما ابكي لحرمانها   عيشاً شجاها كالمشوّقِ الطروبْ
ليت الذي اعطاك لي منةً   فسرّ قلبَ الجارِ قبل القريبْ

لم يعطِ كيلا يستردّ الذي   اعطى كما قد يستردُّ السَّليب
اذاً لما اورثني لوعةً   ابردُها النيرانُ ذاتُ اللَّهيب
فالبُخلُ اجدى من جَداً نادمٍ   والشكُّ أجلى من يقينٍ مريب
والموتُ مختارٌ على عيشةٍ   من بعضِ ما فيها فراقُ الحبيب

* * *

ليس الردى في نفسهِ نكبةً   يصحُّ ان يجزعَ منها الأديب
وانما نُصميهِ أعقابها   فمن بِلًى في صفرةٍ في شحوب
لو ان جسمَ الميتِ يبدو لنا   قارُورةً تنضحُ منها الطيوب
ووجههُ بدرٌ ومن حولهِ الـ   ـهالات تخفي ما بهِ من عيوب
لما علت في اثرهِ زفرةٌ   ولا بكيناهُ بدمعٍ سكوب

* * *

قد كنت اخشى الموت من قبل أن   رأيتها قد آذنت بالغروب
واحسب الخلدَ تمامَ المنى   ومشتهى الغاوي وهمَّ الأريب
فاليومَ لا اشقى من الخلد في   عيني ولا اشهى لها من شَعوب(1)
هذهِ تدنيني على هولها   من راحلٍ اشعلَ رأسي مَشيب
وذاك يقصيني على حبهِ   عمَّن مُقامي بعدهُ لا يطيب
لا كان خلدٌ لا أرى وجهها   فيهِ واهلاً بالحِمام الرهيب

* * *

يا مصرُ اودعتك لي فلذةً   في سبسبٍ ناءٍ وصقعٍ جديب
كوني لها ما كنتهُ وليقمْ   من ودّك الغالي عليها رقيب
انا الغريبُ الدارِ وارحمتا   وكلّ من دبّ عليها غريب
فبيننا في حالنا نسبةٌ   فسائلي عنها دفينَيْ عسيب(2)

---

(1) اسم للمنية (2) عسيب جبل دفن في سفحهِ امرؤ القيس وامرأة قبلهُ . وفي هذا البيت والذي قبلهُ اشارة الى ابيات قالها امرؤ القيس عند احتضارهِ وهي :

اجارتنا ان الخطوب تنوب   واني مقيم ما اقام عسيبُ
اجارتنا انا غريبان ههنا   وكلّ غريب للغريب نسيبُ
فان تصلينا فالمودة بيننا   وان تهجرينا فالغريب غريبُ

يا بدر ان القبر في بقعة يحجّها وفد الصبا والجنوب
فلا تكن دونهما نسكاً ومن شعاع الانس ان لا تغيب
وانت يا قبر أتسع للتي ضافتك وليمتدَّ ذاك الكثيب
ما أعيت الاجسادُ لحداً ولا الارواحُ هذاك الفضاء الرحيب

***

ويوم سوّينا (١) عليها استوى قلبي الى عرش القضاء المهيب
ناجيتُ ربي قائلاً ما جنى عبدُك حتى ساورتهُ الكروب
فقال ثق عبدي فانَّ الذي أحبهُ أختصهُ بالخطوب
انظر الى ايوبَ في كربهِ واصبر كايوبٍ واني المثيب
آمنت بالله وآياتهِ ما خاب ملهوف اليهِ ينيب
قد كان ما قد كنت اخشى فقل انَّ الى الله الكريم الأيوب (٢)

نجيب شاهين

اليزيدية

وبحث في منشإ معتقدهم

اليزيدية طائفة من الاكراد يسكن اكثرهم في جهات الموصل وولاية أروان الروسية ومنهم طوائف في نواحي دمشق وبغداد وحلب . وهم من أغرب طوائف المبتدعة بدعةً يدينون بعبادة الشيطان ويقولون بالتناسخ ولهم في كتم نحلتهم والاحتفاظ باسرارها مبالغة شديدة طوت امرهم عن الناس زمناً حتى أتيح لبعض من خالطهم من روّاد الافرنج وغيرهم كشف القناع عن كثير من دخائلهم وان كان وقع في عباراتهم ما لا بدَّ من وقوعه في كل امر يحاط بالخفاء والكتمان

واوَّل مجلة عربية تصدَّت لهذا البحث فيما نعلم مجلة المقتطف في فصل نشرتهُ في مجلد ١٣ ص ٣٩٣ ملخَّصاً ممَّا حققهُ عنهم الاستاذ بروسكي بعد ما ثوى فيهم وعاشرهم دهراً . ثم كتب العلاَّمة اليازجي في مجلد ١ ص ٧٠٥ من ضيائهِ فصلاً آخر لا يخرج في جوهره عمَّا في المقتطف وان باينهُ في بعض المواضع بشيء من الاختلاف والزيادة والنقصان .

---

(١) اي دفناها ومهدنا التراب على قبرها (٢) الرجوع

ونشر الاب انستاس الكرملي مقالة مسهبة عنهم في مجلد ٢ من المشرق لم يترك فيها غاية لمستقص او مجالاً لقائل . ثم عثر عيسى افندي يوسف في الموصل على نسخة مخطوطة باللغة العربية من كتابيهم الجلوة ومصحف رش فنشرهما بنصهما في مجلة اللغات والآداب السامية باميركا سنة ١٩٠٩ م مع الترجمة الانكليزية . وعثر احد علماء المشرقيات في النمسا على نسخة منهما بالعربية والكردية فطبعهما بالنصين والترجمة النمسوية في فينا سنة ١٩١٣ فازداد امرهم بطبعهما جلاء ووضوحاً وأميط اللثام عمّا تضارب فيهم من الاقوال في المقالات الثلاث المتقدم ذكرها

غير ان القول في منشإ هذه النحلة واوّل مبتدع لها وما تطوّرت فيهِ بعد ذلك من الاطوار لم يزل غامضاً ملتبساً وكل ما اوردوهُ عنها في ذلك جاء مضطرباً مبتوراً لا يصدر عنهُ الباحث بغناء وهو ما قصدنا البحث فيهِ في هذه العجالة بعد ان نلخص من عقائدهم ما يتوقف عليهِ اطّراد البحث ويمثّل لذهن القارىء صورة مجملة منهم

ملخّص عقيدتهم

للقوم كتابان كما ذكرنا احدهما كتاب الجلوة وهو يتضمن ما خاطب بهِ الباري تعالى خلقهُ والمقصود بهم اليزيديّة وكلاماً في قدمهِ تعالى وبقائهِ وقدرتهِ ووعدهِ ووعيدهِ وذكر القول بتناسخ الارواح وفيهِ ان الكتب التي بايدي الخارجين أي اهل الاديان المعروفة ليست كما أُنزلت بل بدّلوا فيها وحرّفوا فما وافق منها سنن اليزيدية فهو المقبول وما غايرها فمن تبديلهم

والثاني مصحف رش أي الكتاب الاسود وفيهِ حديث خلق السموات والارض وما فيها من بحار وجبال واشجار وخلق الملائكة والعرش وآدم وحوّاء وارسال الشيخ عادي بن مسافر من الشام الى لالش وما كان من نزول طاووس ملك (اي الشيطان) الى الارض واقامتهِ ملوكاً لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لهم . وفيهِ ان كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحوّاء واما شيث ونوح وأنوش وهم آباء اليزيدية الاوّلون فمن نسل آدم فقط واصلهم من توأمين ذكر وأنثى ولدهما باحدى الخوارق . وان طوفاناً أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح مضى عليهِ الآن سبعة آلاف سنة في كل الف سنة منها ينزل له من السماء يشرّع لهم الشرائع ويسنّ السنن ومن هؤلاء الآلهة السبعة يزيد الذي ينتسبون اليهِ اما رئيسهم واوّلهم فالشيطان المعبَّر عنهُ عندهم بطاووس ملك ومرتبة هؤلاء الآلهة دون مرتبة الاله الاعظم الواحد القهّار الفعّال لما يريد

وفيهِ ايضاً شرائعهم وما أُحلَّ لهم وما حرّم عليهم في الزواج وغيرهِ وشرع امر الطواف بسناجقهم في البلدان والقرى لجمع الصدقات وزيارتهم لقبر الشيخ عادي وما يفعلونهُ في عيد رأس السنة من قطف النَّوْر الاحمر وذبح الذبائح واطعام الفقراء وزيارة القبور · وفي كلا الكتابين من التلفيق والخبط والخلط ما فيهِ وتمتاز النسخة المنسوبة بوجود النصّ الكرديّ فيها· وتختلف عنها الاميركية ببعض زيادات وتقديم وتأخير في العبارات وفيها فوق ذلك ملحق فيهِ ما ليس في الكتابين من شرائعهم واحوالهم وكرامات اوليائهم وتفصيل مراتب امرائهم وشيوخهم وأُغنيّة مختلّة الوزن والتركيب في مدح الشيخ عادي وأُخرى مثلها تتلى في صلاتهم وصورة المحضر الذي كتبوهُ لما أرادت الدولة العثمانية تجنيدهم وقد ذكروا فيهِ السبب الديني المانع لهم من مخالطة غيرهم

يزيد الذي ينتسبون اليهِ

جاء في كتب الملل والنحل ذكرٌ لفرقة من الاباضيَّة يدعون باليزيدية وهم اتباع رجل من الخوارج اسمهُ يزيد بن ابي أُنَيسة وهو غير المحدّث المشهور كان بالبصرة ثم انتقل الى ارض فارس وكان من زعمهِ ان الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليهِ كتاباً جملة واحدة ينسخ بهِ الشريعة الاسلامية ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط · فذهب الاب انستاس والعلاّمة اليازجيّ الى أنّ يزيديّة اليوم هم من بقيَّة هذه الفرقة وجنحا لهذا الرأي لاتحاد الفرقتين في النسبة ووجود كتاب مزعوم تنزيلهُ · اما نحن فلا نرى هذا الرأي ولا نجد علاقة ما بين هذه وتلك بل رأينا انّ اتباع ابن ابي أُنَيسة انقرضوا فيما انقرض من الفرق العديدة التي لا وجود لها الآن وعندنا ان نسبة يزيدية اليوم انما هي ليزيد بن معاوية على التحقيق كما يدّعون هم ولكن لا على ما تقوّوهُ من المزاعم بل لما سنوردهُ عليك بعد

وزعمهم هم في يزيد على ما جاء في مصحف رش انّ معاوية اباهُ كان خادماً لنبيّ الاسماعيليين اي نبيّنا عليهِ الصلاة والسلام وحلق رأسهُ يوماً فجرحهُ واكبّ على الدم فلحسهُ بلسانهِ لئلاّ يسيل على الارض فقال لهُ النبيّ اخطأت وستكون ذرّيتك اعداء لأُمتي فعاهدهُ على ان لا يتزوج ابداً ولم يكن لهُ بنون من قبل ولكنّ الله سلَّط عليهِ عقارب لدغتهُ في وجهتهِ وجزم الاطباء بموتهِ ان لم يتزوّج فتزوّج امرأة في الثمانين ليأمن حملها فلما اصبحت اذا اذا هي ابنة خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد احد آلهتهم السبعة

وفي (المجلد ٣) من مجلة لغة العرب التي كانت تصدر في بغداد مقالة عن الاكراد للكاتب الفاضل شكري افندي الفضلي تعرّض فيها في (ص ٣٠٩) لليزيدية بكلام مختصر ذهب فيهِ الى انهم من المجوس الداسنيين هجروا حاضرتهم القديمة يزد وسكنوا داسن فقيل لهم اليزديون ثم صحّفتهُ العامة وقالت يزيديون . وقد علّق عليهِ صاحب المجلة بانهم غير الداسنيين وان لا علاقة لهم بيزد في كلام لا يبقي للشك مجالاً

الشيخ عادي

للشيخ عادي مقام غير منكور عند اليزيدية وقبرهُ اليوم كعبتهم التي يحجون اليها وشيخهم الاعظم سادن مقامهِ ولهم فيهِ مزاعم في مصحف رش منها ان الله تعالى ارسلهُ من ارض الشام الى لالش ومفهوم العبارة ان ذلك كان قبل خلق آدم وهو من الخلط الذي لا تخلو منهُ عباراتهم

وفيهِ انهم عند ارسال السناجق الى القرى لجمع الصدقات يخرجونها من عند قبرهِ باحتفال عظيم ورقص وغناء وزمر ونقر على الدفوف والطبول ويعجنون من ترابهِ بنادق (كرات صغيرة) تحمل مع السناجق فتفرّق في القرى للتبرّك بها . وعند عقد الزواج يأتون برغيف من دار شيخهم يتقاسمهُ العروسان فان لم يوجد اكتفيا بسفّ شيء من تراب الشيخ عادي . وفي الزوائد الملحقة بالنسخة الاميركية انّ من يموت منهم يجب ان يحضرهُ شيخ من شيوخهم الذين في طبقة (الكوّجك) ليضع في فيهِ شيئاً من هذا التراب قبل دفنهِ وفيها ايضاً تفصيل مناسكهم عند زيارتهِ وانها مفضّلة عندهم على حج البيت الحرام مع التصريح بانهُ مبتدع ملتهم ومرشدهم الاوّل الى طريقها

وفي النسخة الاميركية ايضاً نبذة عن الشيخ عادي وردت قبل كتاب الجلوة كمقدمة لهُ نثبتها هنا دليلاً على مبلغ جهلهم بالتاريخ وخلطهم بين الازمان المتفاوتة ونموذجاً لما في كتابيهم من فساد التركيب وسوء التعبير وهي بنصها « في زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هجرية كان منصور الحلاّج وشيخ عبد القادر الكيلاني في ذلك الوقت ظهر انسان اسمهُ الشيخ عادي من جبال الحكّارية(١) اصلهُ من اطراف حلب او من بعلبك جاء وسكن جبل لالش قريب مدينة الموصل نحو تسع ساعات والبعض قالوا انهُ من اهل حرّان ونسبتهُ الى مروان بن الحكم فانهُ شرف الدين ابو الفضائل عادي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان وكان وفاتهُ سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هاجرية وقبره يزار

(١) الصواب الهكارية

الآن قرب قرية باعدرى[١] من قرى الموصل تبعد عنها احدى عشرة ساعة واليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين عند الشيخ عادي المذكور والبعض منهم ينسبون الى يزيد ومنهم الى حسن البصري» انتهى ·

ولا بدَّ لنا قبل الشروع في التعريف بهذا الشيخ من تصحيح اسمهِ فانهُ ورد في كتابيهم مرسوماً بزيادة الف بعد العين كما رسمناه فيما تقدَّم متابعة لهم وبهِ ورد ايضاً في مقالتي المقتطف والمشرق واوردهُ العلاَّمة اليازجي في الضياء بلفظ الشيخ الهادي وعلق عليهِ في الحاشية بما نصهُ « الذي في الاصل السرياني الشيخ ادى وكذلك هو في النقل الفرنسوي ولعل لفظهُ الصحيح عدي الاَّ انَّا رأينا بولياي رواه بزيادة هاء في اوله كما اثبتناهُ فيما نقلناهُ عنهُ قريباً وهو الذي اعتمدناهُ في سائر المقالة توحيداً للتسمية » انتهى · قلنا والذي ذهب اليهِ ظنهُ في تصحيح لفظهُ هو الصواب

وفي مقالة المشرق ذكرٌ لاسطورة رواها رجلان من اليزيدية مصرّح في آخرها بان لفظة عادى محوّل عن آدى وخلاصتها ان مزار الشيخ كان في الاصل ديراً للنساطرة بني على اسم القديس أدّى او آدى ثم تفرّق رهبانهُ باغواء طاووس ملك لهم ودانوا باليزيدية وظهر في ابَّان ذلك الشيخ عادي بدعوتهِ وانبأ تلاميذهُ بامر الرهبان قبل وقوعهِ واوصاهم بدفنهِ في مكان المذبح الاعظم بالبيعة بعد هدمهِ فعملوا بوصيتهِ وصاروا يحجون الى قبره كل سنة وحوّلوا اسم آدي الى عادي · قلنا القول بهذا التحويل ظاهر البطلان لما سيأتي ولعل كاتب المقالة الفاضل كان متوقفاً فيهِ او فيما ورد عن اصل المزار ايضاً فانهُ ختم العبارة بقولهِ (فتأمل)

والصواب انهُ الشيخ عَدِي بن مسافر[٢] احد صوفية زمنه ومعتقديهم ترجمهُ ابن خلكان في الوفيات فقال فيهِ « الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان كذا املى نسبهُ بعض ذوي قرابتهِ الهكاري مسكناً العبد الصالح المشهور الذي تنسب اليهِ الطائفة العدوية » انتهى · وذكر ابن الوردي نسبتهُ في تاريخهِ على ما هو وارد هنا وزاد فيهِ بعد مروان الاخير « ابن الحكم بن مروان الاموي » · قال ابن خلكان « سار ذكرهُ في الآفاق وتبعهُ خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيهِ الحدَّ حتى جعلوهُ قبلتهم

(١) اوردها ياقوت في معجمهِ بلفظ باعذرا بالذال المعجمة وقال عنها انها من قرى الموصل
(٢) نسبته هنا الى جدّهِ مسافر اما ابوهُ فاسمهُ صخر كما سيأتي في ترجمة الشيخ حسن

التي يصلّون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها · وكان قد صحب جماعة كثيرة من اعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل عقيل المنبجي[١] وحمّاد الدباس وابي النجيب عبد القادر السهروردي[٢] وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل الهكّارية من اعمال الموصل وبنى لهُ هناك زاوية ومال اليهِ اهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لارباب الزوايا مثلهُ وكان مولدهُ في قرية يقال لها بيت فار من اعمال بعلبك والبيت الذي ولد فيهِ يزار الى الآن وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة في بلدة بالهكّارية ودفن بزاويتهِ رحمهُ الله تعالى · وقبرهُ عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة وحفدتهُ الى الآن بموضعهِ يقيمون شعارهُ ويقتفون آثارهُ والناس معهم على ما كانوا عليهِ زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة · وذكرهُ ابو البركات ابن المستوفى في تاريخ اربل وعدّهُ من جملة الواردين على اربل · وكان مظفر الدين صاحب اربل رحمهُ الله تعالى يقول رأيت الشيخ عدي بن مسافر وانا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة اسمر اللون وكان يحكي عنهُ صلاحاً كثيراً وعاش الشيخ عدي تسعين سنة رحمهُ الله تعالى » انتهى بنصهِ

وترجمهُ الشيخ الشعراني في طبقاتهِ الكبرى المسماة بلواقح الانوار وفي طبقاتهِ الوسطى ايضاً فاثنى عليهِ في كلتيهما ثناء جمًّا وذكر انهُ اقام في اول امرهِ زماناً في المغارات والجبال والصحارى مجرداً سائحاً يأخذ نفسهُ بانواع المجاهدات قال وهو اوّل من قُصد بالزيارات وتربية المريدين الصادقين ببلاد المشرق وقصدهُ الناس من سائر الاقطار · ثم نقل شيئاً من مأثور كلماتهِ في التصوّف وذكر لهُ كرامات وخوارق الى ان قال سكن رضي الله تعالى عنهُ جبل الهكّار واستوطن بالس الى ان مات بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بزاويتهِ المنسوبة اليهِ وقبرهُ بها ظاهر يزار

وذكر ابن الاثير وابو الفداء ان وفاتهُ كانت في المحرّم سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتابعهما في ذلك ابن الوردي الأَّ انهُ نقل ايضاً عن كتاب بهجة الاسرار لنور الدين البلخي انها كانت سنة ثمان وخمسين وان اصلهُ من حوران · واطنب ابن الوردي فيهِ وفي وصف زهده وتقشّفهِ وكراماتهِ في كلام نقل اغلبهُ الشعراني في طبقاتهِ · وفي مختصر تاريخ الاسلام للذهبي في حوادث سنة ٥٥٧ ما نصهُ « وفيها مات شيخ العارفين عدي بن مسافر الهكّاري الزاهد وقد قارب التسعين »

(١) و (٢) في الاصل البخي والشهر زوري وكلاهما تحويل

وبالس التي ذكرها الشعراني بلدة بالشام بين حلب والرقة على ما في معجم ياقوت فليست هي بلدة الشيخ عدي التي سكنها ودفن بها بالهكّارية . والذي في طبقاته الوسطى لاكش بلام فالف فكاف وكلاهما فيما ظهر لنا محرّف عن لالش وهي الواردة في النصين العربي والكردي من مصحف رش الأ انها وردت في بعض المواضع من النص الكردي بلفظ لايش بالمثناة التحتية بدل اللام وبهِ وردت في مقالة المقتطف ايضاً والمرجح انها بلامين وهي التي ذكرها ياقوت في معجمهِ بلفظ ليلش وقال عنها قرية في الجبل من اعمال شرقي الموصل منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي شيخ الاكراد وامامهم وولده

وممن ترجم الشيخ عدي ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في وفيات سنة ٥٥٧ فاثنى عليهِ ثناء من ترجمهُ قبلهُ وذكر تجاوز اصحابهِ الحدّ في اعتقادهم بهِ حتى زعموا انهُ اذا ذكر على الاسد وقف او على البحر سكن والى ذلك اشار الشيخ الصديق بن محمد المقري المعروف والدهُ بالمدوخ في وسيلتهِ الجامعة بقولهِ :

بجاه عدي ذلك ابن مسافر بهِ تسكن الامواج في لجج البحر
وان قلته لليث لم يخط خطوة ولا الشبر من قاع ولا القاع من شبر

هذا ما ظفرنا بهِ من ترجمتهِ وهو عندنا اصل الطريقة اليزيدية واول مكوّن لهذه الطائفة على ما أدّانا اليهِ البحث

الشيخ حسن

ذكر اسمهُ في مصحف رش على انهُ ثاني الالهة السبعة ويسمى ايضاً دردائيل وورد في الزيادات الملحقة منعوتاً بالبصري وأنّ لهُ قبة في القباب التي حول قبر الشيخ عدي ومن نسلهِ شيخهم الاعظم . ولا ندري اهما رجل واحد ام اثنان عندهم وقد بحثنا في كتب التراجم عن مسمى بهذا الاسم لهُ علاقة بهم فاهتدينا الى اثنين احدهما من آل عدي بن مسافر وكان احد خلفائهِ عليهم وفي زمنهِ دبّ الفساد والزيغ فيهم وهو غير منسوب للبصرة والثاني منسوب اليها ولكن ليس في ترجمتهِ دلالة على صلة لهُ بهم سوى الاتحاد في الاسم والنسبة والولادة بالموصل

وللاول ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر قال فيها عن نسبهِ « الحسن بن عدي بن ابي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين شمس الدين ابو محمد شيخ الاكراد وجدّه ابو البركات هو اخو الشيخ عدي » . وقد تقدم في نسب الشيخ عدي انهُ عدي بن مسافر بن اسماعيل الخ وعليهِ لا يصح ان يكون ابو البركات اخاً لهُ بل يكون ابناً لاخيهِ .

والصواب ان جميع من ترجموا الشيخ عديًّا اسقطوا اسم ابيهِ ونسبوهُ لجدّهِ مسافر لشهرتهِ فقد جاء في مادة (هكر) من شرح القاموس في الكلام على الهكارية ما نصهُ «واليها ينسب الوليّ المشهور ابو المفاخر عديّ بن صخر بن مسافر الاموي الهكاري» وبهِ يتّضح ما في فوات الوفيات

ثم قال ابن شاكر «وكان شمس الدين من رجال العالم رأيًا ودهاء ولهُ فضل وادب وشعر وتصانيف في التصوّف ولهُ اتباع ومريدون يبالغون فيهِ قال الشيخ شمس الدين الذهبي وبينهُ وبين الشيخ عديّ من الفرق كما بين القدم والفرق. وقد بلغ من تعظيم العدوية لهُ انهُ قدم عليهِ واعظ فوعظهُ حتى رقّ قلبهُ وبكى وغشي عليهِ فوثب الاكراد على الواعظ فذبحوهُ ثم افاق الشيخ حسن فرآهُ يتشحّط في دمهِ فقال ما هذا فقالوا لهُ ايش هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ فسكت حفظًا لدستهِ وحرمتهِ. وخاف منهُ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليهِ وحبسهُ ثم خنقهُ بوترٍ في قلعة الموصل خوفًا من الاكراد لانهم كانوا يشنّون الغارات على بلادهِ نخشي ان يأمرهم بادنى اشارة فيخرّبوا بلاد الموصل. وفي الاكراد طوائف الى الآن يعتقدون ان الشيخ لا بدّ ان يرجع وقد تجمّعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجهُ وما يعتقدون انهُ قتل. وكانت قتلتهُ سنة اربع واربعين وستمائة ولهُ من العمر ثلاث وخمسون سنة»

وترجمهُ ايضًا ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب وساق نسبهُ كما هنا اي بزيادة صخر بعد عديّ الاكبر ونعتهُ بشيخ العدوية الاكراد وذكر عنهُ ما ذكرهُ ابن شاكر ثم اورد عبارة للذهبي عدّد لهُ ولجماعتهِ فيها منكرات وختمها بما معناهُ (إن كان هذا طريق الجنة فأين اذن طريق النار)

اما الثاني على فرض انهُ غيرهُ فقد جاء في المنهل الصافي لابن تغرى بردي عن رجل يلقّب بحسن البصري ما نصهُ «جعفر بن عليّ بن جعفر بن الرشيد الشيخ المسند المعمّر شرف الدين الموصليّ المقري المعروف بالحسن البصري. مولدهُ بالموصل في سنة اربع وستمائة وكان شيخًا فاضلاً عارفًا حافظة للاخبار والشعر والادب ذكرهُ الحافظ علم الدين البرزالي وقال سمع من السهروردي كتاب العوارف بالموصل وسمع بدمشق من ابن الزبيدي وبمصر من ابن الجميزي وبالثغر من ابن رواح وتوفي بدمشق سنة ثمان وتسعين وستمائة رحمهُ الله. قلت وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصري التابعي المشهور المتوفى سنة عشر ومائة» انتهى. وليس فيهِ ما يدلّ على علاقة لهُ بهم

منشأ نحلتهم وتكوين طائفتهم

لا يخفى ان الغالب في كثير من الاديان والمذاهب ان يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعين اليها إما بالابتداع فيها او بتغيير النصوص او بتأويلها على حسب ما توحيهِ الآراء وتزينهُ الاهواء · والشواهد على ذلك كثيرة تكاد لظهورها تُحس وتتقرّاها الايدي باللمس غير ان التغيير يختلف قلة وكثرة تبعًا لاميال المهيمنين على المذهب واغراضهم واستعداد نفوس متبعيهم · وهو عين ما طرأ على مذهب اليزيدية فانهم لم يكونوا في مبدإ امرهم سوى طائفة من الصوفية لهم طريق خاص كالحال في سائر طوائف القوم غير انهم غلوا شيخهم غلوًّا تجاوز الحد ادّى الى قولهم فيهِ بما لا يوافق شرعًا ولا عقلاً ثم قام فيهم رؤساء في السوء الطالبون للحطام من طريق الرئاسة فتوسعوا في مذهبهم وادخلوا فيهِ ما اقتضتهُ مصلحتهم ووافق اهواءهم وما زالوا ينقصون منهُ ويزيدون قرنًا بعد قرن حتى خرجوا من الاسلام جملة

ولم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس الهجري حتى اشتهر الشيخ عديّ بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة وتسامع بهِ الناس فقصدوهُ من الاطراف للاسترشاد ثم انتقل الى جبال هكار موطن الاكراد فتبعهُ منهم خلق كثير اتخذ منهم التلاميذ واحدث الطريقة العدوية كما مرَّ بك في اخبارهِ · ولم يكن على شيء مريب في طريقتهِ والاَّ لما اثنى عليهِ كل من كتب عنهُ · وحسبك ان الامام ابن تيمية المشهور بشدّتهِ في الدين لم يذكرهُ الاَّ بالخير في رسالة لهُ سيأتي شيء منها · وانما بدأ فيهم الزيغ بعد موتهِ في رئاسة الشيخ حسن ابن اخيهِ عليهم او قبلهُ بقليل وقد تقدم انهُ كان لا يهتمّ الاَّ بحفظ ناموسهِ مع انطوائهِ على منكرات اخذها عليهِ الذهبيّ · ولما فشا فيهم الانحراف وشاع عنهم كتب لهم ابن تيمية رسالتهُ العدوية التي اشرنا اليها وهي طويلة بناها على النصح والارشاد الى طريق السنّة والحضّ على التمسك بها وتعرّض فيها لما كانوا عليهِ في زمنهِ فحذرهم من البدع والغلوّ في المشايخ كما غلوا في الشيخ عديّ ومن قولهِ في هذا الصدد « وفي زمن الشيخ حسن زادوا اشياء باطلة نظمًا ونثرًا وغلوا في الشيخ عديّ وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان عليهِ الشيخ عديّ الكبير قدّس الله روحهُ فانّ طريقتهُ كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسنًا وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسولهُ »

فيتضح من هذا ومما تقدمهُ أَصل منشإِ هذه الطائفة وانها كانت تسمّى في مبدإِ الامر

بالعدوية نسبة لشيخها اما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها والظاهر انها حدثت في القرون الاخيرة ولعل موالاة البحث تكشفها فيما بعد

منشأ اعتقادهم في يزيد

تولّى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهة من كثير من المسلمين ثم وقعت في ملكهِ كوائن كقتل الامام الحسين والعدوان على اهل المدينة ونقلت عنهُ امور من الاستهانة بالدين والاشتهار بالشراب اكثرت فيهِ القال والقيل وتسبّب عن ذلك تشعّب الآراء فيهِ فذهبت الشيعة فيهِ مذهباً معروفاً وافترق اهل السنّة فمنهم من غالى في بغضهِ واجاز لعنهُ ومنهم من اقتصد ومنهم من خالف وحسّن الظنّ وكان من هؤلاء الشيخ عديّ بن مسافر فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها رأيناهُ يقول فيها « وان يزيد بن معاوية رضي الله عنهُ امام وابن امام وولي الخلافة وجاهد في سبيل الله ونقل عنهُ العلم الشريف والحديث وانهُ بريء مما طعن فيهِ الروافض من اجل قتل الحسين رضي الله عنهُ وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيهِ » . فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد فانهم تولّوهُ اولاً تبعاً لرأي شيخهم ثم جروا فيهِ على ما جروا عليهِ من الغلوّ في غيرهِ فجعلوهُ وليّاً ثم نبيّاً وما زالوا بهِ حتى اتّخذوهُ الهاً من الآلهة السبعة حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والاوهام

وقد تعرّض لذلك ابن تيمية في الرسالة العدوية ولم يكونوا بلغوا بهِ في زمنهِ غير مرتبة النبوّة فقال « اعتقد بعضهم انهُ كان من الانبياء و يقولون من وقف في يزيد وقفهُ الله على نار جهنَّم و يروون عن الشيخ حسن بن عديّ انهُ كان كذا وكذا وليًّا وقفوا على النار لقولهم في يزيد » وقد اطال في هذا الموضوع و بيّن افتراق الناس فيهِ بين محبّ ومبغض وما نشأ عن تمسك كلّ فريق برأيهِ من المغالاة حتى جعلهُ بعضهم كافراً زنديقاً والبعض من ائمة الهدى وكبار الصلحاء بل الاولياء وذكر انّ منشأ الاعتقاد بصلاحهِ كراهة بعض اهل السنّة للعنهِ فظنّ قوم ممَّن يتسنن أنّ ذلك بني على صلاحهِ فاعتقدوهُ . ثم بيّن لهم خطأ الفريقين ونصحهم باتّباع الاولى وهو الاقتصار فيهِ على ان لا يسبّ ولا يحبّ

منشأ اعتقادهم في الشيطان

ليس في عقيدة الشيخ عديّ ما يخالف الاصول المعروفة في عقائد اهل السنّة والجماعة وقد تصفّحناها فلم نشمّ منها رائحة رأي في الشيطان يخرّج اعتقاد اليزيدية عليهِ بل رأيناهُ فيها بالعكس يكثر من لعنهِ وينحى على من يزعم انّ الخير من الله والشرّ من ابليس وعلى من تغالوا فقالوا ارادة ابليس فوق ارادتهِ تعالى . فترى من هذا انّ مذهبهم في الشيطان غير

مبنيّ على قول لشيخهم كما بُني مذهبهم في يزيد بل هم فوق ذلك مخالفون لهُ ومضادّون لرأيهِ فيهِ ولم يشر ابن تيمية في الرسالة العدوية الى شيء من ذلك فالظاهر انهم جنحوا لهذا الرأي بعد زمنهِ ولعلهُ نشأ من احد من تولّى زعامتهم من المشايخ واليك ما ظهر لنا في ذلك

قد تقدّم ان اليزيدية لم يكونوا الاّ طائفة من الصوفية ثم صاروا من غلاتهم وما زالوا يتمادون في الغيّ حتى باينوا جميع الفرق الاسلامية وخرجوا من الاسلام جملة · ولا يخفى أنّ لغلاة الصوفية من الآراء الشاذّة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهرهُ ينطقون بها في احوال تعرض لهم يسمّونها بالغلوّ او الشطح او غير ذلك ويحملها بعضهم على خلاف ظاهرها بضروب من التأويل ليس من موضوعنا التكلّم فيها · وقد اشار ابو حفص عمر بن محمد السهروردي في عوارف المعارف عند كلامهِ على الخلوة الى ما يقع لبعض الصوفية من الزيغ وذكر انّ ما يفتح بهِ على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعدهِ وغرورهِ وحماقتهِ وانهُ لا يزال حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقهِ وينكر الحدود والاحكام الى آخر ما قال —

ومن تلك الآراء ما ذهب اليهِ بعضهم من التعصّب لابليس وتبرير عملهِ في عدم السجود لآدم بل نسب هذا القول لبعض كبارهم ومنهُ ما رواهُ ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال —

« وكان ابو الفتح احمد بن محمد الغزاليّ الواعظ اخو ابي حامد محمد بن محمد الغزاليّ الفقيه الشافعي قاصّاً لطيفاً وواعظاً مفوّهاً وهو من خراسان من مدينة طوس قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظهِ مسلكاً منكراً لانهُ كان يتعصب لابليس ويقول انهُ سيد الموحدين . وقال يوماً على المنبر من لم يتعلّم التوحيد من ابليس فهو زنديق أُمر ان يسجد لغير سيدهِ فابى

ولست بضارع الاّ اليكم واما غيركم حاشا وكلاّ

وقال مرة اخرى لما قال لهُ موسى ارني فقال لن فقال هذا شغلك تصطفي آدم ثم تسوّد وجههُ وتخرجهُ من الجنة وتدعوني الى الطور ثم تشمت بي الاعداء هذا عملك بالاحباب فكيف تصنع بالاعداء · وقال مرة اخرى وقد ذكر ابليس على المنبر لم يدرِ ذلك المسكين ان اظافر القضاء اذا حكّت أدمت وان قسيّ القدر اذا رمت اصمت ثم قال لسان حال آدم ينشد في قصتهِ وقصة ابليس

وكنت وليلى في صعود من الهوى فلما توافينا ثبتّ وزلّتِ

وقال مرة اخرى التقى موسى وابليس عند عقبة الطور فقال موسى يا ابليس لمَ لم تسجد

لآدم عليهِ السلام فقال كلاّ . ما كنت اسجد لبشر كيف أُوحّدهُ ثم التفت الى غيره ولكنك انت يا موسى سألت رؤْيتهُ ثم نظرت الى الجبل فانا اصدق منك في التوحيد . وكان هذا النمط في كلامهِ ينفق على اهل بغداد وصار لهُ بينهم صيت مشهور واسم كبير » . الى ان قال « وهذا نوع تعرفهُ الصوفية بالغلو والشطح ويروى عن ابي يزيد البسطاميّ منهُ كثير » انتهى

بل قد شطَّ بعض المتكلمين كالنظام فزعموا انهُ تعالى لا يقدر على شيء من الشرّ وان ابليس يقدر على الخير والشر ذكر ذلك ابن الجوزيّ في كتابهِ تفليس ابليس . فمن مثل هذه المقالات نشأ الاعتقاد في الشيطان عند اليزيدية والراجح ان احد شيوخهم اولع بهِ فشاع بينهم ثم زادوا فيهِ ما زادوه

اما تسميتهم لهُ بطاووس ملك وقولهم في مصحف رش « اول يوم خلق الله فيهِ هو يوم الاحد وخلق فيهِ ملكاً اسمهُ عزازئيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع » فلهُ اصل ايضًا وهو ما جاء في بعض الآثار عن كعب الاحبار وغيرهِ ويكثر ورودهُ في قصص الانبياء وبعض التفاسير من ان ابليس كان يسمى في السماء السابعة بعزازئيل وانهُ كان مجتهداً في العبادة حتى لم يترك من السماوات والارضين موضع شبر الاَّ سجد فيهِ فسمي لذلك طاووس الملائكة وانهُ كان سيّد الكروبين والروحانيين ورئيس خزنة الجنة

النتيجة

فيتبين مما تقدم أنّ تكوين هذه الطائفة كان على يد الشيخ عديّ بن مسافر في القرن السادس الهجريّ وانها سميت بالعدوية نسبة اليهِ ثم تسمّت بعد ذلك باليزيدية وأنّ منشأ الاعتقاد في يزيد بن معاوية منهُ فلا صلة لهم بيزيد ابن ابي أُنيسة ولا بنحلتهِ كما توهمهُ بعض الباحثين . وانّ طريقتهم تطوّرت بعد ذلك في اطوار فبدأَ فيها الانحراف في زمن الشيخ حسن بن عديّ ثم توالى عليها النقص والزيادة والتغيير والتبديل قرنًا بعد قرن حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن . ولعلّ فيما قدّمناهُ من الشواهد العديدة والادلة البيّنة ما يزيل الشكّ ويوضح الغموض الذي تكنّف هذه النحلة الغريبة وترك الناس في عمياء من امرهم حقبًا طويلة والله اعلم　　　احمد تيمور

الدكتور باستيان

كثرت وفيات العلماء رجال القلم في اواخر العام الماضي كأنهم ارادوا ان يجاروا اخوانهم رجال السيف . ومن اكابر العلماء الذين نعتهم المجلات العلمية الدكتور باستيان رصيف باستور وداروِن وهكسلي وتندل كما يعلم قرَّاء المقتطف من البحث في التولُّد الذاتي . توفي في السابع عشر من شهر نوفمبر الماضي فختمت بوفاته سلسلة العلماء الطبيعيين الذين كان لهم الشأن الاكبر في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وهو العصر الذي نشأ فيهِ المقتطف وترعرع

ولد سنة ١٨٣٧ ودرس الطب في جامعة لندن ونال الدبلوما الطبيَّة سنة ١٨٦٦ واختير لتدريس الباثولوجيا فيها ثم جُعل استاذاً في التشريح الباثولوجي سنة ١٨٦٧ فاستاذاً لعلم الطب وعملهِ سنة ١٨٨٧ . وكان ثقة في الامراض العصبيَّة لكثرة ما تعمَّق في درس وظائف الدماغ والاعصاب ولهُ كتاب «الدماغ آلة العقل» وهو كتاب نفيس ممتع يقع في اكثر من ٧٠٠ صفحة طبع ١٨٨٠ وكتاب الفالج وكتاب الافازيا اي فقد النطق . ولكن اكثر شهرتهِ متعلق بمباحثهِ وتجاربهِ في التولُّد الذاتي فانهُ كان من القائلين بهِ ولهُ رسائل ومقالات كثيرة في هذا الموضوع . وآخر ما نشرناهُ عن تجاربهِ في التولُّد الذاتي مقالة في مقتطف مارس سنة ١٩١٤ وخلاصة ما قالهُ في ذلك انهُ ولَّد بالامتحان بعض الاحياء البسيطة بعوامل طبيعيَّة وكيماوية كما تولَّدت المواد الحيَّة في غابر الزمن من مواد غير حيَّة . وان نشوء الحي من غير الحي لا يزال يتكرَّر على وجه الارض حتى الآن . ولا يُعلَم كيف يتم هذا التولُّد ولكنهُ يبدأ بتجمُّع دقائق المادة لتكوين ذرات اكبر منها ثم تكبر هذه الذرات حتى تصير ترى بالمكرسكوب القوي وتتخذ اشكالاً تشبه بعض انواع الاحياء البسيطة على طريقة تقرُب من تكوُّن البلورات . ويجب ان نثق باطراد النواميس الطبيعيَّة اي يجب ان نثق ان ما حدث في الماضي يحدث ايضاً في الحاضر والمستقبل فاذا كانت المادة الحيَّة نشأت من المادة غير الحيَّة في العصر الماضي بفعل الفواعل الطبيعية فهذا دليل على انها تنشأ اليوم ايضاً بفعل الفواعل الطبيعيَّة

الاَّ ان همَّة العلماء غير منصرفة الآن الى اعادة تجارب باستيان فهم لا ينكرون ان الاحياء تولَّدت في عصر من العصور على وجه هذه البسيطة من مواد غير حيَّة ولا ينكرون ان تولدها ممكن الآن اذا توفَّرت اسبابهُ ولكنهم يستبعدون الوصول الى هذه الاسباب واستخدامها . وقد كتب اثنان من باريس الى مجلة الصناعة الانكليزية حديثاً يقولان انهما جربا بعض التجارب حسب ارشاد باستيان فتولَّد بها بعض الاحياء

والدكتور باستيان من القائلين ايضاً بتولّد الانواع بعضها من بعض فجأةً ولهُ كتاب في ذلك وبقي الى قبيل وفاتهِ يبحث ويجرب قاصداً تأييد مذهبهِ في التولُّد الذاتي واقناع العلماء بهِ

وكان رضي الاخلاق يكرمهُ اخوانهُ العلماء الذين يخالفونهُ في رأيهِ كالذين يؤيدونهُ فيهِ لكبر همتهِ ولين عريكتهِ وسعة معارفهِ

الاستاذ رفائيل ملدولا

وقد خسر العلماء ايضاً خسارة فادحة بوفاة الاستاذ ملدولا العالم الطبيعي الكيماوي المشهور . توفي في السادس عشر من نوفمبر الماضي وهو من بيت يهودي من يهود اسبانيا والبرتغال الذين هاجروا الى انكلترا ويتصل نسبهُ باشعيا ملدولا الطليطلي المتوفَّى ١٣٤٠ اي منذ نحو ستمائة سنة وقد نشأ من هذه الاسرة كثيرون من العلماء والوجهاء وسميت باسم ملدولا نسبة الى مكان بهذا الاسم نزلهُ فرع منها في ايطاليا قرب رافنّا

درس في مدرسة الكيمياء الملكية واشتغل مع الدكتور ستنهوس في المبحث الكيماوي ثم درَّس في مدرسة العلوم الملكية لما كان الاستاذ فرنكلند رئيساً لها لكنهُ لم يقتصر على المباحث الكيماوية بل اولع ايضاً بالمباحث الطبيعية وساعد السر نورمن لُكيَر في البحث الفلكي بالسبكتروسكوب ورأس البعثة التي ارسلت لرصد كسوف الشمس في جزائر نيكوبار بخليج بنغال سنة ١٨٧٥ . ولكن اكثر اشتغالهِ كان في الكيمياء ولاسيما عمل الاصباغ وقد اكتشف اصباغاً كثيرة اشهرها الصبغ الازرق المعروف باسمهِ عند الالمان

وسنة ١٨٨٥ جعل استاذاً للكيمياء في كلية فنسبري الصناعيَّة فتخرج عليهِ كثيرون من الذين اشتهروا بالكيمياء علماً وعملاً وكان تلامذتهُ يكاتبونهُ دائماً ويستشيرونهُ في علومهم ومباحثهم فلا يبخل عليهم بفائدة حتى كان الجانب الاكبر من وقتهِ يقضى في مكاتبتهم

ورأس الجمعية الكيماوية وجمعية الصباغين وصانعي الاصباغ وجمعية الصناعة الكيماوية والمعهد الكيماوي وكان يخطب في هذه الجمعيات مبيناً اهميَّة المكتشفات العلمية في تقدُّم البلاد وحل المشاكل التي تعترض سكانها . وكثيراً لام الانكليز لانهم اغفلوا صناعة اصباغ الانيلين بعد ان اكتشفوها حتى استأثر الالمان بها وانذرهم بسوء العاقبة من جراء ذلك فايَّدت هذه الحرب انذارهُ

واقترح عليهِ دارون ان يترجم كتاب وسمن في مذهب النشوء فترجمهُ من الالمانية الى الانكليزية وارسل اليهِ ايضاً رسائل فرتز ملر من برازيل عن الحشرات وتقليدها فترجمها ايضاً وبذلك شاع مذهب وسمن في النشوء ومذهب ملر في التقليد وكان صديقاً لدارون وولس

قوات الدول المتحاربة

انشأ المستر سيموندس الكاتب الاميركي والناقد الحربي المعروف مقالة عن الجيوش التي عبأتها الدول المتحاربة في اول الحرب وما منيت به من الخسارة والموارد التي تستمد منها هذه الدول ما يقع في صفوف جيوشها من النقص وما يستنتج من ذلك كله في تعيين الزمن الذي تنتهي فيه الحرب ٠ قال :

كان للحلفاء في الاشهر الاولى من الحرب ٤ ½ مليون جندي في ساحات القتال وهم مليونان من الفرنسويين ومثلهم من الروس وربع مليون من السربيين و ١٥٠ الفًا من الانكليز و ١٠٠ الف من البلجيكيين

وكان للدولتين الجرمانيتين مقابلهم ٤ ½ مليون جندي ايضًا وهم ٣ ملايين من الالمان و ١ ½ مليون من النمسويين

وقد زادت جيوش الحلفاء في السنة الاولى من الحرب بدخول ايطاليا فيها ولكن الدولتين الجرمانيتين لم تزد جيوشهما المحاربة زيادة تذكر وكذلك دول الحلفاء عدا ايطاليا

والاعداد المذكورة آنفًا تمثل بوجه التقريب القوات التي تستطيع الدول المحاربة ان تبقيها في ميادين القتال على الدوام

وقد بلغ مجموع ما ارسلتهُ دول الحلفاء من المدد الى ميادين القتال لسد النقص الذي وقع في صفوف جيوشها والزيادة التي زادتها بريطانيا العظمى على جيشها نحو ٥ ½ مليون جندي وانزلت ايطاليا الى ساحة الحرب ٨٥٠ الف جندي ومجموع ذلك ٦ ملايين و ٣٥٠ الف جندي

وبلغت خسارة الحلفاء في السنة الاولى من الحرب ٦ ملايين و ٧٠٠ الف جندي منهم ٥ ملايين و ٦٠٠ الف خسارة دائمة او جنود لم يعودوا يصلحون للقتال لو وقعوا في الاسر ومليون و ١٠٠ الف خسارة وقتية او جنود اصيبوا بجروح وامراض خفيفة شفوا منها وعادوا الى استئناف القتال

اما خسارة الالمان والنمسويين فبلغت في السنة عينها ٦ ملايين و ٣٥٠ الف جندي منهم ٥ ملايين خسروهم خسارة دائمة ومليون و ٣٥٠ الفًا خسارة وقتية ٠ وقد اقتصرت المانيا والنمسا على ارسال ما يكفي من الجنود لسد النقص الذي وقع في صفوف جيوشهما او ٥ ملايين جندي فقط

ويبلغ ما عند الحلفاء الآن من القوات في ميادين الحرب $\frac{1}{4}$ ٥ مليون جندي يقابلهم $\frac{1}{2}$ ٤ مليون جندي عند الدولتين الجرمانيتين

وفي التالي بيان الخسارة كل دولة من الدول المتحاربة على حدة وهو

روسيا	٤٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٢٠٠٠٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠٤٠٠٠٠٠
ايطاليا	٠١٠٠٠٠٠
البلجيك	٠١٠٠٠٠٠
سربيا	٠١٠٠٠٠٠
المانيا	٣٣٥٠٠٠٠
النمسا	٣٠٥٠٠٠٠

فاذا اردنا ان نعرف الخسارة الدائمة لكل دولة من هذه الدول نقصنا من خسارتها الخمس على الاقل او الربع على الاكثر وهما يمثلان الخسارة الوقتية فيكون الباقي الخسارة الدائمة . اما روسيا فقد عظمت خسارتها بكثرة ما وقع من جنودها في الاسر و يقدر عدد الاسرى الروسيين في المانيا والنمسا بنحو مليونين اما الاسرى النمسويون الذين في روسيا فيبلغون مليونًا

قال الكاتب : واني اقدر ما للحلفاء من الجيوش الآن (في اكتوبر) في ساحات الحرب في اوربا بما يأتي

روسيا	١٥٠٠٠٠٠
فرنسا	٢٠٠٠٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠٧٥٠٠٠٠
ايطاليا	٠٧٥٠٠٠٠
سربيا	٠١٥٠٠٠٠
البلجيك	٠١٠٠٠٠٠

اما جيوش الدولتين الجرمانيتين فلم تزد على $\frac{1}{2}$ ٤ مليون جندي كما تقدم

واقدر ان للالمان في الميدان الغربي $\frac{1}{2}$ ١ مليون من الجنود مقابل مليونين من الجنود الفرنسويين و ٧٥٠ الفًا من الجنود الانكليز . و ١٠٠ الف من الجنود البلجيكيين . وان

في الميدان الشرقي ١ $\frac{1}{2}$ مليون من الجنود الروسيين واقفين في وجه ١ $\frac{1}{2}$ مليون من الجنود الالمان ومليون من الجنود النمسويين. وان للنمسو بين نصف مليون جندي في الجنوب يناوئون ٧٥٠ الف جندي من الايطاليين و ١٥٠ الفاً من السربيين

ولم اذكر في هذا الحساب القوات العثمانية وذلك لان الحسابات البريطانية والفرنسوية نفسها تغفل ذكر جنود المستعمرات والجنود الوطنية. نعم ان بعض هذه الجنود يحارب الآن في فرنسا وولاية فلندر ولكن هناك ما يقابلها من الجنود النظامية الانكليزية والفرنسوية تحارب في الدردنيل ويغلب على ظني ان للانكليز والفرنسويين في شبه جزيرة غليبولي جيشاً مؤلفاً من ٣٥٠ الف جندي يقابلهُ جيش عثماني مؤلف من ١٥٠ الفاً. اما خسارة الحلفاء في هذا الميدان فتزيد على مئة الف جندي وكذلك خسارة العثمانيين فانها مثل ذلك او اكثر واذا قومنا ما عند فرنسا وبريطانيا العظمى من جنود المستعمرات والجنود الوطنية بما عند تركيا من القوات تخلصنا من ادخال الفريقين في حسابنا هذا

***

اتضح لنا من البحث المتقدم معدل الخسارة التقريبية التي خسرها كل من الفريقين المتحاربين في السنة الاولى وقد بقي علينا ان نقدر ما عند كل دولة من الدول المحاربة من موارد الرجال حتى نتوصل من ذلك الى معرفة الزمن الذي تنضب فيهِ هذه الموارد اذا بقي معدل الخسارة جارياً على الوتيرة التي جرى عليها في السنة الاولى

اجمع الخبيرون على ان نسبة الرجال الذين يصلحون للخدمة العسكرية والقتال لا يزيدون على جزء من عشرة اجزاء من مجموع اية امة كانت وهذه النسبة اكبر مما استطاعت الولايات الشمالية في اميركا ان تجنده في الحرب الاهلية واقرب الى ما استطاعتهُ الولايات الجنوبية من هذا القبيل لانها ساقت آخر ما يصلح عندها من الرجال الى ساحات القتال

واذا جرينا على هذا القياس او النسبة في تقدير ما تستطيع كل دولة من الدول المحاربة تجنيده من رجالها رأينا انهُ كان في وسع المانيا ان تسوق الى الحرب ستة ملايين و ٧٠٠ من المقاتلة والنمسا خمسة ملايين وفرنسا اربعة ملايين

اما الحالة في روسيا فمختلفة عنها في سائر البلدان لاننا اذا قدرنا ما في روسيا من الرجال الصالحين للخدمة العسكرية بنسبة واحد الى عشرة بلغ مجموعهم سبعة عشر مليوناً ومثل هذا العدد الكثير يستحيل تسليحهُ واعدادهُ للحرب دفعة واحدة ولكنهُ مورد غزير تستمد منهُ روسيا من الاحتياطي بمقدار ما تستطيع تسليحهُ كل عام وقد استمدت منهُ في السنة الماضية ثلاثة

ملايين جندي وستظل تستمد منهُ مثل هذا العدد كل عام ما دامت الحرب شديدة والقتال دائراً

اما بريطانيا العظمى فالخدمة العسكرية فيها ليست اجبارية كما هي الحال في سائر البلدان الاوربية ولم يكن عندها قبل الحرب جيش كبير دائم ولا احتياطي وطني مدرب ومع ذلك فقد تمكنت من تأليف جيش من ثلاثة ملايين جندي في سنة واحدة ولكن ليس في وسعها ان تؤلف جيشاً عظيماً جديداً مثل هذا في كل سنة واذا طبقنا عليها القياس الذي قسنا بهِ ما تستطيع كل دولة تجنيده رأينا انهُ لم يبقَ في بريطانيا العظمى سوى مليون ونصف مليون من الصالحين للخدمة العسكرية ولا يظن ان في الامكان تجنيد هؤلاء كلهم الأ بجعل الخدمة اجبارية

وقد سبقنا فبينا ما لكل دولة من الدول المتحاربة من القوات في ساحات القتال ولكن وراء هذه القوات احتياطيًّا كبيراً جداً عند الحلفاء وهو مؤلف من $\frac{1}{2}$ ٢ مليون عند بريطانيا العظمى و ٩٠٠ الف عند فرنسا (٤٠٠ الف باقية من المقترعين السابقين و ٥٠٠ الف من مقترعي ١٩١٧) اما ايطاليا فلم تدع من جنودها سوى ٨٥٠ الفًا ولما كانت ايطاليا تستطيع تجنيد $\frac{1}{2}$ ٣ مليون جندي بحسب النسبة العشرية فيكون الباقي عندها مليونين و ٦٥٠ الف جندي لم يدعوا حتى الآن الى حمل السلاح ولكن لا يظن ان ايطاليا تستطيع تسليح هذا الجيش الكبير اذا جمعتهُ والانفاق عليهِ والمرجح ان لا يزيد الاحتياطي الذي تنزلهُ في سنة ١٩١٦ الى ساحات القتال على نصف مليون جندي . فيتضح من ذلك ان الحلفاء يمكنهم الاعتماد في العام القادم على احتياطي مؤلف من ٧ ملايين جندي ولما كان معدل خسارتهم $\frac{1}{4}$ ٥ مليون في السنة قياساً على معدلها في السنة الماضية وكان عندهم الآن في ميادين القتال مثل هذا العدد تماماً ظل صافي ما يبقى لهم من الجنود في آخر السنة القادمة ٧ ملايين

واذا جرينا على هذه القاعدة تماماً في حساب ما يبقى للالمان والنمسويين من الجنود في آخر السنة القادمة رأينا ان المانيا والنمسا كانتا تستطيعان تجنيد ١٢ مليونًا بحسب النسبة العشرية في شهر اغسطس في السنة الماضية . وان لهما الآن في ساحات القتال $\frac{1}{2}$ ٤ مليون جندي وان خسارتهما بلغت في العام الماضي ٥ ملايين جندي كما بينا ذلك آنفًا وجملة ذلك $\frac{1}{2}$ ٩ مليون جندي اذا طرحناها من ١٢ مليونًا وهو كل ما تستطيع هاتان الدولتان تجنيده بقي $\frac{1}{2}$ ٢ مليون جندي وهو الاحتياطي الذي تستطيع المانيا والنمسا الاعتماد عليهِ في العام القادم . يضاف اليهِ المقترعون في سنة ١٩١٧ وعددهم مليون و ٢٠٠ الف مجند فيكون مجموع

الاحتياطي الالماني والنمسوي في السنة القادمة ٣ ملايين و٧٠٠ الف جندي . فاذا اضفنا ذلك الى ما في ساحات القتال من الجنود الالمانية والنمسوية الآن وقدره ٤ ½ مليون جندي بلغ المجموع كله ٨ ملايين و ٢٠٠ الف جندي يطرح منهُ الخسارة في العام القادم بمعدل ٥ ملايين جندي فيبقى ٣ ملايين و ٢٠٠ الف جندي في آخر سنة ١٩١٧ عند المانيا والنمسا مقابل ٧ ملايين جندي عند الحلفاء عدا روسيا

فاذا فرضنا ان الالمان والنمسويين يستطيعون الاحتفاظ بخطوطهم الحالية الى اول اغسطس القادم فماذا تكون حالة كل دولة من الدول المتحاربة حينئذٍ من جهة الجنود الجدد اللازمين للحرب . ان عدد المقترعين السنوي في فرنسا يبلغ ٤٠٠ الف وفي بريطانيا العظمى مثل هذا العدد ايضاً وفي ايطاليا ٣٥٠ الفاً مع ما تنزلهُ من جيشها الكبير الذي لم ينزل الى ساحات القتال وقدرهُ مليونان و٦٥٠ الف جندي يقابل ذلك مليون و٢٠٠ الف مقترع عند المانيا والنمسا

ولكننا لم ندخل في حسابنا المتقدم روسيا وفي وسعها ان تنزل ٣ ملايين جندي الى ساحات القتال في كل عام على اعوام عديدة وهنا سر تفوق الحلفاء بل سر حرب التفاني التي وضعها الحلفاء نصب عيونهم من اول الحرب

فواضح مما تقدم من الارقام ان المانيا والنمسا لا تستطيعان ان تبقيا جيوشهما في ساحات القتال على قوتها الحالية او ٤ ½ مليون جندي بعد الربيع القادم بل ان هذه الجيوش ستنقص في اول شهر اغسطس القادم الى ٣ ملايين و٢٠٠ الف وتكون مضطرة حينئذٍ الى مناوأة ٧ ملايين جندي من الفرنسويين والانكليز والايطاليين عدا الملايين الثلاثة التي ستنزلها روسيا الى ساحات القتال حينئذٍ وما تنزلهُ ايطاليا من جيشها العظيم الذي لم تدع رجالهُ الى حمل السلاح

اما موارد الجنود في المانيا والنمسا فتقتصر حينئذٍ على المقترعين الالمان النمسويين فقط كما تكون الحال في فرنسا و بريطانيا العظمى ايضاً

وبعبارة اخرى انهُ لا يدخل شتاء سنة ١٩١٦ حتى يضطر الالمان والنمسويون الى تقصير خطوط قتالهم في الشرق والغرب بسبب ضعف جيوشهم وقلة عددها بالنسبة الى جيوش الحلفاء الجرارة

اما الحلفاء فلا ينتظرون حدوث تغيير عظيم في خطوط القتال الحالية قبل شهر اغسطس وليس في عزمهم ان يحدثوا فيها تغييراً الى ذلك الحين . ومن يعش يره

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الشيخوخة

اوصابها وحاجاتها

لو استطاع الناس التحرر من ربقة الامراض الوراثية لخلق كل مولود سويًّا لا عيب فيهِ ولا داء يخامرهُ لأَربت سنهُ على المئة الاَّ في النادر · وليس للوفيات المبتسرة من سبب سوى الجهل الاَّ حيث تعترض الفواجئ فلا ينفع فيها علم ولا حول · على ان الانسان تمكن بسعيهِ من تبديد بعض غياهب الجهل ومعرفة قواعد الصحة ومبادىء ما يسمونهُ بالهيجين ولكن لا تزال هناك سحب كثيرة متلبدة لا غنى لهُ عن تبديدها قبل الرتوع في بحابح الصحة الكاملة والانتقال من الاولى الى الاخرى انتقالاً طبيعيًّا سهلاً لا تحسب الحياة عندهُ نعمة صرفة ولا الموت نقمة مقيمة

وقد علقت بالاذهان عامةً فكرة مؤداها ان تناقص الوفيات واطالة متوسط العمر هما بمثابة اطالة الاقامة في هذه الدنيا مدة ليست بالقصيرة · وهذه الفكرة ليست صحيحة تماماً · ففي انكلترا مثلاً خفض متوسط الوفيات كثيراً وتخفيض ١ في الالف يعني الابقاء على ٤٠ الفاً ومعظم هؤلاء من الاحداث والشبان · فقد ظهر من بعض الاحصاءات ان نقص الوفيات منذ خمسين سنة بلغ ١٧ في الالف من الذين سنهم دون الخامسة والخمسين ولكنهُ لم يتجاوز ٢ في الذي جاوزوا تلك السن · ومعنى ذلك ان صغار السن حتى الكهول زادوا زيادة عظيمة والشيوخ لم يزيدوا الاَّ قليلاً

وقد تغيرت الامراض التي تصيب كبار السن عما كانت قبلاً او قل فتكها بهم · فالحمى على انواعها والجدري والسل اقل فتكاً بهم مما كانت من قبل ولكن وفيات السرطان زادت في اواخر القرن الماضي من ٣٥٠ الى ٥٨٠ في المليون ومعظم الذين يموتون بهِ من الذين سنهم فوق الخامسة والاربعين · وزادت امراض القلب من ٩٠٠ الى ١٦٠٠ في

المليون · والامراض العصبية من ٥٠٠ الى ١٧٠٠ · وامراض الكليتين من ٢٣٠ الى ٤٤٥

وربما كان الانكليز اكثر تعميراً كأُمة من كثير من الامم الاوربية · فمن كل الف بينهم يبلغ الخامسة والسبعين مئة نفس · والخامسة والثمانين ٣٨ نفساً · والخامسة والتسعين نفسان · وخمس الانكليز يبلغون السبعين في حين انهُ لا يبلغها من اهل فرنسا سوى الثمن · ومن اهل ارلندا سوى جزء من ١١ من السكان · وهي نسبة عالية اذا قيست ببعض البلاد المعروفة بارتفاع متوسط الاعمار فيها كنروج مثلاً حيث يبلغ السنّ المذكورة ثلث السكان

على ان اطول الناس اعماراً اهل غرب ايطاليا على ما يعرف . واشهر معمري الانكليز رجلان واحد اسمهُ بار وآخر جنكنس · اما الاول فيقال انهُ تزوج ثانية بارملة وهو ابن ١٢٠ سنة وكان يعمل في حقلهِ وهو ابن ١٣٠ · فلما نمي خبرهُ الى الملك بعث يطلبهُ وكان قد بلغ سن ١٥٢ فاعجب بهِ واولم لهُ وليمة فابدى فيها من الجشع والنهم ما اورثهُ تخمة قضت عليهِ · واما الثاني فيقال انهُ مات عن ١٦٠ سنة

ولا ريب ان سكان القرى اطول عمراً من سكان المدن فان عدد الذين يبلغون ٦٥ في الاولى ضعفا الذين يبلغونها في الثانية او اكثر · وكثيرون من اهل المدن يموتون بين ٤٥ و ٥٥ ضعفاً واعياء من غير ان يكون هناك مرض معيّن

وتختلف عادات المعمرين واطوارهم باختلاف امزجتهم واميالهم فقد روي ان القديس انطونيوس مات ولهُ من العمر ١٠٥ سنوات ولم يكن يأكل سوى شيءٍ يسير من الخبز المبلول بالماء ولم يغتسل في زمانهِ ولا بدّل ثيابهُ · وعاش ذلك العمر كلهُ معتزل الناس في الصحراء اما شفرل الكيماوي الفرنسوي فبلغ تلك السنّ تقريباً وكان كثير التأنق في اكلهِ ونظافة بدنهِ وكان يسكن قلب باريس · وكثيرون يعمرون مع ادمانهم للخمر والدخان والانقطاع عن ترويض اجسامهم· فقد عرف عن انكليزي انهُ عاش ١٠٥ سنين ولم يروّض جسمهُ بعد بلوغ السبعين وكان عشاؤُهُ على الدوام لحماً وخمراً كثيراً

والنساء اكثر تعميراً من الرجال · ففي سنة ١٨٧٣ مات في انكلترا ٨٩ نفساً بلغوا المئة او جاوزوها منهم ١٠ رجال فقط · وسبب ذلك ان النساء اقدر على مقاومة الامراض واقلّ تعرضاً للفواجيء وعواقبها · ففي هذه الحالة ترجح كفة الاناث على الذكور في العدد ولكن يعيد التوازن الى كفتي الميزان كون المواليد السنوية من الذكور اكثر من الاناث

وقد دلّ البحث على ان للتعمير شرطين : الاول كون الجسم صحيحاً في الاصل وخالياً

من المرض واسباب الضعف · والثاني عدم تعرضهِ للامراض والآفات المختلفة · وظهر من البحث في احوال ٥٠٠ شخص بلغوا الثمانين في انكلترا ان معظمهم اولاد آباء واجداد عرفوا بطول اعمارهم ونظافة مساكنهم وحسن قابليتهم وهضمهم لطعامهم واعتدالهم في مأكلهم وعدم شربهم الكحول والدواء الاَّ في احوال نادرة ونومهم نوماً هادئاً وخلوّهم من الروماتزم وفروعهِ · والغريب فيهم ان ٨٢ منهم كان آباؤُهم مسلولين

وللحرَف تأثير عظيم في طول العمر وقصره · فقد وجد ان بعض اهل الحرف اليدوية في مدن انكلترا الصناعية يبلغون اشدّ قوتهم في اعمالهم وهم في سنّ الثلاثين فصانع الازرار مثلاً يصنع نحو ٦ آلاف زرّ يوميًّا وهو في سنّ الثلاثين او نحوهِ · وبعدها يتناقص ما يعملهُ منها شيئاً فشيئاً · ومثل هذا يقال في الحائك والفخّاري وغيرهما من اهل الحرف الدنيئة

وما يقال عن هؤُلاء يقال عن العمَّال صُنُع الايدي اي الحاذقين في حرفهم · فان العامل الصناع من عمال الازرار الذي يحصل تسعة جنيهات في الشهر اجرة عملهِ وهو في الاربعين لا يحصل سوى $\frac{1}{2}$ ٧ جنيه متى بلغ الخامسة والاربعين · و$\frac{3}{4}$ ٤ جنيه متى بلغ الخامسة والخمسين · و ٤ في الخامسة والستين · وصانع السكاكين (المطاوي) في معامل شفيلد يجب ان يضرب ٢٨ الف ضربة صائبة بالمطرقة كل يوم فلا عجب اذا رأَينا اعصابهُ تضعف وعضلاتهِ تضمر وهو في عنفوان شبابهِ

اما الفنون العالية التي لا تقتضي اجهاداً كثيراً فان صاحبها يتمتع بكامل قوتهِ بعد ان يبلغ من الكبر عتيًّا · فميخائيل انجلو المصور الايطالي الشهير رسم رسوماً بديعة وهو في الرابعة والثمانين · وكان المصور تيتيان يصور صورة كبيرة لما دهمهُ الطاعون فاماتهُ ولهُ من العمر ٩٩ سنة

والغالب ان الجسم يتغير بين الخمسين والمئة تغيراً ثابتاً يشبه تغيرهُ بين السنة الاولى والخامسة والعشرين ولكنهُ ابطأُ منهُ وفي جهة الزوال · اي انهُ يقلّ مادةً وهمة وقوة على التوالي · فالعظام تخف والعضلات تضعف والهمة تصغر · وتفقد القابلية والاسنان على نسبة فقد القوة الهضمية · وفي هذه الحالة تتوقف الصحة على تناقص ثقل الجسم وقوتهِ وهمتهِ تناقصاً متساوياً في الثلاثة · وعليهِ كان الشيخ الهزيل احسن صحة من السمين

اما القوى العقلية فتبقى على الغالب سليمة في الشيوخ · لان الدماغ يبقى على نموّ بعد بلوغ الجسم منتهى قوتهِ ولذلك يبلغ اشدّهُ غالباً والجسم آخذ في الهبوط · هذه هي حالة الذين يشغلون عقولهم · اما الذين يقتصرون على الاعمال اليدوية فان انحطاط اجسامهم يصحبهُ

انحطاط عقولهم . فحص ٨٠٠ من الشيوخ فوجد ان معظمهم ميالون الى السكون والمسالمة ونصفهم من اهل اليسار . وثلاثة ارباعهم نبهاء وعشرهم من اهل المدارك الواطئة . واربعة منهم مصابون بعسر هضم . ولا مشاحة ان سير القوى العقلية سيراً طبيعياً مقروناً ببعض ذكاء فطري يفضي الى اطالة العمر

على ان الذكاء المفرط محسوب على صاحبهِ من عمره فان النوابغ الذين عمّروا قليل عديدهم واهل العبقرية يموتون صغاراً الاَّ في القليل النادر . ذلك بان الرجال كالمواقد كلما اضطرمت نارها اسرع انطفاؤُها

واعمالنا في هذه الحياة الدنيا تستقرّ على حال واحد وتزداد كل يوم ثبوتاً بصيرورتها عادات حتى نبيت في آخر الامر كالآلات نعمل اعمالنا ولا نكاد نفكر فيها . وهذا يفضي الى اضعاف قوة الارادة فينا والنتيجة ان حركتنا ونشاطنا يبطئان شيئاً فشيئاً ثم يتوقفان قبل توقف الجزء الحيواني منّا عن عملهِ . وبعبارة اخرى اننا نبقى نتنفس ونهضم طعامنا ونمثلهُ في حين ان حركتنا ورياضتنا تتعذران علينا . وكثيراً ما يحدث ان يبيت المرء على شفا قبرهِ ولا يبقى منهُ الاَّ العمل الآليُّ الصرف . فالذين يموتون حتف انوفهم انما يطأون عتبة الابدية خفافاً فلا يشعرون بانتقالهم اليها من دار هذا العمر

***

والشيخوخة ذات مزايا وعيوب ككل شيء غيرها . فالشيخ قلما يصاب بصنف من اصناف الحمى او بداء حادّ معدٍ . وبعد الثمانين لا يصاب بمرض ما في الغالب . هذه بعض مزاياه. اما عيوبهُ فمنها ان عظامهُ تمسي خفيفة سريعة الانقصام فيسهل بذلك تعرّضها للانكسار ولكنها تجبر حتى في سن المئة وان يكن جبرها اصعب من جبر عظام الصغار

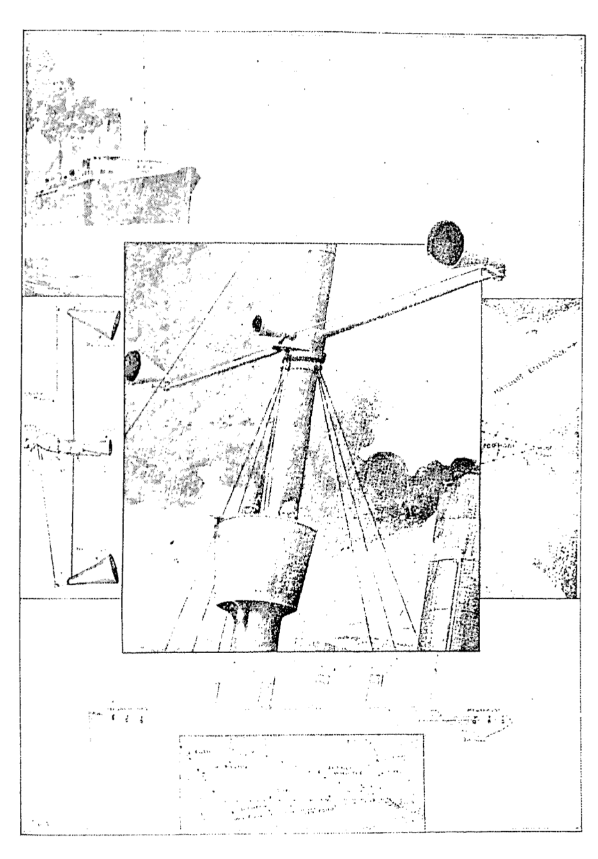
ومما يستحق الذكر ان جروح الشيخ وقروحهُ اسهل التئاماً واندمالاً من جروح الصغار وقروحهم . واذا اصيب الشيخ بالشلل او الصرع او ذات الرئة او الحمرة او احتقان الدماغ شفي منها سريعاً على الغالب . وكثيراً ما لا يصاب باحدها فيبلغ المئة من سنيهِ بين عائلة مات فيها كثير من اولادهِ وحفدتهِ بالحمى او الدفثيريا او غيرهما . وتعليل ذلك ان اعضاءنا اذا عملت معاً عدداً كثيراً من السنين ظهر فيهِ انها متلائمة لا خلل في احدها فمن الصعب طروء الخلل عليها وتقويض نظامها . واذا مات الشيخ حتف انفهِ بعد عمر طويل فقد موتهُ كثيراً من المظاهر المؤلمة التي ترى على صغار السنّ من طول المرض واشتداد النزع . فقد يبيت في سريرهِ نشيطاً جذلان ثم يصبح في اليوم التالي جثة هامدة

قلنا فيما تقدم ان للاعمال والحرف المختلفة تأثيراً في طول العمر او قصرهِ · وبياناً لذلك نقول انهُ ظهر من بعض الاحصاءات في انكلترا ان رجال الدين اطول الانكليز عمراً وظهر ان وفيات الذين يدمنون المسكر هي بين ٢١ و ٣٠ من سنهم خمسة اضعاف ما بين ٣٠ و ٤٠ من سن الذين لا يشربون مسكراً · وهاك جدولاً يبين الحد الذي يبلغهُ السكيرون وغيرهم على الغالب في اعمارهم المختلفة

الاعمار	السكيرون يعيشون فوقها	غيرهم
٢٠	١٥ سنة	٤٤ سنة
٣٠	١٣ «	٣٦ «
٤٠	١١ «	٢١ «
٥٠	١٠ «	٢١ «
٦٠	٠٩ «	١٤ «

وهاك جدولاً آخر يبين متوسط الوفيات في اهل الحرف المختلفة بين الانكليز على حساب ان متوسط الوفيات في انكلترا كلها ١٨ في الالف كل سنة

رجال الدين	٠٩ ½ في الالف
الفلاحون	٠١ «
الاساكفة	١٢ «
الحدادون	١٦ «
البدالون (قبل رخصة بيع المسكر)	١٦ «
النجارون	١٧ «
كتبة المحلات التجارية	١٨ «
المعدنون	٢٠ «
الخبازون	٢١ «
البدالون (بعد رخصة بيع المسكر)	٢١ «
الجزارون	٢٣ «
صانعو البيرة	٢٤ «
سائقو المركبات واصحاب الفنادق	٢٨ «
النُدُل وسائر خدمة الفنادق	٣٢ «



آذان السفن

مقتطف يناير ١٩١٦
امام الصفحة ٧٩

ولننظر الآن في وسائل التعمير فنقول :

كلما ابعد المرء عن سن الخمسين قلّت حاجتهُ الى الطعام الكثير فان كورنارو الايطالي الذي عاش مئة سنة لم يكن يأكل في اخريات عمرهِ سوى اوقية من الطعام الجامد و ١٤ من السائل كلّ يوم · واعظم مرض اصيب بهِ كان بسبب زيادة طعامهِ طوعاً لالحاح اهلهِ . اما اقلال الشيخ من الطعام فسببهُ قلة احتياجهِ اليهِ لقلة حركتهِ ورياضتهِ . وليست العبرة في توليد الحرارة بالوقود الذي يوضع في الموقد بل بالمقدار الذي يحترق منهُ · وكلما شابه طعام الشيخ طعام الطفل كان ذلك خيراً لهُ وابقى على حياتهِ · وافضل طعام للشيوخ قليل من الخبز واللبن السخن والعسل والاثمار الناضجة او المطبوخة والزبدة الجديدة والشوربة · والطعام السخن خير من البارد . والثاني مئة الذين تقدمت الاشارة اليهم وقيل انهم بلغوا الثمانين من عمرهم وجد ان نحو ثلثيهم كانوا معتدلين في اكلهم ونحو الثلث كانوا مقلين ونفراً قليلاً كانوا مفرطين· واذا رأى الشيخ انهُ يزداد سمناً وثقلاً فالواجب عليهِ ان يقلل طعامهُ · ومما يحتاج اليهِ فوق قيلولة الظهر نومة قصيرة بعيد طعام الصباح واخرى قبيل الغداء

ويجب ان يكون لباسهُ خفيفاً دافئاً وثيابهُ التحتانية من الصوف · وان يدفأ سريرهُ في الشتاء بزجاجة او كيس من الماء الحارّ · فان معظم وفيات الشيوخ تحدث في ساعات الليل الاخيرة حينما تكون حرارة الجسم وقواهُ على اضعفها

ويجب ان يستحمّ الشيخ بالماء الفاتر كل يوم وبماءٍ اسخن منهُ مرتين في الاسبوع · ولا يجلس في المجاري الهوائية · ولا يبكّر في النهوض من سريرهِ صباحاً · ولا يستحمّ بالماء البارد

ومن مقتضيات طول العمر طبع بارد وخلق طيب وقناعة غير محدودة · وكلما اشبهت الشيخوخة الطفولة كانت اقرب الى المحجّة واوفى بالوظيفة وليس هذا الشبه في النزق والجهل بل في الثقة العمياء والمحبة والبعد عن الهموم والقرب من دواعي السرور

التهاب الحلق

يصحب التهاب الحلق المشار اليهِ في الكلام على الزكام في اوائل هذا الجزء حمّى خفيفة وشيء من الصداع والسعال · وقد يشتدّ السعال ويكون مؤلماً والغالب ان تزول هذه الاعراض بعد يومين او ثلاثة ولكن الالتهاب قد يمتدّ الى اللوزتين ولا خطر منهُ ولكنهُ مؤلم متعب ويحسن حينئذٍ تناول مسهل سريع الفعل عند اول الشعور بهِ فيزول او تقصر مدتهُ هذا اذا كان سطحيًّا واما اذا كان غائراً وهو المعروف بالتهاب اللوزتين التقيحي اي

المصحوب بتكون الصديد فيها فشديد الألم جدًّا لانهُ يشمل اللوزتين وما يتصل بهما حتى يتعذَّر البلع والنوم من شدَّة الألم (النقز) لكن الصديد الذي يتكون حينئذٍ في اللوزتين من قتل خلايا الدم لميكروبات الداء يخترقها ويخرج منها وحينئذٍ يسكن الألم ويزول الالتهاب رويداً رويداً . ولا فائدة من العلاج في هذه الحالة الاَّ لتخفيف الألم كوضع اللبخ السخنة على العنق واستنشاق البخار السخن من ماء اضيف اليهِ مادة مضادة للفساد . واذا تكرر التهاب اللوزتين التقيحي فلا ضرر من قطعها والتخلص منها

الاعتناء بالشعر ومنع الصلع

لا يُعلَم الغرض من نمو الشعر في الراس وفي بعض اجزاء البدن ولا ما هي الفائدة من نموهِ طويلاً الى الحد الذي يطول اليهِ لو ترك كما يطول شعر النساء . ولا ما هي اسباب الشيب والصلع ولكن يعلم ان حياة كل شعرة من شعر الراس محدودة وهي على الاطول سنتان ولذلك لا خوف من وقوع الشعر يوماً بعد يوم الاَّ اذا لم ينمُ شعر آخر بدل الشعر الذي وقع

ولمنع الصلع وضعف الشعر واسطتان فعَّالتان الاولى الاعتناء بالصحَّة العامَّة فان الصحيح البدن يكون صحيح الشعر في الغالب والضعيف البدن يكون ضعيف الشعر في الغالب . وقلنا في الغالب لان شعر بعض نحاف الاجسام المعرضين للسل قد يكون غزيراً طويلاً كاحسن ما يكون ولكن هذا قليل لا يقاس عليهِ . اما كون ضعف البدن يضعف الشعر فلان الشعر جسم حي يغتذي من الدم كسائر اعضاء الجسم فاذا لم يغتذِ جيداً ضعف اصلهُ وسقط باكرًا وقد لا ينمو شعر آخر بدلاً منهُ حينئذٍ

والثانية تنظيف جلد الراس وفركهُ يوميًّا بفرشاة تحركهُ وتهيجهُ حتى تسرع الدورة الدموية فيهِ فان ذلك بمثابة ترويض اليدين بالعمل والرجلين بالمشي . وما الادهان والغسولات المختلفة الاَّ وسائل للتنظيف والتهييج فهي كالفرشاة من هذا القبيل ولا بدَّ من استعمال الفرشاة معها فتتضاعف فائدتها . هذا اذا كان ضعف الشعر وسقوطهُ طبيعيين ناتجين عن ضعف البدن والدورة الدموية واما اذا كانا ناتجين عن مرض في جلد الراس فلا بدَّ من عرض الامر على طبيب ماهر في امراض الجلد لكي يبحث عن العلَّة ويعالجها

باب الصناعة

آذان السفن

تبارى صانعو السفن التجارية في كبر حجمها وزيادة سرعتها فزاد تعرضها للمخاطر وهلاك نفوس كثيرة من ركابها اما باصطدامها بقطع الجليد الجارية في البحر كما اصاب الباخرة تيتانك او باصطدامها بعضها ببعض او بالصخور التي يحجب الضباب رؤيتها . وفي كل حال لو كان للسفينة اذنان تسمع بهما لادركت الخطر قبل الوقوع فيهِ من انعكاس الاصوات عن مصدر الخطر . ولو كان للسفن كلها آذان للسمع لاستجار بعضها ببعض كلما ادركهُ الخطر

ويزيد الخطر على السفن وقت تكاثف الضباب فان كل سفينة تنفخ في بوقها حينئذٍ حتى تسمعهُ سائر السفن وتحيد عن طريقها فلا يصدم بعضها بعضاً ولكن سمع صوت البوق يتوقف على حدة سمع الرقيب ومقدرتهِ على تعيين جهة الصوت وبعد مركزهِ . وتعيين الجهة والبعد من اصعب الامور ولا سيما وقت الضباب واشتداد العواصف

وقد استنبط احد المخترعين الاميركيين ابواقاً تجمع امواج الصوت حتى يسمع جيداً ولو كان على عشرين ميلاً ويُوصَل بوقان من هذه الابواق بطرفي انبوب طويل متصل بسارية السفينة معارضاً لها كما ترى في الشكل المقابل فيكونان كاذنين للسفينة وهما متصلان بمخل يحركها فتتقارب فوهتاهما او تتباعدان . والمخل متصل بدليل يمرُّ على دائرة مقسومة الى اجزاء تدلُّ على الاميال واجزاء الميل . والمخل يديرهُ الرقيب وهو جالس في وكنة السارية كما ترى في الرسم . فاذا تلبد السحاب او الضباب جعل هذا الرقيب يدير العارضة التي فيها البوقان الى كل جهات الافق حتى اذا سمع صوتاً ولو خفيفاً من جهة ما ابقى البوقين متجهين اليها وادار المخل حتى تتقارب فوهتاهما او تتباعدا ولا يزال يفعل ذلك الى ان يسمع الصوت على اشدهِ من البوقين وحينئذٍ يكون مركز الصوت واقعاً في المحور بينهما اي تكون العارضة التي بين البوقين قاعدة مثلث متساوي الساقين احدى ساقيهِ خط مرسوم من احد البوقين الى مصدر الصوت والساق الاخرى خط مرسوم من مصدر الصوت الى البوق الآخر . ويدلُّ الدليل حينئذٍ على بعد مصدر الصوت عن السفينة بالميل واجزاء الميل ويكون في وسط العارضة بين البوقين بوق ثالث وهو لتقوية الصوت الضعيف وهذا البوق يدور مع

العارضة فتسمع بهِ الاصوات البعيدة كاصوات تنفّس الامواج على قطع الجليد

وتوسَّل المخترع بوسيلة اخرى للاستدلال على مصادر الخطر بالتدقيق التام وهو انهُ ركَّب الابواق في طرفي السفينة مقدمها ومؤَخرها كما ترى في السفينة المرسومة في اسفل الشكل فصار طول السفينة قاعدة لمثلث ومتى عرفت الزاويتان اللتان تتجه بهما الابواق في الجانبين عُرف البعد بين السفينة ورأس المثلث الذي هو مصدر الصوت.

ومن المرجح ان هذه الطريقة لمعرفة مصدر الصوت تستعمل لمعرفة اماكن الطيارات ونحوها من الآلات التي يصدر منها صوت ولو كانت ابعد من ان ترى بالعين او لو حجبت عن العيون بالضباب او بالسحاب . ولو كان البعد بين اذني الانسان كبيراً لسهل عليهِ ان يعرف بعد مصدر الصوت كما يسهل عليهِ ان يعرف جهتهُ في غالب الاحيان

التلفون اللاسلكي

والتخاطب بهِ عن ابعاد شاسعة

دأب كثيرون من اهل الاختراع منذ بضع سنين في اختراع تلفون يستطيع الناس التخاطب بهِ على ابعاد شاسعة تقاس بالوف الاميال . وكانت العقبات التي تعترض في هذا السبيل كثيرة اهمها ضعف الميكروفون العادي عن احتمال المجاري الكهربائية اللازمة لنقل الصوت بوضوح وجلاء الى اماكن سحيقة . وقد سهّل على الباحثين مهمتهم هذه علمهم بان التخاطب عن بعد كثير ليس مستحيلاً بالذات بدليل ان النغمات الموسيقية تنقل بين الاماكن المتباعدة من غير ان تفقد شيئاً من قوتها وموسيقيتها

ومع عظم داب المخترعين في اختراع هذا التلفون لم يوفق احد منهم الى ايصال الصوت الى اكثر من مئات من الاميال حتى اعلنت شركة التلفون والتلغراف الاميركية انها فازت باكتشاف طريقة يمكن التخاطب بها على الوف الاميال . واقامت التجارب في ٢٩ سبتمبر الماضي بمراقبة الحكومة الاميركية تأييداً لزعمها فارسلت الرسائل التلفونية اللاسلكية من محطة للحكومة قرب وشنطن الى مكان قرب سان فرنسسكو غرباً والبعد بين المكانين ٢٥٠٠ ميل . واغرب من ذلك ما اذيع في اليوم التالي لهذه التجارب من ان مهندساً للشركة مقيماً في جزيرة هاواي احدى جزر هونولولو في الباسيفيكي سمع كل ما دار من الكلام بين المحطتين المشار اليهما آنفاً والمسافة بينهُ وبين وشنطن ٤٩٠٠ ميل اي نحو ضعفي المسافة بين وشنطن وسان فرنسسكو

الاعضاء الصناعية

مقتطف يناير ١٩١٦
امام الصفحة ٨٢

فعلى ذلك اصبح التخاطب بالتلفون اللاسلكي ممكناً بين العاصمة الاميركية والعواصم الاوربية حتى بترغراد اقصاهنَّ شرقاً اذ المسافة بينها وبين وشنطن تبلغ نحو خمسة آلاف ميل

ومما يذكر في هذا الصدد امكان استخدام التلفون العادي بالاتحاد مع التلفون اللاسلكي في التخاطب على مسافات بعيدة. فان رئيس الشركة المذكورة تكلم من مكتبهِ في نيويورك بالتلفون العادي مع المحطة اللاسلكية قرب وشنطن وهذه نقلت كلامهُ الى المحطة اللاسلكية عند سان فرنسسكو. فلا يبعد والحالة هذه ان يتمكن الناس بعد زمان وجيز من مخاطبة السفن الماخرة في عرض البحار والاصقاع النائية في جميع جوانب الكرة وهم جالسون في منازلهم ومكاتبهم وعدد التلفون العادية امامهم

اما المهندسون الذين تمَّ هذا العمل الكبير على ايديهم فلا يدعون انهم اخترعوا شيئاً جديداً بل يعترفون ان الاختراع قديم ولكنهم اتقنوهُ واتموهُ واضطروا في هذا السبيل الى اختراع ادوات وحيل كثيرة لم تكن معروفة

ومما يزيد فائدة هذا الاختراع انهُ يمكن استعمالهُ في الاعمال والاشغال التجارية العادية من غير ادخال تغيير كثير على نظام التلفون العادي . فان التجارب التي جربت في نيويورك كما تقدم القول دلّت على ان التلفون اللاسلكي لا يلغي التلفون العادي ويقوم مقامهُ بل ان كلاًّ منهما يكون متمًّا للآخر ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد في المال والوقت

الكيمياء وقت الحاجة

يدَّعي الالمان ان علماء الكيمياء منهم اكتشفوا غازاً اخف من الهيدروجين ولا يحترق مثلهُ فيملأُون بهِ بلوناتهم التي من نوع تسبلن فتكون بمأمن من الانفجار اذا اصابتها قنابل الاعداء وانهم استعملوا مزيجاً من الكحول والبنزول بدل البترول واستعملوا الورق بدل القنَّب وصنعوا الجلد واللستك صنعاً واكتشفوا ميكروباً يفعل بالسكر ويحيلهُ دهناً وابدلوا القطن بالخشب في عمل المفرقعات وهلم جرًّا . ومن المحتمل انهم فعلوا ذلك كلهُ ولكن اهتمام الالمان بجلب الاطعمة والبترول واللستك والقطن من الخارج يدلُّ دلالة قاطعة على ان نفقة الاعمال الكيماوية التي تعمل بها هذه المواد كبيرة جدًّا تزيد على ثمنها لو جلبت من الخارج

خمر ولا سكر

وصفت مجلة الزراعة الايطالية (ايطاليا اغريكولا) خمراً جديدة فيها كل صفات الخمر وفوائدها ولكنها لا تسكر مطلقاً لانها خالية من الالكحول (السبيرتو) وهي خمر عادية يخرج الالكحول منها بالاستقطار بعد ان يخفف ضغط الهواء عنها اي انها توضع في آنية و يفرغ الهواء من فوقها حتى يتبخر ما فيها من الالكحول

الاعضاء الصناعية

مهر الاوربيون في عمل الارجل الصناعية قبل هذه الحرب فقد رأينا رجالاً يمشون واحدى رجليهم صناعية وقلما يظهر فرق بين مشيهم ومشي غيرهم ولكن هذه الحرب علمتهم عمل الايدي الصناعية ايضاً . ويقال ان اليد الصناعية تتحرك وتحرك اصابعها وتعمل بعض الاعمال كاليد الطبيعية وان بعض الجنود قطعت رجلاهم فوضعوا رجلين صناعيتين واستطاعوا ان يمشوا عليهما . واخبرنا بعض القادمين من باريس حديثاً انهُ لا يندر الآن ان ترى في الشوارع رجالاً بارجل صناعية او بايدٍ صناعية ولا يظهر على الواحد منهم انهُ مستاءٌ ممَّا حلَّ بهِ بل يحسب انهُ نال ما يفتخر بهِ على اقرانهِ

وفي الصفحة المقابلة صور بعض الايدي والارجل الصناعية وهي منقولة اصلاً عمَّا نشر في جريدة لندن المصورة . فالصورة المدلول عليها بالرقم ١ صورة ساق وقدم وقد شطرت الساق ليظهر ما في باطنها من المفصلات والاربطة والعدد التي تحرك الركبة عند المفصل فتنطوي عند المشي كما تنطوي الركبة الطبيعية . والشكل ٢ صورة تركيب مفصل الركبة . والشكل ٣ صورة القدم الصناعية وما في داخلها من المفصلات والمحركات . والشكل ٤ صورة الساق الصناعية من ظاهرها . والشكل ٥ صورة منظر خلفي لكيفية ربط الذراع الصناعية مكان الذراع الطبيعية المبتورة . والشكل ٦ صورة منظر امامي لها . والشكل ٧ صورة ما في داخل الذراع الصناعية من المحركات والعدد . والشكل ٨ ما في داخل الاصبع الصناعية من الآلات . والسيور والاربطة التي ترى في شكلي ٥ و٦ تربط فوق العضلات الكتفية فاذا تقلصت هذه العضلات احدثت حركة في المحركات الداخلة في جوف العضو الصناعي فتنتقل الى الاطراف فتحدث حركات تحاكي الحركات الطبيعية



الصادرات الزراعية

بلغت قيمة صادرات القطر المصري الى آخر نوفمبر الماضي ٢٢ ٥٦٢ ٨٢٣ جنيهاً مقابل ذلك في العام السابق ٢١ ٣٤٥ ٣٦٠ فزادت ١ ٢١٧ ٤٦٣ مع ان اشهر الحرب في عام ١٩١٤ كانت اربعاً فقط

وقد شملت الزيادة أكثر صادرات القطر الزراعية المهمَّة ما عدا القطن والرز كما ترى في هذا الجدول وكلهُ بالجنيهات المصرية

الصادرات المهمَّة التي زادت قيمتها

	١٩١٥	١٩١٤	الزيادة
القمح	٠٤٤١ ٢٥١	٠٠٠٠ ٨١٢	٤٤٠ ٤٣٩
السكر	٠٥٤٢ ٦٢٩	٠١٥١ ١٥٦	٣٩١ ٤٧٣
الذرة	٠٢٦٤ ٣٩٦	٠٠٠١ ٤٦٩	٢٦٢ ٩٢٧
الفول	٠٢٥٠ ٦٥١	٠٠٠٥ ٩١٩	٢٤٤ ٧٣٢
البيض	٠٣٦٦ ٣٣٦	٠٢٠٢ ٦٩٣	١٦٣ ٦٤٣
الكسب	٠٤٣٤ ٣٢٦	٠٢٧٩ ٨٩٥	١٥٤ ٤٣١
العدس	٠١٣٤ ٩٨٧	٠٠٠٣ ٤٧٩	١٣١ ٥٠٨
البزرة	٢٠٣٦ ٢٧٥	١٩١٨ ٠٣٨	١١٨ ٢٣٧
زيت القطن	٠٠٧٧ ٣٩٧	٠٠١٦ ٧٢٤	٠٦٠ ٦٧٣
الجلد	٠٢٦٨ ٦٨	٠٢٢٠ ١١١	٠٤٧ ٩٥٧
الصمغ	٠٠١٨ ٧٦١	٠٠١٣ ٨٢٥	٠٠٤ ٩٣٦
البصل	٠٣٤٨ ٤٩١	٠٣٤٨ ٣٧٨	٠٠٠ ١١٣

الصادرات المهمة التي نقصت قيمتها

	١٩١٥	١٩١٤	النقص
القطن	١٥.٥٣٩ ٧٩٨	١٦ ٧٤٨ ٢٧٤	١ ٢٠٨ ٤٧٦
الرز	٠٠٠٠٧ ٨٠٩	٠٠١٤٢ ٧٢٥	٠٠٦٤ ٧٠٦

وواضح من ذلك ان في طاقة القطر المصري ان يصدر جانباً كبيراً من حاصلاتهِ الزراعية غير القطن اذا زادت عن مقطوعيتهِ ولكن اذا كانت هذه الزيادة ناتجة عن تقليل المساحة التي يزرع فيها القطن فمحصول القطن اثمن من محصول الحبوب الاَّ اذا ضرب القطن بدودة اللوز كما حدث في الموسم الاخير

ري القطن في مديرية الفيوم

جرت مصلحة الري على قاعدة غريبة في توزيع الماء الصيفي في مديرية الفيوم لم تبنها على حقيقة زراعية كأن لا علاقة لماء الري بالزراعة مطلقاً فامرت بان تجري مياه الري الصيفي في البحر من ابحر الفيوم عشرة ايام وتقطع عنهُ عشرة ايام وصنعت لكل صاحب طين فتحة يجري منها الماء الى اطيانهِ وقالت انهُ يجب ان يروي في العشرة الايام كل ما يحق لهُ زرعهُ من القطن. والغالب ان هذا الماء لا يكفي الاَّ خمس اطيانهِ فاذا كان يملك الف فدان فالماء الذي يصل اليهِ في العشرة الايام لا يكفي الاَّ لري ٢٠٠ فدان منها فاذا زرع ٣٠٠ فدان قطناً اضطرَّ ان يترك ١٠٠ فدان منها من غير ري . ونحن قد خبرنا ذلك في بحر واحد من ابحر الفيوم وهو بحر سنهور ولا ندري أهو خاصٌّ بهِ او عامٌّ لكل البحور

ومما هو من الغرابة بمكانٍ عظيم ايضاً ان المدة بين كل رية والتي تليها عشرون يوماً على الاقل كأن اطيان الفيوم المنحدرة التي يتسرَّب الماء منها بسرعة اصلح لاحتمال العطش من اطيان الوجه البحري المنبسطة ولا ندري على اي قاعدة زراعية بنت مصلحة الري ذلك.

اما نحن فانتبهنا منذ سنتين الى ان بعض المزارعين عندنا يجني الواحد منهم من فدان القطن اكثر من عشرين قنطاراً صغيراً (نحو سبعة قناطير كبيرة) وجارهُ الذي اطيانهُ مثل اطيانهِ تماماً وايجار الاثنين واحد لا يجني من الفدان اكثر من ١٢ قنطاراً صغيراً . وكنا نحسب ان الفرق بين الاثنين عائد الى الخدمة فقط اي الى الحرث والعزق والسماد فان الاول كان يحرث اطيانهُ مراراً قبل زرعها ويسمدها ثم يعزقها اربع مرات والثاني قلما يحرثها ولا يسمدها ولا يعزقها الاَّ مرتين ولكن بلغنا ان الاول لا يكتفي بارواء قطنهِ مرةً كل عشرين يوماً بل يرويهِ في اول ايام الري العشرة وفي آخرها ايضاً لقلة ما يزرعهُ قطناً من الاطيان التي يستأجرها فكأنهُ يرويهِ كل نحو عشرة ايام وهو ما يسمَّى عندهم تطبيقاً

فرأَينا ان ذلك محتمل ولاسيما بعد ما سمعنا ما يؤيدهُ عند غيرنا وقصدنا تجربتهُ فاخترنا

في العام الماضي قطعتين من حوض واحد متشابهتين تماماً تفصل بينهما سكة زراعة وامرنا ناظر زراعتنا ان يخدمها خدمة واحدة ويزرعها على اسلوب واحد تماماً ويروي احداها مرةً كل عشرين يوماً ويروي الاخرى كل نحو عشرة ايام اي في اول ميعاد الري وآخرهِ ثم عرضنا على مستشار وزارة الزراعة ان يجرب ذلك ايضاً في اطياننا ولكنهُ لما رأى اننا اخذنا في تجربتهِ اكتفى بها . وكان محصول القطن عندنا هذه السنة اقل من محصولهِ في العام الماضي بنحو عشرين في المئة لحرٍّ شديد اصابهُ وقت ازهارهِ ومع ذلك بلغ محصول الفدان الذي روي كل عشرة ايام ١٦ قنطاراً صغيراً والذي روي كل عشرين يوماً ١٢ قنطاراً فقط

ومن المحتمل ان فترة تسعة ايام وعشرة ايام قليلة وانهُ لو كانت الفترة ١٤ يوماً او ١٥ يوماً لكان المحصول اوفر جدًّا ولكن ليس في امكاننا ان نجرب الآ كما جربنا لان المياه لا تأتينا الآ عشرة ايام من كل عشرين يوماً . فعسى ان تتولى وزارة الزراعة امتحان ري القطن هذه السنة في مواعيد مختلفة وفي اماكن مختلفة من مديرية الفيوم حتى يثبت لها بالامتحان اي المواعيد افضل من غيرهِ . والمرجح عندنا انها ستجد ان الميعاد الافضل يتراوح بين ١٢ يوماً و ١٦ يوماً فاذا فرضنا انهُ ١٤ يوماً وجعلت مواعيد الري سبعة ايام عمالة وسبعة بطالة وجب ان يزاد الماء حتى يكفي لري كل ما يزرع زراعة صيفية

زراعة القلقاس

نشرت وزارة الزراعة رسالة صغيرة في زراعة القلقاس وطبخهِ جاء فيها ما خلاصتهُ :

زراعة القلقاس في مصر ليست عامة اللهمَّ الآ في جنوب الدلتا . وقد نجحت زراعتهُ في المنطقة المحصورة بين مدينتي دسوق وديروط . والقلقاس خير بديل للبطاطس اذ يقوم مقامها حق القيام . ومن المستحسن تعميم زراعتهِ وازدياد نطاق المساحة المخصصة لهُ

و يتراوح المحصول الجيد من الفدان بين عشرة اطنان وثلاثة عشر طنًّا او تسعين قنطاراً ومائة وعشرة قناطير ويزن القنطار مائتين وستين رطلاً وقد يصل وزنهُ في الغيط الى ثلاثمائة رطل حسب درجة نظافتهِ . و ينقص وزنهُ بنسبة اربعين الى خمسة واربعين في المائة نظراً لما يزيلهُ التجار من قاعدة اوراقهِ الملتفة بعضها فوق بعض قبل بيعهِ ولما يزال من قشرتهِ الخارجية قبل طبخهِ . فاذا اعتبرنا ان اقصى ما يغلهُ الفدان عشرة اطنان يكون الصالح منها للاكل خمسة اطنان ونصف طن فقط . وهذا القدر الاخير يفوق محصول فدان البطاطس اذا قارناهُ بهِ لان المحصول الجيد من فدان البطاطس يبلغ خمسة اطنانَ على اكثر تقدير ونسبة ما يفقدهُ

من وزنهِ بعد اعدادهِ للطبخ يبلغ من عشرين الى خمسة وعشرين في المائة . وعلى هذا تكون غلتهُ الصالحة للأكل اربعة اطنان . والفرق ظاهر بين الغلتين

وخواص القلقاس الغذائية موضع البحث والنظر الآن في القطر المصري . ولا نرى اوفق من ان نأتي هنا على نبذة مقتطفة من نشرة نشرتها مصلحة الزراعة في الولايات المتحدة للدلالة على خواص القلقاس حتى يقع لنا رأي خبير في هذا الموضوع قالت : « القلقاس والبطاطس متشابهان في التركيب غير ان كمية الماء في الاول اقل وبذلك تزيد فيهِ كمية البروتين والنشاء عما في الثاني بمقدار النصف تقريباً . والمشهور عن القلقاس انهُ سهل الهضم وكثيراً ما يوصف للمرضى في جزيرة هواي والبلاد الاخرى التي تزرعهُ »

وقد بلغ ثمن اقة القلقاس قرشاً في شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ . والبطاطس التليانية تباع في الازمنة الاعتيادية بمثل هذا السعر اما البطاطس الفرنسوية وبطاطس جزيرة قبرص فتباع بثمن اعلى . وثمنها عالٍ على الدوام حتى في ايام وفرة المحصول اما في وقت قلتهِ فيرتفع ثمنها كثيراً بطبيعة الحال . وما يفقدهُ القلقاس من الوزن اثناء اعدادهِ للأكل مساوٍ لما تفقدهُ البطاطس بعد قشرها

تكاثرهُ — يتكاثر القلقاس من « الفكوك » (اجزاء الرؤُوس) على ان يحتوي كل فك او جزء على « زرّ » (عين) او اكثر . وكلما كبرت الاجزاء المنزرعة كان نموّ النبات اقوى ويجب ان لا تجزأ الفكوك الصغيرة . ومن المستحسن ان يحتوي الجزء المقطوع من جوانب الرأس على زرّين واما الجزء المقطوع من نصف الرأس الاعلى فيكفي فيهِ الرز القمي فقط

معدن الارض — يجود القلقاس في كل ارض خصبة صفراء حسنة الصرف

التقاوي — وقد اصطلح في العرف على اعتبار مساحة فدان القلقاس اربعمائة قصبة مربعة . ولكننا في هذه النشرة نعتمد على ان مساحة الفدان هي المساحة العادية وقدرها ثلثمائة وثلاث وثلاثون قصبة مربعة وثلث قصبة . ومبلغ ما تحتاج اليهِ زراعة الفدان من الفكوك الف وخمسمائة رطل (قنطار الفكوك يزن ٣٠٠ رطل) ومن الرؤُوس ما يزن الفي رطل (قنطار الرؤُوس يزن ٢٦٠ الى ٣٠٠ رطل)

إعداد الارض للزراعة — تحرث الارض ثلاث حرثات او اربعاً حرثاً عميقاً وتزحّف بعد كل حرثة ثم تشق خطوطاً اربعة منها في القصبة الواحدة وتغرس الاجزاء او الفكوك (التقاوي) في حفر قرب قاع الخط عمقها من ستة سنتيمترات الى سبعة وبعدها بعضها عن بعض اربعون سنتيمتراً . وتروى حالاً ريًّا غزيراً

وقد يزرع مع القلقاس في وقت واحد مزروعات اضافية كالفجل والخيار والبطيخ والملوخية والفاصوليا · وفي بعض الاحيان تعد الارض وتروى في اواخر يناير واوائل فبراير وحينما تجف جفافاً مناسباً تزرع فاصوليا · واذا كانت الارض سوداء لا تحتاج الى الري حتى يزرع القلقاس في مارس

وقت الزراعة — من اول فبراير الى منتصف شهر مايو

التسميد — القلقاس من اشد النباتات شرهاً للسماد فيتطلبهُ بكمية كبيرة وكثيراً ما حالت قلتهُ دون جودة المحصول · وقد سمدتهُ مدرسة الزراعة بالجيزة هذا العام بالسماد الآتي فبلغ المحصول من الجودة مبلغاً عظيماً

عدد		
٠٢٠	متراً مكعباً سماداً بلدياً	للفدان الواحد
٣٠٠	كيلو فوق فوسفات الجير	
١٠٠	« كبريتات النوشادر	
١٠٠	« « البوتاسا	

واما في العام الماضي سنة ١٩١٤ فقد اكتفت بتسميدهِ بالسماد البلدي فكان المحصول اقل من هذا العام · وبلغ ثمن محصول الفدان في العام الماضي اربعين جنيهاً اما في هذه السنة فقد قال ناظر المدرسة انهُ عرض عليهِ خمسة وخمسون جنيهاً ثمن محصول الفدان مع قيام المشتري بمصاريف القلع

وفي حالة اقتصار الزارع على تسميد ارضهِ بالسماد البلدي يضع في الفدان من مائتين الى مائتين وخمسين حمل جمل · ثلثيها قبيل الحرثة الاخيرة والباقي بعد نمو النبات

خدمة الارض بعد الزرع — تعزق الارض وتنقى الاعشاب منها من وقت الى آخر وعند ما يقلع المحصول الاضافي تسمد ثانياً كما تقدم ويلف القلقاس بالتراب من الجانبين حتى تصير النباتات في وسط المسطبة بعد ان كانت في قاع الخط

الري — يحتاج القلقاس الى ماء كثير في جميع ادوار حياتهِ · ففي الارض الخفيفة خفة متناسبة يروى بعد الرية الاولى (عقب الزراعة) كل خمسة عشر يوماً · وعند ما تبتدئ النباتات الصغيرة في النمو تصير المدة بين الريات عشرة ايام · وكلما نما قصرت المدة بين الرية والاخرى · وفي المدة الاخيرة التي يبلغ فيها تمام نموهِ يروى كل ستة او سبعة ايام

والقلقاس يشغل الارض مدة تختلف بين ثمانية شهور وعشرة ويجنى المحصول الذي اتقنت خدمتهُ في شهر اكتوبر ولكن في هذا الوقت لا تبلغ الرؤُوس نهاية حجمها . ولا يمكن الحصول على اقصى الغلة الاَّ في شهر دسمبر

ويقلع الزارع رؤُوس القلقاس ويبيعها بالوزن او يبيعها للتاجر وهي في ارضها . ويقوم التاجر بمصاريف القلع . والعامل النشيط يستطيع قلع قنطار ونصف في اليوم مع تجهيزها للسوق ويأخذ اجرة على كل قنطار اربعة قروش — اذا كان المحصول كبيراً — وثمن القنطار (وزنهُ ٢٦٠ رطلاً) في السوق من خمسين قرشاً الى خمسة وسبعين

حفظ الرؤُوس للتقاوي — لحفظ الرؤُوس لزرعها في العام التالي طريقتان : (الاولى) ان تحفر لها حفرة قليلة العمق وتوضع فيها وتغطى بطبقة سميكة من الرمل الرطب . ويجب حفظهُ رطباً لانهُ اذا جفت الرؤُوس لم تصلح للزرع والانبات . (والثانية) ان يترك بعض المحصول مغروساً في الارض حتى يأتي ميعاد زرعهِ فيقلع ويزرع

القطن المصري واسعارهُ

قرر قومسيون كنترانات القطن في بورصة الاسكندرية في آخر دسمبر الماضي اجراء تصفية غير اعتيادية في الكنترانات لبلوغ الفرق في اسعارها بعد آخر تصفية فيها خمسة اثمان الريال وذلك بالاسعار التالية

يناير	$19\frac{4}{32}$	من الريال
مارس	$19\frac{10}{32}$	«
مايو	$19\frac{21}{32}$	«
نوفمبر	$19\frac{4}{32}$	«

وعليهِ فاسعار القطن قد بلغت مبلغاً يرجى الربح لهذا القطر من ورائهِ . ولكن طيف دودة لوز القطن ودودة بزرتهِ لا يزال يتردد امام العيون ويرعب من امَّل من قطنهِ سبعة قناطير وثمانية قناطير من الفدان فلم يجنِ منهُ سوى قنطارين او اقل . فاذا ظهر هذا الدود في عامنا الحاضر وفعل ما فعلهُ في العام الماضي فلا مندوحة للحكومة عن ان تفتش عن مرض يقع بهذا الدود ويميتهُ حتى يستأصل مع استعمال الوسيلة التي اشارت بها وهي تبخير البزر حتى يموت ما فيهِ من الدود



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

التنويم المغنطيسي والانباء بالغيب

جاءتنا رسائل كثيرة من قرَّاء المقتطف في هذا الموضوع يضيق المقام عن نشر شيءٍ منها في هذا الجزء

وكلها مبني على ما اوردناهُ في الجزء الماضي من المقتطف جواباً عن السؤَال الثامن عشر. والظاهر ان اصحاب هذه الرسائل حسبوا اننا ننكر التنويم المغنطيسي بانكارنا الاعمال التي انكرنا صحتها. والصواب اننا لا ننكر التنويم المغنطيسي بل نحن نمارسهُ احياناً وقد نومنا بعض الناس غير مرة ولكننا ننكر كل الانكار ان الذين يقفون في بعض المشاهد ويكشفون المخبآت وينبئون بالغيب يكونون نائمين التنويم المغنطيسي بل يدلنا اختبارنا واختبار غيرنا على انهم مشعوذون او شركاء للمشعوذين يتناومون لكي يخدع المشاهدون بحيلهم. وقد فاتنا ان نذكر ذلك صريحاً في جوابنا عن السؤَال المشار اليهِ آنفاً

وسننشر رسالة او اكثر من هذه الرسائل في الجزء التالي ونجيب عمَّا فيها

حقيقة المندل

حضرات العالمين الفاضلين منشئي المقتطف

حضر احدهم اليَّ وقال انهُ مربوط بعمل من السحر وانهُ عرض امرهُ على بعض الاطباء فلم يستطيعوا مداواتهُ لقلة اعتقادهِ فيهم. فتوجه الى احد الدجالين ليعمل لهُ المندل ويداويهُ وطلب مني ان ارافقهُ الى هذا الدجال

فتوجهت معهُ الى الدجال فوجدتهُ يناهز الخمسين ومعهُ تلميذهُ وعمرهُ نحو اربعة عشر عاماً

فبعد ما استرحنا قليلاً طلب المصاب من الدجال عمل المندل حسب الاتفاق السابق معهُ لشفائهِ من مرضهِ ونقدهُ خمسين قرشاً

فاحضر الدجال فنجالاً من الخزف فيهِ شيءٌ من الزيت ثم احضر دفاية من الفخار واوقد فيها فحم الحطب ووضع فوق الفحم المشتعل جانباً من البخور وجعل يتلو عزايم واقساماً مدة نصف ساعة والفنجال امامهُ . ثم قال لتلميذهِ انظر ما في هذا الفنجال واخبرني عما تراهُ فيهِ فنظر التلميذ في الفنجال ثم قال رأيت بعض الجن واقفين قال لهُ الدجال اصدر اليهم امري بالكنس والرش على الارض التي هم فيها ثم قل لهم ان يحضروا خيمة الجلوس و ينصبوها بفرشها ومقاعدها فقال التلميذ جميع ما لقّنهُ اياهُ الدجال ثم نظر في الفنجال وقال كل شيء جهز ونصبت الخيمة بمفروشاتها ومقاعدها وان ملك الجن حضر هو واتباعهُ وجلس كل حسب مرتبتهِ داخل الخيمة

فتقدمت انا ونظرت في الفنجال ثم قلت للدجال اني ما رايت في الفنجال سوى الزيت لا غير فقال ان الذي يتجاوز عمرهُ الخمسة عشر عاماً لا يمكنهُ ان يرى شيئاً في الفنجال ولهذا السبب احضرت هذا التلميذ القاصر معي لان عمرهُ دون سن الرشد وكل قاصر مكشوف لهُ الحجاب ويمكنهُ رؤية ما رآهُ هذا التلميذ فاحضرت صبيًا قاصراً عمرهُ مثل عمر تلميذ الدجال فنظر في الفنجال وقال انهُ لم يرَ فيهِ غير الزيت . فتعنت الدجال وكابرنا وقال ان دم هذا الصبي زفر والذي دمّهُ زفر لا يمكنهُ رؤية الجن

ثم قال الدجال لتلميذهِ قل لملك الجن ان فلاناً الحاضر في هذا المجلس مصاب بالربط بعمل من السحر والرجاء حل عُقدَتِهِ وشفاؤُهُ من دائهِ فقال التلميذ ما لقّنهُ اياهُ الدجال ثم وضع أُذنهُ على حافة الفنجال ليسمع جواب ملك الجن فوضعت انا والصبي اذنينا على حافة الفنجال فلم نسمع شيئاً ولكن التلميذ قال يقول ملك الجن ان المصاب مربوط بعمل من السحر ورباطهُ موضوع في تُربَةٍ مهجورةٍ وهو خيوط من الشَّعرِ عقدت على مِقصٍ في الجهة الغربية من المدفن الفلاني داخل التُّربَةِ المهجورة ثم توجهت انا والمصاب والدجال وتلميذهُ الى المدفن المشار اليهِ فلقينا في الجهة الغربية تُربَةً مهجورة و بعد الفحث فيها حسب ارشاد الدجال وجدنا عمل السحر كما قال من خيوط الشَّعرِ الأسودِ عقدت على مِقصٍ ولما فككناها عن المقصّ قال الدجال الآن شفي المصاب من دائهِ . فاعتقد المصاب اعتقاداً تاماً بانهُ شفي و بعد يومين قابلني وقال انهُ زال عنهُ هذا المرض وان عقدة الربط حلت بحل الشعرِ عن المقصّ الذي وجدناهُ داخل التربة المهجورة

ولكنني بعد البحث الكثير علمت ان هذا الدجال يتوجه مع تلميذهِ الى بعض التُّرب او القبور المهجورة ويضع فيها خيوط الشعر معقودة على المقص الى حين الحاجة ثم يغري حدا

الاشقياء واغلبهم من الفقهاء الفاسدين ليتوجه الى بعض البسطاء او المغفلين و يوهمهُ بانهُ مسحور بعمل من السحر وانهُ يمكنهُ التوجه الى من يعرف صناعة المندل فيشفيهِ فيعتقد ذلك المغفل انهُ معقود ثم يعتقد انهُ شفي

احمد السيد

تبع قسم كرموز باسكندرية



تاريخ الآداب العربية

هو سفر جليل في نحو ٧٠٠ صفحة تأليف احد اخوة المدارس المسيحية المسماة بالفرير لخص فيهِ تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها الى الآن بذكر الذين اشتهروا من ارباب الانشاء كالشعراء والعلماء وكبار المنشئين فترجم فيها اكثر من ٣٠٠ عالم وشاعر ومنشئ وذكر طرفًا من سيرة كلٍّ منهم واشعارهِ وبليغ كلامهِ وتاريخ وفاتهِ بالحساب المسيحي والهجري والحق كل صفحة بحاشية فسَّر فيها ما في الصفحة من الكلام اللغوي · وقطع الكتاب معتدل وطبعهُ حسن

ونحن قلما ننتقد كتابًا الاَّ اذا وثقنا ان مؤلفهُ يرحّب بالانتقاد او كان في الكتاب اغلاط فاضحة الاغضاء عنها يجلب الضرر على قرائهِ

ويظهر لنا ان مؤلف هذا الكتاب من واسعي الصدر الذين يرحبون بالانتقاد · وكتابهُ على حسن تبويبهِ وترصيفهِ نراهُ يستدعي الانتقاد في ثلاثة امور غير جوهرية في نظرنا لانها لا تمس جوهر الكتاب وفي امرين جوهريين · الاول من الامور غير الجوهرية التعرض لعقائد بعض الرجال الدينية فان الكلام على العقائد ليس من موضوع الكتاب · واذا رأى المؤلف ان يتعرَّض لها لان مذهبهُ يوجب عليهِ ذلك فتسعة وتسعون في المئة من الذين ذكر ترجماتهم يخالفونهُ في المذهب وينكرون اهم اركان ديانتهِ ولكنهُ خص اثنين منهم بالذم لفساد العقيدة ابا العلاء المعري وعمر الخيام فقال عن المعري انهُ « لم يرَ في اختلاف مذاهب العبادة سوى اسباب لاحتقار الآخذين بها » وقال عن عمر الخيام « انهُ كان واهي العقيدة دهري المذهب مرميًّا بالالحاد والتعطيل يستر زندقتهُ تحت براقع التمويه من القول بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية وتُحدِّث بكفرهِ وفساد آرائهِ وكادت

لتهتك استار دهائهِ ورئائهِ نخشي على دمهِ وامسك من عنان لسانهِ وقلمهِ وحج تضليلاً للعقول»

ولا ندري ما الفرق لدى خادم الدين المسيحي المؤمن بتعاليم الكنيسة بين الدهري وناكر التثليث وناكر الوهية المسيح

ومن الغريب انهُ لما ذكر المتنبي انحى عليهِ باللوم لادعائهِ النبوة وهو ليس من موضوع الكتاب ولكنهُ لم يلمهُ على ابياتهِ السمجة في قصيدتهِ التي ذمَّ بها ابن كيغلغ وهي من موضوع الكتاب بل قال انهُ « كان وقوراً رصين المقال لا ينطق بالكذب والهزل »

هذا ولا ندري ايضاً ما حشر عُمَر الخيام بين شعراء العرب فانهُ فارسي وشعرهُ المشهور فارسي ولم يروَ لهُ في العربية الاَّ اربعة ابيات ولعلها مترجمة من الفارسية . وقد قرأنا ترجمة فتزجرلد لبعض رباعياتهِ وجانباً من ترجمة جنصن باشا لها فلم نجد فيها شيئاً يدل على انهُ كان زنديقاً او ملحداً او دهريًّا بل هو على الضد من ذلك موحّد يعترف بوجود الله وقد ترجمنا بعض اشعارهِ عن ترجمة فتزجرلد ونشرنا ترجمتنا وترجمة وديع افندي البستاني في مقتطف مارس سنة ١٩١٢ قال وديع افندي

نحن تلك الكرات والخيَّال هو رب القضا وهذا المجال

وقلنا نحن وربُّ الصوالج يدري مسيّر كرات رماها بقصد ارتياضٍ

وقلنا في ترجمة رباعية اخرى

يراها الالهُ الذي قد برانا فشكراهُ غنم وفرض عليكا

وذلك دليل قاطع على ان الخيام لم يكن دهريًّا كما رماهُ حضرة المؤلف

والذين تمعنوا في رباعيات عمر الخيام من الانكليز والاميركيين رجالاً ونساء انشأوا حلقات لمطالعتها وهم يجلُّون مقامهُ ويفضلونهُ على كل الذين حاربوا اهل الاوهام والخرافات وسالبي اموال الناس بحجة الدين

والثاني قلة الانصاف احياناً فاذا ذكر المرسلين الاميركيين الذين منهم الدكتور فان ديك ذكرهم « حاف » واذا ذكر الجزويت قال اليسوعيون الافاضل . واذا ذكر الروم الارثوذكس قال الروم غير الكاثوليك كأن كلمة ارثوذكس (اي مستقيمي الرأي) اثقل على طبعهِ . وافرد سطرين للكلام على المطبعة الاميركية في بيروت ونصف صفحة للمطبعة الكاثوليكية . وذكر مطابع الفرنسيسيين في القدس ولم يذكر مطبعة الارثوذكس . الى ان قال « ومن هذه اللمحة الخفيفة التي القيناها على تاريخ الطباعة يتضح جليًّا لكل ذي عينين ما لرجال الدين الكاثوليكي من المآثر الغراء والمساعي المشكورة في تمهيد السبل لهذه النهضة الشريفة وتوفير

اسبابها الخ » اما الروم الارذكس والبروتستانت فشأنهم صغير في عينيهِ على ما يظهر وقلما ذكر احداً من نوابغهم واذا ذكر غيرهم وضعهم في السماء السابعة ولو لم يكن بعضهم على شيء يؤهلهُ للذكر في هذا الكتاب

الامر الثالث قلة التدقيق احياناً في ما يسهل التدقيق فيهِ · فلما ذكر المقتطف مدحهُ مدحاً نشكرهُ عليهِ جزيل الشكر ولكنهُ اضاف الى اسمي منشئيهِ اسم اخينا المتوفَّى شاهين مكاريوس وسماهُ ابكاريوس وابكاريوس رجل آخر وهو مؤلف القاموس الكبير الانكليزي والعربي والتاريخ المسمَّى قطف الزهور ولكنهُ لم يذكرهُ مع غيرهِ من المؤلفين · ومما يدل على قلة تدقيقهِ ايضاً ما نسبهُ الى المقتطف من انهُ « يصوب سهام الطعن والوقيعة الى العقائد المقدسة بدعوى العلم وحرية البحث » · فاننا نؤكد لحضرتهِ انهُ لو طالع مجلدات المقتطف كلها من اولها الى آخرها ما وجد فيها طعناً ولا وقيعة بعقيدة مقدسة لاننا من احرص الناس على احترام العقائد · وهذه الهنات يسهل اصلاحها في الطبعة الثانية من الكتاب

هذا من قبيل الامور غير الجوهرية التي لا تمسُّ جوهر الكتاب في نظرنا اما الامران الجوهريان فاولهما ادخال كثيرين من الذين لا شأن لهم في تاريخ الادب فاننا نفهم بتاريخ الآداب العربية تاريخ الشعر والانشاء والمشهورين من الشعراء والمنشئين الذين يقوم بهم تاريخ الآداب العربية كامرىء القيس والمتنبي والجاحظ والحريري واليازجي والشدياق والبستاني للدلالة على سهم كلٍ منهم في الآداب العربيَّة · اما سائر المؤلفين من المؤرخين والاطباء والفلاسفة والمترجمين فلا نرى موجباً لذكرهم في هذا الكتاب

والثاني ان تاريخ علم من العلوم يجب ان يدور على تدرُّج ذلك العلم سواءٌ كان في التقدُّم او التأخُّر او البقاء على وتيرة واحدة فاذا ألَّفنا كتاباً في تاريخ الطب وجب ان نأتي فيهِ بما يدلُّ على نشوء الطب وتدرجهِ الى ان بلغ الدرجة التي وصل اليها الآن ونذكر الاطباء الذين انشأُوا صناعة الطب ورقَّوها للدلالة على نصيب كلٍّ منهم فيها · وقس على ذلك تواريخ كل العلوم والفنون فاذا كانت الآداب العربية قد وجدت وتدرَّجت وترقت فلها تاريخ يستحق ان يكتب حتى يعلم مَن يطلع عليهِ كيف نشأَت وكيف تدرجت في سبيل الارتقاء · وفي هذا الكتاب شيءٌ من ذلك في فواتح فصولهِ المختلفة ولكن الاختصار في هذه الفواتح والاسهاب في ذكر الرجال وعدم الاشارة فيما يستشهد بهِ من اقوالهم الى انهُ مثال جيءَ بهِ لتأييد القضايا التي ذكرت في الفاتحة كل ذلك يصرف الذهن عن الغرض الجوهري المقصود بالذات وهو تاريخ الآداب الى غرض آخر عرَضي وهو تاريخ الادباء انفسهم

ولكن ينازع قوم في ان للآداب العربية تاريخاً اي تدرُّجاً من حال الى حال ويقولون ان الانشاء العربي وضعت اصولهُ منذ الف وثلثمائة سنة بل قبل ذلك وان البليغ من شعر عصرنا هذا يجب ان لا يفرق عن شعر امرئ القيس والبليغ من انشاء كتَّابنا الآن يجب ان لا يفرق عن انشاء عبد الحميد . ولا يظهر ان المؤلف من هذا الرأي فحبذا لو بنى كتابهُ كلهُ على هذه القضية واثبتها بايضاح تاريخ الآداب العربية من اول نشأتها الى الآن والدرجات التي مرّت عليها واسباب هذا التدرج ولهُ الفضل على كل حال

الرمد في القطر المصري

صدر التقرير السنوي الثالث عن معالجة داء الرمد في القطر المصري سنة ١٩١٤ وفيهِ انهُ انشئَ في القطر بين سنة ١٩٠٤ و ١٩١٤ ستة عشر مستشفًى في اماكن مختلفة من هذا القطر واثنان من هذه المستشفيات ينفق عليهما من ريع الهبة التي وهبها السر ارنست كاسل وهي اربعون الف جنيه . واثنان آخران تنفق عليهما مجالس المديريات وثمانية تنفق عليها الحكومة واثنان اقفلا لقلة النفقات وقد كلَّف انشاء هذه المستشفيات ٦٨ الف جنيه دفعت منها الحكومة ١٧ الفاً والباقي وهو ٤٩ الفاً جاء من الهبات والاشتراكات ومما دفعتهُ مجالس المديريات

وقد وجد بالاختبار انهُ يمكن ان يبنى مستشفى دائم للرمد باربعة آلاف جنيه ويكون كامل العدة كافياً لستة عشر مريضاً ينامون فيهِ ولكل المرضى الذين يأتون للعلاج ولو بلغ عددهم ٢٠٠ او ٣٠٠ يومياً

وتوجد المستشفيات الدائمة الآن في البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية والشرقية والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسوهاج ولكنها لا توجد في القليوبية ولا في الجيزة ولا في قنا ولا في اصوان . وحبذا لو اهتمَّ المزارع الكبير صاحب السعادة ابرهيم باشا مراد ببناء مستشفًى للرمد في القليوبية ووقف عليهِ ما ريعهُ كافٍ للقيام بنفقاتهِ او بنصفها . واهتمَّ غيرهُ من اغنياء المديريات الاخرى بانشاء المستشفيات فيها فان عدد المصابين في عيونهم كثير جدًّا . ويقال في هذا التقرير انهُ عُمل في غضون السنة اكثر من اربعين الف عملية في العيون . وقد بلغ عدد الذين فحصت عيونهم ٧٥٣٩٨ وعدد الذين عولجوا منهم ١٢٦٠٥٠ ومن الذين فحصت عيونهم وجد ٣٥٩١ من العمي و ٦٤٢٥ من العور . وبلغ عدد المرات التي تردد فيها المستشفون على المستشفيات ٦٨٦٠١٢ .

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اي الاعمال اصلح

اجا دقهلية. لبيب افندي رمزي. بماذا تشيرون على والد مصري يريد تربية ابنهِ هل يعدهُ للزراعة ولا اطيان لهُ او للصناعة وانتم تعلمون حالتها عندنا او للتجارة ولا رأس مال لهُ او للاستخدام ولا يخفى صعوبة طريقهِ فضلاً عما فيهِ من الذلة والقضاء على المواهب

ج. الغالب ان يظهر في الولد ميل طبيعي الى عمل من هذه الاعمال فعلى والدهِ اذا استحسن هذا الميل ان يقويهُ فيهِ ويعدهُ لهُ ثم يدخلهُ فيهِ. اتانا بالامس شابٌ وقال يظهر لي انكم لم تعرفوني فقلنا كلاً فقال « انا كنت من العمال الصغار في مطبعتكم منذ سبع عشرة سنة وكان راتبي خمسة غروش في اليوم وقد تعلمتُ اللغة الفرنسوية بعد ذلك في مدرسة ليلية واتقنتها وتعلمت التجارة ومسك الدفاتر في مدرسة ليلية اخرى واستخدمت في محل تجاري كبير وراتبي فيهِ الآن عشرون جنيهاً اعيش منها بالراحة مع زوجتي وصرت من المدرسين في مدرسة التجارة وتعلمت الحقوق في المدرسة الفرنسوية لكي استعين بالمعارف القانونية في اعمالي التجارية ». والفقر لم يمنع مجتهداً من تسنم اعلى المراتب. ولا نرى مسوّغاً لما نبذتم بهِ الاستخدام فان المستخدم المجتهد الامين يفيد ويستفيد ويرقى من المناصب ما لا يرقاهُ غيرهُ

(٢) مدرسة تعلم الطب للبنات

ومنهُ. هل في القطر المصري مدرسة سواء كانت اميرية او اهلية تعدُّ الفتيات لنيل شهادة الطب العالية

ج. كلاَّ

(٣) قاموس طبي عربي

ومنهُ. وهل تعرفون قاموساً طبيًّا في العربيَّة على نسق القواميس الافرنجيَّة الموضوعة لذلك

ج. كلاَّ

(٤) راتب ملك اليونان

ملوي. زكي افندي ناشد سركيس. قرأنا في المقطم الصادر في ١٦ دسمبر ان بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا كانت تدفع

كلٌّ منها لملك اليونان اربعة آلاف جنيه في السنة وقد قال وزير خارجية انكلترا ان هذه الدول الثلاث كفّت عن دفع المبلغ المذكور منذ وفاة الملك جورج (اليوناني) فنرجو التكرُّم بافادتنا عن تاريخ هذه الهبة واسبابها وما سبب حبسها عن ملك اليونان الحالي

ج. لما اختارت الجمعية العمومية اليونانية ابن ملك الدنمارك ملكاً على اليونان سنة ١٨٦٣ قطعت لهُ راتباً سنويًّا مقدارهُ ١١٢٥٠٠٠ دراخمة اي نحو ٤٣ الف جنيه فتبرعت كلٌّ من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا باربعة آلاف جنيه زيادة على هذا الراتب حتى يصير ٥٢ الف جنيه وذلك قصد المساعدة لا غير. والظاهر انهنَّ قصدن حينئذٍ ان تكون هذه المساعدة خاصَّة بالملك جورج ما دامت بلاد اليونان صغيرة فقيرة فلما توفي واتسعت بلاد اليونان بما ضمَّ اليها من املاك تركيا رأين ان يقطعن هذه الاعانة عن ملكها الحالي

(٥) الغسل بالماء البارد

ومنهُ. هل الافيد صحيًّا لابن وادي النيل ان يغسل وجههُ ورأسهُ صباحاً في فصل الشتاء بالماء البارد او بالماء الفاتر وكم مقدار الفترة بين القيام من النوم وغسل الوجه والرأس

ج. الغرض الاول من غسل الوجه والرأس النظافة فالماء الفاتر اصلح لها من البارد ولا بدَّ من استعمال الصابون في الحالين. ثم اذا كان الماء بارداً وحدث بعدهُ رد فعل كما يحدث غالبًا وامكن الاكثار من الصابون فهو مفيد كالماء الفاتر او افيد منهُ ولكن اذا لم يحدث بعدهُ ردُّ فعل ولا بالفرك بالمناشف فالماء الفاتر افيد. ولا ضرر من غسل الانسان وجههُ حالاً بعد القيام من النوم ولا فائدة من التأخير

(٦) دواء لتحسين الصوت

طنطا. محمد افندي حمدي. ارجو التكرُّم بافادتي عن دواء او علاج لتحسين الصوت او الاوتار الصوتية لان صوتي حتى في الكلام العادي اراهُ خشنًا جافًّا كصوت الشيوخ مع صغر سني

ج. يظهر لنا من سؤالكم ان في اوتاركم الصوتية شيئًا من الغلظ او الارتخاء ونرجح انكم تستفيدون من اراحة صوتكم وتوسيع صدركم بالرياضة اليومية اي بالوقوف امام شباك يوميًّا واستنشاق الهواء النقي ومحاولة توسيع الصدر بهِ بالاقتناس بعد نفخهِ. ومعالجة الحلق باستنشاق كلوريد النشادر والغرغرة بمذوب كلوريد البوتاسيوم او مذوب الملح والدهن بصبغة اليود. والافضل ان تقصدوا طبيبًا اختصاصيًا بامراض الحنجرة ليعالجكم. ومتى وضعت الحرب اوزارها فاقصدوا بلاداً هواؤُها حار معتدل الرطوبة خالٍ من الغبار كبعض سواحل سورية واقيموا فيها بضعة اشهر فقد يصطلح صوتكم بذلك

(٧) دواء للشيب

مصر . اسعد افندي سرحان . لقد تفضلتم بنشر عدة وصفات لتقوية الشعر في مقتطف يوليو الماضي فهل تتكرمون بافادتنا عن وصفات اخرى تزيل الشيب خصوصاً اذا كان في اوائله

ج . لا دواء للشيب ولا علاج لهُ ولا يخفيهِ غير الصبغات المعروفة فانها تلوّن الشعر الشائب بلون اصفر او اشقر او اسود حسب نوعها ولكن هذا اللون يزول رويداً رويداً والشعر الشائب يطول من اصولهِ كما يطول غيره فما يطول منهُ يكون ابيض

(٨) دخل الامم وثروتها

دمياط . مصطفى افندي اللوزي . كيف يحصى دخل الامم وثروتها

ج . ان الحكومات الاوربية والاميركية تضرب على رعاياها ضريبة تسمّى ضريبة الايراد تؤخذ منهم سنويًّا ويضطر كل واحد ان يخبر الحكومة بمقدار ايرادهِ السنوي او هي تقدّره تقديراً واذا ادّعى احد انها قدّرت دخلهُ باكثر ممَّا هو حقيقةً اضطرَّ ان يطلعها على دفاترهِ وكل المستندات التي يُعلَم منها مقدار دخلهِ بالتدقيق وبذلك يعرف دخل الناس بما يمكن من التدقيق . وفيها ايضاً ضريبة اخرى هي ضريبة التركات وبموجبها تحصر تركات كل الذين يموتون سنويًّا . وعدد الذين يموتون سنويًّا جزء محدود من عدد السكان فاذا كان متوسط العمر في بلاد اربعين سنة فجزءٌ من اربعين من السكان يموت كل سنة فاذا بلغ مجموع تركات الذين يموتون في السنة في فرنسا ثلثمائة مليون جنيه مثلاً وكان متوسط العمر فيها اربعين سنة فهذا المبلغ هو جزءٌ من اربعين من ثروة اهالي فرنسا وعليهِ فالثروة ٤٠ × ثلثماية مليون اي ١٢ الف مليون جنيه

(٩) اصل العوالم

الاسكندرية . الشيخ احمد ابو علي امين مكتبة الاسكندرية . لماذا وجدت هذه العوالم ولمَ خُلق الانسان واين كانت مادة العوالم قبل خلقها

ج . ان علوم الانسان لا تصل الى حل هذه المسائل ولكن اهل الفلسفة لا يعسر عليهم ان يفرضوا لها اجوبةً مختلفة مبنية على ما يرى في العالم المادي فيقولون ان الله اوجد العوالم لتمجدهُ او لتدلّ على قدرتهِ بناءً على ما يظهر فيها من احكام الصُنع البديع ولأن الصانع الحكيم لا بدَّ لهُ من غرض يتوخاهُ من اعمالهِ لئلاَّ تكون من قبيل العبث . وان مادة الكون غير قديمة والاَّ شاركت الله في الازلية فاوجدها الله من العدَم

(١٠) اقوى المكروسكوبات

ومنهُ . كم تكبر اقوى المكروسكوبات الاشياء عن حجمها الطبيعي

ج . تكبّر قطرها الفي مرة الى ثلاثة

آلاف فاذا كبرتهُ الف مرة فقط فيكون السطح قد كُبّر مليوني مرةً اي ان ما سعتهُ سنتمتر مربع تصير سعتهُ مئتي متر مربع

(١١) المقتطف الصغير

ومنهُ . ما هو المجلد الصغير من المقتطف ولماذا اصدرتموهُ

ج . كان في الجزء من المقتطف عند اول صدوره ٢٤ صفحة وفي السنة السادسة زدنا حجمهُ فجعلناه ٦٤ صفحة وزدنا ثمنهُ ايضاً ولكننا جعلنا نطبع من كلّ جزء جزءا يحذف منهُ بعض الفصول العلمية والادبية وابقينا ثمن هذا الجزء الصغير رخيصاً كما كان وواظبنا على ذلك الى آخر السنة الثامنة فلكل سنة من السنوات السادسة والسابعة والثامنة من المقتطف مجلد كبير ومجلد صغير مختصر من الكبير

(١٢) المكاتب العمومية

ومنهُ . مَن اول من انشأ المكاتب العمومية ومتى كان ذلك

ج . المرجح ان مصر سبقت غيرها الى انشاء المكاتب العمومية وذلك منذ نحو ستة آلاف سنة وكانت مكاتبها سجلات لاعمال ملوكها وتعاليم كهنتها ووصف البلدان التابعة لها

باب الاخبار العلمية

وفيات الاعلام

بين مشاهير المتوفين في اواخر السنة الماضية الاستاذ بوشار الفرنسوي استاذ الباثولوجيا في جامعة باريس وبين تلاميذهِ كثيرون من اطباء هذا القطر . وقد عرفهُ المصريون شخصيًّا عند اشتراكهِ في المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٠٢ . ولد سنة ١٨٣٧ فيكون عمرهُ عند وفاتهِ نحو ٧٨ سنة . وعين استاذاً للباثولوجيا في الجامعة المذكورة سنة ١٨٧٣ . وفي ١٨٨٧ عين عضواً في المجمع العلمي المعروف (الانستيتو) . وبعد ذلك انعم عليهِ بنشان اللجيون درنور وانتخب رئيسًا لاكادمية العلوم الفرنسوية . ومن اشهر مؤلفاتهِ كتاب في الباثولوجيا يعلَّم في مدارس الطب الفرنسوية اينما كانت

ومنهم المستر بوكر وشنطن العالم الزنجي ورئيس المجمع العلمي للزنوج في تسكجي بولاية الاباما . وقد دأب في تعليم الزنوج

قومهِ وجعل همهُ رافع شأنهم الادبي والعلمي فعاد سعيهُ بفائدة لا تقدر من هذا الوجه . وكان عمرهُ عند وفاتهِ ٥٦ سنة وقد نشرنا ترجمتهُ وترجمة زوجتهِ وصورتيهما في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف تحت عنوان « الفاضل فاضل ولو عبداً اسود »

ادراك النبات

صدر كتاب بالانكليزية في علم النبات لمؤلفهِ المستر دكسون قال فيهِ : ان النباتات تبصر وتسمع وتذوق وتشعر وتمشي وتسبح وتركض وتطير وتثب وتنصب الشراك وتصيد الاسماك . وتزين انفسها قصد اجتذاب الانظار اليها و « تبودر » وجوهها « اي تمسحها « بالبودره » . وتقلد الطيور والافاعي والحجارة . وتلعب بعض الالعاب التي يلعبها اولادنا . وتحمي صغارها ثم تزج بهم في معترك العالم حيث يعتنون بانفسهم ويعملون جميع الاعمال التي نعملها نحن ».

قالت مجلة ناتشر في نقد هذا الكتاب : ولا نلوم المؤلف على حسبان النباتات احياء عاقلة — فان حجج انصار هذا المذهب قوية — ولا على قولهِ ان حواسها سبع ولا على اشارتهِ الى عقولها ونفوسها . بل نلومهُ لان اقوالهُ هذه تحمل الساذج على الظن ان النباتات تتصرف في شؤُون هذه الحياة الدنيا تصرُّف الآدميين. وهذا ليس بصحيح فان هذا التصرُّف ابعد عن القوة المدركة التي تميز الانسان عن سائر الاحياء من السليقة التي خُصَّ بها الحيوان »

صوت المدافع

يظهر من اقوال بعض كتاب الانكليز ان صوت المدافع في البلجيك يسمع في بعض قرى انكلترا القريبة من الساحل الجنوبي والشرقي . فقد كتب احدهم يقول انهُ سمع صوت المدافع التي تطلق في ايبر من منزلهِ في تشلمسفورد والبعد بين المكانين ١٤٠ ميلاً

وكتب آخر رسالة قال فيها : يصعب عليَّ ان اقول هل اسمع اصواتاً تدخل الاذن او اشعر بهزات تعرو جسمي كلهُ . والحق يقال ان ما اشعر بهِ هو اقرب الى الاهتزاز والارتجاج منهُ الى سماع الاصوات »

اميركا صيدلية نفسها

انشأَت السينتفك اميركان مقالة بهذا العنوان وصفت فيها المعرض الوطني الذي اقيم في نيو يورك في سبتمبر الماضي للصناعات الكيماوية . ومما قالتهُ فيها ان هذا المعرض يدلُّ اجلى دلالة على تقدم صناعة المواد الكيماوية والعقاقير والاصباغ في اميركا بعد حصر المانيا البحري ومنعها من اصدار هذه المواد الى الخارج . ولهذا المعرض ثلاثة فروع : الاول ما اختصَّ بالمواد الكيماوية

والمعادن والعقاقير والاصباغ وما اشبه · والثاني ما اختص بالادوات والعدد اللازمة للعامل الكيماوية · والثالث ما اختص بالآلات اللازمة للمعامل والمصانع الكبرى التي تصنع الادوية وتستخرج المعادن وما شاكل ذلك · ومن اهم معروضات المعرض مواد مستخرجة من بزر الكرز والزبيب والمشمش

نيزك هائل

ظهر في الجنوب الغربي من انكلترا نيزك هائل وصفهُ بعضهم بقولهِ : رأى النيزك كثيرون · ومعظمهم شاهدوا في بادئ الامر نوراً اضاء بهِ الجو والارض فالتفتوا ليعلموا سبب ذلك النور فرأوا النيزك او الخط المنير الذي تركهُ وراءهُ وبقي هذا الخط ظاهراً برهة تختلف بين دقيقتين وعشرين دقيقة

ويقال ان نورهُ فاق نور البدر الكامل · وكان اول ظهورهِ على شكل عارضة بين الدليلين (هما انور نجمين في صورة الدب الاكبر او بنات نعش الكبرى) ونجم القطب او الجدي (في صورة الدب الاصغر او بنات نعش الصغرى)

حجر الفيروز

بحث الدكتور بوج مدير المتحف الاميركي سابقًا في الفيروز وتاريخهِ وتكونهِ وسائر ما يختص بهِ · فزار لهذا الغرض اكثر متاحف اميركا واوربا ومكاتبهما الكبرى · ثم كتب تاريخًا ضافيًا لهذا الحجر الكريم · وقد جاء في بحثهِ الجيولوجي عنهُ فصل طويل عن تكونهِ في جميع البقاع التي اشتهر بوجودهِ فيها وخصوصاً بلاد ايران وشبه جزيرة سيناء والانحاء الجنوبية الغربية من اميركا كولايات نيومكسيكو واريزونا وكليفورنيا ونڤادا وكولورادو حيث تخرج حجارة تضاهي الفيروز الفارسي في بهائها ورونقها · ويؤخذ مما كتبهُ عن تكون الفيروز انهُ يتكون بتحلّب الماء الذي على سطح الارض وسط صخور الومينية فيها فوصفات الكلس ونحاس

وقال في تاريخهِ ان الاسبان الاولين اطلقوا اسم الفيروز على بضعة حجارة خضراء وان هنود غربي اميركا خلطوا بين الفيروز واليشب او اليشم

الشفق القطبي

الشفق القطبي ظاهرة جوية كهربائية تظهر في جهات قطبي الارض الشمالي والجنوبي وقد يمتد الشفق الشمالي جنوبًا الى سورية ومصر وبلاد العرب ولو كانت بعيدة عن القطب بعداً شاسعًا · ففي ٥ نوفمبر الماضي بين الساعة ٦ ½ و ٧ ½ بعد غروب الشمس شوهد هذا الشفق في الافق الشمالي من البلاد الانكليزية على شكل قوس منيرة غير

منتظمة الشكل لونها بين اصفر وورديّ وليموني . وكانت دائمة الارتجاف والارتعاش «كالمرآة في كفّ الاشلّ» فبعض شعاعها يتحرك شمالاً وجنوباً وبعضهُ شرقاً وغرباً . وبين الساعة ٦ ودق ٥٠ والساعة ٧ ظهرت اشعّة باهرة خلال القوس وكان كلٌّ منها يتلألأ نحو نصف دقيقة ثم يتضاءل ويزول فيحلّ غيرهُ محلهُ . وكانت هذه الاشعة تتحرك حركةً بطيئة ذات اليسار على شكل دائرة كما لو كانت اسنان دولاب يتحرك

ترياق سم الافاعي

قتلت الافاعي السامّة في الهند نصف مليون انسان في ٢٥ سنة آخرها سنة ١٩١١ اي عشرين الف نسمة في السنة . وقد هال هذا المقدار رجال المروءة فقاموا يبحثون منذ زمن طويل في وسيلة لدفع هذا الشرّ او تخفيفهِ . وسعى البعض اخيراً في عمل ترياق لسمّ صنف من اصناف الافاعي التي اشتهرت بخبثها فوفق الى ذلك . وقد استحضر هذا الترياق في مستوصف كيماوي بمدينة بمباي وطريقة استحضارهِ هي انهم يستخرجون السمّ من الصلّ الناشر ويلقحون بهِ الخيل مدة سنتين وهم يزيدون الحقنة على التوالي فتحصل الخيل على المناعة من ذلك السمّ ويصبح مصلها ترياقاً لهُ . ويقال انهُ يشفي كل ملسوع يلقح بهِ بشرط ان يلقح بهِ حالاً بعد اللسعة

تشارلس ولستون

توفي اول من مدَّ سلك التلغراف في البحر تشارلس ولستون فانهُ نال امتيازاً من نبوليون الثالث بمد سلك التلغراف في البحر بين انكلترا وفرنسا وشرع في ذلك في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٥٠ وكان ذلك السلك شريطاً واحداً دقيقاً قطرهُ عشر عقدة مغطّى بالكوتابرخا فمدَّ في يوم واحد ونقل الكلام عليهِ بين انكلترا وفرنسا اول مرة ولكن لم يمضِ عليهِ ثلاثة ايام حتى تلف وكان ثقلهُ خمسة اطنان غير انهُ ثبت منهُ امكان التخاطب بالتلغراف الممدود في قاع البحر . وفي العام التالي صُنع سلك ثخين مغطّى بالكوتابرخا والقنب والسلك المموه بالزنك وكان ثقلهُ ٢٠٠ طن فمدَّ في البحر واستعمل لنقل الاشارات التلغرافية بين انكلترا وفرنسا في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ . وكان عمر المستر ولستون حين وفاتهِ ٩٥ سنة

ترميم مدينة مسينا

يذكر القراء الزلزلة الهائلة التي انتابت مدينة مسينا عاصمة جزيرة صقلية سنة ١٩٠٨ فتركتها اطلالاً دارسة وقتلت الالوف من اهلها . وقد جاء في تقرير قنصل اميركا فيها ان ترميمها قائم على قدم وساق وان المدينة الجديدة تبنى كلها من الخرسانة المسلحة اذ قد دلّ الاختبار انها تقوى على احتمال الهزات الشديدة

نفقات فرنسا

في الحرب الحاضرة

قال المسيو ريبو وزير مالية فرنسا من خطبة القاها في مجلس النواب ان نفقات فرنسا منذ بدء الحرب الحاضرة الى اواخر سنة ١٩١٥ تقدر بنحو ٢٨¾ مليار فرنك تقسم كما يلي :

اولاً ٢٠ ١٨٥ ٧٧٦ ٣٤٠ نفقات حربية بحتة

ثانياً ١ ٨٨٨ ٣٥٥ ٤٣٦ للديون العمومية

ثالثاً ٣ ١٩٠ ٥٢٦ ٣٨٠ نفقات مشتركة

رابعاً ١٨٦ ٨٠٠ ٠٠٠ لتموين غير المحاربين

خامساً ٢ ٣٦٣ ٥٠٩ ٢٨٥ مصاريف اخرى

وقدر المسيو ريبو نفقات فرنسا في الاشهر الثلاثة الاولى من سنة ١٩١٦ بمبلغ ٧ مليارات و٥٢٣ مليوناً تقسم كما يلي

اولاً ٥ ٣٥٦ ٧٧٠ ٦٦٢ نفقات حربية بحتة

ثانياً ٥٦٠ ٧٣١ ٦٦٤ للديون العمومية

ثالثاً ٨٤٧ ٧٤١ ٤٥٠ مصاريف مشتركة

رابعاً ٧٥٧ ٨٥٣ ٠٣٤ مصاريف مختلفة اخرى

فيكون مجموع ما انفقته وتنفقه فرنسا على هذه الحرب من اول اغسطس سنة ١٩١٤ الى اواخر مارس من هذه السنة ٣٦ ملياراً و٢٣٨ مليون فرنك او نحو ١٥٠٠ مليون جنيه

الجراد في فلسطين

جاء في تقرير قنصل اميركا في القدس ان فلسطين نكبت في السنة الماضية بجراد لم يرَ الجيل الحاضر مثلهُ في كثافة جيوشهِ . فقد غطت ارجالهُ الحقول وامتدت منها الى اسواق القدس فكان منظر الشارع الذي امام القنصلية الاميركية وجيوش الجراد السوداء والخضراء زاحفة فيهِ كمنظر نهر جارٍ . ويظهر انهُ التهم كل خضراء ويابسة من غابات الزيتون وبساتين الاثمار والكروم ومعظم المواسم الصيفية . وفي اوائل السنة عينت الحكومة العثمانية لجنة لمكافحتهِ برآسة الدكتور هرون هرونسن مدير حقول الاختبار الخاصة باليهود . واصدرت امراً يقضي على كلّ ذكر من السكان بين سن ١٥ و٦٠ ان يجمع ٢٠ كيلواً من الجراد او يدفع بدلاً قدرهُ ليرة عثمانية . ولكن هذا التدبير وغيرهُ من التدابير الشديدة لم تجد نفعاً

حكم اميركية

الحكيم لا يقطع المنشار من يدهِ اكثر من اصبع واحدة (وهو مثل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)

توخَّ الاغراض العالية فان السهم الذي يصيب خشبة على الارض يصيب نسراً في السماء

اذا اراد الشيطان ان يقبض بيدهِ على انسان اقنعهُ ان شرب قليل من المسكر لا يضرهُ

مَن عاش عيشة ترضي ابليس فهو على حافة الهلاك سواءٌ كان مقامراً او عالماً من علماء الدين

لا شيءَ يقي الانسان من الخراب مثل حبهِ لزوجتهِ وولدهِ

استعن بمن فوقك وأَعِن مَن دونك

المنحط بالطبع اذا حاولت رفعهُ زاد انحطاطاً

مَن لا اله لهُ لا يُعنى بشيءٍ

من لا غرض لهُ لا يصيب شيئاً

مَن لا يتعلم من اغلاطهِ تعجز المدارس عن تعليمهِ

المرأة التي تتزوج رجلاً فاسداً لتصلحهُ تجهل قوة الطباع

التحول من الخصب الى الجدب

في الترنسفال جهة تسمى وترسبرج كان المثل يضرب بها في شدَّة الخصب في تلك الانحاء وهي الآن قفر بلقع فقد جفت انهارها وينابيعها ويبست جنائنها وكرومها وغادرتها انواع الحيوان التي كانت تمرح في غياضها ورياضها ولم يبقَ فيها الاَّ الحمائم اي الينابيع الحارة الماء ومنها يستقي السكان

هبات اميركية

اوصى المستر يستس هتشكس بمليون ريال لمدرسة يايل الجامعة . ووهب يعقوب شِف كلية برنرد خمس مئة الف ريال . ووهب رجل اخفى اسمهُ جامعة كليفورنيا مئة الف ريال. واكبر الهبات الحديثة ما اوصى بهِ المستر اموس انو لجامعة كولمبيا وهو ثلاثة ملايين ريال ولكن يقال ان ورثتهُ عارضوا في هذه الهبة

ورق المقتطف

كان من جنايات هذه الحرب على المقتطف ان احدى غواصاتها اغرقت السفينة التي كانت تحمل الورق المعد لطبع هذا الجزء فاضطررنا ان نؤَخر طبعهُ اياماً لعلَّ الورق الذي طلبناهُ بدلاً منهُ يرد في ميعاد قريب ولما رأَينا ورودهُ في الميعاد غير محتمل طبعنا اكثر هذا الجزء على ما وجدناهُ من الورق وهذا عذرنا عن تغيير ورقهِ وتأَخر صدورهِ

فهرس الجزء الاول من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن والاربعين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٤

مكروب اطالة العمر (١)

[ذكرنا في مقتطف اكتوبر سنة ١٩١٢ تحت هذا العنوان ما نصهُ « شاع ان الاستاذ متشنيكوف اكتشف في اجسام الكلاب مكروباً يميت المكروبات التي تسبب الشيخوخة وتقصر العمر وعليهِ فهذا المكروب يطيل العمر . ويقال انهُ هو ومساعدهُ الدكتور ولمن اثبتت لهما التجارب ان المكروبات التي تسرع الشيخوخة وتقصر العمر تولد وتتكاثر في ابدان الحيوانات آكلة العشب كالغنم والبقر وهي كذلك في الناس الذين يمتنعون عن اكل اللحم ويقتصرون على اكل الاطعمة النباتية ولكنها قليلة في الناس الذين طعامهم نباتي وحيواني معاً . غير ان هذا الاكتشاف لا يزال في حيز النظر »

وقد اطلعنا الآن على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ متشنيكوف نفسهِ فصَّل فيهِ كيفية اكتشافهِ وما بلغهُ من التحقيق حتى الآن وعلى مقالة اخرى في هذا الموضوع للدكتور هنري سمث وليمس فرأينا ان نترجم الاثنتين لما فيهما من وصف البحث العلمي الدقيق]

مقالة الاستاذ متشنيكوف

حياة الانسان سلسلة من التغيرات المستمرة نهايتها موت خالٍ من الالم بعد عمر طويل هذا اذا لم يطرأ على الانسان طارئ يصرم حبل حياته قبل الوصول الى نهاية هذا العمر والامراض التي تعتري جسم الانسان اكثرها مسبب عن المكروبات . واخبث هذه المكروبات ما كان منها مقرهُ المعى الغليظ (من المصارين) فانها تولِد فيهِ سموماً بتخميرها للطعام الذي لم يهضم تماماً او بافسادها اياهُ . وافتك هذه السموم اثنان احدهما الايدول والثاني الفنول وهما مادتان مركبتان تتولدان من خلال المواد الزلالية التي في اللحم والبيض

(١) من مقالتين في مجلة البال مال للاستاذ متشنيكوف والدكتور هنري سمث وليمس

وبعض البزور والحبوب كالفول واللوبياء والقمح وتفعلان فعل السموم البطيئة . وقد يتعذر على الجسم ان يتخلص من فعلها كما يتخلص من فعل غيرها من السموم البطيئة بتوليد موادّ تقاوم فعلها . فاذا كان الانسان صغير السن قوي البنية فقد لا يتمكن هذان السمان من الوصول الى دمهِ والفعل بهِ ولكن اذا ضعف جسمهُ واستمرَّ فعل هذين السمين بهِ ظهرت نتيجة فعلها اخيراً فيهِ . وعليهِ فالشيخوخة نتيجة هذين السمين لا نتيجة طول العمر . وقد اثبتُّ ذلك بالامتحان فاني اطعمت بعض الحيوانات مواد فيها قليل من الفنول فلم يظهر لهُ تأثير في اجسامها في اول الامر ولكن لم تمضِ بضعة اشهر حتى جعلت شرايينها تضعف واكبادها تتصلَّب وكلاها تلتهب التهاباً مزمناً

ومنذ عهد قريب جرَّب اثنان من المشتغلين معي في معهد باستور وهما اوكوبو الياباني والمسيو درانشنسكي تجارب مثل هذه بالايدول وذلك في الارانب وخنازير الهند والقرود . فاصيبت هذه الحيوانات بعاهات في شرايينها وكلاها واكبادها وادمغتها تشبه ما يصيب الناس في الشيخوخة تماماً في هذه الاعضاء حتى يحق لنا ان نقول ان ما يصيب الشيوخ في سن الشيخوخة ليس ناتجاً عن مجرَّد تقدمهم في السن بل هو بالاكثر نتيجة امتصاص اجسامهم لهذين السمين المتولدين في امعائهم سنة بعد سنة

ولا يخفى ان السموم التي تتولَّد في الامعاء تولّدها فيها المكروبات التي تكون في الامعاء عادة فكيف نُضعف فعل هذه المكروبات او نمنعهُ . وللوصول الى حل هذه المسألة يجب ان نبحث عن الطعام الذي يأكلهُ الانسان فينمي هذه المكروبات حتى تتكاثر في معاهُ . وقد ثبت لنا بالامتحان ان الاطعمة اللحميَّة تزيد مقدار هذين السمين والاطعمة النباتية واللبنيَّة تقللهُ . ولكن الحيوانات آكلة العشب ولاسيما الخيل يتولد هذان السمان في امعائها بكثرة . اما التجارب التي أُجريت في الناس فلم تكن دلالتها واحدة فان الذين اقتصروا على الاطعمة النباتية ولم يأكلوا شيئاً سواها كان تولُّد هذين السمين فيهم اكثر من تولدها في الذين اكلوا طعاماً ممتزجاً نباتيًّا وحيوانيًّا وكان اللحم والبيض كثيرَيْن في طعامهم

ولما رأينا ذلك اشكل علينا الامر فجعلنا نجرّب في الجرذان البيضاء لان الجرذ يستطيع ان يقتات بالطعام الواحد اسابيع كثيرة سواءٌ كان نباتيًّا او حيوانيًّا فارتنا التجارب ان الايدول والفنول يتولدان بكثرة اذا كانَ طعام الجرذان من اللحم والبيض وان الجبن وبياض البيض اقل توليداً لهذين السمين من بعض الاطعمة النباتية ولاسيما الموز والبطاطس وسائر الاطعمة النباتية الكثيرة المواد الالبيومينية كالبازلا والخبز الابيض . وكان توليد السمَّين على اقلهِ حينما جُعل طعام الجرذان من سكر البنجر والجزر والتمر

فاستنتجتُ من ذلك ان هذين السمين يتولدان من اختمار المواد الالبيومينية او من فسادها وان هذا الاختمار او الفساد يوقف او يمنع بواسطة بعض الحوامض التي تتكوّن من السكّر . فاذا كان الطعام لحماً امكن منع تولّد هذين السمين منهُ في الامعاء بمزجهِ باطعمة نشوية تولّد سكراً كالبطاطس و باثمار حلوة كالتمر

ولكن الاطعمة السكرية تمتصّ من القناة الهضمية الى الدم باسرع مما تمتص بهِ المواد الالبيومينية كاللحم والبيض لان اكثرها يمتص من المعدة قبلما يصل الى الامعاء حيث تكون المكروبات التي تفعل بالمواد الالبيومينية وتولّد منها الايدول والفنول . ثم ان المواد النشوية تصل الى الامعاء مع المواد الالبيومينية وقد تحول الى مواد سكرية ولكن المكروبات التي تحوّل النشا الى سكّر تفعل ايضاً بالمواد الالبيومينية وتحلها فتزيد السم الذي تكون المواد السكرية ترياقاً لهُ . اي ان المواد التي تولّد الترياق تولّد السم ايضاً

فدعت الحاجة الى اكتشاف مكروب يحوّل النشا الى سكر ولا يفعل بالمواد الالبيومينية . وقد اكتشفنا هذا المكروب بعد بحث كثير وجدناهُ مع المكروبات التي تكون عادة في امعاء الكلاب . ولما استخرجناهُ واستنبتناهُ وجدنا اننا اذا مزجناهُ بالبطاطس المطبوخة واطعمناها الناس والجرذان قلّ السمّان المشار اليهما في امعائهم جداً

و بعد تجارب كثيرة ركّبنا طعاماً اذا اكلتهُ الجرذان زال الايدول والفنول من امعائها تماماً او لم يبقَ منها الاّ شيء قليل جداً . وهذا الطعام مؤلف من لحم الخنزير والبيض (وكلاهما من مولدات الايدول والفنول) ومن البنجر والتمر (وهما من مولدات السكر) ومن البطاطس والمكروب المستخرج اصلاً من امعاء الكلاب (وقد اطلقنا عليهِ اسم الغليكو بكتير يوم اي مكروب السكر) . ولما كنا نعلم ان ترياق الايدول والفنول ليس السكر نفسهُ بل الحوامض التي تتولّد منهُ رأينا ان نضيف الى هذا الطعام مستنبتات من مكروبات الحامض اللبنيك او اللبن الرائب التي كنا نظن انها مفيدة فجاءت النتيجة على ما يرام حتى اننا جربنا هذا الطعام في الانسان . وكان الطعام الذي امتحناهُ فيهِ مؤلفاً من ٤٨ درهماً من اللحم في اليوم و ٢٤٠ درهماً من اللبن الرائب وما يكفي من الخضر والاثمار والخبز ومكروب السكّر . فقلّ الايدول والفنول قلّة لم نعهد لها مثيلاً من قبل مهما كان نوع الطعام . وظهر كأن ميكروب السكر يساعد الجسم على مقاومة ميكروبات الامعاء التي تولد الايدول والفنول فقاومنا المكروب بالمكروب ولا يفلّ الحديد الاّ الحديد

وما فعلناهُ حتى الآن انما هو الخطوة الاول نحو الغرض الذي نرمي اليهِ واننا لنرجو

ان نحوّل كل مكروبات الامعاء من الضرر الى النفع . فاذا كان استنتاجنا الاول صحيحاً وهو ان السمّين المذكورين آنفاً اي الايدول والفنول هما المسببان للشيخوخة فهذا التحويل مما لا يقدَّر نفعهُ إيلي متشنيكوف

بحث متشنيكوف الجديد

قد يعيش الانسان ثلاثين سنة وهو على تمام الصحة والعافية فلماذا لا يعيش كذلك ثلثمائة سنة او ثلاثة آلاف سنة (كما يعيش بعض الاشجار)

اعتقد البعض ان ذلك ممكن اذا عُرِف السبيل اليهِ . وقد رسخ هذا الاعتقاد في اذهان الناس في القرون الوسطى وحسبوهُ من الاوليات التي لا يُشكّ في صحتها ولذلك قضى بعضهم العمر وهم يبحثون عن طريقة لعمل الاكسير الذي زعموا انهُ يمنع الموت . وظنَّ غيرهم ان هذا الاكسير موجود في الطبيعة وقد ذهب بونثا دا لاون السائح الاسباني الى فلوريدا باميركا في اوائل القرن السادس عشر لاكتشافهِ هناك فاكتشف ولاية كبيرة ولم يكتشفهُ

وقد قام بونثا آخر في عصرنا هذا وهو الاستاذ إيلي متشنيكوف في معهد باستور وذاع صيتهُ في الافاق منذ ٢٥ سنة ببحثهِ عن خلايا الدم البيضاء فانهُ اثبت ان هذه الخلايا الصغيرة تقتل المكروبات المرضية فتعين الانسان على حفظ صحتهِ فمهَّد السبيل لكل ما تمَّ في الطب الواقي واستطرد الى البحث في امور اخرى تتعلق بحياة اعضاء الجسم وموتها واخيراً اتجه بحثهُ كلهُ الى منع الشيخوخة

وقد انتبه لذلك منذ سنوات حينما رأى ان الفلاحين في بلاد البلغار يعمّرون طويلاً ووجد انهم يكثرون من اكل اللبن الرائب (لبن الزبادي) فظن ان بين تعميرهم واكلهم لهذا اللبن علاقة سببيَّة وجعل يبحث عن هذه العلاقة . فوجد ان اللبن الرائب يحمض طعمهُ بسبب مكروب يسمَّى مكروب الحامض اللبنيك ولذلك يكون فيهِ مقدار كبير من هذا المكروب . ثم وجد بالبحث ان هذا المكروب يدخل المعدة مع اللبن ويصل الى المعى الغليظ ويتكاثر فيهِ ويعدّل بعض السموم التي تكون فيهِ وتضرُّ بالانسان اذا انتشرت في بدنهِ

لما رأى ذلك اشار باستعمال اللبن الرائب علاجاً . فشاع هذا العلاج واستعملهُ كثيرون من الاطباء ولكن بقي فريق كبير منهم لا يعتقد بفائدتهِ

وظن متشنيكوف ان فائدة هذا المكروب تقلُّ اذا لم يجد في الامعاء ما يكفيهِ من

الغذاء الصالح لهُ فاهتمَّ بالبحث عمَّا يزيد هذا الغذاء في الامعاء واخيراً اكتشف المسيو ولمن مساعدهُ في معهد باستور مكروباً يولّد السكَّر فسمي غليكو بكتيريوم اي بكتيريوم السكر او مكروب السكَّر. وقد وُجد هذا المكروب اولاً في امعاء الكلاب ولكن يمكن استنباتهُ وتربيتهُ في المعامل واذا دخل جسم الانسان نما فيهِ فيفيد في توليد السكَّر طعاماً لمكروب الحامض اللبنيك فيقوى هذا المكروب على القيام بعملهِ المفيد وهو ابطال فعل السموم التي تكون في الامعاء

ولا يخفى انهُ لا يمكن القطع بفائدة هذا المكروب المولد للسكر في اقاتة مكروب الحامض اللبنيك وبالتالي في ازالة السموم التي تقصر العمر الاَّ بعد ما يثبت فعلهُ هذا بالامتحان سنوات عديدة. ولكنَّ رجلاً واسع الشهرة مثل الاستاذ متشنيكوف لا يدَّعي دعوى ما لم تقم لديهِ ادلة كافية على ثبوتها فلننظر الى الادلة التي اقنعتهُ بصحة ما ادعاهُ

تقدم ان همهُ كان موجهاً الى مقاومة بعض السموم التي تتولَّد في الامعاء. ولا شبهة في ان هذه السموم تتولد في الامعاء وانها عرضة لان يمتصها الجسم من الامعاء فتضرَّ بهِ

في كل الاطعمة مواد قابلة لان تصير سامَّة مضرَّة فان اهم عناصر الطعام الكربون والاكسجين والهيدروجين والنتروجين فاذا اتحدت هذه العناصر اتحاداً صالحاً كان منها الطعام المغذي الضروري لحفظ الحياة ولكن اذا انحلت مواد الطعام الى عناصرها فقد يتركب منها مركبات سامَّة جدًّا فالكربون مثلاً يتحد بالاكسجين فيتولَّد من اتحادهما غاز سام يخنق خلايا الجسم ويميتها اذا لم ينفث من الرئتين حالاً. وكذلك قد يتحد نتروجين الطعام وكربونهُ وهيدروجينهُ بالاكسجين ويتكون منها يوريا ومركبات الحامض اليوريك (البوليك) التي ان لم تفرزها الكليتان حالاً مع البول ادَّت الى السبات فالموت. وهذه امور معروفة مشهورة لدى دارسي الفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء)

ولكن ألا يحتمل ان تعجز الرئتان والكليتان عن طرد بعض هذه السموم فيبقى منها شيء في الجسم لا يظهر ضررهُ ما دام قليلاً ولكنهُ يزيد رويداً رويداً بما يضاف اليهِ من وقت الى آخر حتى يقوى على الإضرار بالجسم. نعم يحتمل ذلك وكل طبيب يعلم انهُ واقع فعلاً وان طائفة كبيرة من الامراض سببها تراكم هذه السموم في الجسم. أوَلا يحتمل ان يكون سبب الشيخوخة بعض السموم الآلية التي تتكون في الجسم فتوقع فيهِ الانحلال تدريجاً حتى يشيخ ويموت. يقول متشنيكوف ان هذا هو الواقع بلا شك. وعندهُ ان لتراكم الفضول في الجسم اليد الطولى في جعل انسجتهِ تضعف رويداً رويداً عن التجدُّد الى ان تعجز عن القيام بوظائفها فيشيخ ويموت

والمرجح ان الامر الذي وجَّه افكار الاستاذ متشنيكوف الى هذا الموضوع هو ما بيَّنهُ الاستاذ وسمن من ان الحي المؤَلف من خليَّة واحدة (كالانفيوزوريا والبروتوزوى) لا يموت ابداً موتاً طبيعياً . وهذا الامر على غرابتهِ يمكن اثباتهُ بالعمل فاذا نظرت الى حي صغير من هذه الاحياء المكروسكوبية المعروفة بالبروتوزوى رأيتهُ يتحرك و يتأثر بما حولهُ من المؤثرات و يأكل ما يجدهُ في الماء من الطعام فيبقي بعضهُ في جوفهِ غذاء لهُ و ينبذ البعض الآخر كأنهُ يراهُ غير صالح فيكبر جسمهُ رويداً رويداً الى ان يبلغ أكبرهُ ثم يضيق من وسطهِ و ينقسم الى اثنين كلٌّ منهما مثل الحي الاول تماماً في صفاتهِ وحركاتهِ . و يسير كلٌّ منهما على الخطة التي سار عليها ابوهُ اي الحي الذي هو نصفهُ . فيأكل وينمو ويتخصر من وسطهِ و ينقسم اثنين و يتم ذلك كلهُ في بضع ساعات . وكل واحد من الاثنين يصير اثنين وهلم جرًّا فيتولد من الحي الواحد الوف وملايين من الاحياء في زمن قصير وهي ليست اولاد الحي الاول بل هي الحي الاول نفسهُ وقد كبر حجمهُ وتعدد بالانقسام بعد ان كان واحداً . وعليهِ فالحيُّ الاول لم يمت بل زاد حجماً وعدداً

وقد ثبت بالامتحان انهُ اذا قُدّم الى هذه الاحياء الغذاء الكافي دائماً ونُزعت الفضول التي تفرزها ومُنعت المكروبات الضارة من الوصول اليها بقيت على صحتها وتكاثرها ولم يظهر فيها اقل ضعف او عجز ولو تكرَّر انقسامها الوفاً من المرات

واجسام الناس وكل الحيوانات مؤلفة من الخلايا وكل خلية مثل الخلية التي يتألف منها جسم الحي المذكور آنفاً . ومن الامور المقررة ان كل حي يتولد من بيضة . والبيضة التي يتولد منها جسم الانسان خليَّة قلما تفرق عن هذا الحي المكرسكوبي وهي تمتص الغذاء وتكبر وتنقسم مثلهُ الى قسمين وكل قسم من قسميها ينقسم الى اثنين وهلم جرًّا ولكن اقسامها هذه لا تنفرد وتستقل بنفسها كما تفعل اقسام الحي المذكور آنفاً بل تبقى بعضها مع بعض لتكوين الجنين الذي يصير طفلاً فان بعضها يتشكل بشكل العضلات و بعضها بشكل العظام و بعضها بشكل الاعصاب الى آخر اعضاء الجسم . وكل هذه الاعضاء تتولد من الخلية الاولى وهي مثلها تتناول الطعام فتغتذي بهِ وتنبذ الفضول . فهل فيها قوة على عدم الموت مثل الخليَّة الاولى . هذه هي المسألة المهمَّة . يظن بعض العلماء انها كذلك و يخالفهم البعض الآخر وحجَّة هؤُلاء انهُ لا يمكن ان يُكتسَب شيء الاَّ ونقع خسارة تقابلهُ وان تجمُّع الخلايا في مجاميع مختلفة هو سبب الفرق بين حياة الانسان وحياة البروتوزوى فهو كسب يجب ان تقابلهُ خسارة ما وهذه الخسارة هي فقدان الخلايا للخلود . كأن الاحياء الكبيرة اشترت تنوُّع

اعضائها ووظائفها ودفعت ثمنهُ تعريض خلاياها للموت . فالشيخوخة والموت ليسا من لوازم الحياة ولكنهما من لوازم التنوُّع الذي يجعل الحياة صالحة لان يحياها الانسان

اذا صحَّ هذا الحكم فالبحث عن الوسائل التي تمنع الموت من قبيل العبث . الاَّ ان متشنيكوف وانصارهُ يشكُّون في صحة هذا الحكم والبحثُ الحديث يقوي شكهم فانهُ قد اثبت ان اجزاء الجسم يمكن ان تعيش وتنمو بعد فصلها عن الجسم كما ابان الدكتور الكسس كارل ورفاقهُ في معهد ركفلر بنيو يورك

فان الدكتور كارل يقطع اجزاء من جسم فرخ ميت او كلب ميت او حيوان آخر ميت و يضعها في آنية من الزجاج و يقدِّم لها الغذاء المناسب فتعيش وتنمو اي تكبر خلاياها وتنقسم كما لو كانت باقية في جسم الحيوان الذي قُطعت منهُ وكأَن ذلك الحيوان لا يزال حيًّا. ولكن هذه القطع لا تبقى حيَّة الاَّ اذا نُزعت من حولها الفضول التي تفرزمنها لئلاَّ تسمها فثبت من ذلك ان انسجة الحيوان لا يلزم ان تموت اذا مات ذلك الحيوان. والظاهر ان الانسجة التي وضعها الدكتور كارل في الآنية الزجاجية وقدَّم لها الغذاء الكافي يمكن ان تعيش الى الابد

وثبت مثل ذلك من تجارب الدكتور ملتزر وهو من معهد ركفلر ايضاً فانهُ قتل الكلاب وغيرها من الحيوانات ثم احياها بالتنفس الصناعي . واستعملت طريقتهُ في احياء الذين اختنقوا في المناجم او قتلوا بالكهربائية . و يقال ان رجلاً اصابتهُ الكهربائية فامانتهُ حسب الظاهر ثم أُعيد الى الحياة بهذه الطريقة بعد ان مرَّ عليهِ اربع ساعات وهو فاقد الشعور

يستدل من ذلك كلهِ على انهُ اذا مات حيوان فموتهُ لا يستلزم ان تكون انسجة جسمهِ كلها قد فقدت حياتها الذاتية . وعند متشنيكوف واتباعهِ ان ذلك يدلُّ على ان الانسان يسلم من الموت اذا وجد السبيل المؤَدي الى ذلك ولا يموت الاَّ اذا اصابهُ عارض قتلهُ او مرض اماتهُ اي انهُ لا يوجد ما يسمَّى بالموت الطبيعي او الموت حتف الانف

ولكن المشاهد ان الاحياء العليا تموت كلها أفلا يدل ذلك على ان الموت الطبيعي امرٌ ثابت . يقول اتباع متشنيكوف كلاَّ اي ان موت الانسان والحيوانات العليا كلها لا يدلُّ على انها تموت موتاً طبيعيًّا لان الجسم لا يخلو من الوف وملايين من المكروبات الضارة حتى في حال الصحة التامة وهي تعيش وتنمو في الغشاء المخاطي المبطن للفم والقناة الهضمية والمسالك الهوائية . وهذه المكروبات كثيرة التوالد جدًّا حتى اذا ناسبت مكروباً واحداً منها الاحوال تولَّد منهُ في بضعة اسابيع ما يزيد وزنهُ على وزن الانسان كلهِ ولكن خلايا الجسم المجاورة لهذه المكروبات تحاربها وتمنع تكاثرها

وهذه المكروبات مؤلفة من خلايا مفردة كالخلايا التي يتألف منها جسم الانسان. وهي تغتذي من الطعام الذي يغتذي جسم الانسان منهُ فتضيّق باب الرزق عليهِ لانها تمتص جانباً من الغذاء المعد لهُ ثم هي لا تكتفي بذلك بل تفرز مفرزات سامّة تضرُّ بهِ قليلاً او كثيراً . وعند متشنيكوف ان هذه المفرزات هي سبب انحلال الجسم وموتهِ فهذا الموت ليس طبيعيًّا بل هو قسري

والتخلُّص من هذه المكروبات ضرب من المحال . نعم ان العلماء منعوا وصولها الى بعض الاحياء الدنيا في تجاربهم فاثبتوا ان تلك الاحياء تبقى حية الاَّ ان ذلك لا يمكن اجراؤُهُ في الحيوانات العليا لاننا لم نجد طريقة تمنع وصول المكروبات اليها. ولكن ألا يمكن ان توجد طريقة لذلك في المستقبل . ألا يمكن ان يتمكن الانسان اخيراً من استئصال المكروبات التي تعيش في جسمهِ

الظاهر ان الوصول الى هذا الغرض ضرب من المحال ولكن لا شبهة في ان الانسان قد تغلَّب على اكثر المكروبات ضرراً ومتى عرف عدوهُ فقد يجد وسيلة للتغلُّب عليهِ . والآن قد عرفنا اعداءنا التي تصرم حبل حياتنا

اخذ الطب المنعي يحارب هذه الاعداء وقد تغلب على كثير منها . فمنذ مئة سنة كان عشر الناس يموتون بالجدري والآن كاد مرض الجدري يستأصل من الدنيا ومنذ عشرين سنة كانت الدفثيريا شديدة الفتك بالاولاد والآن كبح مصل بيرنج جماحها . ومنذ عشر سنوات كانت التيفويد تتهدَّد كل احد والآن صار طعم الدكتور ريط يقي منها كل من يتطعَّم بهِ . ومنذ ثلاث سنوات كان الداء الزهري عدوًّا لدوداً والآن تغلَّب عليهِ السلفرسان . ومنذ سنة كان السرطان داء لا يؤمل شفاؤُهُ مطلقاً اما الآن فقوي الامل بوجود علاج لهُ

وقد وجه متشنيكوف وغيرهُ من العلماء الانظار الى مكروبات ضررها قليل تقيم في جسم الحيوان من غير ان تعجّل موتهُ ومنها النوع الذي اشار متشنيكوف بادخالهِ الى الامعاء لكي يحارب المكروبات التي تولّد السموم فيها واذا نجح ذلك لم يظهر نجاحهُ جليًّا واضحاً كما ظهر قتل مكروبات الامراض السريعة الفتك ولكن النتيجة البعيدة التي يؤدي اليها هذا الاكتشاف لا تكون اقل اهميَّة من منع الامراض لان هذه النتيجة تتعلق باطالة عمر الانسان مباشرة

وكل ذلك قد لا يمنع الموت ولكنهُ يدل على ان البحث عن منع الشيخوخة وابقاء الانسان في سن الشباب ليس من المباحث العقيمة التي لا ترجى منها فائدة

هنري سمث وليمس

طعام الجنود

يختلف طعام الناس نوعاً ومقداراً اختلافاً كبيراً فبينما ترى المثري المتفرنج في المدن يأكل خبز البيرة ولحم الطير والضان والسمك وانواع الخضر والفواكه والحلوى و يتفنن طاهيهِ في طبخ ما يطبخهُ منها حتى لا يقدّم لهُ من لون واحد مرتين في اليوم ولا في اليومين والثلاثة ترى الفلاَّح في الارياف يكتفي بخبز الذرة والشعير لا يأدمهُ بشيء او يأكل معهُ قليلاً من البصل والمش ولا يحول عن هذا الطعام يوماً بعد يوم وشهراً بعد آخر . وهو في الغالب اجود صحةً من المثري واشد منهُ عضلاً وانعم بالاً

والناس احرار فيما يأكلون على حد المثل القائل كُلْ ما تشتهي والبسْ ما يعجب الناس ولو قيَّد موسروهم انفسهم بالعادات . ولكن الجنود ليسوا احراراً بل يضطرون ان يأكلوا ما يفرض لهم من العلوفة (الجراية) وقد كان ذلك شأنهم من قديم الزمان من عهد اليونان والرومان وهذا الاضطرار غير جائر بل هو في مصلحتهم لان ما يفرض لهم من الطعام هو في الغالب اكثر وافضل مما يأكلونهُ في بيوتهم . وتراعى فيهِ صحتهم وقوتهم كما تراعى احوال بلادهم وما فيها من مواد الطعام الكثيرة التي يمكن الاعتماد عليها

وقد بحثنا عن طعام الجندي المصري فوجدنا انهُ يتألف من المواد التالية

خبز	٢٥٠ درهماً في اليوم	مدة ٣٥٣ يوماً
بقسماط	٢٠٠ درهم « «	« ١٢٠ «
فول	٠٢٠ درهماً في اليوم	مدة ١٨٤ «
وعدس	٠٢٠ « « «	
عدس فقط	٠٤٠ « « «	« ١٨١ «
لحم	٠٣٥ « « «	« ٣٦٥ «
رز	٠٢٠ « « «	« ٣٦٥ «
سمن	٧٠ دراهم « «	« ٣٦٥ «
ملح	٠٠٥ « « «	« « «
بصل	٠٠٥ « « «	« « «
خضر	٠٤٥ « « «	« « «

وذلك اكثر وافضل مما يأ كلهُ الجندي في بيتهِ · والسوداني كالمصري من هذا القبيل ولكن السوداني يعطى عدساً فقط بدل الفول و يعطى ذرة في بعض الاماكن بدل الخبز · ويعطى كل عسكري يوميًّا من اللوازم الاخرى ٤٥ درهماً من الفحم الحجري او ١٥٠ درهماً من الحطب لطبخ طعامهِ ودرهمين ونصف درهم من البترول وخمسة دراهم من الصابون

وتبلغ نفقات العسكري المصري في مصر نحو سبعة جنيهات في السنة وفي السودان بين سبعة جنيهات و ١١ جنيهاً حسب الجهة التي يكون فيها وحسب اسعار المأكولات

وقد وقفنا على مقالة للمستر اوستاس ميلس ذكر فيها اطعمة الجيوش الاوربية وهاك خلاصتها

طعام الجندي الالماني	خبز	٤٢٠	درهماً	في اليوم
	لحم	٢١٢	«	«
	بازلاً	١٤٤	«	«
	زبدة	٠٢٠	«	«
طعام الجندي النمسوي	خبز	٣٦٠	درهماً	في اليوم
	رز او خضر مقددة	٠٥٩	«	«
	شوربا في علب	٠١٦	«	«
	لحم	١٢٧	«	«
	شحم	٠٠٨	دراهم	«
	سكر	٠٠٥	«	«
طعام الجندي الانكليزي	خبز	١٨٠	درهماً	في اليوم
	لحم طري	١٨٠	«	«
	« مقدد	٠٤٨	«	«
	جبن	٠٣٦	«	«
	مربى	٠٤٨	«	«
	سكر	٠٣٦	«	«
	خضر يابسة	٠٢٤	«	«

طعام الجندي الفرنسوي	خبز	٤٢٠	درهماً	في اليوم
	لحم	١٣٢	«	«
	خضر	٠٢٦	«	«
	سكر	٠١٢	«	«
طعام الجندي الروسي	خبز	٤٣٣	درهماً	في اليوم
	لحم	٢٦٠	«	«
	حبوب مقشورة	٠٥٧	«	«
	شحم وزبدة	٠٣٢	«	«
طعام الجندي الايطالي	خبز	٣٨٨	درهماً	في اليوم
	لحم	١٣٣	«	«
	رز	٠٦٣	«	«
	سكر	٠٠٨	«	«

فالجندي الروسي اكثر هؤلاء الجنود اكلاً للحم ويتلوهُ الانكليزي فالالماني فالايطالي فالفرنسوي فالنمسوي فالمصري . ولكن اذا اعتبرنا ما في الطعام من الغذاء فطعام الجندي الانكليزي اكثر غذاء من غيره لكثرة ما فيهِ من الجبن والسكر واللحم المقدَّد القليل الماء ويتلوهُ طعام الجندي الروسي او يماثلهُ لكثرة ما فيهِ من الخبز واللحم ثم طعام الجندي الالماني فالفرنسوي فالايطالي فالنمسوي . واللحم قليل في طعام الجندي المصري اذا قوبل بطعام الجنود الاوربية ولكنهُ اكثر كثيراً مما يأكلهُ الرجل من جمهور المصريين . ثم ان الجندي المصري يأكل الفول والعدس والرز والسمن وكلها اطعمة مغذية جدًّا ولو كان وزنها قليلاً لان الحبوب جافَّة قليلة الماء

كان ابطال اليونان في عهد هوميروس قبل المسيح باكثر من ٨٠٠ سنة يأكلون اللحم والجبن والعسل واما عامَّة الجند فكانوا يأكلون الذرة والزيت والزيتون والاثمار والبقول وكذلك جنود الفرس الذين اقليمهم مثل اقليم اليونان وكانوا معاصرين لهم كانوا يكتفون باكل الخبز والاثمار والخضر مع انهم بلغوا في غزواتهم بلاد اليونان وبلاد مصر . وهذا كان شأن الرومان الذين تغلبوا على اليونان فان طعامهم كان الحبوب وادامهم الدهن

والعرب امتدوا في غزواتهم الى بلاد الهند شرقاً وبلاد الروس شمالاً واسبانيا غرباً وطعامهم خبز الشعير واللبن والرز والاثمار

وكان طعام الجنود اليابانيين الى عهد قريب الرز غير المبيض والبيض والسمك المقدَّد والاثمار اليابسة · ولا يزال عرب البادية يغزون المغازي وطعامهم قليل من التمر واللبن وكان جنود التعايشي من السودان والعرب يكتفون بقليل من الذرة والتمر اي ان طعامهم كان نباتيًّا محضاً وعلى الضد من ذلك قبائل هنود اميركا فانهم كانوا يحاربون وطعامهم حيواني محض من دقيق اللحم المقدد · ولما كان ولنجتون القائد الانكليزي الشهير في بلاد البرتغال مع جنوده سنة ١٨٠٨ كانت علوفة الواحد منهم رطلاً من الخبز ورطلاً من اللحم ثم اعوزهم الخبز فامر ان تصير علوفة الواحد منهم رطلين من اللحم

وكل الذين قادوا الجيوش من قديم الزمان الى الآن اهتموا بزادهم فرأوا اولاً ان يكون خفيف الوزن كثير الغذاء لكي يسهل حملهُ من بلاد الى اخرى · وثانياً ان يكون مما يسهل بقاؤُهُ زمناً طويلاً من غير ان يفسد او يتلف وثالثاً ان يكون من الاطعمة التي تكثر في بلادهم كالقمح والرز والذرة ولا يخشى من نفادها ولذلك فطعام الجنود في كل بلاد هو من نوع الطعام الكثير في تلك البلاد يجمع و ينشف او يقدَّد او يملح حتى يقل حجمهُ و يمتنع فسادهُ

هذا من حيث نوع الطعام اما مقدارهُ فيجب ان يكون مثل اكبر مقدار يأكلهُ الرجل عادة في وطن الجندي واقليمهِ · ولا ينحصر ذلك في مقدار الغذاء في مجموع الطعام بل يتناول ايضاً كل نوع من انواعهِ على حدة · فالامة التي يُكثِر سكانها من اكل اللحم يكثر جنودها من اكل اللحم ايضاً فاذا حسبت نسبة اللحم في طعام الجنود الاوربية كانت كما في هذا الجدول

اللحم في طعام الجندي البريطاني يعدل ٣٠ في المئة
وفي « « الروسي « ٢٩½ « «
« « « الالماني « ٢٤ « «
« « « الفرنسوي « ١٩ « «
« « « النمسوي « ١٧½ « «
« « « الايطالي « ١٧½ « «

نعم ان بلاد الانكليز والروس والالمان ابرد من بلاد الفرنسويين والنمسويين والايطاليين واجسام الانكليز والروس والالمان اكبر من اجسام الفرنسويين والنمسويين والايطاليين ولكن الفروق من هاتين الجهتين لا تكفي لتعليل الفرق الكبير في مقدار اللحم ونسبتهِ الى بقية الطعام ولا يعلَّل هذا الفرق الكبير الاَّ بتعوُّد امم الشمال على الاكثار من اكل اللحم · فان العادة تتملك الانسان ولو لم يكن لها سبب معقول · فقد ابنا في مقالات سابقة ان اللحم اغلى جدًّا

من الحبوب على انواعها اذا اعتبرنا ما فيهِ وفيها من الغذاء والقوة لجسم الانسان ولذلك لا يستغرب اذا قللت الممالك الاوربية الآن من تقديم اللحم الى جنودها ولكن لتقليلهِ حدًّا لا يحسن تجاوزهُ لان الجسم الذي اعتاد ان يستمد اكثر قوتهِ من اللحم يعسر عليهِ استمدادها من الذرة ولذلك لا ينتظر من الجنود التي مُنعت عن بلادها موارد الغذاء الكافي ان تبقى على قوتها ونشاطها كالجنود التي لم يمنع عنها شيءٌ من ذلك

الحار والحرّيف سببهما

لماذا الفلفل والبصل حاران والرشاد والجرجير حرّيفان . وما سبب لسع القلقاس ولماذا لا تدمع العين منهُ كما تدمع من البصل . وكيف تزول الحرارة من البصل والثوم اذا شويا او سلقا ومن القلقاس اذا قلي وطبخ . هذه مسائل تخطر على البال ولكن لم يُعلَم لها حلٌّ الاَّ الآن فان الاستاذ وليم لازنبي من اساتذة جامعة اوهيو باميركا بحث في هذا الموضوع بحثًا مدققًا فاكتشف سبب ما في بعض النباتات من الحرارة والحرافة وهاك خلاصة بحثهِ

ان مادَّة النبات مركبة من الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون وفيهِ ايضًا املاح الكلسيوم والمغنيسيوم والبوتاسيوم والحديد والكبريت والفصفور . وهذه المواد موجودة في كل خلية من خلايا النباتات الحية . وفي هذه الخلايا ايضًا املاح الصوديوم والسليكون ولكن هذه الاملاح غير لازمة لحياة النبات وانما توجد فيهِ لانهُ لا يستطيع التخلُّص منها . والمواد المذكورة آنفًا توجد في جدران الخلايا متبلورة او غير متبلورة . وقد يوجد في قلب الخلية بلورات اخرى اخصها اكسلات الكلسيوم وكربونات الكلسيوم وهذه البلورات صلبة ابريَّة في الغالب اي ان شكلها مثل شكل الابر الدقيقة

وسنة ١٨٩٠ تلا الاستاذ لازنبي مقالة في مجمع تقدُّم العلوم الاميركي قال فيها ان سبب ما في بعض النباتات من الحرارة والحرافة هو بلورات ابرية دقيقة جدًّا تكون في خلاياها فتدخل غشاء الفم وتخزهُ كوخز الابر . فخالفهُ علماء النبات في ذلك قائلين ان هذه البلورات توجد ايضًا في نباتات اخرى غير حريفة كالعنب او قليلة الحرافة كالراوند وان الجوهر الحريف او الحار مادة طيَّارة لا تذوب في الماء ولا في الكحول بل تذوب في الايثر وتطير بالحرارة والجفاف ولكنهم لم يبينوا ماهية هذه المادة . ولا يخفى انك اذا قصصت بصلة وشممت رائحتها دمعت عيناك وشعرت بشيءٍ من حرارتها قبل ان تذوقها ولكنك اذا شممت رائحة القلقاس

لا تدمع عيناك مع ان طعمهُ اشد لذعاناً من طعم البصل ولكنك اذا لمست قطعة منهُ بيدك شعرت بلذعان فيها اذا لم يكن جلدها سميكاً وذلك يدلُّ على ان المادة الحريفة طيارة في البصل المقصوص وغير طيارة في القلقاس المقصوص مع انها شديدة الفعل فيهِ حتى تدخل اليد ولا تدخلهُ من البصل

وقد استقطر الاستاذ لازبي اللفت الهندي الحار جدًّا فلم يجد في ما استقطر منهُ مادة حريفة فدلَّ ذلك على ان مادتهُ الحريفة ليست طيَّارة كمادة البصل

وكان المظنون ان المادة الحريفة تذوب في الايثر فدقَّ مقداراً كبيراً من اللفت الهندي وعصرهُ فوجد عصيرهُ صافياً كالماء وهو حريف جدًّا كاللفت نفسهِ فوضع جانباً من هذا العصير في اناء زجاجي مع ما يساويهِ من الايثر ورجَّهُ جيداً وانتظر حتى انفصل الايثر عن العصير وذاق نقطاً قليلة من الايثر فلم يشعر بحرافة في اول الامر ولكن لما طار الايثر كلهُ عن لسانهِ شعر بحرافة شديدة كأَنهُ ذاق عصير اللفت قبلما اضاف الايثر اليهِ وكأَنَّ شيئاً من المادة الحريفة ذاب في الايثر وبقي على اللسان بعد ما طار الايثر فأَثَّر فيهِ

لكن الايثر كان عكراً فاراد ان يعرف سبب تعكرهِ فوضع نقطتين منهُ على لوح من الزجاج وتركهُ حتى طار ثم نظر الى محلهِ بالمكرسكوب فوجد هناك ما لا يحصى من الابر الدقيقة وتسمَّى في علم النبات روافد[1] . ثم رشح بعض الايثر العكر برشحة فنزل منها صافياً فذاق بعضهُ فلم يبقَ منهُ شيءٌ حريف ووضع نقطة منهُ على زجاجة فلما طارت لم يبقَ على الزجاجة شيءٌ من الابر فدلَّ ذلك على ان البلورات الابرية التي في عصارة اللفت الهندي تمتزج بالايثر امتزاجاً وتعكرهُ واذا رشح اصقت كلها بالمرشحة واذا طار قبلما رشح بقيت على لوح الزجاج الذي كان عليهِ

وامتحن عصارات نباتات اخرى حريفة فثبت لهُ ان المادة الحريفة التي فيها ليست جوهراً طياراً كما كان يُظَن بل هي ابر دقيقة من البلورات

ولكن هذه البلورات الدقيقة توجد ايضاً في غير النباتات الحريفة فكيف تكون هي سبب الحرافة في بعض النباتات ولا تكون سبباً لها في البعض الآخر . ولماذا تفقد النباتات الحريفة حرافتها اذا شويت او سُخِّنت و يفقد بعضها حرافتهُ ايضاً اذا جفَّ . وقد ظنَّ اولاً

---

(١) جمع رافد والكلمة يونانية ومعناها ابرة ومنها رفأَ العربية بمعنى خاط والرافدة بمعنى الخشبة المستطيلة والرفء والمرفأُ بمعنى الميناء وكل ذلك يوناني الاصل على ما يظهر لنا

ان مادة البلورات الواحدة غير مادة البلورات الاخرى ولكنهُ وجد بالحل الكيماوي ان مادة النوعين واحدة وهي اكسلات الكلسيوم · فالبلورات التي في العنب والراوند والفخسيا مثل البلورات التي في اللفت واللوف والقلقاس فلماذا نجد الثانية حريفة لذّاعة والاولى غير لذاعة ولا حريفة

اخذ قليلاً من عصارة الفخسيا وقليلاً من عصارة اللفت وقابل بينهما فوجد عصارة اللفت صافية سريعة التحرُّك وعصارة الفخسيا عكرة لزجة والبلورات كثيرة في الاثنتين على حدٍّ سوى · ومزج عصارة الفخسيا بالايثر ثم ترك الايثر حتى انفصل عن المزيج فوجد انهُ انفصل صافياً لا شيء من العكرفيهِ ولما طار لم ترسب منهُ بلورات او رسب شيءٌ قليل جدًّا منها لا يعتد بهِ دلالة على ان الايثر عجز عن فصل البلورات عن السائل اللزج الذي يحيط بها بخلاف ما حدث في عصير اللفت · فاتضح لهُ حينئذٍ سبب حرافة بعض النباتات وعدم حرافة البعض الآخر مع ان هذه الابر موجودة فيها كلها على السواء فان الابر التي في العصارة غير الحريفة تكون العصارة المحيطة بها لزجة تمسكها وتمنعها من الدخول في مسام الجلد او الغشاء المخاطي فلا تؤثر فيها واما الابر التي في العصارة الحريفة فتكون العصارة المحيطة بها غير لزجة فلا تمسكها ولا تمنعها من دخول مسام الجلد والغشاء المخاطي

ثم ان في العصارة الحريفة شيئاً من النشا فاذا سخنت جمد النشا بالحرارة وصار مادة غروية تمسك الابر المشار اليها وتمنعها من دخول مسام الجسم ولا بد من اشتداد الحرارة حتى تجمّد النشا وتصيرهُ مادة غروية والاَّ لم تنزل الحرافة كما اذا طبخ القلقاس طبخاً غير ناضج فان حرافتهُ لا تزول منهُ حينئذٍ ولا تزول تماماً الاَّ اذا قلي وطبخ جيداً

ويظن علماء الاحياء (البيولوجيا) ان ما في بعض النباتات من العصير اللبني والمواد العطرية زوائد لا فائدة لها في حياة النبات بل هي مفرزات وفضول لا يستطيع التخلص منها · ولكن لا شبهة في ان هذه المواد تفيد احياناً في حفظ النبات فالعصير اللبني والصمغي يقاوم فعل الحشرات التي تنخر سوق الاشجار لانهُ يجمد عليها ويميتها · ولعلَّ البلورات الابرية تفعل هذا الفعل فاننا لم نسمع ان الحفار مثلاً يأكل جذور القلقاس ولا الديدان تأكل قرون الفلفل الحار · وسواءٌ كانت هذه البلورات مفيدة في الوقاية من الحشرات او غير مفيدة فقد عُرف الآن انها هي سبب ما يكون في بعض النباتات من الحرارة والحرافة

السحر في الشعوذة

اهتم القراء بما ذكرناهُ في مقتطف دسمبر من تعليل بعض الاعمال الغريبة وردِّها كلها الى الخداع او الشعوذة من جهة النائمين والى الاستهواء او الانخداع من جهة مشاهديها · فانكر بعضهم علينا ان تكون تلك الاعمال كلها من قبيل الشعوذة وحسبوا اننا ننكر التنويم بالاستهواء ونحن انما ننكر اعمال الذين يتناومون لتجوز حيلهم على المشاهدين واما التنويم فلا ننكرهُ

ومن غريب الاتفاق ان المستر كارلتن المشعوذ المشهور الذي رأيناهُ في هذه العاصمة يجول بين المشاهدين معصوب العينين ويهتدي الى ما خبأوهُ مدعيًا انهُ يفعل ذلك بقراءة الافكار او ما شابهها وكانت صورتهُ في ذهننا ونحن نكتب ما كتبناهُ في مقتطف دسمبر — هذا الرجل نفسهُ كتب مقالةً في هذا الموضوع في مجلة الستراند الانكليزية ظهر بعضها في شهر دسمبر والبعض الآخر في شهر يناير وبيَّن فيها كيف خدع الناس في اوربا واميركا وفي مصر ايضًا · وها نحن ملخصون مقالتهُ فيما يلي

بدأ القسم الاول من مقالتهِ بوصف ما فعلهُ في مدينة برستل ببلاد الانكليز قال جاءني مخبر من قبَل جريدة برستل المسماة الاحوال والمرآة وجعل يحدثني عن انتقال الافكار (تلبثي) وكان من رأيهِ ان هذا الانتقال امر لا ريب فيهِ · فباحثتهُ في هذا الموضوع ولما رأيتهُ متشبثًا برأيهِ تظاهرت بموافقتهِ فقال لي هل تستطيع ان تقرأ افكار غيرك فقلت لهُ نعم اذا توفَّرت بعض الشروط فاذا خبأتَ شيئًا في مكان ما من هذه المدينة فاني استطيع ان اقرأ افكارك فاعلم محلهُ واهتدي اليهِ بل لو عصبتَ عينيَّ حتى لا ارى فاني اصل الى الشيء المخبإِ اذا مشيتَ معي وصمَّمتَ على ان تهديني الطريق بفكرك ولو لم تنطق بكلمة فان فكرك يهديني الى المكان الذي خبأت بهِ ما خبأت ويسدّد خطواتي اليهِ

وبعد اسبوع حدث ما قدَّرت حدوثهُ وقد وصفتهُ الجريدة الصادرة في ٥ فبراير سنة ١٩٠٧ فقالت ما خلاصتهُ ان كارلتن المشعوذ المشهور الذي يبلع السيوف ويعمل الاعمال المدهشة ارانا عصر هذا اليوم ما زاد دهشتنا فقد كان احد مخبرينا يذاكرهُ منذ ايام في امر قراءة الافكار فقال انهُ يعلم شيئًا من ذلك ووعد ان يمشي في شوارع برستل معصوب العينين ويهتدي الى شيء خبأناهُ لهُ واذا لم يهتدِ اليهِ دفع عشرة جنيهات لاي معهد خيري اردنا ·

ولم يشترط علينا الاَّ ان يرى الشيء الذي كنا عازمين ان نخبئهُ . فاراهُ مندو بنا قلماً ملفوفاً بشيء من القطن المصبوغ باللون القرنفلي وموضوعاً في علبة بيضاء ثم ذهب بهِ وحدهُ الى اكمة برندن ووضع العلبة التي فيها القلم في عجلة مدفع من المدافع التي هناك ولم يخبر احداً بما فعل . وعند الساعة ½ ١ بعد ظهر اليوم عُصبت عينا كارلتن وطلب من الرجل الذي خبأ القلم ان يتبعهُ قريباً منهُ و يوجه افكارهُ الى المكان الذي خبأ فيهِ القلم ثم مشى متلمساً كالاعمى ومشى وراءهُ خلق كثير لا يقل عددهم عن الفي نفس . فاتجه اولاً نحو المدينة ثم انقلب راجعاً الى ان وصل الى طرف الساحة التي ابتدأ منها فوقف هنيهة ثم سدَّد خطواتهِ نحو اكمة براندن ودار في بعض الشوارع وعاد الى جهة الاكمة فاسرع العدو اليها حتى اذا بلغها جعل يتعثر ومَن لا يتعثر هناك ولو لم يكن معصوب العينين . واتجه اولاً نحو الآبار ثم عاد نحو المدينة وارتدَّ وطاف حول البرج الذي على الاكمة ثم قصد مدفعاً من المدافع الروسية الموضوعة هناك وجعل يتلمَّس الى ان بلغ محور العجلة وهناك حفرة في المحور وكانت العلبة التي فيها القلم مخبأة فيها فاستخرجها منها وللحال علا هتاف الجمهور الذي تبعهُ الى اعلى التلة حتى شق عنان السماء . وحينئذٍ صفر احد رجال البوليس وقال انهُ أُغمي على كارلتن وجعل البوليس يبعد عنهُ الجمع المزدحم عليهِ وأُسعف بالمنبهات والمنعشات حتى افاق فقال اين انا الآن وهل وجدت الخبيئة . ثم حملهُ الجمع على الايدي وهو راجع لشدة اعجابهم بهِ . انتهى

واصرِّح الآن على رؤُوس الاشهاد انهُ لم يكن فيما فعلتهُ لا قراءة افكار ولا انتقال افكار وانما كان حيلة خدعتُ بها ذلك الجمع كما سيجيء مفصَّلاً

نعم انني كنت معصوب العينين في مدينة لا اعرف شوارعها ولم يكن لي اقل اتصال بالذي خبأ القلم ولا بغيرهِ ولم يخبرني احد عن مخبإِهِ ولا عن الجهة التي كان مخبأ فيها ولم اكن اعرف شيئاً عن المكان الذي خبئ فيهِ ولا في اي حي من المدينة هو ولذلك لا أَعجب من استغراب الناس ما فعلت وحسبانهم انني فعلتهُ بقوة تفوق القوى الطبيعية وبوسيلة تفوق الوسائل المادية . واتفق جمهورهم على ان هذه الوسيلة هي انتقال الافكار (التلبثي) اي ان الرجل الذي خبأ القلم انتقل فكرهُ الى ذهني وارشدني الى المكان الذي خبأهُ فيهِ . وقد كتبت اليَّ جمعية المباحث النفسيَّة بعد ذلك تحذرني من عاقبة اجهاد قوى نفسي . والحقيقة انني اجهدتَ نفسي كثيراً ولكن ليس بالمعنى الذي فهمتهُ تلك الجمعية ولا على الاسلوب الذي ظنتهُ

ولم اشأ ان اظهر خبيئة امري حينئذٍ بل كررت الضحك على الناس بعد ذلك مراراً

عديدة في اماكن مختلفة فذهبت الى ايطاليا وادهشت علماءها واساتذة مدارسها وخدعت السحرة والمشعوذين في مصر والهند وسائر الاقطار الشرقية · الآن محرري الجرائد الانكليزية كانوا اقل الناس تصديقاً لدعواي · عرضت مرةً ان اكشف المخبأ في مدينة باث لدى محرري جريدتها فابوا فعرضت ان اكشفهُ في ادارتهم فرضوا بذلك وعصبوا عينيَّ بمنديل ثخين بعد ان غطوهما بالقطن الكثير · وقلت لواحد من المحررين خذ قطعة طباشير وارسم بها خطاً على الارض من الغرفة التي كنت فيها الى حيث تشاء من الغرف الكثيرة العليا والسفلى الى ان تصل الى مكان تخبئ فيهِ شيئاً فاني اقدر ان امشي على هذا الخط واتبعهُ في كل تعاريجهِ وانا مغمض العينين الى ان اصل الى الشيء الذي خبأتهُ على شرط ان تمشي الى جانبي قريباً مني وتوجه افكارك كلها الى المكان الذي فيهِ المخبأ · ففعل وسار معي فمشيت على خط الطباشير حتى وصلت الى المخبإ ولم اخطئهُ مع ان خط الطباشير مرَّ بين آلات الطباعة وتحت الموائد والكراسي وصعد الى غرف عليا ونزل الى غرف سفلى · فدهش محررو الجريدة مما فعلت ورضي المحرر الاول ان اجرب ذلك في المدينة علانية وان يخبأ لي شيء على بعد ميلين من ادارة جريدتهِ · وذهب مخبر الجريدة ليلاً وخبأ شيئاً في الارض داخل باب روض المدينة . وعُصبت عيناي في الصباح وسرت والمخبر معي الى ان وصلت الى باب الروض ففتحتهُ وجعلت اتلمس الى ان وصلت الى المكان الذي وضعت فيهِ الخبيئة فاخرجتها واذا هي ظرف ازرق فيهِ رزمة من المفاتيح · وقد جاء وصف ذلك في تلك الجريدة بالتفصيل من قلم المخبر نفسهِ ومما جاء فيهِ اني لما وصلت الى مكان الخبيئة كان جبيني يتصبب عرقاً كأني عملت اشق الاعمال وان المخبر نفسهُ كان قد تعب تعباً شديداً لانهُ كان موجهاً كل افكارهِ دائماً الى مكان الخبيئة لكي يرشدني اليها بافكارهِ واني سرت في نفس الطريق الذي سار فيهِ لما مضى لتخبئتها

والغالب ان ما كان يخبأ لي لم يكن ثميناً ولا كان ينتظر ان آخذهُ اذا وجدتهُ ولكن حدث ما يخالف ذلك في مدينة اوكلند بكاليفورنيا من اميركا فان صاحب جريدة التريبون في تلك المدينة اقترح ان يخبئ لي ٢٥٠ ريالاً وهي لي اذا اكتشفتها واعلن ذلك في جريدتهِ واختار سكرتير غرفة التجارة في اوكلند ليخبئ الدراهم ويسير معي لارشادي بافكارهِ وهو رجل مشهور بصدقهِ واستقامتهِ فضلاً عن انهُ من اغنى اهل تلك المدينة · فقبلت الشرط وذهب السكرتير وخبأ كيس الدراهم في موقف احد رجال البوليس في المدينة فاهتديت اليهِ وانا معصوب العينين كما اهتديت الى غيرهِ

اما تعليل اهتدائي الى الخبايا فهو اني أُولعت منذ سنين كثيرة بتمرين اعضائي وعضلاتي حتى صرت افعل افعالاً لا تُصدَّق فاستطيع مثلاً ان اطيل قامتي او اقصرها بمط عضلات ساقيَّ وفخذيَّ وبطني وصدري واوتارها . واستطيع ان احرك اذنيَّ الى الامام والوراء كما تفعل بعض العجاوات وما ذلك الاَّ بالتمرُّن المستمر . ومرَّنت ايضاً عضلات جبيني التي تحرك حاجبيَّ حتى صرت ارفعها واخفضها بشدَّة وهي اصلاً عضلات قوية الفعل كما يتضح لمن يضع كفهُ على حاجبيهِ ويضغط عليهما ثم يرفعهما فيرتفعان رغماً عن ضغط كفيهِ . فزادت بالتمرين قوةً . وقضيت ساعة كل يوم مدة اشهر كثيرة وانا اغمض عيني وافتحهما وامرّن عضلات جبيني حتى اذا عصبت عيناي بعصابة استطيع رفعها عنهما ولو قليلاً بمجرد فتح عينيَّ ورفع حاجبيَّ . واذا اراد احد ان ينظر ليرى هل العصابة لا تزال كما كانت فليس عليَّ الاَّ ان اغمض عيني واخفض حاجبيَّ فيرى ان العصابة لا تزال على حالها

وربَّ قارىءٍ يقول ان فتحك لعينيك ورفعك لحاجبيك لا يفسّر كيف اهتديت الى الخبايا وانت لا تعلم محلها . فاقول لهُ على رسلك تمهل فتجد كيف كنت اهتدي اليها فاولاً لما طلبت من احد محرري الجرائد ان يرسم خطًّا بالطباشير على الارض في دار تلك الجريدة يمر في غرفها المختلفة وينتهي الى حيث وضع الخبيئة وان يمشي ورائي ويوجه فكرهُ اليَّ قاصداً ان يرشدني بفكرهِ الى الخبيئة بحيث اسير على خط الطباشير الذي رسمهُ لم يكن قولي هذا لهُ الاَّ من باب ايهامهِ بانهُ هو المرشد لي مع ان المرشد لي حقيقة هو خط الطباشير الذي كنت اراهُ . وكنت ارسّخ هذا الوهم في اذهان كل الذين يرشدونني بقولي لهم انهم اذا استطاعوا ان يوجهوا كل قوة ارادتهم اليَّ فاني اقف عند مفترق كل طريق من الطرق التي امامي وفعلاً كنت اقف دائماً عند مفترق الطرق فيزيد كلامي رسوخاً في اذهانهم . وكنت اطلب من الذين يعصبون عيني ان يضعوا عليهما القطن قبل عصبهما وان يوسعوا العصابة زيادة في التعمية بل في التضليل لان الله اعطاني عينين جاحظتين وانفاً كبيراً بارزاً فاذا اتسعت العصابة زاد وفاؤُها بغرضي لاني كنت افتح عيني وارفع حاجبيَّ فاصير ارى امام قدميَّ . ولما مشيت على خط الطباشير كنت اراهُ واضحاً ولم اطلب من راسمهِ ان يمشي معي الاَّ لاجعلهُ يعتقد انهُ كان يرشدني بارادتهِ . وكثيراً ما كنت اتلمَّس في طريقي كالاعمى واخبط خبط عشواء وذلك كلهُ تضليلاً للافكار لكي يعتقد الذين كانوا معي اني لم اكن ارى شيئاً

الاَّ ان السير على خط الطباشير كان امراً سهلاً جدًّا في جنب السير في الشوارع حيث

لا شيء يرشدني الاَّ ما استنتجهُ من حركات مرشدي الذي لم يُسمَح لهُ ان يكلمني او يلمسني

ولما كنت ادرّب نفسي على هذا العمل رأيت انهُ لا يمكنني ان اري غير حذاء المرشد فعليَّ ان ارتشد بهِ لاغير فجعلت ادرس اشكال الاحذية ووقفات لابسيها حتى صرت اذا رأيت حذاء احفظ صورتهُ في ذهني واميزهُ عن سائر الاحذية واعرف لابس الحذاء من حذائهِ

فلما خبئت لي المئتان والخمسون ريالاً في مدينة اوكلند بكليفورنيا قدّم اليَّ الرجل الذي خبأها ليرشدني اليها بفكرهِ فنظرت الى حذائهِ حتى رسخت صورتهُ في ذهني ثم خاطبتهُ بقولي لهُ ان نجاحي وفشلي يتوقفان عليك وحدك فانت هو الفاعل وانا آلة في يدك فيجب عليك ان توجه كل فكرك الى ارشادي فاذا عجزتَ عن ذلك عجزتُ انا ايضاً عن الوصول الى الخبيئة فسِرْ ورائي تماماً حتى اذا وجدتني سائراً في الطريق المؤدي الى الغرض رضيت عن عملي وامرتني في ذهنك ان القدَّم في سيري واذا رأيتني ضالاً فتوقَّفْ وقل لي في ذهنك لاقف واغير طريقي . وغاية ما اطلبهُ منك ان لا تأمرني في ذهنك لاضل الطريق

وهذا الكلام كلهُ هذر وتضليل ولكنهُ اثَّر في سامعيَّ ولاسيما في الرجل الذي كنت اخاطبهُ وانا اتأمل في حذائيهِ لكي لا انسى صورتهما

ثم عُصبت عيناي جيداً وفحص العصابة بعض الحضور وقال واحد منهم وهو وجيه بينهم انهُ ان كنتُ ارى بعينيَّ بعد هذا التعصيب فبصري يخترق حجب الغيب . ولما رأيت ان الجميع امنوا على كلامهِ واعتقدوا اني صرت اعمى لا ارى شيئاً جعلت امشي واتعثَّر واتلمس كما يفعل الاعمى ولكنني رفعت حاجبي ودرت ونظرت الى حذاء دليلي وكانت اصابع قدميهِ متجهة الى الجهة التي يريد ان اسير فيها فسرت في تلك الجهة . وكنت قبل ذلك قد جلت في المدينة حتى عرفت طرقها وشوارعها جيداً وكنت اعلم ايضاً ان كيس النقود مخبأ في مكان يبعد عن ادارة الجريدة من ميل الى ميلين فجعلت اتلمس الجدران في الشوارع الضيقة وارى خطوط الترام في الشوارع الواسعة ولكنني لا اسير عليها بل اسير في خط متعرج لكي يرسخ في الاذهان اني غير عارف اين انا حتى اذا انتهيت الى آخر الشارع بقيت على تلمسي ودرت في دائرة لكي ارى حذاء دليلي واتبيَّن اتجاه قدميهِ . وكثيراً ما كنت ادعي اني سائر على غير هدى واخاطب الدليل بقولي لهُ انك غير موجه كل ذهنك الى ارشادي فارجو ان تبذل جهدك في هدايتي لانني لا استطيع ان اهتدي بغيرك وهلمَّ جرّاً من الكلام الذي يُبعد الناس عن اكتشاف حيلتي . وكنت اكرر ذلك عند كل لفتة وحولة على اساليب

مختلفة لكي لا اثير الشبهات اذا جريت على اسلوب واحد . وكان لا بدَّ لي من ان اسير كما يسير الاعمى تماماً فكنت اذا وصلت الى مشبَّك في الارض فوق مجرى من مجاري المياه احاول قياسهُ باحدى رجلي لارى هل استطيع العبور من فوقهِ او يجب ان ادور حولهُ واذا وصلت الى حفرة غير عميقة لا احاول تجنبها بل اقع فيها ولو آذيت نفسي فان قليلاً من الالم خير من اتهامي بالخديعة

وهكذا انتهت هذه السياحة بين تلمُّس وخبط وتردُّد وتعثُّر الى ان وصلت الى المكان الذي خبئت فيهِ النقود ومرشدي اليها حذاء دليلي وانا اراهُ بعينيَّ من بين العصابة ووجهي ولم افشل في هذه النوبة ولا في غيرها

واتفق مرةً ان ارتخت العصابة وانحدرت قليلاً فتعذرت عليَّ الرؤْية فلجأْت الى الحيلة وتظاهرت باني عثرت بشيءٍ وسقطت على وجهي فوقعت العصابة عن عيني فاشرت الى الدليل حتى بادر اليَّ وربطها ثانية

واقول في الختام ان كثيرين فسروا اعمالي على طرق شتى ولكن ما من احد منهم اصاب الحزَّ . وبعض هذه التفاسير يستحق النظر ففي اوكلند كان المبوّق يبوق على سبيل الاعلان فقال البعض انني كنت متفقاً معهُ على اصوات مخصوصة يخرجها من بوقهِ فارتشد بها وقال غيرهم ان جسمي كان متصلاً بجسم الدليل بخيوط دقيقة لا ترى فكان يرشدني بها . وقال احد الشيوخ في القاهرة ان الذي يمشي امامي كان متعطراً بعطر مخصوص فاشم رائحتهُ وارتشد بها كما يرتشد الكلب برائحة صاحبهِ . انتهى

فهذا مثال من امثلة كثيرة قام اصحابها وكشفوا سر صناعتهم بعد ان اكتسبوا بها اموالاً طائلة وخدعوا الناس سنين كثيرة

ولا شبهة ان كل ما يعملهُ المشعوذون من الاعمال الغريبة المدهشة يتوسلون اليهِ بوسائل طبيعية اذا كشفوها لم يوجد فيها غير الحيلة والخفَّة واستعمال بعض الامور الطبيعية المعروفة . ولكن بعض الذين يشاهدون اعمال المشعوذين قد يرون فيها خوارق لم يعملها المشعوذون وبذلك تفسَّر امور كثيرة يقال انها حدثت فعلاً وهي مما يأبى العقل التسليم بحدوثها كما سيجيءُ في مقالة اخرى

الاحلام

أأسرار ام اضغاث

لي كلمة في الاحلام لا اقصد منها سدّ فراغ او فائدة تتضمنها المقالات عادة وانما اريد تسجيلها لعلَّ فيها فائدة لفريق العلماء الباحثين في الاحلام الذين يظنون ان فيها سرًّا لم نوفَّق الى حلهِ حتى الآن وانها ليست مجرد اضغاث تجيء وتروح اعتباطًا. وما اقولهُ فيما سيجيء صحيح لا ريب فيهِ واذا طُلب مني اقسمت اغلظ الايمان بانهُ الحق كلهُ غير مدخول فيهِ ولا مشوب بشائبة

وقبل طرق هذا الموضوع اقول اني مجبول من خلقتي على الافراط في الشك لا اصدق الاَّ ما وقع تحت حسي او ما ادخلهُ التواتر في حكم المحسوس الملموس. واكاد لولا ضحك الناس ارتاب في صدق التاريخ الماضي حتى في وجود كبار اعلامهِ الذين لا يرتاب عاقل في وجودهم كيوليوس قيصر وشارلمان ونابليون مثلاً. واكاد ارتاب ايضاً في وجود الاعلام المشهورة في زماننا اشخاصاً كانت ام امكنة. وان كان قد خطر ببالي زيارة اوربا مثلاً فلأتأكد وجودها ووجود ما يسمونهُ لندن وباريس وبرلين الخ

ليفهمني القارئ. اني لا اكذّب وجود هذه الاشياء بل اصدق انها موجودة ولكن مع هذا التصديق يتردد في صدري دائماً شبه شك في وجودها حتى لو قال قائل يوماً ان باريس غير موجودة الآن ولا وجدت في زمن من الازمان كنت اول من يصدق قولهُ

كذلك ارتاب في هذا الوجود كلهِ واحسبهُ حلماً ربما كان اطول مدة من الاحلام التي نراها. اقول ربما لانهُ كثيراً ما يحلم الواحد منا انهُ ولد وتزوج وشاب ومرت بهِ الحوادث صغارها وكبارها ثم مات بعد عمر يخيل اليهِ انهُ طويل وقد لا تتجاوز مدة الحلم بضع دقائق. فلِمَ لا يكون هذا العمر حلماً كتلك الاحلام؟ وما الذي يميزهُ عن الحلم؟ هل يميزهُ الشعور؟ كلاَّ فاننا نشعر في احلامنا بريّ بعد عطش وشبع بعد جوع وراحة بعد تعب وان يكن هذا الشعور اضعف في الحلم منهُ في اليقظة

والريب في هذا الوجود ليس ناشئاً عن مرض في صاحبهِ ولا هو مقصور عليهِ بل هو ضرب من الفلسفة كما علمت فيما بعد لهُ اتباع وانصار. ولكن وجودهُ فيَّ قبل علمي بهِ يخرجني من مصاف الفلاسفة والمتفلسفين

رجل هذا حالهُ لا تجد الاحلام واضغاثها منتجعاً طيباً في صدرهِ ما دامت الحقائق

الملوسة لا تجد ذلك المنجع منهُ · فاذا صدق بوجود علاقة بين الحلم واليقظة فما ذلك الاَّ لان تلك العلاقة ثبتت لهُ ثبوتاً لا يأتيهِ الريب من خلفهِ ولا من امامهِ

اما رجائي في ان يكون ما سأُثبتهُ في هذا الباب ذا فائدة في ابحاث الباحثين فمبنيٌّ على طول استقرائي للاحلام مدة عشرين سنة وحفظي للاحلام المهمة التي انبأَت بالحوادث قبل وقوعها وتتبعها واحداً واحداً لتتبع رجل يهمهُ اكتشاف ما في هذا الوجود من الاسرار للوقوف على كنههِ وماهية امرهِ · فلا يفيد الطبيب في ادراك ماهية مرض ما واعراضهِ وسيرهِ مثل وقوعهِ هو نفسهِ تحت مخالب ذلك المرض

ومعلوم ان كثيرين من الناس لا يحلمون او يحلمون قليلاً · والمرجح انهم يحلمون كغيرهم ولكنهم لا يتذكرون احلامهم او لا يتذكرون منها الاَّ ما هاج فيهم شهوة من الشهوات كالغضب او الغم او الخوف · وليس ببعيد مع ذلك ان يكون بعض الناس قد خصوا برؤية الرؤى والاحلام دون البعض فلما انذروا بالحوادث بناءً عليها نظمهم الاقدمون في سلك النبيين

ومن رأي بعض الباحثين ان ليس في الاحلام انذار ولا إنباء واننا نحلم احلاماً مبهمة في نومنا فاذا حدثت في يقظتنا حوادث تشبه تلك الاحلام المبهمة الحدود تذكرنا حينئذٍ اننا حلمنا شيئاً بهذا المعنى فقلنا ان الحلم جاء منذراً بهذه الحادثة او تلك مع ضعف وجه الشبه بين الطرفين · واذا لم تحدث تلك الحادثة لم تتذكر الحلم · وعندهم ان افضل محكٍّ للاحلام ان يكتب الحالم عند يقظتهِ ما حلمهُ او يقصهُ على نفر من الشهود العدل فاذا حدثت بعد ذلك حوادث مثل التي رآها في حلمهِ كان ذلك من قبيل وقوع الحوادث بعد الاحلام او من قبل انباء الاحلام بحوادث مستقبلة

وبعد هذا البيان اكتفي في هذه المقالة بسرد الاحلام التي انبأَت بحوادث جرت لي ولاهل بيتي · ولا بدَّ من القول اعترافاً بالحقيقة اني لم آخذ مذكرة بحلم واحد بعد يقظتي ولكن يرى القارئ من تفصيل ما جرى لي ان فيما فعلت غنًى عن الكتابة

الحلم الاول

في الثالث من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ تناولت جريدة لسان الحال من جرائد بيروت وكنت في هذه العاصمة فقرأت فيها نعيَ شاب هو شقيق صديق لي توفي في مدرسة بيروت الكلية بالحمى التيفويدية · فاسفت لذلك وتحول اسفي جزعاً من وجود شقيقي تلميذاً فيها · وفي الليل حلمت ان شقيقي توفي ولكنني قلت في نفسي ان ذلك من اضغاث الاحلام فلم احفل بالحلم ولا اعرتهُ اهتماماً ثم اخذ اثرهُ يزول من نفسي حتى جاءني نعيُ شقيقي في الحادي

والعشرين من ذلك الشهر فتذكرت الحلم بعض التذكر ثم محا ذلك البعض عظم جزعي من فقد شقيقي . فلما اخذ ذلك الجزع يركد على مرّ الايام اخذ ذلك الحلم يعود الى مخيلتي وكان اول حلم احللتهُ محلّ عنايتي لما رأيت من علاقتهِ بحادثة واضحة اتت بعدهُ

الحلم الثاني

حلمتْ والدتي قبل سماعها عن مرض شقيقي بيوم انها فقدت احدى عينيها . وفي الصباح قصت الحلم على شقيقتي متشائمة . ولم يكد ذلك اليوم ينتصف حتى جاءها تلغراف من المدرسة بمرضهِ وبين المكانين مسافة ٢٠ ميلاً

الحلم الثالث

ابطأت اخبار حميّ على قرينتي ففي اوائل ديسمبر سنة ١٩١٢ حلمتْ انها رأت جملاً وذهباً وهي امور توجب التطيّر في عرف اهل الاحلام . وحلمتْ انا في الليلة نفسها ان شقيقتها طرقت الباب علينا وهي لابسة ملابس الحداد فلما تلاقتا بكتا وانتحبتا . قالت قرينتي هل مات ؟ فاجابتها شقيقتها بالعويل والبكاء

وفي الصباح قصّ كلٌّ منا حلمهُ على الآخر . وكان ذلك الصباح صباح يوم الخميس في ٥ ديسمبر فوزع بريد الشام وليس فيهِ شيء لنا فانتظرنا البريد التالي على احرّ من الجمر . وفي صباح الخميس ١٢ دسمبر قصدت مكان عملي وجلست انتظر البريد . ونحو الساعة ½ ٨ صباحاً اقبل الغلام فرأيتهُ من بعيد يحمل كتاباً اسود فايقنت انهُ نعيّ حميّ واذا الامر كذلك

الحلم الرابع

حلمت صباح يوم الخميس في ٤ مارس سنة ١٩١٥ ان ثلاثة اطباء دعوا لعيادة مريض في منزل يناوح منزلنا وبعد المشاورة نزلوا تتبعهم ممرضة . ولم اعلم نتيجة عيادتهم . وفي الصباح قصصت الحلم على اهل بيتي فلم يبدوا فيهِ رأياً . وفي المساء قيل لي ان جارنا فلاناً (ولا حاجة ان اسميهُ باسمهِ الا اذا اقتضى الامر) اصيب بخفقان وهو يجري وراء الترام فخارت قواهُ وركب مركبة الى منزلهِ فاصعدوهُ على الدرج محمولاً من فرط اعيائهِ . فذهبت لاراهُ وبينا انا هناك عادهُ ثلاثة اطباء من معارفي . وفي الصباح التالي توفي

الحلم الخامس

حلمت شقيقتي في اوائل نوفمبر سنة ١٩١٥ ان شيخاً طاعناً في السنّ زارنا في منزلنا (وهو ميت منذ ٢٠ سنة) فهيأت لهُ القهوة وجاءت بفنجانين فوجدتهُ نائماً فقلت لها عودي بالقهوة من حيث اتيت ولا تقدميها اليهِ ففعلت

الحلم السادس

حلمت في الاسبوع الواقع بين ١ و ٧ نوفمبر سنة ١٩١٥ ان ابنتي الكبرى وعمرها ٣ سنوات وشهران في مكان عميق وحدها فلما رأيتها على تلك الحال قلت لاختها ربيبتي وعمرها ١١ سنة انزلي وانقذي اختك لانك اخف مني خطوة فنزلت ثم انتهى الحلم بذلك · وفي ١٤ نوفمبر مرضت ابنتي فسار مرضها سيراً طبيعيًّا على ما ظهر لنا ولطبيبها ولكن قلقي كان يشتد عليها يوماً فيوماً وكنت ارى حالها تسوء والطبيب يرى غير ذلك مع اني كنت اشرح لهُ كلّ ما كان يعتريها في غيابهِ واذكر لهُ مفصلاً سرعة نبضها ودرجة حرارتها وما كان يعتريها في الليل من الغيبوبة · وفقدها النطق قبل وفاتها باربعة ايام · وفي ظهر الثلاثاء ٢٣ نوفمبر عادها وبالغ في تطييب قلوبنا وقال لا حاجة بكم الى دعوتي بعد الآن بل احضروا لها هذا المقوي ولتشرب منهُ · فلما جلسنا للغداء انا وامها اكلنا بقابلية بعد صيامنا اسبوعاً لم نأكل في خلالهِ الا ما نتبلغ بهِ · فقلت لها سأقصّ عليك هذا الحلم الذي رأيتهُ من نحو اسبوعين وكنت امتنع عن ذلك قبل الآن خشية تشاؤمك فقصصتهُ عليها · وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم دخلت ابنتي في دور النزع وتوفيت بعد ظهر اليوم التالي

الحلم السابع

حلمت قرينتي ليلة مرض ابنتنا انها فقدت ساعتها وسلسلتها ثم وجدتها ولكن الساعة كانت مكسورة وقطعة من زجاجها مفقودة · ولم تعلم هل وجدت هذه القطعة ام لم تجدها · ولكنها كانت تحاول اقناع نفسها مدة مرض ابنتنا بانها وجدت القطعة خشية ان يكون فقد القطعة شؤماً علينا

***

وعندي ان الاحلام اسرار لا تزال محجوبة عن عقل العارفين وليست اضغاثاً · ولا بد ان نهتدي الى حلّ رموزها واماطة الحجاب عنها على مرّ الزمان · اما ان كان بعض الناس مختصًّا بها دون البعض الآخر فما لا قبل لي بمعرفتهِ فلا ابدي فيهِ رأياً · وقد يكفي ان يصحّ حلم واحد للبرهان على وجود علاقة بين الاحلام وماجريات هذا الكون · اي يكفي ان يثبت ان حادثة معينة انبأ بها الحلم بكل تفاصيلها إنباءً لا مشاحة فيهِ ليثبت أن بين الاحلام والحوادث الجارية علاقة ما وان تكن مجهولة السبب · وكل يوم تكشف لنا اسرار ما كان اسلافنا ليحلموا بكشفها فلماذا لا تكون الاحلام احدها ؟ · وعسى ان تكون اولها

ن · ش

الزونثرابيا

اي منطقة العلاج او العلاج بالضغط

من العلاجات الطبيعية المألوفة الكزّ على الاسنان لتخفيف الالم معما كان محلهُ · والضغط على القيد بين الابهام والسبّابة لتخفيف الصداع · فهل يخفُّ الالم حقيقةً بذلك او يتوهم صاحبهُ توهماً انهُ خفّ

يقال ان الضغط علاج حقيقي لتخفيف الالم وازالة سببهِ وقد استعملهُ الدكتور وليم فتزجرلد الاميركي لذلك وسماهُ بالزونثرابيا من كلمة زون ومعناها منطقة او جهة وثرابيا اي علاج او شفاء للدلالة على ان الضغط في جهة من البدن يزيل الالم من جهة اخرى منهُ · وعندهُ ان الضغط علاج طبيعي لتخفيف الالم يلجأ اليهِ الانسان بالسليقة فاذا دقّ مرفقك بشيءٍ فشعرت بالم شديد فاول شيءٍ تفعلهُ بالفطرة من غير تروٍ هو انك تمسك مرفقك بيدك الاخرى وتضغط عليهِ ضغطاً شديداً لازالة الالم · واذا جلستَ امام طبيب الاسنان ليقلع ضرسك ولم يخدّرك بالكوكايين او غيرهِ وشعرت بالم فانك تقبض على الكرسي بيديك وتشد بكل جهدك

وقد قال الدكتور ادون بورس في مقالة نشرتها مجلة الستراند الانكليزية ان الدكتور فتزجرلد هذا طبيب واسع الخبرة درس في جامعة ڤرمونت باميركا واشتغل بالتطبيب سنتين في مستشفى الاذن والانف والحلق في مدينة لندن وساعد الاستاذ بولتزر والاستاذ اوتو شياري سنتين في ڤينا ورأس قسم طب الانف سنين كثيرة في مستشفى سنت فرنسيس بهاتفرد · لكنهُ لما اكتشف طريقة ازالة الألم بضغط بعض الاعصاب لم يرَ من رصفائهِ الاطباء شيئاً من التأييد

والامر على ما بينهُ الدكتور فتزجرلد غريب جداً لذاتهِ يصعب تعليلهُ فانهُ وجد ان الضغط على نقطة مخصوصة داخل الانف او الفم او الحلق او اللسان يزيل الالم من بقع مخصوصة في الجسم · وقد استعمل الضغط بدل المخدرات في كل العمليات التي كان يستعمل الكوكايين فيها · واكتشف اكثر من ٣٠٠ نقطة داخل المنخرين والفم والحلق الضغطُ على كل نقطة منها يزيل الالم من جهة مخصوصة من الجسم لكن هذا الضغط لا يزيل الالم في كل الناس على حد سوى بل يزيلهُ في نحو ٦٥ في المئة من الذين امتُحن فيهم

ولم ينحصر هذا الاكتشاف في ازالة الالم بل تناول ايضاً ازالة سبب الالم فالضغط على

ابهام القدم يبطل الم الضرس وقد يزيل سببهُ ايضاً وقس على ذلك سائر الآلام التي ازالها بالضغط فان الضغط اضعف سببها ثم ازالهُ فهو علاج مسكّن وشافٍ معاً

ومن الامراض التي شفيت بهِ التهاب الشعب والزكام الصيفي الشديد المعروف بحمّى القش وهو من الادواء التي قلما ينجع فيها علاج فيسير سيرهُ الطبيعي الى ان يزول . ومعالجة الدكتور فتزجرلد لهذا الداء تقوم بالضغط بالاصبع على سقف الحلق مما يلي الغلصمة وعلى طرف الخيشوم مما يلي الحلق ايضاً و بمسبر على نقط مخصوصة في اللسان والبلعوم . وقد لا يعلم مقر هذه النقط الاَّ الطبيب ولكن الضغط الشديد على اللسان كلهِ ثلاث دقائق كافٍ لنيل المراد

ولم يجد بين المئات الذين عالجهم من هذه الحمّى واحداً خالياً من عيب في انفهِ والغالب ان يكون في الانف عظم ناتىء او تكون ارنبتهُ مائلة او معوجةً او يكون غشاؤُهُ المخاطي ملتهباً

ومن الادواء التي افاد فيها الضغط داء الغواتر اي تضخم العنق لآفة في الغدة الدرقية قللت افرازها او زادتهُ . فاذا نتج هذا التضخم عن قلة افراز الغدة الدرقية عولج باعطاء المصاب خلاصة من غدد الغنم الدرقية الجافة المسحوقة حتى اذا زال التضخم حينئذٍ فالعلاج مصيب واذا زاد ودلّت زيادتهُ على زيادة افراز الغدة الدرقية فيهِ فكان يعالَج بقطع جانب منها . اما الدكتور فتزجرلد فحاول ازالة ما يشعر بهِ المصاب بهذا الداء من الاختناق وزيادة خفقان القلب والاضطراب العصبي بان ضغط على موُّخر بلعومهِ بمسبر واجازهُ الى انفهِ واجراهُ فيهِ وللحال قلَّ الالم وزالت الاعراض العصبية واخذ الورم يقلُّ

وقد عالج ٢١ حادثة من حوادث الغواتر في الخمسة عشر شهراً الماضية و بعضها من النوع الذي تجحظ فيهِ العينان و يصاب القلب و يفرط ورم العنق فشفي ١٢ حادثة من الاحدى والعشرين وتقدَّم ثمانٍ نحو الشفاء ونقص الورم في البعض ثلاث بوصات في ثلاثة اسابيع . ولم يعالج المصابون الاَّ بالضغط و بقيت حادثة واحدة لم ينجع فيها العلاج ففحصها طبيب من اطباء الحنجرة ووجد خراجاً في المنطقة التي يفعل الضغط فيها بالغواتر وهذا يوُّيد ما ذهب اليهِ الدكتور فتزجرلد وهو وجود مناطق تتأثر اعصابها بالضغط فتوُّثر في جهات مخصوصة من البدن وتزيل العاهات منها

وقد قسم الجسم الى عشر مناطق حسب عدد اصابع اليد والرجل اذ وجد لكل اصبع من الكف او القدم علاقة بمنطقة من مناطق الجسم . فاذا ضغط على العقدة الاولى من عقد الابهام ضغطاً شديداً ثلاث دقائق خفَّ الم المعدة والصدر والاسنان المقدمة (القواطع) والانف وابهام القدم وكل ما في هذه المنطقة . ولكن هذا الضغط لا يوُّثر في اللهاة والكبد والطحال

لان هذه في المنطقة الرابعة ولا يؤثر فيها الأ الضغط على الخنصر . والضغط على اصابع اليد اليمنى يؤثر في الشق الايمن من الجسم لا في الشق الايسر والضغط على اصابع اليد اليسرى يؤثر في الشق الايسر . ويختلف فعل الضغط حسب كونهِ على ظاهر العقدة او على باطنها او على جوانبها

ومما رآهُ الدكتور فتزجرلد ايضاً ان حالة الاسنان تؤثر في التعرُّض لمرض الغواتر لانهُ لم يجد احداً مصاباً بهِ الأ وفي اسنانهِ آفة ما . واستطرد من ذلك الى اكتشاف العلاقة بين الم الاسنان والضغط على اعصابها فجعل يزيل الم الاسنان بالضغط واقتدى كثيرون من اطباء الاسنان بهِ فابطلوا استعمال الكوكايين وابدلوهُ بالضغط على العصب المتصل بالسن المألومة واستمرار الضغط ثلاث دقائق فيزول الالم تماماً اذا لم يكن في اصل السن خرَّاج . واستعمل بعضهم الضغط على الاصابع لمنع الم الاسنان والاضراس التي يراد حشوها او كشط القلاح عنها . فالضغط على الابهامين يزيل الالم من القواطع والانياب والضغط على السبابة يزيل الالم من الاضراس ذوات الحدبتين والضغط على الاصبع الوسطى يزيل الالم من الاضراس الطواحن والضغط على البنصر يساعد الضغط على الوسطى . والضغط على الخنصر لا يفيد الأ في ازالة الألم من ضرس العقل

ومهما اشتدَّ الضغط يجب ان لا يبلغ حد الالم ولكن ينتج عنهُ خدَر يمتد في الذراع كلها و ينتشر في المنطقة المتصلة بتلك الاصبع لكن ازالة الالم من الإسنان وقتية لا تزيل سببهُ الأ اذا كان عصبيًّا

لما عقدت جمعية اطباء الاسنان في ويرس باميركا في شهر يونيو الماضي أُتي اليها بامرأَة عمرها نحو ٣٥ سنة تشكو من ورم كبير في مقدَّم عنقها وقد تضخمت غدتها الدرقية والغدد المجاورة لها لسبب من الاسباب . وكانت متألمة جدًّا لا تحتمل ان يلمس احد عنقها لشدَّة تألمها ولم تكن تستطيع ان تبلع شيئاً ولا نقطة ماء وكان قد مضى عليها خمسة ايام لم تبلع شيئاً لا طعاماً ولا شراباً . وقال طبيبها ان لا بدَّ لها من عملية جراحية والأ فحياتها في خطرٍ ودعي ستة من الاطباء للنظر في امرها فقرروا ان يمد انبوب في حلقها وتسقى منهُ الى ان ترَى وسيلة أُخرى لعلاجها وكان قلبها يضرب ١٥٠ ضربة في الدقيقة وكل الدلائل تدل على آفة في الغدة الدرقية فاشار بعض الاطباء ان تجرَّب فيها طريقة الدكتور فتزجرلد فدعي طبيب من نيو يورك لكي يعالجها بضغط ابهام يدها ففعل ولم يمضِ ثلاث دقائق حتى خف الألم وزال التغضن من جبينها وصارت تحتمل لمس عنقها . وطلب الطبيب لها كاساً من الماء فلما اتيت بها اشارت بيدها انهُ يستحيل عليها ان تبلع شيئاً فشجعها الطبيب فمصَّت مصة و بلعتها واتبعتها

بمصة اخرى ثم شربت ثلث الكاس واعيد الكبس على ابهام يدها مراراً مدة ساعة من الزمان شربت في غضونها اربع كؤوس من الماء وكاساً من اللبن · وربط ابهام يدها برباط من الكاوتشوك يضغط عليهِ فنامت تلك الليلة وهي اول ليلة نامتها منذ اصابها الألم · وزال كل الورم تقريباً وصارت تبلع بسهولة ثم شفيت تماماً · انتهى

فهل حدث ذلك بالوهم والاستهواء او ان تفرعات الاعصاب قادرة ان تجيش جيوش الخلايا البيضاء من الدم لإزالة اسباب الالتهاب او ان لازالة هذا الألم وعلتهِ سبباً آخر غير معروف· ذلك ما لا بدَّ من كشفهِ عاجلاً او آجلاً

اوَهمٌ ام سرٌ خفي

السر كونان دويل من اشهر كتَّاب الروايات باللغة الانكليزية ولاسيما الروايات التي موضوعها كشف الجناة ·وقد كتب الآن عن حوادث وقعت لهُ وهي في حد الغرابة ولولا اعتقادنا صدقهُ ونزاهتهُ لضربنا عنها صفحاً ولم نعنَ بالاشارة اليها· اما وهو من نوابغ الكتَّاب الذين يشار اليهم بالبنان فرأينا ان نذكر خلاصة هذه الحوادث ونلحقها بما يبدو لنا من تعليلها

الحادثة الاولى — كان مسافراً في سويسرا سنة ١٨٩٢ وقادهُ الترحال الى عبور ممر جمني فرأى على رأس الاكمة المشرفة عليهِ فندقاً منفرداً يطلُّ على الوادي الذي تحتهُ فقال في نفسهِ ان هذا الفندق يفتح صيفاً ويقفل شتاءً لتراكم الثلج عليهِ وشدَّة البرد فيهِ ثم بلغهُ ان اصحابهُ لا يهجرونهُ ابداً بل يجمعون مؤونة الشتاء ويبقون فيهِ · فجعل يفكر في امرهِ وحاك في صدرهِ ان يؤلّف قصَّة يجعل فيها سكان الفندق مختلفي الطباع جدًّا ويصف ما يحلُّ بهم من اختلافهم هذا وهم مضطرون ان يقيموا في ذلك الفندق كل فصل الشتاء والناس تحتهم في الوادي عائشون على تمام الرفاء والهناء · وبينما هو يحلُّ في هذا الموضوع ويؤلف القصة في ذهنهِ اشترى كتاباً في الطريق من اوضاع المسيو موبسَّان والقصة الاولى فيهِ عنوانها الفندق (d'Auberge) فتلاها واذا هي تصف ذلك الفندق عينهُ وموضوعها مثل الموضوع الذي رتَّبهُ في ذهنهِ · وقال انهُ لم يكن قد رأى هذا الكتاب ولا سمع بهِ ولو الَّف الرواية التي خطر على بالهِ تأليفها لثبت عليهِ انهُ سرقها من كتاب موبسَّان · فكأنَّ قوة غير طبيعية جعلتهُ يفكر كما فكَّر موبسَّان تماماً ثم منعتهُ من ان يكتب شيئاً يعدُّ انتحالاً ولو لم يقصد الانتحال

الحادثة الثانية — ان المهارة التي ابداها في رواياتهِ المشار اليها آنفاً جعلت كثيرين يلجأُون اليهِ ليساعدهم في اكتشاف الجناة فكان يفوز بالمراد غالباً . وكان في حادثة من الحوادث التي طُلبت مساعدتهُ فيها رجل بنّاءٌ سماهُ جون ولدر هاجر الى اميركا وهو من الذين لم علاقة كبيرة بالجناية فلم يكد يتناول البحث في هذه الحادثة حتى اخذ واحد يرسل اليهِ الجرائد من مدينة في كليفورنيا بعد ان يكتب على حواشيها عبارات التهكم والازدراء مشيراً فيها الى بحثهِ في هذه الحادثة . ثم ان هذا الرجل كتب اسمهُ وعنوانهُ في حاشية جريدة منها وهو جون ولدر . فكتب السر كونان دويل الى رئيس البوليس في تلك المدينة يسألهُ هل هذا الرجل مقيم هناك فاجابهُ بالايجاب . فلم يرَ بدًّا من حسبانهِ نفس الرجل المطلوب . فاخبر بذلك رجال البوليس في انكلترا وهؤُلاء بحثوا وحققوا فوجدوا ان جون ولدر الساكن في تلك المدينة هو غير جون ولدر المطلوب وان الذي كان يرسل الجرائد الى السر كونان دويل هو رجل آخر معروف في تلك المدينة وهو اميركي مختل الشعور . وقال السر كونان دويل ولا شبهة انهُ لم يكن لهذا الرجل اقل علاقة بالجريمة ولكنني لا ادري ما دعاهُ الى الاهتمام بها ولا ما هو سبب هذا الاتفاق الغريب

الحادثة الثالثة — قال السر كونان دويل كنت ماشياً مع زوجتي في البنشيو برومية ولم تكن زوجتي قد رأَت ذلك المكان ولا قرأَت عنهُ شيئاً اذ كنا في اليوم الاول من زيارتنا لرومية فقالت لي اننا سنرى هنا تمثال دنتي وبعد دقائق قليلة وصلنا الى حيث كان تمثالهُ فقلت لها كيف عرفت ذلك فقالت لا اعلم

الحادثة الرابعة — قال ايضاً تعلقت على البحث في المواضيع الغامضة (كمناجاة الارواح) مدة ثلاثين سنة وكنت مرةً مقيماً في قرية فتعرفت بطبيب فيها صغير الجسم قليل العمل وبلغني ان في بيتهِ غرفةً سرية لا يدخلها احد غيرهُ وانها مختصة بالبحث في المواضيع الفلسفية الغامضة لانهُ من الباحثين في هذه المواضيع . فزاد اهتمامي بامرهِ ولما رأَى مني ذلك عرض عليَّ ان انضم الى جمعيتهِ السرية وجرى بيننا حينئذٍ الحديث التالي

قلت — ماذا استفيد من هذه الجمعية

فقال — تكتسب قوًى مع الزمن لا تجدها فيك الآن

فقلت — ما نوع هذه القوى

فقال — هي من النوع الذي يسميهِ الناس فوق الطبيعة مع انها طبيعية محضة ولكن لا ينالها احد الاَّ بعد ما يعرف اعماق قوى الطبيعة

فقلت — ان كانت هذه القوى مفيدة فلماذا لا تعلمون بها كل الناس

فقال — لاننا نخاف ان يسيء بعضهم استعمالها

فقلت — كيف تضمنون منعها عن الذين يسيئون استعمالها

فقال — بامتحان الذين يطلبون الانضمام الينا

فقلت — وهل مرادكم ان تمتحنوني

فقال — نعم

فقلت — من يمتحنني

فقال — الذين منا في لندن

فقلت — وهل يُطلب مني ان احضر لديهم

فقال — كلا بل هم يفعلون ذلك من غير ان تعرف

فقلت — ثم ماذا

فقال — يجب ان تدرس

فقلت — ماذا ادرس

فقال — يجب ان تستظهر اشياء كثيرة اولاً

فقلت — اذا كانت هذه الاشياء مطبوعة فكيف لا يطلع الجمهور عليها

فقال — انها ليست مطبوعة بل هي مكتوبة كتابةً في كراريس وعلى كل كراس منها عدد ما وقد ائتمن عليها اعضاء جمعيتنا ولم يحدث حتى الآن ان احداً منهم خاننا

فقلت — لا مانع اذاً من ان تسيروا في عملكم من جهتي

وبعد نحو اسبوع نهضت في الصباح ذات يوم واذا انا اشعر بدويّ في اذنيّ وبدني كلهِ كأنَّ هزَّةً كهربائية مرّت في جسمي فخطر ببالي حالاً ذلك الطبيب · وبعد ايام قليلة زارني وقال لي باسماً انك امتحنت فجزتَ الامتحان والآن قلْ لي هل انت مستعد ان تسير معنا لانك اذا ابتدأت لا تستطيع ان ترتد فإما ان تسير معنا الى النهاية او تعدل عن ذلك من الآن

فرأيت حينئذٍ ان الامر مهم جداً واني لست في سعة من الوقت لهُ فاخبرتهُ بذلك فلم يستأ بل قال اذاً تركنا هذا الموضوع ولا نعود اليهِ الاَّ اذا غيَّرتَ فكرك

وبعد شهر او شهرين زارني هذا الطبيب ومعهُ طبيب آخر اسمهُ معروف لديَّ وهو رحَّالة في الاقاليم الحارَّة مشهور فجلسا معي حول النار في مكتبي ولحظت ان الرحالة كان شديد

الاحترام للطبيب مع ان الطبيب اصغر منهُ سنًّا ثم قال لي الطبيب ان فلانًا أي الرحالة من تلامذتي ثم التفت الى الرحالة وقال لهُ ان دو يل كاد يصير من جماعتنا . وللحال جعل الرحالة يتكلم مع الطبيب عن الغرائب التي شاهدها فاصغيت الى كلامهما كأني اسمع اثنين من المجانين . واتذكر الآن ان الرحالة قال للطبيب ما نصهُ انك لما اخذتني معك وكنا سائرَين فوق المدينة التي كنتُ مقيماً فيها في اواسط افريقية رأيت لاول مرة الجزائر في البحيرة . وقد كنت اعلم ان هذه الجزائر فيها ولكنني لم ارها قبلاً لبعدها عن الشاطىء . ألا يُستغرب انني رأيتها اول مرة وانا مقيم في لندن

الحادثة الخامسة — ذهبتُ مرةً لانام في بيت يقال ان الارواح تسكنهُ وذهب اثنان لينأما معي فيهِ وكنا كلنا موفدين من قبل جمعية المباحث النفسية التي انا من اعضائها الاوائل . وكان الساكنون في هذا البيت يسمعون اصواتًا مزعجة في الليل فاضطروا ان يهجروهُ . ولم نسمع نحن شيئًا في الليلة الاولى ومضى واحد من رفيقيَّ وبقيت انا والرفيق الآخر وهو المستر بُدمور المشهور في بحث الامور النفسية فحوطنا الاحتياط الكافي لمنع كل غش ونمنا ولم يكد الليل ينتصف حتى سمعنا صوتًا كأن احداً يضرب على طاولة بمطرقة كبيرة وكانت ابواب الغرف مفتوحة كلها فقمنا واسرعنا الى المطبخ لان الصوت كان صادراً منهُ فلم نجد فيهِ شيئًا فاخذ بُدمور المصباح وعاد الى غرفة الجلوس وبقيت انا في الظلام لعلي اسمع الصوت ثانيةً ولكن الصوت انقطع ولم يعد تلك الليلة

وبعد سنوات احترق ذلك البيت ووجد في حديقتهِ عظام فتى عمره نحو عشر سنوات مدفونة في الارض . ويقال ان موت هذا الفتى وهو في عنفوان صباهُ جعل ما لم يُستنزف من قوتهِ يبقى هنالك وهو سبب ما يسمع من الاصوات . انتهى كلام المؤلف

من يقرأ هذه الحوادث وامثالها قلما يخطر ببالهِ ان يرتاب في صحتها لا سيما وان راويها من كبار الكتاب المشهورين . اما نحن فنرتاب في صحتها كل الريب ودليلنا الاكبر على هذا الريب كون السر كونان دويل من الذين اشتغلوا ثلاثين سنة في المباحث النفسيَّة فعقلهُ معرَّض لتصديق الغرائب . اي انهُ من الذين تستهويهم الغرائب فيسهل انخداعهم بها . واذ قد تمهد ذلك ننظر في ما تحتملهُ كل حادثة من الحوادث المذكورة آنفًا من التعليل

الاولى حادثة الرواية التي كان يفكر في تأليفها ثم اطَّلع على رواية مؤلفة في موضوعها تمامًا . فاننا نعللها بانهُ سمع خلاصة هذه الرواية ممن قرأها ثم نسي انهُ سمع ذلك وجعل يفتكر

بهِ كأَنهُ من بنات افكارهِ لا كأَنهُ سمعهُ قبلاً . ومامن احد الاَّ وقد وقع لهُ شيءٌ من ذلك ولا سيما اذا سمع كلاماً وهو منتبه الى حديث آخر فانَّ الكلام يدخل اذنيهِ ويرتسم في ذاكرتهِ في الوقت الذي يكون انتباههُ موجهاً الى شيءٍ آخر فلا يشعر انهُ سمعهُ ولكن اثرهُ يبقى في ذهنهِ فاذا حدث ما نبههُ اليهِ حسب انهُ شيءٌ جديد في دماغهِ

الثانية حادثة الرجل الذي هاجر الى اميركا فان مماثلة اسمهِ وصناعتهِ لاسم رجل مقيم في كليفورنيا ليس من الامور المستغربة فان اسم هنري سمث مثلاً عند الانكليز مثل اسم محمد توفيق في مصر يتسمى بهِ كثيرون . والظاهر ان الرجل المختل الشعور قرأ ان السر كونان دويل كان يبحث عن رجل بهذا الاسم وكان يعرف ان الرجل المسمَّى بهذا الاسم في بلدهِ لا يحتمل ان تكون لهُ علاقة بالجريمة فجعل يتهكم عليهِ بما يكتبهُ من الحواشي التي يرسلها اليهِ

والثالثة إخبار زوجتهِ اياهُ بوجود تمثال دنتي قبل ان رأَتهُ وفي مكان لم ترهُ قبلاً يفسَّر بانها رأَت صورة ذلك المكان قبلاً وصورة ما يجاورهُ ورأَت فيهِ صورة تمثال دانتي فلما دنت منهُ تذكرت الصورة الباقية في ذهنها ولكنها لم تتذكر انها رأَتها قبلاً وهذا كثير الوقوع

والرابعة حادثة الطبيب والرحالة وقولها انهما طارا في مدينة لندن فرأَيا بحيرة في قلب افريقية والجزائر في وسطها . وعندنا ان الطبيب والرحالة من اهل الاوهام وهؤُلاء لم يخلُ عصر منهم . فقد جاء في ترجمة ابن الفارض ان رجلاً اراهُ مكة والمدينة وهو في مصر في سفح جبل المقطم وانهُ كان ينتقل الى مكة من مكان يبعد عنها عشرة ايام في ليلة واحدة ثم يعود ثانية واشياء اخرى من هذا القبيل . اما كيف يتوهم بعض الناس انهم انتقلوا من بلاد الى اخرى في لحظة من الزمان فمثل توهم كل احد انهُ يفعل ذلك في الحلم اي انَّ بعض الناس يحلمون وهم ايقاظ كما يحلمون وهم نيام فانهم يهجسون فيصدقون ما هجسوا بهِ كأَنهُ واقع فعلاً لضعف قوة التحقيق فيهم

والخامسة حادثة البيت المسكون . ذكر السر كونان ادويل ان رفيقهُ كان المستر بدمور ولا ندري هل هو المستر فرنك بدمور موَّلف كتاب مناجاة الارواح الحديثة وكتاب مناجاة الارواح الاحدث او اخوهُ المستر A. Podmore فان كان الثاني فلا شأْن لحكمهِ لانهُ سهل الانخداع وان كان الاول فلا ندري هل ذكر هذه الحادثة في كتابهِ ولا ماهو رأْيهُ فيها ولكن يظهر لنا انهُ كثير التساهل لا يرتاب في حادثة الاَّ اذا كانت الادلة على نقضها قاطعة . وقد وقع لنا ان شاهدنا بيوتاً مسكونة ترشقها الارواح بالحجارة في ظلام الليل ثم ثبت ان الذين كانوا يرشقون الحجارة غلمان يختبئون في الاشجار وغرضهم الانتقام من السكان

ماذا ينبغي ان اكون [1]

ايها السيدات والسادة

أُحييكم جميعاً تحيَّة المساء وأحتفي بكم احسن احتفاء . وأُثني على تشريفكم هذه الحفلة اجمل ثناء

أحبب بهــا من حفلة غرّاء حبت القلوب مسرةً وهناء
كرّت على جيش الدجى انوارها وتخطفتهُ فمزّقتهُ هباء
جئنا اليها في المساء وكلنا في حَيرةٍ اذ لم نلاقِ مساء
واذا استحال الى الصباح مساؤنا فيها فمر بعنا يكون سماء
فاض الضياءُ بها وعمّ كأنها شمس تُشعُّ على الحضور ضياء
هي في ضياءٍ سائغ ينبثُّ من غاز يحاكي النيّرين بهاء
ولها ضياءٌ آخر من مطلع ال وجنات يطفح بهجة ورواء
هذان . والثاني الاهمُّ لانهُ بقلوبنــا مستأثر ما شاء
طوراً يملّينا الرجاء فنجتلي أقماره ويزيدها استجلاء
ويصدُّ عنا تارةً فيردُّنا من يأسنا في ليلة ظلماء
ولها ضياءٌ ثالث ما جاء من غازٍ ولا من كهرباءٍ جاء
قبستهُ من دار العلوم تشعّهُ فينا فيصدع للظلام رداء
بارَتْ بهِ ما في محيط الارض من نور وفاقتهُ سنًى وسناء

***

دارَ العلوم عمي مساءً واسلمي واسمي وزيدي ما اردتِ نماء
وليعلُ في فلك الكنانة بدركِ ا لموموقُ وضّاحَ السنى وَضّاء
واهوي على الليل البهيم بنورهِ واقضي على الجهل الوخيم قضاء
ولتبقَ فيكِ الطالبات كواكبا ولهنّ دومي قبّةً زرقاء

---

(١) خطابة القيت في حفلة توزيع الشهادات على منتهيات مدرسة البنات الاميركية بالازبكية في ٢٣ دسمبر الماضي

وبعد فلقد انتدبني منذ بضعة ايام حضرة شيخنا الوقور الجليل وراعينا العزيز النبيل الدكتور وطسن لاقول كلمة في هذه الحفلة الزاهرة وعلى رغم ضيق وقتي وقلة استعدادي لم ارَ بدًّا من اجابة الاقتراح بمزيد الارتياح

واذ انكم تقاسمونني فرح النظر الى هؤلاء الاوانس المنتهيات والعذارى العشر — وكلهنَّ حكيمات — واقفات امامكم موقفًا يتهيبهُ الكهول ويحترمهُ الشيوخ وتشاركونني في مسرة عدّهنَّ خير وسيلة فعَّالة في ترقية الوطن ورفع شأنهِ استأذنكم في توجيه كلامي اليهنَّ في ما اقولهُ بما استطيع من الاختصار

فلا يخفى عليكنَّ ايتها الاوانس ان حياة الانسان من المهد الى اللحد اشبه شيء بمراحل يقطعها المسافر . فتبتدئ المرحلة الاولى بالخروج من السرير او الحجْر وتنتهي الاخيرة بالدخول في باب القبر . لانهُ : —

« كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ يومًا على آلةٍ حدباء محمولُ »

ولكي يأمن المسافر اخطار السفر ويخفف عن نفسهِ ثقل مشقاتهِ واتعابهِ يستعد لهُ قبل شروعهِ فيهِ ويسأل من جرَّبوهُ قبلهُ عن احتياجاتهِ . فان قيل لهُ مثلاً ان في الطريق لصوصًا سار كميًا شاكي السلاح . وان قيل لهُ ان الطريق مَضَلَّةٌ لا يُؤمن لهُ فيها هدى استعان عليها بدليل . وان قيل لهُ انها مَعْطَشَةٌ وليس من طعام يباع فيها اعدَّ الزاد والماء . وهكذا يهيئ كل ما يحتاج اليهِ ثم يسير آمنًا مطمئنًا

ولكي يقطع الانسان مراحل هذه الحياة بسلام ويصيب فيها عيشة راضية يجب عليهِ ان يدرس طبيعة كل مرحلة منها على حدة ليعرف ماذا ينبغي لهُ ان يكون فيها فيكون

ثم ان المراحل التي يقطعها المسافر تختلف بعضها عن بعض اختلافًا عظيمًا . فقد تكون الواحدة منها سهلة الطريق امينتها ومعهُ فيها بعض الرفقاء الامناء الذين عرفوها من قبل فيسير متكلاً على هدايتهم وارشادهم . بينما تكون المرحلة الاخرى صعبة المسير خطرتهُ وليس معهُ فيها من يرشدهُ او يهديهِ فيسير مستوحشًا ينهكهُ الاعياء ويهيم على وجههِ خابطًا كالعشواء في الظلماء

وهكذا الحياة فان مددها تختلف بعضها عن بعض في المشقات والاتعاب ولزوم الاهتمام . وها انتنَّ قد حزتنَّ الآن منها مدّتين وقطعتنَّ مرحلتين ولم تعانين فيهما شيئًا مما ستعانينهُ في المراحل المقبلة ان لم تأخذن الاهبة لنفوسكنَّ منذ الآن .

ففي خروجكنَّ من هذه المدرسة تشرعن في اجتياز طور الصبوة او مرحلة الشباب وهي

اصعب مرحلة في طريق الحياة · وعلى كلّ منكنّ ان تقف في اول هذه المرحلة وتسأل نفسها قائلة « بمَ استعدُّ لها ؟ وماذا ينبغي ان اكون » وهذا هو موضوع كلامي

فماذا ينبغي ان تكنّ ؟ نعم — من الآن — قبل خروجكنّ من المدرسة يجب ان تعرفن ماذا ينبغي ان تكنّ · قبل شروعكنّ في قطع هذه المرحلة المحفوفة بالمخاطر والمحاطة بالمزالق والمعاثر عليكن ان تبحثن وتفتشن وتتساءلن قائلات ماذا ينبغي ان نكون

ولهذا السؤَال اجوبة كثيرة لا يسعنا ان نعدّها كلها · ولكن اذا سألتني كلٌّ منكنّ عمّا يحضرني من الجواب قلت لها ينبغي ان تكوني فتاة للوطن اي ان تقفي حياتكِ على عمل كل ما يرقّي مصر العزيزة ويرفع شأنها الغالي ويُسعد اهلها المحبوبين

ولكي تكوني بالحقيقة فتاة للوطن ينبغي لكِ ان تنعمي النظر في امرين عظيمي الاهمية ومنهما يتضح لك المراد وتعرفين الوسائط التي يجب عليك اتخاذها للوصول الى المطلوب · واوَّل هذين الامرين داخليٌّ يتعلق بكِ والآخر خارجيٌّ يتعلق بالعالم حولكِ

فالاول — النظر الى نفسك — الى معرفة ذاتكِ — معرفة ما انتِ وما لكِ وما عليكِ · وهذا الامر صعب الى الغاية · فليس بسهلٍ ان يعرف المرء نفسهُ · لانها غاية العلم ونهاية الحكمة · والبحث عنها غامض تغشاهُ ظلمات لا تنقشع الاَّ بنور التواضع وضياء الاذعان للحق

اذاً التواضع اول خطوة في سبيل معرفة النفس · أي يجب عليكِ لكي تعرفي نفسكِ — لكي تدركي ما أنتِ — ان تكوني متواضعة

واعلمي ان ملاك العلم لا يحاول في هذه الايام اصلاحاً واحداً الاَّ وشيطان الجهل يعترضهُ بالف افساد واعظم ما يوسوس بهِ في الصدور هو الكبرياء وادّعاء العلم — واذا كان التواضع يجعل الشياطين ملائكة فالكبرياء تجعل الملائكة شياطين

فبالتواضع تنجين من غوائل الكبرياء وتخلصين من حبائل الادّعاء التي يُخفيها لكِ شيطان الجهل وانتِ سائرةٌ في قفار مرحلة الشبيبة « وفي الطريق اهوال » · وبنور التواضع ترين انك بعدُ جاهلة قاصرة وفي حاجة شديدة الى زيادة العلم والمعرفة والسعي في طلب الكمال · وبالتواضع فقط تعرفين نفسكِ — تعرفين ما لكِ وما عليكِ · أي تدركين ما حصَّلتهِ من القواعد العلمية والادبية وما غُرس فيكِ من طهارة الاخلاق والفضائل وأُشربهُ قلبكِ من مبادىء الانسانية الصادقة وهذا كلّ ما لكِ · أما ما عليكِ فهو اكثر جدًّا مما لكِ · فاذا نظرتِ الى نفسكِ بمرآة التواضع — بمرآة التواضع لا بمرآة العجب والكبرياء — رأيتِ انكِ لستِ سوى طفلة صغيرة أي ليس فيكِ بعدُ اقل استحقاق لان تكوني فتاة للوطن ما لم تستعدي

مذ الآن الاستعداد الكافي وتستخدمي جميع الوسائط التي تؤهلك لان تصيري فتاة تنفع الامة والبلاد . وتعين على تكثير موارد الخير والإسعاد

والثاني — النظر الى العالم حولك ويراد بهِ الوقوف على خفايا اموره وغوامض شؤونهِ . وهذا لا تستطيعينهُ الاَّ بعد ما تكونين قد خرجتِ اليهِ واختبرت احوالهُ . ولكن حاجتك الى هذا النظر انما هي الآن . ولذلك رأيت من الضرورة ان اجعلك تنظرين اليهِ وانت واقفة هنا لا بعينك بل بعين من سبقك اليهِ واطَّلع عليهِ . فترين ولكن ماذا ترين؟ ترين امامك مرحلة تخالف كل الاختلاف عن مرحلتي البيت والمدرسة اللتين قطعتهما في الماضي. فقد سرتِ قبلاً لا تشعرين بوحشة ولا تشكين تعباً ولا تخافين لصوصاً في الطريق ولا ضلالاً عن محجة الهدى والصواب لان امر العناية بك والسهر عليك كان موكولاً في البيت والمدرسة الى والديك ورئيستك ومعلماتك . واما الآن فقد اصبح هذا الامر كلهُ موكولاً اليك . كنتِ في الماضي تسيرين بين احنَّ من امٍ واشفقَ من ابٍ والصقَ من شقيقٍ وارفقَ من صديق اما الآن وا اسفاه فانك تسيرين في عالم فيهِ الوفاء اعزُّ من جبهة الاسد . والولاء اندر من الكبريت الاحمر . والمودَّةُ اسمٌ بلا مسمّى . والصداقة لغز او معمّى

وماذا اقول فانهُ يعوزني الوقت ان اردت استيفاء الكلام على سائر وجوه الاختلاف بين احوال حياتك الماضية واحوال حياتك المستقبلة المحفوفة بالريب والشكوك . فعليك ان تكوني دائماً على حذر من اهل العالم . وان استطعتِ في الليل ان تشاكلي الذئب الذي يحكى عنهُ انهُ :—

«ينام باحدى مقلتيهِ ويتقي باخرى المنايا فهو يقظان نائمُ»

فحسناً تفعلين لان الايام شريرة وكثيرون من اهلها شرٌّ منها

هذا وقد يقال — ولا اعلم مبلغ هذا القول من الصحة — ان الوطن استوفى بعض حاجتهِ من الشبان المتعلمين . ولكن مما لا ريب فيهِ انهُ في اشد احتياج الى فتيات متعلمات متهذبات يطلعن في سمائهِ كواكب هدًى وإرشاد ويجُلنَ في ارضهِ ملائكةَ خيرٍ واسعاد ويستأصلنَ ما في ربوعهِ من جذور الشر والفساد

ولعلَّ أوقع كلام يليق بنا ان نتذكرهُ هنا هو قول يوآب ابن اخت الملك داود وقائد جيشهِ لاخيهِ ابيشاي قبيل هجومهما بجيش الاسرائيليين على جيش العمونيين والاراميين . فان هذا القائد المحنك قسم جيشهُ الى قسمين واختار لنفسهِ الرجال المنتخبين والابطال المجربين ليحمل بهم على الاراميين الذين يرجح انهُ رآهم اشدَّ من العمونيين وولى اخاهُ قيادة باقي الجيش

يحمل بهِ على العمونيين ولكنهُ قبل كل شيء — قبل سل البيض الصقال وهز السمر الطوال — رفع نظرهُ الى اخيهِ وكلمهُ على مرأى جميع الرجال ومسمعهم قائلاً :— « ان قوي ارام عليَّ تكن لي منجداً وان قوي عليك بنو عمون اذهب لنجدتك . فتجلَّد ولنتشدَّد من اجل شعبنا ومن اجل مدن الهنا والرب يفعل ما يحسن في عينيهِ »

وقد اعدَّ تكنَّ أمكنَّ المدرسة للجهاد الموضوع امامكنَّ فتذكَّرنَ كلمات يواب التي هي على قصرها ابلغ خطبة قالها قائدٌ في العالم واخرجنَ متضافرات متناصرات . متجلدات متشددات من اجل شعبكنَّ ومن اجل مدن الهكنَّ . واقدمنَ على هذا العمل الكبير الخطير . إقدام الابطال المغاوير . مستعينات باصل وذُرّية داود ومستضيئات بشمس البرّ وكوكب الصبح المنير

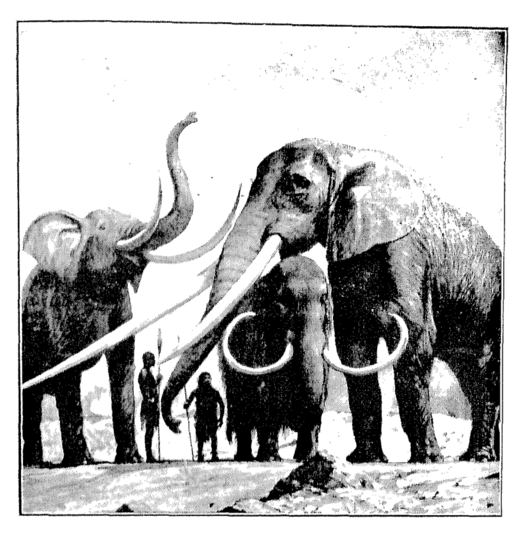
وفي الختام اشكر لحضرة رئيسة المدرسة الفاضلة مس مارتن وجميع مساعداتها العالمات العاملات سهرهنَّ الدائم وسعيهنَّ الكامل في تهذيب فتياتنا وتنشئتهنَّ على اقوم المبادىء واطهر الفضائل . ولما كانت الرئيسة مزمعةً ان تفارقنا الى اميركا للاستراحة قليلاً من اتعابها فاننا منذ الآن ندعو لها بسفر ميمون سعيد . وعود باذن الله حميد

اسعد داغر

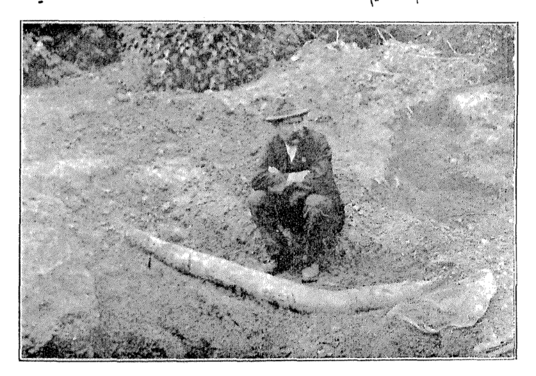
الفيل القديم

الفيل من حيوانات البلاد الحارة ولا يوجد الآن في اوربا الاَّ اذا نُقل اليها من افريقية او من الهند لكنهُ كان يقطنها في غابر الزمن حينما كان اقليمها حارًّا . وقد وجدت عظامهُ فيها ووجدت ايضاً قطع من عاج انيابهِ وصورتهُ مرسومة عليها دلالة على ان الانسان سكن اوربا في الزمن الذي كان اقليمها فيهِ صالحاً لسكن الفيل فيها وكان قد مهر في رسم صور الحيوانات

منذ نحو اربع سنوات كان بعض المهندسين يحفرون في مكان من بلاد الانكليز فعثروا على عظام فيل وجانب من ناب كبير جدًّا . ثم اضطروا ان يوقفوا الحفر لسبب من الاسباب وجاء بعدهم عالم اسمهُ ترنر كان يفتش عن الظران اي قطع الصوان التي كان الاقدمون يتخذونها سكاكين ورؤُوساً للسهام فوجد بعض هذه العظام فاتى بها الى متحف التاريخ الطبيعي البريطاني ففحصها علماء العظام وقالوا انها من قوائم فيل كبير الجسم جدًّا وللحال جاء اناس من قبل المتحف و بحثوا في ذلك المكان فوجدوا عظاماً اخرى استدلوا منها على ان



الفيل القديم المستقيم الناب   الممّوت   الفيل الافريقي



المستر ترنر والناب الذي اكتشفهُ

مقتطف فبراير ١٩١٦
امام الصفحة ١٤٣

هناك هيكل فيل كبير مدفون في الطفال . وفي الصيف الماضي انتدب الدكتور تشارلس اندرو من القسم الجيولوجي لاستخراج هذه العظام على اسلوب يقيها من التفتت لانها كانت بالية في الغالب فبعضها ثقبتهُ جذور النبات وبعضها نخرهُ الدود وبعضها بلي من فعل الحوامض الارضية . ولكن بُذلت العناية في استخراجها فاولاً نزع التراب من فوقها ومن حولها بالاعتناء التام ثم غطيت بقدد من الجنفيص مبلولة بمحلول الجبس حتى اذا جف الجبس عليها حُفر التراب من تحتها وقلبت وعولج اسفلها بالجبس كما عولج اعلاها فتغطى كل عظم منها بغطاء من الجبس والجنفيص ولا بدّ من نزع هذا الغطاء عنها قبل عرضها

وقد اتضح من فحصها انها من عظام الفيل المعروف بالمستقيم النابين Elephas Antiquus كما يستدل من الاسنان التي وجدت بينها . وهذه اول مرة وجدت هذه الاسنان مع عظام الفيل في بلاد الانكليز

وقد قدّر علو هذا الفيل من طول عظام قوائمهِ ١٥ قدماً فهو اكبر من كل الافيال العائشة الآن والمنقرضة و يبلغ طول الناب من نابيهِ ١٦ قدماً . وعليهِ فهذا الفيل اكبر من المموث الاميركي Eliphas imprator الذي ارتفاعهُ ١٣ قدماً ونصف قدم وكان يظن انهُ اكبر الافيال كلها اما المموث الحقيقي المسمَّى عند علماء الحيوان Eliphas primigenius فلا يزيد ارتفاعهُ على ٩ اقدام ونصف قدم وهو اصغر من الفيل الافريقي الذي يبلغ ارتفاعهُ احياناً ١١ قدماً ونصف قدم ومن الفيل الهندي الذي يبلغ ارتفاعهُ ١٠ اقدام ونصف قدم . وقلنا عن الفيل الافريقي انهُ يبلغ هذا الارتفاع احياناً لان منهُ صنفاً في بلاد الكنغو لا يزيد ارتفاعهُ عن ٧ اقدام . والفيل الذي كان في كريت ومالطة وانقرض منها كان ارتفاعهُ ٥ اقدام فقط مع انهُ من صنف الفيل الكبير المستقيم النابين الذي كشفت آثارهُ الآن في انكلترا

وقد نشرنا في الصفحة المقابلة صورة هذا الفيل المستقيم النابين كما كان وهو حي على ما يظن . وتحت رأسهِ صورة المموث الاعقف النابين وامامهُ صورة الفيل الافريقي العائش الآن . وامام الفيل الافريقي رجل من الزنوج بحربتهِ والى جانب المموث صورةٌ وهمية لرجل من اهالي العصر الذي كان المموث عائشاً فيهِ . وتحتها صورة القطعة من ناب الفيل الاول التي وجدت الآن وصورة المستر ترنر الذي كشفها

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

(٢)

فرنسا

لم يكن في اوربا شعب افضل بنية من الشعب الفرنسوي ولا نكبت امة حديثة باكثر مما نكبت بهِ الامة الفرنسوية في سبيل الحرب وطلاب المجد . فان الغاليين سكان فرنسا القدماء فرع من السلالة السلتية او الكلتية فصاروا بالفتح غاليين رومانًا . وبعد ذلك تقوّى دمهم في الشمال والشرق بما امتزج بهِ من الدم الجرماني (التوتوني) دم اهل اسكندناويا (الدنمرك واسوج ونروج) ودم الفرنك سكان جرمانيا الوسطى . ثم هاجر في الازمنة الاخيرة جمٌّ غفير من ولاية الالزاس الجرمانية الى فرنسا فاصبحت الاسماء الجرمانية كثيرة التداول في الطبقات الفرنسوية العالية

ولما كانت الحرب تفعل بالامم عكس فعل الانتخاب الطبيعي فتبقي الضعيف وتفني القوي (كما جاء في المقالة السابقة) فقد فعلت برجال فرنسا فعلها فقصرت قاماتهم واضعفت مزية الابتكار والابتداع فيهم . ولكن الارومة الطيبة تتجدد وتنتعش وقد لاحت تباشير هذا التجدد في فرنسا في العشرين سنة الاخيرة . فان السلام والامن وحب العمل والسعي والاقتصاد تمكن قوات الانتخاب الطبيعية من العمل وهذا يفضي الى التجدد المشار اليهِ . فقد جرحت الامة جروحًا بالغة بايدي ابنائها وهي الآن تتماثل الى الشفاء . قال الاستاذ البرليون جيرار في كتابهِ « الحضارة الفرنسوية في القرن التاسع عشر » ما يأتي :

« ليس العقار ولا المال ولا المجد الماضي ولا الجاه الحاضر شيئًا اذا كانت الامة قد فقدت الروح التي تدبُّ في صدور رجالها . فان ثروتها تنتقل الى ايدٍ اقوى من يديها ويبيت جاهها هزُوءًا وسخرية ولقد اتفق مرة منذ عشرين سنة ان حسب الفرنسويون انهم انحطوا الى هذا الدرك اذ ارتفعت اصوات الناعبين بالسوء من منافسيهم وكثيرين من قومهم بين رجل محبٍّ للصخب واثارة الخواطر . وآخر محبٍّ للجمال يطلب ان تظهر امتهُ بمظهر جديد اكثر انطباقًا على الذوق العصري . ووطني صادق الوطنية عثر جدُّهُ وافل نجم سعدهِ . لكن نعيبًا مثل هذا اذا بلغ صداه اسماعنا الآن لاح لنا ضعيفًا وغريبًا وموسومًا بالحمق والجهل . ذلك بان اعظم ما يملك الفرنسويون الآن حيوية قوية ونشاط

لا يغلب . فهم في القرن العشرين بين روّاد الحضارة وممهدي سبل تقدمها وارتقائها كما كانوا في سائر الازمنة ... ربما كانت فرنسا امة قديمة وامة مجروحة ولكن قلبها القويّ ينبض وحياتهُ لا تقهر »

في قاعة فيارتس بمدينة بروكسل صورة من ايام نابليون عنوانها « منظر في جهنم » وهي تمثل نابليون واقفاً و يداه مكتوفتان ووجههُ ساكن وقد اخذ يهبط الى الجحيم . وامامهُ اربعة ملايين رجل ارسلتهم اطاعةً الى القبر قبل الاوان وهم ينظرون اليهِ بوجوه باسرة كأنهم يؤنبونهُ على ما فعل بهم . ونصفهم فرنسويون والنصف الباقي غرباء . وخلفهم اشباح الملايين وملايين الملايين ممن خيِّل الى المصور انهم يكونون نسل الذين اودت بهم مطامع نابليون من زهرة اهل اوربا لو بقوا احياء

هؤلاء اتوا من الغيط والمعمل والمدرسة — رجال بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين ثم لما لم يبقَ منهم ناجٍ جيء بالاصغر والاكبر على حدّ قول نابليون ان الغلام يوقف الرصاصة كالرجل . وقد قال الاستاذ هيكل الالماني : كلما كان الشاب شديد البنية عالي التربية صحيح التركيب كان ادنى الى القتل بالبندقية او المدفع او غيرهما من ادوات الحضارة . وقال سيك الالماني : اخذ نابليون في حروبهِ كل طوال القامات وفرقهم على ميادين القتال فخرج معظم الفرنسويين بعد ذلك قصاراً صغار القـدود حتى اضطرّ اهل الشأن غير مرة الى تخفيض مستوى القامات بين المطلوبين للخدمة العسكرية . وكان نابليون يقول : اتركوا الجنود يموتون وسلاحهم في ايديهم . ان موتهم مجيد وسننتقم لهم . وانتم تستطيعون ان تملأُوا الفراغ الذي يتركهُ الجندي . وجندي عظيم مثلي لا يبالي مثقال ذرة بحياة مليون نفس »

وبعد معركة وغرام بدأَت فرنسا تشعر بضعفها . وعظم الفرق بين جيشها الذي حارب في معركتي « أَلم » و« بينا » والجيش الذي حارب في المعارك المتأخرة . اذ كان الجيش الاول مؤلفاً من نخبة الرجال والثاني من شبان اخذوا بالقرعة قبل السن وادمجوا في الجيش فاضعفوا قوة ثباتهِ . وبعد غزوة موسكو لم يعد من الست مئة الف الذين عبروا نهر نيمن لفتح روسيا سوى عشرين الفاً عضهم الجوع وهرأَهم البرد وغادرهم التعب والاعياء يترددون في مثل الخلال . ومع ذلك كلهِ لم تضعف عزيمة نابليون قيد شعرة على قهر جرمانيا وتأديب روسيا فدعا جميع شبان البلاد لحمل السلاح فوعدهُ المجلس بثلاث مئة وخمسين الفاً . وكانت بالوعة روسيا قد ابتلعت ٥٠ الفاً من الغلمان الذين سنّهم دون العشرين . وكان الفلاحون يجودون بابنائهم طعاماً للمدافع

ولكن كثيرين هالهم استنزاف قوة الامة الى هذا الحد . فلم يمض نصف سنة على فقد نصف مليون من الرجال حتى نظم نصف مليون غيرهم ولكن معظمهم كانوا صغاراً وغير متدربين على فنون القتال واساليبهِ . وقد لوحظ ان « الانفار »المولودين في سنة «الارهاب» (من سني الثورة الفرنسوية) كانوا دون سابقيهم في صلابة عودهم وان لم يكونوا دونهم في شجاعتهم بل تهوُّرهم . وقد حاول نابليون بجميع الوسائل ان يبث في صدورهم روحهُ الذي لا يقهر فلم تعيهِ اصارة الولدان ابطالاً وانما اعياهُ سدّ الخسارة التي طرأت على الجيش سنة ١٨١٢ (سنة غزو روسيا) . ولما لم يجد امامهُ جنوداً جرّ الغلمان الى المحمعان ليملأ القبور ابطالاً . ولقد عزي الى نابليون قولهُ « ان دخلي يبلغ مئة الف رجل » ولكنهُ بالغ في الاسراف فانفق اكثر من دخلهِ بكثير

افاض الكتاب الفرنسويون في بيان عيوب امتهم ونقائصها واعترفوا بكثير من تلك العيوب والنقائص رغبة في الاصلاح فتناول اعداء امتهم ذلك الاعتراف و بالغوا فيهِ وبنوا العلاليّ عليهِ فقالوا ان فرنسا الحديثة (وسائر الامم اللاتينية معها) صائرة الى الاضمحلال وانها جاوزت عنفوان الشباب و بلغت ضعف الشيخوخة وعقمها بعد ما سلّمت مقامها الاول في القارة الاوربية الى دولة فتية اصغر منها سنًّا وابعد همة واكثر اقداماً . ولو لم تكن قد فقدت حولها وقوتها تماماً لكان السلام والامن يجددان لها شبابها

هكذا قال الناعبون بالسوء الناعون على فرنسا شبابها الماضي ومجدها التالد . اما انا فاقول ان هرم الامة ليس نتيجة طول عمرها بل نتيجة الحرب وما تستنزفهُ من دمها واخذ دم المهاجرين الضعفاء عوضاً عن دمها القوي . وقد ذاقت فرنسا النكال من الحروب ولكنها لم تفقد شيئاً كثيراً بالمهاجرة منها واليها

وقد استدلّ الباحثون من بعض مظاهر العيشة الفرنسوية على ما نال فرنسا من الضرّ بعكس عمل الانتخاب فيها . من ذلك تناقص المواليد شيئاً فشيئاً . وعندي ان سبب هذا التناقص بقاء الحذر اذ لا يتصور ان جنود حرس نابليون المشهورين بتهورهم يقللون عائلاتهم مراعاة للاقتصاد كما يصنع فرنسويو هذا الزمان . ويكفي شاهداً على ذلك ان فرنسويي كندا الذين لم تمسسهم الحرب مشهورون بكثرة نسلهم . وهناك دليل آخر على بقاء الحذر في فرنسا وهو قلة الاقدام فيها على المشروعات التجارية بالنسبة الى غيرها من الامم الحية . فان الذهب المذخور في خزائنها يستثمر في الاكثر لعقد القروض مع

الدول وقلما يستثمر في الاعمال التجارية . وما ذلك الاّ لأن القروض الاجنبية تعود عليهم بفوائد اكثر وتكون المسئولية الشخصية فيها اقل . ثم ان قلة المدن الفرنسوية ذات المعامل يزيد تناقص المواليد اذ معظم زيادة المواليد بين الامم المتمدنة انما يكون في المراكز الصناعية التجارية

وقد سأل ادمون ديمولن في كتابهِ « سر تقدم الامم الانجلوسكسونية » عن سبب هذا التقدم او التفوق وقال في الجواب انهُ صحة مقياس المعيشة الانكليزية وجودة التربية وخلو المطالب المدنية والشخصية من العيوب التي تصم المعيشة الفرنسوية . فان تهافت الشبان في فرنسا وايطاليا على مناصب الحكومة وغيرها من المناصب الامينة الخالية من قوة الابداع والابتكار هو اعظم عيوبهم حتى لقد سمي في ايطاليا « امبياجومانيا » اي « جنون الجلوس » اشارة الى ان صاحب تلك المناصب جالس في مقعدهِ لا يتحرك . ولكن لا يبعد ان يكون السبب المبالغة في تركيز الحكومة اي جعلها مركزية والاكثار من الموظفين والاقلال من الفرص في الاقاليم . فان تمليك الامة كل شيء حتى جهد افرادها سواء كان ذلك بالاشتراكية او بالمبالغة في التنظيم لا بد ان يفضي الى « جنون الجلوس » . وهذا هو سر تأخر الامة الفرنسوية عن الامم الانجلوسكسونية لا عيب في طبيعة افرادها

ومما انتقد بهِ المنتقدون الامة الفرنسوية ما في آدابها وفنونها وسياستها وقضائها من الغرائب والشذوذ . واعظم هؤلاء الناقدين ماكس نوردو[1] . فانهُ الف كتاباً منذ عشرين سنة بعنوان « الانحلال » أي انحلال فرنسا اثار بهِ خواطر الناس طرًّا وعزا فيهِ حالة فرنسا هذه الى ضعف موروث . وواقع الامر اننا لا نعرف شيئاً عن وجود امثال هذا الضعف الموروث في تاريخ الامم . وسواء وجد ام لم يوجد فانهُ لا يصدق على فلاحي فرنسا . نعم ان معيشتهم صعبة ولكنها ليست مضعفة للاعصاب وربما نالهم من تجانس المعيشة والجري على اسلوب واحد اكثر مما ينالهم من غيرها من اشكال اجهاد الاعصاب فالانحلال الذي يصورهُ نوردو لنا ليس مسئلة وراثة فان لم يكن شذوذاً شخصياً فهو خلل شخصي لا محالة واسبابهُ سوء العادات والتربية والاخلاق او الرغبة في اجتذاب مسمع الجمهور لغرض شخصي . فهو ليس في دم الامة . وليس في وجود المصورين الشاذين ولا الموسيقيين الغربيي الاطوار ولا الشعراء شاربي الافسنت ولا مروجي الاشاعات والاقاويل — ليس في وجود هؤلاء يسرحون ويمرحون في شوارع باريس دليل على انحلال امتهم . فاذا تغيرت « المودة » الشائعة تغيروا هم

(1) فيلسوف المانى ولد سنة ١٨٤٩ واشتهر برواياتهِ ومؤلفاتهِ التي تبحث في الفنون والآداب والاجتماع

ايضاً . وكل انسان في كل امة يذوي حيث تزكو الرذيلة وينتشر الافسنت والافيون . وحالة مثل هذه قد تكون نذيراً بالسوء ولكنها ليست دليلاً على انحطاط الامة وان شر ما نسمع عن الفضائح الباريسية انما هو مختلق لارضاء مخيلات الشبان الذين يأتون باريس من عبر البحار وفي جعبهم الذهب الوهاج لينفقوهُ فيها

رأيت صورة هزلية صورت منذ اكثر من قرن وهي تمثل فلاحاً يحرث حقلهُ وقد علت وجههُ الكآبة والقنوط وعلا ظهرهُ مركيز يفتح علبة سعوط من الذهب . ورأيت صورة هزلية اخرى صورت حديثاً وهي تمثل ذلك الفلاح نفسهُ لا يزال خلف محراثهِ بكآبتهِ وقنوطهِ ولكن بلا مركيزهِ وقد حلَّ محلّ المركيز جندي مدجج بالسلاح وقد ركبهُ المرابي فكان اشدَّ وطأة عليهِ من المركيز على الفلاح لانهُ الاثر الظاهر لمن اتخذ الحرب تجارة

مرَّ اربعون سنة ونيف وفرنسا عائشة وامام عينيها شبح الحرب . فان فقدها لولايتي الالزاس واللورين كان جرحاً بالغاً لعواطفها ولكبريائها . وسلوك الولايتين المفقودتين زاد عزم الامة الطبيعي على حرب الشرف او حرب الانتقام . ولكن اتضح على مرّ الزمان ان حرباً مثل هذه لن تنتهي بالنصر . وبعد سقوط بولانجيه وحادثة دريفوس اخذ اهل فرنسا عامة يرتابون في وجوب تلك الحرب وفي حكمة الاقدام عليها . وما جاءت سنة ١٩١٣ حتى رأينا اهل الرأي في فرنسا يميلون الى ملاقاة اهل الرأي في المانيا عند منتصف الطريق . وقد شهدت في تلك السنة اجتماعاً كبيراً عقد في مدينة نورنبرج . وكان بين الخطباء البارون دستورنل دي كونستان فافاض في وجوب توثيق روابط الصداقة بين الامم . وكانت فرنسا مستعدة للصفح ان لم يكن للنسيان ولكن النظام البروسي العسكري في ولايتي الالزاس واللورين لم يسمح بذلك لان الالمان كانوا قد حرموا اهل تينك الولايتين حقوقهما المدنية وسموهما « اروبرنج » اي بلداً مفتوحاً وحظروا استعمال اللغة الفرنسوية فيهما . فلم ينسَ الجرمان والفرنسويون من اهلها على السواء ما سامهم الفاتحون من الخسف ولهذا السبب لم يسع فرنسا النسيان . فلو انهما منحتا استقلالاً تامّاً ضمن الامبراطورية الالمانية ومنح اهلها الحقوق المدنية التامة لزالت من السياسة الاوربية هذه المسئلة التي لقبها الفرنسويون بحق « كابوس احلام اوربا »

علم الانسان

Anthropology.

(٢) فروع السلالة البشرية ومميزاتها

اذا سرت في شارع من شوارع احدى المدن الكبيرة التي يكثر تردد الغرباء اليها من جميع جوانب الارض في بعض فصول السنة كالقاهرة وباريس والاستانة وشنغاي ترى وجوهاً كثيرة مختلفة في اللون والملامح منها ما يسهل ردُّهُ الى اصلهِ ومنها ما لا يستطيع معرفتهُ الاَّ الخبير . فانك تستطيع مثلاً ان تميز الهندي عن الاوربي بسهولة لانهما من جنسين مختلفين ولكنك لا تستطيع بمثل تلك السهولة ان تميز بين بعض الالمان والفرنسويين والانكليز والايطاليين والاميركيين لانهم كلهم من جنس واحد

ومقومات الجنسين عند علماء الانثروبولوجيا مزايا اوصفات موروثة طبيعية كانت او عقلية وهي تتناول كل بنية الانسان وقوى نفسهِ غير مقتصرة على لون البشرة وشكل الاعضاء . لذلك وصف الهندي الاميركي بالصبر والتسليم وعدم المبالاة باللذة والالم . والزنجي بالخفة والطرب . والهولندي ببطء الانفعال . والايطالي بسرعتهِ . ولا ينكر ايضاً ان للاقليم والمبادىء تأثيراً في تكييف الاخلاق الى حدّ يصعب عندهُ التفريق بين اثر هذا العامل او ذاك المؤثر . ولكن للاجناس المختلفة اثراً بيناً في تكوين الاخلاق . سل ايًّا كان من رائضي الجياد يخبرك ان لا الاقليم ولا العناية بالترويض ولا نوع العلف ولا مقدارهُ ولا شيء آخر يجعل الفرس الهجين اصيلاً كريماً يصلح للجري في حلبة السباق

كلما تغير الحي بانتقالهِ من صورة الى صورة اخرى اكتسب شيئاً من الصلابة من جهة والمرونة من جهة اخرى . وهذه الصلابة تمكنهُ من الاحتفاظ بما لهُ من الصفات . وفيما عدا ذلك يبقى مرناً حرًّا في اختيار ما شاء من السبل للسير فيهِ . فالجنس اذاً هو ما كانت فيهِ صفات اكتسبها في ارتقائهِ الطبيعي فتوارثتها آحادهُ وثبتت فيهم

لو سئل احدنا كيف يستطيع التفريق بين الصفات الموروثة والمكتسبة فيهِ لما سهل عليهِ الجواب . فلنفرض انهُ ولد توأمان متشابهان كل التشابه حتى لا يمكن تمييز الواحد عن الآخر . وان توأماً منهما فقد احدى رجليهِ في صغرهِ فلما شبَّ عيّن كاتباً في محلّ تجاري

يلزم فيهِ مقعدهُ طول نهارهِ ولا يفارقهُ . اما الآخر فعين ساعياً في البوستة دائم الحركة والجري . فبعد هذا الاختلاف الكثير في نوع المعيشة يأخذ التوأمان يختلفان في المنظر والهيأة فيمتقع وجه الكاتب ويسمرّ وجه الساعي . ذلك يقضي ساعات الفراغ في المطالعة وهذا في اللعب والرياضة ولكن الذي يعرفها تمام المعرفة يرى فيهما كليهما اشياء كثيرة متشابهة وهي تنمّ عن طبيعة واحدة وميل واحد . مثال ذلك انهما كليهما نزق الطبع سريع الغضب . وهذا النزق موروث فيهما وهو احدى الروابط التي تربطهما الواحد بالآخر

ثم لنفرض ان هذين التوأمين الشقيقين تزوجا توأمتين متشابهتين كل التشابه مثلهما وان كل زوجين منهما رزقا اولاداً . فايّ الفريقين من الاولاد يكون اشدّ ارجلاً من الآخر بعد ما قويت رجلا احد الابوين بالاستعمال وضعفت رجلا الآخر بالاهمال ؟ ولكن هل يؤثر الاستعمال والاهمال في النسل ؟ هذه هي المسألة التي يعسر الجواب عنها والتي تقف عقبة في سبيل تفهمنا للوراثة وجميع ما يتعلق بها . وهي ما تسمى عرفاً وراثة الصفات المكتسبة

تسمع الناس عامة يتحدثون بانتقال اثر الاستعمال او الاهمال من الوالدين الى الاولاد كأن ذلك قضية مقررة لا جدال فيها . وليس غريباً ان يذهبوا هذا المذهب ما دام بعض خاصة العلماء قد سبقوهم اليهِ مثل لامارك الذي وضع مذهباً في اصل الانواع قبل دارون بخمسين سنة وكان مذهبهُ على مبدإِ النشوء والارتقاء من بعض الوجوه . فقد خيل اليهِ ان عنق الزرافة طال من استمرارها على مدهِ ثم توارث ذلك نسلها . فقد قال ان الزرافة كانت تضطر ان تمد عنقها لتصل برأسها الى اعالي اغصان الشجر كلما اشتدّ القيظ ويبس العشب . فما قدر منها على بلوغ تلك الاغصان عاش واورث هذه القدرة خلفهُ . وما لم يقدر هلك . أما دارون فمع تسليمهِ بان للاستعمال والاهمال بعض الاثر في النسل رأى ان هذا الاثر قليل ضئيل بالنسبة الى ما سماهُ علماءُ البيولوجيا بالتغيّر الذاتي . وذهب بعض انصار مذهبهِ الى ابعد من ذلك بزعامة وسمان الالماني . فانهم قذفوا بلامارك ومذهبهِ من حالق وقالوا ان التغيّر الذاتي يكفي وحدهُ لاطالة عنق الزرافة أي ان زرافة منها ولدت طويلة العنق فكان طول عنقها مفيداً لها فوقاها من الهلاك جوعاً في زمن القيظ كما هلك الزراف القصير العنق ومع الزمن لم يبق من الزراف الاّ ما كان عنقهُ طويلاً . أما كيف ولدت اول زرافة طويلة العنق فهو انهُ اتفق وجود خاصة في والديها حين ولداها كذلك .

هذا المذهب لا يعلمنا شيئاً مقرراً ولا يدلنا على شيءٍ بعينهِ فهو ليس في الواقع سوى محذّر لنا من التمسك بمذهب الاستعمال والاهمال ومنبه الى انهما لا يكفيان لتعليل التغيّر بل لا بدّ من التنقيب عن تعليل آخر لا يزال طيّ الخفاء

هذا من جهة . ومن جهة اخرى بينما يخيل الى عامة الناس انهم يرون اثر الاستعمال والاهمال في كل مكان لا ينكرون ان هناك ادلة كثيرة على الضد من ذلك . فان وسمان قطع اذناب الوف من الفيران وزاوج بينها بعد قطع اذنابها فولدت فيراناً باذناب مثل غيرها . وقد قال احد الظرفاء في تعليل بقاء الاذناب ان الفيران لم ترد قطع اذنابها فبقيت لا ولا دها ولو ارادتهُ لما بقيت لها . ولكن بعض الناس يحلقون ذقونهم وهم يريدون ان لا ينمو فيها شعر وقد كان آباؤُهم واجدادهم واجداد اجدادهم من قبلهم يحلقون ذقونهم ومع ذلك لا نجد الابناء اقرب الى الجرَد من الاباء

أما مبدأُ التغيّر الذاتي فخلاصتهُ على ما ذهب اليهِ وسمان ان الاحياء الناشئة عن اتحاد خليتين اقرب الى التغيّر من الاحياء الناشئة عن خلية واحدة . وبناءً على هذا المذهب يتوقف التغيّر في الاكثر على نواميس تفاعل الصفات المتباينة التي جمعَ اتحاد الخلايا بينها . وهذه النواميس لا تزال مجهولة . ولكننا نعرف عنها شيئاً جديداً كل يوم . والتجارب التي تجرب على طريقة مندل في الوراثة تبشر بايضاح ما استبهم علينا الآن

هذا وان نشوء الحيّ من اتحاد الخلايا ليس مجرد مزج او اضافة بل هو عمل من اعمال التنظيم الانتخابي . مثال ذلك ان الوالدين اللذين لكل منهما رجلان لا يلدان ولداً رجلاهُ بقدر ارجلهما طولاً ولا ولداً ذا اربع ارجل اثنتان منها على شكل واحد واثنتان على شكل آخر . وبعبارة اخرى ان الولد يأخذ بعض الصفات الناشئة عن اتحاد الاب والام وينبذ البعض الآخر . والاولاد المختلفون نتج اختلافهم من انتخابات صفات مختلفة من بين العناصر الجرثومية في والديهم . وطريقة مندل تبحث في الناموس الذي بموجبهِ تتوزع تلك الصفات على النسل . فان كل ولدهو فرد قائم بنفسهِ ولهُ نظام خاص بهِ . ومعنى ذلك ان العناصر التي يتألف منها ذات نظام معين يشدُّ بعضها بعضاً . والخلاصة ان التوازن هو الذي يجعل الحياة ممكنة

ثم ان ذلك النظام الاكبر يشتمل على نظامات مختلفة اصغر منهُ كما تشتمل الحكومات الاتحادية الكبرى على حكومات اصغر منها وتامة في تركيبها حتى تكاد تكون منفصلة عنها

كنظام الحكومة الالمانية او الحكومة الاميركية. لذلك كانت صور التحول والاتحاد كثيرة الاختلاف والتعدد ولكن منها ما هو اقوى واثبت من الآخر او اصلح للبقاء بواسطة الانتخاب الطبيعي كما يعبر عنهُ البيولوجيون

ولننتقل الآن الى بسط مبدإ الانتخاب الطبيعي غير باحثين في هل كان للاستعمال والاهمال يد في جعل الاحياء تتخذ صورها واشكالها المختلفة او هل كان اتخاذها اياها اغتباطاً بالتغيّر الذاتي . وهذا المبدأ اي مبدأ الانتخاب الطبيعي كشفهُ دارون والفرد رسل ووليس في وقت واحد كما هو مشهور وكلاهما قبس الشرارة الاولى من قسيس انكليزي اسمهُ ملثس . فانهُ ابان قبلهما بخمسين سنة ان ازدياد سكان الارض سيفوق ازدياد الطعام اللازم لهم بمراحل كثيرة . وحينئذٍ فلا بدَّ من نزول بعض الآفات الطبيعية بالناس كالمجاعات والحروب لاعادة التوازن . وطبّق دارون ووليس هذا المبدأ على النبات والحيوان فابانا ان قدراً عظيماً من انواع الاحياء التي تظهر على الارض لتسعى جهدها الى رزقها لا بدَّ من استئصاله . ولما كانت كثيرة الاختلاف في نظامها وتركيبها فمن المعقول ان نفرض ان الاحياء التي هي اصلح بطبيعتها من غيرها للتوفيق بين معيشتها والاحوال المتغيرة المحيطة بها هي التي تكون ابقى من غيرها . ثم بحثا فوجدا ان الواقع يؤيد هذا المذهب . ولكن لا يبرح عن البال ان استئصال الضعيف في الطبيعة لا يثبت بقاء الاصلح دائماً بل لا بدَّ من حدوث الفواجئ على الدوام التي تذهب بالاصلح ايضاً . على انهُ يقال اجمالاً ان النوع الذي هو اقدر من غيرهِ على التوفيق بين معيشتهِ والمحيط الذي يكتنفهُ هو الذي يبقى دون غيرهِ سواء كان السبب في ذلك كونهُ اكثر اختلاطاً في تركيبهِ او اكثر بساطة

والمراد بالبقاء هنا البقاء مع ولادة النسل فانك اذا بلغت الثمانين ولم يكن لك اولاد لا يعدّ ذلك بقاء لك في عرف البيولوجيين . اما جارك الذي مات وهو ابن اربعين ولهُ اولاد كثار فيعدُّ باقياً على حد قولهم من خلّف ما مات . والانتخاب الطبيعي انما يكون بين الافراد لانهم هم الذين يتوالدون . على ان سبب بقاء الفرد كثيراً ما يكون خارجاً عنهُ لا يد لهُ فيهِ . فبين النحل مثلاً تبقى الملكة وبعض الذكور لإخلاف النسل وهي كلها لا عمل لها لأن النحل العامل عقيم وعملهُ بناء الخليّة وجني العسل والاعتناء بالبيض والصغار . ومن الناس مَن يخلف نسلاً وهو لا يهتم بحفظ نسلهِ بل يهتم بهِ غيرهُ من الذين يموتون في سبيلهِ بلا عقب

ولما كانت مسئلة اخلاف النسل فردية وشخصية مسرفة فانهُ يخشى على الدوام ان تسرف هذه الجماعة او تلك من الجماعات الانسانية في خيرة افرادها حتى ينتهي بها الحال ان تأخذ بدلاً منهم بعض الذين لا قدرة لهم بالطبع على تأدية الخدمة للمجتمع . لذلك يجب ان يكون الهمّ الاول لكل شعب تربية العيال الطيبة . وبغير ذلك لا يمكن ابقاء روح الغيرية حيًّا في هذه الدنيا

قلنا في صدر هذه المقالة ان الوراثة هي الصلابة في الطبيعة البشرية يقابلها شيء كثير او قليل من المرونة لحفظ الموازنة . ولا ينكر من بعض الوجوه ان طبيعة الطفل كلها بما فيها من المرونة القليلة موروثة من والديهِ ولكن غرضنا هنا ان نبين ان هذه المرونة الموروثة لا شأن لها في الحياة وان الصفات الصلبة الواضحة الحدود المتمشية على نظام معين انما هي العامل الوراثي فيما سميناهُ بالفرع او الجنس . على انهُ ليس بين تلك الصفات ما هو تامّ الحدود اذ في طبيعتها كلها شيء من المرونة قلّ او كثر فان في النحلة بغرائزها التامة الواضحة الحدود شيئًا من المرونة . الا تراها اذا كانت خليتها غير منتظمة في شكلها تغير غريزتها التي تأمرها ببناء قرص منتظم وتطابق بين القرص والخلية فتبني قرصًا غير منتظم الشكل ؟

ولكن الصفات الجنسية يجب ان تكون ثابتة ليمكن تمييز اجناس الناس المختلفة بعضها عن بعض . والعادات ثابتة ايضًا لسوء الحظ ولكنها من متعلقات الجزء المرن من طبيعتنا لاننا عند تكوين العادات فينا نكون مرنين بادئ بدء ثم اذا اندفعنا اليها فارقتنا تلك المرونة . لذلك لا بدّ من اطراح العادات عند بحثنا في الوراثة ونواميسها

وربّ سائل يسأل ما هي المميزات الجنسية بين الناس ؛ وبعبارة اخرى ما هي الخصائص البدنية والعقلية التي تفترق اجناس الناس وتتميز بها بعضها عن بعض ؟ فقد طالما فتش الانثروبولوجي عن علاقة خارجية تميز هذا الجنس من ذاك وتوهم انهُ يجدها في الجمجمة او تداريزها او عظام الانف او العين او الذقن او الفكين او ضرس العقل او الشعر او خطوط الكف او الساق او العرقوب الى آخر ما هنالك فباء بالخيبة والفشل . ولعلّ اعظم مميزات الاجناس لون البشرة وشكل الجمجمة فلنبحث فيها

ابن بطوطه وبلاد السودان

لقينا بالامس رجلاً من ضباط الجيش البريطاني اخبرنا انهُ جال في السودان الغربي التابع لفرنسا ورأى فيهِ كثيراً من الآثار الدالة على عمران سابق يفوق عمرانهُ الحالي وقال ان احد كتَّاب العرب وصفهُ منذ نحو ستماية سنة فقلنا لعلهُ ابن بطوطه فقال هو هو فرجعنا الى ابن بطوطه فرأينا في ما كتبهُ عن السودان فوائد حرية بالنشر فاثبتنا منهُ ما يلي وابقينا الكلام بصورة المتكلم بعد ما حذفنا منهُ ما لا حاجة اليهِ . وزدنا فيهِ بعض الزيادات وضعناها بين قوسين

وابن بطوطه هو شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الرحالة المشهور ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤) وخرج منها سائحاً سنة ٧٢٥ (١٣٢٥) فجاء الاسكندرية والقاهرة وكانت اكبر المدن حينئذٍ على ما يرجح ما عدا بعض مدن الصين وحاول المسير الى مكة بطريق عيذاب فتعذر عليهِ ذلك فانقلب راجعاً الى مصر وسار الى فلسطين فحلب فدمشق ومنها الى المدينة ومكة حاجًّا . ثم زار مشهد الامام علي في شهد وسار منها الى واسط فالبصرة وقطع جبال خوزستان الى اصفهان وشيراز وعاد الى الكوفة فبغداد فالموصل وديار بكر . وحج ثانية وجاور ثلاث سنوات وجاء عدن وعبر الى افريقية وزار ممباسا وكاوى ثم عاد الى عمان وهرمز ومكة وحج ثالثة ثم جاء القاهرة بطريق اسوان وذهب الى بلاد الشام وبرّ الاناضول وعبر البحر الاسود واتصل بالسلطان محمد اوزبك صاحب تلك البلاد ووصل الى مدينة بلغار حيث العرض ٥٤ درجة و٥٤ دقيقة لكي يشهد قصر ليالي الصيف وحاول الوصول الى الارض المظلمة . وسار الى القسطنطينية في عهد الامبراطور اندرونيكس الثالث وعاد الى بلاد السلطان محمد اوزبك وقطع الى خوارزم وبخارى وسار الى كابول بطريق خرسان ودخل بلاد السند وانتقل الى ملتان ومنها الى دهلي عاصمة السلطان محمد تغلق واقام هناك ثماني سنوات ثم أُوفد الى بلاد الصين فمرَّ على جزائر مالديف فجزيرة سيلان وعبر الى بنجالة وعاد فزار جاوة وصومترا ووصل الى الصين ثم عاد الى صومترا ومليبار وعمان وبلاد فارس وبغداد وتدمر ودمشق وحمص وحلب والقدس والقاهرة . وحج حجة رابعة وعاد الى فاس بطريق سردينيه فوصلها بعد ما قضى في رحلاتهِ هذه اربعاً وعشرين سنة وقطع الى الاندلس وعاد الى مراكش ومنها الى مكناسة ففاس ورحل من هناك الى بلاد السودان وهي الرحلة الاخيرة التي اردنا تفصيلها هنا قال

ودعت مولانا ايدهُ الله (الامام الخليفة امير المؤمنين ابو عنان فارس المريني من آل

عبد الحق) وتوجهت الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من احسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة اطيب ونزلت عند الفقيه ابي محمد البشري وهو الذي لقيت اخاهُ بمدينة قَنْجَنْفو من بلاد الصين فيا شدَّ ما تباعدا . فاكرمني غاية الاكرام واشتريت بها الجمال وعلفتها اربعة اشهر ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ٧٥٣ (١٨ فبراير ١٣٥٢ م) في رفقة فيها جماعة من تجار سجلماسة فوصلنا بعد ٢٥ يوماً الى تَغازَى وهي قرية لا خير فيها من عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ولا شجر بها وانما هي رمل فيهِ معدن الملح يحفر عليهِ في الارض فيوجد منهُ الواح ضخام متراكبة كأنها قد نُحتت ووضعت تحت الارض يحمل الجمل منها لوحين . ولا يسكنها الاَّ عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجاب اليهم من تمر درعة وسجلماسة ومن لحوم الجمال ومن الانلي (الذرة) المجلوب من بلاد السودان . ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويباع الحمل منهُ بمدينة ايوالاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالاً الى عشرين وربما انتهى الى اربعين مثقالاً (المثقال من الذهب يساوي نحو ٤٥ غرشاً) وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونهُ قطعاً ويتبايعون بهِ . وقرية تغازى على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر . واقمنا بها عشرة ايام في جهد لان ماءها زعاق وهي اكثر المواضع ذباباً ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشر لا ماء فيها الاَّ في النادر . ووجدنا نحن بها ماء كثيراً في غدران ابقاها المطر . والكمأة بتلك الصحراء كثيرة . ووصلنا الى تامَرْ هلاّ وهي احساء ماء تنزل القوافل عليها ويقيمون ثلاثة ايام فيستريحون ويصلحون اسقيتهم ويملأونها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح (ثم وصف مسيرهم في الصحراء الى ان دخلوا مدينة ايولاتن فقال)

ووصلنا الى مدينة ايولاتن في غرة شهر ربيع الاول بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة وهي اول عمالة السودان ونائب السلطان فيها فَرْبا حسين ومعنى فَربا نائب ولما وصلناها ذهبنا الى الفربا وهو جالس على بساط في سقيف واعوانهُ بين يديهِ بايديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائهِ ووقف التجار بين يديهِ وهو يكلمهم بترجمان على قربهم منهُ احتقاراً لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء ادبهم واحتقارهم الابيض وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من اهل سلا كنت كتب لهُ ان يكتري لي داراً ففعل ذلك وكانت اقامتي بايوالاتن نحو خمسين يوماً واكرمني اهلها واضافوني منهم قاضيها محمد بن عبد الله ابن نيومر واخوهُ الفقيه المدرس يحيى . وبلدة ايوالاتن شديدة الحر وفيها يسير نخيلات

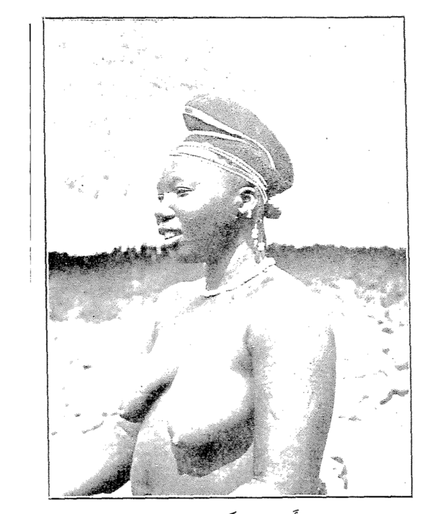
يزدرعون في ظلالها البطيخ وماؤُهم من احساء بها ولحم الضان كثير فيها وثياب اهلها حسان مصرية واكثر السكان بها من مسوفة ولنسائهم الجمال الفائق وهنَّ اعظم شأناً من الرجال والمسوفة عجيب امرهم فاما رجالهم فلا غيرة لديهم ولا ينتسب احدهم الى ابيهِ بل ينتسب الى خالهِ . ولا يرث الرجل الاَّ ابناء اختهِ دون بنيهِ وذلك شيءٌ ما رأيتهُ في الدنيا الاَّ عند كفَّار بلاد والمليبار من الهنود . واما هؤُلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلُّم الفقه وحفظ القرآن . واما نساؤُهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهنَّ على الصلوات . ومن اراد التزوج منهنَّ تزوج لكنهنَّ لا يسافرن مع الزوج ولو ارادت احداهنَّ ذلك لمنعها اهلها . والنساء هنالك يكون لهنَّ الاصدقاء والاصحاب من الرجال الاجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الاجنبيَّات ويدخل احدهم دارهُ فيجد امرأتهُ ومعها صاحبها فلا ينُكر ذلك

دخلت يوماً على القاضي بايوالاتن بعد اذنهِ في الدخول فوجدت عندهُ امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبت واردتُ الرجوع فضحكتْ مني ولم يدركها خجل وقال لي القاضي لمَ ترجع انها صاحبتي . فعجبتُ من شأْنهما فانهُ من الفقهاء الحجاج

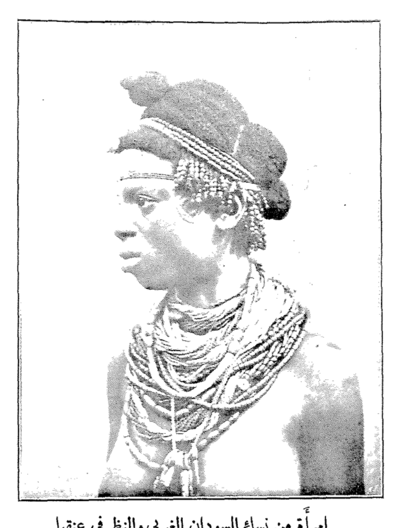
ودخلتُ يوماً على ابي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبتهِ فوجدتهُ قاعداً على بساط وفي وسط دارهِ سرير مظلَّل عليهِ امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت لهُ ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها منها فقال هو صاحبها فقلت لهُ اترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لي ان مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحُسن طريقة لا تهمةَ فيها ولسن كنساء بلادكم . فعجبت من رعونتهِ وانصرفتُ عنهُ فلم اعُد اليهِ بعدها . واستدعاني مرات فلم اجبهُ

نقول ولو دخل ابن بطوطه بيوت الاوربيين في هذا العصر لرأى فيها ما رآهُ في بيت هذا الرجل ونساؤُهم على تمام العفة فهو مخطئٌ اذا بنى ارتيابهُ بعفة نساء ايوالاتن على مجالستهنَّ الرجال وسبب خطإِهِ انهُ لم يعتد رؤْية النساء مع الرجال على هذه الصورة كما ان هذا الرجل محمد المسوفي مخطئٌ في حسبانهِ نساء المغرب اقل عفةً من غيرهن فيحجبنَ . ثم قال ابن بطوطه

ولما عزمت على السفر الى مالي وبينها وبين ايوالاتن مسيرة اربعة وعشرين يوماً للمجد اكتريت دليلاً من مسوفة اذ لا حاجة الى السفر في رفقةٍ لأمن تلك الطريق وخرجت في ثلاثة من اصحابي والطريق كثيرة الاشجار واشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا اغصان لها ولكن ظل جسدها يستظل بهِ الانسان . وبعض تلك الاشجار قد



امرأَة من نساء كوراما بالسودان الغربي



امرأَة من نساء السودان الغربي والنظم في عنقها

مقتطف فبراير ١٩١٦
امام الصفحة ١٥٦

استأسن داخلها واستنقع فيهِ ماء المطر فكأنها بئر و يشرب الناس من الماء الذي فيها ويكون في بعضها النحل والعسل فيشتارهُ الناس · ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حائكاً قد نصب فيها مرمتهُ وهو ينسج فعجبتُ منهُ . وفي اشجار هذه الغابة ما يشبه شجرهُ الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وفيها اشجار تثمر شبه الفقوص فاذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق فيطبخونهُ و يأكلونهُ و يباع بالاسواق · و يستخرجون من هذه الارض حبات كالفول فيقلونها و يأكلونها وطعمها كطعم الحمص المقلو وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوهُ بالغرتي · والغرتي ثمر كالاجاص شديد الحلاوة يدق عظمهُ فيستخرج منهُ زيت لهم فيهِ منافع فمنها انهم يطبخون بهِ و يسرجون السرج و يقلون بهِ هذا الاسفنج ويدهنون بهِ و يخلطونهُ بتراب عندهم و يسطحون بهِ الدور كما تسطح بالجير · وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد الى بلد في قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعهُ القلة ببلادنا · والقرع ببلاد السودان يعظم ومنهُ يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين و ينقشونها نقشاً حسناً · واذا سافر احدهم يتبعهُ عبيدهُ وجواريهِ يحملون فرشهُ واوانيهُ التي يأكل و يشرب بها وهي من القرع · والمسافر بهذهِ البلاد لا يحمل زاداً ولا اداماً ولا ديناراً ولا درهماً انما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميهِ الناس النظم و بعض السلع العطرية واكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى وتاسرغنت وهو بخورهم فاذا وصل قرية جاء نساء السودان بالانلي واللبن والدجاج ودقيق النبق والارز والفوني وهو كحب الخردل يصنع منهُ الكسكس والعصيدة ودقيق اللوبياء فيشتري منهن ما احب من ذلك

و بعد مسيرة عشرة ايام من ايوالاتن وصلنا الى قرية زاغري وهي كبيرة يسكنها تجار السودان و يسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية · ومن هذه القرية يجلب الانلي الى ايوالاتن · ثم سرنا من زاغري فوصلنا الى النهر الاعظم وهو النيل وينحدر النيل منها الى كابرة ثم الى زاغة · ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك الي واهل زاغة قدماء في الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم · ثم ينحدر النيل من زاغة الى تنبكتو ثم الى كوكو ثم الى بلدة مولي وهي آخر عمالة مالي ثم الى يوفي وهي اكبر بلاد السودان وسلطانها من اعظم سلاطينهم ولا يدخلها الابيض من الناس لانهم يقتلونهُ قبل الوصول اليها · ثم ينحدر منها الى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم الى دنقلة وهي اكبر بلادهم وسلطانها يدعى بابن كنز الدين اسلم في ايام الملك الناصر ثم ينحدر الى جنادل وهي آخر عمالة السودان واول عمالة اسوان

نقول والنهر الذي وصل اليهِ ابن بطوطه حينئذٍ هو نهر النيجر لا نهر النيل وهو يبتدئ في

غرب افريقيه فيجري اولاً الى الشمال الشرقي ثم ينحدر الى الجنوب بميل الى الشرق ويصب في خليج غينيا في الغرب الجنوبي من افريقية ولكن القدماء كانوا يظنون انهُ يسير شرقاً الى ان يلتقي بنيل مصر وانهُ هو اصل النيل وذلك خطأ كما لا يخفى

وعاد ابن بطوطه بعد ذلك الى وصف هذه المدن وما وجده فيها قال

مدينة مالي حضرة (عاصمة) ملك السودان وكان محمد بن الفقيه قد اكترى لي داراً فيها ازاء داره فتوجهت اليها وجاء صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه اليَّ في الغد وشمس الدين بن النقويس وعلي الزودي المراكشي وهو من الطلبة . ولقيت القاضي عبد الرحمن وهو من السودان حاجٌّ فاضل لهُ مكارم اخلاق ولقيت الترجمان دوغا وهو من افاضل السودان وكبارهم وكان ابن الفقيه متزوجاً بنت عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام

وسلطان مالي هو منسى سليمان ومعنى منسى سلطان لهُ قبة مرتفعة بابها بداخل داره يقعد فيها اكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفائح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفائح الذهب او هي فضة مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فعلم انهُ يجلس فاذا جلس أُخرج من شباك احدى الطاقات شُرابة حرير قد رُبط فيها منديل مصري مرقوم فاذا رأى الناس المنديل ضُربت الاطبال والابواق . ثم يخرج من باب القصر نحو ثلثماية من العبيد في ايدي بعضهم القسي وفي ايدي بعضهم الرماح الصغار والدرق فيقف اصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ويجلس اصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون انهما ينفعان من العين وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبهُ قنجا موسى وتأتي الفرارية وهم الامراء ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون امام السلحدارية يمنة ويسرة في المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها وعلى رأسه عمامة ذات حواشي لم في تعميها صنعة بديعة وهو متقلد سيفاً غمده من الذهب وفي رجليه الخف والمهاميز ولا يلبس احد ذلك اليوم خفاً غيرهُ . ويكون في يده رمحان صغيران احدهما من ذهب والآخر من فضة واسنتهما من الحديد ويجلس الاجناد والولاة والفتيان والمسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع متسع فيه اشجار وكل فراري بين يديه اصحابهُ بالرماح والقسي والاطبال والابواق. وبوقاتهم من انياب الفيلة وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة ولها صوت عجيب . ولكل فراري كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسهُ بيده وهو راكب فرساً واصحابهُ بين مشاة وركبان . ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف فمن

اراد ان يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا ذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان

ويجلس السلطان ايضاً في بعض الايام بالمشور وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البني تفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي · ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسهُ بيدهِ وكنانتهُ بين كتفيهِ وعلى رأسهِ شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها اطراف مثل السكاكين رقاق طولها ازيد من شبر واكثر لباسهِ جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المُطَنفس ويخرج بين يديهِ المغنون بايديهم قنابر الذهب والفضة وخلفهُ نحو ثلثمائة من العبيد اصحاب السلاح ويمشي مشياً رويداً ويكثر التأني وربما وقف فاذا وصل الى البني وقف ينظر في الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسهِ تضرب الطبول والابواق والانفار ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتى بالفرسين والكبشين معهما ويقف دوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الاشجار

وحضرت بمالي عيدَي الاضحى والفطر فخرج الناس الى المصلَّى وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسهِ الطيلسان · والسودان لا يلبسون الطيلسان الاَّ في العيد ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونهُ في سائر الايام · وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون وبين يديهِ العلامات الحُمْر من الحرير ونُصب عند المصلَّى خباء فدخل السلطان اليهِ واصلح من شأنهِ ثم خرج الى المصلَّى فقضيت الصلاة والخطبة

ويجلس السلطان في ايام العيدين بعد العصر على البني وتأتي السلحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب واغمادها منهُ ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسهِ اربعة من الامراء يشرّدون الذباب وفي ايديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغا الترجمان بنسائهِ الاربع وجواريهِ وهنَّ نحو مئة عليهنَّ الملابس الحسان وعلى رؤوسهنَّ عصائب الذهب والفضة فيها تفافيح ذهب وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليهِ ويضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قريعات ويغني بشعر يمدح السلطان فيهِ ويذكر غزواتهِ وافعالهُ ويغني النساء والجواري معهُ ويلعبنَ بالقسي · ويلعب دوغا بالسيف لعباً بديعاً وعند ذلك يأمر السلطان بالاحسان لهُ فيؤتى بصرَّة فيها مئتا مثقال من التبر · وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناهُ

سيأتي البقية

مصر من تسعين سنة

(٢)

الاعراس المصرية

تقدمنا الموكب مسافة طويلة في طرق متعرجة وحارات ضيقة وكنا نتأثر مسيره على اصوات الطبول والرباب الى ان لحقنا بهِ في منعطف غير نافذ فوجدناه مزيناً ومضاء بالمصابيح حتى مدخل بيت العريس والكلاب الكثيرة تحتك بارجلنا كأنها تزاحمنا الى الوليمة . فدخل الموكب في رحبةٍ واسعة عند مدخل الدار والطبول تقرع والرباب تصدح فلعب المصارعون بالسيوف ووقف حملة المشاعل وحملة الشموع حولهم ثم حملة القماقم والمزاهر وسعوف النخل كأنهم قادمون لاستقبال اغسطس قيصر داخلاً الى رومية ظافراً تحت اقواس النصر . ورأيت بعضهم حاملاً اعواداً طويلة في اعلاها الواح كبيرة من النحاس عليها صفوف من السلاسل والخرز والزجاج

ولما مرّت العروس تقدمتها المغنيات المعروفات بالعالمات والراقصات الغوازي . فالاوليات متحجبات وفي ايديهنّ الدفوف أما الغوازي فكنّ يرقصن مكشوفات الوجوه والسواعد والنهود وعلى اوساطهنّ مآزر زاهية مزركشة ومتمنطقات بالقصب المتدلي وعلى رؤوسهنّ طراقي محللة بالقطع الذهبية يقال لها غوازي وربما اتخذن هذا الاسم من تلك النقود الذهبية المضروبة على عهد مماليك الغز . وكنّ صقيلات الوجوه مزججات الحواجب والعيون مثقوبات الآذان والانوف وعلى صدورهنّ وسواعدهنّ نقوش غريبة من الوشم الازرق وفي اصابعهنّ الصنوج كثيرات الخلاعة في رقصهنّ والرجال والغلمان حولهنّ يقهقهون ضحكاً وسروراً . ثم دخل صف الخدم والخصيان وكلهم زنوج يحملون الصواني والسلال وعليها ثياب العروس وحلاها المهداة اليها من عريسها واقاربها . وتلاهم المدعوون وهم قسمان قسم الوجهاء والاعيان وكلهم بثياب فاخرة زاهية وقسم اهل البلد والفلاحين وكلهم بثياب سوداء واحذية صفراء . ولما دخلت العروس امتلأ المكان من زغاريد النساء وقد تبينتها عن كثب فاذا هي متشحة بشال من الكشمير غالي الثمن وإزار تجرّ ذيولهُ وراءها وعلى وجهها برقع ابيض تقودها امرأتان او تجرانها من تحت ابطيها جرًّا ووراءها عدد من الجواري يرفعن ذيول ثوبها . ثم دخلت الى خدرها في الغرف العلوية من الدار بين زغردة النساء واغاني العالمات

اما المدعوون فلبثوا في حوش الدار وهناك مصطبة عالية حولها الغرف والمقاعد والموائد

يقال لها « سلاملك » ثم دار قوم بايديهم اباريق الخزف يوزعون شراباً حلواً على الجالسين في كؤوس من المعدن او الخزف · ورأيت موزع الشراب على قيد خطوات مني فخشيت ان ينفضح امري اذا كلمني ولا اعلم بماذا أجيب وكان ترجماني عبدالله قد ابتعد عني فاشرت اليه ان يدنو مني ففعل وقلت لهُ : اذا جاء دوري في الشراب ماذا افعل وبماذا اجيب ؟ قال « قل لهُ كثر خيرك » · ولما رآني لا احسن لفظ هذه الكلمة الثقيلة على لساني قال لي « قل لهُ طيّب »

وقد علمت فيما بعد ان كلمة « طيب » ذات معانٍ كثيرة تكفي لان تكون جواباً لمسائل مختلفة خليقة بامة هادئة خاضعة لحكم استبدادي مطلق تحذر عثرات اللسان · فكلمة « طيب » عندهم تعني « ان الشيء حسن » واحياناً تعني « اني طوع امرك » او « اشكرك » وغالباً تفسر بكلمة « نعم » واظهار الرضى والقبول · فاتقنت نطقها وكنت افخم لفظ الطاء لئلاَّ الفظها « تيّب » · وتذكرت وقتئذٍ ان قد سبقني السائح بلزوني الى استعمال هذه الكلمة عند مجيئهِ الى مصر حتى ظهر امرهُ يوماً ما وهو داخل احد الجوامع وكانت حياتهُ معرضة للخطر حتى اضطر ترجمانهُ ان يدافع عنهُ بقولهِ : انهُ انكليزي مسلم لا يتقن التكلم بالعربية

وكان ابو العريس واخوتهُ يستقبلون المدعوين ويرحبون بهم وقد نصبت الموائد في قاعة كبيرة فجلس القوم القرفصاء حولها وكل منهم يمد يده الى الطعام ويأكل بيدهِ رزاً ولحماً فلم اجسر ان اشترك معهم في هذه الوليمة لئلاَّ اخطئ مرة في مخالفة عاداتهم وينفضح امري لديهم · وكان جمع من البرابرة يرقصون اثناء الوليمة في حوش الدار وقد عقدوا حلقة في وسطها عالمة تغني وتضرب على الدف · وغازية اخرى تقرع طبلاً صغيراً يقال لهُ « دربكة » ووراء الحلقة جوقة اصحاب الزمور والرباب والعبيد والخدم بايديهم القماقم والمزاهر دائرين حول المدعوين يرشونهم بماء الزهر والورد وشممت روائحهُ العطرية لما انتثر رشاشهُ على وجهي ولحيتي · وبعد برهة وقف امامي رجل ببزة نظيفة حسنة وقال لي بلهجة لطيفة وتأدب كلاماً لم افهم معناهُ فاجبتهُ بكلمة « طيب » مفخمة الطاء · ثم تجاوزني وكلم غيري فالتفتُّ نحو عبد الله وسألتهُ ماذا يريد مني هذا الرجل قال « هو صاحب البيت يدعوك للدخول الى المائدة » · فرأيت ان اخرج خوفاً من افتضاح امري · وفي الطريق قال لي ترجماني :

« لو لبثت عندهم الى ما بعد الطعام لرأيت التمثيل · فقلت لهُ ايمثلون هنا روايات « كوميدي » ؟ قال نعم روايات القره قوز

وقد علمت ان هذه الحفلات تلبث سبع ليالٍ لها اسماء خاصة بها منها ليلة الحمَّام وليلة الحناء وليلة الهدايا وليلة الزينة وليلة الدخلة وتقام فيها كلها المراقص والاغاني وتولم الولائم . وقال لي عبدالله ان قد فاتتني في هذه الليلة رؤية الذبيحة وهي خروف او جاموس يذبحهُ العريس على عتبة الدار عند ما تجتازها العروس حتى يلطخ ثوبها بدم الضحية تفاولاً بالسعادة والهناء . واحياناً يصنع قالب او تمثال من السكر و يوضع في وسطهِ زوجا حمام او يمام فعند دخول العروس الى خدرها يحطم التمثال السكري و يطير الحمام في الفضاء . ور بما كانت هذه العادة من تقاليد المصريين القدماء

***

ثم دخلت الى غرفتي في الفندق وانا افكر فيما رايت هذه الليلة بين قوم يرون الزواج اهم حادث في الحياة فينفقون على حفلاتهِ الالوف من الذهب . ولا يظن ان ذلك قاصر على الاغنياء بل يشمل الفقراء ايضاً وهم لا يقصرون عن مضاهاة الاغنياء في اقامة معالم الزينات . والفرق بين الفئتين ان الاغنياء ينفقون من فضلتهم واما الفقراء فمن اعوازهم اذ يستدينون المال لاقامة الولائم واحضار المغنيات والغوازي وجوقات الموسيقيين والطبالين والزمارين وار باب الاشاير و بعضهم يضطر الى استئجار ثياب اقاربهِ وجيرانهِ

والعروس المصرية سر من الاسرار لا يرى احد هيأتها ولا يعلم احد من المتفرجين ولا الاصدقاء والاقارب ما هي عليهِ من القبح او الجمال سوى عريسها الذي لا يراها الاَّ ليلة دخولهِ عليها

الترجمان

ترجماني عبد الله رجل ذكي الفؤَاد نشيط مخلص الخدمة ولا عيب فيهِ سوى انهُ يحسب نفسهُ كبيراً شريفاً مساوياً لي . وهو نوبي الاصل يتكلم الانكليزية والفرنسوية والعربية بسهولة و يقتصر على خدمة السياح الانكليز وهذا سبب ترفعهِ عن خدمة غيرهم من الافرنج . التقيت بهِ في الاسكندرية على ظهر السفينة ليونيداس وهو نحاسي اللون يلبس ثوباً ابيض ومشلحاً من لونهِ فهو في الواقع وسط بين المصري والنوبي . واذنهُ مثقوبة فيها قرط من الفضة . فاتفقت معهُ على ان اجعل لهُ راتباً مقدارهُ عشرون غرشاً في اليوم مدة الستة الاشهر التي اقيمها في القاهرة

ولما وصلنا القاهرة نزلت في فندق فرنسوي رغماً عن ارادة عبد الله اذ كان يريد ان ياخذني الى الفندق الانكليزي واخيراً قال لي اشير عليك ان تستأجر منزلاً خاصاً وتأتي بخادم

يقوم باحتياجاتك وانا اقيم معك دائماً و بذلك نقتصد مبلغاً كبيراً من نفقات الفندق · فرأيت ما قالهُ صواباً فوافقتهُ وعهدت اليهِ في استئجار منزل خاص في حي الافرنج او حي الاقباط

والتقيت في فندق دومرج الذي نزلت فيهِ (وهو في درب الجنينة) بمصوّر فرنسوي حميد الخصال دمث الاخلاق لطيف المعشر الاَّ ان سمعهُ ثقيل وهو ماهر في الرسم اتخذ في الفندق غرفتين لنومهِ وللاشتغال بصناعتهِ فيجمع بعض الفتيات المصريات والنوبيات بائعات الليمون والبرتقال والقصب و يأخذ رسومهنَّ على اشكال مختلفة · و بعضهن لا يرضين ان يرفعن الحجاب عن وجوههن حياء او مراعاةً للآداب الاسلامية · فيضطر ان يصورهن وهن محجبات · وكان بين نزلاء الفندق كولونيل فرنسوي واسقف ومثلة لغات وهنديان من بومباي احدهما خادم للآخر · و يظهر من اكلهما اللحوم انهما من الهنود المسلمين وكنت اود البقاء في هذا الفندق لوفرة وسائل الراحة فيهِ الاَّ اني فضلت السكنى في احد المنازل بين الوطنيين للاختلاط بهم وتعوّد المعيشة الشرقية

استئجار المنزل

قال لي عبد الله ان في حي الاقباط والاروام كثيراً من البيوت فمنها ما هو ذو طبقتين ومنها ما هو ذو ثلاث وداخلها حوش او حديقة ولا تجاوز اجرتها السنوية ثلاثمائة غرش · واراني في اليوم التالي بيوتاً عديدة لاختار واحداً منها فرأيت بيتاً بديع الشكل داخلهُ حوش مرصوف بالبلاط وفي وسطهِ بركة ماء حولها قصاري الورد والرياحين وقاعات واسعة وقد زخرفت جدرانها وسقوفها بالنقوش وفي صدرها اعمدة من رخام ومصاطب فوقها المقاصير والمياه تفيض من بركة كبيرة تسقي الحديقة المغروسة بالاشجار المظللة · وهذا البيت يشبه قصور البندقية وجنوى ومع كل ذلك الرواء والزخارف لم ارهُ صالحاً للسكن من الوجهة الصحية لان نوافذ مقاصيرهِ وغرفهِ لا تطل الاَّ على الحوش الداخلي فالهواء فيهِ محصور ولا يصل اليها نور الشمس ولا ينفذها النسيم الشمالي المنعش للابدان ولذلك ترى اكثر سكان القاهرة نحفاء الاجسام مصابين بفقر الدم صفر الوجوه من رطوبة التربة ومن نشع مياه الخليج الجاري في وسط المدينة وكثرة المستنقعات في الشوارع · وهذه الرطوبة الدائمة جعلت اكثر الاهالي معرضين للرمد وامراض العين وقلما ترى مصرياً سليم العينين هذا فضلاً عن الاوحال والاقذار المتراكمة في الطرق والشوارع · وفي القاهرة كثير من خرابات القصور العظيمة القديمة العهد كانت لامراء المماليك وسلاطين العصور السالفة واكثرها كالاطلال البالية وتستأجر باجرة زهيدة

وبعد التفتيش وجد عبد الله منزلاً صغيراً صالحاً لي كان قد استأجرهُ قبلي سائح انكليزي واقام فيهِ مدة وجعل لهُ منافذ بحرية بدرفات من زجاج . والنوافذ التي على هذا الشكل نادرة . وهذا البيت في حارة النصارى وصاحبتهُ امرأَة قبطية ارملة غنية لها عشرون بيتاً غيرهُ بعضها ملك لها وبعضها مكتوب باسمها وهو في الحقيقة ملك بعض الافرنج لان الاجنبي لا يمكنهُ ان يتملك في مصر حسب القوانين التركية ولا يمكنهُ ان يقتني باسمهِ ارضاً وعقاراً . وهذا البيب ملك قونشلير انكلترا مكتوب باسم هذه الارملة القبطية تؤجرهُ على حساب صاحبهِ . وبعد المساومة على الاجرة بواسطة عبد الله وشيخ الحارة كتبنا عقد الايجار بمبلغ ثلاثمائة غرش في السنة تدفع على ثلاثة اقساط ولم استلم مفتاح البيت الا بعد ان دفعت مبالغ كثيرة بصفة « بقشيش » الى شيخ الحارة وكاتب العقد وشيخ الخفر وحافظ القسم وكاتبهِ وخادمهِ واخيراً استلمت المفتاح من قهرمان الارملة بعد ان نقدتهُ « بقشيشهُ »

ما هو مفتاح البيت ؟ هو خشبة طويلة في طرفها ستة مسامير وفي الباب شبه صندوق مستطيل يدخل المفتاح فيهِ فتلتقي المسامير التي فيهِ بمسامير أُخرى متحركة في جوف الصندوق فترفعها ويفتح الباب . ويقال لها في مصر « الضبّة » . ولكن الصعوبة في حمل هذا المفتاح اذا خرجت من المنزل ولما لم اقدر ان اضعهُ في جيبي اضطررت ان اشكه في وسطي كما يفعل الاهالي كانكشاري او الباني يحمل في نطاقهِ غدارتهِ . ولكن الحصول على المفتاح واستئجار البيت ليسا كل ما يلزم لسكنهِ بل يجب ان توضع فيهِ الامتعة والحاجيات الضرورية والفرش والاثاث اللازم . فأخذني ترجماني الى السوق فاشتريت القماش والقطن واحضر لي المنجدين فصنعوا لي مراتب الاسرة واللحف والوسائد والمقاعد وفي اليوم التالي احضر لي صانعي الجريد فصنعوا لي اسرة للنوم ومقاعد من جريد النخل وهي على خفتها متينة الصنع . ثم ذهبنا الى السوق فاشتريت الحصر والسجاجيد والستائر للنوافذ وعرفني ترجماني بتاجر يهودي يدعى يوسف يحسن الفرنسوية فاشتريت من عندهِ كل هذه الامتعة والاقمشة وقال لي عبد الله ان صديقهُ هذا متهاود في البيع صادق في المعاملات ولكني لا أَشك في ان الاثنين اتفقا على سرقتي

وفي اليوم التالي زارني يوسف هذا فقدمت لهُ القهوة والنارجيلة (الشيشة) وقال لي ان لهُ بستاناً غرست فيهِ اشجار التوت لتربية دود الحرير وكل سنة يخرج مقداراً كبيراً من الشرانق

وكان البيت الذي استأجرتهُ في آخر حي الاقباط على مقربة من باب الحديد (ربما كان

في الدرب الابرهيمي) يمر الخارج منهُ في ارض تخترقها ترعة وحولها الغيطان يجتاز السالك فيها فوق جسر من خشب على طريق شبرا . وخارج باب الحديد عند صف الغيطان محطة لمئات من الحمَّارة يؤَجرون الحمار بغرش واحد مسافة ساعة من البلدة . ووراء السور جامع (ربما كان جامع اولاد عنان) فوقهُ مأذنة عالية وكل ليلة اسمع من نافذة غرفتي صوت المؤَذن . ففي الليلة الاولى افقت على صوتهِ وهو ينشد بصوت شجي « اشهد ان لا اله الا الله » وسألت ترجماني عن جملة أُخرى كان يرددها المؤَذن فسرها لي بقولهِ « الصلاة خيرٌ من النوم » فاستعذبت الانشاد في سحر الليل وحسبت نفسي كأَني في حلم . وكل ما رأَيتهُ في مصر من الغرائب والمدهشات حقق لي حكايات الف ليلة وليلة

كنا نقرأُ في فرنسا تلك الحكايات فنحسبها من قبيل الاقاصيص الخرافية فاذا هي حقيقة فنفس الانسان تجول في النوم في عالم الخيال والتصورات و يعتقد الشرقيون ان الارواح تحوم حول النائم فتذهب روحهُ معها الى عالم الخيالات معرضة للهواجس والانزعاجات . اليس بالاحرى ان نضع انفسنا عند ذهابنا الى النوم تحت حراسة الله خالقنا الذي لا يغفل ولا ينام كما قال المؤَذن

عقدة الزواج

في صباح الليلة الثانية حضر عبدالله وايقظني باكراً وقال لي ان شيخ الحارة اتى يطلب مقابلتي فاذنت لهُ فدخل الى غرفتي وهو شيخ جليل ابيض اللحية فقدمت لهُ القهوة والشبق حسب العادة وجلس ساعة ولم ينطق ببنت شفة الى ان شرب القهوة واخيراً قال لي عبدالله مترجماً كلامهُ :

يقول لك انهُ حضر ليرجع لك الدراهم التي دفعتها اجرة البيت فدهشت من قولهِ وسألتهُ عن السبب فقال ان صاحبة البيت تجهل امرك وآدابك وعادات قومك فقلت لهُ وهل تظن ان آدابي او آداب قومي غير حميدة . قال انها لا تقصد ذلك ولكنها كانت تحسبك متزوجاً او عندك امرأَة تخدمك فاجرتك البيت فقلت لهُ ولكني غير متزوج . اجاب لا يعنيها هذا الامر وانما يهمها ان تسكن مع امرأَة لان سكن العزاب في البيوت ممنوع وخصوصاً بين العائلات وفي بيت تطل نوافذهُ على نساء الجيران . وهذه العادة قاعدة عامة متبعة بين المصريين بكل صرامة وتدقيق . فقلت لشيخ الحارة وماذا تريد ان افعل الآن . قال يجب ان تخلي البيت او تأتي بامرأَة تسكن معك . قلت وهل من الآداب ان اسكن مع امرأَة غير متزوج بها ؟ فاجابني جواباً غريباً يحسبهُ مقنعاً . قال « انت افندي (وعندهم ان كل من

كان ليس بتاجر ولا فلاح ولا صاحب مهنة هو افندي اي صاحب ملك او مأمور حكومة) ولا يليق بك ان تسكن وحدك في منزل مثل هذا وانت في سعة من العيش فيجب ان تقوم بعيش امرأة او اكثر حسبما تجيزهُ ديانتك او ان تشتري جارية تقوم بخدمتك فاذا لم يتزوج الرجال بالبنات فانهن يبقين عالة على والديهن »

فرأيت شيئًا من الحكمة والصواب في هذا الكلام . ثم امهلني شيخ الحارة يومين لمشاورة اصدقائي لان مسئلة الزواج عندنا هامة يجب التروي فيها وهي من اهم مسائل الحياة والهيأة الاجتماعية وادقها . اما في الشرق فالمرأة تؤخذ وترد كالمتاع

في المقالة الثالثة وصف الزواج عند الاقباط وسوق الجواري وما جرى لهذا السائح من النوادر

ديمتري نقولا

اكوات العراق

كتب حضرة محمد افندي الهاشمي البغدادي نزيل القاهرة الآن رسالة الى المقطم بالعنوان المتقدم . قال :

اسمع كثيراً في الجرائد المحلية لفظ كوت ولا اظن كثيرين من القراء يفهمونها فانها من اصطلاحات العراق ولذلك اريد اكتب شيئًا عن اكوات العراق لعل فيما ابينهُ فائدة فاقول

كلمة كوت مشهورة متعارفة في العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم والهند الساحلية وقد شاع استعمالها على الالسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الاصلية فصغروها وجمعوها فقالوا كويت واكوات وبالمصغر سميت البلدة التي على ضفاف البحر الفارسي او خليج البصرة

وهذه الكلمة توارثها العراقيون عن ابائهم البابليين والكلدانيين وكان الاشوريون يستعملونها كما توارثوا اشياء اخرى باقية فيهم الى الآن . وجاءت لفظة كوت في سفر الملوك ١٧ : ٢٤ « واتى ملك اشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفرائيم » ويقال فيها كوثا وكوثى ربًّا وهي المدينة الشهيرة مدينة ابرهيم — تعرف اليوم بتل ابرهيم او جبل ابرهيم

وهي تطلق عندهم على البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرهما مما يبنى لحاجة ويبنى حولهُ بيوت صغار حقيرة بالنسبة اليهِ ويكون ذلك البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عندهُ لتكمل منهُ ما ينقصها من الفحم والزاد وما اشبه ذلك من حاجات السفر

ولا تطلق الأعلى ما يبنى قريباً من الماء سواء كان من ماء البحر او النهر او البحيرة او المستنقعة وقد تطلق الكوت على النهر الصغير ايضاً ويسمى بهِ الآن بعض القرى في العراق توسعاً ولعلها كانت في اول امرها اكواتاً صغيرة ثم تقاطر اليها الناس وعمروها فاتسعت وبقيت على اسمها الاول او كانت انشئت بقربها فغلب اسم الكوت عليها. وهذه الاكوات لا توجد في الموصل وغيرها من البلاد العليا الواقعة على ضفة دجلة فان اول كوت يمر بهِ الذاهب من بغداد الى البصرة كوت الامارة او الكوت وهو اشهر الاكوات وهو النقطة المتوسطة بين البصرة وبغداد وموقعه الجانب الشرقي من دجلة وفيهِ قائمقام وقاض وفيهِ ثكنة عسكرية « قشلاق » فيها طائفة من الجنود يحمون البلد من هجوم الاعراب وقطاع الطريق

وهو قرية جميلة عذبة الهواء طيبة التربة تغلب الصحة في اهلها وفيها جسر (كوبري) خشبي قديم وفيها مدرسة رشدية (ثانوية) وأخرى ابتدائية وحماماتها جميلة ظاهرة وفيها سوق كبيرة مسقوفة واهلها نحو اثني عشر الفاً تقريباً اكثرهم شيعيون . وقد قيل انها بنيت باسم اميركان عليها يدعى كوت وهو من قبيلة ربيعة العراق وهذه القرية حسنة البناء بالجملة تحفها الحدائق والحقول وهي التي تكرر ذكرها في الجرائد المحلية وغيرها من الجرائد الافرنجية

وقد اسست بعد خراب مدينة واسط الشهيرة المعروفة في التاريخ العباسي وكانت واسط قريبة من هذه البليدة في الجانب الغربي من دجلة وقد زرتها منذ سنتين تقريباً

وهنالك اكوات اخرى تبلغ ٢٧ كوتاً . واذا اطلق الكوت اريد بهِ كوت الامارة . ومن البلاد التي يطلق عليها كوت كوت الامارة وكوت ابن نعمة وكوت الباشا وكوت العصيجي مصغر منسوب وكوت السادة وكوت الجوع وكوت زهير وكوت الكوام كشداد وكوت غضبان وكوت الافرنجي وهو محل بالبصرة معد لتصليح السفن والبواخر وبنائها وكوت الشيخ وكوت الخليفة . واما الانهر الصغيرة التي يسمونها كوتاً فمنها كوت الضاحي وكوت الصلحي وكوت الحرامية وكوت بندرة وكوت عباس وكوت حلاوة وثلاثة انهر صغار يسمونها الكوت ومنها كوت خضراوي وهذه انهر صغار في الجانب الغربي من شط العرب وهنالك انهر اخرى صغيرة تبلغ اربعمائة وسبعين نهراً

وفي الجانب الشرقي من شط العرب اكوات اخرى وهي انهر منها كوت الخان والخان لقب الملك او ابنهِ عند الفرس ولعل الخان هذا خزعل خان امير المحمرة . وكوت السادة وكوت زعير مصغر وكوت الخراب وكوت عبد الله وهنالك انهر صغيرة نحو ثمانين نهراً

نبذة تاريخية

عن سير التعليم الرسمي في القطر المصري

انشأت وزارة المعارف العمومية النبذة التاريخية التالية قالت :

أدخل المرحوم محمد علي باشا موَّسس الاسرة الحاكمة التعليم الحديث بالقطر المصري نظراً لاحتياجاتهِ الحربية

وقد وضع التعليم على الطريقة الشرقية في القطر المصري منذ سنة ٦٤١ ميلادية على الاقل وكان عبارة عن التعليم المشتمل خصوصاً على العلوم الدينية والآداب . واول جامع شيده عمرو بن العاص في مصر القديمة لم يلبث طويلاً حتى صار معهداً دينيًّا مهمًّا . وكان من دأب الامراء المسلمين الذين يولَّون أمر مصر توطيداً لسلطتهم وتخليداً لذكراهم ان يشيد كل منهم جامعاً من اهم ميزاتهِ وجود مدرسة فيهِ

ونحو سنة ٩٧٠ ميلادية اسس القائد الفاطمي جوهر الجامع الازهر الشريف فحاز اهمية كادت تفوق على اهمية بغداد التي كانت وقتئذٍ اهم مركز في العالم للتعليم الاسلامي ولهذه الاهمية صار محطًّا لرجال عظماء فقهاء الدين وجهابذة علماء اللغة العربية من جميع العالم الاسلامي وقد بلغ عدد طلبتهِ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر عشرين الفاً

في نحو القرن الخامس عشر انحط شأن هذا المعهد العظيم لما توالى على البلاد الاسلامية من الوهن اما الآن فقد أُدخل فيهِ بعض الاصلاحات الحديثة من جهتي النظام وطريقة التعليم

وبخلاف هذه المعاهد العلمية الكبرى التي لم يزل باقياً منها خمسة للآن توجد مدارس اخرى معروفة « بالمكاتب » منها ما هو تابع للجوامع ومنها ما هو تابع للاسبلة او الاضرحة وفي هذه المكاتب كانت تتعلم التلاميذ الكتابة وحفظ القرآن اما اليوم فقد نظمت على حسب الطرق الحديثة بواسطة الاعانات الجاري منحها لها بان اتسع فيها نطاق التعليم وعين لها مدرسون اكفاء بنسبة حالتها

اما طريقة التعليم الاوربية الحديثة المتبعة الآن كثيراً في القطر المصري فلم تكن مستنبطة من طرق التعليم الشرقية بل هي طريقة مستجلبة اذ انهُ لما اسندت ولاية مصر الى المرحوم محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ وبعد تخلصهِ من المماليك العصاة سنة ١٨١١ عزم على تمكين دعائم سلطانهِ بايجاد جيش بري وبحري منظمين على الطرق الاوربية . ولايجاد المستخدمين

اللازمين لهذه المصالح الجديدة وادارة دفتها كان محتاجاً والحالة هذه الى رجال غير الذين نشأوا في المعاهد الدينية فتشرع في سنة ١٨١٦ يرسل الى ليفورن وميلان وفلورنسا وروما وفيها بعد الى انكلترا وفرنسا ابناء المماليك والاتراك ثم اتبعهم بابناء المصريين لدرس الفنون الحربية والعلوم الهندسية (ملكية وعسكرية) والعمارات البحرية والملاحة والنظام الاداري والطب وخلافه. وبعد ذلك ببضع سنين انشأ في بحر عشر من السنين تقريباً (١٨٢٤ — ١٨٣٤) عشر مدارس ابتدائية ومدرسة للطب ومدرسة للبيادة ومدرسة للسواري ومدرسة للطوبجية ومدرسة بحرية ومدرسة للطب البيطري ومدرسة للمهندسين وخلافه. وفي سنة ١٨٣٦ انشأ الوالي مجلساً للمعارف وحول ادارة التعليم من نظارة الحربية الى «نظارة معارف عمومية» وفي خلال السنة التالية اوصل مجلس المعارف عدد المدارس الابتدائية الى خمسين ثم انشأ مدرسة ثانوية ومدرسة للزراعة ومدرسة للادارة والمحاسبة ومدرسة للترجمة ومدرسة للفنون والصنائع وجميعها منظم على قدر الامكان على الطرق الفرنسوية ولكن درجة نشر التعليم لم تكن مناسبة لدرجة تقدم البلاد نفسها ولذا قضي على عدة مدارس ان ابوابها بعد سنة واحدة الا عدداً قليلاً جداً من بينها بقي حتى سنة ١٨٤١ ومع ان التلاميذ كانوا يسكنون ويأكلون ويلبسون على نفقة الحكومة وتعطى لهم ايضاً اعانة فما كانوا يدخلون المدارس الا مرغمين كما قال يعقوب ارتين باشا في كتابه المسمى (التعليم العام في القطر المصري)

وقد تعدت كراهة الفلاح المصري للخدمة العسكرية الى الدخول في المدارس رغماً عن الفوائد التي كانت تعود عليه من قيام الحكومة بالانفاق على ولده لتربيته وتعليمه. وقد كان الاهالي يأبون بالاجماع الانتفاع بهذه الفوائد حتى اضطرت الحكومة الى ايجاد نظام اجباري للدخول في المدارس وبذلك غصت جميع المدارس تقريباً بالتلاميذ على حسب اعمارهم وبنيتهم وهيئتهم وكانت الحكومة حرة في رفت التلاميذ او نقلهم من مدرسة لاخرى او ابقائهم فيها تبعاً لذكائهم

وقد اوجب تنقيص الجيش عند انتهاء وقائع المرحوم محمد علي باشا الحربية والغاء احتكارات الحكومة واقفال معاملها زيادة عدد الشبان الحائزين على شهادات عالية اكثر بكثير من الوظائف الخالية لهم حتى كان عدد كبير من الموظفين الذين ربتهم الحكومة عالة عليها لعدم استطاعتها الانتفاع بهم ولهذه الاسباب الغى عباس باشا الاول حال جلوسه على العرش سنة ١٨٤٩ جميع المدارس ما عدا المدرسة الحربية

ولما جلس اسماعيل باشا على الاريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ اعاد انشاء المدارس على قاعدة اوسع من ذي قبل الآ انهُ التزم فيما بعد الى تخفيض عددها نظراً لكون المصاريف التي كانت تنفق عليها لم تأت بنتيجة في وقت قريب وعلى اثر الارتبكات المالية اضطرت الحكومة الى الاقتصاد في هذا الصدد حتى انهُ في وقت عزل اسماعيل باشا كانت مصاريف التعليم خفضت الى مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً

وفي مدة المراقبة الانكليزية الفرنسية زيد المبلغ المخصص للتعليم الى ٧٠٠٠٠ جنيه مصري ٠ وفي سنوات الاحتلال الانكليزي الاولى اضطرت الحكومة الى عمل توفيرات عظيمة لاصلاح حالة البلد المالية ولما تحسنت الحالة المالية بعد ذلك رأت الحكومة ان توجه اولاً نظرها نحو حاجياتها الضرورية ولم يتيسر للمصلحة المالية ايصال مصاريف التعليم الى مبلغ ٩١٠٠٠ جنيه مصري الآ في سنة ١٨٩٠ ومن بعد ذلك العهد وخصوصاً من ابتداء سنة ١٩٠٤ كانت هذه المصاريف تزاد على الدوام وقد تقدم التعليم بدرجة عظيمة

وفضلاً عن المدارس الاميرية يوجد عدد عظيم من المدارس الاهلية ابتدائية وثانوية منظمة تقريباً على نظام المدارس الاميرية وسائرة على انموذج التعليم المتبع فيها وكثير من هذه المدارس تنفق عليهِ جمعيات خيرية وهناك ايضًا بعض من المدارس خاصة بالنزلاء الاجانب واغلبها تابع للارساليات الدينية انشئ بعضها في اواسط القرن التاسع عشر

وفي سنة ١٩٠٧ انشأت الحكومة ادارة التعليم الزراعي والصناعي والتجاري وجعلتها تحت مراقبة وزارة المعارف العمومية سداً للاحتياج العظيم الى صناع ماهرين وبقصد توسيع دائرة التعليم العملي في المستقبل ٠ وان ادارة التعليم الزراعي التي اتساع نطاقها آخذ في الزيادة يوماً عن يوم قد نقل مركزها في سنة ١٩١٤ الى وزارة الزراعة التي انشئت في بحر سنة ١٩١٣ وقد وسع نطاق التعليم بالمدارس الثانوية وبمدارس البنات والمعلمين

وبمقتضى قانون نمرة ٢٢ الصادر في سنة ١٩١١ منحت مجالس المديريات سلطة واسعة لنشر التعليم ولهذا الغرض صرح لها بفرض ضريبة عقارية اضافية قدرها ٥ في المئة

وعلاوة على ذلك فان وزارة المعارف العمومية تعطي اعانات للمدارس الاهلية الابتدائية والصناعية والثانوية » انتهى بحرفهِ

البارجة الهوائية

لما نقل الانكليز جنودهم الى فرنسا عجب الناس من عدم تعرُّض الغوَّاصات الالمانية لهم . والآن لا تزال السفن الحربية وغير الحربية تسير بين انكلترا وفرنسا آمنة ولم يُصَب منها الأ القليل مع كثرة الغوَّاصات الالمانية في كل مكان ومحاولتها الايقاع بها حربية كانت او تجارية . ولكن يظهر مما قرأناهُ في الجزء الاخير من السينتفك اميركان ان الفضل في وقاية هذه السفن هناك هو لطيارات بحرية اشترتها انكلترا من اميركا . ولو كان عندها كثير من هذه الطيارات لما ابقت للالمان غواصة في بحر

لما نشبت الحرب في صيف سنة ١٩١٤ كانت شركة عمل الطيارات في مدينة بفلو باميركا قد صنعت طيارة بحرية اي من الطيارات التي تطير في الهواء وفي اسفلها قارب تجري بهِ على وجه الماء لكنها كانت اكبر من كل الطيارات التي صُنعت قبلها . ومن مزاياها ان فيها آلتين دافعتين قوة كل منهما تسعون حصاناً وكلٌّ منهما تدير مروحة كبيرة . وكان ثقل هذه الطيارة ٢٦٠٠ رطل وتستطيع حمل ١١٠٠ رطل مع ان اثقل طيارة مائية حينئذٍ لم يكن اكثر من ١٥٠٠ رطل ولا يزيد حملها على ٦٥٠ رطلاً

ولم يكن غرض الذين بنوا هذه الطيارة ان يستعملوها في الحرب ولكن الحكومة الانكليزية اشترتها منهم في شهر نوفمبر ١٩١٤ واضافتها الى طياراتها المعدَّة لحماية السواحل الانكليزية وللحال ظهرت فائدتها في حماية السفن الانكليزية في بحر المانش فانها أُغرقت ثلاث غواصات المانية بعد ما منعتها من الوصول الى السفن الانكليزية

ولما رأَت نظارة البحرية الانكليزية ذلك اوصت على اثنتي عشرة طيارة بحرية مثلها ثم على عشرين طيارة . ولا شبهة انهُ كان لهذه الطيارات اليد الطولى في مقاومة الغواصات الالمانية ومنع ضررها في ذلك البحر لان سرعتها ثلاثة اضعاف سرعة اسرع الغواصات فتستطيع ان تفتش عن الغواصات وتوقع بها اما بقنابلها او بارشاد النسافات السريعة اليها . والنسافة من هذه النسافات تقطع ٤٠ ميلاً بحريًّا في الساعة واذا عجزت عن الايقاع بالغواصة استعانت بغيرها او طردتها الى حيث تقع في شرك الشباك المعدنية المنصوبة لها

وان الشركة التي صنعت هذه الطيارة صنعت اكبر منها واكبر الى ان وصلت اخيراً الى صنع طيارة بحرية تستحق ان تسمَّى البارجة الهوائية او الدردنوط الهوائية وهي المرسومة في الشكل المقابل وثقلها ٢١٢٥٠ رطلاً وهي موءَلفة من قارب كبير طولهُ ٦٨ قدماً وفوقهُ

ثلاثة سطوح طول كل منها ١٣٣ قدماً وعرضهُ ١٠ اقدام وفي طرفي الاسفل منها قاربان لكي لا يغوصا في الماء · وفي القارب اماكن لثمانية رجال وحوض للبنزين يسع ٧٠٠ جالون وحوض للزيت يسع ٨٠ جالونًا وهذا البنزين يكفي لجعل الطيارة تطير بسرعة ٧٥ ميلاً في الساعة في دائرة قطرها ٦٧٥ ميلاً · وتوضع في القارب ايضًا المدافع والقنابل وتوضع فوقهُ الآلات والمراوح · والآلات ست قوة كلٍّ منها ١٦٠ حصانًا كل اثنتين منها تعمل معًا وتدير مروحة قطرها ١٥ قدماً فتعمل اربع منها وتبقى آلتان بلا عمل حتى اذا اصابت آلةً عاملةً أُبدلت بغيرها حالاً · وفي القارب ايضًا آلة اخرى قوتها ٤٠ حصانًا يستعملها الربان لادارة بقية الآلات بالكهربائية ولذلك فلا يحتمل ان تتوقف الطيارة عن العمل لانهُ اذا وقفت آلة او آلتان من آلاتها بقيت بقية الآلات عاملة الى ان تصلح الآلة التي وقفت

ويسهل ان يوضع في هذه الطيارة مدفعان كبيران و بنادق آليَّة · وينتظر ان يكون لها شأن كبير في كل الاعمال الحربية

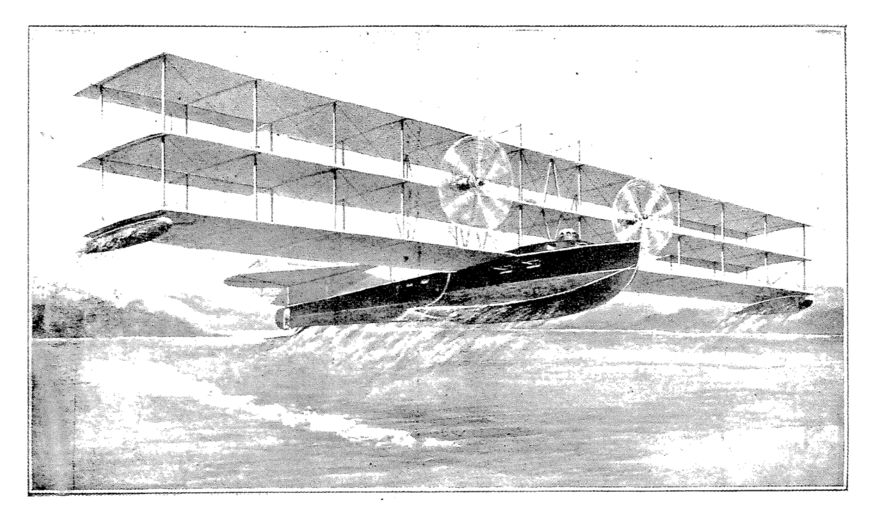


عكس النترجة[1]

اذا كانت الغاية من النترجة تكوين املاح النترات ليتوفر غذاء النبات فغاية عكس النترجة استنقاص[2] النترات ولذلك كانت هذه العملية ضارة للزراعة على العكس من النترجة وربما كانت لها فوائد في الطبيعة كرد النشادر والنتروجين واكاسيده الى حالتها الغازية لاسباب طبيعية لا تدخل تحت بحثنا

تبتدئ عملية عكس النترجة لاستنقاص النترات بفصل عنصر الاكسجين بعضهِ او كلهِ بواسطة طوائف من المكروبات المختلفة فيكون من وراء ذلك سد حاجة المكروبات المذكورة بعنصر الاكسجين المنفصل واستنقاص النترات الى نتريت ثم يستنقص النتريت كذلك فيتصاعد اول وثاني اكسيد النتروجين والاَّ فاذا استنقص النترات والنتريت بفصل جميع ما فيها من الاكسجين تصاعد غاز النشادر والنتروجين المطلق

(١) Denitrification (٢) Reduction



البارجة الهوائية

مقتطف فبراير ١٩١٦
امام الصفحة ١٧٢

يطلق البعض عكس النترجة احياناً على عمليات الاستنقاص المذكورة جميعها اما البكترپولوجيون فيقتصرون بها على عملية انحلال النترات التي يتسبب عنها تصاعد النتروجين المطلق فيكون من وراء ذلك فقد لأهم عناصر التغذية النباتية

ان قدرة المكروبات على استنقاص النترات معروفة منذ سنة ١٨٦٨ و يسهل اثباتها عمليًا الآن لانهُ اذا اختير محلول غذائي صالح لتربية المكروبات ووضعت فيهِ كمية من السكر واخرى من نترات البوتاسيوم ثم لقح هذا المحلول بكمية من التربة مشتملة على هذه المكروبات فان النترات تنحل تدريجاً وتتصاعد منها اكاسيد النتروجين ثم لكي يتحقق ان هذا التغيير بكترپولوجي تعاد التجربة مع استخدام كمية من التربة المعقمة فلا يحدث استنقاص النترات وما ذلك الاّ لعدم وجود المكروبات

لم يستطع الباحثون حصر طوائف المكروبات التي تقوم بهذه العملية ولكن امكن بعضهم كالعالم فرنكلند[١] ان يفصل من الهواء والماء ٣٢ مكروباً وجد فيها ١٧ نوعاً تستنقص النترات الى نتريت وامكن ورنجتن ان يفصل ٢٥ نوعاً منها ١٨ تسبب ذلك وامكن ماسين[٢] ان يفصل ١٠٩ انواع منها ٨٥ تفعل ذلك ايضاً ولذلك اخذ العلماء يقولون بكثرة هذه الانواع وشيوعها . وكما ان مكروبات عكس النترجة مختلفة في النوع فانها تختلف في الصفات اذ منها ما هو عفن ومنها ما هو طفيل ومنها ما لهُ قدرة على استنقاص النترات الى نتريت ومنها ما لهُ قدرة على الاستمرار في عملية الاستنقاص حتى ينشأ النشادر والنتروجين المطلق . ان استنقاص النترات الى نتريت او نشادر في التربة قد لا يتسبب عنهُ ضرر جسيم اذ مكروبات النترجة تستطيع ان تصلح ذلك فقد سبق انها ترد النشادر الى نتريت والنتريت الى نترات وانما الضرر يكون جسيماً في الاحوال التي تستنقص فيها النترات حتى ينشأ عنها اكاسيد النتروجين او النتروجين المطلق فان هذه الغازات تتطاير الى الجو من التربة او من اكوام السماد وفي ذلك ما فيهِ من الخسارة بفقد النترات

من الاعمال التي استنارت بها ابحاث عكس النترجة ما قام بهِ كل من العالمين جيون[٣] ودو پتي[٤] في سنة ١٨٨٦ فانهما تمكنا من فصل مكروبين[٥] من التربة واشتغلا بدراستهما فوجدا انهما في حالة عدم وجود الهواء يسببان اكسدة المواد الكربونية باستنقاصها للنترات

---

(١) Frankland (٢) Maassen (٣) Gayon (٤) Dupetit

(٥) اطلقا على الاول بكتيريوم دينتريفكانس ا (Bact. denitrificans a.) وعلى الثاني بكتيريوم دينتريفكانس ب (Bact. denitrificans b.)

التي تكون في التربة فيتصاعد عن ذلك النتروجين المطلق واكاسيد النتروجين حسبما تقتضيهِ الظروف . ووجدا انهُ في حالة وجود الهواء لا يطرأ استنقاص للنترات مطلقاً وانما تتأكسد المواد الكربونية وغيرها من المواد الآلية الاخرى بواسطة اكسجين الهواء مباشرة ويظهر ان السبب الفسيولوجي لاستنقاص النترات في الحالة الاولى هو ان المكروبات عند عدم وجود الهواء تلجأُ الى اكسجين النترات فتستمدهُ لتنفسها واستمرار حياتها غير مراعية ما ينجم عن عملها من الضرر

ولا يظن ان عملية عكس النترجة عملية بسيطة في حد ذاتها او انها مجرَّد تفاعل يتم بين المكروبات والنترات بمجرَّد اجتماعها بل لا بد لحدوثها واستمرارها من توفر شروط عديدة اهمها اولاً وجود الانواع المخصوصة من المكروبات التي تسببها وثانياً توفر املاح النترات في البيئة وثالثاً كثرة وجود المواد الآلية التي تتأكسد بسهولة ورابعاً عدم وجود الهواء او وجودهُ بدرجة قليلة جدًّا . هذه هي الشروط الضرورية لعملية عكس النترجة فاذا فقد شرط منها تعطلت العملية ويلاحظ انها على الضد من الشروط الضرورية لعملية النترجة كما يلاحظ ان هناك فرقاً عظيماً بين العمليتين . ففي النترجة يتم تكون النترات بجنسين من المكروبات فقط يعملان معاً وعلى التعاقب والحاصل الاخير لعملهما تكوّن مركب واحد هو النترات تعادل كميتهُ كمية النشادر الاصلي تماماً . ولا يخفى انهُ لا توجد عملية كيماوية واحدة يؤكسد فيها النشادر تماماً كما في هذه العملية . وفي عكس النترجة تتم العملية بانواع كثيرة من المكروبات ولا ينشأ عنها حاصل واحد بل جملة حاصلات مختلفة النوع والكمية . قد عرفت مكروبات عكس النترجة بشيوعها في الارض وفي روث الدواب والهواء ومياه الآبار والدبال وفي بيئات اخرى ويندر وجودها في براز الانسان والحيوانات آكلة اللحوم . ومن السهل فصلها من هذه الاشياء كلها ويعتبرها العلماء من المكروبات الهوائية اذ في قدرتها النمو في المرق مع وجود اكسجين الهواء ولكنها في هذا الحال لا تستنقص النترات الاَّ قليلاً اما اذا زرعت في بيئة خالية من اكسجين الهواء او مشتملة على قليل منهُ فانها في هذه الحالة تستمد الاكسجين الضروري لها من النترات او النتريت وبذلك تسبب استنقاصهما . هذا ومن المشاهد في التجارب ان كمية النترات التي تستنقص بعمل مكروبات عكس النترجة تزداد على نسبة مطردة كلما ازدادت كمية المواد الآلية الكربونية التي تمتص وتؤكسد بسهولة فمن هذه المواد الصالحة لهذه العملية وجود الاملاح المتعادلة للحوامض الآلية وعلى الاخص الاملاح الناشئة من الحامض اللبنيك والحامض الليمونيك والحامض السمنيك والحامض

البربيونيك والحامض الخليك وغيرها . اما المواد الكربوهيدراتية كالنشا والجلوكوز والانيولين وغيرها فلا تستطيع هذه المكروبات استخدامها الا اذا كانت مختلطة مع الاملاح الآلية المذكورة . وكثير من انواع الكحول كالبروبيل والاثيل وغيرهما من الموادالآلية كالجليسرين ونحوه تؤكسدها المكروبات المذكورة . وكذلك في استطاعة بعض انواعها اكسدة الحامض اليوريك والهبوريك وغيرهما . وكثير من المواد الآلية التي يصعب اكسدتها بواسطة مكروبات عكس النترجة خاصة تؤكسدها المكروبات المذكورة اذا كان هناك تبادل نفع في البيئة بينها وبين مكروبات التعفن مثل باسيلوس كولي[1] وغيره فان هذه المكروبات بحلها للمواد الآلية تحدث حاصلات تعمل فيها مكروبات عكس النترجة بسهولة

ان عملية عكس النترجة تقل او تعدم بنقص الشروط الضرورية لها او عدمها فمثلاً في اكوام السماد المفككة التي يتخللها الهواء بسهولة تحدث عملية النترجة اولاً فتتكوّن النترات ثم تحدث عملية عكس النترجة بعد ذلك لتوفر وجود النترات ولكنها تكون قليلة بسبب وجود الهواء فاذا تركت الاكوام المذكورة معرضة لمياه الامطار قل الهواء وزادت العملية وترتب على زيادتها زيادة كمية النتروجين المتصاعد . اما في اكوام السماد غير المفككة فلعدم توفر الشروط لعملية النترجة لكثرة وجود المواد الآلية الذائبة ولعدم وجود الهواء لا تتكوّن املاح النترات اللازمة لاستمرار عملية عكس النترجة الا في الطبقة السطحية وكذلك في الاراضي الزراعية الحسنة الصرف لا تتم عملية عكس النترجة فيها لان اهم الشروط اللازمة لاستمرارها تكون معدومة اذ وجود الهواء وعدم كثرة المواد الآلية السهلة الانحلال وعدم توفر النترات كل هذه اسباب تحول دون حدوثها واستمرارها . اما في الاراضي النزازة التي يكون فيها الهواء قليلاً فان هذه العملية تتم ويفقد بسببها النتروجين وقد اثبت ذلك ورنجتن في تجاربه

هذا ولا يزال المشتغلون بالبكتريولوجيا الزراعية من العلماء يوالون ابحاثهم في مكروبات عكس النترجة فيتبينون من وقت الى آخر نتائج مهمة في وظائفها ومقدار ما تحدثهُ من الضرر في التربة وغيرها . فمثلا في سنة ١٨٩٢ وجد بريال[2] ان بقايا الحصاد تحتوي دائمًا على مكروبات كثيرة وانها عند عدم وجود الهواء او قلتهِ في التربة تستنقص هذه المكروبات النترات فينشأ عن ذلك نتروجين مطلق يتصاعد الى الجو

---

(1) Bacillus Coli (٢) Bréal

وفي سنة ١٨٩٥ اثبت ڤاجنر[١] وميركر[٢] بالتجارب التي اجرياها ان اضافة كميات من الروث غير المتحلل الى التربة تتلف النترات المضافة اليها كسماد وانهُ يتسبب عن ذلك نقص في المحصول وافتقار في عنصر النتروجين ولكن ورنجتن عارض هذا الرأي في سنة ١٨٩٧ وصرح بان كميات الروث التي استخدماها كانت كثيرة جدًّا وان استخدامها بهذه الكثرة لا يتفق مع ما يقع في الفلاحة العادية للاراضي اما في الاراضي النزازة فقد اثبت نجوكا[٣] ان نترات الصودا اذا استخدمت كسماد للارز مضافة للاسمدة الآلية في اراضي المستنقعات اليابانية فانها تنقص المحصول بدلاً من ان تزيده وعلل ذلك بان النترات تستنقص الى نتريت وان النتريت في رأيهِ تسمم المحصول فالنقص نتيجة تأثير النتريت لا نتيجة تلف النترات وفقد عنصر النتروجين

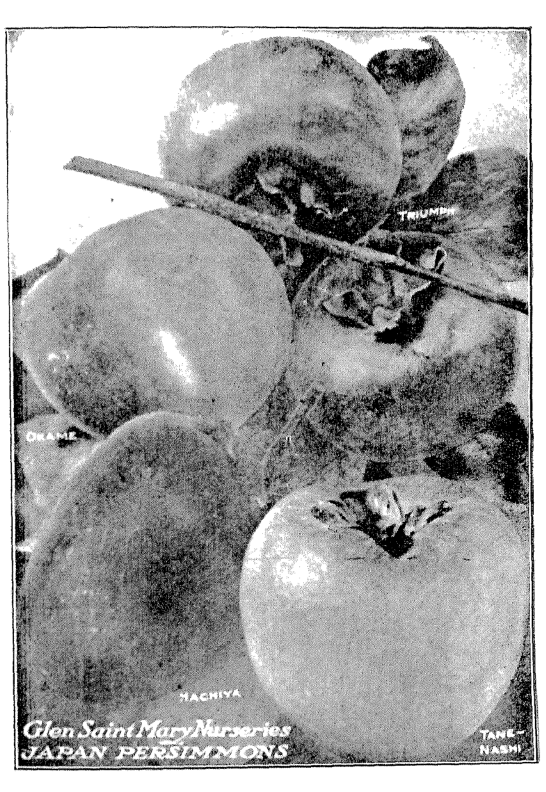
وفي سنة ١٨٩٨ وجد دهيريان[٤] ان اضافة المواد النشوية الى التربة ينشأ عنها استنقاص في النترات الموجودة ووجد انهُ اذا اضيفت بقايا الحصاد الى التربة ولو بنسبة واحد في المائة من وزنها لا يستنقص من النترات الاّ مقدار الثلث تقريبًا ومن رأيهِ ان الضرر الناتج عن اضافة كميات كبيرة من الروث راجع الى اسباب تعطلت بسببها عملية النترجة لا عن استنقاص في النترات بسبب عكس النترجة

وفي سنة ١٩٠٩ اثبت منكمان[٥] وبيرنك وجود المكروبين اللذين فصلها جيون ودوبتي من قبل وقد اكتشفت مكروبات اخرى كثيرة فصلت ودرست فثبت ان في استطاعتها استنقاص النترات لينشأ النتروجين المطلق نذكر منها بكتيريوم ستتزيري[٦] وبكتيريوم اجايل[٧] وبكتيريوم هارتلبياي[٨] وبكتيريوم سنترو بنكتاتم[٩] وبكتيريوم نتروڤورم[١٠] وڤبريو دينتريفكانس[١١] وباسيلوس دينتريفكانس[١٢] وبكتيريوم فايلفاسينز[١٣] وغيرها

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) Wagner (٢) Maercker (٣) Nagaoka (٤) Dehérian
(٥) Minkman (٦) Bac. Stutzeri (٧) Bac. Agile (٨) Bact. Hartlebii
(٩) Bact. Centropunctatum (١٠) Bact. Nitrovorum (١١) Vibrio denitrificans
(١٢) Bacillus denitrificans (١٣) Bact. filefaciens



ثمر الكاكي

مقتطف فبراير ١٩١٦

امام الصفحة ١٧٧

نبات الكاكي

هو نبات من الفصيلة الابنوسية اسمهُ النباتي Deosporus Kaki واسمهُ بالانكليزية Japanese Date plum

وصفهُ

هو من الاشجار المتساقطة الاوراق وشجرهُ يختلف كثيراً في الارتفاع فمنهُ الصغير ومنهُ الطويل الذي يبلغ ٦ امتار طولاً · واوراقهُ بيضية الشكل مغطاة بزغب قصير وازهارهُ احادية المسكن وثمارهُ كروية او بيضية الشكل بحجم البرتقالة الصغيرة ذات لون احمر فاتح وجلد ثمرهِ ناعم حريري الملمس ولبهُ قابض قبل نضجهِ وسكري حلو المذاق بعد تمام نضجهِ ولونهُ برتقالي فاتح او غامق

واصل موطنهِ جزائر الهند الشرقية و برما ووجد ايضاً في بلاد الصين واليابان من زمن بعيد وقد اعتني بزراعتهِ وانتخاب انواعهِ في بلاد اليابان ومنها انتشرت زراعتهُ في جميع الممالك الاخرى · وشجر هذا النبات لا ينمو الاَّ في المناطق الحارة او المعتدلة

انواعهُ

(١) كاكي عديم البذور وثمرهُ ذو لب برتقالي غامق عديم البذور غير قابض و يمكن ان يؤكل قبل تمام نضجهِ · وفي مصر منهُ نوعان مازلي Mazelli وزنجي Zengi

(٢) كاكي ببذور وثمرهُ ذو لب برتقالي فاتح تختلف كثيراً في الصلابة قابض قبل النضج وحلو لذيذ الطعم بعد تمام نضجهِ و يشتمل على بذور صلبة كبيرة الحجم· وفي مصر منهُ نوع اسمهُ كوستاتا Costata

(٣) كاكي بثمار كروية مثل الزنجي يبدأ ظهورهُ في الاسواق في شهر اكتوبر اما الانواع الاخرى ذات الثمار البيضية الشكل فتظهر ثمارها متأخرة في شهر نوفمبر

اللوطس

اسمهُ النباتي D. Kaki واسمهُ الانكليزي Chinese Kaki · وعلو شجرهِ من ٧ امتار الى ٨ واوراقهُ بيضية مستطيلة سطحها الاعلى اخضر فاتح وسطحها الاسفل ضارب الى البياض وازهارهُ بيضاء احادية المسكن وثمارهُ برتقالية مفرطحة او كروية مضغوطة قليلاً ذات لب قابض قبل نضجهِ حلو المذاق بعد تمام نضجهِ

الطرابلس

اسمهُ النباتي D. Lotus والانكليزيـــ Common Date plum يشبه شجرهُ شجر اللوطس تقريباً الاَّ ان اوراقهُ مستطيلة وضيقة قليلاً وادق من اوراق اللوطس و يبلغ طول شجرهِ ٨ امتار الى ٩ تقريباً واوراقهُ زغبية من اعلى واسفل وازهارهُ احادية المسكن فالذكور منها صغيرة عنقودية والاناث اكبر منها وهي ابطية متوحدة وثمارها عنبية صفراء اللون حامضة قليلة المنفعة وهي بحجم الكرز تقريباً واصل مواطنهِ بلاد الصين

وتستعمل اصول هذه الشجرة لتطعيم الكاكي واللوطس وانواعهما

كاكي ڤرجنيان

اسمهُ النباتي ديوسبرس ڤرجنيانا D. Virjiniana D. والانكليزي Verjinian Date plum وشجرهُ يشبـــه شجر الطرابلس تقريباً و يبلغ طولهُ ١٢ الى ١٥ متراً واوراقهُ مستطيلة ضيقة ومدببة حريرية الملمس وليست مغطـــاة بزغب وثمارهُ كروية ذات لون اصفر برتقالي بحجم اكبر برقوق ياباني · وثمرهُ لذيذ الطعم ولكنهُ اقل جودة من الكاكي السابق الذكر واصله من ولايات اميركا الجنوبية

يستنبت الطرابلس بذوراً تزرع في قصاري او في صناديق او في الارض مباشرة في شهر مارس وتترك النباتات في المنبت لغاية شهر يناير ثم تنقل الى المشتل في مسافة نصف متر بعضها من بعض وتترك فيهِ سنة او اثنتين ثم تنقل الى محلها الدائم او يُطعم عليها اصناف اللوطس والكاكي الجيّد

يستنبت الكاكي بذوراً في بعض الاحيان بمثل الطريقة السابقة ويحسن غرس البذرة مباشرة بعد فصلها من الثمر ولكن ظهر اخيراً انهُ ليس من المستحسن استنبات هذا الصنف بالبذور لانهُ وجد ان اشجار الكاكي التي تستنبت بهذه الطريقة تحمل ازهاراً كبيرة مذكرة ولا تحمل الاَّ قليلاً من الازهار المؤنثة ولذلك فان الشجرة لا تحمل الاَّ عدداً قليلاً جداً من الفواكه · وقد ظهر ايضاً ان بعض اشجار الكاكي المطعم على طرابلس لا يحمل كثيراً من الازهار المؤنثة وذلك بعكس بعض اشجار اللوطس فانها تحمل كثيراً من الازهار المؤنثة ولا تحمل الاَّ قليلاً من المذكَّرة فيحسن والحالة هذه تطعيم كلتـــا الشجرتين الواحدة مع الاخرى على اصول الطرابلس للحصول على اثمار كثيرة

ويستنبت الكاكي بالتطعيم بالزر او بالعين في اغسطس وبالقلم في فبراير على اصول الطرابلس

اما القرجنيان فيستنبت بنفس الطريقة السابقة شرحها في الطرابلس وهو يستعمل كثيراً في البلاد الامريكية كاصول لتطعيم الانواع الطيبة من الكاكي ويمكن ايضاً تطعيم انواع القرجنيان الجيدة النوع بعضها على بعض او على اصول الطرابلس

التربة

تنمو الانواع السابقة في جميع انواع التربة الا الرملية او المالحة او الغدقه

المسافة بين الاشجار

تزرع انواع الكاكي القصيرة بين النبتة والاخرى $3\frac{1}{2}$ متر اما الانواع الكبيرة الحجم واللوطس والطرابلس فتزرع على مسافة ٥ متر من بعضها

الغرس

بما ان الاصناف السالفة الذكر من النباتات المتساقطة الاوراق فيمكن نقلها ملش (عارية الجذور) ولكن يجب شدة الاحتراس في نقلها وعدم تقطيع جذورها لانها من النباتات ذات الجذور العمودية الطويلة فان لم تنقل بجذور سليمة ماتت ويحسن نقلها بالطينة في ابتداء موسم النقل

الامراض

اما امراض هذه النباتات فاثنان (١) العنكبوت الاحمر واسمهُ العلمي Tetranychus والانكليزي Red Spider (٢) المايطس واسمها العلمي Maculatus والانكليزي Mites

العلاج

يعالج الاول بان ترش الاشجار بمحلول الكاز بنسبة $\frac{1}{12}$ في المئة . والثاني بان تغطى الاشجار بمحلول الجير والكبريت في شهر يناير

عبد المجيد رضوان
مدرس علم فلاحة البساتين في مدرسة الزراعة
بالجيزة

النخل في اميركا

ذكرنا غير مرة ان حكومة الولايات المتحدة مهتمة بزرع النخل في بلادها وانها ارسلت الوفود الى هذا القطر وغيرهِ من الاقطار الشرقية فبحثوا في زراعة النخل واخذوا الفسائل منها . وقد نشر ديوان الزراعة في الولايات المتحدة الآن ان زراعة النخل صارت الآن من الزراعات المهمَّة في الجهات الجنوبية الغربية منها وجعل علماء الزراعة يتبينون صنف النخل من شكل سعفهِ ويبحثون عن الطرق لانضاج البلح في السنين التي يشتد فيها البرد فيؤَخر نضجهُ . والاصناف التي زرعت في الولايات المتحدة أُتي بها من مصر والجزائر وتونس والمغرب الاقصى وبلاد النوبة والواحات . ويهتم ديوان الزراعة الآن في اختيار انفع الطرق لتسميد النخل وقد وجد انهُ اذا كانت الارض قلوية يقل فيها حمل النخل فاضافة قليل من كبريتات الجير اليها تصلحها وتزيد حمل النخل وتُصلح نوعهُ

هذا ولا يخفى ان النخل يجود في القطر المصري وما يليهِ جنوباً من وادي النيل الى بلاد السودان ولكن لا يعتنى بجمع ثمرهِ والاتجار بهِ الاعتناء الواجب بل يرد الى القطر المصري تمر من تونس والجزائر والبصرة كما يرد الى اوربا مع ان حمل النخلة لا يقل ثمنهُ عن نصف جنيه اذا كان جيداً وقد يزرع في الفدان مئة نخلة او اكثر . فعسى ان يكون الامن الذي ضرب اطنابهُ في البلاد مشجعاً على الاكثار من زرع النخل الجيد

سمٌّ للدودة القارضة

نقلت مجلة فلاحة البساتين المصرية عن مجلة الاميركان فلورست الوصفة التالية سمًّا للدودة القارضة وهي :

اضف رطلاً من الزرنيخ الابيض او من اخضر باريس الى ٢ و٢ كيلة من النخالة وضع عليها ٣٦ لتراً من الماء المذاب فيهِ ٢$\frac{1}{2}$ لتر من الدبس واخلط الجميع خلطاً جيداً . وهذا المقدار كافٍ لاربعة افدنة الى خمسة . وبعد ان يترك بضع ساعات يصنع قطعاً كل قطعة كالبندقة وتلقى في الاطيان حيث ظهرت الدودة وعند اصول النبات وذلك في اواخر النهار حتى تأْكل منها الدودة مدة الليل ويحسن ان يكرر ذلك مرَّة اخرى اذا لزم الامر

ويمكن منع هذه الدودة بتنظيف الاطيان من الفضلات وبتعاقب المزروعات ويمكن اتلاف الكثير منها بغمر الاطيان مرة بالماء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزائدة الدودية

في الجسم اعضاء احسن ما يقال في وصفها ان لا فائدة منها الان . وقد اصطلح على تسمية تلك الاعضاء بالاثرية اي انها اثر باقٍ من عضو كان عاملاً مفيداً في زمن من الازمنة ثم طرأ عليهِ ما صيَّرهُ بلا عمل فانقطعت فائدتهُ كما في ثدي الرجل او تحولت ضرراً كما في الهنة المعروفة باسم الزائدة الدودية . وهي شبه انبوبة لحمية صغيرة صماء من طرف ومتصلة من طرفها الآخر بجزء المعي الغليظ المعروف باسم الاعور وهي تنفتح اليهِ . وطول هذه الانبوبة يختلف بين بوصتين وست بوصات . ولا يعلم هل تشارك الامعاء في عمل الهضم ام لا . ولا ما هو مقدار تلك المشاركة ان وجدت . وكل ما يعلم انها قد تكون سبب داء عرف باسم التهاب الزائدة الدودية (الابنديسيتس) وهو من الادواء ذات الخطر ولكن خطرهُ قلَّ بمعرفة طبيعتهِ وبتقدم الجراحة حتى باتوا لا يحسبون لهُ حساباً في البلاد التي يكثر فيها مهرة الجراحين

أُصيب رئيس من رؤساء الولايات المتحدة الاميركية بالتهاب الزائدة الدودية ومات فقيل حينئذٍ ان سبب الالتهاب تطرق بزرة عنب او برتقال من الاعور الى الزائدة . لكن البحث والاختبار ابانا فساد هذا القول الذي لا يزال سائداً بين الجماهير حتى في البلاد المتمدنة . فان الجراحين قد يجدون بزوراً في الزائدة عند عمل عملياتهم الجراحية فيها ولكن ذلك نادر والغالب ان يجدوا فيها شيئاً من الروث الجاف او دقائق الجير المتحجر وهي نتيجة الداء لا سببهُ

وخطر هذا الداء ليس ناشئاً عن التهاب الزائدة نفسها بل عن امتدادهِ الى البريتون . وما دام محصوراً في الزائدة فلا خطر منهُ ولا الم ولكنهُ متى اتصل بالبريتون فهناك الالم والخطر . وكثيراً ما يتفق ان يجد الجراحون الزائدة ملتهبة في مريض يعملون لهُ عملية اخرى لا علاقة

لما بالزائدة · وهذا دليل على ان الزائدة تصاب بالالتهاب ولكن المصاب لا يشعر بهِ او لا يكترث لهُ ما دام البريتون سليماً

ومن رأي بعض الخبيرين ان هذا المرض ازداد في العشرين سنة الاخيرة · ولكن لا ريب في ان هذا الازدياد ظاهري في الاكثر وسببهُ كثرة العناية بالتشخيص كما انهُ لا ينكر ان هناك اسباباً كثيرة تساعد على وقوع الداء كالقبض مثلاً · فان القبض يساعد على بقاء طعام غير مهضوم في الاعور · ويقال ان كثرة اكل الاطعمة العسرة الهضم كاللحوم المقددة هي من اسباب الالتهاب · وكذلك كثرة شرب الشاي فانها تفضي الى القبض وهذا الى الالتهاب

وهذا الداء من ادواء الشبيبة كالسل والحمَّى التيفودية · وقد ظهر من الاحصاء ان ٨٠ في المئة من الذين يصابون بهِ هم دون الثلاثين سنًّا · وظهر كذلك ان ٨٠ في المئة من المصابين بهِ هم من الذكور · ومما يساعد على التعرُّض لهُ السكنى في البلاد الحارَّة وعدم تنظيم اوقات الاكل · وكثيراً ما تحدث الاصابة على اثر اجهاد الجسم برفع شيءٍ ثقيل من الارض أو بقطع مسافة كبيرة على البيسكل او على اثر ضربة على البطن · وفي هذه الحالات تكون الزائدة ملتهبة التهاباً مزمناً من قبل فيمتد منها الى البريتون

والمعروف ان هذا الداء على نوعين مزمن وحادّ · اما المزمن فلا يمنع صاحبهُ من العمل بشرط ان لا يكون شاقًّا · نعرف شخصاً مصاباً بالتهاب الزائدة المزمن لم ينقطع عن عمله الاَّ نادراً · وهو لا يزال حيًّا يعالج نفسهُ بالامتناع عن اكل الطعام الضخم والاعتدال في المعيشة · وكل ما هناك انهُ يمتنع عن العمل متى احسَّ بوخز في جانب بطنهِ الايمن حيثُ الزائدة الدودية · ولكن هذا الوخز ليس شديداً مؤلماً

واما الحاد فيلزم صاحبهُ بالامتناع عن كل عمل · والاصابة اما ان تكون بسيطة عادية واما ان تكون شديدة ففي الحالة الاولى يحسن اعطاء المصاب مسهلاً في بدء الشعور بالأَلم والاَّ فاذا كان المرض متقدماً فان اعطاء المسهلات كثير الضرر · واحسن المسهلات ما كان ملحيًّا كالملح الانكليزي او سلفات الصودا · واذا تقيأ المريض وجب منع التقيوء بالادوية المعروفة · ويجب ان يكون طعامهُ خفيفاً وخير لهُ ان يقتصر فيهِ على اللبن وان توضع اللزَق على القسم الحرقفي من البطن او كيس من الثلج لتخفيف الأَلم

وفي الحالة الثانية أَي اذا كانت الاصابة شديدة لا بدَّ من عمل عملية جراحية · على ان

الجرّاحين مختلفون في وقت العملية فبعضهم يشرع فيها حالما يشخص المرض · ولكن جمهورهم متابع للدكتور لتريفس الجرّاح الانكليزي الشهير في عدم عمل العملية الاَّ بعد استعمال الوسائط المخففة للألم والالتهاب اذ دلَّ الاحصاء على ان متوسط الوفيات بهذا الداء لا يزيد على ٥ في المئة اما متوسط الوفيات بالعمليات الجراحية التي تعمل عند اشتداد النوبة فيبلغ ٢٠ في المئة او اكثر · واما متوسط الوفيات بالعمليات الجراحية التي تعمل بين نوبة واخرى على مذهب تريفس فيبلغ ½ في المئة او ١ في ٥٠٠

اما اذا كانت الاصابة غنغرينية فيجب عمل العملية الجراحية حالاً خشية حدوث التهاب عام في البريتون على اثر افلات قدر كبير من البكتيريا والمواد المتعفنة من داخل الزائدة الدودية اليهِ

البَخر

البَخَر عيب خلقي في الغالب من اسبابهِ ضعف الغشاء المخاطي الذي يبطن الفم والمريء والمعدة · فان ضعفهُ يمنعهُ من قذف خلاياهُ القديمة والفاسدة لاحلال خلايا جديدة محلها فينشأُ عن ذلك فساد طبقتهِ الخارجية شيئاً فشيئاً · ومن اسبابهِ ايضاً بقاء طعام غير مهضوم في المعدة

يعالج بغسل الفم بسائل كوندي و بشرب جرعتين في اليوم من المركب الآتي :

كلورات البوتاس	١٥ قمحة
ماء	اوقية

اما خلوف فم المدخّن فاذا كان كريهاً كان سببهُ في الغالب رداءة الدخان الذي يدخنهُ · وتزال هذه الرائحة باستعمال الوصفة الآتية :

يؤْخذ درهمان من كلور يد الكلسيوم واوقية ماء ويرج المزيج نصف ساعة ثم يصفى و يضاف اليهِ اوقية سبيرتو مكرّر ونصف اوقية ماء الورد · ثم يستعمل غرغرة بعد شرب الدخان .

وكثيراً ما يصاب اللسان بالحمو · فلإزالتهِ يؤْخذ جزء من الغليسرين وجزء من مسحوق الطباشير وثمانية اجزاء من الماء و يغسل الفم بهذا المزيج · ويجب رج الزجاجة عند الاستعمال

عرق القدمين

من الناس من تعرق قدماهُ ولما كان العرق فيهما محصوراً فانهُ لا يتبخّر فلذلك يتحلّل ويفسد وتتصاعد عن القدمين رائحة كريهة

وافضل علاج لذلك ان تغسل القدمان يومياً بالماء البارد وفيهِ نحو نصف اوقية من مسحوق الشب ثم تنشفا جيداً . او ان تغسلا كل يوم مرّة على القليل وخصوصاً بعد المشي والرياضة بمحلول الجير المكلوراي الممزوج بالكلور او بمحلول برمنغنات البوتاس ٨ قمحة منهُ في الماء . وقبل لبس الجوارب تبودر القدمان بين الاصابع خاصة بمسحوق مؤلف من الجير المكلور وجزء من مسحوق الطباشير وجزء من مسحوق النشا . ولتكن الجوارب من الفلانلاّ الرقيقة

منع فساد الخمر

تؤْخذ زجاجات الخمر وهي مسدودة وتوضع في اناء فيهِ ماء ثم تفتح ويسخن الماء الى درجة ١٨٠ فارنهيت . وبعد ذلك ترفع الزجاجات من الماء وتسد سدًّا محكماً وتختم بالشمع وتصف في امكنتها مقلوبة

علاج لدغ الحشرات

احسن ما يستعمل لعلاج لدغ الحشرات كالبعوض والبراغيث والبق ان يدهن مكان اللدغة بجزء من المنتول ممزوج بعشرة اجزاء من الكحول فانهُ يبرّد حرّ اللدغة ويسكّن الاكلان الذي ينشأ عنها . وهو يستعمل ايضاً لدهن الجبين والصدغين في الصداع

المايونيز

اسهل طريقة لعمل المايونيز ان يؤْخذ صفار بيضة ويخفق بملعقتين كبيرتين من زيت الزيتون ثم يضاف اليهِ ملعقة كبيرة ونصف ملعقة من الخردل وثلاث ملاعق من الملح وشيء من الفلفل وفي الآخر ملعقتان من الخل . ثم يخفق زلال البيضة حتى يتحوّل رغوة ويضاف الى المزيج وهو يحرّك ببطء



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأْتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطوَّلة

التنويم المغنطيسي وقراءة الافكار

حضرة محرر المقتطف المحترم

طالعت بمزيد العناية ما اوردتموهُ في مقتطف دسمبر في باب المسائل من الرد على فهمي افندي حنا سليمان عما كان قد استفسركم عنهُ من كنهِ حقيقة التنويم المغنطيسي فدهشت كثيراً من تعبيركم عن هذا العلم انهُ غير مؤَكد بل وغير صحيح ومن ان ما يعمل فيهِ هو من قبيل الغش والخداع او الاستهواء والانخداع

وَلكن ما قولكم وقد استعمل التنويم المغنطيسي الآن في عالم الطب في مداواة عدة امراض مختلفة كالصرع والصداع والروماتيزم ووجع الاسنان الخ وفي التخدير بدل البنج في بعض عمليات الجراحة الصغرى وفي مداواة بعض العادات المستهجنة التي يراد نبذها كالتدخين او الادمان في تعاطي المسكرات وغير ذلك هذا فضلاً عن ان التنويم المغنطيسي يستعمل الآن احياناً في عالم القضاء على سبيل الاستدلال لتعزيز الادلة قبل احد المتهمين (وما حادثة اعتداء احد اطباء القاهرة على عرض الفتاة خادمتهِ ببعيدة)

هذا وقد لاحظت من خلال سطوركم اثناء تقريركم الحادثة التي حصلت بحضوركم انكم خلطتم بين مسأَلة قراءة الافكار اي التنجيم التي يدعيها احياناً بعض المشعوذين (ونحن على اتفاق معكم فيما يتعلق بهذه المسأَلة من ان كل ما يُفعل او يحصُل فيها هو من قبيل الخداع والاستهواء) و بين مسأَلة التنويم المغنطيسي التي ثبت بالقرائن العلمية والفعلية انها خلوٌ من كل الشوائب التي تكتنف مسأَلة التنجيم والشعوذة (التي يتخذها بعض من لا مُرتزَق لهم سبيلاً للاستجداء والاستعطاء) و بين مسأَلة تحضير الارواح التي ثبت ايضاً انها حقيقة ثابتة

وشيء واقع لا محالة مع انها سر غامض (وقد ايد ذلك بعض ا كابر العلماء من اعضاء الجمعية الملوكية البريطانية وغيرهم)

هذا وقد اشغلت هذه المسألة (اي تحضير الارواح) بعض اهتمامكم في الاعوام الماضية بدليل كثرة النبذ التي اوردتموها بخصوصها في اعداد المقتطف الاغر مما كان احيانًا مخللاً بالصور ومؤيداً بمباحث وآراء العلماء وأني اعتقد ان كثرة ما حررتموهُ بخصوص هذه المسألة دليل قاطع على تصديقكم لها

ثم انى لا اخالكم وقد غاب عن فكركم ان التنويم المغنطيسي علم قديم حيث قد اكتشفهُ العالم الالماني (فريدريك انطوان مسمر) في سنة ١٧٧٥ ثم تبعهُ بعد ذلك في تأييدهِ واعلاء شأنهِ العالم الانجليزي (جيمس بريد) حوالى عام ١٧٩٥ ثم تبعهما بعد ذلك في التوسع وايفاء هذا العلم حقهُ من البحث والتمحيص الدكتور (شارل ريشيه) الفرنسي واساتذة مدرسة نانسي الحقوقية الفرنسية وعلى رأس هذه المدرسة من اكابر العلماء مثل (برنهيم وليبو وليجوا) وكان ذلك حوالى عام ١٨٤٠

لا يقتصر علمي بالتنويم المغنطيسي على ما قرأت عنهُ في الكتب او المجلات العلمية حتى يكون شأني فيهِ شأن الناقل فقط بل ان اعتقادي فيهِ الذي صار في درجة اليقين هو نتيجة اشتغالي بهِ مدة زمنية ونتيجة عدة مشاهدات حصلت امامي كان المنوَّم فيها Subject احد اقاربي (حتى لا يقال انهُ استعمل الغش والتدليس في الاخبار عن الحقيقة او انهُ كان على اتفاق مع المنوّم) وكان المنوّم فيها احد الاطباء الغواة المشتغلين بهذا الفن بقصد التوسع في العلم ليس الأ Amateur لا احد الذين يمارسون التنويم المغنطيسي بقصد التعيش والارتزاق Professionelle (حتى لا يقال ايضاً انهُ موّه او اخفى الحقيقة عن الحاضرين لئلاً يفسدوا عليهِ سبل معاشهِ) وكانت هذه المشاهدات دائمًا بحضور عدد من الاخوان الافاضل وكانت مما يحير العقول ومما يثبت بالدليل القاطع ان هناك قوة كامنة في الانسان لا تظهر الأ بمحرك خارجي يثير ساكنها و يدعوها الى العمل وهذه القوة هي المغنطيسية الحيوانية (كالكهرباء في الاجسام المتصلة بمولد السيال لا يظهر فعلها او تأثيرها الأ بالضغط على او بتحويل لولب في هذا الجسم)

اما مسألة كون النائم يمكنهُ ان يقرأ الافكار فذلك واقع وثابت لا محالة لانهُ ثبت علميًا ان التنويم المغنطيسي ثلاث درجات الاولى وهي (الكتالبس) والثانية وهي (الليتارجى)

والثالثة وهي (السومنامبوليزم) وهذه الدرجة الاخيرة يمكن التوسع فيها حتى يتيسر للشخص النائم ان يخبر عن اشياء لم يرها لا هو ولا المنوّم ولم تحصل امامها بكل دقة واتقان كأنهُ كان حاضراً وقت وقوعها ثم انهُ يمكنهُ ايضاً ان يقرأ افكار اي شخص من الحاضرين يُسأل عنهُ فيجيب عن كل ما يجول بفكر ذلك الشخص ويمكن ايضاً ان يجيب عن اشياء علمية او فنية ليس لهُ بها سابق معرفة مطلقاً لا هو ولا المنوّم بكل ضبط كأنهُ مشتغل بها — مثال ذلك ان يجيب الفلاَّح الأُمّي وهو نائم تحت تأثير النوم المغنطيسي عن بعض مسائل رياضية عويصة لها مساس باللورغاريثم او حساب المثلثات مثلاً او ان يُشخّص ماسح الاحذية احد الامراض المعضلة ويوصف العلاج اللازم لهُ كأنهُ طبيب او ان يقرأ زنجي جاهل احدى الجرائد الافرنكية المحررة بلغة لم تطرق سمعهُ ولا يعرفها مطلقاً كأنهُ من ابناء تلك اللغة

أفبعد كل ذلك يمكن الظن بان كل المنومين (فنترولوكو يستس) وهل يمكن ان يتعلم الانسان كل لغات العالم وكل العلوم والفنون والصنائع حتى يمكنهُ ان يجيب عن النائم؟ ليست هذه الحقيقة : وانما الشيء المعقول هو ان المنوّم يومي للنائم في سرّه بأنهُ لا بد وأن يجيب على الشيء الذي سئل عنهُ بغاية الصحة فيسري ذلك التأثير الى روح المنوّم فيجيب بما يقتضيهِ الحال ونص السؤال

لا اقصد من تحرير رسالتي هذه سوى تقرير الحقيقة كما اني ارجو من حضرتكم الافصاح باكثر مما ورد في ردكم في عدد هذا الشهر فيما يختص بهذا الموضوع لأن الرد مبهم ولا يفهم منهُ ما هو المقصود بان كل ما يعمل فيهِ هو من قبيل الغش والخداع اهو ادعاء الانباء بالغيب او التنويم المغنطيسي او تحضير الارواح ! حتى يكون الرد على سؤال السائل مقنعاً وموصلاً للحقيقة خصوصاً وان اصل السؤال موجه لمجلة علمية فهو شبه عمومي او مفتوح وان لا يكون للاعتقاد الشخصي دخل في الاجابة على مثل هذه الاسئلة العلمية لانها مسائل ثبتت بالاجماع ولا يؤثر فيها رأي الافراد

حسن فائق
معاون ادارة مركز دكرنس
دقهلية

[المقتطف] اوضحنا في الجزء الماضي مرادنا من الجواب المشار اليهِ آنفاً وهو اننا ننكر كل الانكار ان الذين يقفون في بعض المشاهد ويظهر انهم يكشفون المخبآت وينبئون بالغيب يكونون نائمين النوم المغنطيسي

ولكن في هذه الرسالة اموراً اخرى تنقضها المعارف المحققة حسب ما وصل اليهِ علمنا

فاولاً لا صحة لما جاء فيها من ان تحضير الارواح امر ثابت مؤكد بل هو دعوى لم يقم دليل على صحتها وما ذكرناهُ من حوادثها في المقتطف انما ذكرناهُ اما لانهُ مثال على تصديق بعض الناس لامور وهمية لا صحة لها او لأن فيهِ شبه حقيقة يحسن البحث فيها كما يظهر لكم بالمراجعة

وثانياً ان التنويم لا يحصل بمنطيسية حيوانية ولا غير حيوانية . وتعليلهُ بالمغنطيسية الحيوانية هواقدم التعاليل واسخفها . وقد ارتأى العلماء لهُ تعاليل اخرى كثيرة لا محل لذكرها هنا بالتفصيل احدثها ما نسميهِ الاستقلال العقلي Mental dissociation فان قوى العقل التي يرتبط بعضها ببعض عادة فيضعف بعضها بعضاً لتقيدها بعضها بالبعض الآخر يتعب بعضها و ينام وقت الاستهواء فيتحرَّر البعض الآخر منهُ ويظهر بكل قوتهِ . وسنشرح ذلك بالتفصيل في جزء آخر

وثالثاً ان اقتدار النائم هذا النوم على قراءة افكار غيرهِ لم يثبت علمياً . نعم ادَّعى بعض العلماء انهم وجدوا بالتجارب ان قراءة الافكار صحَّت مرَّات اكثر مما تقتضيهِ قواعد المرجحات ولكن اعيدت تجاربهم فثبت ان ما صحَّ منها لا يزيد عما يقع اتفاقاً حسب قواعد المرجحات

ومما يحسن ذكرهُ ان بعض الذين كانوا يدَّعون قراءة الافكار افشوا سر صناعتهم كما ترون في مقالة في هذا الجزء موضوعها السحر في الشعوذة

هذا وفي سؤَال السائل دليل على فساد كل ما يقال عن الانباء بالغيب وقراءة الافكار بغير الطرق العادية . فان معرفة الغيب كنتيجة مترتبة على مقدماتها امر عادي وبهِ نعرف ان النيل سيفيض في الصيف المقبل وان اردب القمح الذي زرعناهُ هذا الشتاء سيجني منهُ وقت الحصاد عشرة ارادب او اكثر او اقل حسب معدن الارض وخدمتها . وكذلك اذا كلَّمنا رجل في موضوع ما ونظرنا الى وجههِ فاننا قد نقرأُ افكارهُ من الآثار التي تبدو على وجههِ . ولكن لو وُجد سبيل لمعرفة الغيب وقراءة الافكار بغير هذه الطرق العادية لاستخدمهُ الناس في ما ينفعهم او يضر اعداءهم كما استخدموا البلونات والطيارات والغوَّاصات والنسافات وكل ما ثبت لهُ نفع

اما ما قيل عن معرفة الفلاح لحل المسائل الرياضية وماسح الاحذية لتشخيص الامراض وعلاجها وقراءة الزنجي لجرائد يجهل لغتها فدعاوٍ لم يقم دليل على صحة شيء منها

التنويم المغنطيسي

حضرات الافاضل المحترمين اصحاب المقتطف الزاهر

فتحتم باب المسائل في مقتطفكم ليستقي من منهله العذب كل صادٍ بما يروي الغليل وهذا هو السبب الذي حدا بي الى عدم الوقوف عند اجابتكم على سوءالي المختص بالتنويم المغنطيسي المدرج بعدد شهر دسمبر سنة ١٩١٥ (صحيفة ٦٣٠) على ما لا يقنع او بالأحرى ما لا يصح السكوت عليهِ . واظنكم لا تعيبون عليَّ مناقشتي لكم كل فقرة من فقرات تلك الإجابة وخير شفيع شهرتكم بسعة الصدر وواسع العلم والفضل سعياً وراء جلاء الحقيقة ناصعة الجبين لا يشوبها اقل شك او تخمين

لا حاجة بي لان اقول أن هناك فرقاً كبيراً جدًّا — استغفرالله — بل لا مناسبة بالمرَّة بين التنويم المغنطيسي الذي نحن بصددهِ وبين اعمال المشعوذين الذين استشهدتم باعمالم الوهمية والخياليــة مما اصبح مشهوراً عنهم ومعروفاً فيهم عند العوام قبل الخواص الا القليلين — والحيلة والوهم كالعملة الزائفة اذا جازت على واحد لم تجز على الآخرين — فلا وجه إذاً للمقارنة بين الفئتين ولو من قبيل التمثيل واعمالها تبعد عن التشبيه بُعد السموات عن الارض

فاين وجه الشبه بين هوءلاء الدجالين الذين يدَّعون المقدرة على تحويل النحاس الى ذهب ابريز او الابيض الى اسود أو ما شاكل ذلك من عمل الاحجبة والتعاويذ ولا غرض لهم طبعاً الأ سلب ونهب كل ما يصل الى ايديهم من السذَّج والبلهاء . اقول اين الشبه بين هوءلاء واولئك الذين يقتصر عملهم أو علمهم أو فنهم أو تكهنهم كما تودُّون ان تسموا ذلك على كشف مخبآت الضمائر واظهار ما تكنهُ السرائر على شرط ان يحصر الانسان جميع فكرهِ في نقطة واحدة لا يتعدَّاها حتى يمكنهم استجلاء غامضها

قلتم في الفقرة الثانية من ردّكم انهُ بلغتكم امور كثيرة من هذا القبيل وبحثتموها بانفسكم غاضين النظر طبعاً عن أي تأكيد قُدّم لكم أو دليل حتى جلوتم وجه الغش والخداع واسترسلتم في هذا الباب الى آخر ما قلتم ولكنكم لم تذكروا لنا حادثة واحدة من نقطة السوءال وهي التنويم لا الشعوذة والتنجيم ولم نفهم اذا كنتم تجملون بما رأيتم رأي العين مسألة التنويم ايضاً فاذا كان الجواب سلباً خرج حكمكم عليهِ من جملة ما شاهدتموهُ وان كان ايجاباً نرجو زيادة الشرح والبيان مع ايراد التعليل مشفوعاً بالبرهان

ولا خلاف بيننا وبينكم في كل ما اوردتموهُ بشأن هوءلاء الدجالين (لا المشتغلين بالتنويم

حيث لم تذكروا عنهم شيئاً) من حيث ايهامهم الناس ومضغ الكلام مع تلعثم اللسان الى آخر ما يوهمون بهِ على الاذهان او يؤثرون بهِ على الوجدان مما تكذبهُ شواهد العيان ولا ينطبق على احكام الطبيعة ولا احوال الزمان والمكان ولكن ما رأيكم دام فضلكم في ما رأيتهُ في حفلة اخرى كبيرة بتياترو عباس غاصة بكبار الاعيان من اطباء ومحامين وعلماء اعلام وغيرهم والكل طبعاً لا يعوّل في حكمهِ الأعلى الحس والعيان لا الغش والخداع أو الاستهواء والانخداع كما تقولون واليكم بعض ما جرى :

افتكر احد الحاضرين في أمر (مجرَّد فكر لم يتعدَّ ذات المفكر) وطلب من المنوّم أن يأمر المنوَّمة وهي زوجتهُ على ما علمت وتدعى « ميلوسكا » بأن تظهر مكنون فكره فما كان منها الأ ان تركت المرسح وقصدت صاحب الفكر توّاً واخرجت من جيبهِ علبة تبغ ففتحتها واشعلت لفافة منها بعود من ثقاب كان في جيب آخر ودخَّنت منها قليلاً وردَّتها لهُ — كل ذلك بدون تردُّد

فكر آخر — وهو صديق لي — في مرض البحر وما يصيب الانسان من دوار الرأس وقيء وانزعاج واراد (في فكرهِ) ان تقوم المنوَّمة بتمثيل ذلك على مرأى من الحاضرين فلم تتأخر عن تشخيص المرض بأتم الإتقان وأصحّ التمثيل

وغير ذلك من كل مدهش وعجيب — وانا أكتفي بما تقدَّم لكي لا أضيّع عليكم وقتاً ثميناً وآمل ان احصل هذه المرَّة على جواب شافٍ وتعليل مقبول ولكم الشكر من قبل ومن بعد

فهمي حنا سليمان طالب بالجامعة المصرية

[المقتطف] قلتم في سؤالكم الوارد في مقتطف دسمبر الماضي صفحة ٦٠٣ ان الحفلة السينماتوغرافية تخلل فصولها فصل في التنويم المغنطيسي قام بهِ شابان ايطاليان الى ان قلتم لماذا لا ينتفع بهذا العلم او هذه المعرفة او هذا السر المؤكد الخ . وكان مفاد جوابنا ان هذين الشابين اللذين بنيتم كلامكم عليهما مشعوذان يتظاهران بانهما نائمان وكذا كل الذين عملوا اعمالاً من قبيل الاعمال التي عملاها ككشف الاسرار ونحوها فانهم كلهم مشعوذون

ولم نسمِ اعمال هذين الشابين علماً او معرفةً او سرًّا الأ مجاراة لكم وهو نوع بديعي يشبه القول بالموجب من انواع البديع المعنوي ولا خطر ببالنا ان احداً يفهم من كلامنا ان التنويم المغنطيسي الحقيقي اي الاستهواء غير صحيح مع اننا كتبنا فيهِ في السنوات الماضية ما لو جمع لملأ مجلداً كبيراً . لو خطر ببالنا ذلك لقلنا صريحاً ان هذين الشابين لم يكونا نائمين بل كانا متظاهرين بالنوم لكي تجوز حيلهما على الحضور ولا ينتبهوا الى كيفية اكتشافهما الاسرار ومثلهما كل الذين يكتشفون الاسرار و ينبئون بالغيب وهم نائمون نوماً مغنطيسيًّا

حسب الظاهر فانهم لا يكونون نائمين بل متظاهرون بالنوم واعمالهم الغريبة قد تدهش الناظرين وتستهويهم فيرون انها اغرب جدًّا ممَّا هي . وما اصح ما وجهتم النظر اليهِ وهو عدم الانتفاع بقوى هؤُلاء فانها لو كانت صحيحة صادقة لبادر الناس الى الانتفاع بها

اما الحادثتان اللتان ذكرتموهما فلا يسهل تعليلها مالم نرها باعيننا . ونؤكد لكم ان عالمًا من اكبر علماء هذا القطر واكثرهم بحثًا في المواضيع الطبيعيَّة والفلسفية رأى اعمالاً مثل هذه فوجدها في حد الغرابة لا تفسر مطلقًا واستدعانا لحضرنا معهُ وابنا لهُ ان الشخص الذي كان يدعي انهُ نائم النوم المغنطيسي لم يكن نائمًا حقيقةً وان كل ما عملهُ كان من قبيل التحيُّل . فانتبه واقتنع وحتى الآن لا يزال مستغربًا كيف انخدع في المرة الاولى . ولما اشتهرت اسابيا بلادينو الايطالية باعمالها التي تعملها وهي نائمة النوم المغنطيسي على ما كانت تدَّعي وامتحنها الاستاذ لمبروزو والدكتور ريشه والاستاذ شبرالي والاستاذ بيوفوى وثلاثة غيرهُ من الاطباء كما ترى في المقتطف لسنة ١٩٠٥ واعتقدوا كلهم ان اعمالها لا تفسر بالخداع ولا بالنواميس الطبيعيَّة المعروفة قلنا في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠٧ صفحة ٧٨١ « ان افعالها تدلُّ على التحيُّل والخداع .... ولا عبرة بعجز بعض العلماء عن اكتشاف الخداع الخادعين فاننا رأينا بعضهم ينخدع ببعض الاخاديع الطفيفة التي يعرف سببها باقل بحث فقد رأينا رئيس مدرسة كلية لم يستطع ان يكتشف من نفسهِ حيلة الراس الذي يتكلم فوق المائدة الخ »

ثم لما جاءت لجنة من كبار العلماء الى ايطاليا لامتحان اسابيا بلادينو خرجت معتقدة انها غير خادعة وان اعمالها لا تفسر بالمعلومات الحاضرة وقد نشرنا خلاصة تقرير هذه اللجنة وخطأناها وبينَّا ان اسابيا لا يحتمل ان تكون الاَّ خادعة ولم يمضِ وقت طويل حتى ذهبت الى اميركا فكشف خداعها فيها

والخلاصة ان التنويم او الاستهواء hypnotism صحيح ولكن المنوَّم او المستهوى لا يمكنهُ ان يعرف من الغيب وقراءة افكار الغير اكثر ممَّا يعرفهُ المستيقظ لكنهُ قد يشعر بشيءٍ لا يشعر بهِ وهو مستيقظ او يتذكر شيئًا نسيهُ وهو مستيقظ كما يتذكر الانسان وهو نائم اموراً نسيها وهو في اليقظة او يحل مسألة رياضية يتعذر عليهِ حلها وهو مستيقظ او ينظم شعراً تعذر عليهِ نظمهُ في اليقظة لان بعض قوى عقلهِ يتحرر من الارتباط بالبعض الآخر مدة الاستهواء كما اجبنا صاحب الرسالة السابقة . وما يقال عن الاستهواء يقال عن المصابين بالهستيريا . اما الذين يلعبون في المشاهد العمومية ويعملون اعمالاً خارقة العادة فلا يكونون نائمين النوم المغنطيسي بل متظاهرون بهِ لتجوز حيلهم على المشاهدين ولا ينتبهوا لها

باب التقريظ والانتقاد

ذكرى ابي العلاء

هو كتاب نفيس يصحُّ ان يكون مثالاً يقتدى بهِ في البحث والتحقيق . وضعهُ الدكتور طه حسين وقدمهُ الى الجامعة المصرية سنة ١٩١٤ فاعطتهُ شهادة العالمية ولقب دكتور في الآداب ونعم ما فعلت ولعلهُ الكتاب العربي الوحيد الذي اولعنا بمطالعتهِ في هذه الايام حتى كدنا نتصفحهُ كلهُ . واننا نشير على كل طالب من طلاب علم الادب ان يقتني نسخة منهُ ويطالعها بالامعان

العبرات

مصطفى افندي لطفي المنفلوطي من ابلغ كتَّابنا واننا نشكرلهُ تدبيج الروايات الادبية التي تسلّي القارىء وتفيدهُ عظةً في الاخلاق ومُسكةً في اللغة . وكتابه العبرات قصص وجيزة بعضها موضوع وبعضها مترجم خواتمها تفيض العبرات فسَّر بعض الغريب من الفاظها اما تراكيبها فمعانيها واضحة ولوكان بعضها غير مألوف . وحبذا لو ابدل الغريب من الالفاظ بما يرادفهُ من المألوف اذا لم تدل القرينة على معانيهِ لانهُ يشقُّ على العقل الوصول الى المعاني اذا وجد في طريقهِ اليها الفاظاً تضطرهُ الى مراجعة الحواشي او كتب اللغة

والعبرات ثماني قصص في ٢٣٠ صفحة وسيرحب بها القراء كما رحبوا بما سبقها من نفثات المنفلوطي

الكيمياء غير العضوية

وضع هذا الكتاب الاستاذ عبد الحميد احمد مدرس الكيمياء والطبيعة في المدرسة الخديوية وبدأهُ بنبذة وجيزة في تاريخ الكيمياء واستطرد الى ذكر بعض الحقائق الطبيعية المتعلقة بالمادة والعمليات الطبيعية البسيطة المستعملة في الكيمياء وانتقل الى العناصر ومركباتها فاسهب في الكلام على الاكسجين والهيدروجين والنتروجين والكلور والفلور والبروم واليود والفسفور والكبريت والكربون ومركباتها وما يتصل بها من الحقائق والملابسات الكيماوية ثم تكلم بالايجاز التام على العناصر المعدنية . وحبذا لو جارى الانكليز الذين جاريناهم

منذ اربعين سنة الى الآن في التسمية والرموز الكيماوية فقلنا هيدروجين بدل ايدروجين وجعلنا سمتهُ الكيماوية ه ونتروجين بدل ازوت وجعلنا سمتهُ ن وجعلنا الحوامض المركبة من كلمتين صفةً وموصوفاً فقلنا الحامض الكبريتيك ولم نقل حامض الكبريتيك وقلنا الآلية بدل العضوية مجارين ابن سينا وغيره من فطاحل علماء العرب · وغاية ما نرجوهُ اتفاق الكتاب في هذا العصر في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى وكل البلدان العربية على مصطلحات واحدة في العلوم والفنون تسهيلاً لطلاَّبها

وفي الكتاب كثير من الرسوم اللازمة في الاعمال الكيماوية وفيهِ ايضاً صور بعض العلماء وقد يُغتفر نشرها في كتاب عربي ولو كان علميًّا للتدريس

تقويم الحكومة سنة ١٩١٦

في هذا التقويم ٣٠٠ صفحة ولكن فيهِ من الفوائد ما يُعدُّ بالالوف ففيهِ التقاويم الشهرية التي هو موضوع لها بنوع خاص واوقات الشروق والغروب للشمس والسيارات ومذكرات تاريخية واحصائية عن مصر والسودان ودواوين الحكومة وكل ما يتعلق بها واديان السكان والمعاهد الدينية والمدارس والمحاكم والجمعيات وما اشبه · ومما يحسن اصلاحه في الطبعة التالية ذكر الثواني في عروض بعض مدن القطر واطوالها وابدال كلمة المقادير بكلمة الانحراف في جدول انحراف الابرة المغنطيسية · وقد جاء في الصفحة ٤٤ ان مساحة الاراضي المنزرعة في القطر المصري نحو ٧٥٠٠٠٠٠ فدان ولعل المراد الاراضي القابلة للزراعة او الفدن التي تزرع على مدار السنة · ويقال هنا ان عدد سكان القطر المصري يقدر بنحو اثني عشر مليوناً وان عدد سكان القاهرة ٧٠٠٠٠٠ وكان الواجب ان يذكر عدد السكان في الحالين اما حسب الاحصاء الاخير وتذكر سنتهُ اوحسبما قدر سنة ١٩١٥ · وكذلك الاحصاء المذكور في الصفحة ٥٢ لم يذكر تاريخهُ وفيهِ ان عدد سكان القاهرة ٦٥٤٤٧٦ فهذا التدقيق حتى في منزلة الآحاد يدل على انهُ احصاء مخصوص في يوم مخصوص بل في ساعة مخصوصة وأغرب من ذلك ذكر سكان الاسكندرية وحسبانهم ٣٧٠٠٠٩ فذكر التسعة بعد الاصفار الثلاثة يدل على ان المحصي يحاسب ذمتهُ اكثر مما يلزم ولم يجرِ على هذه المحاسبة في ذكر المساحة بالفدان فاكتفى بالالوف الاَّ في مساحة السويس · فعسى ان تزداد العناية في اصلاح التقويم التالي

المأساة الكبرى

رواية تشخيصية في الحرب الحاضرة وضعها الغني عن التعريف الدكتور شبلي شميل ونشرها اولاً في جريدة البصير في الصيف الماضي ثم جُمعت في كراسة فملأَت ١١٥ صفحة وهي اجتماعية فلسفية قال في مقدمتها انهُ رمى فيها الى اربعة اغراض الاول وصف الاشخاص الذين ذكروا فيها وصفاً بسيكولوجيًّا ينطبق على اخلاقهم ومطامعهم ومراميهم للتنفير منها · والثاني وصف الوقائع وصفاً تقريبيًّا في الحاصل منها و يكاد يكون نتيجة لازمة في الباقي غير الحاصل · والثالث الاشارة الى امور اجتماعية تستوجب الانتقاد · والرابع البحث الاجتماعي فيما يجب ان تكون نسبة الامم بعضها الى بعض

والرواية حسنة الاسلوب تستهوي قارئها بما تضمنتهُ من الخبر الصحيح والنقد المحكم والتهكم الفاضح والتنبوء المدهش فوق ما يراهُ فيها من استيفاء الاغراض المذكورة آنفاً · وغني عن البيان انها تمثل مثيري الحرب الحاضرة الذين اشتغلوا السنين الطوال في تمهيد اسبابها وهم امبراطور المانيا وخاصة اعوانهِ · وحبذا لو اهتمَّ بعض الممثلين بتمثيلها فان قليلاً من التنقيح يجعلها من خيرة الروايات التمثيلية

دروس سنن الكائنات

للدكتور محمد توفيق صدقي

محاضرات علمية طبية اسلامية في علم الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الصحة وعلم الانسجة نُشرت اولاً في مجلة المنار ثم طبعت على حدة · والمحاضرات علمية اي مبنيَّة على مباحث العلماء الطبيعيين ولكن صاحبها اعتنى بتطبيقها على الشرع لانها القيت على الطلبة في دار الدعوة الدينية والارشاد · ونرجح انهُ سيرى مع الزمن ان سير العلوم الطبيعية وحدها والعلوم الشرعية وحدها اصلح لكل منهما

وهذه المحاضرات شبه كتب علمية عملية كثيرة الفوائد فانهُ لم يكتفِ بذكر الحقائق العلمية بل اتبعها بما يبنى عليها من الامور العملية وما يناسبها من الوصايا الدينية واستطرد احياناً الى ذكر آراء غريبة او غير محققة كقولهِ في الصفحة ٤٣ «لا يبعد ان تكون الروح شيئاً مستقراً فيهِ (اي في القلب) ولا يبعد ان تكون من عالم الاثير وبموت القلب تنفصل عنهُ» وقولهِ ان الدم عسر الهضم جدًّا لوجود المادة الحمراء الحديدية فيهِ · وقولهِ ان الحرارة في

شمسنا وباقي الشموس ناتجة من احتراق اجزائها . لكن ما كان من هذا القبيل قليل جداً وسائر المحاضرات مبنيٌّ على القواعد العلمية المحققة على قدر الامكان

كلمات كبيرة

لكبير حكماء اليونان ماركس اوريليُس انطونينس

نقلها الى العربية عز الدين افندي العزب ضابط مدرسة بنها الاميرية واحسن نقلها والحقها بنصيحة ولبم هزلت الى ولدهِ وهو على ابواب المدرسة . ومن الغريب اننا ترجمنا ٦٢ حكمة من حكم هذا الفيلسوف ونشرناها في مقتطف اكتوبر سنة ١٩١١ وقلما نرى مشابهة بينها وبين هذه الكلمات

الاستكشافات الجغرافية

وضع هذا الكتاب حضرة محمود مراد افندي مدرِّس الجغرافيا في المدرسة الخديوية بالقاهرة وهو على وفق آخر منهج درامي قررتهُ وزارة المعارف في الجغرافيا يشتمل على ما اكتشف من الاكتشافات الجغرافية في اربعة آلاف سنة من القرن العشرين قبل الميلاد المسيحي الى القرن الحالي وفيهِ نحو مئة صورة وخريطة

والذي يقلب صفحات هذا الكتاب يتضح لهُ ان صاحبهُ بذل جهداً كبيراً في جمعهِ وتأليفهِ واعداد الصوَر والخرائط لهُ

الفتاة والبيت

كتاب البنت للسيدة دوبوك ترجمهُ الى العربية حضرة الكاتب الاديب انطون افندي الجميّل . وفيهِ اثنا عشر فصلاً في علم تدبير البيت. وواجبات الوالدين والاولاد . وحسن الترتيب والاقتصاد . وحسابات البيت . والنظافة . وغرف النوم والمطبخ وسائر ما يختص بالمنزل وتدبيرهِ . وقد قال حضرة معرّبهِ في مقدّمتهِ واجاد :

« كُتُبُ التربية النسائية كثيرة لدى جميع الامم التي نالت نصيبها من الرُقي الادبي والمادّي . وقد عالج هذا الموضوع الجليل أئمةُ الكتاب والمفكرين لما رأوا فيهِ من الارتباط بالحياة القومية والتأثير في تكوين اخلاق الشعوب . على أنَّ اقلام كتَّابنا لم تطرق مثل هذا الموضوع . او هي طرقتهُ من وجهةٍ واحدةٍ من وجهاتهِ المتعدّدة . فلم يكن ما لدينا من هذا القبيل ليفي بالحاجة

هذا الفراغ قد حاولنا ان نسدّ بعضهُ . على اننا لم نرَ ان نترجم كتاباً من كتب الغربيين العديدة في هذا الباب . لأنها لا تنطبق في مجملها على حياتنا الشرقية وعاداتنا القومية . كما أنَّنا لم نَشأ ان نُقدم على التأليف مباشرةً في هذا الموضوع لانهُ من خصائص النساء . ويتعذَّرُ استيعابُ موضوعاتهِ والإحاطةُ بدقائقهِ وتفصيلاتهِ . الاَّ اذا لجأ الكاتبُ الى فطنة سيدةٍ زانها العلم ووسَّع مداركها الاختبار . وهذا ما توافر لنا في حضرة الحكيمة السيدة ج . س . دوبوك . فانها من فُضليات السيدات اللواتي درسنَ كثيراً واحرزنَ خبرةً واسعةً في تطبيق المعارف والعلوم

وعلى ذلك يمتاز كتاب الفتاة والبيت الذي نقدمهُ اليوم الى قرَّاء العربية بانطباقة على حاجاتنا وعاداتنا وبجمعهِ بين قواعد التربية الادبية وشروط تدبير المنزل . فقد حوى وصف الخلال والمناقب التي يجب ان تتحلّى بها ربة الدار من الوجهة الادبية لتُدرك مهمتها الشريفة كما حوى المعارف والفوائد التي ينبغي ان تحيط بها من الوجهة العملية لتحسن ادارة بيتها . فتكون والحالة هذه — كما يجب ان تكون — العامل الاكبر على إسعاد الافراد وانهاض المجموع . فان سعادتنا البيتية ونهضتنا القومية كلتاهما متوقفة على تربية المرأة »

الشعر

رسالة في الشعر وغاياتهِ ووسائطه بقلم حضرة الشاعر الناثر ابرهيم افندي عبد القادر المازني . وقد اتى فيها على تعاريف الشعر عند المتقدمين والمتأخرين وبحث في الشعر الوصفي والعاطفة الشعرية . وخص فصلاً بتكلف ابي تمام واستشهد باقوال كثير من فلاسفة الافرنج وكتابهم المحدثين في الشعر والشعراء

تقويم الشرق

هو الجزء الثاني من التقويم الذي يصدرهُ حضرة الدكتور هنري مدوَّر مرَّة في السنة حاوياً لفوائد جمة مما يختص بهذا القطر واحوالهِ العامة . ومحلّى بصوَر كثيرين من مشاهير الرجال في عصرنا وملوك الممالك المختلفة ورؤَساء حكوماتها

مملكة الشياطين

قصة تتضمن اسباب تأخر الاسلام بعد مجدهِ وتبحث في اسباب انحطاطهِ في الايام الاخيرة لكاتب مسلم اهداها الى كل مسلم ومسلمة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الغاية تبرر الواسطة

محجر الطور · محمد افندي فريد · هل قولهم الغاية تبرر الواسطة صحيح من جميع الوجوه او هو يصح في بعض الامور ولا يصح في غيرها

ج · المراد من قولهم الغاية تبرر الوسطة ان الواسطة القبيحة او المحرمة تصير صالحة محللة اذا قصد بها غاية حميدة · و ينكر علماء الاخلاق ذلك ويقولون ان الواسطة المحرَّمة لا تحل مهما كانت الغاية حميدةً · ولكن قد يقع الانسان بين شرين فيضطر ان يختار اصغرهما مثال ذلك أَن سكر زيد او ثارت سورة الغضب في رأسهِ لامر ما فاستلَّ سيفهُ وهجم على عمرو يريد قتلهُ فهرب عمرو من وجههِ ودار بين البيوت حتى توارى عن عينيهِ ودخل بيتاً لصديق لهُ واختفى فيهِ ووصل زيد الى باب ذلك البيت والسيف مشهور في يدهِ وسأل عن عمرو · فاذا صدقهُ صاحب البيت الخبر وقال لهُ انهُ هناك ترجح انهُ يدخل البيت ويقتل عمراً واذا قال لهُ كلاَّ فقد كذب فهو بين ان يكذب وينجّي عمراً أَو يصدق ويعرضهُ للقتل ويعرض قاتلهُ للقتل ايضاً · فاذا كانت الامور بنتائجها وكانت النتيجة محققة او مرجحة كما في هذه الحادثة وكان من المحقق انهُ لا يحدث من الواسطة ضرر لاحد ما فقلما تجدون من يهمل هذه الواسطة أَو لا يعتقد ان الغاية تبررها

(٢) المصطلحات الفلسفية

كلية دكن بالهند · الاستاذ عبدالباري · أُريد وضع كتاب باللغة الاردوية في تاريخ الفلسفة لكن لغة الاردو من افقر اللغات الهندية من حيث المصطلحات العلمية وهذا من اكبر العوائق في سبيلي فرأيت ان الجأَ الى العربية واقتبس منها الكلمات اللازمة للتعبير عن المعاني والمصطلحات الفلسفية لان في الاردوية كثيراً من الكلمات العربية لكنني لم اظفر حتى الآن بكتاب عربي في تاريخ الفلسفة تأليفاً كان أَو تعريباً فهل لكم ان ترشدوني الى كتاب عربي في هذا الموضوع او الى قاموس انكليزي عربي يحوي هذه

المصطلحات أو الى كتب فلسفية معرَّبة من مؤلفات افلاطون أو أرسطو أو دكارت او اوهيوم او كَنت او غيرهم

ج . لا نعرف كتاباً عربياً في تاريخ الفلسفة ولكننا نشرنا في المقتطف فصولاً كثيرة في هذا الموضوع ظهرت في المجلدات ٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٦ و٢٩ وقد وضع الدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت كتاباً عربياً في مبادئ الفلسفة العقلية جاء فيهِ على كثير من المصطلحات وتظهر دلالتها من شرحها في الكتاب فيعلم ما يرادفها باللغة الانكليزية . ولا نعلم انهُ تُرجم شيء حديثاً الى اللغة العربية من كتب الفلاسفة الذين ذكرتموهم وما ترجم قديماً من كتب افلاطون وارسطوطاليس ليس بين ايدينا شيء منهُ وما كتب في العربية مبنيًّا على كتبهم قلما يُفهَم فقد حاولنا مراراً فهم ما كتبهُ ابن سينا عمَّا وراء الطبيعة فلم نكد نفهم منهُ شيئاً كأنهُ ترجم ما لا يفهمهُ او نقل عمَّن لا يحسن الترجمة . واذا بعثتم الينا بكتاب انكليزي في تاريخ الفلسفة واشرتم الى كل الكلمات في فهرسهِ التي تريدون لها مرادفات عربية نساعدكم قدر جهدنا

(٣) دودة الجعل

اسنا . حبشي افندي سكر المقاول . كنا نحفر اساس منزل فبعد ان نزلنا في الارض نحو متر وجدنا الدودة المرسلة الآن الى جنابكم في الحق الصفيح وهي داخل الطينة التي وجدت فيها ولما كسرنا الطينة وجدنا الدودة داخلها ولما وجدت نفسها خارج الطينة قعدت كما يقعد احد الوحوش وصرخت صرخة عالية بصوت يشبه صوت الطائر الذي يسمى الصفار فالمرجو فحصها والتكرم بما ترونهُ من امرها

ج . هي دودة جُعَل من الجعلان الكبيرة فان انثى هذا الجعل اذا حان وقت بيضها جبلت الزبل وصنعت منهُ كرات كبيرة وطمرتها في الارض بعد ان تبيض بيضة في كل كرة منها فيخرج من البيضة دودة صغيرة تشرع تأكل ما حولها من الكرة وتكبر رويداً رويداً الى ان تصير بالقدر الذي رأيتموها بهِ . والبيت الذي حولها هو الفراغ الذي صنعتهُ بأكل ما فيهِ ولو تركتموها حيث كانت لاكتملت جعلاً كبيراً بعد مدة غير طويلة وخرجت من بيتها . وهي ليست من الحشرات الضارة بالزراعة . اما الصوت الذي سمعتموهُ فنرجح انهُ ليس منها وقد اطلنا النظر فيها فلم نسمع لها صوتاً . او يحتمل انها كانت منضمَّة على نفسها وعليها غشاء صمغي فلما تمددت انشق هذا الغشاء وسمع لانشقاقهِ صوت

(٤) ذهاب النور

الاسكندرية . احمد افندي عبد العال سلامه . اين يذهب النور بعد انطفائهِ

ج . اذا احميت بعض الاجسام الى

درجة عالية جداً من الحرارة جامدةً كانت كالحديد او غازية كالغاز المتولد من احتراق الشمعة اهتزت دقائقها اهتزازاً سريعاً جداً يؤثر في الاثير الذي بينها وبين عين الرائي فيوصل الاثير هذا الاهتزاز الى العصب البصري فيشعر بهِ شعوراً نسميهِ نوراً . فاذا أُطفئ المصباح بطل هذا الاهتزاز فبطل الشعور بنورهِ وذلك مثل وتر القانون الذي يحرك فنسمع لهُ صوتاً فاذا بطلت حركتهُ بطل صوتهُ ايضاً

(٥) تدبير المنزل

ومنهُ . هل لكم ان تجمعوا كل ما كتبتموهُ في المقتطف تحت عنوان تدبير المنزل في كتاب واحد فتؤدوا خدمة جليلة لربات البيوت ولو بعتم النسخة منهُ بمئة غرش

ج . هذه امنية في النفس ولكننا لا نظن ان الاجل يمهلنا لتحقيقها وعسى الذين يأتون بعدنا ان يحققوها

(٦) الكتب العربية المطبوعة في اوربا

ومنهُ . اين تباع الكتب العربية المطبوعة في اوربا كتاريخ ابن الاثير وتاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون وخطط المقريزي وكتاب الاغاني وتاريخ ابي الفدا

ج . كل كتبي اوربي في مصر يستطيع ان يجلبها لكم الا كتاب الاغاني فانهُ طبع مصر ولم يطبع منهُ في اوربا الا الجزء الاخير والفهرس الذي وُضع لهُ حديثاً

(٧) سبب ملوحة البحر

ومنهُ . ما هو السبب في ملوحة ماء البحر

ج . وجود الملح فيهِ . ولكن الظاهر ان سؤالكم هو كيف وصل الملح الى ماء البحر والجواب ان في ذلك رأيين مشهورين الاول وهو الرأي القديم ان ماء البحر كان كلهُ عذباً ولكن الانهر اذابت الملح من الارض وجرت بهِ الى البحر والماء يتبخر من البحر سنة بعد سنة ويبقى الملح فيهِ فزاد ملحهُ وملوحتهُ رويداً رويداً سنة بعد سنة . والرأي الثاني ان الملح اصلي في البحر لانهُ مخالف لملح البر ومشابه للاملاح التي تكون في مقذوفات البراكين عادةً

(٨) طول النيل

مصر . احد القراء . كم طول نهر النيل من مصدرهِ الى مصبهِ

ج . للنيل اصلان كبيران احدهما البحر الابيض والآخر البحر الازرق يجتمعان عند الخرطوم وطول الاول من بحيرة فكتوريا نينزا الى مصب النيل في بحر الروم ٣٤٧٣ ميلاً وطول الثاني من بحيرة صانه ببلاد الحبشة الى بحر الروم ٢٩٢٤ ميلاً

(٩) حموضة الحمص

ومنهُ . ان الحمص الاخضر الذي يؤكل في سورية يكون طعم قشرهِ حامضاً الى الملوحة اما الحمص الاخضر الذي يؤكل في هذا القطر فلا يكون طعم قشرهِ حامضاً مالحاً

فما سبب ذلك وما هو سبب الحموضة في قشر الحمص السوري

ج · سبب الحموضة في قشر الحمص السوري تجمُّع مادة ملحيَّة من اكسلات البوتاسا الحامض في غدد القشر الخارجي وهذه المادة كثيرة حتى يشعر بها باليد كشيءٍ لزج · والظاهر ان الحامض الاكساليك قليل في التربة المصرية لان كل النباتات الحامضة عادة كالحماض نفسهِ حموضتها قليلة جدًّا في هذا القطر وكثيرة في القطر السوري · ولا يعلم تماماً سبب تجمع الحوامض في النبات ولكن المرجح انها مفيدة لهُ في دفع الحشرات عنهُ فاتفق ظهورها فيهِ فكانت مفيدة لهُ فتكاثر

(١٠) النقطة الثابتة

حامد افندي مصطفى تيمور · من المعلوم ان الاجسام المستديرة كالعجلة مثلاً اذا تحركت حول مركزها فان الاجزاء البعيدة عن المركز تكون حركتها اكثر من حركة الاجزاء القريبة منهُ ومن ذلك يفهم انهُ كلما قربت نقط العجلة الدائرة من نقطة المركز قلت سرعتها وذلك ينتج طبعاً ان هذه الحركة تزول تماماً في نقطة معينة وهي نقطة المركز لان هذا التناقص ينتهي بالزوال مع استمرار العجلة على الدوران والزيادة في سرعة الاجزاء كلما بعدت الى الخارج · فهل يمكننا الآن ان نتصور ان جسماً صلباً متماسك الاجزاء كنصف قطر العجلة مثلاً يتحرك في احد طرفيهِ بينما هو ثابت بغير حركة في الطرف الاخير تطبيقاً لتلك القاعدة والاَّ فكيف يمكننا ان نفهم هذه المسئلة

ج · النقطة الثابتة في المركز هي النقطة الهندسية وهي في الجسم المادي اصغر من كل جزءٍ يمكن البلوغ اليهِ عملاً ومع ذلك لا يتعذر على العقل ان يتصور كونها كرةً صغيرة جدًّا في طرف نصف القطر كالجوهر الفرد من الكهربائية السلبية وان سائر جواهرهِ تدور حولها كما تدور البكرة حول محورها · وتماسك اجزائهِ لا يمنع ذلك لانهُ مهما كانت جواهرهُ قريبة بعضها من بعض ومحشوكة فهي في الواقع بعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً جدًّا بالنسبة الى حجمها · ويمكننا ايضاً ان نقول ان نقطة المركز التي يدور نصف القطر حولها هي نقطة هندسيَّة لا طول لها ولا عرض ولا عمق فلا يتغير موقع طرفهِ مهما دار حولها

(١١) رباعيات ابي العلاء

حصة الغيمي · الخواجه ايليا استبريان · قرأت في الجزء الحادي عشر من سنة ١٩٠٣ من المقتطف عن كتاب رباعيات ابي العلاء ترجمة امين افندي ريحاني الى الانكليزية فاين يوجد هذا الكتاب وباي طريقة يمكن الحصول عليهِ

ج · يمكن ان يطلب من العنوان التالي
Doubleday, Page & Co.
New York.

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في فبراير

	يوم	ساعة	دقيقة
الهلال	٣	٦	٦ مساء
الربع الاول	١١	٠٠	٢٠ صباحاً
البدر	١٩	٤	٢٩ «
الربع الاخير	٢٦	١١	٢٤ «
القمر في الحضيض	٢	٣	٦ صباحاً
« « الاوج	١٣	١٢	٢٤ مساء
« « الحضيض	٢٩	١٠	٤٢ «

السيارات في فبراير

لا يشاهد عطارد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخره

والزهرة والمشتري يكونان كوكبي مساء

والمريخ يشاهد اثناء الليل

وزحل يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً

اللآلئ الصناعية

صنعت لآلئ كبيرة من قبل بأن ملئت كرات رقيقة من الزجاج محلولاً من فلوس السمك فخرجت تشبه اللآلئ الحقيقية كل الشبه بحيث لا يميز الصنفين الا الخبير ولكنها رقيقة شديدة العطب. واسهل واسطة لتمييزها وجود نقطة في اللؤلؤة الصناعية وهي المكان الذي ختمت فيه

والآن يصنعون اللآلئ بطريقة اخرى وهي ان تطلى كرة الزجاج من الخارج بمحلول الجلاتين على نسبة ١٠ في المئة ثم يترك الطلاء ليجف قليلاً وبوضع عليه قليل من فصفات الصودا ويترك ليجف شيئاً فشيئاً فتخرج اللؤلؤة ولها رونق اللؤلؤة الطبيعية . وهذا الرونق ظاهرة بصرية سببها تغضنات متوازية على سطح الجلاتين

رب الورق من حطب القطن

قالت السينتفك اميركان : كان حطب القطن الاميركي يحسب حتى الآن بلا قيمة بل سبباً للمضايقة . فبعد جني القطن كانت الشجيرات تقطع وتحرق وكانت نفقة قطعها وحرقها تقدَّر بنحو ريال في كل طنّ . ولا يغرب عن البال ان كل طنّ قطن يخرج من خمسة طنات من الحطب فلذلك كانت نفقة قطع الحطب وحرقه كبيرة . ولكنهم اكتشفوا الآن طريقة لاستخراج رب الورق من ذلك الحطب وشرعوا في انشاء معمل

لذلك في جرينوود من اعمال ولاية مسوري ·

ولما كانت الياف حطب القطن اقوى من الياف الخشب الذي يصنع رب الورق منهُ فالمقول ان الورق الذي يصنع من حطب القطن امتن مما يصنع من الثاني بكثير فضلاً عن كونهِ ارخص منهُ

ولا ينحصر استعمال رب القطن في عمل الورق بل يمكن استعمالهُ في صنع قطن البارود اذ قد ظهر ان اليافهُ تحتمل الحامض النتريك واما الياف رب الخشب فانها لا تحتمل فعل الحوامض الشديدة

وكذلك يمكن عمل الحرير الصناعي منهُ بان يذاب في خلاَّت الاميل المستقطر من الفحم الحجري فيكون منهُ سائل لزج يمد خيوطاً من كل حجم وطول وهذه تنسج ويصنع منها ملابس · على ان هذه الملابس ليست في متانة الملابس التي تصنع من الحرير الحقيقي ولكن رخصها بالنسبة الى الحرير يقابل قصر عمرها ويزيد

ثم انهُ يمكن تكوين ذلك السائل اللزج ومدُّهُ صفائح · وبعد تجفيفها تظهر كالجلد ويمكن استعمالها مكانهُ في امور كثيرة وان تكن دونهُ متانة · وتمتاز عليهِ بكونها اكثر تجانساً منهُ فلذلك يمكن استعمالها «فلمات» للصوَر المتحرّكة

وعدا ما تقدَّم يستخرَج من رب خشب القطن الالكحول والاسيتون والبروكلسين وكثير غيرها من العقاقير والمواد الكيماوية

ومعلوم ان شجيرات القطن تقطع بعد جني القطن على مساواة الارض فيبقى جزء من الجذوع والجذور مسكناً للحشرات تأوي اليهِ في الشتاء مترقبة مجيء الصيف لتعيث في الزروع مفسدة · ولكن ازالة الجذور لصنع الرب منها تحرم هذه الحشرات مسكنها ومأكلها فتضطر الى مغادرة حقول القطن

وقد بلغ متوسط ما حُرق سنويًّا من حطب القطن في السنين الاخيرة ٧٥ مليون طنّ · وهذا القدر يكفي الصناعة الجديدة ولا سيما ان حطب القطن يوجد كل سنة في حين ان الشجر الذي يصنع الرب من خشبهِ يقتضي نموهُ سنين كثيرة وعناية كبيرة

سكة حديد بغداد

يؤْخذ من الانباء الاخيرة انهُ تمَّ حفر النفق المسمَّى نفق بَغجه على سكة حديد بغداد وهو يخترق جبال امانوس الفاصلة بين الاناضول وسورية من الشمال · وقد كان حفر هذا النفق يحسب اعظم عقبة في سبيل سكة حديد بغداد · وطولهُ ثلاثة اميال فهو لذلك اقصر من كثير من انفاق جبال الالب ولكن المصاعب التي لقيها المهندسون في حفرهِ لم تقلَّ عن مصاعب الانفاق التي هي اطول منهُ · فقد عثروا في خلال حفرهم لهُ على صخر من الصوَّان شديد الصلابة الى

حدّ ان اضطروا ان يستعينوا على نقره بآلات خاصة صنعوها . وبلغ طول ما وقع في طريقهم منهُ بضع مئات من الامتار

هذا وان القطار يمرّ قبل دخول هذا النفق على ثمانية جسور من الفولاذ وفي تسعة انفاق صغيرة

الصواعق في اميركا

يبلغ متوسط قيمة الخسارة العقارية التي تحدثها الصواعق في اميركا كل سنة ثمانية ملايين ريال . ومتوسط الذين تصيبهم الصواعق ١٥٠٠ يقتل ثلثهم . وتسعة اعشار هذه الحوادث تحدث في الارياف

مواليد الذكور والاناث في انكلترا

جاء في بعض الاحصاءات الانكليزية ان متوسط مواليد الذكور في الربع الاول من السنة الماضية بلغ ١٠٣٢ لكل ١٠٠٠ انثى . وفي الربع الثاني ١٠٤٣ ذكراً لكل ١٠٠٠ انثى . وفي الثالث ١٠٥٥ لكل ١٠٠٠ انثى . وهذه الزيادة اعظم زيادة عرفت . ولما كان متوسط مواليد الاناث في انكلترا يزيد على متوسط مواليد الذكور عادةً فقد بحث احد مشاهير الاطباء في سبب تغير هذه النسبة الى عكسها ونشر خلاصة بحثهِ فقال :

« لا يمكن تعليل هذا الانقلاب برأي او بمذهب من المذاهب الشائعة . في الخمسين سنة الاخيرة كانت نسبة مواليد الاناث اعظم بكثير من نسبة مواليد الذكور . والآن نرى ما هو ضد ذلك على خط مستقيم . وهو امر غريب لا يفسَّر بشيء الاَّ بان يد العناية الصمدانية امتدت لحفظ التوازن في الطبيعة على اثر كثرة الذين يقتلون في ساحة الحرب . وقد أُخبرت بان نسبة مواليد الذكور الى مواليد الاناث منذ مايو الماضي بلغت ٣ الى ١ . وسمعت ان ثلاث نساء ولدنَ ثلاثة ابناء بعد ان فقدنَ ازواجهنَّ في الخنادق . واعجب من هذا ان خمسة اخوة قتلوا وكان ثلاثة منهم اطباء فولدت زوجاتهم خمسة ابناء »

قوَّة التلغراف اللاسلكي

تمكن عامل من عمال احدى شركات التلغراف اللاسلكي في جزيرة هونولولو من سرقة تلغرافات عسكرية لاسلكية صادرة من محطة قوية قرب برلين . والمسافة بين المكانين تسعة آلاف ميل وهي اطول مسافة للتلغراف اللاسلكي على ما عرف حتى الآن

كلف الشمس وحرارة الارض

أبان كوبن الفلكي الالماني منذ اربعين سنة وجود علاقة بين كلف الشمس وحرارة الارض . ذلك انهُ كلما كثرت الكلف نقصت الحرارة على الارض بوجه عام وكلما نقصت الكلف زادت الحرارة . وهذا اكثر ما يكون

ظهوراً في الاقاليم الحارَّة · وقد نشر الدكتور ووكر مدير مصلحة المتيورولوجيا الهندية رسالة حديثاً جاءَت مؤَيدة لما رآهُ كوبن · فانهُ قابل بين ارصاد عدد كبير من المحطات المتيورولوجية في انحاء متفرقة من الارض فظهر لهُ ان الحرارة تنقص في معظم المحطات التي في البلاد الحارَّة عندما تكون كلف الشمس على اكثرها · ولكن عكس ذلك يحدث في مساحة واسعة ممتدة من الدائرة المتجمدة الشمالية الى بلاد غرب اوربا

الحياة في الزهرة

نشر مهندس انكليزي منذ بضع سنوات كتاباً عن المريخ فصَّل فيهِ نظام الانابيب والطلبات الذي يجري عليهِ سكان المريخ في زعمهِ لارواء زروعهم · وعاد فنشر اخيراً رسالة عنوانها « هل الزهرة آهلة » ذهب فيها الى انها آهلة وبسط الطرق التي يعمد اليها اهلها لارواء اراضيهم · فقال ما خلاصتهُ ان الزهرة توجه نصفاً واحداً منها الى الشمس على الدوام في حين ان النصف الآخر يبقى منصرفاً عن الشمس دائماً · فاذا سلمنا جدلاً بوجود الماء فيها ترتب على ذلك ان النصف الموجه الى الشمس يكون شديد الحرارة والقيظ والآخر دائم الجمد والظلام · فالمنطقة المأهولة هي ما اصابها نور الشمس من جهة وتاخمت الاقاليم المتجمدة من الجهة الاخرى · وهذه المنطقة يتحول بعض جمدها ماءً بفعل حرارة الشمس فيحصرهُ اهل الزهرة في انابيب يمدونها الى الاماكن التي يريدون ارواءها ولا يحفرون الاقنية والترع كما يصنع اهل المريخ لان شدَّة الحر تحوّل الماء بخاراً

مجموعة جواهر ثمينة

توفي حديثاً احد الاعيان الانكليز وكان قد عني في حياتهِ بجمع الجواهر النادرة فجمع ٢٠٠ حجر كريم وركب اكثرها في خواتم ذهب وهي من ٢١ نوعاً والوان شتى · ومن تلك الانواع ما هو ذو الوان كثيرة فجمع منهُ ٦٩ حجراً من شفَّاف واحمر واغبر واصفر واخضر وازرق على درجات متفاوتة في لونها بين فاتح وغامق · وقد اوصى بهذه المجموعة للمتحف البريطاني فسلمت اليهِ وعرضت فيهِ

تصوير قلب البحر

اخترع بعضهم آلة لتصوير الحيوانات السابحة في قلب البحر وعرض بالسينما صوراً اخذها في بحر بهاما · منها صور بعض الاسماك التي تقطن الصخور المرجانية · وصور صيادي الاسفنج · وكلاب البحر حائمة على فرس ميت دلاَّهُ المصور خصيصاً امام الآلة وهي مغطسة في الماء · وصورة نزال جرى بين المصور واحد تلك الكلاب

اما الآلة فمؤلفة من غرفة كبيرة ذات

شبابيك زجاجية ومجهزة بما يلزم من هواء ونور ومتصلة بقارب خاص فيجلس فيها المصور وينزل بها الى قاع البحر ويصور ما يشاءه من المناظر التي تعرض له ٠ ويدعي المخترع انه يستطيع باختراعه هذا استخراج الاشياء الثمينة من السفن التي تغرق في مياه قليلة العمق باسهل من الطرق المعتادة لاستخراجها

مقاومة مرض النوم

يستدل من تقارير قناصل البرتوغال في جزيرتي سان توما وبرينسيب ان الحكومة نجحت في استئصال ذبابة تسي منهما وهي الذبابة التي تسبب مرض النوم ٠ ومن الوسائط التي عمدت اليها لاستئصالها انها كانت قد عينت جائزة قدرها ريال عن كل ذبابة تمسك ثم رفعت الجائزة الى خمسة ريالات سنة ١٩١٤ ومع ذلك لم يمسك احد ذبابة منذ ١١ ابريل من تلك السنة مما يدل على انقطاع دابرها ٠ وبلغ عدد الذباب الذي امسك في تلك السنة قبل التاريخ المذكور ٣٤ ذبابة

الاقتصاد في طعام الانكليز

اصدر استاذان من كمبردج رسالة فيما يستطيع سكان انكلترا ان يقتصدوا فيه من طعامهم مراعاة للاحوال الحاضرة التي بلغت نفقات الامة فيها قدراً هائلاً بسبب الحرب ٠ ومما قالا في تلك الرسالة ان الامة الانكليزية تنفق على طعامها ٦٠٠ مليون جنيه في السنة ولا تستطيع ان تقتصد اكثر من عشر هذا المبلغ مع مراعاة الصحة العامة ووجوب المحافظة على حسن تغذية الاطفال مهما تبلغ نفقة ذلك ٠ وهذا العشر اي ٦٠ مليوناً قدر عظيم ولكنهُ ليس الا كسراً صغيراً من المبلغ الهائل الذي يجب اقتصادهُ في هذا الزمان الذي تنفق فيه الملايين كما كانت تنفق الالوف قبلاً ٠ ومعلوم ان الامة الانكليزية كانت توفر قبل الحرب ٤٠٠ مليون جنيه كل سنة على التعديل ولكن الحرب تضطرها ان تقتصد ١٦٠٠ مليون جنيه كل سنة اذا شاءت المحافظة على مركزها المالي والاقتصادي ٠ فلا غنى والحالة هذه من الاقتصاد من ابواب غير باب الطعام

جوائز نوبل

منحت جائزة نوبل في الكيمياء عن سنة ١٩١٤ للاستاذ رتشردس الاميركي من اساتذة جامعة هارفرد وجائزة الطبيعيات للاستاذ لو الالماني من فرنكفورت ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩١٥ الماضية للاستاذ براج الانكليزي وللمستر براج ابنه معاً ٠ وجائزة الكيمياء للاستاذ فلستاتر الالماني

مقابلة بين علماء انكلترا وفرنسا والمانيا

لما قام بعض رجال العلم في انكلترا وفرنسا يصغرون قدر علماء الالمان وقام هؤلاء يقابلونهم بالمثل كما اشرنا الى ذلك في موضع آخر كتب الاستاذ طمسن الانكليزي من اساتذة جامعة ابردين مقالة قال فيها ان كلاًّ من انكلترا وفرنسا والمانيا خدمت العلم خدمة متشابهة في مقدارها كأنهن خيل رهان تجري في صف واحد لا يجلّي فيهِ فرس ولا يقصر فرس . ثم عدّ مشاهير رجال العلم في انكلترا ووضع قبالتهم العلماء الفرنسويين والالمان الذين اشتهروا اشتهارهم في فروعهم المختلفة . وهذه اسماؤُهم مع من يقابلهم

الانكليز	الفرنسويون	الالمان
بلفور	لاكاز دوتيه	رو
دلتون	لافوازيه	بنصن
داروِن	لامارك	كبلر
دافي	لجندر	وبر
فارادي	فوريه	كلوزيوس
فتزجرالد	بكريل	هرتس
فوستر	كلود برنار	لدويج
غلتون	دلاج	ويسمن
جرام	برتلو	ليبج
جرين	جالوى	جيجنبور
هنتر	كوفيو	همبولت
هارفي	بيشا	سكس
هوكر	دي جسيه	هيكل
هكسلي	بوفون	ماير
جول	كارنو	بيرنغ
جنر	بورديه	هلمهولتز
كلفن	لابلاس	يوهانس
لنكستر	جيار	مولر
لستر	باستور	فرخو
لودج	امبير	اوهم
مكسول	بوانكاره	بولتسمان
روس	لافران	كوخ
بردن سندرصن	برون سكار	بواريون
سبنسر	برجس	لوتس
وليم سمث	جودري	سواس
ستوكس	لاغرانج	كنتور
جوزف طمسن	كوشي	كرشوف
ولدن	كتليه	زتل
ريط	ريشه	ارليخ

وقد انتقد بعضهم استثناءهُ الفيلسوف نيوتن الرياضي الانكليزي الشهير من صف العلماء الانكليز وتجاهلهُ الفرد رسل ولس وكذلك استثناءهُ كنت من صف العلماء الالمان . وذكرهُ في هذه القوائم علماء اجدر منهم بمكانهم علماء آخرون لم يذكرهم مثل برجس الفرنسوي وكان احق بمكانهِ كونت

استعمال الكسب علفاً

قالت مجلة نانشر : كثر استعمال كسب القطن علفاً للخيل والمواشي والغنم وهو يفيدها اذا قدم اليها كميات معتــدلة منهُ ومع ذلك فقد تسمّ بهِ وتموت اذا لم تعوَّد الاكل منهُ شيئاً فشيئاً . وقد علفت بهِ الخنازير فمات كثير منها فلذلك تجد مربي الماشية عامة لا يقدمونهُ علفاً للخنازير. اما المادة السامة فيهِ فاسمها جوسيبول اكتشفها مارشلوسكي سنة ١٨٩٩ واخذ بعضهم امتيازاً باستعمالها صباغاً وهي توجد في الغدد الصمغية من بزور القطن وفي الطبقة التي بين القشرة والمادة الخشبية من الجذور . ويسعى الكيماويون الآن في تدبير واسطة لابطال فعل هذا السمّ . والمعروف انهُ يمكن تأكسدهُ بسهولة لابطال ضررهِ وكذلك يمكن ابطال ضررهِ بمزجهِ باملاح الحديد ولكن غلاف الخلايا في البذرة يمنع فعل هذه الاملاح فلا بدَّ من اكتشاف طريقة عملية لايصال فعل الاملاح الى الخلايا

حالة جوف الارض

خطب ثلاثة من العلماء الاميركيين في الجمعية الفلسفة الاميركية وكان موضوع خطبة الاول وهو الاستاذ تشمبرلن « جوف الارض في نظر الجيولوجي » وخطبة الثاني وهو الاستاذ ريد « نتيجة المباحث الخاصة بالزلازل وعلاقتها بهذا البحث » . والثالث وهو الدكتور هايفورد « الارض في نظر الجيولوجي والطبيعي » . وقد اتفقوا على القول ان الادلة المتعددة المأخوذة من الجيولوجيا وعلم الزلازل والمدّ والجزر تدل على ان جوف الارض موءلف من مادة جامدة او صلبة مرنة . وانهُ ان كان هناك بقع تحتوي مادة سائلة او لزجة فهي بقع صغيرة لا يعبأ بها

المطر في السودان

بلغ المتوسط السنوي لما وقع من المطر في مدن السودان في السنين الاخيرة حتى سنة ١٩١٤ ما تراهُ في هذا الجدول

الخرطوم	٤,٧٦	البوصة
سواكن	٧,٩٥	«
الدويم	١١,٣٤	«
كسلا	١٢,٦٠	«
الأُبيِّض	١٥,٠٠	«
ود مدني	١٥,٤٣	«
سنجا	٢٠,٥٥	«
كدك	٢٩,٧٦	«
منجلا	٣٦,٩٣	«
واو	٤١,١٤	«
غمبيلا	٤٦,٥٧	«

اصلاح خطإٍ

كتب الينا حضرة الشيخ احمد ابو علي امين مكتبة الاسكندرية انهُ لم يسأل المسائل التي نسبت اليهِ في الجزء الماضي

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والاربعين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والاربعين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤

اليابان ومجد الشرق

الحق للقوة وكل قول يناقض هذا القول لغوٌ ومخافة ما دامت عقول الناس واعمالهم على ما هي عليهِ الآن

قتل صربي ولي عهد النمسا وزوجتهُ فارغت النمسا وازبدت وافتأتت على السرب وطلبت منها ما يطلبهُ القوي المستبد من الضعيف المستكين وايدتها المانيا. فتنصلت السرب مما اتُهمت بهِ ورضيت ان يرفع الخلاف الذي بينها و بين النمسا الى محكمين يحكمون بينهما فابت النمسا ذلك وشهرت الحرب عليها

وطلبت المانيا من البلجيك ان تسمح لها باجتياز بلادها لمحاربة فرنسا فابت فدوَّختها ودكت حصونها وخرَّبت مدنها

منذ احدى وعشرين سنة وقعت الحرب بين الصين واليابان وانتهت بفوز اليابان واستيلائها على شبه جزيرة ليوتنج فنهضت المانيا واعترضت عليها وحملت روسيا وفرنسا على مشاركتها في الاعتراض فاضطُرت اليابان ان تنكص على عقبها وترضى من الغنيمة بالاياب لكنها حفظت من ذلك درساً لا تنساهُ وهو ان الحق للقوة وبذلت جهدها في الاستعداد برّاً و بحراً فكالت لروسيا الصاع صاعين فعظم شأنها في عيون الاوربيين حتى صار غوانيهم يتباهين بتقليد اليابانيات في ملابسهنَّ . ولم تكد الحرب الاوربيَّة تنشب حتى جاء دورها للاخذ بالثار من المانيا . فان المانيا كانت قد وضعت يدها على ميناء كياوشاو وما يطيف بهِ من البلاد الصينية بحجة ان الصينيين قتلوا اثنين من المرسلين الالمانيين ويجب تأديبهم وتأديب حكومتهم . ثم جعلت تحصن هذا الميناء والآكام التي حولهُ حتى جعلتهُ امنع من عقاب الجو

قاصدة ان تجعلهُ مفتاحاً لسلطنة شرقية واسعة فتلقي بذار الشقاق في مملكة الصين حتى تتداعى اركانها فتختطف منها ما تستطيع اختطافهُ قبلما يسبقها غيرها اليهِ ومَن حضر السوق باع واشترى . ولكن اسمع ما ذا جرى وكيف يستعزُّ القوي بقوتهِ فان اليابان قامت في بداءة هذه الحرب وطلبت من المانيا ان تخرج من كياوشاو بقضها وقضيضها وصاغت صورة هذا الطلب كما لو كان امبراطور المانيا نصَّهُ بنفسهِ لدولة من اصغر الدول فانها قالت فيهِ ما ترجمتهُ :

« اننا نرى انهُ من اهم ما يُطلَب منا واوجبهِ في الاحوال الحاضرة ان نزيل كل سبب يدعو الى تكدير كاس السلام في الشرق الاقصى وان تحمي المصالح العمومية التي يرمي اليها الاتفاق المعقود بين اليابان وبريطانيا العظمى

« وترى الحكومة اليابانية ان حفظ السلام الدائم في شرق اسيا الذي هو الغرض المقصود من ذلك الاتفاق يضطرها ان تشير على الحكومة الالمانية بعمل ما يأتي

« اولاً ان تخرج حالاً سفنها الحربيَّة والمسلحة مهما كان نوعها من كل البحار اليابانية والصينيَّة وان تنزع الاسلحة من كل سفنها التي لا تستطيع اخراجها

« ثانياً ان تسلّم لمأموري اليابان كل بلاد كياوشاو قبل ١٦ سبتمبر من غير شرط او طلب تعويض على ان تعاد تلك البلاد اخيراً الى الصين

« واذا لم يصل الى الحكومة اليابانية جواب من الحكومة الالمانية حتى ظهر الثالث والعشرين من شهر اغسطس تقول فيهِ انها قبلت مشورة اليابان من غير قيد ولا شرط فاليابان تعمل ما تراهُ لازماً في الاحوال الحاضرة »

فاستخفَّت المانيا بطلب اليابان ولم تجبها اليهِ صلفاً وخيلاءَ لان بوارج اليابان من اقوى البوارج ومدافعها من اكبر المدافع وقوادها من امهر القوّاد بفنون الحرب وجنودها من اشجع الجنود في مواقع الكر والضرب فلا اسهل عليها من ان تنال مطالبها بالرغم عن انف المانيا بالقوة ان لم تنلها برضاها . وارسل امبراطور المانيا رسالة برقية الى نائبهِ في كياوشاو يأمرهُ ان يتشدَّد ويتصلَّب حتى تذكر القرون المقبلة ثباتهُ بالاعجاب والاطناب . ولكنهُ آب بالخيبة لان حصونهُ المنيعة لم تقوَ على قنابل اليابان وبسالة رجالهِ لم تفق بسالة اليابانيين

هذا عمل واحد من اعمال ثلاثة قامت بها اليابان في هذه الحرب ولعلهُ اقلها شأناً والعملان الآخران اولهما حماية سفن الحلفاء التجارية في الاوقيانوس الباسيفيكي والشرق

الاقصى من السفن الالمانية الحربية وحماية مستعمرات الحلفاء كلها في تلك البحار الواسعة . فان السفن الحربية الانكليزية والفرنسوية شُغلت في البحر الشمالي والاوقيانوس الاتلنتيكي والبحر المتوسط . والسفن الروسية لم تستطع الخروج من البلطيق والبحر الاسود فلم تستطع هذه الدول الثلاث ان ترسل بوارجها لحماية متاجرها ومستعمراتها في الشرق الاقصى والاوقيانوس الباسيفيكي فاناطت ذلك باليابان فقامت بهِ خير قيام ولولاها لاستطاع الالمان ان يقضوا على تجارة الحلفاء في تلك البحار كما قضى الحلفاء على تجارتهم فلليابان فضل كبير على حليفاتها من هذا القبيل

و يضاف الى ذلك ان السفن التجارية الانكليزية كانت تنقل الجنود من الهند واستراليا ولا تزال كما تنقل المتاجر والغالب انها كانت تفعل ذلك بحماية البوارج اليابانية الى ان قطع دابر البوارج الالمانية من بحار المشرق وهذا مما يزيد فضل البوارج اليابانية و يثبت ان اليابان خدمت حلفاءها في هذه الحرب افضل خدمة

والعمل الثاني تقديم الذخيرة لروسيا فان الحلفاء دخلوا هذه الحرب غير مستعدين لها . ولو امهلتهم المانيا ليستعدوا لما خطر ببالهم ما هو الاستعداد المطلوب من حيث المدافع والقنابل والغازات الخانقة والاسلاك الشائكة لا في نوعها ولا في مقدارها فانهُ لم يخطر ببالهم ان المدافع التي يزن المدفع منها خمسين طناً او ستين يمكن ان تنقل الى ميادين القتال لتدك بها حصون السمنت والحديد . ولا خطر لهم ان يحشوا مدافعهم بقنابل تتفجَّر فتدك الجبال وتحفر في الارض شبه البراكين . ولا قام في نفوسهم ان يسمُّوا الهواء بالغازات و يميتوا خصومهم اختناقاً بعد ان يجرعوهم غصص المنون ولم يخطر لهم ان يسلحوا كل جيش من جيوشهم بالوف من المدافع ومئات الالوف من القنابل ولا ان يتحصنوا وراء غابات من الاسلاك الشائكة كما فعل الالمان في كل ذلك فادهشوا ام الارض

فهذه الاسلحة في نوعها ومقدارها لم تخطر ببال الحلفاء ولذلك كانت المانيا واثقة بالنصر وخصومها عنها غافلون فلم يمضِ على الحرب ايام كثيرة حتى نفد ما عندهم من الذخيرة او كاد فهبَّ الانكليز والفرنسويون الى تدارك ما فات وحوَّلوا مصانعهم كلها الى دور صنعة لعمل الذخيرة وهي كثيرة وصناعها ماهرون ولكن روسيا ليست كذلك في المصانع والصنَّاع وجيشها عرمرم وكان يحارب الالمان والنمسويين في اماكن كثيرة وميادين طويلة فاضطرت ان ترتد على اعقابها بعد ان كان الفوز لها وما ذلك الاَّ لنفاد ذخيرتها . وقد كان الحلفاء يمنون انفسهم بايصال الذخيرة اليها من اوربا بطريق الدردنيل فسبقتهم المانيا الى محالفة تركيا

واوقعت الحرب بينها وبين روسيا . وللحال نهضت اليابان بمعاملها الكثيرة وجعلت تسبك المدافع وتصنع القنابل وتبعث بها من اقصى المشرق الى غربي روسيا وهذا سر ثبات الروس وعودهم الى اتخاذ خطة الهجوم بعد الانخذال

ونحن الشرقيين لا يسعنا الاَّ المباهاة بما فعلتهُ الامَّة اليابانية لانها اثبتت للاوربيين ان الشرقي لا ينقص عن الغربي في شيء اذا اتيح لهُ كسر قيود التقليد فان اليابانيين — وهم امَّة قديمة ذات تاريخ مجيد بين الامم الشرقية وقد اشتهرت باتقان الزراعة والصناعة والعلوم والفنون — لم يروا حطة من شأنهم ان يطرحوا تقاليدهم ويجاروا الاوربيين ويتعلموا منهم حتى يباروهم . ولا بدَّ للمرء ان يتجرَّد من كل ما يعيقهُ اذا اراد ان يباري المحاضير

وقد يظن لاول وهلة ان اليابان اشترت كل بوارجها ومدافعها وسائر اسلحتها من اوربا وهذا غير الواقع نعم قد اشترت كل اسلحتها اولاً وسفنها الحربية من اوربا ثم بعثت بابنائها الى معامل اوربا واميركا فتعلموا فيها كل ما يلزم لبناء البوارج وعمل الاسلحة وعادوا الى بلادهم وانشأوا المعامل واستخرجوا الحديد والفحم من مناجمهم وجعلوا يبارون الاوربيين وكادوا يستقلون عنهم

دخلنا معمل ارمسترنج ببلاد الانكليز منذ بضع سنوات وجعل مديرهُ يرينا كيفية سبك المدافع التي زنة المدفع منها خمسون طنًّا فاكثر وصفائح الفولاذ التي تستعمل لتدريع البوارج وكانت تلك المدافع وهذه الصفائح ترفع بروافع بخارية وتنقل من جهة الى اخرى في ذلك المعمل الوسيع . ثم وقف امام رافعة فيها وقال لم يسبقنا الاَّ اليابانيون فان روافعهم ترفع الاثقال بالكهربائية لا بالبخار تعلَّم صنَّاعهم في هذا المعمل ثم عادوا الى بلادهم وبنوا مثلهُ وجروا فيهِ على احدث المخترعات واكثرها اتقانًا فقلنا في انفسنا . حقًّا لقد اعادت اليابان مجد المشرق بالعلم والقوة وكسر قيود التقليد

وما اليابانيون بافضل طينة من غيرهم من امم المشرق ولكن قضت احوال الزمان ان يرضخ غيرهم لقوانين وسنن وتقاليد تضعف الهمم وتمنع نصف الامة ممَّا يلزم لتقوية الاجسام والعقول . فعسى ما جرى هذا العام والذي قبلهُ ان يكون عظة لنا حتى نزيل كل ما يحول دون تشبهنا بتلك الامَّة النشيطة

المجمع الاوربي ومغزاهُ (١)

في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨١٥ اجتمعت الجيوش المحالفة على نبوليون بونابرت اي جيوش انكلترا وروسيا والنمسا و بروسيا قرب شالون فاغتنم القيصر اسكندر قيصر روسيا تلك الفرصة لحث حلفائهِ على العمل بمشروع طالما كان يمني النفس بتحقيقهِ ولاسيما بعد ما عقدت محالفة ١٤ سبتمبر التي سماها المحالفة المقدسة

فان جيوش الحلفاء احتلوا باريس مرة ثانية وكانت حرب المئة اليوم قد انتهت بمعركة ووترلو · وبات نابليون اسيراً في ايدي الانكليز وملوك اوربا ورجال حكوماتها يتداولون في وضع شروط سلم كانوا يرجون ان يكون سلماً دائماً لاوربا عامة ولفرنسا خاصة · وكان قد اتى على اوربا ربع قرن لم تخمد فيهِ حساماً الاَّ في فترات وجيزة · واستعرت نار القتال في فرنسا وهولندا وايطاليا وجرمانيا والبرتوغال واسبانيا وروسيا ومصر وعلى متون البحار حتى تهدم نظام الحكومات الاوربية وتركت الحواضر والبوادي اطلالاً دارسة بمنازلها وحقولها · وناء الخلق بالاعباء العسكرية والمالية

وكان القيصر اسكندر رقيق القلب شديد الانفعال · رأى تلك الحالة فآلمتهُ فقال في نفسهِ ان الفرصة قد سنحت لوضع العلاقات الدولية على اساس مكين وربما لن تعود هذه الفرصة ابد الدهر فاتفق هو وملك بروسيا وامبراطور النمسا على المحالفة المقدسة المشار اليها آنفاً · ومما جاء في بنودها قولهم :

« لاغرض لموقعي هذه المعاهدة الاَّ اعلان عزمهم على الاسترشاد بقواعد الديانة المقدسة وهي العدل والمحبة والسلام · ولا يكتفى بالعمل بها في الشؤُون الخاصة بل لا بد للملوك والامراء من الاسترشاد بها لتسديد خطاهم · وسيبقى هؤُلاء الملوك الثلاثة مرتبطين بربط الاخاء الصادق الذي لا تنفصم عراهُ ».

على ان النقاد المعاصرين والمتأخرين هزأوا بهذه المحالفة فقال مترنيخ (٢) عنها انها طبل فارغ ولكنهُ كبير الصوت · وقال كسلري (٣) انها آية في الابهام والسخافة وشك في صحة

---

(١) The Concert of Europe خلاصة مقالة نشرت في مجلة القرن التاسع عشر للمستر ماربوت

(٢) Prince Metternich سياسي نمسوي شهير (١٧٧٣ - ١٨٥٩)

(٣) Castlereagh وزير انكليزي (١٧٦٩ ١٨٢٢)

عقل واضعها. وارتاب كاننغ[1] في حسن نيتهِ واخلاصهِ. ولا بدع ان ينكر النقاد على القيصر اسكندر ما فعل ويشتبهوا في سلامة نيتهِ وصدق طويتهِ بعد ما اشتهر عنهُ من الاقدام على المتناقضات والميل مع كل هوى والانقياد لكل عامل ومؤثر. ولم تكن لغة المعاهدة مما يرضي اهل السياسة لانهم لم يعتادوها فلذلك لم يفهموها. فلا بدع اذا ظنوا انهُ جيء بها خصيصاً لستر مطامع ومآرب شائنة

ومع ذلك كلهِ لم يشكّ اهل الرأي في ان القيصر اسكندر كان عند اعلان تلك المحالفة حسن النية على قدر ما يكون رجل مثلهُ عرف بتقلّبهِ وتعدد مقاصدهِ. ولم يكن اول ساعٍ الى تعزيز السلام ونشر لوائهِ على العالمين بل ان هذا الغرض كان نصب عيون كثيرين ثم جاء الاقتراح المسمى «المقصد الاعظم» وهو اقتراح لا يعرف صاحبهُ بالتحقيق ولكنهُ ينسب الى احد ثلاثة — هنري الرابع ملك فرنسا او وزيرهُ سلي او الملكة اليصابات الانكليزية. وفحواهُ انشاء اتحاد اوربي يكون لهُ مجلس مشترك يفصل في الخصومات الدولية

وفي سنة ١٧١٣ نشر القس «سان بيير» الفرنسوي كتاباً في السلام العام اقترح فيهِ ان يتحالف ملوك اوربا محالفة دائمة وينشئوا مؤتمراً يرسلون اليهِ مندوبين من قبلهم ويعهد الى هذا المؤتمر في تعيين المسائل التي تجيز للدول ان تقاطع الدولة المعتدية وتتحد عليها حتى تخضع للمشيئة العامة المشتركة

وسنة ١٧٩٥ اصدر الفيلسوف كَنت الالماني نشرتهُ المشهورة بعنوان السلام الدائم اقترح فيها امرين لبلوغ هذه الغاية: الاول ان تكون هيأة كلّ حكومة جمهورية ولا يلزم ان تكون الجمهورية ديموقراطية بل يجوز ان تكون ملكية في شكلها ولكن يجب ان تكون نيابية. والثاني ان يبنى قانون الامم على اتحاد يعقد بين البلدان الحرة. قال «وغاية ما يتمنى كل ملك ان ينال السلام الدائم باخضاع العالم لهُ. ولكن الطبيعة تريد غير ذلك»

وكان القيصر اسكندر قبل هذا المسعى قد انتدب صديقهُ نوفوسلتسوف للسفر الى انكلترا والسعي في تأييد السلام العام وزودهُ بتعليمات اقترح فيها عقد معاهدة تكون اساساً للعلاقات المتبادلة بين دول اوربا وتُعيّن بها حقوق الامم فلا يقدم فريقان على حرب ما لم يفرغ فريق ثالث جعبة حيلهِ في التوفيق بينهما ويرجع بالفشل. فكان جواب الوزير

(١) Canning وزير انكليزي وخطيب مشهور (١٧٧٠ – ١٨٢٧)

بت[1] الصغير على ذلك ان عواطف روسيا مطابقة لعواطف انكلترا في هذا الامر واعرب عن رغبتهِ في توثيق عرى الاتحاد مع روسيا وضمان سلامة اوربا. ثم حدد الاغراض التي يجب ان تكون نصب اعين الفريقين فاذا هي ما يأتي : (١) تضييق حدود فرنسا وارجاعها الى ما كانت عليهِ سنة ١٧٩٢ . (٢) ضمان السكينة والرخاء للبلاد التي تسترد من فرنسا واقامة حاجز يحول دون تبسطها في المستقبل . وختم جوابهُ بقولهِ :

« ولا غنى عن عقد معاهدة عامة تضمن بها كلٌّ من دول اوربا املاك الاخرى وتكون اساساً للحق العام ورادعاً يردع كلَّ حركة توجه في المستقبل لاقلاق الراحة العامة وتقضي على كل عمل من اعمال التبسط والفتح مما جر على اوربا جميع الكوارث التي انتابتها بعد الثورة الفرنسوية »

***

ولنبحث الآن في سير اعمال المجمع الاوربي فنقول :

انقضت سبع سنوات ولا همَّ لذلك المجمع الاَّ التحكم في مجرى العلاقات الدولية بمؤتمرات يعقدها . فعقد اولها في اكس لا شابل سنة ١٨١٨ وشهدهُ امبراطورا روسيا والنمسا وملك بروسيا وكان بين الحضور مترنيخ وهاردنبرج[2] ونسلرود[3] ودوق ريشليه[4] — وقد جاء هذا الاخير ليطلب الجلاء عن فرنسا — وكسلري وولنجتون[5] فاقترح ولنجتون الجلاء عن فرنسا فوافق المؤتمر على اقتراحهِ واصبحت فرنسا بعد ذلك عضواً في المجمع الاوربي فصارت المحالفة الرباعية التي عقدت سنة ١٨١٥ محالفة خماسية ادبية كما سميت حينئذٍ

وكانت نتيجة هذا المؤتمر تجديد محالفة سنة ١٨١٥ ولكن بشروط اعمَّ من الاولى . فاستقرَّ الرأي ان لا يلجأ الى عقد المؤتمرات الاَّ عند الضرورة القصوى . وبمساعي كسلري مندوب انكلترا نسخت الفكرة القائلة بان يكون للدول العظمى حق مراقبة الشؤون الداخلية في بلاد جاراتهنَّ الصغرى او ان يحق لكل منهنَّ ان تراقب شؤون غيرها الداخلية

(١) William Pitt وزير انكليزي مشهور (١٧٥٩ - ١٨٠٦)

(٢) Hardenberg سياسيٌّ بروسيٌّ (١٧٥٠ - ١٨٢٢)

(٣) Nesselrode سياسي روسي (١٧٨٠ - ١٨٦٢)

(٤) Duc de Richelieu سياسي فرنسوي (١٧٦٦ - ١٨٢٢) وهو غير الكردينال ريشليه المشهور وزير لويس الرابع عشر

(٥) Duke of Wellington قائد ووزير انكليزي مشهور وهو قاهر نبوليون في معركة ووترلو (١٧٦٩ - ١٨٥٢)

وسنة ١٨٢٠ شبت نيران الثورة في اسبانيا والبرتوغال وجنوبي ايطاليا · فعزم مترنيخ على قمع ثورة نابلي بالقوة طبقاً للمعاهدات التي تخوله هذا الحق · وعزم القيصر اسكندر ايضاً على تأييد القوة المطلقة في اسبانيا والبرتوغال عملاً بمبادئ مترنيخ ولكن من غير ان يكون لهُ الحق الذي لمترنيخ على انهما كليهما لجأا الى الجمع الاوربي طالبين موافقتهُ على ما ينويان · فعقد مؤتمر في تروبو سنة ١٨٢٠ للنظر في هذه الحالة حضرهُ كسلري من قبل انكلترا وكان قد عقد العزم على معارضة مترنيخ والقيصر فيما يطلبان · وانقضى هذا المؤتمر بخروج انكلترا منهُ وعود المحالفة المقدسة بين امبراطوري روسيا والنمسا وملك بروسيا الى عهدها السابق فاصدر هؤلاء الثلاثة البروتوكول المعروف باسم بروتوكول تروبو وقالوا فيهِ :

« ان البلاد التي تحدث فيها ثورات تقلب شكل حكومتها وتهدد البلاد الاخرى تبطل ان تكون عضواً في المحالفة الاوربية وتبقى خارجها حتى يضمن النظام ويستتب الامر فيها لكن اذا كان ما حدث فيها من الانقلاب يهدد البلاد الاخرى بخطر عاجل فالواجب على الدول العظمى المرتبطة بهذا العهد ان تلجأ الى الوسائل السلمية او الى السلاح اذا اقتضى الامر لاعادتها الى حضن المحالفة العظمى »

اما مندوب انكلترا فاعترف بانهُ يحق للنمسا ان تتداخل في امر نابلي ولكنهُ ذمَّ المبدأ المتضمن في بروتوكول تروبو بحجة ان ذلك يفضي الى التوسع في التعرض لشؤون البلاد الاخرى مما لا يتفق مع المصلحة العامة ولا مع سلطة الملوك المستقلين · ولكن مترنيخ لم ينثن عن عزمهِ فانفضَّ المؤتمر من تروبو على ان ينعقد في ليباخ من اعمال النمسا · ودعي اليهِ فرديننند صاحب نابلي ليعطي حساباً امامهُ عن اعمالهِ مع رعاياهُ الثائرين · فصدر الحكم بان تتولى النمسا اعادة الامن الى نصابهِ في جنوب ايطاليا · فسيرت الى نابلي ٥٠ الف جندي فقمعوا الثورة الدستورية بيد من حديد واقيمت في نابلي حكومة وصفها غلادستون فيما بعد بقولهِ انها « فضيحة على الدين والحضارة والمروءة والادب»

وفي سنة ١٨٢٢ عقد مؤتمر فيرونا وهو آخر المؤتمرات من نوعهِ فحضرهُ ولنجتون مندوباً من انكلترا بعد وفاة كسلري · وكان كسلري قد اقتصر على معارضة المحالفة المقدسة واعمالها بالكلام اما كاننغ وزير الخارجية حينئذٍ فما زال يعمل حتى فصم عروتها · ذلك ان ولنجتون صرَّح بلسانهِ امام اعضاء المؤتمر قائلاً « ان انكلترا لا تعطف على اهل الثورة ولا تمدُّ اليهم يداً للمساعدة ولكنها مع ذلك تصرُّ على ان يكون للامم المختلفة حقٌّ في تنصيب الحكومة التي يختارونها وفي ان يتركوا احراراً في ادارة شؤونهم ما داموا لا يتعرضون

لشؤُون غيرهم . فاذا قرَّ رأي المؤتمر على معاملة اسبانيا بالقوة فان انكلترا تتنحى عن ذلك العمل ولو آل الامر الى فضّ المحالفة »

وكان ذلك ختامها وختام الجمع الاوربي فان دوق ولنجتون اوقف الدول عن التعرض لاسبانيا بالقوة . وبقي اعضاء المحالفة المقدسة يعملون معاً حتى سنة ١٨٢٥ حينما مات القيصر اسكندر وخلفهُ اخوهُ القيصر نقولا فماتت المحالفة معهُ

***

وانتقل الكاتب الى بيان مغزى كلامهِ عن الجمع الاوربي القديم وعلاقة ذلك بالحالة الحاضرة فقال :

« يرجو الكثيرون ان لا يمضي زمان طويل حتى يعقد مؤتمر للسلام بعد حرب اعظم هولاً من الحرب التي انتهت سنة ١٨١٥ . وسيكون همّ ذلك المؤتمر افراغ العالم في قالب جديد بعد النار التي يمحّص فيها الآن . ولا بدّ لهُ من اقامة تخوم جديدة والغاء تخوم قديمة . وسدّ مطامع وطنية على قدر الامكان . والجمع بين مطالب متناقضة . وزد على ذلك كلهِ ان شعور العالم المشترك يرغمهُ على تجديد السعي بشكل من الاشكال في الوصول الى الضمان اللازم لعدم حدوث كارثة اخرى مثل الكارثة الهائلة التي تجتاح العالمين الآن وبناء السلام العام على اسس دائمة لا تتزعزع اركانها

« وقد شرع كثيرون من كبار القلوب والعقول يبحثون منذ الآن عن السبيل المؤدي الى ذلك . وتراهم مجمعين على بعض الامور مختلفين رأياً في غيرها . فما اجمعوا عليهِ انهُ يجب ان تحترم مشيئة كلّ مملكة يبحث في شؤُونها وتابعيتها وان تكون مصلحتها فوق كل اعتبار . ولكن كيف تعرف مشيئة هذه المملكة او تلك وباي مسبار تسبر ؟ . فمن المشهور والمعترف بهِ ان استفتاء اهل ولايتي الالزاس واللورين مثلاً في مصيرهم طريقة لا ترضي احداً . ومن رأي احد العارفين ان خير سبيل الى الحلّ المرضي هو تعيين لجنة مختلطة خالية من الغرض ولكنهُ لم يبين لنا كيفية تعيينها ولا كيفية انفاذ احكامها ويرى كثيرون وجوب عمل كلّ شيء في الجهر اي ان تقام المفاوضات الدولية على مرأى من المجالس النيابية ومسمعها . ولكن الخبيرين يقولون لك ان الطريقة المسماة « بالسياسة السرية » خير من السياسة الجهرية لان الاولى منهما اجّلت الحرب الحاضرة بضع سنين ولم تسببها ولا عجلتها كما يقول بعض المتخرصين . وزد على ذلك اننا علمنا بالاختبار ان المفاوضات العلنية لم تجدِ نفعاً في حلّ مشاكل العمال وارباب الاعمال عندنا . ومتى عرفت اسرار الوزارات الاوربية في حينها

فسترى الاجيال المقبلة ما للمداولات السياسية السرية من الفضل في حل مشاكل الامم

وقد ادرك العقلاء في القرنين الماضيين ان الحكومة المستقلة المنفردة لا يمكن ان تكون غاية الغايات في النشوء السياسي وانهُ لا غنى للحكومات المختلفة من انشاء اتحاد سلمي وعرض اسباب النزاع والشحناء بينهن على محكمة ذات قوة كافية لانفاذ احكامها. ومن تأليف بوليس مختلط لارغام الدولة المتشبثة بعنادها . كذلك ادركوا ان في الامكان انشاء اتحاد من الحكومات المستقلة على مرّ الزمان

ويقال في ختام هذا البحث انهُ ما من وسيلة مادية مهما بلغ من اتقانها نستطيع ان تنيلنا هذه الغاية التي هي امنية كل رجل بارّ عاقل بل لابدّ من ثورة ادبية اصعب مراساً واشدّ مساساً بالجوهر . فقد قيل انهُ لما عرض القس « سان بيير » اقتراحهُ المشار اليهِ آنفاً على الكردينال فليري قال « هذه فكرة بديعة لولا اغفال امر واحد . فانهُ لم يذكر فيها شيء عن ارسال الرسل لتغيير قلوب الملوك والامراء » . والحق يقال انهُ مهما بلغت وسائلنا من الكمال والاتقان فلا تفي بالغرض الاَّ اذا حسبت حساباً لانتداب اناس يغيرون قلوب الامم فحينئذٍ تنجح محالفتهم حيث اخفقت المحالفة المقدسة التي عقدت بين الملوك المستبدين في اوائل القرن الماضي

طبيبات النساء

في انكلترا

من غريب ما يذكر عن الانكليز انهم على كونهم اعرق امم الارض في الحرية الشخصية والسياسية واسبقهم الى الدفاع عن الدستور حتى سمّي برلمانهم « ام البرلمانات » واولهم في احترام المرأة حتى لقد عدّ احترامهم لها وللعائلة التي هي واسطة عقدها في مقدمة الاسباب التي آلت الى تفوق الامم الانجلوسكسونية على غيرها — على ذلك كلهِ نراهم مسبوقين في مسئلة من كبريات المسائل التي لها اعظم مساس بالحرية الشخصية واحترام المرأة ومساواتها بالرجل وهي مسئلة النساء والطب .

فقد انشأنا مقالة في تعلّم النساء صناعة الطب نشرت في الجزء الاول من السنة السابعة للمقتطف (١٨٨٢) جاء فيها ما يأتي :

« اشتهرت مدارس ايطاليا الجامعة بتعليم النساء العلم والطب اكثر من غيرها من المدارس فانهُ كان في مدرسة بولونيا الجامعة في القرن الثالث عشر امرأتان الواحدة استاذة

للفلسفة والاخرى استاذة للفقه . وخرج من مدرسة بادوى الجامعة كثيرات من العالمات الشهيرات مثل الينا كرنارو التي كانت تعرف الفرنساوية والاسبانية واللاتينية واليونانية والعبرانية والعربية وكانت بارعة في الموسيقى والتصوير والفلسفة والرياضيات والفلك واللاهوت . ولما بلغت الثانية والثلاثين من عمرها قلدتها مدرسة بادوى لقب دكتور في الفلسفة . ومن النساء اللواتي تعلمنَ الطب واشتهرنَ بالعلم في ايطاليا لورا كاترينا بسي التي درست الفلسفة والطب والرياضيات والطبيعيات على اشهر علماء زمانها . ولما بلغت الحادية والعشرين من عمرها طُلب منها ان تخطب خطبة فلسفية في محفل حافل بالعلماء وكان المترئس على ذلك المحفل الكردينال لمبرتيني (الذي صار بعدئذٍ بابا باسم البابا بندكتس الرابع عشر) والكردينال غريمالدي ولما خطبت الخطبة اعترض عليها سبعة من العلماء على جاري عادة تلك الايام فاجابتهم باللاتينية وافحمتهم فنالت لقب دكتور واعطيت محلاً في مجمع الفلسفة . ثم عينتها الدولة استاذةً للطبيعيات وضربت نيشاناً عليهِ صورتها تذكاراً لذلك فلبثت في هذا المنصب ٢٨ سنة وكانت المجامع العلمية تتسابق الى انتخابها عضواً فيها . وسنة ١٧٣٨ تزوج بها فراتي الطبيب فولدت لهُ اثني عشر ولداً وماتت في السابعة والستين من عمرها وكانت حسنة الطلعة قوية الذاكرة سديدة الرأي

ومنهنَّ حنة موراندي التي ولدت في بولونيا بعد لورا بسي المار ذكرها بخمس سنوات وماتت قبلها بخمس سنوات . وكانت متزوجة برجل فقير حرفتهُ عمل الاشكال التشريحية من الشمع فاخذت تساعدهُ في ذلك ولم تلبث طويلاً حتى فاقتهُ في العلم والعمل واتقنت علم التشريح فدعاها غالي الجراح لتدريس التشريح في مدرسة لعلم الولادة فلبَّت طلبهُ وكانت من الدقة والحذاقة على جانب عظيم فلم يمضِ عليها وقت طويل حتى ذاع صيتها في اقطار اوربا وتقاطر عليها الطلبة من كل فج ودعتها انكلترا وروسيا لتُعلّم فيهما فابت ولبثت في بولونيا ثم عينت استاذة للتشريح في مدرسة بولونيا الجامعة . وهي اول من مثَّل الاوعية الشعرية والاعصاب الدقيقة بالشمع ولم تزل مصنوعاتها في بولونيا حتى الآن

ومن اللواتي يناسب عدهنَّ هنا ولم يتعاطينَ الطب ماريا اغنسي التي كانت تتكلم بالايطالية والفرنساوية والاسبانية والجرمانية واليونانية والعبرانية وهي في السنة العشرين من عمرها وكانت عارفة بالفلسفة والرياضيات وانشأت في صغرها احدى وتسعين مقالة فلسفية والَّفت في الثلاثين من عمرها كتاباً مطوَّلاً في الجبر والمقابلة وضمت اليهِ علم التفاضل والتكامل واظهرت فيهِ من البراعة ما يعزُّ نظيرهُ . وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية

كاسون استاذ الرياضيات في مدرسة كمبردج الجامعة وجعلهُ كتاب التعليم · وكان ابوها معلماً للرياضيات في مدرسة بولونيا فمرض مرضاً شديداً سنة ١٧٥٠ فاذن لها البابا بندكتس الرابع عشر ان تعلم بدلاً منهُ فلبثت تعلم مدةً الى ان اضناها الدرس فتركت المدرسة وترهبت في احد الاديرة وقضت نحبها سنة ١٧٩٩ · ولما كانت لورا بسي تعلّم الطبيعيات في مدرسة بولونيا وحنة مورندي التشريح ومار يا اغنسي الرياضيات كثر عدد الطالبات في تلك المدرسة ونال كثيرات منهنَّ لقب دكتور في الفلسفة او في الطب · ولو شئنا ان نعدد اسماء اللواتي نلنَ لقب دكتور في الطب من مدرسة بولونيا و پادوى و پاڤيا وفرارا وغيرها لطال بنا المجال فوق الاحتمال فحسبنا ما مضى دليلاً على نجاح نساء ايطاليا في العلم عموماً وفي الطب خصوصاً

اما في فرنسا فقد ورد في كتابة كتبت في القرن الرابع عشر انهُ لم يكن يباح للجراحين ولا للجراحات ممارسة الجراحة الاَّ بعد ان يجتازوا و يجتزنَ الامتحان المدقق · وهذا دليل على ان النساء كنَّ يشتغلنَ بصناعة الطب هناك من ذلك العصر وكان يرخص لهنَّ بالاشتغال فيهِ شرعاً

واما في اسبانيا فيظهر من سجلاَّت مدارس قرطبة وسلامنكا والكالا ان هذه المدارس قد منحت لقب دكتور في الطب لكثيرات من النساء اللاتي درسنَ فيها

وقام في جرمانيا طبيبات كثيرات اشتهرنَ في الطب · اما بلاد الانكليز فلا يظهر انهُ قام فيها طبيبة درست الطب درساً قانونيًّا قبل هذا العصر · وقد كثر الآن عدد متعلمات الطب والمشتغلات فيهِ في اوربا واميركا وعددهنَّ يزداد يوماً فيوماً ولا عجب ان المرأة التي خصتها العناية باللطف والصبر وحسن العناية جديرة بالتطبيب والتمريض كالرجل ان لم تكن اجدر منهُ بهما » انتهى

وقد عانت النساء في انكلترا مشقة عظيمة للانتظام في سلك طلبة الطب فمنذ نحو خمسين سنة تقدمت سبع سيدات انكليزيات برآسة المس جكس بلايك الى عمدة جامعة ادنبرج في اسكتلندا طالبات دخول القسم الطبي فيها لدرس فنّ الطب · فأُجبن الى طلبهن عن كراهية و بعد مصاعب جمة · وما كدن ينتظمن في سلك الدروس حتى أُلقيت العراقيل في سبيلهنَّ فلم يسمح لهنَّ بحضور فرق الطلبة من الشبان ولا بالاشتراك في الكلينيك فاضطررنَ ان يستجرن ببعض كرام الاطباء فكانوا يلقون عليهنَّ دروساً خاصة · وطلب منهنَّ ضمان ماليّ قدرهُ مئة جنيه اجرة التعليم السنوية · ولقين شديد الاضطهاد من الطلبة زملائهنَّ

فكان غلاظ القلوب منهم يتجمهرون عليهنّ في الاسواق و يصفرون لهنّ استهزاء و يرشقونهنّ بالعصيّ والحجارة

و بالرغم من ذلك كلهِ دأبن في دروسهنّ وكنّ يتنقلن بين منازلهنّ وغرف الدرس والخطب بحراسة بعض كرام الطلبة · فابدين في دروسهنّ حذقاً وكفاءة ولسوء حظهنّ قررت عمدة المدرسة اعطاء احداهنّ جائزة في الكيمياء · فهاج الطلبة وماجوا وحاولت عمدة الجامعة اقناع احد من كبار اساتذتها برآسة الاحتفال الذي كان في النية عقده لمنح تلك الجائزة فلم يقبل احد فأُلغي الاحتفال

وما زالت مصاعبهنّ تتوالى حتى وجدن ان لا فائدة لهنّ من ملازمة الدروس في تلك الجامعة فهجرنها وقصدن لندن طالبات دخول احدى مدارسها الطبية الشهيرة فلم تكن العقبات التي صادفنها اهون مما كان في جامعة ادنبرج · ذلك بان الاطباء اساتذتها كانوا يعتقدون عن حسن نية ان المرأة لا تصلح لفنّ الطب من حيث مزاجها وتربيتها وعقلها ولا للقيام بمطالبهِ العملية والجراحية · يضاف الى ذلك حسد الطلبة ومقاومة جمعياتهم التي تدافع عن مصالحهم واشمئزاز الجمهور من اقدام النساء على درس الطب ولاسيما انهم كانوا يعتقدون ان المرأة ليست كفوءًا للرجل في القوى العقلية ولما اظهرن على مرّ الزمان انهنّ لسن دون الرجال في ذلك بقي الجمهور زماناً طويلاً يستنكف من دعوة طبيبة لعملية جراحية اولتوليد حامل ذهاباً الى انهنّ ضعيفات الاعصاب رقيقات القلوب

واخيراً سمح لهنّ بدخول تلك الكلية مع سبع رفيقات اخريات فصار عدد الطالبات اربع عشرة طالبة · ثم لم يكن الاّ القليل حتى زاد الى اربع وثلاثين طالبة · فعين لهنّ اساتذة يلقون عليهنّ الخطب ولكن صعوباتهنّ لم تنتهِ واعظمها رفض مدارس لندن الطبية وكان عددها حينئذٍ ١٩ مدرسة — ان تقبلهنّ في امتحاناتها · ومثل هذه الصعوبة في عظمها انهُ لم يقبل مستشفى من مستشفيات لندن الكبرى وعددها ١٢ ان يسمح لهنّ بالتمرن فيهِ · و بلا هذين الامرين لا يمكنهنّ ممارسة صناعتهنّ · على ان هاتين العقبتين مهدتا لما فتحت احدى كليات ارلندا الطبية ابوابها في وجوه الطالبات واعلنت انها تمنح الشهادات لمن يكمل دروسهُ منهنّ فيها · وقرر احد مستشفيات لندن ان لا يردّ طبيبة تطلب التمرن فيهِ واسمهُ المستشفى الملكي الحرّ وهو من مستشفيات لندن الكبرى

ولهذا المستشفى حكاية تستحق الذكر. فحواها ان طبيباً شابًّا اسمهُ مارسدن كان يتمرن في احد مستشفيات لندن و بينما هو عائد ذات يوم الى منزلهِ لقي امام احدى الكنائس فتاة ثقل

عليها المرض فوضعها في مركبة ودار بها على ابواب المستشفيات ملتمساً ادخالها في احدهنَّ لمعالجتها فلم يجب الى طلبهِ بدعوى ان ليس معها كتاب توصية من احد المكتتبين بالمال لتلك المستشفيات . واخيراً ماتت الفتاة فمقد مارسدن العزيمة من ذلك الحين على السعي في انشاء مستشفى في لندن يقبل الفقراء المرضى . فوفّق الى بناء المستشفى المذكور بمساعدة بعض اصحابهِ الاغنياء . واتفق ان المستشفى كان الوحيد الذي لم يكن فيهِ مدرسة طبية ملحقة بهِ . وكان يعلم ما في انشاء مدرسة طبية للذكور والاناث من المصاعب للاسباب المتقدمة فقررت لجنتهُ انشاء مدرسة للاناث فقط . ولكنها لم تُتمكن من ذلك الاَّ بعد تمهيد صعاب جمة من ميل الرأي العام حينئذٍ وقوة الخصوم وضعف الانصار . ومما يدلُّ على تلك الصعاب ان مجلس ادارة المدرسة أُجبر ان يدفع الى المستشفى اعانة سنوية وان يعطيهُ كلَّ ما تكسب المدرسة من اجور الكلينيك

وبعد ذلك بقليل قررت جامعة لندن الشهيرة ان تمنح شهاداتها الطبية للطالبين والطالبات على السواء . ولكنها لم تبلغ هذا القرار الاَّ بعد معارضة شديدة من بعض اعضاء مجلس ادارتها حتى ان احدهم وهو السر وليام جنر قال في حديث خير لي ان امشي وراء ابنتي الوحيدة الى القبر من ان اراها طبيبة . فأجابهُ طبيب آخر مشهور لا يزال حيًّا الى الآن ان المسئلة لا تتعلق الآن ببنتك بل ببنات غيرك

ومضت سنون كثيرة كانت محكًّا للطالبات والطبيبات وضرب حولهنَّ نطاق من عيون الارصاد هذا يرنو اليهنَّ بعين الرضى والاشفاق وذاك يشزرهنَّ بعين السخط والانتقاد . وخشي بعض انصارهنَّ ان يتمادين في اظهار رقة القلب عند ممارسة مهنتهنَّ ولكن غيرهم خشوا ضدَّ ذلك — اي انهنَّ يفقدن هذه الموهبة العالية . كذلك خشي كثير من انصارهنَّ انهنَّ يقصرن في اظهار اصالة الرأي وحسن السياسة والكياسة في صناعتهنَّ وهي صفات لازمة للاطباء . فدلَّت التجارب على انهنَّ لا يختلفن عن الاطباء وانهنَّ يشاركنهم في معظم محاسنهم ومساوئهم

بقيت عقبة عظيمة امامهنَّ وهي ان المدرسة الطبية المشهورة والمعروفة باسم «الكلّية الملكية للاطباء والجراحين» رفضت اعطاء شهادتها للنساء . وفي كثير من المستشفيات الكبرى والمعاهد الطبية العمومية قانون يمنع توظف طبيب لا تكون معهُ تلك الشهادة . ففي سنة ١٨٩٥ كتب مجلس ادارة مدرسة الطب النسائية في لندن عريضة امضاها اطباء المستشفى الملكي الحرّ واساتذة المدرسة الطبية الملحقة بهِ وعدد غفير من اطباء لندن المستقلين

وارسلت هذه العريضة الى الكليات المذكورة وقد رجا اصحابها منها ان تجيب النساء الطبيبات الى مطاليبهن · ولكنها رفضت ذلك باغلبية قليلة

فصبرت مدرسة الطب النسائية ١٤ سنة وعادت فكتبت عريضة اخرى بالمعنى المتقدم فاجيبت هذه المرة الى طلبها حالاً · فاقبلت الطالبات على الكليات ايما اقبال وعددهن كل سنة في ازدياد وهن يخرجن منها افواجاً حاملات شهاداتهن

اما الجمعيات الطبية فظلت تتنكب الطبيبات حتى اضطر المجمع الطبي البريطاني المشهور الى قبول المسز جاريت اندرسون سنة ١٨٧٨ عضواً فيه لا رغبة منهُ فيها بل عن خطإٍ لفظي في نص قانونهِ · و بعد قبولها اصلح ذلك الخطأ ثم اقفل الباب اقفالاً محكماً وراءها ودون سائر الطبيبات اخواتها ولكنهُ ندم سنة ١٨٩٢ على ما فعل ومن هذا التاريخ فتح بابهُ في وجه الطبيبات يقبلهن في عضويتهِ كالرجال · وحذا بعض الجمعيات الطبية حذوهُ · واشتد النضال على دخولهن في جمعية امراض النساء وجمعية التوليد وجمعية استعمال المخدرات ولكنهن قبلن اخيراً فيها لشدة الحاحهن وعظم مقاومتهن وحسن وساطة بعض اخوانهن من كبار الاطباء · ومن عهد قريب اتحدت اكثر جمعيات لندن الطبية على تأليف « الجمعية الملكية الطبية » فاخذت اعضاءها من النساء معها الى هذه الجمعية ولكن بعد مقاومة طالت ولم يكن للنساء في اثنائها شرف الانتماء اليها واخذ لقب « فلو » الذي يعطى لاعضائها · ثم أُعطين هذا اللقب اخيراً

وهناك ما يدل على ان سائر مدارس لندن الطبية تنوي قبول الطالبات فيها بلا معارضة · وقد افادت الحرب الطبيبات فائدة كبيرة اذ كثر طلبهن فبات الموجود منهن دون المطلوب · ومن رأي العارفين ان ذلك الطلب يبقى بعد الحرب كما هو الآن ولاسيما ان الميل الى استخدامهن في المعاهد المختلفة ومنها دوائر الحكومة بدا واشتد قبل الحرب · فمنهن موظفات في وزارة التجارة والداخلية والمعارف وقومسيون التأمين على العمال · ومضت ثلاثون سنة وهن يستخدمن في وزارة البوستة · وفي انكلترا وويلس ٣٢ طبيبة من طبيبات الصحة · واستخدمت كثيرات منهن طبيبات في سجون النساء ومستشفيات المجذوبات · ومنهن طبيبات يستخدمن في جمعيات التبشير بالانجيل في جميع انحاء الكرة

توزّع الثروة في انكلترا

وسدّ نفقات الحرب

يقدر ما تنفقهُ انكلترا على الحرب الآن بمبلغ ١١٠٠ مليون جنيه في السنة ويقدر دخل الامة الانكليزية في السنة بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون جنيه اي ان نفقة الحرب السنوية نصف دخل الامة السنوي

والانكليز فريقان من حيث ايفاء هذه النفقات فريق يرى ان تسدّ بعقد القروض ويوزع ذلك على عدد من السنين . وفريق يرى ان تسدّ من دخل الامة السنوي بضرائب تضرب على الدخل او الخرج وتحصر في فئة الاغنياء او تشمل جمهور الامة على السواء

ولادراك دخل الامة الانكليزية في السنة بعض الادراك نقول ان متوسط دخل الفرد منها قبل معركة ووترلو بلغ ٢٢ جنيهاً ما عدا الضرائب فاذا اسقطت منهُ لم يتجاوز ١٧½ جنيه . اما متوسط ايرادهِ اليوم فيبلغ ٥٠ جنيهاً قبلما تطرح منهُ نفقات الحرب . فيظهر من ذلك انهُ يمكن ايفاء نفقات الحرب من الدخل ويبقى في يد كل فرد ٢٥ جنيهاً على التعديل وهذا الباقي هو اكثر من متوسط دخل الفرد السنوي منذ مئة سنة

قلنا ان بعض اهل الرأي يرون ان يحمّل اغنياء الامة الانكليزية اعباء نفقات الحرب الحاضرة بحصر الضرائب فيهم . فمن هم الاغنياء . وللجواب عن هذا السؤَال لا بدَّ من معرفة الكيفية التي توزع بها الثروة على السكان فنقول :

تقدم القول ان دخل الامة الانكليزية السنوي يقدر بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون جنيه . وهذا التقدير مبنيٌّ على احصاء لثروة الامة الانكليزية تمَّ سنة ١٩٠٧ واتضح منهُ ان دخلها حينئذٍ بلغ ٢١٠٠ مليون جنيه . ومن رأي الاحصائيين الخبيرين ان ذلك الدخل زاد الآن ١٠ في المئة عما كان في السنة المذكورة فليس في تقديرهِ بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون مبالغة . ويؤْخذ من تفاصيل احصاء سنة ١٩٠٧ ان ٩٨٠ مليوناً من المبلغ المذكور دخل اهل الثروة . و١٠٥٠ مليوناً دخل العمّال ومتوسط ما يخصّ الفرد منهم رجالاً ونساءً واولاداً ٦٢ جنيهاً . و٢٠٠ مليون دخل اصحاب الاشغال العقلية من كتبة ومعلمي مدارس ونظار الدوائر الصغيرة وغيرهم ممَّن لا تزيد اجرة الواحد منهم على نحو ١٢ جنيهاً في الشهر او نحو ٣ جنيهات وكسور في الاسبوع كما هو الحساب في انكلترا

وبين الانكليز الوف من اهل الدخل الوافر الذي يقدر بعضهُ بالملايين · وفيهم ملايين يتراوح دخل الواحد منهم بين نحو جنيهين ونصف و ١٢ جنيهاً في الشهر · فلو أُريد سدّ نفقات الحرب من دخل الامة السنوي باخذ نصف الدخل من الجميع على السواء لما امكن ذلك لان كثيرين لا يكاد دخلهم يكفيهم فاذا اخذ نصفهُ ماتوا جوعاً · فلا بدّ والحالة هذه من توزيع نفقات الحرب على غير نسبة الدخل

وهناك فريق يقول بتحميل الاغنياء نفقة الحرب دون غيرهم وهذا يوجب علينا تعريف الاغنياء كثيراً والاغنياء قليلاً · والبحث لمعرفة عددهم ومجموع ما تملك ايديهم

سئلت سيدة انكليزية قرينة سياسي معروف ومن اهل الهيأة الاجتماعية العليا كم من الانكليز يزيد دخل كلٍّ منهم سنويًّا على راتب قرينها السنوي (قدرهُ ٥ آلاف جنيه) فقالت خمسة ملايين !! · فان كانت سيدة هذه حالها تجيب بمثل هذا الجواب فما بالك بابن السبيل الذي لا وصول لهُ الى الهيأة الاجتماعية العليا ولا اطلاع على اسرارها ودخائلها · فلو صحّ قول السيدة ان في انكلترا خمسة ملايين رجل دخل الواحد منهم في السنة اكثر من ٥ آلاف جنيه لبلغ مجموع دخلهم في السنة خمسة آلاف مليون جنيه على الاقل او اثني عشر ضعف الدخل السنوي المقدر لاهل انكلترا وارلندا معاً

يقدرون ان في انكلترا نحو ٢٠٠ الف نفس دخل الواحد منهم اكثر من ٧٠٠ جنيه في السنة وهم مقسومون كما في الجدول الآتي

حد الدخل	عدد الافراد	متوسط الدخل	مجموع الدخل
فوق ٧٥ الف جنيه	١٠٠	١٥٠ الف جنيه	١٥ مليون جنيه
بين ٤٥ و٧٥ الف جنيه	٢٠٠	٥٠ « «	١٠ « «
« ٢٥ و٤٥ «	٥٠٠	٣٤ « «	١٧ « «
« ١٠ و٢٥ «	٢٥٠٠	١٧ « «	٤٢ « «
« ٥ و١٠ «	٦٧٠٠	٧ « «	٤٦ « «
« ٣ و٥ «	١٥٠٠٠	٤ « «	٦٠ « «
« ١ و٣ «	٤٥٠٠٠	٢٢٠٠ « «	١٠٠ « «
« ٧٠٠ و١٠٠٠ جنيه	١٢٠٠٠٠	٨٣٠ « «	١٠٠ « «

فالمجموع نحو ٤٠٠ مليون جنيه

فلو فرضت الضرائب على اصحاب الملايين دون غيرهم لسدّ نفقات الحرب وجعل مقدار الضريبة الدخل كلهُ لاجتمع منهم ما يسدّ نفقات الحرب ٨ ايام فقط . ولو كانت الضريبة نصف الدخل لاجتمع ما يكفي لسدّ النفقات ٤ ايام لاغير . ولو كانت ٧ شلنات في الجنيه لاجتمع ما يكفي سدّ النفقات ٣ ايام

هذا فيما يخص اصحاب الملايين . ولنفرض الآن ان الضرائب فرضت على كل من يزيد دخلهُ على ١٠ آلاف جنيه في السنة . فاذا كانت الضريبة تساوي الدخل كلهُ اجتمع منها ما يسدّ نفقات الحرب شهراً . واذا كانت نصف الدخل اجتمع ما يسدّ النفقات نصف شهر واذا كانت ٧ شلنات في الجنيه اجتمع منها ما يسدّ نفقات ٩ $\frac{1}{2}$ يوم

واذا فرضت الضرائب على كل من يزيد دخلهُ على خمسة آلاف جنيه اجتمع منها ما يكفي لسدّ نفقات الحرب ٦ اسابيع اذا كان مقدار الضريبة مساوياً للدخل كلهِ . و٣ اسابيع اذا كان مساوياً لنصف الدخل . واسبوعين اذا كان ٧ شلنات من كل جنيه

واذا فرضت على كل دخل يزيد على ٣ آلاف جنيه اجتمع منها ما يسدّ نفقات الحرب شهرين اذا بلغت الضريبة الدخل كلهُ . وشهراً اذا بلغت نصف الدخل . وثلاثة اسابيع اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

واذا فرضت على كل دخل يزيد على الف جنيه سدت نفقات الحرب ٣ اشهر اذا بلغت الدخل كلهُ . و ٦ اسابيع اذا بلغت نصف الدخل . وشهراً اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

اما اذا فرضت على كل دخل اكثر من ٧٠٠ جنيه فانها تسدّ نفقات الحرب ٤ اشهر اذا كانت الدخل كلهُ . وشهرين اذا كانت نصف الدخل . و ٦ $\frac{1}{2}$ اسبوع اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

وغنيٌّ عن البيان ان فرض ضريبة قدرها الدخل كلهُ مستحيل ومع ذلك لا يكفي فرضها على جميع الاغنياء ممن يزيد دخلهُ على ٧٠٠ جنيه في السنة الاَّ لايفاء ثلث نفقات الحرب السنوية على الكثير (نحو ٤٠٠ مليون) فيبقى نحو ٧٠٠ مليون جنيه لا بدّ من اخذها من جمهور الامة بطريقة من الطرق . ولو اسقطنا من دخل الامة سنة ١٩٠٧ كل دخل يزيد على ٧٠٠ جنيه في السنة (اي نحو ٤٠٠ مليون جنيه) لبقي لدينا ١٧٠٠ مليون . ومعنى ذلك ان جمهور الامة الذين يقلّ دخل الواحد منهم عن ٧٠٠ جنيه في السنة يجب ان يدفعوا ٤٢ في المئة من دخلهم لسدّ نفقات الحرب السنوية

ولو سأل سائل كم يمكن ان يؤخذ منهم بالضرائب لسدّ هذا المبلغ لوجب قبل الجواب ان تفصل موارد دخلهم كما فصلت موارد دخل الاغنياء قبلهم . فنقول

في انكلترا نحو ٢٠ مليون شخص دخل الواحد منهم اقل من ٧٠٠ جنيه في السنة ومن هؤلاء مليون نفس او اكثر دخلهم بين ٧٠٠ جنيه و ١٦٠ جنيهاً . ونحو مليونين متوسط دخل الواحد منهم ١٠٠ جنيه وليس فيهم من يزيد دخلهُ على ١٦٠ جنيهاً . و١٧ مليوناً من اصحاب الاعمال اليدوية متوسط دخل الواحد منهم ٦٢ جنيهاً . فمن اصعب الصعاب فرض ضريبة قدرها ٤٢ في المئة على موارد دخل هذا مقدارها . ذلك لان قسماً كبيراً من العمال مؤلف من الاولاد صبياناً وبنات ومتوسط اجرة الواحد منهم اقل من نصف المتوسط العام . فاذا استثني هؤلاء من الضريبة ارتفع متوسط دخل العامل من ٦٣ الى ٧٠ جنيهاً في السنة ولكن يفقد نحو ٩٠ مليوناً من دخل العمال كلهم فيبقى نحو ٩٨٠ مليون جنيه . ثم ان ٩٠ في المئة من العاملات و ١٦ في المئة من العمال اجورهم قليلة جدًّا لا تحتمل الضرائب فيجب استثناؤهم منها . وعددهم ٣ ملايين ومقدار اجورهم السنوية ١٢٠ مليوناً . فيبقى ١١ مليوناً من العمّال الذين يمكن فرض الضرائب عليهم والذين يتراوح دخل الواحد منهم بين ٦٠ و ١٦٠ جنيهاً . ومجموع دخلهم ٨٩٠ مليوناً

اما المليون او اكثر الذين يزيد دخل الواحد منهم على ١٦٠ جنيهاً حتى ٧٠٠ جنيه فمقسومون هكذا : ٩٢٠ الفاً دخلهم بين ١٦٠ جنيهاً و ٤٠٠ جنيه فالمجموع ٢٤٠ مليوناً . و ٢٥٠ الفاً دخل كلٍّ منهم بين ٤٠٠ و ٧٠٠ جنيه فالمجموع ١٥٠ مليوناً . والمجموع الكلي ٣٩٠ مليوناً

وهناك صغار اصحاب الاشغال العقلية ومتوسط دخل الواحد منهم ١٠٠ جنيه ومجموع دخلهم ٢٢٠ مليوناً

فمجموع الايرادات التي لا يزيد الواحد منها على ١٦٠ جنيهاً في السنة هو ١٣٠٠ مليون جنيه منها ١١٠٠ مليون مجموع الايرادات التي لا يزيد الواحد منها على ٦٠ جنيهاً في السنة ومجموع الايرادات بين ٦٠ جنيهاً و ٧٠٠ جنيه هو ١٥٠٠ مليون واذا اضفنا هذا الرقم الاخير الى الايرادات التي تزيد على ٧٠٠ جنيه بلغ المجموع ١٨١٠ مليوناً يمكن فرض الضرائب عليها ما عدا ١٠ ملايين « تخصم » لحساب الاحسان . وهاك جدولاً يفصلها لزيادة فهمها في حساب ما تحتملهُ كل فئة منها من الضرائب :

حد الدخل السنوي	عدد الافراد	متوسط الدخل	المجموع
بين ٦٠ و٦٥ جنيهاً	٤ ملايين	٦٢ جنيهاً	٢٥٠ مليوناً
« ٦٥ و١٦٠ «	٩ «	١٩٣ «	٨٥٠ «
« ١٦٠و٤٠٠ «	٩٢٠ الفاً	٢٦٠ «	٢٤٠ «
« ٤٠٠و٧٠٠ «	٢٥٠ «	٦٠٠ «	١٥٠ «
« ٧٠٠و١٠٠٠ «	١٢٠ «	٨٣٠ «	١ ٠ «
« ١٠٠٠و ٣٠٠٠ «	٤٥ «	٢٢٠٠ «	١٠٠ «
« ٣٠٠٠و٥٠٠٠ «	١٥ «	٤٠٠٠ «	٦ «
« ٥٠٠٠و٤٥ الفاً	٩٧٠٠	١١٠٠٠ «	١٠٥ «
فوق ٤٥ الفاً	٣٠٠	٨٠ «	٢٥ «
	١٤٨٦٠٠٠٠		١٨٨٠٠٠٠٠٠٠

فلنأخذ الآن كل فئة بمفردها لنعلم كم تستطيع احتمالهُ من حمل الضرائب

(١) من ٦٠ الى ٦٥ جنيهاً : من رأي الخبيرين انهُ اذا أُريد فرض ضريبة على هذه الفئة من الدخل وجب ان لا تكون اقل من نصف شلن في الجنيه او $\frac{1}{2}$ ٢ في المئة

(٢) من ٦٥ الى ١٦٠ : يقترح الخبيرون ان تجعل ضريبة هذه الفئة ١٠ بنسات في الجنيه

(٣) ما كان متوسطهُ ١٠٠ جنيه : شلن في الجنيه

(٤) من ١٦٠ الى ٤٠٠ جنيه : شلن وثلث في الجنيه

(٥) بين ٤٠٠ و ٧٠٠ : شلنان «

(٦) « ٧٠٠ و١٠٠٠ : $\frac{1}{2}$ ٢ شلن «

(٧) « ١٠٠٠و٣٠٠٠ : $\frac{1}{4}$ ٣ « «

(٨) « ٣٠٠٠و٥٠٠٠ : ٦ « «

(٩) بين ٥٠٠٠ و٤٥٠٠٠ : ١٠ « «

(١٠) فوق ٤٥٠٠٠ : ١٥ « «

ومما تجب الاشارة اليهِ ان هذه الضرائب هي غير التي تدفع لسدّ نفقات الحكومة العادية . فاذا عمل بهذا الاقتراح كانت النتيجة كما في الجدول التالي :

عدد الايرادات		الحاصل
بين ٦٠ و ١٦٠ جنيهاً :	١٣٠٠٠٠٠٠	٠٤٣ مليون جنيه
« ١٦٠ و ٧٠٠ « « :	٠١١٧٠٠٠٠	« ٠٣١
فوق ٧٠٠ « « :	٠٠١٩٠٠٠٠	« ١١٨
		١٩٢ مليوناً

فمجموع الحاصل من هذه الضرائب نحو ١٩٢ مليون جنيه . ولو خفضت ضرائب الفئات الثلاث العليا عما قدر لها وزيدت ضرائب الفئات الثلاث الدنيا التي لا يزيد دخلها على ١٦٠ جنيهاً لما اختلفت النتيجة كثيراً

هذه هي خلاصة آراء الذين يقولون بفرض ضريبة على الدخل . ولكن هناك قوماً يقولون بفرض ضريبة على الخرج دون الدخل فيخص اهل البذخ والترف الجانب الاكبر منها وتكون اوفر من ضريبة الدخل . ولكن ضريبة مثل هذه لا تجدي نفعاً كبيراً الاّ اذا وقعت على الكماليات دون الحاجيات وكان يشترك في تلك الكماليات جزء كبير من الامة . واهم هذه الكماليات الاشربة الروحية . فان الامة الانكليزية تنفق عليها سنوياً مئة مليون جنيه منها ٥ ملايين نفقة الخمور وهذه يشترك فيها الغني والفقير على السواء . اما الكماليات التي يختص بها الغني دون الفقير فقليلة القيمة فضلاً عن ان الغني يقلل من استهلاكها اذا رأى فداحة الضرائب عليها . خذ لذلك الشمبانيا مثلاً . فان ثمن ما استوردتهُ انكلترا منها سنة ١٩٠٧ يكفي لسدّ نفقات الحرب ٢٦ ساعة فقط وما استوردتهُ سنة ١٩٠٩ يكفي لسدها ١٩ ساعة

وقد اقترح بعضهم ان تفرض الضرائب على الاتوموبيلات وغيرها من الكماليات ولكن ردّ العارفون على هذا القول بان كل ما يجمع من امثال هذه الضرائب لا يسدّ الاّ ثغرة صغيرة في نفقات الحرب الهائلة فلا يفي بالمراد

وليس لسدّ نفقات الحرب سوى ثلاثة طرق : الاول زيادة ضريبة الايراد . والثاني زيادة ضريبة النفقة . والثالث عقد القروض . اما الاول فلا يسد سوى خمس نفقة الحرب على اكبر تقدير كما تقدم . واما الثاني وان يكن قليل الفائدة المادية لسد نفقات الحرب فانهُ يفيد الامة فائدة عظيمة لانهُ يحملها على الاقتصاد اجتناباً للضرائب . وفي ذلك ما فيهِ من عظم الفائدة المادية والادبية . واما القروض فسيأتي الكلام عليها في مقالة اخرى

حديث في سنة ١٩٠٥

المانيا وانكلترا — المانيا والنمسا

نشر المستر جراندي احد مشاهير ادباء الانكليز مقالة في مجلة القرن التاسع عشر لخص فيها حديثاً سياسياً جرى بينهُ و بين نبيل نمسوي كان سكرتيراً لسفارة دولتهِ في احدى عواصم اوربا سنة ١٩٠٥ وقدّم لها مقدمة قال فيها : كنت انوي نشر هذا الحديث في حينهِ ولكنني رأيت قبل ذلك ان استأذن صاحبهُ في نشرهِ فقال لي باسماً لا اسمح لك بنشرهِ ما دمت حيًّا · ذلك لانهُ انكليزي الميل ولانهُ اطلق لنفسهِ العنان في حديثهِ وبالغ في الصراحة · وفي سنة ١٩١٢ علمت انهُ مات فاصبحت طليقاً فعمدت الى مذكرة كنت قد دونت فيها الحديث ووضعتها حيث لم امسسها منذ سنة ١٩٠٥ · وكان موضوع الحديث سلوك المانيا مع انكلترا وعلاقتها بالنمسا فوجدت في المذكرة ما يأتي · قال محدّثي :

« تسألني هل اعرف برلين · نعم اني اعرفها لاني كنت من موظفي سفارتنا فيها في اوائل عهدي بالخدمة السياسية · وصادقت كثيرين من اهلها وكنت ازورهم آناً بعد آن · ولا انكر ان النمسويين من اهل الطبقة العليا قلما يصادقون البروسيين من اهل المانيا حتى انني انا نفسي لا ارى رأي الهيأة الحاكمة من اهل برلين ولا اميل ميلها وان كنت اعرفها تمام المعرفة · فان النبيل البروسي يختلف كل الاختلاف عن النبيل النمسوي وفيهِ اشياء كثيرة نفهمها واشياء اخرى لا نفهمها وكثير من هذا وذاك نمقتهُ · وانتم الانكليز تظنون ان المانيا امبراطورية مطلقة الحكم للامبراطور اليد العليا فيها · ولا ينكر ان في المانيا من الحكم المطلق ما ليس في روسيا لان نظام البيروقراطية [1] ليس مستحكماً فيها استحكامهُ في روسيا [2] · ولكن نبلاء بروسيا والبيروقراطية الالمانية قوة كافية لابطال كل عمل يريد الامبراطور عملهُ ولا يوافقون عليهِ · ومع ذلك فان تبعية النبلاء لدولة هوهنزلرن تبعية حقيقية لا ريب فيها · فالنتيجة توازن القوتين

وتسألني عن عداوة المانيا لانكلترا فاجيب اني عاشرت كثيرين من الانكليز وخصوصاً موظفي السفارات ولكنني لم ارَ واحداً منهم فهم هذه المسئلة حق فهمها · فانكم انتم الانكليز سكان جزيرة ومبالغون في العزلة بالطبع رغم انتشاركم في جميع جوانب

(١) اي الحكومة التي دوائرها مستقلة بعضها عن بعض

(٢) هذا ما ورد في المذكرة ولكنني لا ارى وجه صحتهِ بمعنى من المعاني

الارض · وعندكم انكم اذا كنتم غرضاً لشيء فانتم كلّ الغرض فلذلك تزعمون ان عداوة المانيا لكم هي الغرض الاسمى للسياسة الالمانية الحديثة · اما نحن النمسويين فنعلم ان الامر ليس كذلك ولكن يظهر لي ان لا امل في اقناعكم بغير ما تعتقدون من هذا القبيل · وربما كان سبب عجزي عن ذلك صعوبة بسط هذه المسئلة المعقدة ولكن لا بأس ببسطها على قدر المستطاع

في سياسة المانيا الداخلية ثلاثة عناصر: عنصر النبلاء اصحاب الاملاك · وعنصر التجار واصحاب المعامل ورؤوس الاموال ومعظمهم يهود · وعنصر العمال وخصوصاً اهل المقاطعات الوسطى والغربية · وربّ سائل يسأل وما شأن ملوك البلاد الالمانية الاخرى غير بروسيا ونبلاء المانيا الجنوبية · اما عن الاول فاقول ان حرب سنة ١٨٦٦ أرت ملوك المانيا وامراءها منزلتهم · واما عن الثاني فاقول ان مطامح اعيان الجنوب في المانيا اجتماعية اكثر منها سياسية · وقد كان هواهم معنا منذ خمسين سنة او اقلّ اما الآن فتلوح لهم النمسا امبراطورية مضعضعة الحال مشرفة على الخراب فيميلون الى القوي عن الضعيف ويمكن حسبانهم بين مؤيدي اريكة هوهنزلرن وسياستها كالنبلاء ما دامت هذه السياسة تؤيد سيادة الطبقات العليا

اما من حيث علاقة النبلاء الالمان بكم فاقول انهم لا يرومون حكمكم كما تتصورون بل يرومون حكم المانيا ولا شأن لكم لديهم الاَّ حيث تتهددون ذلك الحكم · تقول لي وما هي علاقة الحكم في المانيا بعداوة انكلترا · فاجيب انهُ يعسر عليك ان توضح مسئلة لرجل يجهلها ولاسيما اذا كان يعتقد انهُ يعلمها. خذ المانيا قبل سنة ١٨٦٦ او سنة ١٨٧٠ تجد ان حركتها التجارية لم تكن قد بدأت وان تجارتها الاجنبية كانت حقيرة وهي فقيرة · لكن قابلية التقدم والارتقاء كانت هناك لان نظام التعليم متين مبنيٌّ على العقل ولاغنى لتقدم البلاد الفعلي عن اتحادها السياسي ليكون التاجر من اهلها اميناً على حقوقهِ التجارية في البلاد الاجنبية · وقد يعجب الانكليز الذين قرأوا تاريخ المانيا قبل سنة ١٨٦٦ كيف ان ممالك المانيا واماراتها الجنوبية التي كانت حينئذٍ تمقت بروسيا والبروسيين اعطتها قيادها بعد سنة ١٨٧٠ ومشت في اثرها صاغرة · وبيان ذلك ان خوف بروسيا كان يملأُ قلبها ثم تبدل ذلك الخوف مصلحة · سلْ المانيًّا من الجنوب كيف يرضى ان ينقاد الى بروسيا · فان كان من ورتمبرج مثلاً اجابك بما ملخصهُ: « انا من ورتمبرج · وكنت قبل سنة ١٨٧٠ اذا تاجرت مع بلد اجنبي وقام بيني

و بين احد من اهلهِ خلاف التجأت الى حكومة بلادي الصغيرة اما الآن فارى ورائي امبراطورية المانيا برمتها وشتان بين الاثنتين »

اشرت في كلامي الى نظام التعليم في المانيا · واقول في شرحهِ ان الالماني يبني جميع اعمالهِ على مقتضى العقل والحاجة و يبالغ في ذلك كل المبالغة فيعطي العالِم تعليمًا نظريًا والعامل تعليمًا فنيًّا عمليًّا · اما انتم الانكليز فقد اخبرني اخي وكان من موظفي سفارتنا في لندن ان على رأس نظامكم التعليمي قومًا من الذين يذهبون مذاهب لا علاقة لها بحقائق هذه الحياة · فعندكم في طبقة العمّال مادة بديعة للعمل ولكنكم تربون العامل تربية نظرية اكثر منها عملية وتكتفون بان تعطوا الذين يشتغلون بادمغتهم تعليماً فنيًّا صرفًا · والنتيجة ان تعليمكم النظري واطئ كثيراً في صفتهِ لان ٩٩ في المئة من الذين يعلّمونهُ لا طاقة لهم على التقدم فيهِ · فانهم يعلَّمون اموراً نظرية حيث يجب ان يعلَّموا اموراً فنية عملية · اما المانيا فان غاية النظام التعليمي فيها اعداد كلّ انسان لما خُلق لهُ وفطر عليهِ لتجني الامة اعظم نفع مستطاع منهُ · لكنّ علماءكم يحاولون ان يغرسوا في اذهان الكثيرين افكاراً وآراء لا يطيقها الاَّ اهل العقول الكبيرة · ولست اعلم نتيجة ذلك في بلادكم ولكني لا اظنها نتيجة صالحة

وقد كانت نتيجة التربية الفنية العملية في المانيا جعل العامل الالماني كفوءًا فعّالاً الى حدّ يفوق المعتاد · وزاد كفاءتهُ ان اصحاب المعامل الالمانية استخدموا لاصلاح طرق العمل القديمة واختراع طرق جديدة رجالاً ربّوا تربية علمية تامَّة فكانت النتيجة كما كان ينتظر · ولكن غاب عن الهيأة الحاكمة في المانيا قبل تدريب العامل على الاعمال ليخرج تامّ الكفاءة ان هذه الكفاءة هي في الغالب ام الطموح الى العلاء لا بنتهُ · فان العامل الالمانيّ اصبح ولا همّ لهُ الاَّ اصلاح حالتهِ الاقتصادية والمدنية والسياسية بين قومهِ فاستعان بالاشتراكية متخذاً اياها واسطة لبلوغ تلك الغاية · وقد يخيّل اليّ واليك ان الاشتراكية عبث ولهو باطل ولكن العامَّة من الامم تقبل كلّ مذهب سياسي سواءٌ كان اشتراكيًّا او غير اشتراكي بلا بحث ولا جدل بشرط ان ترى فيهِ سبيلاً الى اصلاح حالها · والحركة الاشتراكية في المانيا آخذة في الانتشار بسرعة وقد افضى انتشارها كما علمت الى خوف شديد في دوائر الحكومة · وليس هذا الخوف خوف حكومة ابوية تريد خير اولادها ومنعهم من السير في سبل تؤدي بهم الى البوار بل خوف طبقة حاكمة ترى سيادتها مهددة · وهذه الطبقة سادت سيادة حقيقية لا شبه لهُ في اوربا ما خلا روسيا .

فهذا الامر في سياسة المانيا هو الذي جعل كثيرين من الانكليز ينظرون اليها بعين الشبهة والقلق اذا صحت اقوال صحفكم · وقد مضت سنين كثيرة ولا شغل للهيأة الحاكمة في المانيا الاَّ التغلُّب على هذه الحركة الجمهورية لاضعافها سياسيًّا ان لم نقل اسحقها · فرأى الامبراطور ان لا واسطة لذلك الاَّ ايجاد مصلحة مشتركة بين طبقات المانيا الثلاث لانهُ لا جامعة حبّ بينها · ولا ينتظر من الطبقة التجارية ومعظمها من اليهود ومصالحهم سائدة فيها ان يعطفوا على هيأة حاكمة تعاملهم بالامتهان من الوجهة الاجتماعية · ثم ان اهل الطبقة الدنيا يكرهون المتمولين من الطبقة الوسطى نظراً وعملاً والهيأة الحاكمة بعيدة عنهم فلا يرونها ولا يعرفونها الاَّ بواسطة اعوانها وآلاتها البوليس الملكي والجاويش العسكري · ولما كانوا لا يحبونهما فهم بالتالي لا يحبونها ايضاً

اما المسئلة التي سعت الهيأة الحاكمة في حلّها فهي كيف تسود الامة بواسطة الامة · ورأت ان انشاء مصلحة مشتركة تربط جميع الطبقات بعضها ببعض واسطة لازمة لبلوغ تلك الغاية · فمنذ قرن كان حلّ مسئلة مثل هذه سهلاً على اية هيأة حاكمة وذلك انها كانت تستطيع بجيش صغير اخماد كل حركة بين رعيتها ولكنها لا تستطيع مثل ذلك الآن فتوسلت الى ادراك مأربها بسياسة مبنية على امرين الخوف والجشع · فقامت قائمة صحف الحكومة غير مرة في السنين الاخيرة تنادي بان البلاد على شفا جرف هار · وانت تعلم وانا اعلم والحكومة نفسها تعلم ان هذا النداء كاذب اذ ليس في اوربا مملكة هدّدت المانيا منذ سنين كثيرة وليس فيها مملكة تهدّدها الآن · فاننا نحن النمسويين مرتبطون بل مقيدون معها بمحالفة وايطاليا معنا ويلوح لنا ان انكلترا مكتفية بمشاغلها وانهُ لا يجول في صدرها فكرة عدائية · اما فرنسا فآخذة في الانحطاط عسكريًّا وكثيرون من اهلها يريدون تناسي الاخذ بالثار · واما روسيا فلم تبدِ منذ زمان طويل ميلاً الى التوسع في الغرب · وهي ليست الآن في مركز يمكنها من التحرش بدولة من الدرجة الاولى ولا يخشى ان تكون في ذلك المركز ولو بعد سنين كثيرة

والحكومة الالمانية تعلم كما نعلم نحن ان سلاح الدول الاخرى الذي تخوّف بهِ شعبها ليس سلاح عداء بل سلاح دفاع من المانيا نفسها · ولو اقترحت المانيا تخفيض السلاح ما رأت دولة في اوربا الاَّ وتقبل اقتراحها جزلة مسرورة · ولكن جمهور الامة الالمانية ينكر هذه الحقائق لان الهيأة الحاكمة تكذبها · وتكذيبها اياها في مصلحتها · فلذلك ترى روح الحرب في المانيا باقيًا حيث هو وترى الامة تلبي مطالب الجيش بلا تردد ولا امهال

على ان عامل الخوف هذا لا يؤثر في الطبقة التجارية الوسطى تأثيره في الطبقة الدنيا لان اهل الطبقة التجارية اسمى ادراكاً واكثر ضرباً في مناكب الارض واعرف بالبلاد الاجنبية وابعد عن تصديق كل ما يقال لهم . وهناك اسباب كثيرة تحملهم على القناعة بحالتهم الحاضرة فانهم يسيرون حثيثاً في سبيل التجارة العامة حتى سبقوا التجار الانكليز في كثير من الاسواق وقد جمعوا ثروة طائلة . وقناعتهم هذه جاءت عقبة في سبيل الحكومة فان فئة النبلاء من كبار المالكين يخافون من قيام ارستوقراطية تجارية خوفهم من قيام ديموقراطية اشتراكية ولاسيما ان الاولى اعسر انخداعاً من الثانية . لذلك بُذلت المساعي في السنين الاخيرة لاستجلاب فئة التجار الى جانب الحكومة فصادق الامبراطور بعض زعمائهم ورقاهم في الهيأة الاجتماعية . وجعلت الصحف الرسمية تنشر المقالات مبينة لهم وجوب وجود جيش قوي باسطول قوي لتأييد التجارة ومساعدتها على ارتقائها . فوافقوا مبدئياً على هذه الفكرة ولكنهم خالفوا الحكومة في مدى تطبيقها بدعوى ان كل توسع فيها يفضي الى زيادة في الضرائب . ولم يقنعهم قول القائل انهُ كلما تقوت المانيا واشتد ساعدها زحمت انكلترا امامها وحلت محلها لانهم كانوا يسابقون التجار الانكليز في اسواق انكلترا نفسها وفي مستعمراتها و يسبقونهم من غير وسيلة حربية

فلم ينتشل الحكومة الالمانية من هذه الورطة ولم يحل لها هذه العقدة الاَّ انتم الانكليز. فقد قام نفر في انكلترا اخيراً يتحدثون بحماية التجارة (ضرب رسوم على الواردات الاجنبية) وبالتعريفة التفضيلية (تمييز واردات المستعمرات على غيرها) . ولست افهم تفصيلها تماماً ولا اظن الالمان يفهمونهُ . وانما اعلم انهم يفهمونهُ كما افهمهُ انا وخلاصتهُ ان تفرض تعريفة جمركية تنيل التاجر الانكليزي مزية عظيمة على غيرهِ في جميع البقاع الخاضعة لانكلترا واسواقها وكثير ما هي . وفي ذلك خسارة مالية لالمانيا لا تقدر . وقد تقول لي ان الحماية وامثالها من الكلمات نداء فارغ لن يعمل بهِ ولن يتحقق . نعم ولكن من يضمن للتاجر الالماني عدم حدوث ذلك . فهذا ما حدا بالفئة التجارية في المانيا على الانضمام الى الحكومة وتأييدها في سياستها الحربية والبحرية . ولطالما حسدكم الالمان على ما يرون من اسباب الرفاه والرخاء في انكلترا لان الحسد خلق فيهم حتى ترى العامل منهم يحسد العامل الانكليز اعتقاداً بانهم احسن منهُ حالاً . وقد استخدمت الحكومة هذا الطبع لترويج فكرتها و بلوغ قصدها

وكل مطلع على حقائق الحال لا يرتاب في عداء الامة الالمانية اجمالاً لانكلترا . ولكن

هذا العداء هو من عَمَل الحكومة في الاكثر · والحكومة تراقب المدارس والجامعات ولكن لا اعلم هل تعلم فيها بوجوب ذلك العداء · وانما اعلم ان بعض قومكم يعلمون هذه الحقائق تمام العلم ولكن بينكم رجالاً لا يصدقون الاَّ ما يقع تحت حسهم وما يطابق حدسهم· وهؤلاء ايسر انخداعاً من اجهل طبقات الامة · فانهم يظنون ان التعليم يأتي بثمار متشابهة في جميع العالم وان الالماني المتعلم كالانكليزي المتعلم في بساطة قلبهِ وصفاء طويتهِ وفاتهم ان الطبقة التي تحكم المانيا ليست الطبقة المتعلمة بمعنى هذه الكلمة الواسع بل طبقة ربيت ضمن حدود ضيقة معينة لا مجال للعواطف فيها

وليست معاداة انكلترا غاية للهيأة الحاكمة في المانيا بل واسطة لبلوغ غاية · فان هذه الهيأة تستعد لحرب عظيمة قد تكون انكلترا غرضها الاول وقد لا تكونهُ · ولكنها تمثل انكلترا للشعب الالماني معتدية على مصالح المانيا فيعذر الشعب حكومتهُ على ما تبدي من الاهبة في البرّ والبحر · وغاية الهيأة الحاكمة حرب عظيمة تدخلها المانيا بعد ان تستعد تمام الاستعداد لمحاربة فرنسا وروسيا مجتمعتين او لمحاربة انكلترا وحدها لانكم انتم الانكليز لم تدخلوا المحالفات الاوربية · وهذه الحرب تشهرها المانيا في الظاهر على دولة اجنبية واحدة او اكثر من واحدة ولكنها تكون في الواقع حرباً تشهرها الهيأة الحاكمة في المانيا على القوات والعوامل الداخلية التي تريد قلبها وثل عرشها

وبيان ذلك ان الهيأة الحاكمة تعتقد — واعتقادها صواب في ظني — بان المانيا تخرج من حرب مثل هذه منصورة وانتصارها يجعل العنصر الحربي صاحب الكلمة العليا في اوربا ويجعل الحكم العسكري امراً لا بد منهُ على الدوام في المانيا · ولا بد لالمانيا من مهاجمة دولة من الدول بعد سنوات قليلة · وعندي ان تلك الدولة لا تكون انكلترا لانها اذا حاربت انكلترا وصل الفريقان المتحاربان الى الحالة التي يبلغها الشاه في الشطرنج حيث لا يجد متقدَّماً ولا متأخَّراً فيقال انهُ مات · وبعبارة اخرى لا تستطيع دولة منهما ان تنال منالاً من الاخرى وتنتصر عليها انتصاراً فاصلاً في حين ان الهيأة الحاكمة في المانيا ترمي الى عمل فاصل · لذلك ارى ان المانيا تهاجم فرنسا وروسيا لانها تستطيع ان تنتصر عليها انتصاراً يكون بهِ فصل الخطاب فان فرنسا منحطة عسكريًّا وروسيا مختلة · واذا هاجمتها المانيا لزمت انكلترا الحياد

تسألني وما تأثير انتصار المانيا على فرنسا وروسيا في انكلترا فاجيب بان ذلك الانتصار يضمن سيادة الهيأة الحاكمة في المانيا سنين كثيرة وهذا ما ترمي اليهِ حقيقةً · ولكنني اعتقد

بان المانيا تعود فتهاجم انكلترا عاجلاً او آجلاً لان انتصارها يزيد قوة المطامع التي عانت الحكومة ما عانت لبثها وتعزيزها في صدور الطبقة التجارية · واذا قلت لي واية علاقة للنمسا وايطاليا بهذه السياسة · قلت لك اما ايطاليا فلا اعلم الشيء الكثير عن سياستها سوى انها حالفت المانيا وايانا لتحمي نفسها منَّا ظنًّا منها ان النمسا ما نسيت اخذ مقاطعتي لمبارديا وفنيسيا منها ولا اغتفرتهُ · وما دامت تجد هذه الحماية في المحالفة فانها تبقى فيها

واما نحن فقد دخلنا المحالفة لاسباب شتّى اعظمها خوفنا من روسيا وهو خوف اثبتت الايام انهُ مبالَغ فيهِ على ما يؤكد وفي غير محلهِ على ما يظن · ولكن مع هذا كلهِ لا يزال هناك خوف من وقوع المشاكل بيننا وبين روسيا في البلقان وخصوصاً بعد استيلائنا على البوسنه والهرسك · ومشهور انهُ منذ عقدت المحالفة الثلاثية اشتدَّ حرج الحالة الداخلية في النمسا · اما مشاكل المانيا الداخلية فاجتماعية وعندنا نحن مشاكل من نوعها ولكن مشكلتنا الكبرى وطنية · فان مسئلة المجر ومسئلة السلاف من قومنا تعقَّدتا في السنين الاخيرة · وبوصف كوني نمسويًّا تراني اضطرب عند الاشارة الى المجر فان دأبهم التظلم من النمسا والحال اننا نخناهم الشيء الكثير حتى عظم شأنهم في الامبراطورية عظمة لا تلائم عددهم · وبينا تسمعهم يتظلمون من معاملة النمسا لهم تراهم هم انفسهم يعاملون السلاف والرومان من رعيتهم معاملة موسومة بافظع الظلم · وهم يدَّعون انهم يمقتوننا ويشنأُون الجرمان وينبذون اللغة الجرمانية ولكنهم اهل جهل مطبق فانهم ينشدون استقلالاً لم يستطيعوا المحافظة عليهِ الاَّ بمساعدة روسيا ومعاونة السلاف من رعاياهم ومع ذلك لم يغتفروا لروسيا تصدّيها لهم سنة ١٨٤٩ وهم يعاملون السلاف في بلادهم بالامتهان والظلم · ولو اتحدوا معاً لأَحرجوا موقف العنصر الجرماني في النمسا · والجرمان عندنا يعلمون ذلك ويعتمدون علينا حتى في عمل ما لا يعود علينا بنفع كثير

بقي لي شيءٌ واحد قولهُ وهو انهُ اذا خرجت المانيا من حرب اوربية عظيمة والنصر حليفها فلا نُسمح بان نقوم في بلدان اوربا قوة للشعب تحيي الآمال السياسية في صدور الطبقات الدنيا · وهذا الامر في طاقتها لان انتصارها يجعلها الآمرة الناهية في اوربا تمحو ما تشاء وتثبت ما تشاء » انتهى

ترجمنا هذا الحديث لاننا رأَينا فيهِ تعليلاً لاستعداد المانيا الكبير لهذه الحرب · وممَّا يزيد قيمة هذا التعليل ان صاحبهُ جاهر بهِ قبل الحرب بنحو عشر سنوات وهو دليل على المعيتهِ وعلى ان الحكومة الالمانية تجري في اعمالها على اساليب محكمة ولو كانت غايتها مخالفة بمقتضى العمران

السحر في الشعوذة

اذا رأينا رجلاً بلحيتهِ وشاربيهِ وقف على دكة وأُلقي عليهِ ستار غطاهُ وبعد لحظة رُفع الستار عنهُ فاذا هو امرأَة ثم طُرح الستار على المرأَة وبعد لحظة رفع عنها فعادت رجلاً . ودخل هذا الرجل صندوقاً واقفل واستلم احد الحضور مفتاحهُ ثم فتح ثانية فاذا فيهِ امرأَة لا رجل واغلق عليها واقفل ثانية ثم فُتح فاذا هي قد عادت رجلاً — قلنا ان في الامر حيلة ولم يستحل الرجل امرأَة ولا الامرأَة رجلاً . وهذا يكون حكم اكثر العقلاء فانهم يكذبون عيونهم ويقولون ان الرجل أُبدل بامرأَة ثم أُبدلت المرأَة برجل بحيلة ما ولم يستحل الرجل امرأَة ولا استحالت الامرأَة رجلاً لان ذلك مخالف لاختبار الناس في كل العصور . وكل ما يحدث مناقضاً لاختبار الناس انما يحدث بحيلة من الحيل ومحدثهُ محتال او مشعوذ

واعمال المشعوذين كثيرة وهي في حد الغرابة عند الذين لا يعرفون اساليبها . والغالب ان تخفى هذه الاساليب على المشاهدين فيندهشوا من اعمال المشعوذين ويقول بعضهم انها حدثت بحيلة ما ويقول غيرهم انها حدثت بالسحر او بقوة تفوق القوى الطبيعيَّة المعروفة ويكون حكمهم عليها حسب درجتهم من العلم . فالذين استنارت عقولهم لا يرتابون في انها من طرق الشعوذة والبسطاء يحسبونها عملت بواسطة الجن والعفاريت والابالسة او بقوى تفوق الطبيعة . والمشعوذ الذي يكره الخداع يخبر مشاهدي اعمالهِ انهُ يعمل ما يعملهُ بخفة اليد وانهُ ليس ساحراً ولا مالكاً قوة غير طبيعيَّة . ومتى كسب ما يكفيهِ من صناعتهِ فالغالب انهُ يفشي الاساليب التي جرى عليها كما فعل المشعوذ الذي ذكرنا قصتهُ في مقتطف فبراير تحت عنوان هذه المقالة

ولكن قد يحدث ان يجلس اثنان في مشهد واحد على مقعد واحد ويرى احدهما المشعوذ واقفاً على الدكة امامهُ ويراهُ الآخر واقفاً في الهواء فوق الدكة . ورؤْية هذا الثاني لا تدلُّ على ان المشعوذ ارتفع في الهواء بحيلة بل على ان مَن رآهُ كذلك توهمَ توهمًا انهُ ارتفع في الهواء وذلك من قبيل الاستهواء او النوم المغنطيسي . اي ان المشعوذ استهواهُ بكلامهِ او بحركاتهِ فغفل ونامت بعض حواسهِ المميزة فاعتقد ان المشعوذ ارتفع في الهواء كما يعتقد النائم مثلاً انهُ انتقل الى باريس او لندن او دمشق او بغداد او مكة وقابل هناك رجالاً ماتوا منذ مئات من السنين . فشعورهُ وهو نائم في القاهرة انهُ انتقل الى تلك المدن ورأَى فيها اولئك الرجال لا يؤْخذ دليلاً على انهُ انتقل حقيقة ولا على ان الاموات قاموا من قبورهم

وقد وقفنا الآن على كلام لاحد المشعوذين وصف بهِ بعض ما رآهُ من اعمال رصفائهِ في الهند ومصر و بلدان اخرى ثم شرح طرقها فاقتطفنا منهُ ما يلي قال :

رأيت في بنارس مشعوذاً هنديا مدَّ لسانهُ وطلب من الحضور ان يفحصوهُ وبعد ذلك ادخل فيهِ مسماراً طويلاً حتى اشمأزَّ الحضور مما رأوا واقشعرَّت ابدانهم . وطريقة ذلك انهُ كان معهُ لسان من الكاوتشوك الاحمر مثل لسانهِ وكان هذا اللسان مخروقاً من وسطهِ فبعد ان ارى الحضور لسانهُ الحقيقي التفت قليلاً وفي تلك اللحظة ادخل لسان الكاوتشوك في فيهِ ثم ادخل المسمار فيهِ . وهذا التفسير على بساطتهِ لم يفطن لهُ الحضور ولذلك عرتهم الدهشة واقشعرَّت ابدانهم

واخذ هذا المشعوذ نواة من نوى ثمر المنجو واراها للحضور ثم طمرها في التراب وصبَّ عليها ماء فافرخت وجعل يزيد صب الماء وهي تزيد نموًّا . وحيلتهُ ان النواة التي طمرها في الارض هي غير النواة التي اراها للحضور وكان قد شقها ووضع فيها غصناً صغيراً من المنجو بعد ان ثنَّ اوراقهُ بعضها على بعض واطبق فلقتيها والصقهما بقليل من الطين فلما طمرها وصبَّ عليها الماء ارتخى الطين فانفتحت الفلقتان وخرج غصن المنجو من بينهما وجعل المشعوذ يزيد عليهِ شيئاً من جيبهِ كلما انحنى فوقهُ ليسقيهُ

ورأيتُ مشعوذاً سنغاليًّا فتح جرابهُ وجعل يخرج الحصى منهُ و يلتهمها الواحدة بعد الاخرى حتى امتلأ جوفهُ منها وجعل يتمايل والحصى تنضُّ في جوفهِ . وهو انما وضع حصاة واحدة في فيهِ ولما وضع الحصاة الثانية فيهِ اخرج الاولى ومدَّ يدهُ الى جرابهِ واخرجها بالحصاة نفسها او بواحدة مثلها واستمرَّ على مثل ذلك الى ان رسخ في اذهان المشاهدين انهُ بلع ثلاثين حصاة ملأ جوفهُ بها فاقعنسس وجعل يمشي متبخترا واصوات الحصى تتلاطم في جوفهِ وهي انما تتلاطم في جرابهِ

ورأيت مشعوذاً استراليًّا من السكان الاصليين وهو يدعي انهُ طبيب ساحر فاخذني الى غدير على ضفتهِ نحو ١٥٠ جذعاً من جذوع شجر اليوكالبتوس واشار الى جذع منها وطلب مني ان امعن نظري فيهِ ثم ناداهُ وامرهُ بالانتقال فجعل ينتقل رويداً رويداً الى ان وصل الى الغدير وارتمى فيهِ ثم عاد ادراجهُ الى حيث كان

ولا شبهة ان ذلك الجذع كان مجوفاً ومربوطاً بخيطين طويلين من الياف بعض الزراجين التي تنمو هناك و يمسك بطرفي الخيطين رجلان مختبئان في الهشيم فجراهُ بهما الى الغدير ثم اعاداهُ الى مكانهِ وهذا اهم اعمال ذلك الطبيب الساحر التي يدجل بها على عقول اتباعهِ

ووصف الكاتب اعمالاً اخرى من هذا القبيل رآها في الهند واليابان ومصر فلا داعي لذكرها وانما ذكر عملاً واحداً يظهر انهُ اغرب منها كلها وهو ما يسمَّى بركوب الحبل قال وقف المشعوذ في ساحة كبيرة ببلاد الهند وكان موقفهُ يبعد عن اقرب بيت اليهِ مئة يرد على الاقل ورمى حبلاً في الهواء فارتفع كانهُ قضيب وصعد ولد على هذا الحبل الى ان وصل الى طرفهِ الاعلى واختفى عن العيان ثم ظهر الى جانب المشعوذ · هذا ما قال الحضور انهم شاهدوهُ بعيونهم ولم يكن رمي الحبل اول الاعمال التي عملها المشعوذ بل عمل اعمالاً اخرى كثيرة قبلهُ ادهشتهم ثم اخرج الحبل من سلة وطلب منهم ان يفحصوهُ وقال لهم اني عازم ان افعل بهِ كذا وكذا ثم رماهُ وقال « انظروا اني رميت الحبل في الهواء وها هو قائم فيهِ وسيصعد الولد عليهِ انظروهُ صاعداً وها هو قد وصل الى اعلاهُ · وجعل يزعق وهو يأبى النزول لا ادري ما حلَّ بهِ لعنة الله عليهِ اختفى عن النظر » ثم وقع الحبل على الارض وبعد قليل رفع ملاءة عن الارض واذا الولد تحتها

اما انا فرأيت المشعوذ يرمي الحبل فارتمى ثم وقع على الارض ولم ارَهُ انتصب في الهواء ولا رأيت ولداً صعد عليهِ فكيف رآهُ الحضور منتصباً ورأوا الولد صاعداً عليهِ · اني افسّر ذلك بالاستهواء اي ان المشعوذ استهواهم بافعالهِ السابقة وكلامهِ فذهلوا او ناموا لحظة من الزمان وصدقوا كلامهُ كما يفعل من ينام النوم المغنطيسي · انتهى

نقول وقد شاهدنا الذين ينامون النوم المغنطيسي تعطي الواحد منهم حجراً ونقول لهُ خذ هذه التفاحة وكُلها فيأخذها بيدهِ ويحاول اكلها · وتعطيهِ تفاحة حقيقية وتطلب منهُ ان يأكلها وحينما يضعها في فيهِ نقول لهُ هذه جمرة فيطرحها من يدهِ حالاً ويتململ كمن احترقت يدهُ وتمشي معهُ في غرفة ونقول لهُ وصلنا الى ترعة فيحاول عبورها حافياً او الوثوب من فوقها الى غير ذلك من الاعمال التي يعملها بانياً اياها على ما يسمعهُ منك لان قوة التمييز فيهِ تكون نائمة او غافلة

وارانا الدكتور شميل والمرحوم الدكتور نحاس امرأة كسيحة نوَّمها الدكتور نحاس النوم المغنطيسي وطلب منها ان تمشي فحاولت النهوض بكل جهدها ولما لم تستطع جعلت تثب على قدميها · وكرر تنويمها وامرها بالمشي حتى كادت تشفى من الكساح

وواضح من ذلك ان الاستهواء يجعل المرء يشعر حسبما يأمرهُ من يستهويهِ فاذا اضفنا الى ذلك ان كثيرين من الناس يُستَهوَوْن او يذهلون لاقل سبب سهل علينا تفسير ما يقولهُ البعض من انهم شاهدوا اعمالاً خارقة لا تفسَّر بحيلة عملية ولا بوسيلة طبيعيَّة

ملك الانكليز وامبراطور الالمان

كتبت كونتس ورك[١] مقالة في هذا الموضوع في مجلة ناش الانكليزية ضمنتها حقائق جمّة عن الملك ادورد السابع المتوفى وعن الامبراطور ولهلم الحالي وعلاقة كلٍّ منهما بسياسة اوربا فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي :

منذ ابتدأت هذه الحرب قرأت خلاصات كثيرة من الجرائد الالمانية ومن مقالات في الجرائد الاميركية باقلام الالمان مفادها ان الملك ادورد بذل كل جهدهِ في ما يأول الى القضاء على الامبراطورية الالمانية . وكنت احسب في اول الامر ان ما قرأتهُ من هذا القبيل نفثة مصدور او مجازفات اناس يجهلون الحقيقة . ولكن لما رأيت ان ذلك تكرَّر مرةً بعد اخرى خفت ان يرسخ في الاذهان كأنهُ حقيقة راهنة فجئت افنّدهُ بهذه السطور لاسيما وانني تمتعت بثقة الملك ادورد قبل ارتقائهِ الى سدة الملك وبعدهُ وسمعت من فيهِ مراراً كثيرة ما يدلُّ على حقيقة رأيهِ في المانيا والالمان فصار من اوجب الواجبات عليَّ ان اشهد بالحق الذي اعرفهُ دفعاً لهذهِ الاوهام الشديدة الضرر . ولو خطر ببالي انهُ يمكن ان تشاع الاشاعات التي احاول نقضها الآن لكتبت الاقوال التي سمعتها من الملك ادورد في اوقات مختلفة وانا احدثهُ في بعض الشؤُون السياسية الهامَّة ولكن ذاكرتي والحمد لله قوية جداً واني لأجد فيها ما يمزق تلك الاوهام والاضاليل . وانا على ثقة تامَّة ان ما اقولهُ هو الحق الصراح الذي لا ريب فيهِ

ان من اقدم ما اتذكرهُ اني أُخذت مراراً وانا صغيرة الى السفارة الالمانية لزيارة الامبراطورة اوغسطا (جدة الامبراطور الحالي) وأَخذي اليها مراراً يدلُّ على ان الامبراطورة اوغسطا زارت انكلترا غير مرة لشدَّة صداقتها للملكة فكتوريا . وكان كل احد يحترم الامبراطور ولهلم الاول ويجب بولي عهدهِ البرنس فردريك . ولمَّا اقترن هذا البرنس بابنة الملكة فكتوريا الكبرى وكان اخوها الملك ادورد[٢] يعزها اكثر من سائر اخوانهِ اشتدت ربط الصداقة والحب بين البلاط الانكليزي والبلاط الالماني

وكانت الملكة فكتوريا تحب المانيا والالمان وتعبد حفيدها (الامبراطور ولهلم الحالي) وتعتقد انهُ معصوم عن الخطإِ ولكن الملكة الكسندرا زوجة الملك ادورد دنماركية

---

(١) Countess of Warwick

(٢) سألقبهُ بالملك ادورد دائماً ولو قبلما صار ملكاً

فكانت تكره المانيا لانها لم تنسَ ما فعلتهُ بالدنمارك اذ سلبت منها ولاية شلسويك هولشتين وكذلك كانت اختها امبراطورة روسيا ولكنني لم اسمع قط انهما اشتركتا في دسيسة ما ضد المانيا

وكبر البرنس ولهلم وبلغ سن الرشد ولا احد يحسب لهُ حساباً من حيث السياسة لان اباهُ كان يملأُ العين مهابةً والنفوس اعجاباً واما هو فغاية ما في الامر انهُ كان حفيد الملكة ڤكتوريا المحبوب منها ولم يخطر على بال احد انهُ يجلس على عرش الملك قبلما يصير كهلاً لان مرض ابيهِ لم يكن في الحسبان

ولكن ان لم يكن في البلاط الانكليزي شيءٌ من العداوة لالمانيا فلم يكن البلاط الالماني خالياً من العداوة لانكلترا لان وجود امرأَة انكليزية في البلاط الالماني ينتظر ان تصير امبراطورة المانيا لم يكن مما يرضى بهِ الالمان لاسيما وانهم كانوا يعتقدون ان تزويجها لولي عهد المانيا كان الغرض منهُ ان تصير المانيا تابعة لانكلترا · وزاد قلق الالمان لما توفي الامبراطور ولهلم الاول · ثم لما توفي ابنهُ الامبراطور فردريك بعد بضعة اشهر كان كره الالمان للانكليز قد بلغ اشدَّهُ وسرى سمهُ الى ذهن الامبراطور الشاب حتى اقصاهُ عن امهِ فلم يبرَّ بها بل اساءَ اليها · فشكت امرها الى اخيها وكان لا يزال ولي العهد وكانت اعز اخواتهِ عليهِ كما تقدم فاغتاظ من ذلك وجاهر بما في نفسهِ من الغيظ · ولم تكن العلاقات على ما يرام بينهُ وبين ابن اختهِ للسبب التالي

لما شبَّ الملك ادورد وتزوج ودَّ ان يلتفت الى امور الملك ويشارك امهُ فيها فجعل يتعلَّم ويعاشر رجال السياسة قاصداً ان يشتغل معهم لكن امهُ ابت عليهِ ذلك ولم ترضَ ان يدخل مجالس مشيريها وامرت وزراءَها ان لا يطلعوهُ على شيءٍ من اوراق المملكة عازمةً ان تبقى السلطة في يدها وحدها · ولا بدَّ من انها خسرت بذلك خسارة كبيرة لان الملك ادورد كان شديد الفراسة كانهُ من الشعب السامي[1] · كان المعيًّا قوي البداهة حاضر الذهن انيس المحضر على غاية الظرف والادب وكان الواجب ان تستفيد البلاد من هذه المناقب · ولكن الملكة ڤكتوريا لم ترَ ذلك فاضطر ان يشغل نفسهُ بما يرفع مقام الانكليز بين اهل الاذواق فزاد ابتهاج الناس بهِ والتفافهم عليهِ حتى خُيّل للناظر انهُ سيكون لهُ شأن عظيم في السياسة حينما تلقى اليهِ مقاليدها

اما الامبراطور ولهلم فكان عريًّا من كل هذه الصفات التي امتاز بها خالهُ · كان كثير الاشتغال شديد الحرص كثير التبرُّم قليل التسامح شديد التقلُّب كأنهُ وخالهُ على طرفي

(١) اي العرب والسوريين والاسرائيليين

نقيض . وكثر حديث الناس بهذه الامور فاغتاظ منها وحقد على خالهِ لانهُ رآهُ حائزاً على اعجاب الناس واحترامهم عفواً من غير تعمُّل

وهناك سبب آخر وهو ان الامبراطور ولهلم كان في معيشتهِ وسيرتهِ ضيقاً متعصباً واما خالهُ فكان واسعاً سموحاً يسابق و يصطاد و يلعب و يزور و يزار و يختار الاصدقاء من كل الطبقات . وقد هفا هفوات كثيرة رغماً عمَّا امتاز بهِ من الفراسة والذكاء فتسلَّح ابن اختهِ بها للانتقاد عليهِ باقوال قالها علانيةً وكان السعاة يأتون خالهُ بهذه الاقوال مصقولةً مكبَّرةً

قلت ان الملك ادورد كان على جانب عظيم من كرم الاخلاق ولكنهُ هفا هفوات كثيرة من ذلك مصادقتهُ للبارون هرش فان هذا البارون كان رجلاً ظريفاً وزوجتهُ من فضليات النساء وهي من اعز اصدقائي ولكنهُ كان يستسهل كل صعب في سبيل الكسب لجمع ثروة طائلة بطرق محلَّلة وغير محلَّلة مما يطول شرحهُ ومع ذلك كانت لهُ مبرات تستحق المدح . وكان الملك ادورد ينظر اليهِ من هذا الوجه ولعلهُ خدم الملك ادورد في بعض الشؤُون وهو لا ينسى احداً خدمهُ في امرٍ مهما كان ولا كان ينسى صديقاً . اما المانيا فازدرت البارون هرش والنمسا اغتاظت منهُ لانها تقيس الانسان بنسبهِ لا بحسبهِ واذا جمع مال قارون باشرف الطرق واحلّها بقي في عينيها احط من ذي النسب العالي ولو كان من الحمقى المفاليس . لكن الملك ادورد هزأ بغيظ فينا وازدراء برلين وقال لاحد معارفهِ اني لا انيط اختيار اصدقائي بهاتين العاصمتين . واثبت ذلك بانهُ قَبِل دعوة البارون هرش ليذهب و يصطاد في املاكهِ الواسعة في ايشرن (بالنمسا) فذهب ولكنهُ لم يجد هناك من المدعوين غير الانكليز كأَن الالمان والنمسويين لم يلبُّوا الدعوة ان كانوا قد دُعوا . ثم زار البارون هرش في باريس . ولعلهُ لم يكن من الصواب مقاومة العادات المألوفة ولكن الانكليز لم يكونوا في وقت من الاوقات مقيدين بالعادات كاهالي ڤينا و برلين . والغالب اننا نقبل دعوة كل مَن يدعونا اذا كان ذا ثروة كافية للانفاق علينا

اما الامبراطور ولهلم فاغتاظ من خالهِ لانهُ خالط غنيًّا عصاميًّا واغتاظ منهُ ايضاً لانهُ مضى الى همبرج واقام طويلاً مع اختهِ الامبراطورة في قصرها هناك وكانت هي قد جعلتهُ مشكي ضيمها منذ صغرها لان امها كانت تتعصَّب عليها وتتحزب لحفيدها وتقرِّع ولي عهدها بهِ كأَنها تقول لهُ انظر الى فضائل ابن اختك فهي المناقب التي يجب ان يتحلَّى بها الرجال . و يقضي عليَّ الانصاف ان اقول ان الامبراطور ولهلم كان يحب جدتهُ جدًّا وقد حزن عليها حزناً شديداً و يا حبذا لو احبَّ والدتهُ كذلك

وكان ذهاب الملك ادورد الى همبرج قذًى في عيني ابن اخته كما تقدم ثم لما ذهب الى مرينباد في النمسا بدلاً من الذهاب الى همبرج في المانيا زاد القلق في برلين لان ساسة الالمان كانوا يعرفون مقدرتهُ على اجتذاب القلوب فخافوا ان يفصم عرى المحالفة الثلاثية . وكان يحبُّ النمسويين ويعجب بذكائهم واخلاقهم واذواقهم ومهارتهم في الصيد والقنص ونحو ذلك من الصفات التي كانت تروق لهُ وكان يحسب كثيرين من النمسويين بين اخص اصدقائهِ ومنهم الامبراطورة والكونت منسدرف وبيت بشياني وبيت لاريش وغيرهم . ولا ازال اتذكّر قولهُ لي ان ليس في الدنيا الطف من النمسويين . ولكن قلق الامبراطور ولهلم لم يكن في محلهِ لان خالهُ لم يكلم احداً حينئذٍ في المسائل السياسية.

يظهر مما تقدم ان الخلاف بين الامبراطور وخالهِ لم يكن الاَّ من قبيل الاختلافات العائلية . وقد سمعت الملك يتكلم بغيظ عن ابن اختهِ لانهُ لم يحسن معاملة امهِ لا لسبب آخر . وقال غير مرة ان ابن اختهِ كان مصاباً بداء حب المبالغة ولم يتعلَّم ان يلجم لسانهُ . ولكنني لا اتذكر مطلقاً اني سمعت منهُ شيئاً يدلُّ على انهُ كان يقصد الشر لالمانيا او يريد بها ضرًّا وغاية ما في الامر انهُ كان يقول ان الالمان ثقلاء

وكان سفراء روسيا وفرنسا من الذين يترددون على قصرهِ واما سفراء المانيا فلا ولا يستثنى من ذلك الاَّ البرنس هتزفيلد . ومن المحتمل ان كراهة الملكة الكسندرا لتصرُّف الالمان مع شعبها جعلت سفراءهم يقللون التردُّد الى قصرها وزيارات الامبراطور الاولى لانكلترا لم تبقِ في ذهني اثراً مخصوصاً نعم اني اتذكر انني رقصت تجاههُ في قصر بكنهام في رقصة الكوادريل وتعشيت معهُ في وليمة اولمت لهُ وكان يظهر الصداقة بنوع خاص لنساء جماعة اليخوت الملكية

وقد كان الملك ادورد منصفاً في كل ما ينتقد بهِ غيرهُ حتى انهُ لما كان يتكلم على ما بين اختهِ وابنها من الخلاف كان يلقي اللوم على ما بينهما من اختلاف الطباع والمشارب . وكان يُعجب بالامبراطورة زوجة ابن اختهِ كما يعجب بها كل مَن عرفها وعرف اعمالها الفاضلة وحب شعبها لها واحترامهم اياها

ولما توفيت الملكة فكتوريا تحسنت العلاقات كثيراً بين الامبراطور وخالهِ فانهُ جاء الى انكلترا لحضور الجنازة وتصرَّف احسن تصرُّف ولحظ ذلك كل اهل البلاط . وتكلم معي الملك ادورد في هذا الشأن مظهراً سرورهُ . والظاهر ان ما ابدتهُ فرنسا من الغيظ منا وقت حرب البوير قرَّب الالمان الينا . واتذكر انني كنت خارجة من تياترو في باريس ذات

ليلة مع لورد روز بري فحيّانا الناس بقولهم ليحيَ البوير ويسقط تشمبرلين . وصوّرت الملكة فكتوريا صورة هزلية قبيحة فهنأ دوق دورليان الرجل الذي صورها كذلك . وكان الملك ادورد يخالف امهُ في امور كثيرة وكثيراً ما حدثني في مواضيع الخلاف بينهُ وبينها ولكن احترامهُ لها لم ينقص ذرةً فلم يصفح عن دوق دورليان بعد ذلك وقد حاول الدوق ان يعتذر اليهِ ويصطلح معهُ فاغضى عنهُ

ثم ان التلغراف الذي ارسلهُ الامبراطور ولهلم الى كروجر قبلما شبت حرب البوير كان لهُ اثر سيء جدًّا ولكن الامبراطور عاد بعد ذلك فلزم الصمت فازال الغيظ من نفس خالهِ . ثم تحسنت العلاقات بينهُ وبين خالهِ بعد موت الملكة فقلَّ الانتقاد او صار يلزم جانب الحكمة في انتقادهِ وعاد الى الصفاء التام بعد ما حاول احد الفوضويين اغتيال الملك فانهُ اسرع الى حدود بلادهِ ولاقاهُ وهنأهُ بالسلامة . وكتب اليَّ الملك بعد رجوعهِ يشكرني لاني ارسلت اليهِ تلغرافاً اهنئهُ بهِ واخبرني في كتابهِ ان الامبراطور جاء من برلين الى التونا لكي يسأل عن صحتهِ ثم قال انهُ يحسب ذلك لطفاً منهُ

واتذكر ان زيارات الامبراطور لانكلترا صارت بعد ذلك تقابل بالرضاء التام وقد قال لي الملك لما كان الامبراطور نازلاً في هايكلير التماساً للصحة انهُ صار غاية في الظرف وحسن المسايرة وزال منهُ ما كان يرى فيهِ قبلاً من القلق وسرعة الانفعال . وكانت العلاقات على اتم المودَّة بين الملك جورج وزوجتهِ الملكة وبين الامبراطور ولهلم ولما ذهب الملك جورج وامهُ الملكة الكسندرا الى برلين زائرين سرًّا جدًّا بزيارتهما كما اخبراني

ورب قائل يقول اذا كان الامر كذلك فكيف نعلل الاتفاق بين انكلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ واجتماع الملك ادورد وقيصر روسيا في ريفال حيث وُضع اساس الاتفاق الحبي بين انكلترا وروسيا . فان الالمان يعتقدون ان الغرض من ذلك كان الاتفاق على المانيا وهذا يثبت عداء الملك ادورد لها . اما الملك ادورد فانهُ جرى في الامرين على رغبة وزرائهِ كما يجب على كل ملك دستوري . وقد سألتهُ بعد اجتماع ريفال عن رأيهِ في الحالة السياسيَّة واتذكر انهُ قال لي ما نصهُ « ان المانيا تناظرنا في التجارة والالمان من اقدر الناس في ادارة الاعمال واذا زاد غناهم وقام فيهم ساسة مغرمون بالاقدام على كبائر الامور فقد تتحوَّل هذه المناظرة الى مزاحمة ومخاصمة ولكنني ارجو ان الاتفاق الفرنسوي والاجتماع في ريفال يمنعان حصول ذلك . ولم يحدث حتى الآن شيء يمنع الاتفاق بين لندن وبرلين وعندي ان كل العقلاء يودون السلم ونحن لا نرى سبباً يدعونا لمخاصمة المانيا او غيرها من الدول »

وقد استاء الملك ادورد مما حدث لمسيو دلكاسه بعد مؤتمر الجزيرة لانهُ كان يحسب ان الاتفاق مع فرنسا من اقوى دعائم السلم وكان يعجب بالمانيا كما كان يحب فرنسا نعم كان يعجب بتدقيق الالمان في اعمالهم وبعدهم عن السخائف في افكارهم وافعالهم

وزارني مرة قبل وفاتهِ بثلاثة اشهر أتى لتناول الشاي عندي وتكلم عن الادارة الالمانية فقال «لو كانت بلادنا تدار كما تدار المانيا لاستفدنا فائدة كبيرة . و ياحبذا لو حكمنا الالمان المدة الكافية لاصلاح ادارتنا» قال ذلك وصمت قليلاً ثم قال وهو يضحك «ولكن المصيبة انهم اذا اتوا ليحكمونا تعذَّر علينا الخلاص منهم» وهذا آخر حديث جرى لي معهُ لاني لم ارهُ بعد ذلك . وكلامهُ هذا يدل على انهُ لم يكن يضمر العداء لالمانيا بوجه من الوجوه

ان العمر الطويل الذي عاشهُ الملك ادورد والاختبار الواسع الذي لم يفقهُ فيهِ احد من معاصريهِ جعلاهُ فيلسوفاً في المراقبة والملاحظة ولم يكن يدع اميالهُ الشخصيَّة تحول بينهُ وبين ما يُطلَب منهُ كملك . ولكن ان كانت آراءهُ الشخصيَّة قد اثَّرت في سياستهِ فلا يكون ذلك ضد المانيا كما يظهر من كل ما سمعتهُ منهُ عنها . وانتقادهُ عليها الذي اتذكر اني سمعتهُ منهُ قد ذكرتهُ كلهُ هنا فانهُ كان يحبُّ اصدقاءهُ الفرنسويين والنمسويين ويحترم معارفهُ الالمان . وكان ابنهُ المتوفَّى دوق كلرنس مثلهُ من هذا القبيل . ثم انهُ كان يكره الحرب وكل اسبابها ويحسب ان الرجال الذين يرغبون فيها مختلو الشعور يجب ان يوضعوا في بيمارستان المجانين . وكان يعجب باساليب العمران ويرى في الحرب قوة عمياء تقوّض دعائمهُ وتترك العالم خراباً . وكانت همتهُ موجهة الى اصلاح شأن العامة واستثقل زخارف الملك لما حرمتهُ من المجاهرة بآرائهِ مع ان اصغر واحد من رعاياهُ لا يحرَم منها . وجعل شغلهُ الشاغل ان يعرف كيف حلَّت المانيا مشكلة العمال الذين لا عمل لهم من حيث انشاء المنازل لسكناهم وادارة المعامل التي يعملون فيها . وكثيراً ما تكلَّم عن نجاح المانيا من هذا الوجه وكان يتكلَّم عنها معجباً بها لا ناقماً عليها ولا راغباً في اذلالها . واني واثقة تمام الثقة انهُ لو بقي الى سنة ١٩١٤ ما نشبت هذه الحرب لان نفوذهُ الشخصي كان كافياً لترجيح السلم على الحرب وللتوفيق بين المصالح المتضادة ولو في الساعة الاخيرة لانهُ كان مكرَّماً محترماً لدى كل ملوك اوربا وحكامها وما منهم مَن لا ينقاد لرأيهِ . وما الذين يزعمون زوراً وبهتاناً انهُ هيأ السبل لقتل افضل الرجال واشجعهم الاَّ نمَّامون ينم زعمهم على جهلهم المطبق

العلم في العام الماضي

كان العام الماضي عام حرب لا عام علم لان ممالك اوربا الكبرى التي يشتغل علماؤها بالعلم وهي انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا والنمسا كانت كلها مشتبكة بالحرب وعلماؤها مع الجيوش في ميادين القتال او في معامل الذخيرة يرشدون العمال في عمل آلات الهلاك فلم يتفرغ للمباحث العلمية الأ بعض علماء الولايات المتحدة الاميركية

وقد وقع في العام الماضي كسوفان حلقيان الاول في ١٣ و ١٤ فبراير شوهد في الاوقيانوس الباسيفيكي والاوقيانوس الهندي واستراليا والثاني في ١٠ اغسطس شوهد في الاوقيانوس الباسيفيكي ايضاً ولم يعنَ احد بالذهاب لرصدهما على ما يظهر. واكتُشفت خمسة من ذوات الاذناب واحد منها اكتشف في راس الرجاء الصالح في اوائل دسمبر الماضي وهو آخرها واثنان اكتشفا في مرصد وسكنسن بالولايات المتحدة وواحد في بلاد الارجنتين وواحد في همبرج وهو مذنب ونكي المعروف من قبلُ . وقويت الادلة على وجود سيَّار ابعد من نبتون ويحتمل ان يرى هذا الشتاء في برج الرامي او برج العقرب

واكتشفت اكتشافات في مرصد مونت ولسن باميركا يستدلُّ منها على ان بُعْد النجوم يمكن ان يُعلَم من مقدار اشراقها ومن ظهور بعض الخطوط في طيفها فاذا ثبت ذلك كان من اهم مكتشفات العصر

وكان مرصد كندا قد اوصى في بلجكا بعمل مرآة مقعرة قطرها ٧٢ بوصة للنظارة الكبيرة العاكسة التي يراد عملها ونصبها في كندا فسُبك زجاجها وأُرسل من مدينة انفرس قبل شبوب الحرب باسبوع ولم تُبطل الحرب عمل هذه النظارة فتكاد تتم الآن وستكون الثانية في الدنيا . والاولى نظارة مرصد مونت ولسن في الولايات المتحدة التي قطر مرآتها ١٠٠ بوصة لكن نظارة مونت ولسن هذه لم يتم نصبها حتى الآن لان المعمل الذي يصنع بعض ادوات الفولاذ الكبيرة اللازمة لنصبها شغل عنها بما طلبتهُ منهُ وزارة البحرية . فوصل تأثير الحرب الى علم الفلك في اميركا . وينتظر ان تصوَّر بهذه النظارة صور فوتوغرافية للسماء يظهر فيها مئة مليون نجم من النجوم التي لا ترى الآن بالنظارات المعروفة لبعدها الشاسع

واهم ما حدث ممَّا يتعلق بالعلوم الطبيعية نقل الاشارات بالتلغراف اللاسلكي ٩٠٠٠

ميل ونقل الكلام بالتلفون اللاسلكي ٤٩٠٠ ميل . واستخدام الميكروفون لاكتشاف مواقع الطيارات اذا كانت لا ترى بالعين وكذلك لمعرفة اماكن الغواصات في قلب البحر . واستخدام المغنطيس لاستخراج شظايا القنابل من الجروح . والمصابيح الكهربائية لتعجيل شفاء الجرحى وكهربة الاسلاك التي تستعمل سياجاً حول المعسكرات حتى صار يتعذر مسكها . واتقنت العين الصناعية اي الآلة التي توضع فيها بطرية من معدن السلينيوم فيضعها الاعمى على الحروف المطبوعة و يوصلها باذنيهِ فيستطيع القراءة بواسطتها . وترى تفصيل هذه العين في مقتطف اكتوبر الماضي . واكتشف بعضهم طريقة لتقوية قضيب الصاعقة على جذب الكهربائية ووقاية المباني وذلك بان يضاف الى رأس حربتهِ قليل من بروميد الراديوم فتصير من اشد الموصلات للكهربائية . وكثر التلقيح الواقي من التيفويد . واكتشف بعض علماء الالمان طريقة لعمل العلف من السكر ومركبات الامونيا فتصير منها مادة آلية مغذية تستعمل علفاً للمواشي

واستخرج الاستاذ جون ابل مادة من العلق (الدود) تضاف الى الدم فيبقى سائلاً ولا يتخثر فاذا فُصد المريض وجمع دمهُ واضيفت هذه المادة اليهِ حتى لا يجمد ثم نزع مصلهُ وابدل بمذوب ملحي واعيد الى الوريد الذي خرج منهُ قلت المواد السامَّة في الدم او زالت فتنتج كل فوائد الفصد من غير ان يقل الدم

وكثر الاهتمام بتحليل الغازات السامَّة وتوليدها وتركيب المواد الشديدة الانفجار لحشو القنابل بها اي استُخدم العلم للفتك بالناس ولكنهُ استُعمل ايضاً في علاج المرضى وشفاء الجرحى فقلَّت الامراض بين الجنود وقلَّت وفياتهم بها وزاد التئام الجروح وشفاء الجرحى

وحدثت زلزلة عنيفة في ايطاليا في ١٣ يناير كانت ضيقة النطاق ولكنها شديدة الفعل جدًّا فقتلت ٢٥٠٠٠ نفس

وتوفي في العام الماضي الاستاذ لفلر الالماني مكتشف مكروب الدفتيريا والاستاذ جمس غيكي الجيولوجي الانكليزي والاستاذ ارلخ الالماني مكتشف علاج الداء الزهري والاستاذ جمس مري الانكليزي مؤَلف اوسع القواميس في اللغة الانكليزية والاستاذ بوشار الفرنسوي استاذ الباثولوجيا في جامعة باريس والاستاذ باستيان البيولوجي الانكليزي والاستاذ ملدولا الامرائيلي الطبيعي الكيماوي والمستر بوكر وشنطون من زنوج اميركا واكبر مصلحي حال الزنوج فيها

ابن بطوطه وبلاد السودان

(تابع ما قبلهُ)

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فاتى احد فقهائهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاماً كثيراً فقام القاضي فصدقهُ ثم صدقهما السلطان وكان الى جانبي رجل من البيضان فقال لي اتعرف ما قالوهُ فقلت لا فقال ان الفقيه اخبر ان الجراد وقع ببلادهم فخرج احد صلحائهم الى موضع الجراد فهالهُ امرها فقال هذا جراد كثير فاجابت جرادة منها وقالت ان البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها . فصدقهُ القاضي والسلطان وقال السلطان عند ذلك للامراء اني بريء من الظلم ومن ظلمَ منكم عاقبتهُ ومَن علم بظلم ولم يعلمني بهِ فذنوب ذلك الظالم في عنقهِ والله حسيبهُ وسائلهُ . ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عمائمهم على رؤوسهم وتبرأوا من الظلم

وحضرت الجمعة يوماً فقام احد التجار من طلبة مسوفة ويسمَّى بابي حفص فقال يا اهل المسجد اشهدكم ان منسى سليمان في دعوتي الى رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلم . فلما قال ذلك خرج اليهِ رجال من مقصورة السلطان فقالوا لهُ من ظلمك مَن اخذ لك شيئاً . فقال ما معناهُ ان مشرف ايوالاتن اخذ مني ما قيمتهُ ستمائة مثقال واراد ان يعطيني في مقابلتهِ مائة مثقال خاصةً . فبعث السلطان عنهُ للحين فحضر بعد ايام وصرفهما الى القاضي فثبت للتاجر حقهُ فاخذهُ وبعد ذلك عزل المشرف عن عملهِ

واتفق في ايام اقامتي بمالي ان السلطان غضب على زوجتهِ الكبرى بنت عمهِ المدعوة قاسا ومعنى قاسا عندهم الملكة وهي شريكتهُ في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمهِ على المنبر وسجنها عند بعض الفرارية وولّى في مكانها زوجتهُ الاخرى بنجو ولم تكن من بنات الملوك . فاكثر الناس الكلام في ذلك وانكروا فعلهُ . ودخل بنات عمهِ على بنجو يهنئنها بالمملكة ولم يتربنَ [1] ثم ان السلطان سرَّح قاسا من ثقافها فدخل عليها بنات عمهِ يهنئنها بالسراح وتربنَ على العادة فشكت بنجو الى السلطان بذلك فغضب على بنات عمهِ فخفن منهُ واستجرن بالجامع فعفا عنهنَّ واستدعاهنَّ . وعادتهنَّ اذا دخلنَ على السلطان ان يتجردنَ من

(١) التتريب رمي التراب على الراس قال ابن بطوطه في مكان آخر ان اهالي السودان كانوا يفعلونهُ احتراماً لملوكهم وعظمائهم

ثيابهنَّ و يدخلنَ عرايا ففعلنَ ذلك ورضي عنهنَّ وصرن يأتين باب السلطان غدوًّا وعشيًّا مدة سبعة ايام وكذلك يفعل كل مَن عفا عنهُ السلطان . وصارت قاسا تركب كل يوم في جوار يها وعبيدها وعلى رؤُوسهم التراب وتقف عند المشور متنقبةً لا يرى وجهها . واكثر الامراء الكلام في شأنها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانهِ انكم قد اكثرتم الكلام في امر قاسا وانها اذنبت ذنباً كبيراً . ثم أُتي بجارية من جواريها مقيدة مغلولة فقيل لها تكلمي بما عندكِ فاخبرت ان قاسا بعثتها الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنهُ الى كَنْبُرْني واستدعتهُ ليخلع السلطان عن ملكهِ وقالت لهُ انا وجميع العساكر طوع امرك . فلما سمع الامراء ذلك قالوا ان هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليهِ . فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب . وعادتهم ان يستجيروا بالمسجد وان لم يتمكنوا فبدار الخطيب

ولم يذكر ابن بطوطة ما جرى لهذه الملكة بعد ذلك لكنهُ قال ان السودان كانوا يكرهون منسى سليمان لبخلهِ وذكر قصة عن كرم سلَف سلفهِ ثم استطرد الى ذكر ما استحسنهُ من افعال السودان وما استقبحهُ منها فقال

من افعالهم الحسنة قلة الظلم فهم ابعد الناس عنهُ وسلطانهم لا يسامح احداً في شيءٍ منهُ ومنها شمول الامن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب . ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة انما يتركونهُ بيد ثقة من البيضان حتى يأخذهُ مستحقهُ . ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم اولادهم عليها واذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد اين يصلي لكثرة الزحام . ومن عادتهم ان يبعث كل انسان غلامهُ بسجادة فيبسطها لهُ بموضع يستحقهُ بها حتى يذهب الى المسجد . وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر لهُ . ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لاحدهم الاَّ قميص خلق غسلهُ ونظفهُ وشهد بهِ الجمعة . ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لاولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظهِ فلا تفك عنهم حتى يحفظوهُ

ومن مساوئ افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرنَ للناس عرايا باديات العورات . ولقد كنت ارى في رمضان كثيراً منهنَّ على تلك الصورة فان عادة الفرارية ان يفطروا بدار السلطان و يأتي كل واحد منهم بطعامهِ تحملهُ العشرون فما فوقهنَّ من جوار بهِ وهنَّ عرايا . ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعرّي بناتهِ . ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصرهِ

عرايا ومعهنّ بنتان لهُ ناهدان ليس عليها ستر . ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدّباً . ومنها ان كثيراً منهم يأكلون الجيَف والكلاب والحمير

وكان دخولي الى مالي في الرابع عشر لجمادي الاولى سنة ثلاث وخمسين (وسبعمائة) وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرَّم سنة اربع وخمسين (وسبعمائة) ورافقني تاجر يعرف بابي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة وكان لي جمل اركبهُ لان الخيل غالية الاثمان يساوي احدها مائة مثقال فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل (النيجر) لا يجاز الاَّ في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يُمرُّ احد بهِ الاَّ بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر

ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفتهِ ست عشرة دابَّة ضخمة الخلقة فعجبت منها وظننتها فِيلَةً لكثرتها هناك ثم اني رأيتها دخلت في النهر فقلت لابي بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعى في البر . وهي اغلظ من الخيل ولها اعراف واذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل وارجلها كارجل الفيلة . ورأيت هذه الخيل مرةً اخرى لما ركبنا النيل (النيجر) من تنبكتو الى كَوْكَو (غوى) وهي تعوم في الماء وترفع رؤوسها وتنفخ وخاف منها اهل المركب فقربوا من البر لئلاَّ تغرقهم . ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحاً مثقوبة قد جُعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادفت الضربة رجلهُ او عنقهُ نفذتهُ وجذبوهُ بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونهُ و يأكلون لحمهُ ومن عظامها بالساحل كثير . وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمي فَرْبا مغَا وهو ممَّن حجَّ مع السلطان منسى موسى لما حجَّ

اخبرني فربا مغا ان منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معهُ قاضٍ من البيضان يكنى بابي العباس و يعرف بالدكَّالي فاحسن اليهِ باربعة آلاف مثقال لنفقتهِ فلما وصلوا الى ميمة شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت من دارهِ فاستحضر السلطان امير ميمة وتوعدهُ بالقتل ان لم يحضر من سرقها وطلب الامير السارق فلم يجد احداً ولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتدَّ على خدامهِ وهددهم فقالت لهُ احدى جواريهِ ما ضاع لهُ شيء وانما دفنها بيدهِ في ذلك الموضع واشارت لهُ الى الموضع فاخرجها الامير واتى بها السلطان وعرَّفهُ الخبر فغضب على القاضي ونفاهُ الى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فاقام عندهم اربع سنين ثمَّ ردَّهُ الى بلدهِ وانما لم يأكلهُ الكفار لبياضهِ لانهم يقولون ان اكل الابيض مضرٌّ لانهُ لم ينضج والاسود هو النضيج بزعمهم

حكاية — قدمتْ على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون

بني آدم معهم امير لهم وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطاً كباراً وتكون فتحة القرط منها نصف شبر و يلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادماً فذبحوها واكلوها ولطخوا وجوههم وايديهم بدمها واتوا السلطان شاكرين

ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة قُرِي منسا ومات لي بها الجمل الذي كنت اركبهُ فاخبرني راعيهِ بذلك فخرجتُ لانظر اليهِ فوجدت السودان قد اكلوهُ كعادتهم في اكل الجيف . فبعثت غلامين كنت استأجرتهما على خدمتي ليشتريا لي جملاً بزاغري وهي على مسيرة يومين واقام معي بعض اصحاب ابي بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرنا بميمة فاقمت ستة ايام اضافني فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل . ثم رحلت الى بلدة ميمة فنزلنا على آبار بخارجها ثم سافرنا منها الى مدينة تُنْبكتُو وبين تنبكتو وبين النيل اربعة اميال واكثر سكانها مسوفة اهل اللثام وحاكمها يسمَّى فَرْبا موسى . حضرت عندهُ يوماً وقد قدَّم احد مسوفة اميراً على جماعة فجعل عليهِ ثوباً وعمامة وسروالاً كلها مصبوغة واجلسهُ على درقة ورفعهُ كبراء قبيلتهِ على رؤوسهم . وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق ابي اسحق الساحلي الغرناطي المعروف ببلدهِ بالطُوَيجي وبها قبر سراج الدين بن الكوَيك احد كبار التجار من اهل الاسكندرية

حكاية — كان السلطان منسي موسى لما حج نزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان . واحتاج الى مال فتسلفهُ من سراج الدين وتسلَّف منهُ امراؤهُ ايضاً وبعث معهم سراج الدين وكيلهُ يقتضي المال فاقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسهِ لاقتضاء مالهِ ومعهُ ابن لهُ فلما وصل تنبكتو اضافهُ ابو اسحق الساحلي فكان من القدر موتهُ تلك الليلة . فتكلم الناس في ذلك واتهموا انهُ سُمَّ فقال لهم ولدهُ اني اكلتُ معهُ ذلك الطعام بعينهِ فلو كان فيهِ سم لقتلنا جميعاً لكنهُ انقضى اجلهُ ووصل الولد الى مالي واقتضى مالهُ وانصرف الى ديار مصر

ومن تنبكتو ركبت النيل (النيجر) في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج اليهِ من الطعام والسمن بالملح و بالعطريات و بحلي الزجاج . ثم وصلت الى بلد أُنسيت اسمهُ لهُ امير فاضل حاج يسمى فربا سليمان مشهور بالشجاعة والشدَّة لا يتعاطى احد النزع في قوسهِ ولم ارَ في السودان اطول منهُ ولا اضخم جسماً . واحتجت بهذه البلدة الى شيءٍ من الذرة فجئتُ اليهِ وذلك يوم مولد رسول الله

صلى الله عليهِ وسلم فسلمت عليهِ وسألني عن مقدمي وكان معهُ فقيه يكتب لهُ فاخذت لوحاً كان بين يديهِ وكتبت فيهِ يا فقيه قل لهذا الامير انا نحتاج الى شيء من الذرة للزاد والسلام . وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيهِ سرًّا و يكلم الامير في ذلك بلسانهِ فقرأهُ جهراً وفهمهُ الامير فاخذ بيدي وادخلني الى مشورهِ وبهِ سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عندهُ كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيهِ ثم أُتي بمشروب يسمَّى الدَّقنو وهو ماء فيهِ جريش الذرة مخلوط بيسير عسل او لبن وهم يشربونهُ عوض الماء لانهم اذا شربوا الماء خالصاً اضرَّ بهم وان لم يجدوا الذرة خلطوهُ بالعسل واللبن. ثم اتي ببطيخ اخضر فاكلنا منهُ ودخل غلام خماسي فدعاهُ وقال لي هذا ضيافتك فاحفظهُ لئلاَّ يفر فاخذته وأردت الانصراف فقال اقم حتى يأتي الطعام وجاءت الينا جارية لهُ دمشقية عربية فكلمتني بالعربي فبينما نحن في ذلك سمعنا صراخاً بدارهِ فوجَّه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليه فاعلمتهُ ان بنتاً لهُ قد توفيت فقال اني لا احب البكاء فتعالَ نمشي الى البحر يعني النيل ولهُ على ساحلهِ ديار فاتي بالفرس فقال لي اركب فقلت لا اركبهُ وانت ماشٍ فمشينا جميعاً ووصلنا الى دارهِ على النيل واتي بالطعام فاكلنا وودعتهُ وانصرفت ولم ارَ في السودان أكرم منهُ ولا افضل . والغلام الذي اعطانيهِ باقٍ عندي الى الآن

ثم سرت الى مدينة كَوْكَوْ وهي مدينة كبيرة على النيل (النيجر) من احسن مدن السودان واكبرها واخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها الفقوس الصناني الذي لا نظير لهُ وتعامل اهلها في البيع والشراء بالودَع وكذلك اهل مالي . واقمت بها نحو شهر واضافني بها محمد بن عُمر من اهل مكناسة وكان ظريفاً مزَّاحاً فاضلاً وتوفي بعد خروجي عنها . واضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي وهو ممَّن دخل اليمن والفقيه محمد الغيلاني امام مسجد البيضان . ثم سافرت منها برسم تكدَّا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيين دليلهم ومقدمهم الحاج وُجين . ثم وصلنا الى بلاد بَرْدامة وهي قبيلة من البربر ولا تسير القوافل الاَّ في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك اعظم شأناً من الرجل وهم رحَّالة لا يقيمون وبيوتهم غريبة الشكل يقيمون اعواداً من الخشب ويضعون عليها الحصر وفوق ذلك اعواد مشتبكة وفوقها الجلود او ثياب القطن ونساؤهم اتمُّ النساء جمالاً وابدعهنَّ صوراً مع البياض الناصع والسِمَن . ولم ارَ في البلاد من يبلغ مبلغهنَّ في السمن وطعامهنَّ حليب البقر وجريش الذرة يشربنهُ مخلوطاً بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن اراد التزوج منهنَّ سكن بهنَّ في اقرب البلاد اليهنَّ ولا يتجاوز بهنَّ كَوْكَوْ ولا ايوالاتن .

ستأتي البقية



محمد قدري باشا

مقتطف مارس ١٩١٦
امام الصفحة ٢٥٣

محمد قدري باشا

ولد حوالى سنة ١٨٢١ وتوفي يوم الاربعاء في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٦ الموافق ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ عن ٦٥ عاماً

تمهيد

اعانت وزارة الحقانية عن حاجتها الى صورة المرحوم محمد قدري باشا لتضمها الى مجموعة صور الوزراء الذين اسندت اليهم مناصبها فتكمل بها رسوم من تولوها الى اليوم

وكان المفهوم ان ليست لهُ صورة بمصر زعماً انهُ لم يرسم الأ حينما كان في ڤينا يطبب عينيه وزعم بعض الصحف انهُ لم تؤخذ لهُ صورة وان الدكتور دري باشا وهو صديقهُ العزيز اراد يوماً ان يرسمهُ ولما فاتحهُ في الامر انكرهُ بدعوى مخالفتهِ للشرع · ويدفع هذا الزعم ان لهُ صورة عند نجل شقيق دري باشا وصورة اخرى عند نجل صاحب العزة حسين بك عمر القاضي وهي التي ارسلت الى وزارة الحقانية لاتمام غرضها

وقد حدثتني نفسي ان اجمع ترجمةً لذلك الرجل الكبير الذي خدم مصر خصوصاً في مسائلها القانونية والشرعية وبما لهُ من المؤلفات التي تشهد لهُ بطول الباع وسعة الاطلاع والتي ثقفت عقول السواد الاعظم من المصريين المشهورين بالترجمة والتضلُّع من اللغات والآداب والانشاء

اما انا فاستقيت معلوماتي من نجلهِ محمود بك وبعض الاصدقاء واستخلصت منها ترجمة لحياتهِ النافعة الحافلة بالاعمال الطيبة اعتقاداً مني بانهُ حرام ان تندثر مثل هذه التراجم في حين انهُ لا يزال بين ظهرانينا اناس يمكن استرشادهم فيها · وقد كان لي امل ان اجد شيئاً عنهُ في الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك فلم اجد

***

ولد المترجم بمدينة ملوي من والدين عريقين وكانت اسرتهُ قد هاجرت من بلدة وزير كوبرولي بالاناضول كما يظهر ذلك من وقفيتهِ وقد كان جدهُ والياً لتلك الولاية ووالدهُ قدري اغا وزير كوبرولي من اعيانها ولما جاء مصر واستوطنها التزم بعض القرى بملوي كالعادة الشائعة وقتئذٍ بالقطر ثم عين حاكماً بجهة ملوي · اما والدتهُ فمصرية الاصل حسنية النسب

وكان لهُ اخوان رزق بهما والدهُ من اخرى تزوج منها واصلها من الاناضول · وهما ناصر الدين قدري توفي بالاناضول عن اولاد لهُ قبل وفاة المرحوم محمد قدري باشا · والثاني قدري بك كان مابينجي السلطان عبد العزيز اي من موظفي المابين السلطاني وبقي في الاستانة الى ان توفي فيها بعد قدري باشا

ولما ترعرع المترجم بمصر أُدخل مدرسة اهلية صغيرة بملوي و بعد اتمامهِ الدروس المقررة في برنامج تعليمها جاء الى القاهرة وأُدخل مدرسة الالسن المشهورة وكان مقرّها وقتئذٍ في ابي زعبل وكانت قائمة مقام الجامع الازهر في تدريس اللغة العربية اذ كان المقرر بهِ يدرَّس فيها ايام رئاسة الطيب الاثر رفاعة بك رافع الطهطاوي · وكان يدرَّس فيها ايضاً من اللغات الشرقية التركية والفارسية ومن اللغات الاجنبية الفرنسية والايطالية والانجليزية · ومن فرط ولعهِ باللغة العربية كان يتردد على الجامع الازهر ليحضر دروس الاساتذة المتفقهين ومعهُ صديقهُ الشيخ محمد الخماش الشهير بالنابلسي وكان ذلك بعد تعيينهِ مترجماً مساعداً بمدرسة الالسن[1] عقب نهاية دروسهِ فيها

ومن رفقائهِ فيها بحر افندي وشيمي بك والسيد صالح بك مجدي ومحمد بك عثمان جلال وعبد الله باشا فكري وغيرهم من ارباب العقول الراجحة الذين خدموا الوطن وكانوا خير من خدموا · على ان اثارهُ القلمية اظهرت تفوقهُ بما أُوثر عنهُ من العلوم التي دونها في كل فن

---

(١) مدرسة الالسن اسسها محمد علي والغاها عباس الاول مع المدارس الاخرى التي رأى اقفالها · قالوا وكان يصدر اوامرهُ بواسطة اشارات « الغراب » القائم انئذٍ مقام التلغراف ولما اقفلت مدرسة الالسن ارسل رفاعة بك رافع الى السودان لكي ينشئ مدرسة في الخرطوم على مثال المدارس المصرية التي انشئت بمصر · والظاهر ان الوشايات لقيت من عباس باشا صدرًا واسعاً ضد رفاعة بك فنفاهُ بهذه الوسيلة ولم تكن طرق المواصلات سهلة فيعتبر المرسل الى تلك الاقطار البعيدة منفياً ولذلك توسل بقصيدة استعطاف الى عباس باشا حتى اعيد الى القطر · وكان قد خمس القصيدة المشهورة لابن زريق المطبوعة في كتاب مناهج الالباب المصرية وهي التي مطلعها

لا تعذليهِ فان العذل يوجعهُ   قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعهُ

وشاع انهُ اظهر معجزة في التخميس اذ جاء في آخرها بما ينبئ بقرب رجوعهِ الى مصر وموت الوالي · وهذا الجزء من التخميس لم يطبع مع ان قصائد رفاعه بك مطبوعة كلها · قال على ما املانيهِ محمود بك قدري

اناس مقصدهم بالخبث قد نضحا   ومذ اهانوك باؤا بالهوان ضحى
وشاع امرهم في الكون وافتضحا   ومزمع الشر في امر بهِ افتضحا
وعن قريب تراهُ دمعهُ دمهُ

ومطلب كالشريعة والحقوق والرياضيات والعلوم الدينية واللغات تشهد لهُ المطابع والآداب وتلاميذهُ الكثيرون المنتشرون في اكثر الادارات

وعقب تخرجهِ من مدرسة الالسن الحق مترجماً بوزارة المالية وكان مقرها وقتئذٍ في سراي شريف باشا والد علي باشا شريف وظلت هناك نحو سبع سنوات ونقلت منها الى سراي محمد علي بالقلعة مرات ثم الى ديوان خديوي هناك ثم الى سراي العتبة الخضراء حيث المحكمة المختلطة اليوم ثم الى مدرسة عبد العزيز واخيراً الى محلها الحالي . وبسبب هذه التنقلات ضاعت بعض الدفاتر قيل وضاع عليهِ بسبب ذلك ضمُّ تلك المدة عند احتساب معاشهِ

وفي عهد ابرهيم باشا واحتلال المصريين لولاية الشام عين شريف باشا المذكور والياً لها فاستخدم المترجم واخذهُ معهُ وما زال معهُ حتى سافر واياهُ الى الاستانة ولما عاد الى مصر عاد المترجم معهُ وكان قد كف بصرهُ فظل عندهُ يترجم لهُ ما في الجرائد الفرنساوية الى التركية . وكان آية في الترجمة الى ايَّة لغة شرقية خصوصاً العربية ثم عين لتعليم الامير ابرهيم بن احمد وذلك على عهد الخديوي اسمعيل فاستاذاً للغتين الفارسية والتركية في مدرسة الامير مصطفى باشا فاضل واخيراً انتخبهُ الخديوي مربياً لولي العهد وكان مكلفاً ايضاً تدريس التاريخ والجغرافيا في مدرسة ولي العهد المنشأة خصيصاً لتعليمهِ ومعهُ الامراء اخوتهُ وهم عظمة مولانا السلطان الحالي وشقيقهُ حسن باشا وابرهيم باشا وطوسن باشا . وكان عبدالله باشا فكري مفتشاً للغة العربية والتركية والجغرافية فيها . ولما اتم هؤلاء الامراء علومهم وتأهلوا نظم المترجم في تهانئهم قصائد رقيقة مدونة في ديوانهِ الذي جمعهُ لهُ نجلهُ ووعد بطبعهِ قريباً

ثم كتب من دائرة ولي العهد بالاستغناء عنهُ فلما علم الخديوي بذلك استاء فوظفهُ في قلم الترجمة بالمعية السنية فالمعارف ونقل بعدئذٍ الى مجالس التجار بالاسكندرية ثم الى نظارة الخارجية رئيساً لقلم ترجمتهِ وضبط القواعد اللغوية اذ كان هو المنوط وحدهُ بتراجم الحكومة الرسمية . ومن هذه الوظيفة طُلب تعيينهُ مفتشاً بوزارة المعارف فاعتذر وقدَّم لها صديقهُ المرحوم السيد صالح مجدي بك كما يظهر من قصيدة لهُ نظمها مدحاً في عظمة مولانا السلطان حسين حينما اسندت اليهِ وزارة المعارف العمومية وقال فيها

ولو كان فكري في القريض مساعدي لكنت اوفي نظمها وانمقُ
ولكن مجدي صالحٌ ومدرب وادرى بهذا الفن مني واليقُ

وبعدئذٍ نُقل الى المحاكم المختلطة مستشاراً ومنها انتخب ناظراً للحقانية في عهد الخديوي توفيق باشا وحفظ مركزهُ حتى اذا استعفت الوزارة عاد اليهِ ثم تعين وزيراً للمعارف

ومما يؤثر عنهُ في ذلك الزمن ان الامتحانات العمومية كانت تعقد علانيةً بمحل «الامفتياتر» الموجود للآن بجانب مخزن نظارة المعارف ويحضرها الخديوي والامراء والنظار والقناصل و يتبارى الطلبة فكتبت جريدة البوسفور اجبسيان منددةً بهذه الطريقة وقالت ان الامتحانات ليست الأَ صورة امام الحاضرين لان المسائل التي توجه للتلاميذ يحضّرها الاساتذة قبلاً وتعطى لهم سرًّا ومعها الاجوبة فيلقونها كما تلقنوها . وظهر هذا الانتقاد المر في الجريدة ليلة احد الامتحانات

فلما عقدت الجلسة وحضر الخديوي وبلغهُ الخبر طلب نسخة من الجريدة فتقدم حينئذٍ المرحوم قدري باشا وقرأ امام الحاضرين هذه الجملة بلغة عربية صحيحة كأنهُ يتلو المكتوب امامهُ بها وليس بلغة اجنبية ولما فرغ منها تناولها احد الحاضرين متوهمًا ان يرى جريدة عربية فدهش الحاضرون لما تجلت لهم الحقيقة . على انهُ لم تطل مدة وزارتهِ للمعارف فانتخب للحقانية وصدرت لائحة ترتيب المحاكم الاهلية وهو وزيرها وكان مكلفًا الاشتراك في وضع القانون المدني وقانون تحقيق الجنايات قبل صدور اللائحة والقانون التجاري ولو انها صدرت ايام كان فخري باشا وزيرًا للحقانية وكذلك صدر الامر العالي باول امتداد للمحاكم المختلطة سنة واحدة في ٢٨ يناير سنة ١٨٨١ في عهد وزارة المترجم . وبعد الحقانية احيل على المعاش كما هو واضح في ملف خدماتهِ الرسمي

ومما يذكر لهُ ان السلطان عبد العزيز طلب من الخديوي اسماعيل تكليف قدري باشا ومصطفى افندي رسمي (استاذ اللغة التركية بنظارة المعارف العمومية ووالد ابراهيم باشا ممتاز) تنقيح الدستور العثماني وقد اتمهُ بهمة فائقة مستخلصاً من المؤلفات والموضوعات الاوربية ووُضع باللغات التركية والعربية والفرنسية . وفي آخر عهد الخديوي اسماعيل عند تشكيل الوزارة الاجنبية المعروف باسم Coup d'état وضع المترجم نظامًا خاصًّا لوزارة المالية وهي التي كانت مؤلفة من المسيو ده بلنيير الفرنساوي والمستر ولسن الانكليزي الذي توفي اخيراً

ومن صفاتهِ المميزة لهُ انهُ كان خفيف الروح دمث الاخلاق كريم الطباع حسن المعاشرة حلو الحديث يفكه سامعهُ فلا يملهُ ذا دعةٍ ووقار وشرف نفس وصدق طوية ولسان ومحض اخلاص . وقد حدثني من أثق بصدق روايتهِ (وصدَّق على ذلك نجلهُ محمود بك قدري) ان كل منتسب لمدرسة الالسن كان عارفًا بفن من الفنون الجميلة لا لغرض الانتفاع بل لترويح النفس من عناء الدرس من جهة ولاسداء مكرمات من جهة اخرى . ذلك انهُ كان اذا بلغهم ان بعض الفقراء ممن يعرفونهم يحتفل بتأهيلٍ وليس لهُ ما ينفقهُ على اقامة حفلة مهرجان كان

هؤلاء الكرام يجمعون ما يقدمون له لاقامة الليلة من مأكول ونور و يذهبون و يحيون ليلته في انس وانشراح حتى مطلع الفجر ولا يستنكفون . وانها لمروءة تدل على منتهى مكارم الاخلاق . وكان المرحوم قدري باشا يحسن الضرب على العود ولذلك الف في علم الموسيقى رسالة جعل فيها النغمات ابراجاً قيل وهو تفنن لم يسبقهُ اليهِ احد . وكان مصطفى بك رضوان يعزف على الناي وهكذا كل واحد من رفقائهما فكانوا من اهل الادب وعشاق الطرب في وقت معاً

واني اقتبس من كتاب « معلومات جغرافية » للترجم من صفحة ٢٢٠ — ٢٢٨ باللغة الفرنساوية المطبوع سنة ١٨٦٩ ما تعريبهُ

« تعلم بمدرسة الالسن المؤسسة لتعليم المصريين ، اللغات الاوربية وما يلزم لاحياء الآداب العربية والشعر . وقد ترجم تلاميذ هذه المدرسة اكثر من الفي مجلد في كل فن ومطلب . فاسدوا الى مصر جميلاً لا ينسى وقلما يؤتى بمثلهِ . ومنهم من درس القانون الاداري وتخصص بعضهم لمهنة التعليم واشترك الجميع بواسطة ترجمة الكتب في نشر الرقي ومعالمهِ بين المصريين . فقد ترجم السيد صالح افندي اكثر من خمسين مجلداً في العلوم الرياضية والفنون الحربية وفي قانون تحقيق الجنايات . وترجم ابو السعود افندي رئيس تحرير جريدة وادي النيل كثيراً من الكتب وخصوصاً قانون المرافعات المدني وعبدالله السيد بك ومتراج بك تناوبا رآسة مجلس التجار بالثغر الاسكندري وشرفا المصريين بقيامهما بخدمتهما حق القيام . ومحمد البياع افندي وعبد الجليل افندي (وكان السكرتير الفرنساوي لاسمعيل) اشتركا في تحرير المخاطبات الرسمية باللغة الفرنساوية في نظارة الخارجية المصرية مدة سنتين . وطبع خليفه افندي محمود جملة مؤلفات مفيدة للغاية . وترجم رشدي افندي جملة كتب الى التركية والعربية وشغل وظيفة وكيل محافظة قناة السويس . واحمد بك عبيد ورمضان افندي وعبد السلام افندي ترجموا الكتب الحربية المستعملة اليوم في المدارس والجيش . وسعد افندي واحمد حمدي افندي وعبد الرازق بك الشاعر المشهور تخرج على يدهم اكثر التلاميذ . اما امام افندي وحسن افندي المصري فهما من ابرع المترجمين بمدرسة الالسن اذ هما القائمان الآن بالتراجم في نظارة الخارجية والى الاخير (وهو والد حضرة احمد عرفان بك المصري القاضي واخوتهِ) انتسب في شرف تعليمي وتربيتي والقليل من اللغة الفرنساوية الذي اعرفهُ » ثم ختم عبارتهُ بامنيتهِ الآتية :

« و بما ان اغلب هؤلاء المترجمين قد بلغوا من العمر عتيًّا او ادركتهم رحمة الله فالمطلوب

فُتح مدرسة خاصة بتعليم اللغات الاوربية والشرقية وذلك اولى من الالتجاء الى مترجمين من الاجانب حقق الله هذا المطلب وكلاً بعين عنايتهِ اسماعيل باشا وسدد خطواتهِ وحفظ نجلهُ وولي عهدهِ محمد توتيق باشا وباقي انجالهِ الكرام»

هذا وفي المجموعة الشافية في علم الجغرافية لمحمد مختار باشا المطبوعة سنة ١٢٨٩ اشار عندالكلام على مصر الى موءَلف قدري باشا المذكور وقال« قد اخذت ايضاً ما احتجت اليهِ فيما يختص بمصر من كتاب اللوذعي اللبيب محمد افندي قدري الذي اجتهد كثيراً في خدمة الوطن ومن كتب الجغرافيين الذين كانوا في وطننا وقت غزوة الفرنساو بين بمصر»

والى القراء موءَلفاتهِ وقد قسمت الى ثلاثة اقسام حسب مواضيعها ووضعها وعنوانها بلغاتها

الادبية التاريخية

Aperçu historique de l'Egypte par M. C., Caire Imprimerie Onsy et Mourès au Mouski 1869, 15 p.

(١) لمحة تاريخية لمصر طبعت بالقاهرة بمطبعة انسي وموريس بالموسكي ١٨٦٩ في ١٥ صحيفة

Notions géographiques accompagnées de quelques notices historiques sur les principals villes de l'Egypte publiées et traduites en arabe à l'usage de la jeunesse Egyptienne. Imprimerie P. Cumbo. 1869

(٢) معلومات جغرافية مصحوبة ببعض نبذ تاريخية لاهم مدن مصر جمعت وترجمت بالعربية لفائدة الشبيبة المصرية طبعت بالقاهرة سنة ١٨٦٩ بمطبعة كومبو في ٢٣١ صحيفة. وقد اهدى الكتاب الى ولي العهد

ثم اعيد طبعهُ في ڤينا بالمطبعة الملوكية سنة ١٨٧٠ حينما كان هناك مع ولي العهد يداوي عينيه ووصف نفسهُ بانهُ بدائرة ولي العهد في ٢٥٨ صحيفة وخريطة

Abrégé de la grammaire française traduite en arabe à l'usage de la jeunesse Egyptienne.

(٣) مختصر الاجرومية الفرنساوية ترجمت الى العربية لفائدة الشبيبة المصرية. وقد تكررت طبعاتها واهديت احداها الى شريف باشا بوصف كونهِ ناظراً للمعارف المعروفة انئذٍ بديوان المدارس المصرية

Nouveau guide de conversation française turque et arabe ou la langue française mise à la portée des Orientaux.

(٤) الدر المنتخب من لغات الفرنسيس والعثمانيين والعرب الفهُ ايضاً حينما كان

بدائرة ولي العهد طبع بالاسكندرية سنة ١٨٧٠ واعيد طبعهُ بالمطبعة الاهلية حينما كان بالمعية السنية .

(٥) اجرومية في اللغة العربية بقواعدها ولم تطبع بعد

Guide de conversation française arabe contenant une méthode d'enseignement simple et pratique pour l'étude de ces deux langues à l'usage des indigènes et des Européens.

(٦) الدر النفيس في لغتي العرب والفرنسيس تكررت طبعاتهُ ايضاً وهو كتاب ضخم يقع في ٧٠٠ صحيفة ونيف

(٧) اللآلي السنية في ثلاثة اجزاء احدها للمفردات والاخران للجمل والامثال طبعت سنة ١٢٨٠

(٨) مفردات في علم النباتات لما كان استاذاً للغة الفرنساوية في القصر العيني مطبوع في كتاب لغوي

(٩) المترادفات باللغة الفرنساوية والعربية طبع وتكرر Vocabulaire français-arabe

Biographie de S. A. le Khedive Mohammed Tewfik Pacha.

(١٠) ترجمة سيرة محمد توفيق باشا خديو مصر يظهر انهُ وضعها بناءً على طلب سموهِ واودعت في كتبخانة المعية السنية وارسلت صورة منها لباريس لتطبع في كتاب التاريخ العام

(١١) رسالة في علم الصرف مخطوطة في عشر ورقات كتبت سنة ١٣٠٠ اشتريت وحفظت بدار الكتب

(١٢) قطر انداء الديَم في النصائح والمواعظ والحكم جمعهُ من كتب الادب وطبع بمطبعة المدارس على مثال مجموعة المرحوم عبد الله باشا فكري المسماة الدرر الغوال في المواعظ والامثال .

(١٣) ديوان اشعار جمعهُ نجلهُ محمود بك لم يطبع بعد على حدة لكن كانت اشعارهُ وقصائدهُ تنشر في الوقائع المصرية بعضها طويلة في ١٥٠ بيتاً وكانت مجلة الشباب اشارت الى بعض اثارهِ في اعدادها الاخيرة

هذا عدا ما كان ينشر في مجلة روضة المدارس المصرية من المقالات والخطابات والتراجم خصوصاً في موضوع التمصر والتمدن والمواضيع الاجتماعية المحضة وغايتها حب الوطن

وضع أو تعريب المؤلفات القانونية

(١٤) تعريب القوانين الفرنساوية المشهورة بالكود بمعرفة جماعة من افاضل المترجمين

المصريين · فالقانون المدني عربهُ رفاعه بك رافع وعبد الله بك رئيس قلم الترجمة واحمد افندي حلمي وعبد السلام افندي احمد · وقانون المحاكات والمخاصمات في المعاملات الاهلية المعتادة (المرافعات) عربهُ ابو السعود افندي وحسن افندي فهمي احد مترجمي وزارة الخارجية

وقانون الحدود والجنايات عربهُ محمد قدري باشا وقانون تحقيق الجنايات عربهُ السيد صالح مجدي بك

جمعت كلها وطبعت بالمطبعة الاميرية سنة ١٢٨٣

(١٥) واشتغل بوضع مؤَلف عنوانهُ احاسن الاحتياطات لما يتعلق بتقليل الجنايات وسماهُ بالفرنساوية .Le bon régime pour diminuer le crime وهو تحت نظر وزارة الحقانية اليوم قدمهُ ولدهُ بواسطة سعادة كحيل باشا كما اشتغل بتعريب قوانين المحاكم المختلطة حوالي سنة ١٨٧٤ مع اللجنة الرسمية المكلفة بذلك في نظارة الحقانية المنشأة حديثاً استعداداً لاختيار ما يلائم وضعهُ للمحاكم الاهلية لتطبيقها على العرف والعادة

(١٦) وبتنقيح القوانين المصرية الاهلية

Modification des codes des tribunaux indigènes.

المؤَلفات الشرعية

(١٧) مرشد الحيران الى معرفة احوال الانسان في المعاملات الشرعية على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان ملائماً لعرف الديار المصرية وسائر الامم الاسلامية · ولا يمكن لغير متضلع من الاحكام الشريعة الغراء وواقف على دقائق المذهب الحنفي ان يلم بدقائقهِ اذ لخصهُ من عدة كتب في الفقه مستشهداً باراء الائمة والمجتهدين

اما النسخة الاصلية المخطوطة فمحفوظة بدار الكتب السلطانية واشتريت من الورثة بمبلغ خمسين جنيهاً وخابر علي باشا مبارك فضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي في نوفمبر سنة ١٨٨٩ (٩ ربيع اول سنة ١٣٠٧) في ذلك فاصلح وغير تطبيقاً لما عليهِ العمل وانضم اليهِ فضيلة الشيخ حسونه النواوي وكان وقتئذٍ مدرس الشريعة الاسلامية بمدرستي دار العلوم والحقوق · وصدر قرار نظارة المعارف في اواخر سنة ١٨٩٠ وطبع على نفقتها بالمطبعة الاميرية وتكررت طبعاتهُ لانهُ تقرر تدريسهُ بمدرسة الحقوق وحفظت حقوق الطبع لها · وقد ترجمهُ الى اللغة الفرنساوية سعادة عبد العزيز كحيل باشا المستشار

حالاً بمحكمة الاستئناف الاهلية ايام كان وكيلاً لمحكمة الاسكندرية الاهلية على نفقة النظارة بقرار وزاري وزيد على الترجمة من مخطوط في المقاصة وبعض مواد اخرى سلمهُ نجل المؤلف للوزارة .

(١٨) قانون العدل والانصاف للقضا على مشكلات الاوقاف طبع ببولاق سنة ١٨٩٤ ترجمهُ ايضاً كحيل باشا سنة ١٨٩٦ بناء على طلب نظارة المعارف العمومية وتصديق ناظر الحقانية

(١٩) وكتاب الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية طبع ببولاق سنة ١٢٩٨ . ثم طبعهُ امين افندي هندية بترخيص نظارة المعارف وتعددت طبعاتهُ بها . وقد شرحهُ حديثاً الاستاذ محمد بك زيد الابياني مدرس الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق السلطانية وقال في المقدمة : وهو ذلك الكتاب الذي وان جمع من فقه ابي حنيفه ما يختص بذات الانسان من الاحكام في مواد سهلة الفهم قريبة التناول على من ليس لهُ سابقة عهد بمزاولة فهم عبارات الفقهاء وحل رموز المتون ومعرفة اصطلاحات الشراح والمعلقين بيد ان موَّلفهُ رحمهُ الله لم يبعد بهِ الايجاز عما لم يسلم منهُ كل مختصر بل جاءَت بعض مواد كتابهِ غامضة العبارة مبهمة الاشارة والاخرى مطلقة الاحكام الواجبة التقييد. لذلك رأيت من الواجب عليَّ ان لا ابقي ايجاز هذا الكتاب على ما حوى من غزارة الفائدة عقبةً تحول دون استفادة الطالبين وطلمباً تشخص عندهُ ابصار المحصلين فلم ازل انقب اثناء تدريسي لهُ في كتب القوم فافتح مغلقهُ واقيد مطلقهُ واكمل ناقصهُ واتمم وسائلهُ واشرح مسائلهُ الخ الخ »

وفي فهرس مكتبة محكمة الاستئناف تنسب اليهِ ترجمة الاحوال الشخصية والمواريث الى الفرنساوية طبع الاسكندرية سنة ١٨٧٨ على انهُ هو واضعهُ اصلاً وترجمة

Droit musulman. Statut personnel et de successions d'après le rite Hanafite. Traduction Alexandrie 1878

وفي دار الكتب السلطانية نسخة مخطوطة اخالها وحيدة ولم تطبع بعد . اشتريت من الورثة والتركة عقب وفاة المترجم وهي :

(٢٠) تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقاً لمذهب ابي حنيفة وهي بقلم عادي في ١١٤ ورقة في قالب الربع مسطرتها واسعة وخطها واضح جلي . جاء في الفاتحة بعد البسملة « هذا بيان المسائل الشرعية التي وجدت في القانون المدني مناسبة او موافقة لمذهب

الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان » من بند ١ من القانون الى بند ٢٢٣٨ وفي كل بند يذكر موافقتهُ او عدم موافقتهِ للمذهب وموافقتهُ بالمطابقة او حيث لا مانع شرعاً ثم يشير معيناً المواد في القانون الاهلي سواء كان مدنيًّا او في الجنايات · وفي اعتقاد كل منصف انهُ عمل شاق لا يعرف قدرهُ الأ عالم متبحر قدير ولم يذكر في اي سنة وضعت ولا كاتب النسخة

***

ولما توفي يوم الاربعاء السابع عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠٦ نعتهُ الوقائع المصرية فقالت :

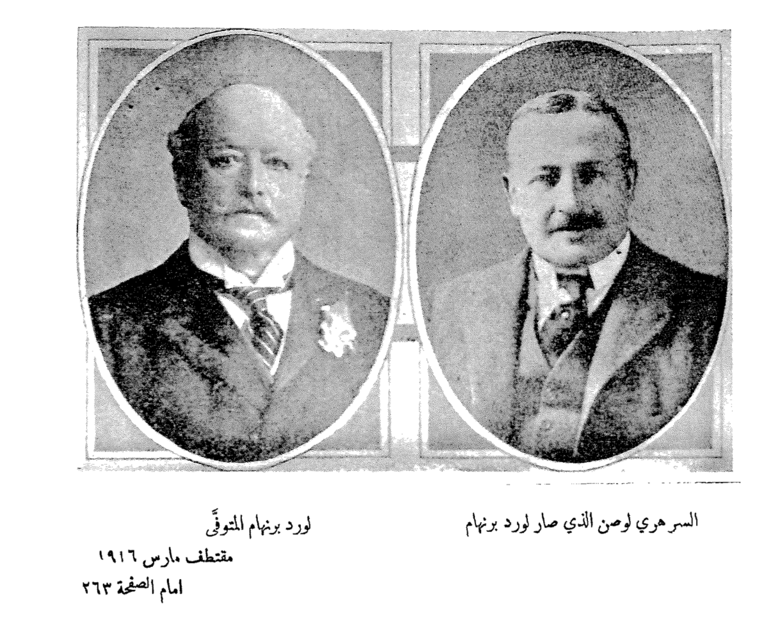
« في الليلة الماضية انتقل من هذه الدار الفانية الى دار النعيم والبقاء المرحوم قدري باشا ناظر الحقانية المصرية والمعارف العمومية سابقاً ولما ابلغ هذا الخبر الى المسامع العلية الخديوية امر الجناب العالي حفظهُ الله باجراء ما يجب من التوقير والاحترام في تشييع جنازتهِ لما كان لهُ رحمهُ الله لدى الجناب العالي من المكانة والاعظام

« وفي صبيحة هذا اليوم توافد الناس الى منزلهِ رحمهُ الله للاحتفال بتشييع الجنازة فكانوا عدداً عديداً من الامراء ورجال الحكومة السنية وذوي المناصب الرفيعة الملكية والعسكرية وجمًّا غفيراً من كبراء الموظفين واماثل الوجوه والاعيان وطنيين واجنبيين · وكان في مقدمة الكل كثير من حضرات العلماء الاعلام ورجال المعية السنية الكرام فشيعت جنازتهُ رحمهُ الله على اكمل ما يكون من التكريم والتبجيل وكانت علامة الحزن والاسف ظاهرة على المشيعين حتى اوصل جسدهُ الى جدثهِ مأسوفاً عليهِ من العموم

« قد كان رحمهُ الله رجل الجد في العمل وواحد الاقبال على العلم ومحبة ذويهِ تشهد لهُ مؤلفاتهُ بالفضل العظيم · سباقاً الى الخير كريم الطبع واسع الصدر لطيف المجاملة اهلاً لكل كرامة نالها من لدن حكومة الجناب العالي الخديوي والتفات جنابهِ الكريم وموضعاً عليًّا لمحبة عموم الناس على اختلافهم في المنازل والدرجات · رحمهُ الله رحمة واسعة وعوض اهل مصر واهليهِ خيراً على مصابهم فيهِ واتاح لهم الصبر الجميل والاجر الجزيل »

وقالت في عدد تالٍ :

« في صباح هذا اليوم توجه حضرة محمود افندي قدري نجل المغفور لهُ قدري باشا الى سراي عابدين العامرة وقدم للاعتاب الخديوية مزيد الشكران وفائق الامتنان بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن عائلة والدهِ المرحوم على التعطفات الخديوية الكريمة التي شملت والدهُ مدة



السر هري لوصن الذي صار لورد برنهام

لورد برنهام المتوفَّى

مقتطف مارس ١٩١٦

امام الصفحة ٢٦٣

مرضهِ الذي لم ينجع فيهِ دواء ولم يؤثر فيهِ العلاج وعلى الاحتفال الجليل بجنازتهِ بناءً على نطقهِ السامي . فابدى لهُ الجناب الخديوي الافخم مزيد اسفهِ على هذا المصاب وانهُ مشارك لهُ ولعائلتهِ في الحزن الذي شملهم . ولما بشرهُ الجناب الرفيع حفظهُ الله بانهُ لا يزال يلحظهُ بعين عنايتهِ اخذتهُ دهشة السرور عن ان يبدي ما بي بشكر هذه النعمة الجليلة ادام الله الخديوي الاكرم منبعاً للخيرات ومصدراً للنعم امين »

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

الديلي تلغراف وابو صحافة لندن

الصحافة قديمة في البلاد الانكليزية يرجع تاريخها الى اكثر من ثلثمائة سنة ولكن الصحف اليومية الكبيرة الحجم الرخيصة الثمن المعروفة الآن حديثة جدًّا يرجع الفضل فيها الى رجل توفي حديثاً وهو لورد برنهام صاحب جريدة الديلي تلغراف ويلقبهُ الانكليز بابي صحافة لندن

انشأ الديلي تلغراف الكولونل سلاي واصدر اول عدد منها في ٢٩ يونيو سنة ١٨٥٥ لكنهُ لم يفلح وتراكم عليهِ الدين فاشترى الجريدة منهُ رجل اسرائيلي اسمهُ يوسف موسى لاڤي كان قد اتجر وصار على شيءٍ من الثروة . وكان ثمن النسخة منها بنسين اي ثمانية مليمات فجعلهُ بنساً واحداً واصدر اول عدد منها بهذا السعر في ١٧ سبتمبر ١٨٥٦ وكانت اربع صفحات فقط . وهي اول جريدة يومية بيعت بهذا الثمن في مدينة لندن . وكانت جريدة التيمس قد احتكرت مشاهير الكتّاب وجماهير القراء على غلاء ثمنها فرأى المستر لاڤي ان رخص الثمن وحدهُ لا يكفي لمناظرتها فاستخدم مشاهير الكتّاب للتحرير في المواضيع السياسيّة والاجتماعية ونقدهم الرواتب الطائلة . ولا تزال الديلي تلغراف الى يومنا هذا ومحرروها ومراسلوها من مشاهير كتّاب الانكليز . ومن الذين تولوا تحريرها ومراسلتها السر ادون ارنولد والمستر سلاَّ والشريف فرنك لولي والمستر ادورد ديسي والدكتور تريل والدكتور ديلون واللورد دنراڤن واللورد رسل والمستر ونستن تشرشل والسر كمبل كلارك وكثيرون من امثالهم

واشتغل ادورد ابن المستر لاڤي بجمع حروف هذه الجريدة في صباهُ ثم تدرَّج الى الى التحرير فيها ثم ارتقى رويداً رويداً حتى تولَّى رئاسة التحرير ولُقّب بالسر ادورد لوصن

وهو الذي صار لورداً بعد ذلك باسم لورد برنهام و بسعيهِ ابطلت الحكومة الضريبة التي كانت تتقاضاها من الجرائد فتيسَّر لهُ ان يكبر الدبلي تلغراف و يوسع صفحاتها و يزيد عددها و ينفق على الاعمال العلمية النافعة وهو الذي ارسل العالم جورج سمث الى العراق للبحث عن آثار نينوى فاكتشف القطع المفقودة من الصفائح التي نقش عليها خبر الطوفان مع ما اكتشف من الآثار الاشورية . واشترك مع صاحب جريدة نيو يورك هرلد في ارسال ستانلي الى افريقية في رحلتهِ الثانية للبحث في مجاهلها فمسح بحيرة فكتوريا و بحيرة طنجانيكا واثبت ان نهراللوالايا هو نهر الكنجو . و بمساعي الدبلي تلغراف راد السر هري جنستن بلاد كليمنجارو وقطع المستر ليونل دكل المسافة من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة . و بسعيها ايضاً جُمعت اموال طائلة لكثير من الاعمال العمومية النافعة

وكانت الدبلي تلغراف من جرائد الاحرار و بقيت كذلك الى سنة ١٨٧٨ وحينئذٍ قاومت غلادستون وصارت لسان حال المتحدين اي الذين انفصلوا عن الاحرار واتحدوا مع المحافظين وهي تفاخر بانها اول جريدة انكليزية نشرت خبر عقد الصلح بين فرنسا والمانيا بعد حرب ١٨٧٠

قلنا ان الدبلي تلغراف كانت اربع صفحات صغيرة في اول امرها وقد زيدت رويداً رويداً وهي تصدر الآن ١٦ صفحة كبيرة ولم يزل ثمن النسخة منها بنساً واحداً او اربعة مليمات وهذا الثمن لا يكاد يفي بثمن ورقها فدخلها كلهُ من اعلاناتها . ففي آخر عدد نراهُ امامنا الآن منها اعلانات تملأُ ستين عموداً وقد يكون في العمود منها اكثر من ٣٠٠ سطر و يقال ان دخلها السنوي من الاعلانات يبلغ نحو ستمائة الف جنيه فلا عجب اذا استطاع اصحابها ان يدفعوا الرواتب الطائلة لمحرريها ومراسليها و ينفقوا بسخاء على الاعمال العمومية و يقدموا للقراء يوميًّا جريدة فيها من المواد والاخبار المجموعة من اقطار المسكونة ما يملأُ كتاباً كبيراً بثمن لا يزيد على اربعة مليمات

و توفي لورد برنهام في التاسع من يناير الماضي وخلفهُ ابنهُ السر هري لوصن فصار يلقب لورد برنهام وهو مثل ابيهِ في علو الهمة والبن العريكة وكان قد شارك اباهُ في ادارة الدبلي تلغراف منذ سنة ١٨٩٠

علم الانسان

شكل الجمجمة واللون

لو سئل احد العامة بمَ تميز اجناس الناس بعضهم عن بعض لأجاب على الفور بلون بشرتهم . وتراهُ يفرّق عادة بين اللون الاسمر الخلقي وبين الاسمر المجلوب بتلويح الشمس وتأثير الاقليم . ولكننا اذا ذهبنا الى متحف من المتاحف الكبرى لم نستطع تطبيق قاعدتهِ على ما فيها من بقايا الناس قبل التاريخ لان تلك البقايا عظام بلا جلد فلا يمكننا والحالة هذه تمييز صنف عن صنف باللون فنعمد الى شكل العظام وخصوصاً شكل الجمجمة . فيرى من ذلك ان شكل الجمجمة واللون يساعداننا على معرفة بعض الشيء في هذا البحث الواسع

— شكل الجمجمة —

على ان معرفة شكل الجماجم لمقابلة بعضها ببعض اعسر كثيراً مما يظن . لان نسبة اجزاء الجمجمة بعضها الى بعض لا تبقى على وتيرة واحدة فلا يمكن الاهتداء الى مقياس معين للقياس بهِ . وجهد ما في الامر اننا نحكم بوجود اوجه للشبه او للخلاف بين الجماجم بانين حكمنا على متوسط مجموع النسب التي بينها . وذلك بان يقاس طول الجمجمة ويحسب ١٠٠ ثم يقاس عرضها ويعبَّر عن شكلها بنسبة العرض الى الطول . وهذه النسبة تعرف باسم الدليل الجمجمي وتختلف بين ٥٨ و ١٠٠ . فكلما اقترب العرض من الطول كانت الجمجمة اقرب الى الاستدارة وسميت مستديرة او مفلطحة وكلما تباعدا سميت طويلة او مصفَّحة

وطول الجمجمة هو خط مستقيم مرسوم من البَلَج اي الفرجة بين الحاجبين الى ما برز من القفا . وعرضها خطٌ مرسوم بين ما برز من عظم الجمجمة من الجانبين فوق الاذنين . ويقال غالبًا ان الزنوج والاسكيمو والبربر وسكان شمال اوربا من اهل الجماجم الطويلة . وان الاسيو يين الساميين سكان السلطنة العثمانية وبعض السلاف من اهل الجماجم المستديرة . ومعظم الانكليز من الاولين ومعظم الفرنسو يين من الثانين

وقد ظهر من ابحاث بعض الباحثين ان الاقليم يغير شكل الجماجم كثيراً بطريقة مجهولة . فان جمجمة اليهودي من سكان شرق اوربا اقصر واوسع من جمجمة اليهودي الذي ولد

في اميركا وكان ابواهُ قد هاجرا اليها من شرق اوربا · وهذا الفرق اكثر ظهوراً في النسل الثاني منهُ في الاول · وكلُّ ما يقول علماء الانثروبولوجيا في تعليل هذا التغيير ان للجمجمة في سني الصغر مرونة تجعلها عرضة لتأثير الاقليم · واذا كان شكل الجمجمة يتغير بتأثير الاقليم افلا يتغير الدماغ كذلك · وبعبارة اخرى اذا كان شكل الراس الطويل الموروث يتغير بتغير المحيط فما القول في ضعفاء المدارك الذين ورثوا ذلك الضعف ابًا عن جدّ

اما وقد عرفنا الدليل الجمجمي فلنبحث في اصناف الناس الذين وجدوا قبل زمن التاريخ ولنأخذهم بهذا الدليل فنقول :

اكتشف الدكتور دوبوى في جزيرة جاوى بقايا انسان سمّي « بيثكانثروباس » اي الانسان القردي · وهذه البقايا هي قحف جمجمة وبضع اسنان وعظم فخذ · وقد ذهب مكتشفها الى ان الطبقة الجيولوجية التي وجدت فيها هي المسماة بليوسين (Pliocene) وهي من طبقات العصر الثلاثي (Tertiary) الذي ليس لدينا دليل يرجح وجود الانسان فيهِ · ومع ان دوبوى دافع عن مذهبهِ بحجج قوية فان جمهور العلماء ميالونَ الى الاعتقاد بان تلك البقايا هي بقايا صنف من القرد المعروف باسم جبون لا بقايا انسان · وقد قال بعض العلماء في صاحب تلك البقايا انهُ حلقة مفقودة لا ريب فيها لانهُ ان كان قرداً فقد كان ذا دماغ عظيم الحجم وان كان انسانًا فقد كان ابله

ويلي هذا الانسان القردي انسان هيدلبرج اكتشفت آثارهُ في المانيا وهي الفك الاسفل باسنانهِ كاملة · وقد وجد على عمق ٨٠ قدماً واكثر مع آثار حيوانات اخرى تمكننا من تعيين قدمها ببعض الدقة· وقد حسبوا انها تنتمي الى العصر الشلي نسبة الى شلّ (Chelles) في فرنسا · اما الفك فيشبه فك الغورلاَّ في قوتهِ وخلوّهِ من الذقن · واما الاسنان فاسنان انسان بلا جدال

ويلي هذا جماجم انسان نياندرتل نسبة الى نياندرتل في المانيا حيث وجدت اول جمجمة من نوعها سنة ١٨٥٦ · وهي ضيقة ذات جبهة مخفضة متقهقرة وحجاج بارز · ومع ذلك فهي ضعفا جمجمة الغورلاَّ في سعتها· فهذه الاوصاف القت الشقاق بين العلماء فانقسموا فئات واحدة تقول ان صاحب الجمجمة قرد · وثانية انهُ انسان سويٌّ · وثالثة انهُ انسان ابله · ولسوء الحظ لم يتمكنوا من معرفة قدم الجمجمة ولكنهم وجدوا سنة ١٨٦٦ فك

امرأة قوياً وبلا ذقن في بعض كهوف البلجيك ومعهُ بقايا بعض الحيوانات المعروف عصرها بالتقريب كالموث وفرس النهر الصوفي والوعل او الرنة . وكانوا قد وجدوا قبل ذلك ببضع سنوات جمجمة في مقلع للحجارة عند جبل طارق فسميت جمجمة جبل طارق وهي ضيقة ذات قحف منخفض وحجاج بارز . ووقبتا العينين دائرتان واسعتان وبعيدتان الواحدة عن الاخرى والاسنان منظومة على شكل نعل الفرس كما في القرد . والوجه اقرب الى وجه القرد منهُ الى وجه الانسان . وقد وجد من هذه الجماجم حتى الآن عشرون او اكثر ووجد بعض هيا كلها معها

وخلاصة القول في اصحاب هذه الجماجم ان شكل جماجمهم اشبه بجمجمة القرد منهُ بجمجمة الانسان الى حدّ محدود ولكن سائر اوصاف الجمجمة واوصاف سائر العظام تطابق اوصاف معاصرينا من سكان استراليا الاصليين . ومع ذلك فقد كانوا ناساً ذوي ادمغة يعتقدون بالحياة بعد الموت كما دلت رسومهم

وقد وجدت في اوربا اشكال اخرى من الجماجم القديمة اشهرها اثنان . ففي كهف من كهوف منتون في فرنسا وجد هيكلان عظميّان في احدى الطبقات السفلى ظن انهما يشبهان هيا كل الزنوج الحديثة ولما لم يوجد مثلها في اوربا ولا في غيرها لم يستطع العلماء البتّ في امرهما وجدت في طبقة اخرى فوقها وفي كهوف اخرى من كهوف منتون عظام من صنف آخر يدلّ احدها على ان صاحبهُ كان جباراً . وهو ينتمي الى صنف او شعب سمّوا كرومانيون نسبة الى المكان الذي وجدت عظامهم فيهِ وعاشوا بعد عصر الانسان « المستيريان » الذي وردت الاشارة اليهِ في هذه المقالات . اما شكل جماجمهم فارقى من اشكال الجماجم التي سبق وصفها بكثير فان الجبين مرتفع والذقن ظاهر منتظم الحدود ولا يبرز الحجاج ولا الفك الاسفل فيها بروزهما في انسان نياندرتل . ولا يعلم بالتحقيق هل لهذا الشعب اثر في اوربا ومن رأي البعض انهُ لا يزال منهُ اثر في مقاطعة دوردون بفرنسا

وقبل التخلّص من باب شكل الجمجمة الى باب لون البشرة لا بدّ من القول انهُ ليس بين خواص الاجناس المختلفة خاصة الاَّ وهي خادعة فلا يصحّ الاسترشاد بها على الدوام . ولا يشذ شكل الجمجمة عن ذلك . فان الاقزام سكان الكنغو والبشمان سكان جنوب افريقية من جنس واحد في حين ان رؤُوس الاولين متوسطة بين الاستدارة والطول

ورؤُوس الآخرين طويلة · وترى رؤُوس الهنود الاميركيين مختلفة الاشكال في حين انهم من جنس واحد

— اللون —

قسم ليفيوس الناس قبل داروين الى اربعة تنوعات الابيض الاوربي · والاحمر الاميركي · والاصفر الاسيوي · والاسود الافريقي · ولم يكن يخطر بباله اذ ذاك ان يضع بهذه القسمة اساساً لحدود طبيعية تفصل بين تنوع وتنوع · وانما اراد بها وضع اساس للحدود الاصطناعية لانهُ كان يرى رأي بوفون من ان الناس كلهم من نوع واحد ولكن الاقليم يصبغهم باصباغ مختلفة ويلوّن كل تنوع بلون · ولكن الداروني ينقّب في ابحاثهِ عن مميزات طبيعية تميز الناس بعضهم من بعض من حيث التسلسل · فالجنس والتسلسل عندهُ شيءٌ واحد · فان وجدت علامة للجنس وجب ان تنوب مناب جميع الخواص التي تتألف الوراثة منها وذلك بان توجد معها · افيصحّ والحالة هذه حسبان اللون علامة جنسية بهذا المعنى العميق ؟

وقبل الجواب عن هذا السؤَال لنسأل ما هي فائدة اللون ؟ هل ترافقهُ احياناً صفات مفيدة كما ترافق الخط الذي يعرف عند قارئي اسرار اليد بخط القلب و يكون ذلك اتفاقاً لا معنى لهُ ولا دلالة قريبة او بعيدة ؟ وواقع الامر ان اللون في العرف اما ان يكون نعمة لصاحبهِ او نقمة عليهِ في تنازع البقاء · ولا مشاحة فيما لهُ من الاثر الآن في الانتخاب الجنسي اي الانتخاب للتزاوج سواء اكان ذلك في الانسان ام في سائر الحيوان هذا اذا لم نقل شيئاً عن تفضيل الناس للون على لون من الوان الوجوه وما يتلو ذلك من التحزّب والغرض الاعمى كما هو مشهور · فان الحيوانات الدنيا تقاد بالظواهر التي توَثر فيها عند انتخاب الازواج واللون احدى تلك الظواهر بل اظهرها · وكذلك الناس رجالاً ونساءً يعولون في ذلك على احكام عيونهم دون احكام عقولهم

على انهُ وان كان للون في الرجل شأناً في المسائل الزوجية بين الناس لم يُرَد في الاصل على ما يظهر لما اريد اللون لهُ في ذكر الطير مثلاً · ولا نقول انهُ خالٍ من الفائدة فيهِ بالمرة بل انهُ مفيد في التزوج وفائدتهُ محصورة وقائمة بكونهِ علامة على القوة والنشاط · ولا ينكر ما للون من العلاقة بالاقليم فان المميزات الجنسية البدنية ومنها اللون نشأت في عصور بعيدة لقيها بعضهم بمعمل الاجناس · ولا بدّ ان يكون عمل الانتخاب الطبيعي فيها قد اقتصر

في الاكثر على الجسم دون العقل اذ لم يكن العقل قد صار في ذلك العهد الشرط الاول للبقاء · وفيما عدا ذلك فالمسئلة مسئلة جغرافية لا غير · ففي الاقاليم الحارة التي هي مسكن القرود المشابهة للانسان والتي كانت مسكن الانسان الاول يحمي الجلد الاسود صاحبهُ من نور الشمس · ويقال ان الجلد الابيض يقتصد في اشعاع حرارة الشمس في البلاد الباردة ولكن هذا القول لا يزال في معرض الشك · اما الالوان الباقية وهي الاسمر والاصفر والاحمر فالوان متوسطة بين الابيض والاسود وملائمة لما توسط من الاقاليم بين البارد والحارّ

ولا يغرب عن البال ان لسهولة الانفعال يداً في تعيين لون البشرة · فان الانكليزي الذي يقضي جزءًا كبيراً من عمرهِ في حرارة الارض في الهند مثلاً تكتسب بشرتهُ سمرةً لا يزيلها صابون ولا مادة اخرى ولو قضى بقية عمرهِ في انكلترا وطنهِ الاول · على ان المسائل التي لم تحلّ حتى الآن هي هل يتوارث الاولاد عن والديهم هذا اللون فيصبح خاصة من خواصهم؟ وان كانوا يتوارثونهُ فالى اي حدّ؟ وهل تقصر الوان السود المقيمين في البلاد الباردة والى اي حدّ ايضاً؟ هذه مسائل لا بدّ للجواب عنها من تجارب طويلة اختصّ بها بعض العلماء على ما هو معروف

اما الغرض الاول من اللون فالوقاية من نور الشمس كما تقدم القول · ولكن المتمدنين والذين ينتمون اليهم يحتالون على الشمس بلبس الثياب فلذلك اخذ لون البشرة يفقد الغرض الاصلي منهُ وبات اقرب الى الكماليات منهُ الى الحاجيات · فهل يُفقَدهو على مرّ الزمان؟ · والذي يراهُ العلماء انهُ يَفقد على مرّ الزمان الطويل مزيتهُ الاصلية وهي وقاية صاحبهِ من عوادي الاقاليم وتغيراتهِ وتصييرهُ صالحاً للبقاء فيها · ومهما يكن من ذلك فان الاهواء والتحزبات الجنسية المؤسسة على لون البشرة لا بدّ ان تضمحل متى ظهر من السود والسمر والصفر صفات عقلية تمكنهم من مزاحمة البيض في احوال متشابهة وفي بلاد مختلفة الاقليم

وهذا يفضي بنا الى البحث في الاجناس من حيث مظهرها العقلي · فما هو العقل وما هو محكّهُ؟

مصر منذ تسعين سنة

(٣)

« حادثة سليمان آغا »

كتبت عقد الايجار في البيت لمدة ستة شهور وانفقت مالاً كثيراً لفرشهِ ومشترى اثاثهِ. وهاهم يقولون لي اما ان تتزوج او ان تتسرى او ان تخرج منهُ

في اليوم نفسهِ ذهبت الى فندق دومرج Domerg لاستشير صديقي المصور وقبل ان اصل الى هناك رأيت في ساحة العتبة الخضراء جمعاً من السيَّاس يروضون الخيل . وفيما انا واقف اذا بشاب منهم ضخم الجثة يلبس جلاَّبية زرقاء وعلى كتفهِ مشلح اصفر هجم عليَّ وعانقني فتبينتهُ فاذا هو سائس سليمان آغا الذي التقيت بهِ على السفينة النمسوية في البحر الادرياتيك وقد ذكرتهُ فيما سبق[1] فدفعتهُ عني برفق وقلت لهُ كلمة الاستحسان « طيّب طيّب » ولما التفتُ ورائي لادعو ترجماني عبد الله وجدتهُ ابتعد عني انفةً وترفعاً بعد ان رأى سائساً حقيراً من العامة يعانقني علناً . فقد افسد السياح الانكليز اخلاق هذا الرجل وجعلوهُ مثلهم انوفاً مترفعاً

فاخذ السائس بتلابيبي وقادني الى دار واسعة بالقرب من هناك رأيت فيها سيدهُ سليمان آغا متربعاً على مصطبةٍ فلما رآني عرفني ونهض لاستقبالي مرحباً بي واجلسني قريباً من مقعدهِ وكانت تلك الدار من دور الباشا حاكم مصر وسليمان آغا من اتباعهِ وقد جعلهُ مديراً لاسطبلاتهِ فاقبل الخدم وقدموا لي شبقاً قصيراً ودارت علينا القهوة اليمنية ذات الرائحة الذكية في فناجين ضمن ظروف من النحاس اللامع والتف حولنا جماعة يشاركوننا في شربها

اما ترجماني فلم راي احد اتباع الحاكم يحتفي بي دخل وجلس بجانبي وجعل يترجم بيني وبين سليمان آغا الذي لم يعرف سوى بعض عبارات ايطالية التقطها مدة اقامتهِ في البندقية فاغتنمت هذه الفرصة لاستشارة سليمان آغا في امر تزوّجي وقصصت عليهِ ما حدث لي مع القبطية صاحبة البيت وذكرت لهُ حديث شيخ الحارة فاصغى الى كلامي بانتباه واخيراً قهقه ضاحكاً وقال لي

---

[1] ذكر السائح هذا الرجل في الجزء الاول من سياحتهِ قبل وصولهِ الى مصر وقال انهُ من اتباع محمد علي باشا ارسلهُ الى اوربا ليوصل بعض الطلبة المصريين وفي الوقت نفسهِ كلفهُ مشترى بعض الخيل وغيرها من اسواق اوربا

— لقد صدقك شيخ الحارة واخلص لك النصيحة فمن كان مثلك شاباً وفي سعةٍ من العيش يجب ان يتزوج لا مرة واحدة بل مراراً (يعني ان اجمع بين الزوجات)

— ولكن ديننا وعاداتنا تحرم علينا التزوج باكثر من امرأة واحدة فمن اتخذ زوجة لهُ فهي رفيقة حياتهِ فيحسن بهِ والحالة هذه ان يتروى في انتخابهِ تلك الزوجة الدائمة

— ها ها يظهر انك تندد في كلامك ضمناً بشريعتنا المطهرة · هل تخلص لكم زوجاتكم الروميات (يعني الاوربيات) الحب بعد ان يسفرن الوجوه و يظهرن محاسنهن لكل عابر سبيل

ثم قهقه والتفت نحو الجالسين حولهُ وقال لهم بالعربية : « لقد رأيت في اوربا كل النساء سافرات الوجوه عاريات الصدور عليهنَّ ملامح الشهوة والغرام يحدقن بنظراتهنَّ الفاتنة في كل شاب و يصالحن القريب والبعيد » · فقهقه الجميع من هذا الكلام · فاجبت الاغا بواسطة ترجماني « انك تعني النساء المتهتكات وهنَّ كثيرات في شوارع اوربا اما النساء المحصنات فلا يخرجن من بيوتهنَّ الاَّ مع ازواجهنَّ او مع ذوي قرابتهنَّ »

فلم يجب سليمان آغا على ملاحظتي هذه واستأنف الكلام فقال « وفضلاً عن ذلك ليس في بلادكم جمال رائع والمرأة عندكم مهما كانت جميلة اشبه شيء بزهرة ذابلة فانها ممتقعة السحنة وعليها ملامح الامراض والشقاء واكثر النساء فقيرات يتضورن جوعاً و يشتغلن كالرجال او يخادن العذار لتحصيل قوتهن · او ارامل قتل ازواجهن في الحروب[1] · اما المرأة عندنا فتعيش مع ضراتها وخادماتها براحة وهناء

ووصف لي في حديث طويل كيفية المعيشة الداخلية عند الاسر الغنية وان كل شيء يحفظ بنظام واخيراً ختم حديثهُ بدعوتي الى الاسلام قائلاً انهُ دين الحق في الدنيا ودين الجنة في الآخرة · فشكرتهُ على ذلك ووعدتهُ بالتروي بعد ان ادرس اصول هذا الدين وخرجت من عندهُ مودعاً · ولم يعلم هذا الغيور على دينهِ انهُ عبثاً يحاول اقناع تلميذ من تلاميذ فولتير بانتحال دين مخصوص · وعندي ان كل الاديان التي يعبد الله فيها وتأتمر بالشرائع الطبيعية سواء · ثم ذهبت من هناك قاصداً مقابلة صديقي المصور

— وصف الموسكي —

خرجت من الميدان فالتقيت عند مدخل الموسكي بتجارة لمسيحي رومي (اوربي) داخلها

(١) لقد صدق سليمان في قوله هذا فان اوربا في ذلك العهد كانت شعلة نار بعد ان اوقد بونبارت نار الحروب في جميع انحائها من غربيها الى شرقيها حتى قلب روسيا فبات اكثر نساء اوربا ارامل او ثوأكل قتل ازواجهنَّ وابناؤهنَّ في الحروب والمجازر التي يصفونها (بالمعارك المجيدة)

برامبل الخمر وصاحبها جالس امام بابها ولباسهُ يدل على انهُ نصف شرقي ونصف اوربي ولا اعلم هل كان يونانيًّا او مالطيًّا او مرسيليًّا · وكان يحمل في يدهِ سوطاً مصنوعاً من ذنب ثور لاظهار سلطتهِ على مثال الافرنج والاتراك · اما المصري فلا يجوز لهُ ان يحمل بيدهِ سوطاً بل لهُ ان يتلقى قرعاتهِ على ظهرهِ

ورأيت عند باب الخمارة جمعاً من المتسولين متوسدي التراب عراة الابدان اكثرهم عميان او من ذوي العاهات يستعطون من الافرنج المترددين الى الحانة او من السياح · وبالقرب من ذلك المكان مكتبة مدام بونوم يجتمع فيها كثيرون من الافرنج والسوريين والاتراك المتعلمين لقراءة الكتب ومطالعة الجرائد التي ترد من فرنسا · وهذه المكتبة جعبة اخبار الشرق والغرب

ثم دخلنا سوق الموسكي وهناك المخازن الكبيرة على الجانبين تعرض فيها السلع على انواعها من انسجة وحلي وغيرها من المصنوعات الاوربية واكثر التجار من الافرنج والسوريين · ولا يؤم هذه السوق احد من المصريين لانهم لا يجدون ما يحتاجون اليهِ وكل ملبوساتهم من المصنوعات البلدية والشامية التي تباع في الغورية

وعن شمال مدخل الموسكي حي الافرنج والسوريين (درب الجنينة) وفيهِ كنائسهم وبيوت القناصل · وبالقرب من الخليج حانة لاحد الانكليز سميت حانة بيرا والحقيقة انهُ ليس فيها سوى الموسكي والماديرا والآيل (العرقي الانكليزي) يمزجهُ صاحبهُ بماء النيل ·

وبالقرب من هناك اجزاخانة كاستانيولا الشهيرة مجتمع العظماء من الاتراك والمشيرين والقواد والوزراء والامراء والبكوات واكثرهم من الافرنج منتحلي الاسلام او من بقايا الحملة الفرنسوية الذين فضلوا الاقامة في مصر على العود الى بلادهم ودخلوا في خدمة الباشا فمنهم اطباء ومهندسون واساتذة علم وقوَّاد · وفي داخل الاجزاخانة مجلس مزين بالمقاعد الحريرية وعلى جدرانها الصور والنقوش البديعة · وهؤلاء القوم يجتمعون للسامرة والحديث ويتعاطون المشروبات الفاخرة والخمور المعتقة ويتناقلون الاخبار الشرقية والغربية · والاجزاخانة اشبه بمجتمع سياسي للعظماء بل هي مركز البريد لان اكثر الرسائل التي ترد من اوربا باسم الافرنج توزع على اربابها في هذا المكان ولكن على غير انتظام لان البواخر لا تنقل البريد الى الاسكندرية الاَّ مرةً واحدة في الشهر

وقد التقيت في هذه الاجزاخانة بصديقي مارلهات المصور فرحب بي وعرض علي ان ارافقهُ الى نزهة داخل البلدة يأخذ فيها بعض رسوم ومشاهد قديمة · فقبلت دعوتهِ وصرفت

الترجمان لعدم احتياجي اليهِ. وقد سررت من مرافقة المصور في داخل احياء المدينة مؤَملاً مشاهدة ما فيها وقصدت ان اتوغل في الازقة والاسواق الاهلية وهو ما لا يتمّ لي بمرافقة الترجمان اذ كان يقول لي ان تجوال الافرنجي وحدهُ في تلك الاحياء بين المسلمين ذو خطر عظيم على حياتهِ. وقد وجدت بعد اختباري انهُ مخطئٌ في زعمهِ هذا لان المصريين مسالمون. ثم ان اكثر التراجمة جهلاء لا يعلمون من المدينة سوى بعض آثارها القديمة وهم اذا ساروا وحدهم في احيائها الاهلية يضلون السبيل وامنيّتي الوحيدة هي الاختلاط بطبقات الامة لادرس اخلاقهم

***

استأجرنا ثلاثة حمير فركبنا اثنين ووضع المصور عدتهُ وكرسيهُ والواحدُ على الثالث وكان الحمّار صاحبها يتبعنا وهو يزعجنا بصراخهِ المتواصل «يمينك شمالك» اما اذا رأى امرأة فانهُ ينتهرها بغضبٍ واحياناً يدفعها بيدهِ بخشونة قائلاً لها «اوعي يا بتّ» وذلك دليل على سلطة الرجل على المرأة عند الشرقيين مهما كان مقامهُ

فاجتزنا قنطرة الخليج ومررنا في سوق طويلة فيها دكاكين باعة الخزف والصيني تتخللها حارات ضيقة وجوامع خربة ينتهي آخرها الى سوق العطارين (لعلهُ سوق الحمزاوي الآن). ثم جلنا في شوارع بعضها كثير الزحام وبعضها مقفر ورأينا جوامع عظيمة متداعية الى الخراب وقصوراً قديمة لمماليك اكثرها مهجور. واجتزنا بوابة عظيمة فخمة متينة البنيان عالية الاسوار وهي احدى البوابات العظمى (لعلها باب الفتوح). والمدينة منقسمة الى ثلاث وخمسين حارة كبيرة ولكل حارة شيخ وخفر وجنود وحرس وجميع سكانها من المسلمين عدا حارة النصارى (الاقباط) في الازبكية وحارة الاروام هناك. اما حارة الافرنج والسور بين والمالطيين فمن شمالي الموسكي كما تقدم القول. وسكان كل حارة من حارات المسلمين لا يختلطون بسكان الحارات الاخرى حتى ان الكلاب السائبة في كل حارة لا تتجاوز الى غيرها والاَّ لعرضت نفسها لعدوان الكلاب في الحارة الاخرى. وكانت تتبعنا في مسيرنا مكشرة عن انيابها علينا حتى ندخل الى حارة اخرى فتلتقينا كلابها. ولا تزال تضايقنا بنباحها حتى نخرج من ارضها وبعد مسيرة بضع ساعات وصلنا الى ضفة من ضفاف الخليج عند آخر المدينة وهناك بيوت حقيرة وغيطان وحدائق تتخللها اشجار النخل وتتعرش عليها دوالي العنب. وقهوات وطنية (لعلهُ وصل الى نواحي البكرية) وكانت كراسي تلك القهاوي ومقاعدها من الجريد وهي مصفوفة على ضفة الخليج والمياه العكرة تجري من تحتها والمدخنون في الشبقات والنرجيلات

البلدية المدعوة « الجوزة » جلوس تدار عليهم القهوة او نقيع الاثمار بطاسات من النحاس

فجلسنا في غيط بالقرب من الخليج واخذ المصور عدتهُ ونصبها و بدأَ يصور على لوح منظراً بديعاً كان امامنا يمثل اشجار النخيل وفوقها قرص الشمس مائلاً الى المغيب . وفي وسطها جامع قديم فيهِ مأذنة مزخرفة فجلست بالقرب من صديقي واغتنمت الفرصة وكلمتهُ بما دار من الحديث بيني و بين شيخ الحارة وما عرضهُ عليَّ من امر الزواج ولما اتممت حديثي التفت اليَّ وقال

« لا تتزوج يادي نرفال ولا تتقيد بامرأة في هذه البلاد . ماذا يريدون منك يطلبون ان تسكن مع امرأة حسناً ما اسهل هذا الامر . هنا كثيرات منهنَّ فافعل كما فعلت انا . ففي الاسواق كثيرات من بائعات البرتقال والفاكهة وهنَّ جميلات يتهادين دلالاً بثوب طويل ازرق يجرُّ الذيول ولهن معاصم مستديرة مطوقة باسورة فضية وارجل عارية حولها الخلاخل وصدور بارزة . وعلى رؤُوسهنَّ عصائب مطرزة مدلاة الاطراف وفي اعناقهنَّ قلائد الذهب . وهنَّ على هذه الهيئة كازيس ملكة الجمال او كفينوس في الاولمبوس ولا ينقصهن سوى ان يحملن في ايديهن عصا ذهبية . قلت انك تتكلم كمصور يصف الفنون الجميلة و يتغزل بجمال الطبيعة ولكن الا تعلم انهن محصنات ولهن بعول واهل فلا يمكن ان اسكن مع واحدة منهنَّ . وزد على ذلك انهُ ليس من شيمتي ولا من ادابي ان اساكن امرأة بصفة غير شرعية واهم من هذا اني اجهل اللغة العربية . فقال لي ساخراً الحق معك فاذهب وتزوج ان شئت »

و بعد حديث طويل تركت المصور وحولهُ جمع من العامة والغلمان يتفرجون عليهِ يحسبونهُ من السحرة او الافرنج كاشفي خبايا الكنوز . ثم توغلت وحدي في الاسواق ورجعت الى الاحياء الوطنية حتى وصلت الى سوق البازستان

— حادثة البازستان —

البازستان سوق او قيصرية على الطراز القديم بسقوف عالية ومسالك ضيقة تعرض فيها المصوغات والحلى وجميع المصنوعات الشرقية والاقمشة والطرف والتحف البديعة الواردة من جميع انحاء الشرق كالقسطنطينية و بروصة و بغداد ودمشق . وقد تخيلت وانا في هذا السوق كاني في اسواق بغداد الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة وخصوصاً في حكاية التاجر القبطي مع سلطان كشغر (يصف غالباً سوق الخليلي) . ورأيت هناك امرأتين محجبتين تساومان تاجراً على مشترى ثوب من الحرير من نوع الموصلين المطرز بالذهب من صنع بروصة فدفعني الفضول الى الوقوف بالقرب منها وهما تقلبان طاقة القماش . وكانتا تنظران اليَّ

خلسة وتضحكان من هيئتي الغريبة ولباسي الافرنجي · والبائع يقول لها « اسطنبولدن » اي من واردات اسطنبول · فاقتربت واخذت الثوب بيدي اقلبهُ واظهرت الاستحسان بقولي « طيّب » فكلمني هذه اقنعت المرأتين علي ما رأيت واتفقتا مع البائع على الثمن · فقطع لها القماش وحملهُ خادمها الغلام فسار يتبعها · ثم التفتت احداها نحوي وضحكت فحسبت ذلك اشارة بالوداع او بالاتباع وكانت ترفع نقابها من حين الى حين · فتبعتهما مسروراً وسارتا في في طرق مزدحمة ومنعطفات منفردة ومنعرجات غير نافذة حتى وصلتا الى بوابة كبيرة تحت اقبية شاهقة مشيدة الاركان علي جانبيها آثار شامخة جوامع البنيان (ربما يصف بوابة المتولي) · ثم دخلنا في طريق ضيقة وخرجنا الى شارع على جانبهِ جامع مزخرف الى ان وصلنا الى باب دار كبيرة داخلها عرصة واسعة فدخلت فيهِ المرأتان وخادمها · فدخلت على اثرها ورأيت حوشاً كبيراً حولهُ المقاعد وفي صدرهِ ايوان باعمدة · واذا انا وحدي في تلك العرَصة ولا اعلم اين اختفت المرأتان فرفعت نظري ورأيت جدراناً عالية تخترقها بعض النوافذ الموصدة بمشربيات بارزة

فاعترتني الهواجس وهممت بالخروج من هذه الدار الخفية وحينئذٍ فتح باب صغير وظهر امامي رجل سوداني طويل القامة كالمارد فاوجست خيفةً منهُ وصرت اومئُ اليهِ باني ضللت الطريق ودخلت الى الدار خطاء ورأيت ان كلمة « طيب » التي لا اعرف سواها لا تكفي لاقناع هذا الاسود بتبرئتي · وحينئذٍ سمعت صوت ضوضاء وفتحت بعض الابواب وخرج منها خدم واعوان وسيَّاس وآغوات والتفوا حولي فايقنت بالهلاك · ثم اقبل من باب الحريم رجل ابيض اللون عليهِ سيماء الوجاهة والخيلاء يلبس ثوباً فاخراً على الطرز التركي فادركت انهُ صاحب الدار وعلمت ان المرأتين اوقعتاني في شرك الردى وان اباهما هذا او بعلها يريد الايقاع بي لانتهاكي حرمة بيتهِ فلم يعد في وسعي الأ تبرئة نفسي بكلام ممزوج بكل اللغات التي اعرفها كالفرنسوية والايطالية والالمانية والانكليزية واليونانية تمازجها احياناً كلمة «طيّب» لعل صاحبنا يفهم لغةً منها فيعلم ما بضميري · وكنت اشفع دفاعي باشارات وحركات بيدي ورأسي كما يفعل المتهم امام القاضي مبرئاً نفسهُ

وكان الرجل يصغي الى كلامي متبسماً فهدأ روعي وقال لي بالفرنسوية الفصحى على دهشةٍ مني « تفضل يا مسيو وادخل معي فعندنا سعة من الوقت للتكلم بصراحة »

ثم اخذ بيدي بلطفٍ وقادني الى بهو واسع منقوش الجدران برسوم زاهية وفيهِ رياش فاخرة تطل نوافذهُ على حديقةٍ غناء · فجلسنا معاً على مقعد حريري وقدمت لنا القهوة

والشبقات . فذكرت لهُ حينئذٍ بصراحة اسمي ولقبي وقصدي من التوغل وحدي في الازقة والشوارع الوطنية للاختلاط بالقوم ودرس اخلاقهم ومعيشتهم في داخل بيوتهم . وان الفضول دفعني للدخول الى بيتهِ لما رأيت من سعة عرصتهِ وزخرفة مدخلهِ . وادركت من ابتساماتهِ المكر بة انهُ لم يعر كلامي تصديقاً وتأكدت ان المرأتين اعلمتاهُ باني كنت اتبعهما . ومع كل ذلك بدأ يتودد اليَّ وسألني عن الاخبار الاوربية واخيراً علمت انهُ فرنسوي مثلي فتصور عظم دهشي . وبعد حديث طويل دعاني للغداء عندهُ بين اسرتهِ ولم يرَ نكراً في ذلك فاصعدني الى منزل حرمهِ وهناك عرفني بالمرأتين اللتين اتبعتهما من سوق « البازستان » فالواحدة كانت زوجتهُ وهي اوربية مثلهُ والاخرى اختها فصافحتاني باليد على الطريقة الافرنجية . واطرقت برأسي حياءً وخجلاً منهما ثم رأيتهما تبتسمان من موقفي هذا الحرج . وبعد هنيهة ارتفعت الكلفة بيننا وكانتا تكلمانني بالفرنسوية الفصحى ولامتني الكبرى لجولاني وحدي بلا ترجمان في الاحياء الوطنية وقالت لي بصراحةٍ لو اتبعت امرأة وجيهة غيري ودخلت الى بيت غير بيتنا لاوقعت نفسك في خطر عظيم

ثم جلسنا على المائدة ودار الحديث بيننا عن شؤون مختلفة وكانت قاعة الحريم واسعة عالية السقوف مزخرفة مفروشة بالريش الفاخر وعلى جوانبها مقاعد من الحرير وفي وسطها فسقية صغيرة من المرمر على حافتها اسد من نحاس يجري الماء من فيهِ . وعلى جدران القاعة رفوف عليها آنية الصيني والخزف وغيرها من المصنوعات الشرقية الثمينة . وعلى الاربعة الجدران اربع مرايا كبيرة وفي وسطها طاولة حولها سبع فتيات جالسات يشتغلن في التخريم والتطريز وسن هؤلاء البنات بين العشر والعشرين . فنهضن حين دخولي وتقدمت الصغرى وقبلت يدي وكن لابسات الاثواب المختلفة الالوان على الزي الشرقي . والامر الذي ادهشني كثيراً اختلاف الوانهن وهيآتهنَّ بين بيضاء وسمراء وحبشية ونوبية ومع ذلك فآثار الجمال بادية على وجوههن رغماً من اختلاف اجناسهن . وكانت صاحبة الدار واختها تضحكان من دهشتي والحقيقة ان هذا المنظر لمن الغرابة والدهشة بمكان ! هل هؤلاء النساء الحسان سراري الرجل ام جواريهِ ام بناتهُ ؟ . ثم تقدمت احداهن وقدمت لنا الشبقات والقهوة بعد الاكل

وقد علمت اثناء الحديث ان هؤلاء الفتيات هن بناتهُ من زوجات مختلفات الجنس . فماذا يريد الرجل من عرضهن امامي ؟ علمت من كلامهِ ومغامز زوجتهِ انهما يعرضان عليَّ ان انتخب من بينهن زوجة لي . عجباً هل اتيت الى مصر لأتقيد بالزواج بفتاة فرنسوية شرقية ؟

فمضيفي هذا فرنسوي الجنس وكان ضابطاً في الحملة الفرنسوية فلما رجعت الحملة الى فرنسا لبث في مصر وتزوج على الطريقة الشرقية بعد ان انتحل الاسلام وعرض خدمتهُ على محمد علي باشا حاكم مصر فقبلهُ كما قبل غيرهُ من الضباط والاطباء والمهندسين الفرنسويين وجعلهُ قائداً لفرقة من الجنود كان كثيرون منهم قد اختاروا مصر وطناً لهم واسلموا باختيارهم وتقيدوا بشرائع البلاد وعاداتها وتخلقوا باداب القوم وتزيوا بلبسهم وتزوجوا منهم. واكثرهم ولدوا ونشأوا ابان الثورة الفرنسوية الكبرى فلم يكن للدين عندهم اهمية كبيرة فاشربوا مبادئ الاباحة والحرية والمساواة حتى في الدين وجلهم دخلوا في الاولاج الماسونية ولما حضروا الى مصر لم يستصعبوا اتخاذ دين يجعلهم من ارباب السلطة والنفوذ وينيلهم وجاهة وهناء. وقد اخلصوا الخدمة للبلاد التي اتخذوها وطناً جديداً لهم ولذريتهم وكانوا عضدا لحاكم مصر في ترقية البلاد وحضارتها ماديًّا وادبيًّا

فصاحبنا هذا «سليمان بك» نال حظوة كبيرة لدى محمد علي باشا لنشاطهِ وصدق خدمتهِ وامانتهِ فانعم عليهِ برتبة بك وهي رتبة عالية تعادل رتبة كونت عندنا لا تعطى الاَّ للوزراء وانجال الحاكم. فاثرى وسكن القصور واقتنى العبيد والجواري وتزوج بكثيرات من النساء حسب السنة وفي قصرهِ كثيرات من النساء والجواري الحسان التركيات والمصريات والسناريات والحبشيات. وكان من قواد الحملة التي ارسلها محمد علي باشا لتخليص المدن المقدسة في الحجاز من ايدي الوهابيين الخوارج تحت قيادة نجلهِ طوسون بك

ولما صار الرجل كهلاً ذكر وطنهُ القديم واختلج في فؤادهِ الحنين الى فرنسا فتزوج بابنة قنصل فرنسا في مصر وكان ابوها قد توفي على اثر مرض واقامت اختها عندها فاشترطت عليهِ ان يهجر نساءهُ المصريات والحبشيات فطلقهن وكتب كتابهُ على هذه الفرنسوية حسب الشريعة الاسلامية ولكنهُ اشترط عليها مقابل ذلك ان تتخلق بآداب القوم وعاداتهم ولا تظهر لاجنبي ولا تخرج من بيتها الاَّ محجبة. وكان لهُ من نسائهِ الاول اربعة اولاد ذكور وسبع بنات فادخل البنين في المدرسة الحربية التي كان استاذاً فيها اما البنات فهنَّ اللواتي وصفتهنَّ. واما ابنة القنصل الاخرى فلم تشأ ان ترجع الى فرنسا وفضلت السكنى مع شقيقتها املاً ان تجد عريساً شرقيًّا من القواد والوزراء

وعند المساء ودعت مضيفي سليمان بك وزوجتهُ وشكرتهما على احتفائهما بي ووعدتهما بزيارة اخرى ولكنني لم اقم بوعدي خوفاً من ان تؤوَّل تلك الزيارة بقبول ما عرضا عليَّ

وفي الصباح حضر ترجماني عبد الله وطلب مني ان اقيلهُ من الخدمة لانهُ سيصحب

سائحاً انكليزيًّا الى الصعيد فلم اشأْ ان احرمهُ تلك الفائدة وظهر لي انهُ واجد عليَّ لاني تركتهُ وذهبت وحدي في شوارع القاهرة · وعندهُ ان سائحاً مثلي يسير وحدهُ في ازقة البلد وحواريها لهو سائح صعلوك « مفلس » وعرض لخدمتي بربريًّا من اصدقائهِ عوضاً عنهُ مدة اقامتي في مصر فقبلت ورأَيت هذا البربري واسمهُ ابرهيم صالحاً للخدمة يفهم بعض كلمات ايطالية ومالطية

وفي المقالة التالية خبر ما جرى لهذا السائح بين الاسر القبطية ديمتري نقولا



تثبيت النتروجين الجوي [1]

يحدث النقص في النتروجين الذي هو اهم عناصر التغذية النباتية بانفصالهِ من التربة بعضهِ او كلهِ وتصاعدهِ الى الجو كغاز إثر عمليات التعفن والانحلال وعكس النترجة التي تحدث في التربة على الدوام · كان من اللازم ان يسد هذا النقص بعمليات اخرى تعيد بالتركيب ما تحدثهُ الاولى بالتحليل فيجمع بسببها عنصر النتروجين الجوي ثانية ويثبت في التربة على صور مركبات نتروجينية فكأَن الطبيعة تحول دون توالى النقص في اهم العناصر للتغذية النباتية دفعاً لما يترتب على ذلك من الخسائر الفادحة

من عمليات التركيب المذكورة ما يحدث في الجو ومنها ما يحدث في التربة نفسها وليس من غرضنا ان نتكلم على العمليات الجوية لانها ليست بكتريولوجية وانما يكفي ان نعرف عنها اجمالاً انها تتم بتأْثير عوامل طبيعية تحدثها كهربائية الجو ففي وقت لمعان البرق يتحد النتروجين بالاكسجين في الجو بنسبة قليلة جدًّا فينشأ عن اتحادها اكاسيد النتروجين التي يتكون منها الحامض النتروس والحامض النتريك عند اتحادها بمياه الامطار

ليست مقادير النتروجين التي تصل الى التربة من الجو ذائبة في مياه الامطار كافية لتغذي النباتات بنتروجين الهواء وليست كذلك كافية لسد ما وقع في التربة من نقص النتروجين لذلك امكن العلماء تحقيق مسألة مهمة وهي هل يمكن تثبيت النتروجين في التربة

(1) Fixation of atmospheric Nitrogen

من غير طريق العوامل الطبيعية . وكان اول المرشدين لهذا الطريق العلامة برتلو فانهُ في سنة ١٨٨٥ اثبت بما اجراهُ من التجارب ان التربة المعرضة للهواء المتروكة بلا زرع تزداد فيها كمية المركبات النتروجينية . فمثلاً وجد ان ٥٠ كيلوجراماً من التربة المعرضة للهواء والمتروكة بلا زرع بعد مضي سبعة شهور عليها تزداد كمية النتروجين فيها بمقدار ١٢,٣٨ جراماً وقدر ان كمية النتروجين التي اضيفت لهذا القدر من التربة مع مياه المطر خلال المدة المذكورة كانت اقل من نصف جرام فقط . وقد اثبت بعد ذلك في تجارب اخرى ان بعض المركبات الآلية كالتي توجد في التربة عادة لها قدرة على امتصاص النتروجين المطلق بتفريغ الكهربائية فاراد ان ينسب زيادة كمية النتروجين المشاهدة في تجاربهِ الاولى الى ذلك ولكن نظراً الى نهضة العلماء يومئذٍ في فرنسا لدراسة المكروبات بزعامة العلامة باستور رأى برتلو ان ينبذ هذا الرأي اذ ربما كان للمكروبات دخل في الامر فشرع في البحث واخذ كميات من اراضٍ رملية وطينية مختلفة كانت لا تشتمل على اكثر من ٠,١ نتروجين في المائة جرام من التربة وعقم كميات منها بتعريضها للبخار المحمي لدرجة ١٢ سنتغراد وترك كميات اخرى كالاولى غير معقمة ثم وضع الكميات الاولى والثانية على حدة معرضة للهواء في زجاجة كبيرة مقفلة وتركها هكذا المدة خمسة شهور ولما اختبرها بعد ذلك وجد زيادة محسوسة من النتروجين في الكميات غير المعقمة ولم يجدها كذلك في الكميات المعقمة فلم يبقَ هناك شك في ان زيادة النتروجين في الكميات غير المعقمة كانت نتيجة فعل المكروبات وانها ليست ناشئة عن اي عامل طبيعي خارجي اذ لو كانت كذلك لوجب ان تكون هناك زيادة في الحالتين . ثم حاول ان يفصل المكروبات التي تسبب ذلك فلم ينجح على ان هذا لم ينقص من فضلهِ لان ما وصل اليهِ كان بمثابة حجر اساسي لسلسلة ابحاث واكتشافات عظيمة في هذا الموضوع قام بها العلماء الكثيرون امثال ڤينوجرادسكي وهلريجل وولفورث وليس بين هؤلاء العلماء من تفوق على ڤينوجرادسكي في ذكائهِ وقوة ابتكارهِ وحلهِ للمسائل العويصة باسهل الطرق . وهاك مثالاً لتجارب اجراها وتوصل بها الى نتائج عظيمة . فقد اقح محلولاً [1] مشتملاً على جميع مواد التغذية للمكروبات عدا مركبات النتروجين بقليل من التربة المشتملة على المكروبات وكان غرضه من عدم اضافة مركبات النتروجين الى المحلول مساعدة المكروبات

(١) كان المحلول المذكور مركباً من ٢-٤ في المائة دكستروز و ٠,٥ في المائة كبريتات مغنيسيوم و ٠,١ في المائة فصفات البوتاسيوم الثاني وقليل من كلوريد الصوديوم وكبريتات الحديدوس وكبريتات المنغنيس والطباشير المرسب مذابة في الماء

التي في استطاعتها تثبيت النتروجين الجوي في النمو والتكاثر ولكي يحول في الوقت نفسهُ دون نمو المكروبات الاخرى التي لا تعمل ذلك وهذه طريقة سهلة وحسنة جدًّا تعرف بالطريقة الانتخابية [1] لانها مؤسسة على جعل الظروف ملائمة بقدر الامكان لطائفة من المكروبات دون اخرى وهي مأثورة عن هذا العلامة ولا تزال مستخدمة في حل كثير من مسائل بكتريولوجيا التربة

وبعد ان ترك المحلول معرضاً للهواء وجد ان النتروجين قد ثبت فيهِ وانهُ قد حدث انحلال في الدكستروز نشأ عنهُ تصاعد ثاني اكسيد الكربون والهيدروجين وكذلك تكون الحامض السمنيك والحامض الخليك بنسبة ثلاث دقائق من الاول الى دقيقة واحدة من الثاني وان الحامضين المذكورين قد تكونا من نصف كمية السكر المنحل تقريباً . ولم تنشأ حوامض متطايرة ووجد قليلاً من الكحول وان هناك علاقة واضحة بين كمية النتروجين المثبت وكمية السكر المنحل وهي ان كل مليجرام من النتروجين قد احتاج في تثبيتهِ الى اكسدة ٥٠٠ مليجرام من السكر . وقد ظن فينوجرادسكي ان تثبيت النتروجين في المحلول ينسب لوجود ثلاثة مكروبات فحاول فصلها منهُ بطريقة التربية في بيئات متتالية [2] فلم يتمكن نظراً لعدم توفر الشروط الملائمة لحياة هذه المكروبات جميعها من استخدام هذه الطريقة . ثم عاد فينوجرادسكي في سنة ١٨٩٥ فظن ان وجود الهواء ربما كان عائقاً فيما حاولهُ من فصل المكروبات المذكورة فاستخدم طريقة منع فيها الهواء واعطى المكروبات كفايتها من غاز النتروجين وبهذه الكيفية تمكن من فصل احد اجناسها ورباهُ نقيًا عن الاجناس الاخرى . وقد ساعدهُ في ذلك ان المكروب كان من المكروبات اللاهوائية فعاش بينما كانت الاجناس الاخرى هوائية فوقفت حياتها بفقد الهواء

وبعد ان تمكن فينوجرادسكي من فصل هذا المكروب وسماهُ كلوستريديوم باستوريانم [3] قام بالتجارب عليهِ لدراسة عملهِ وقرر ان الكلوستريديوم باستوريانم من المكروبات اللاهوائية حتماً وفي استطاعتهِ تمثيل النتروجين وتثبيتهُ في البيئات الخالية من مركباتهِ مع عدم وجود الاكسجين المطلق وقرر بعد ذلك ان في قدرة هذا المكروب تثبيت النتروجين كذلك في بيئة يتخللها الهواء بشرط ان يوجد معهُ بعض انواع المكروبات الهوائية لان هذه الانواع تزيل الاكسجين المطلق من البيئة فتجعل الظروف صالحة لنموهِ

---

(١) Elective method (٢) Successive media (٣) Clostridium Pasteurianum

ان مكروب كلوستريديوم باستور يانم يعتبر الآن تابعاً لطائفة مكروبات الحامض السمنيك لما بين الفريقين من اوجه الشبه الكثيرة من حيث الشكل والعمل وهو شائع جداً في التربة وفي اراضي البرك والانهار وغيرها من الامكنة التي توجد فيها مواد آلية منحلة ويكون الهواء فيها قليلاً وقد اثبتت التجارب انهُ يستمد قوته اللازمة لتثبيت النتروجين من الدكستروز وان في قدرتهِ كذلك استمدادها من اللڤيلوز والسكروز والجلكتوز وغيرها من انواع السكر المختلفة ولكن لا يعرف تماماً من اي المواد يستمدها في التربة فقد قيل انهُ يستمدها من بقايا النباتات المنحلة فيها وقيل انهُ يستمدها من المواد الكربوهيدراتية التي تصنعها طوائف من الالجي الصغيرة الخضراء التي توجد عادة في التربة وربما كان هذا ارجح القولين على ما سيأتي بعد • وليس بينهُ وبين طائفة مكروبات الحامض السمنيك فروق على ما اثبتهُ ڤينوجرادسكي الاَّ في انهُ لا يحدث اختماراً في اللكتوز ولكتات الكلسيوم والنشا والمنيت[1] ولا يكون كحول البيوتيل وفروق اخرى قليلة • وهو معدود كذلك من المكروبات عديمة الحركة او قليلتها عصوى الشكل في اول حياتهِ يتراوح طولهُ بين ١٫٥ — ٢ ميكرون وسمكهِ بين ١٫٢ — ١٫٣ ميكرون يتلون بالصفرة اذا صبغ بمحلول اليود ولكنهُ عند كبرهِ يأخذ شكلاً بيضياً وتتكون فيه مادة الجرانيولوز النشوية فيتلون بالزرقة اذا صبغ بمحلول اليود • وتتكون لهُ جراثيم عند كمال نموهِ فتنشأ جرثومة واحدة في احد طرفيهِ ولا تلبث طويلاً حتى تظهر في وسط الخلية فتسبب انتفاخها وبذلك يتحول شكلهُ الى شكل بيضي • وجراثيمهُ الناضجة يبلغ طولها ١٫٦ ميكرون وعرضها ١٫٣ ميكرون وتنبت بسهولة اذا وضعت في محلول من السكر وكان الهواء معدوماً • واذا زرعت على البطاطس في بيئة مفرغ منها الهواء نشأ عنها مجموعات مستديرة يبلغ طول قطرها مليمتر لونها اصفر قاتم ولها رائحة الجبن

وتمكن ڤينوجرادسكي من فصل انواع اخرى من الكلوستريديوم منها ما عثر عليهِ في اراضي باريس وجنوب روسيا ووجد ان احدها اسمك من السابق اذ يتراوح سمكهُ بين ١٫٦ — ١٫٨ ميكرون وجراثيمهُ تختلف عن جراثيم الاول اذ طولها يبلغ ١٫٩ ميكرون وعرضها ١٫٥ ميكرون ولها قدرة على تثبيت النتروجين ولكن للصعوبة التي لاقاها في فصلها لم يتتبع درسها

(1) Mannite

وقد فصل فرويدنريخ[١] من اراضي سويسرا كلوستريديوماً آخر يشبه ما فصلهُ ڤينوجرادسكي اولاً ولا يفترق عنهُ الاَّ في انهُ يحدث اختماراً في المانيت . وفصل پرنجشيم[٢] مكروباً آخر من اراضي امريكا اطلق عليهِ اسم كلوستريديوم امريكانم[٣] وهو من الانواع المتحركة التي تثبت النتروجين ايضاً ولهُ صفات خاصة بهِ . وفصل بنيك[٤] وكويتنر[٥] مكروباً آخر من جنس الكلوستريديوم كبير اطلق عليهِ اسم كلوستريديوم جايجانتيم[٦] ولكن قدرتهُ على تثبيت النتروجين لم تحقق وغاية ما عرف عنهُ انهُ مدبب من طرفيهِ ويكون جرثومتين احياناً . وجراثيمهُ كبيرة جداً يبلغ طولها ٥و٢ ميكرون وعرضها ٥و١ ميكرون . وهناك اجناس اخرى من المكروبات تثبت النتروجين في التربة بتأثير اقوى اكتشفها العلماء حديثاً وكان للعالم بيرنك فضل في اكتشافها . وسيأتي الكلام عليها فيما بعد

محمود مصطفى الدمياطي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

مبادىء خصب المزروعات

(من خطبة للدكتور رسل تلاها في الجمعية الكيماوية ببلاد الانكليز في شهر نوفمبر الماضي)

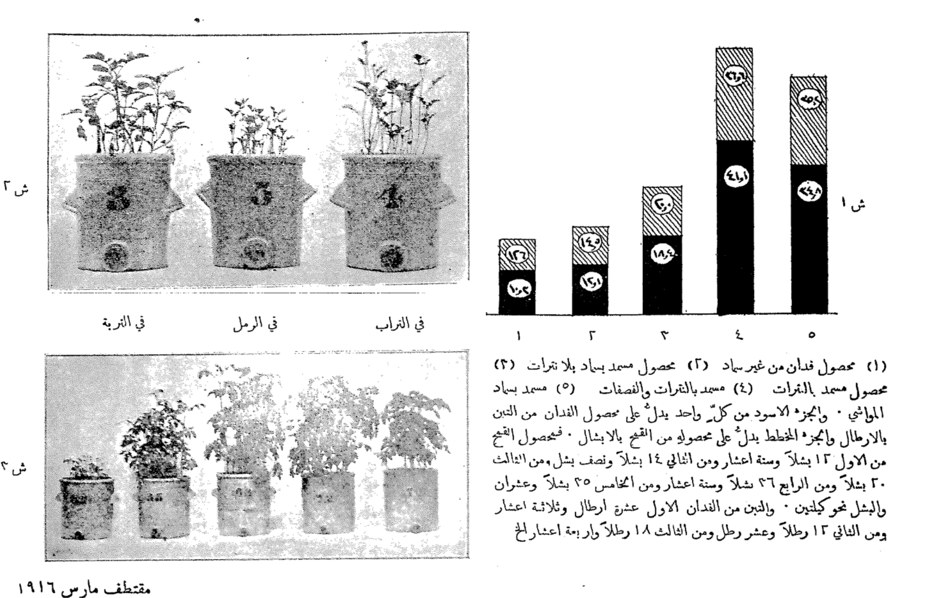
اذا اردنا الكلام على مبادىء خصب المزروعات وجب ان نرجع الى سنة ١٨٤٠ فانهُ في تلك السنة عُرف ان النبات مؤَلَّف من مواد آلية يخالطها قليل من المواد المعدنية مثل الفصفور والكلسيوم والبوتاسيوم والصوديوم الاَّ ان هذه المواد المعدنية لم يحسب لها شأن كبير حينئذٍ . فان الفلاحين كانوا يعلمون فائدة الزبل (السباخ البلدي) في خصب المزروعات وهو مادة آليَّة والنبات ايضاً مادة آليَّة فلا عجب اذا قال الكيماويون والفسيولوجيون النباتيون بعلاقة سببية بين هذا السماد وخصب النبات وان الغرض من التسميد هو تقديم الغذاء للمزروعات

الاَّ ان ليبغ قال سنة ١٨٤٠ ان فائدة السماد ليست تقديم المواد الآلية الى النبات بل

---

(١) Freudenreich (٢) Pringsheim (٣) Clostridium Americanum

(٤) Benecke (٥) Keutner (٦) Clostridium giganteum



ش ١

(١) محصول فدان من غير سماد (٢) محصول مسمد بسماد بلا نترات (٣) محصول مسمد بالنترات (٤) مسمد بالنترات والفصفات (٥) مسمد بسماد المواشي . والجزء الاسود من كلٍّ واحد يدلُّ على محصول الفدان من التبن بالارطال والجزء المخطط يدلُّ على محصولهِ من القمح بالاِبشال . فمحصول القمح من الاول ١٢ بشلاً وستة اعشار ومن الثاني ١٤ بشلاً ونصف بشل ومن الثالث ٢٠ بشلاً ومن الرابع ٢٦ بشلاً وستة اعشار ومن الخامس ٢٥ بشلاً وعشران والبشل نحو كيلتين . والتبن من الفدان الاول عشرة ارطال وثلاثة اعشار ومن الثاني ١٢ رطلاً وعشر رطل ومن الثالث ١٨ رطلاً واربعة اعشار الخ

في التراب   في الرمل   في التربة

ش ٢

ش ٣

تقديم المواد المعدنية التي اغضى عنها الكيماويون وانهُ يجب ان نعرف ما هي المواد المعدنية التي في النبات ثم نسمدهُ بها على صورة تسهل عليهِ امتصاصها. وانهُ اذا فقدت الارض مادة من هذه المواد اجدبت ولا تجود ثانية الاَّ اذا اضيفت هذه المادة اليها . ولذلك فالتسميد علم و يجب ان يجري على طرق عملية

ولكن ما اشار بهِ ليبغ نظريًا لم يفِد عمليًا لان المواد المعدنية التي في النبات تبقى في رمادهِ اذا حُرِق واذا اضيف هذا الرماد الى الارض فقلما تجود المزروعات فيها اكثر مما تجود في ارض مثلها ولم يُضف اليها شيءٌ من ذلك الرماد كما ثبت بالامتحان . وذلك لان ليبغ ترك عنصراً مهماً وهو النتروجين فان المزروعات لا تجود اذا لم يضف اليها هذا العنصر مع غيرهِ من العناصر

وقد ظن البعض ان السماد الصناعي يفيد المزروعات في السنين الاولى ثم تبطل فائدتهُ ولكن التجارب التي جرت في رثامستد مدة ستين سنة افسدت هذا الظن لانهُ ثبت منها ان التسميد تكرَّر اكثر من ستين سنة فبقيت فائدتهُ على حالها كما ترى في الشكل الاول وعليهِ فقد اصاب ليبغ في قولهِ ان المواد المعدنية لازمة للنبات واخطأ في قولهِ انها كافية لهُ و يمكننا الحكم بان المزروعات تنمو وتجود دواماً اذا وجدَتْ في الارض المقدار المناسب من كل ما يحتاج اليهِ من مركبات النيتروجين والفصفور والبوتاسيوم. وهذا هو المبدأ الاول من مبادىء خصب المزروعات ولكن اذا اريد العمل بهِ ظهرت الصعوبة في معرفة المقدار المناسب بحرق النبات وتحليل ما فيهِ من الرماد لكن لوز وغلبرت ابانا ان ذلك غير صحيح فرماد اللفت كثير البوتاسا قليل الفصفات فبحسب حكم ليبغ يحتاج الى سماد البوتاسا لكن لوز وغلبرت ابانا انهُ يحتاج الى الفصفات لا الى البوتاسا واستنتجا ان ما يحتاج اليهِ النبات من السماد انما يُعرَف بالتجارب . وقد اوضح ڤِل ذلك بخطب متوالية بين سنة ١٨٦٠ و١٨٧٠ وقال ان التجارب الكثيرة اثبتت ان السماد النتروجيني هو السماد اللازم للحبوب والبنجر . والسماد البوتاسي هو السماد اللازم للبطاطس والكرم . وفصفات الصودا هو السماد اللازم لقصب السكر . وان الكتان لا يحتاج الى سماد خاص

وزرع ڤِل نوعاً واحداً من النبات في قصاري عديدة سمَّد بعضها بالسماد الكامل (اي الذي فيهِ نتروجين و بوتاسا وفصفور وجير) و بعضها بسماد ينقصهُ هذا النوع او ذاك من المواد فلما كان النبات قمحاً كانت النتيجة هكذا

حينما كان السماد كاملاً بلغت غلة الفدان ٤٣ بشلاً

«	« بنقصهُ الجير	٤١ «
«	« البوتاسا	٣١ «
«	« الفصفات	$\frac{1}{2}$٢٦ «
«	« النيتروجين	١٤ «
حينما لم تسمَّد الارض مطلقاً		١٢ «

والبشل نحو كيلتين

وطريقتهُ صحيحة لا غبار عليها وقد شاع استعمالها ولكنها غير مبنيَّة على قاعدة علميَّة . والاعمال التي لا تبنى على القواعد بل على التجارب لا يمكن التوسُّع فيها والبناء عليها فوقف البحث في طبائع التربة وخصب النبات مدة طويلة بعد ذلك

غير انهُ حدث مراراً في علم الكيمياء الزراعية ان عرضت مسألة خارجة عن البحث الذي غمض وقلَّت الرغبة فيهِ فجلتهُ وانهضت الهمم لاعادة البحث والتنقيب وهذا ما حدث في هذا الموضوع فان اتساع المدن وازدحامها بالسكان دعا الى البحث عن طرق لنزح مرتفقاتها وتطهيرها فاكتشف شلوزنج ومنتز ان تطهير المبرزات يتم بتحويل ما فيها من الامونيا الى نترات وان هذا التحويل لا يتم بواسطة كيماوية ولا بواسطة طبيعية بل بواسطة المكروبات وللحال امكن تطبيق هذا الاكتشاف على ما يحدث في التربة فاتضح حينئذٍ ان التراب ليس جماداً صرفاً خالياً من الاحياء بل هو مملوءٌ بها وهي غير ساكنة ولا خامدة بل تعمل دواماً وعددها كثير يفوق الاحصاء ففي كل غرام من التراب ملايين منها وهي تغتذي وتعمل . فكيف تغتذي وما هو عملها

ان الناظر الى التربة الزراعية يرى انها طبقة رقيقة وتحتها تراب قلما تصل اليهِ جذور المزروعات وهو يختلف عن التربة في لونهِ وقوامهِ ولاسيما في نمو المزروعات فيهِ كما ترى في الشكل الثاني . لكن هذا الاختلاف بين التربة والتراب الذي تحتها عارض. فان التربة كانت اصلاً من نوع التراب الذي تحتها واذا زُرعت بزور النبات في التراب لم تجد فيهِ كثيراً من الغذاء فتأخذ منهُ بعض العناصر وتأخذ اكسيد الكربون من الهواء وتركب من عناصرهِ وعناصر الهواء انواع السكر والنشا والسلولوس والبروتين وما شاكل مستمدة القوة لذلك من نور الشمس . وحينما تيبس تردُّ الى التراب كل المواد التي اخذتها منهُ وترد فوقها ما اخذتهُ

من الهواء فيتغير ويصير تربة وهذه المواد الجديدة التي تضاف الى التراب تكون خزانة من القوة والغذاء اللازم للكروبات الارضية فتنمو وتتكاثر وتحلل مواد التراب وتركب منها مركبات جديدة وتجعلها اصلح لنمو النبات

هذا ما عرف من امر هذه المكروبات بنوع عام وهو مهم جداً ولو لم نعرف تفاصيله . فان المركبات الجديدة لازمة لنمو النبات اشد اللزوم . وخصب المزروعات يتوقف على فعل هذه المكروبات ولذلك يلزم ان يجري فعلها بسرعة وبغير عائق والا زال خصب الارض . فلا بد للخصب من ثلاثة امور وهي اولاً ان يكون الهواء والماء والحرارة في حالة مناسبة. وثانياً ان تكون المكروبات من النوع الصالح لخصب المزروعات . وثالثاً ان تكون المواد الاصلية اي بقايا النبات كافية دائماً

اما الهواء والماء والحرارة فسيأتي الكلام عليها واما المكروبات فغاية ما تم في امرها حتى الآن الشروع في تطعيم الارض بالنافع منها وتعقيمها من الضار . والمواد الاصلية التي تغتذي بها المزروعات تبقى في التربة من نمو النبات وانحلاله فيها . فاقدم الطرق لبقاء هذه المواد كافية هو تحويل الارض اي تركها من غير زراعة حتى تنمو فيها الاعشاب البرية من نفسها ثم تحرث والاعشاب فيها . وهذه الطريقة غير مضمونة وخير منها زرع الارض صنفاً من النبات ثم قلبها والزرع فيها كله او بعضه او جعل المواشي ترعاه وتلقي زبلها في الارض ثم تحرث الارض والزبل فيها

فالمبدأ الثاني من مبادئ خصب المزروعات هو ان تنحل مواد التربة حلاً كيماويا بفعل الاحياء بسرعة وبغير عائق

ولكن العمل بهذا المبدإ كثير الصعوبة ايضاً لان الحل قد يتولد منه نترات وقد يتولد منه نتروجين فاذا تولد منه نترات فهو صالح لنمو النبات واذا تولد منه نتروجين فهو غير صالح . ويحدث هذا الثاني اذا كان الحل سريعاً . وتختلف نتائج افعال المكروبات باختلاف طبيعة الارض وتركيبها فالارض الجيرية تعدل الحوامض والارض الطينية فيها مادة غروية تؤثر فيما يتولد فيها من المركبات الكيماوية . والنبات نفسه كثير الفعل فجذوره تمتص النترات والفصفات ونحوها ولكن لا يزيد بها عمل المكروبات بل يبطئ فيكون تولد النترات في الارض غير المزروعة اكثر من تولدها في الارض المزروعة

ولا يعلم حتى الآن هل يؤثر النبات في نوع هذا التغير او في مقداره . والامر

الجوهري ان لكل من النبات والتربة يداً في تنويع المواد اللازمة للخصب فان النبات جسم حيٌّ يفعل بالتربة و ينفعل بها · وقد كان المظنون منذ اربعين سنة ان خصب المزروعات يتوقف على السماد لاغير ولكن ظهر من مباحث هوتني في التبغ الاميركي ان لنوع التربة فعلاً كبيراً في المحصول وظهر ان الغذاء لا يكفي وحدهُ للنبات بل لا بدَّ لهُ من الماء الكافي والهواء الكافي والحرارة الكافية · والقاعدة التي تتناول هذه الاشياء كلها هي ان خصب النبات يزيد بزيادة كل واحد من هذه الفواعل ما دامت الفواعل الاخرى موجودة بالمقدار الكافي واذا نقص واحد منها بطل الخصب واذا زاد لم يزد الخصب · وهناك حدٌّ للزيادة فاذا فاقت الزيادة هذا الحد اضرَّت بدلاً من ان تنفع اما بحصول الضرر منها مباشرةً وإما بتوقيفها فعل مادة اخرى ضرورية · وقد ظهر ذلك بتجربة جُرّبت في زراعة الطماطم كما ترى في الشكل الثالث حيث سمد الطماطم بنترات الصودا وزيد مقدار السماد رويداً رويداً في اصص مختلفة · فالمثال الاول لم يسمد · والثاني سُمد بمقدار قليل · والثالث سمد بمقدار اكثر منهُ · والرابع سمد بمقدار اكثر من المقدار الذي سمد بهِ الثالث · والخامس سمد بمقدار اكثر من المقدار الذي سمد بهِ الرابع · فترى ان نمو النبات زاد اولاً بالسماد في الاصيص الثاني ثم زاد بزيادة السماد في الثالث والرابع ثم نقص بزيادتهِ في الخامس وهذا هو المبدأ الثالث من مبادئ خصب النبات

فاذا توقف خصب المزروعات وأُريد معرفة سبب ذلك وجب البحث عمَّا يوقف الخصب وعن السبيل الذي يزول بهِ والغالب ان يكون موقِف الخصب واحداً من اربعة وقد ذكرت في الجدول التالي معما يداوى بهِ كلٌّ منها

موقِف الخصب	بماذا يداوي
الرطوبة	الصرف · اضافة الجير
الجفاف	الري · العزق · السماد الآلي المناسب
قلة الحرارة	الصرف والعزق
الحموضة	اضافة الجير او الحوَّارى

ستأتي البقية

دود بزر القطن

لا مشاحة في ان دود بزر القطن كان الضربة الكبرى على الموسم الماضي ولاسيما في الاطيان الجيدة التي يبلغ محصول الفدان منها عادةً خمسة قناطير فاكثر الى عشرة فان الدود وقع في اكثر اللوز فاتلفهُ . نعرف اطياناً كنا نقدر محصول الفدان منهما ثمانية قناطير الى عشرة فلم يجنَ منهُ ثلاثة قناطير

ومن رأي وزارة الزراعة ان لا يجنى من القطن في الموسم التالي الاَّ الجنية الاولى والثانية واما اللوز المتأخر الذي تجنى منهُ الجنية الثالثة فيجب قطفهُ وهو اخضر واعدامهُ لان اكثر الدود يكون فيهِ . وفي نيتها ان تصدر قانوناً بهذا الصدد فعسى ان يساعدها كل زارعي القطن على ابادة هذا الدود بقطف اللوز الاخضر الذي يظهر فيهِ اقل اثر منهُ وحرقهِ او اطعامهِ للغنم

معاونو الزراعة والمدرسة الزراعية

اقترحنا على الحكومة ان تهتم بامر الزراعة كما تهتم بامر الادارة وحفظ الامن فتقيم في كل مركز من مراكز المديريات موظفاً من قبلها ومعاونين معهُ يهتمون بامر الزراعة وارشاد المزارعين الى خير الطرق التي تزيد بها حاصلات الارض وتتقّى الآفات الزراعية . وغنيٌّ عن البيان ان الموظفين في هذه الادارة الزراعية يجب ان يكونوا كلهم من الذين اتقنوا الزراعة علماً وعملاً حتى يستطيعوا ان يرشدوا غيرهم . وكانت وزارة الزراعة قد اهتمت بتعيين معاونين للزراعة في مراكز القطر ليكونوا واسطة اتصال بينها وبين المزارعين فيرشدوهم ويساعدوهم جهد الطاقة ويقدموا للوزارة ملاحظاتهم ويعملوا على مقاومة الآفات التي تتهدد الزراعة . وقد بلغ عدد المعاونين الذين عينتهم في المراكز ٤٦ معاوناً وادرجت في الميزانية الجديدة للسنة المالية القادمة ١٥ وظيفة جديدة من هذه الوظائف حتى تستطيع ان تعين معاوناً زراعيّاً لكل مركز من مراكز هذا القطر

وقد انتخبت المعاونين الذين عينتهم الى الآن من خريجي مدرسة الزراعة العليا في الجيزة ووزعتهم على المديريات فالقت على عاتقهم اهم الاعمال كلها لانهم اذا قاموا بما يطلب منهم بالهمة والنشاط فقد تزيد حاصلات القطر بسعيهم وارشادهم ثلاثين في المئة او اكثر كما يعلم كل الذين عانوا الزراعة علماً وعملاً

و يقدَّر ثمن حاصلات القطر من قطن وقمح وذرة وفول و برسيم وحلبة و بصل وفواكه و بقول وعجول وحملان باكثر من سبعين مليونًا من الجنيهات في السنة فاذا زادت ثلاثين في المئة بلغ ثمن الزيادة واحداً وعشرين مليونًا من الجنيهات كل سنة

الاَّ ان الموظف الذي يقيم في مركز فيهِ الوف من العزب وعشرات الالوف من الفلاحين لا يستطيع ان يمر على كل عزبةٍ و يرشد كل مزارعيها فلا بدَّ لهُ من معاونين يعاونونهُ . وادارة مثل هذه ينتظر منها ان تفيد البلاد بما يساوي ملايين كثيرة من الجنيهات لا يجوز ان تبخل عليها نظارة المالية بالوف قليلة ولكننا لا نظن ان المسألة مسألة تدبير المال الكافي بل تدبير الرجال الاكفاء لان المتخرجين من مدرسة الزراعة قليل عددهم ونخشى ان لا يكونوا متمرنين التمرُّن الكافي علمًا وعملاً على زراعة الوجه البحري وزراعة الوجه القبلي معًا فليس في الامكان ان توسَّع مدرسة الزراعة وتضاف اليها اطيان واسعة مختلفة في درجات خصبها حتى يتمرَّن فيها التلامذة على اصلاح الاطيان وخدمة المزروعات المختلفة وتربية المواشي وعمل سائر الاعمال الزراعية ويخرج منها كل سنة مئة تلميذ او اكثر اتقنوا الزراعة علمًا وعملاً

واذا طُلب رأْينا فاننا نشير بانشاء مدرسة زراعية اخرى في الوجه القبلي في اسيوط مثلاً يكون تلامذتها من اهالي الوجه القبلي ويتمرنون على زراعتهِ فيها ويخرج منهم نظار الزراعات وموظفو وزارة الزراعة في مراكز الوجه القبلي .

وهذا العمل اي توسيع مدرسة الزراعة الحالية وانشاء مدرسة مثلها في الوجه القبلي لا يتم في سنة وسنتين ولكن يجب الاهتمام بهِ من الآن واعداد المدرّسين الذين يناط بهم التدريس فيها

القطن المصري

قيمة المحصول الماضي والذي قبلهُ

يؤْخذ من النشرة الشهرية التي اصدرتها ادارة الاحصاء العام عن شهر يناير الماضي ان جملة واردات القطن على الاسكندرية من اول سبتمبر الى ٢٨ يناير الماضي بلغت ثلاثة ملايين و٧١٢٦٠٥ قناطير وكان متوسط سعر القنطار فيها ١٨ ريالاً ونصف ريال فتكون قيمتها كلها ثلاثة عشر مليونًا و ٧١٩١٤٣ جنيهًا مصريًّا

وكانت واردات القطن في مثل هذه المدة في المحصول السابق اربعة ملايين و ٣١٨٩٣٤ قنطاراً ومتوسط سعر القنطار ١١ ريالاً وثلاثة اعشار الريال فكانت قيمتها لذلك تسعة ملايين و ٧٩٦٨٣٣ جنيهاً مصرياً

اي ان الواردات من محصول العام الماضي حتى ٢٨ يناير نقصت عن مثلها في هذه المدة في العام السابق ٦٠٦٣٢٩ قنطاراً ولكن متوسط سعرها زاد سبعة ريالات وعشري الريال فعوضت هذه الزيادة عن النقص كلهِ وزادت ثلاثة ملايين و ٩٢٢٣٢٠ ج٠م٠ عليهِ

وبلغت واردات البزرة من اول سبتمبر الى ٢٨ يناير الماضي مليونًا و ٨٦٤٧١٥ اردبًا ومتوسط سعرها ١٠٤ غروش فتكون قيمتها مليونًا و ٩٣٩٥٧١ جنيهاً مصريًا يقابلها في مثل هذه المدة في المحصول السابق مليونان و ٤١٦٥٦٩ اردبًا كان متوسط سعرها ٦٥،٣ الغرش فكانت قيمتها كلها لذلك مليونًا و ٥٧٨٠٧١ جنيهاً مصريًّا اي ان واردات البزرة نقصت في المحصول الماضي حتى يناير عن مثلها في هذه المدة في المحصول السابق ٥٥١٨٥٤ اردبًّا ولكن متوسط السعر زاد ٣٩،٧ الغرش في الاردب في المحصول الماضي فعوضت هذه الزيادة النقص واربت عليهِ بنحو ٣٦١٥٠٠ جنيه مصري

وقد بلغت قيمة واردات القطن والبزرة معاً من المحصول الحاضر حتى ٢٨ يناير خمسة عشر مليونًا و ٦٥٨٧١٤ جنيهاً مصريًا يقابلها في مثل هذه المدة في المحصول السابق احدعشر مليونًا و ٧٤٨٩٤ جنيهاً مصريًا فتكون الزيادة في قيمة الوارد من المحصول الحاضر على الوارد من المحصول السابق في القطن والبزرة معاً حتى اليوم المذكور اربعة ملايين و ٢٨٣٨٢٠ جنيهاً مصريًا

نبات النيلة في القطر المصري

يظهر انهُ لما انقطع ورود النيل الصناعي من المانيا فكَّر البعض في العود الى زرع نبات النيلة لاستخراج النيل منها٠ وقد بلغنا ان النيلة لا تزال تزرع في الواحات وقد جيءَ بالتقاوي منها وزرعت في مديرية قنا زرع منها نحو اربعين فدانًا وزرع شيءٌ منها ايضاً في مديرية الفيوم ٠ ونحن نكتب هذه السطور وامامنا نبات كامل من النيلة بجذورهِ وقرونهِ واوراقهِ والقرون كثيرة جدًّا في كل فرع من فروع النبات نحو اربعين قرنًا منها وفي القرن من حبتين الى اربع والحب صغير كحب البرسيم وهو صلب شديد اللمعان٠ ولا نظن ان زراعة النيلة تعود الى انتشارها السابق في هذا القطر الاَّ اذا ضعف شأن الصناعة ببلاد الالمان ولم يفلح غيرهم في عمل النيل الصناعي رخيصاً

طباع النحل

من طبائع النحل انهُ لا يعتدي على احد اذا كانت حوصلاتهُ ممتلئة عسلاً او سائلاً حلواً غيرهُ . وتكون ممتلئة متى كان مجتمعاً اسراباً او كان عائداً الى قفرانهِ بعد جمع العسل . كذلك لا يهاجم احداً وهو مروَّع . ويروَّع النحل عادة لاشتيار العسل من خلاياهُ باطلاق الدخان عليها او بالقرع على جدرانها . واول ما يفعلهُ اذا رُوِّع ان يملأَ حوصلاتهِ عسلاً من الاقراص

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التطهير ومضادات الفساد

يراد بالتطهير طبًّا تنظيف الاشخاص او الاشياء فلا تكون واسطة لنقل جراثيم الامراض المعدية . وذلك يتمّ باستعمال بعض المواد المطهرة المزيلة للفساد . وكثيراً ما يخلط الناس بين المطهرات ومضادات الفساد التي تستعمل لمنع الفساد او ايقافهِ عند حدّهِ . فان معظم مضادات الفساد مطهرات ولكنها ليست كلها كذلك . فالتجفيف تحت حرارة معتدلة مثلاً يعدّ من مضادات الفساد ولكنهُ ليس من المطهرات . والملح والحامض البوريك من المضادات ولكن فعلها التطهيري ضعيف

ومما يدخل في هذا الباب مواد تستعمل لازالة الرائحة الكريهة واكثرها من المطهرات لا كلها . فانك اذا وضعت شيئاً من فحم الحطب في غرفة مريض ازال ما بها من الروائح الكريهة ولكنهُ ليس مطهراً . وكذلك اذا القيت بعض اوراق اليوكالبتوس في ارض غرفة تصاعدت عنها رائحة عطرية تقتل بعض المكروبات دون البعض الآخر

واهم وسائل التطهير نور الشمس والهواء النقي ولكنك قلما ترى الناس يعنون بها كما يعنون بالعقاقير المطهرة في حين ان نور الشمس اقوى المطهرات تقريباً وقلما يعيش مكروب اذا تعرض لنور الشمس والهواء المطلق ساعة وخصوصاً مكروبات بعض الامراض الوافدة كالطاعون والتيفوس

وللحرارة شأن عظيم في هذا الباب فان جميع انواع المكروبات تموت اذا وضعت في ماء أُغلي من خمس دقائق الى عشر. على انهُ اذا أُريد تطهير امتعة يخشى ان يتلفها الغليان فالسبيل الى ذلك ان تعرَّض البخار مدة عشرين دقيقة . فالادوات والآنية المعدنية لا تصدأُ في البخار كما تصدأُ في الماء والاقمشة الصوفية والقطنية لا تبتلُّ بهِ ابتلالها بالماء . اما الاشياء التي لا تحتمل البخار فتطهر بتعريضها لحرارة جافة مقدارها ٢٥٠ بميزان فارنهيت مدة ساعة

واشهر الغازات المطهرة الحامض الكبريتوس الحاصل من احراق الكبريت . فانهُ يتصاعد من احراق رطل واحد من الكبريت ما يكفي لتطهير غرفة سعتها الف قدم مكعبة . ويجب احراق الكبريت في غرفة مقفلة فلا تفتح الاَّ بعد ست ساعات

ومنها غاز الكلور وهو اصعب مراساً من الكبريت ولكنهُ اشدّ فعلاً منهُ حيث الهواء رطب

واشهر المطهرات السائلة بركلوريد الزيبق المخفف — جزء منهُ في الف الى عشرة آلاف من الماء . وافضل الطرق لاستعمالهِ ان يؤْخذ نصف اوقية منهُ واوقية من الحامض الهدروكلوريك و ٥ قمحات من الانيلين الازرق فتمزج في ثلاثة جالونات ماء

ومن المطهرات السائلة الحامض الكربوليك (الفنيك) — جزء منهُ في ٢٠ ماء والكريزول ١ في ٤٠ . والجير المكلور رطل منهُ في جالون ماء . فاذا اضيف الى هذا الاخير شيء من الحامض الكبريتيك انفصل عنهُ الكلور وهو من المطهرات الشديدة . ومن افضل ما يستعمل للرش على الجدران والستائر وغيرها من الاثاث الفورمالين ٢ في ١٠ ماء . فانهُ مطهّر قوي ولا يضرّ الاثاث ولا الجدران الملبسة بالورق والمدهونة بالزيت

وهناك محلولات كثيرة خاصة بالتطهير كمحلول برنيت وكندي وسانيتاس . والايزال والليزول والسيلين وغيرها من مستقطرات الفحم الحجري

والغالب ان يطهّر الناقهون من بعض الامراض الحادة المعدية كالحمى القرمزية بالاغتسال في حمام من برمنغنات البوتاس المخففة بالماء حتى تصير ذات لون احمر مصفرّ او بدهن الجسم بالفاسلين الممزوج بالحامض الكربوليك او الدهن الممزوج بالاوزون على نسبة ٨ اجزاء من الدهن في جزء من الاثير الاوزوني . اما اذا اريد تطهير الايدي فافضل طريقة لذلك غسلها كثيراً بالماء السخن والصابون العادي الجيد ثم مسحها بالايثر وتغطيسها خمس دقائق في الحامض الكربوليك المخفف ١ في ٤٠ او بركلوريد الزيبق ١ في ٢٠٠٠ او محلول برمنغنات البوتاس . اما الفم فاحسن ما يطهر بهِ برمنغنات البوتاس وان كانت تكويهِ قليلاً . وكثير من اطباء الاسنان يعوّلون على مذوب البوتاسا الخفيف في تطهير الفم والاسنان

العض والالسع

افضل ما تعالج بهِ عضة الحيوانات العضوضة ولسعة الحشرات مرهم يصنع من جزء من البزموت وجزء مثلهِ من الغليسرين . ولكن اذا ظهر على العضة او اللسعة التهاب وجب ان تدهن بالحامض الكربوليك المخفف بنسبة ١ من الحامض الى ٢٠ من الماء وذلك بان تغمس في المحلول قطعة من نسالة الكتان وتوضع على الجرح وتربط فوقها قطعة من المشمع . ويجب ان تكون الامعاء مطلقة وان يعطى المصاب احد المقويات . اما الحامض الكربوليك فالغرض منهُ قتل المكروبات المضرة ومضادة الفساد الناشيء عنها ولكنهُ لا يمنع الالتهاب بالضرورة فاذا لم يتوقف بل ازداد فلتصنع لزقة من الخبز يضاف اليهِ ماء حارّ وشيءٌ من الحامض الكربوليك على النسبة المتقدمة ودرهم من صبغة الافيون . اما النحل والزنابير فيحسن قبل علاج لسعتها ان تستخرج الحمة ثم يفرك مكانها بروح النشادر المخفف (جزء منهُ في ٣ ماء) او بغيرهِ من القلويات كالطباشير او كربونات الصودا ثم يبرد بالثلج او الماء البارد . واذا لم يكن هناك ثلج فبقطعة من رخام او رصاص او حديد

تبييض عاج البيانو

يصفر العاج الذي يكسو مفاتيح البيانو من امتصاص الدهن الذي يكسو الانامل . ويمكن تخفيف هذا الاصفرار (ان لم تمكن ازالتهُ تمامًا) من غير تفكيك المفاتيح وذلك بان يصنع معجون من مسحوق الطباشير ومحلول البوتاس ثم تكسى بهِ المفاتيح مدة يوم كامل

النزف

يعالج النزف الموضعي الحادث من الجروح بالضغط وبالماء البارد . فان كان الدم شريانيًّا وجب ان يضغط بين الجرح والقلب وان كان وريديًّا بين الجرح والاطراف . والمميز بين الدم الشرياني والوريدي ان الاول احمر قانئ والثاني احمر قرمزي او ضارب الى السواد . وكذلك يعالج بان يرشّ عليهِ قليل من الوصفة الآتية وهي : اجزاء متساوية من مساحيق الشب والعفص والصمغ العربي والبخور الجاوري

ازالة الوشم

يزال الوشم بوضع شيء قليل من الحامض النتريك عليهِ براس فلينة او بقلم من الزجاج ويترك الحامض دقيقة ونصفًا ثم يغسل بماءٍ بارد . فلا تمضي بضعة ايام حتى تنفصل عن الجلد قشرة رقيقة عليها الوشم فازلها . واذا التهب مكانها فضع عليهِ لبخًا من الماء الفاتر

اما اذا كان الوشم متسعاً فتفضل معالجتهُ بالطريقة الآتية : ينقش الوشم بمحلول التنين حسب الطريقة المعتادة ثم يمس بقلم من نترات الفضة (ماء النار) حتى يسود فيشعر المعالج بالم خفيف مدة يومين الى اربعة ايام ثم يزول الالم وبعد شهرين يرى ان اثر الوشم زال

وهناك طريقة اخرى وهي ان يغسل الوشم بشيء من الحامض الخليك المخفف وبعد نصف ساعة يغسل بمحلول مؤلف من اوقية ماء و ٤ قمحات من البوتاس الكاوي وبعد نصف ساعة آخر يغسل بمحلول مؤلف من اوقية ماء ودرهم من الحامض الهدروكلوريك المخفف . ويعاد ذلك كل يوم . ويقال انهُ اذا نقش الوشم بشيء من اللبن العادي استحال لونهُ الاخضر احمر ثم زال



السبيرتو والمشروبات الروحية

يكون الكحول او السبيرتو على نسب مختلفة . والمفهوم عند الكيماويين انهُ اذا قيل ان قوة هذا السبيرتو ٦٠ في المئة كان المعنى ان فيهِ ٦٠ في المئة من السبيرتو الصرف او المطلق . والكحول في عرف الكيماويين الاميركيين هو ٩١ جزءا من الكحول المطلق في ٩ اجزاء من الماء ثقلاً

اما الكحول المطلق فهو ما لم يكن فيهِ ماء البتة على انهُ لما كان الكحول يمتص بخار الماء من الجو بشراهة عظيمة فقلما يكون نقياً في السوق وما يباع فيها نقياً يحتوي على ٢ في المئة ماء في الغالب

واقوى انواع السبيرتو سبيرتو الخمر ففيهِ ٩٠ في المئة سبيرتو و ١٠ ماء . ويستقطر السبيرتو من مواد جمة كالحبوب والخشب وهذا الاخير يسمى الكحول ميثيل

والكحول على نسب مختلفة في الاشربة الروحية . ففي الهوسكي السكتلندية نحو ٥٤٫٣٢ في المئة منهُ . وفي « الروم » ٥٣٫٦٨ وفي الكونياك ٥٣٫٣٩ . وفي الجن ٥١٫٦ . والبورت ٢٢٫٩ . والمديرا ٢٢٫٢٧ . والتنريف ١٩٫٧٩ . والشري ١٩٫١٧ . والكلارت ١٥٫١ والشمبانيا ١٣٫٨ . والآبل ٦٫٨٧ . والبورتر ٤٫٢ . والسيدر من ٥٫٢ الى ٩٫٨

ويستقطر السبيرتو في روسيا واسوج من الطحالب اي الاعشاب الدنيا التي تنبت على الصخور في البلاد الباردة ويقتات بها وعل تلك البلاد . ويقال ان هذا السبيرتو لا يقل في مقدارهِ عن السبيرتو المستقطر من الحبوب

صنع الحامض النتريك والامونيا

كان الناس سابقاً يستوردون معظم ما يحتاجون اليهِ من النترات من مكان غربي جبال الاندس في اميركا الجنوبية وخصوصاً بلاد شيلي ولكنهم اخذوا في السنين الاخيرة يصنعون النترات والحامض النتريك في بلاد نروج بطريقة بركلند وطريقة ايد الكهربائيتين . ومنذ سنين اكتشف فرنك وكارو طريقة تستخرج الامونيا بها من كربيد الكلسيوم بعد تحويلهِ الي سيانامبد الكلسيوم . ثم اكتشفت طريقة اخرى وهي المسماة اوستولد كيزر ونحواها اكسدة بعض الامونيا بامرارها مع الهواء على البلاتين وما اشبههُ فكانت طريقة بسيطة لاستخراج حامض نتريك رخيص الثمن . ثم اكتشف كيماويان آخران انهُ يمكن ضم النتروجين الى الهدروجين تحت ضغط شديد وحرارة معتدلة وبهذهِ الطريقة امكن استخراج الامونيا بارخص مما تستخرج بهِ من السوائل المستعملة في معامل الغاز

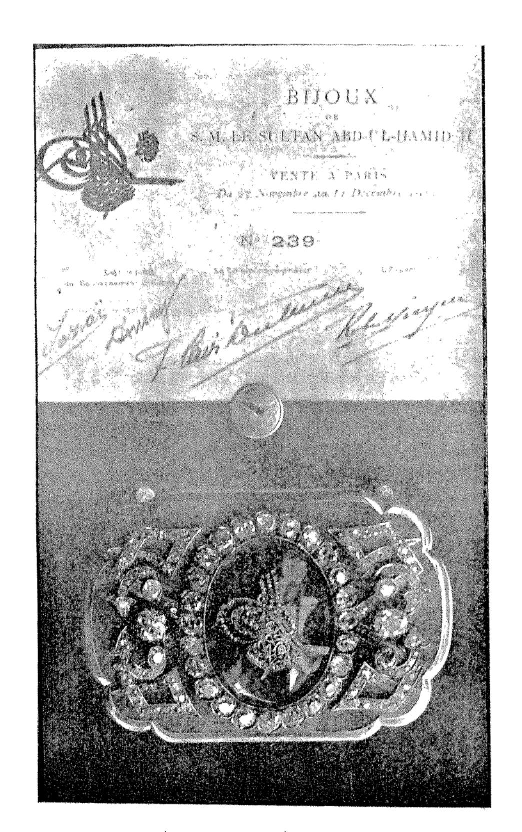
وقد اشتهر ان الحكومة الالمانية منحت احدى شركات النترات المشهورة في بدء الحرب مئة مليون مارك لتمدها بالحامض النتريك بلا انقطاع بعد ما انقطع ورود النترات على المانيا من الخارج . ويقال ان معامل هذه الشركة تصنع ٣٠٠ الف طن من كبريتات الامونيا في في السنة او ٢٠٠ الف طن من الحامض النتريك

الصناعة الفرنسوية

من بدائع الصناعة الفرنسوية علبة سعوط صنعت للسلطان عبد الحميد مع ما صنع لهُ من الجواهر الكثيرة في فرنسا ثم بيعت مع جواهرهِ في مدينة باريس فاشتراها رجل من اغنياء هذا القطر باربعة عشر الفاً وسبع مئة فرنك والظاهر انهُ ندم على ما فعل فعزم على بيعها وهي معروضة الآن للبيع في شباك مخزن الخواجه كرامر الجوهري بشارع المناخ

والعلبة من ابدع ما صنعهُ الصناع على ما رأينا كما ترى في الصورة المقابلة طولها ٩ سنتمترات وعرضها ٦ مستديرة الزوايا في وسط غطائها دائرة من الميناء متموجة خضراء زمردية عليها الطغراء العثمانية بحروف من الذهب مرصعة بحجارة الماس الصغيرة ويحيط بها دائرة اهليلجية من حجارة الماس الكبيرة وعلى جانبيها عقدان من الماس ايضاً

وغنيٌّ عن البيان ان علبةً مثل هذه لا يستفاد منها فائدة تساوي جزءا صغيراً من ثمنها ولكن الاغنياء الذين يتنافسون باقتناء التحف وعرضها للمباهاة بها او لاظهار مهارة الصناع يليق بهم ان يقتنوا امثالها



العلبة المجوهرة والشهادة فوقها

مقتطف مارس ١٩١٦.

امام الصفحة ٢٩٤

باب التقريظ والانتقاد

صبح الاعشى

الجزء السابع

صدر الجزء السابع من هذا الكتاب واكثر ما فيهِ صور مكاتبات الخلفاء والملوك والامراء والوزراء والاتباع اي مكاتبات الدواوين ونشترك كلها في فصاحة الكتَّاب من حيث انتقاء اللفظ وتنميق العبارة وفي اتخاذهم الكتابة فنًّا من حيث اعتمادهم على التنميق والتزويق كأنهم يصورون زهر الربى واذناب الطواويس ولا قيمة للزمن عندهم كما لا قيمة للمداد والقرطاس

ولقد احسن القلقشندي جامع هذا الكتاب في ايرادهِ الامثلة العديدة من تلك المكاتبات فان الباحث في الاخلاق المفتش عن اسباب الضعف التي نزلت بامم الشرق لوضعهم العرض بدل الجوهر يجد في هذه الامثلة شواهد كثيرة على ما يتطلبهُ ٠ وانا دلالة على ذلك نورد الصور التالية

(١) نسخة كتاب من احمد بن طولون صاحب مصر الى ابنهِ العباس حين عصى عليهِ بالاسكندرية (سنة ٢٦٥ هـ)

«من احمد بن طولونَ مولى امير المؤمنين ، الى الظالم لنفسهِ ، العاصي لربهِ ، الملم بذنبهِ ، المفسد لكسبهِ ، العادي لطورهِ ، الجاهل لقدرهِ ، الناكص على عقبهِ ، المركوس في فتنتهِ ، المنحوس [من] حظِّ دنياهُ وآخرتهِ » !

سلامٌ على كل منيبٍ مستجيب ، تائبٍ من قريب ، قبل الأَخذ بالكظَم ، وحلول الفوت والنَّدَم

واحمد الله الذي لا اله الاَّ هو حمد معترفٍ لهُ بالبلاء الجميل ، والطَّوْل الجليل ، واسألهُ مسأَلة مخلصٍ في رجائهِ ، مجتهدٍ في دعائهِ ، ان يصلي على محمد المصطفى ، وامينهِ المرتضى ، ورسولهِ المجتبى ، صلَّى الله عليهِ وسلَّم

اما بعد ، فان مثلك مثلُ البقرة تثير المُدْيةَ بقرنيها ، والنملة يكون حتفها في جناحيها ، وستعلمُ—هبلتك الهوابل ! ايها الاحمقُ الجاهل ، الذي ثنى على الغيّ عطفهُ ، واغتر بضجاج

المواكب خلفه — ايَّ موردةٍ هلكةٍ باذن الله تورَّدت ، اذ على الله جل وعز تمرَّدْت وشردت ، فانهُ تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابهِ مثلاً : (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

وإنا كنا نقرّبك الينا ، وننسبك الى بيوتنا ، طمعاً في انابتك ، وتأميلاً لفيئتك ، فلما طال في الغيّ انهماكك ، وفي غمرة الجهل ارتباكك ، ولم نرَ الموعظة تلين كبدك ، ولا التذكير يقيم اودك ، لم تكن لهذه النسبة اهلاً ، ولا لاضافتك الينا موضعاً ومحلاًّ ، بل لا نكنني بابي العباس الاَّ تكرُّهاً وطمعاً بان يهب الله منك خلفا نقلدهُ اسمك ونكنى بهِ دونك ، ونعدُّك كنت نسياً منسياً ، ولم تك شيئاً مقضيًّا ، فانظرْ ولا نظر بك الى عار نسبتهُ تقلَّدت ، وسخط من قبلنا تعرَّضْت ، واعلم ان البلاء باذن الله قد اظلك ، والمكروه ان شاء الله قد احاط بك ، والعساكر بحمد الله قد اتتك كالسيل في الليل تُؤْذنك بحرب و بو يل »

والكتاب ملأ خمس صفحات كبيرة وكلهُ على هذا النسق

(٢) نسخة ما كان كتب بهِ الى القواد

« اعزَّ الله تعالى انصار المقرّ الكريم ، العالي ، المولويّ ، الاميريّ ، الكبيريّ العاليّ ، العادليّ ، المؤيدي ، الزّعيميّ ، العونيّ ، الغياثيّ ، المثاغريّ ، المرابطيّ ، المهديّ ، المشيديّ ، الظهيريّ ، العابديّ ، الناسكيّ ، الاتابكيّ ، الفلانيّ ، معز الاسلام والمسلمين ، سيد امراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجإ الفقراء والمساكين ، زعيم جيوش الموحّدين ، اتابك العساكر ، ممهّد الدُّوَل ، مشيّد الممالك ، عماد الملة ، عون الامة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد امير المؤمنين الخ »

(٣) نسخة كتاب من الملك الظاهر برقوق

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله ووليهِ السلطان الاعظم المالك ، الملك الظاهر ، الاجلّ العالم العادل ، المجاهد المرابط ، المثاغر المؤيد ، المظفَّر ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قامع الخوارج والمتمرّدين ، وارث المُلْك ، مَلِك ملوك العرب والعجم والترك ، مبيد الطُّغاة والبغاة والكفَّار ، مملّك الممالك والاقاليم والامصار ، إسكندر الزمان ، ناشر لواء العدل والإحسان ، مليك اصحاب المنابر والاسرّة والتُّخوت والتيجان ، مالك البحرين ، صاحب سبُل القبلتين ، خادم

الحرمين الشريفين ، ظلّ الله في ارضهِ ، القائم بسنّتهِ وفرضهِ ، سلطان البسيطة ، موءمن الارض المحيطة ، سيد الملوك والسلاطين ، قسيم امير المؤمنين ، « ابي سعيد برقوق» خلد الله سلطانهِ ، ونصر جنودهُ واعوانهُ ، وافاض على العباد والبلاد جُودهُ واحسانهُ ، تحية تتأرّج نفحًا وتتبلجُ صبحًا ، وتطوي بعرْفها نشر الخزامى ، وتعيد ميت الاشواق حيًّا اذا ما، تخصُّ الحضرة العلية ، السنية السرية ، المظفرة الميمونة ، المنصورة المصونة ، حضرة الامير العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيَّد ، الأوحد ذخرْ الاسلام والمسلمين ، عدّة الدنيا والدين ، قدوة الموحدين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، سيف جماعة الشاكرين ، صلاح الدول ، المتوكّل على الله احمد ، ابن مولانا الامير ابي عبد الله محمد ، ابن مولانا امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر ، ابن الامراء الراشدين . اعزّ الله دولتهُ وأذلّ عداتهُ . وانجز من صعود اوليائهِ وسعود آلائهِ صادق عداتهِ » الخ

والكتاب طويل ملأَ خمس صفحات .

(٤) نسخة كتاب من الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطان ابي الحسن المريني في جواب كتاب ورد عليهِ منهُ وهي

« عبدالله ووليهُ . السلطان الملكُ الناصر . ناصرُ الدنيا والدين . سلطانُ الإسلام والمسلمين . محيي العدل في العالمين . موءمن اولياء الله المؤمنين . ظلُّ الله الممدود . وميسّر السُّبل للوفود . حامي القبلتين بحسامهِ من اهل الجحود . وخادمُ الحرمين الشريفين متّبعًا للسنة الابراهيمية في تطهير بيت الله للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السُّجُود . والقائم بمصالح اشرف روضة وطيبةُ يعطّر طيبها في الوجود . وليّ امير المؤمنين جمع الله بهِ كلمة الإسلام بعد الأفتراق . وقمع برعبهِ اهل العناد والشقاق . واوزعهُ شكر نعم الله التي الّفتْ على ولائهِ قلوب ملوك الآفاق . وامتعهُ بها منحةً صيرت لهُ الملك بالارث والاستحقاق . وسيّرت كواكب مناقبهِ فلها بالمغارب إضاءةٌ وبالمشارق اشراق . ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور . سيف الدنيا والدين . سقى الله عهدهُ عهاد الرحمة ذوات اغراق . وابقى مجدهُ بحمدهِ الذي للامة المحمدية على تعظيمهِ اجماعٌ وعلى تقديمهِ اتفاق . يخصُّ المقام العالي . الملكَ الاجلَّ الكبير . الخبير . العاضد . الثاغر . المظاهر . الفائز . الحائز . المنصور . المأثور . الفاتح . الصالح . الامكن . الاصون . الاشرف . الاعرف . الكريم المعظم . ابا الحسن عليًّا امير المسلمين . ابن السلطان السعيد . الحميد . الطاهر . الفاخر . الماهد . الزاهد . الاورع . الاروع . امير المسلمين .

ابي سعيد عثمان · ابن السلطان · السعيد · الرشيد · السابق · الوامق · الجامع · الصادع · اميرالمسلمين ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق · ناظم مفرَّق الفخار · وهازم فرَق الفُجّار · والملازم لاحياء سنَّة الجهاد المتروكة في الاقطار · حتى يجمع في ملكهِ اطراف الغرب الاقصى للاستيلاء والاستظهار · ويخضع لفتكهِ كلَّ متكبر جبّار · ويرصع في سلكهِ ما تأبى وصعب من تلك الديار · ويرفع لنسكه اعمالاً من الجهاد والاجتهاد تسر الحفظة الابرار · يظهر فيها لبركة الاسم العلويّ من نشر الهدى · وقهر العدا · اوضح الادلة وابين الآثار · ويؤثر سلطاننا المحمدي من عليّ عزمهِ وحمي حزمهِ · باعز الاعوان والانصار · فتظفرُ دارُ الاسلام من قومهِ بمهاجرين من ابناء البلاد يقرُّ لهم بام القرى قرار · ويسير سواهم للبيت ذي الحجر والحجْرِ والباب والميزاب والملتزم والجدار والاستار · بسلام مشرق الغرَر · مونق الحبر · وثناء مع ريّاهُ لا يعبأ بالعبيرِ مع نشرهِ ولا يعتبر · ووداد مخفيّ الخبر · واعتداد يطول منهُ في ألسنة الشكر عن احصائهِ واستقصائهِ قصر · وايرادٍ لمفاخرهِ التي سارتْ بها الاخبار والسير · واعتقادٍ لمآثرهِ التي سبق عثمانها الى احراز مزايا الفضل وجاء عليُّها على الأَثر الخ

والرسالة طويلة ملأَت ست صفحات · ولا اعتراض لدينا على هذا التنميق والتزويق الأ لان الناس متى اهتموا بالعَرض فالغالب انهم يهملون الاهتمام بالجوهر · وقولنا هذا لا يتناول طبع صبح الاعشى لاننا نراهُ من اجمع الكتب لما يتعلَّق بتاريخ الممالك العربيَّة واحوال اهلها

تقرير المعهد السمثسوني

عن سنة ١٩١٣

جاءنا هذا التقرير السنوي وهو كالتقارير السابقة حاوٍ لكثير من المقالات المفيدة لكبار العلماء في المباحث الطبيعية كالفلك والجغرافيا والجيولوجيا والكهربائية والنبات والحيوان وما اشبه وقد ملأَت هذه المقالات اكثر من ٦٠٠ صفحة منهُ

ويظهر من النظر الى حساب اموال المعهد انها بلغت ٩٩٧ الف ريال او نحو مئتي الف جنيه ولكن أُنفق منها تلك السنة ٦٢٧ الف ريال اكثرها انفق على حفظ المجموعات التي في المعهد وعلى بستان الحيوانات الوطني

الرُّجحان

قصيدة فلسفية طبيعية للدكتور شبلي شميل نظمها وشرحها واثبت فيها آراءهُ وآراء جمهور كبير من فلاسفة هذا العصر الروحيين والماديين بجعل آراء الاولين في معرض الزعم و بسطها وعللها فقال :

زعموا انهُ غريب بارض — ليس فيها سواهُ شيءٌ غريبُ

الى ان قال :

خبروني ما دام منها وفيها — اين يرجى معادهُ المحبوبُ
حلَّ فيها وكان منها سليماً — ثم يمضي وقد عرتهُ الكروبُ
خبروني عن حكمة من مجيءٍ — لمآب تعدُّ فيهِ الذنوبُ
ولماذا هذا الثواب المرجّى — ولماذا هذا العقاب الرهيبُ

الى ان قال :

فدعونا من الخلود المعنّى — ان نرحّب فبالفنا الترحيبُ
واصرفونا في ارضنا عن سماءٍ — صوت املاكها الينا نعيبُ
ارضنا للنهى خزانة علم — وهي حقل للعالمين خصيبُ
علمونا ان الحياة جهادٌ — ومجال الجهاد فيها رحيبُ
علمونا ان الهنا من هناء الغير منا صحيحةٌ مكتوبُ
لا تقولوا الاديان فينا لأَمْن — ان تقولوا فقولكم مكذوبُ
قابلوا عصرنا بظلم عصورٍ — سادها الذين ثم بعدُ اجيبوا

والظاهر ان الدكتور نظم هذه القصيدة وشرحها قبل شبوب الحرب الحاضرة وما انتجتهُ الفلسفة المادية

اما ما ذهب اليهِ من ان كل شيءٍ في الارض من الارض فمردود بان القوة تأتي الارض من الشمس وتأتي الشمس من مصادر اخرى . واذا كان العقل حالة من حالات القوة فهو مستمد بحسب ذلك من غير الارض . وهذا العقل يرى بداهةً او استقراءً ان الموجودات المادية لا تستطيع ان توجد نفسها فلا بدَّ لها من موجد فاذا كان للموجودات موجِد وهي على ما هي عليهِ من العِظَم والانتظام والاتقان والحكمة والقوة حتى يتولد بعضها من بعض وتولِّد

القوة حركة والحركة حرارة ونوراً وكهربائية وادراكاً وتفكيراً فهذا الموجد يلزم ان يكون عظيماً منظّماً متقناً حكيماً قويًّا ٠ والموجودات مالئة الكون فوق ما هي عليهِ من الانتظام حتى اذا سار النور من بعض النجوم الينا بسرعتهِ المعروفة وهي نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان لم يصل الينا في اقل من الوف كثيرة من السنين لبعدها الشاسع عنا ٠ فقدرة هذا الموجد اشمل من كل ما يمكن تصوُّرهُ وهي لا تختص بالكبير من الموجودات كالشموس والاقمار والضخم من الاحياء كالحوت والفيل والانسان بل تتناول ما نعدُّهُ صغيراً حقيراً بالنسبة الينا ٠ رأينا قبيل كتابة هذه السطور قطعة من الجبن في احد جوانبها بقعة صغيرة تغيَّر لونها عما يجاورها فنظرنا اليها بمكرسكوب صغير واذا عليها حيوانات صغيرة جدًّا لا ترى بالعين لصغرها شكلها كالخنافس بيضاء الى الصفرة لكل حيوان منها فم ومعدة وايدٍ وارجل وغير ذلك من الاعضاء مثل اكبر الحيوانات ٠ وكم في الارض من ملايين وملايين الملايين من مثل هذا الحيوان او اصغر او اكبر وقد وجدت بقدرة هذا الموجد او بالنواميس التي وضعها وسلَّطها على المادة

في هذا العالم المادي امور كثيرة لا نفهم مؤدَّاها او لا نراها تجري على قوانيننا واحكامنا ٠ فالاسراف كثير في ما يتولَّد من بيض السمك وثمر الشجر ٠ والحيوانات يفترس بعضها بعضاً ٠ والامراض تنتاب اناساً لا يستحقونها ٠ والشرير يسود والصالح يداس ٠ ولكن ان كنا لا ندرك ما في ذلك كلهِ من الحكمة فاللوم على قصر عقولنا ٠ وقد ادرك الباحثون المتعمقون منا الحكمة في بعض ما كان يعدُّ قبلاً مظنَّة الجهل ٠ وقد ندرك الحكمة في كل شيء وهب اننا لم ندركها فجهلنا الشيء لا ينفيهِ

والدكتور شميل لا يوجب نفي ما لا نعلمهُ بل يحث الناس على التمسُّك بما نعلمهُ ولذلك قال «ارضنا للنهى خزانة علم» البيتُ ٠ ولعلهُ يريد بالارض النظام الشمسي كلهُ وكل ما في الكون من مادة وقوة مما يؤَثر فينا ٠ واذا ثبت ما استنتجهُ بعض العلماء الآن من ان المواد كلها حالات من حالات القوة وتأيَّد مبدأ الاتصال ثبت ان الانسان بجسمهِ وعقلهِ جزء من القوة الشاملة وانهُ خالد بخلودها ٠ وما ادرانا ان وجدانهُ لا يبقى معهُ بعد تغير صورتهِ الجسمانية وان وجودهُ الوقتي في هذه الارض انما هو حلقة من حلقات وجود اوسع واعظم وحينئذٍ يصير للوجود الارضي معنًى سامٍ والاَّ عسر فهم المراد من هذا البناء والهدم المترادفين

وآراؤُنا في الكون لا يلزم ان تكون دائماً قرينة الصواب لاسيما وانها كثيراً ما تتوقف على حالنا من الصحة والمرض والراحة والتعب وحال المعدة من القوة والضعف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) طبع الصور الملونة

مصر . احد المشتركين . بلغنا ان الصور الملونة بالوان كثيرة تطبع الآن من ثلاثة الوان فقط فما هي هذه الالوان وكيف تطبع الصور بها

ج . الالوان الثلاثة او الاحبار الثلاثة هي الاصفر والاحمر والازرق . وطرق طبعها مختلفة واساسها واحد . لنفرض اننا نريد رسم طائر فيهِ من الالوان الاصفر والاحمر والازرق والاخضر والبنفسجي والقرمزي والبرتقالي والسنجابي والرمادي . فنحفر لهذا الطائر صورة تظهر فيها الاجزاء التي لونها اصفر والتي الوانها مركبة من الاصفر والاحمر والازرق مفردَيْن او متحدين . ونحفر لهُ صورة ثانية تظهر فيها الاجزاء التي لونها احمر فقط والمركبة من الاحمر والاصفر والازرق مفردين او مركبين . ونحفر لهُ صورة ثالثة تظهر فيها الاجزاء التي لونها ازرق والتي الوانها مركبة من الازرق مع الاصفر والاحمر . وتطبع الصورة الاولى على ورقة بالحبر الاصفر والثانية عليها بالحبر الاحمر والثالثة بالحبر الازرق حتى تقع كل صورة فوق الاخرى تماماً فتظهر الصورة الاخيرة ملونة بالالوان المطلوبة . ولحفر الصور الثلاث طرق مختلفة ربما استوفينا الكلام عليها في فرصة أُخرى

(٢) الاوزان العبرانية

ومنهُ . كم وزن الشاقل والمنا والوزنة المذكورة في الانجيل

ج . وُجد بعد البحث والتحقيق ان وزن الشاقل القديم كان في عهد المسيح ٢١٠ قمحات و ٥٢ في المئة من القمحة ووزن الشاقل الجديد نصف وزن القديم . ووزن المنا الخفيف ٥٢٦٣ قمحة ووزن المنا الثقيل ١٠٥٢٦ اي مضاعف وزن الخفيف . ووزن الوزنة الخفيفة ٣١٥٧٨٠ قمحة والثقيلة ٦٣١٥٦٠ اي مضاعف وزن الخفيفة

(٣) اصحاب الطريقة الرفاعية

مصر الخواجة سليم حاصباني . ما قولكم في الطريقة الرفاعية التي يأكل رجالها الحيات

و يبقرون بطونهم ويخمدون لظى النار بلعابهم الى غير ذلك من الفعال التي ترتعد لها فرائص المرء وقد رأيت ما رويت مرأى العين فهل هي ضرب من ضروب الشعوذة وما تعليلها عندكم

ج . ان كنتم قد رأيتم رفاعيًّا يأكل الحيات . فلا يحتاج الامر الى تعليل لان لحم الحية يؤكل كما يؤكل لحم السمك والغنم والبقر والمعزى . واكثر الحيات غير سام فلا ضرر من اكل لحمها والحيات السامَّة يكون سمها في فيها فاذا قطع رأسها وطرح فلا ضرر من اكل لحم بدنها . واما بقر البطن فلم نفهم مرادكم منهُ فاذا اردتم ان الانسان يبقر بطنهُ ثم يبقى حيًّا فذلك محتمل لان البطن قد يُبقر ثم يخاط ويشفى من غير ان يحدث التهاب مميت في البريتون . والجرَّاح الماهر يستطيع ان يبقر بطن مريض اذا حدث اندغام في امعائهِ ثم يخيطهُ ولكنهُ لا يفعل ذلك في نفسهِ بل في غيرهِ وبعد تبنيجهِ . والظاهر ان الرفاعي الذي رأيتموهُ امهر منهُ واصبر على الالم ولكننا نستبعد ان يفعل ذلك لكي يقنعكم بمهارتهِ افلا ترجحون انهُ خدعكم . واخماد اللظى باللعاب سهل جدًّا ولاسيما اذا اكل الانسان طعامًا يكثر لعابهُ او اذا فكر في شيءٍ يكثر فيضان اللعاب كالتفكير بالليمون الحامض فان اللعاب ماء والماء يطفئ النار كما لا يخفى

والقاعدة التي نجري عليها نحن ويجري عليها جمهور الناس اذا سمعوا خبرًا غريبًا هي ان يقيسوا ذلك الخبر الغريب بما يناسبهُ من المعلومات فاذا وجدوهُ مرجحًا صدقوهُ واذا وجدوهُ محتملاً وراويهُ صادقًا وغير مخدوع صدقوهُ ايضًا في الغالب ولكن اذا وجدوهُ مخالفًا للعلوم انكروهُ او ارتابوا فيهِ الى ان تقوم الادلة القاطعة على اثباتهِ . واذا وجدوهُ مناقضًا للعلوم انكروهُ بتاتًا وفضلوا تكذيب حسهم على تكذيب معلومات البشر في كل العصور

روى لنا المرحوم الدكتور غرانت بك منذ نحو ثلاثين سنة انهُ شاهد احد الرفاعية يدخل بيتًا أيًا كان ويصفر فتخرج لهُ من البيت افعى وثانية وثالثة . فقلنا لهُ ان كان هذا الامر صحيحًا استلزم ان توجد الافاعي في كل البيوت وهذا امر يبعد تصديقهُ والاقرب الى العقل ان الرفاعي يخبئ الافاعي في ثيابهِ بعد ان ينزع انيابها ثم يخرجها بحيلة وانت لا تراهُ . فبعث الينا برفاعي لكي يقنعنا بصدق مقالهِ فدخل الرفاعي غرفةً في بيتنا ومعهُ جراب فيهِ افاعٍ كثيرة فوضع الجراب جانبًا ثم صفر واخرج افعى من تحت طاولة كبيرة في وسط الغرفة ولم نرَ الأانهُ مدَّ يدهُ تحت الطاولة واخرج الافعى ثم اخرج افعى ثانية من تحتها فقلنا لعلهُ اخرجها من كمهِ فطلبنا منهُ ان يخلع ثيابهُ كلها فخلعها ورماها

علي كتفهِ ثم صفر واخرج افعى ثالثة من احد جوانب الغرفة · فقلنا لهُ اننا واثقون ان هذه الافاعي هي من الافاعي التي كانت معك فان انت اخبرتنا كيف اخرجتها من هنا فاننا نعطيك كذا وكذا من الغروش فرضي وشرح لنا كيف اخرج الافاعي الثلاث من جرابهِ وخبأها في كمهِ ثم لما خلع ثيابهُ ابقى واحدة في كفهِ مخفية بثيابهِ ثم وضعها على كتفهِ تحت ثيابهِ وهي التي اوهمنا انهُ اخرجها من احد جوانب الغرفة ·ولو كنا من مصدقي الاوهام لبقينا حتى الساعة نعتقد ان الافاعي كانت في بيتنا واخرجها ذلك الرفاعي منهُ

(٤) الاعتقاد بالعفاريت

مصر · محمد افندي محمد سعفان بمدرسة القضاء الشرعي · ما هو المعتقد الصحيح الذي يتمسك بهِ الانسان في النساء اللاتي يدّعين ان العفاريت عليهنّ

ج · انهنّ واهمات او مصابات بمرض عصبي (نوع من الهستيريا) · ومتى تعلَّم النساء تزول هذه الاوهام من نفوسهنّ او تزل سلطتها عنهنّ

(٥) الحجاب والاميال الجنسية

ومنهُ · يدَّعي انصار الحجاب في مصر على انصار السفور ان الاميال الجنسية اشد في البلاد الحارَّة منها في الباردة فتوجب التحجُّب صوناً للعفة فهل ذلك صحيح

ج · ان البلوغ ابكر في البلاد الحارة منهُ في الباردة ولكننا نرجح ان الميل الجنسي يزيد بالتحجب لا بالسفور على حدّ قولهم « احب شيءٍ الى الانسان ما منعا » · وتجدون في ما نشرناهُ من رحلة ابن بطوطة في مقتطف فبراير كلاماً يستحق التأمل لانهُ لم يورَد قصد الجدل بل ورد عفواً من رجل يخالف مذهبهُ وهو وصف امر واقعي لا شبهة فيهِ · قال دخلت يوماً على ابي محمد بندكان المسوفي (في السودان الغربي حيث الحر اشد جدًّا منهُ في مصر) فوجدتهُ قاعداً على بساط وفي وسط دارهِ سرير مظلل عليهِ امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان · فقلت لهُ ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها منها فقال هو صاحبها (اي صديقها). فقلت لهُ اترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع · فقال لي ان مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها

قال ابن بطوطة فعجبت من رعونتهِ وانصرفت · فغلَّب سوء ظنهِ الذي اساسهُ الوهم على ما رآهُ بعينيهِ مراراً في تلك البلاد وما اكدهُ لهُ اهلها مما ينفي كل مظنة · وهذا كلهُ لا يمسُّ جوهر مسألة الحجاب لان البحث في هل تحجب النساء افضل لمصلحة الامة خارجٌ عن موضوعنا

(٦) علاج المبرية

قنا · احد المشتركين · ينزل من رأسي

كل صباح حالما اتمشط قشور كثيرة بيضاء ولقد استشرت كثيرين من الاطباء فكانت نصائحهم مجمعة على وجوب الغسل والفرك والتمشيط اليومي · على ان هذا العلاج لم ينجع فهل لذلك سبب طبيعي وهل لهُ علاج مفيد

ج · هذه القشور المسماة بالعربية هبرية هي نتيجة مرض في جلد الراس وخير علاج لها النظافة والغسل بالماء والبورق او الماء والغليسرين ودهن ما بين الشعر بمحلول كبريتيد البوتاسيوم او بمرهم زئبقي

(٧) الاكليروس والحرب

مصر · الخواجه حبيب الياس الزحلاوي · يقال ان للاكليروس اليد الطولى في هذه الحرب فهل ترجحون ذلك استناداً على التاريخ او اطلاعاً على معلومات خاصة وهل يكون لهم شأن قوي في الصلح

ج لم نطلع على ادلة او امور تؤيد ذلك ومن المحتمل انهم سعوا لكي يتأيد نفوذ النمسا الكاثوليكية في البلقان ولا يتأيد نفوذ روسيا الارثوذكسية وان هذا السعي كان من جملة الاسباب التي اثارت الحرب الآن ولكن لو لم يحدث ذلك لثارت الحرب بعد سنة اوسنتين او اكثر لان النار كانت مخبوءة تحت الرماد والسبب الاكبر لها المنافسة في الاستعمار والطمع بالاكتساب وحتى الآن لا يظهر انهُ يكون للاكليروس يد في الصلح

(٨) فرنسا والجمهورية

ومنهُ · يتحدث البعض ان الدولة الافرنسية ستعيد حكم الفرد المطلق وتنبذ الجمهورية فهل يعقل ذلك

ج · لا شيء يمنع ان يكون معقولاً ولكنهُ غير مرجح لان الناس صاروا الآن اميل الى الحكم الجمهوري منهم الى الملكية المطلقة

(٩) الحرب والحكم المطلق

ومنهُ · لو أُبطلت الاحكام المطلقة في العالم بازالة العائلات المالكة او تنحيتها الا ينهدُّ ركن من اركان الحروب وتقام مقامهُ دعامة من دعائم السلام

ج · بلى فان الحكومات الجمهورية قلما تكون البادئة في اثارة الحروب وقلما تهتم بالتأهب لها

(١٠) ان الثمانين وبلغتها

شبراخيت · احمد افندي الصراف ·
قال الشاعر

ان الثمانين وبلغتها
قد احوجت سمعي الى ترجمان

فهل كلمة بلغتها ينطق بهـا بَلَغتَهَا او بُلِّغتُهَا

ج · لا كذا ولا كذا بل ينطق بها بُلِّغتَها بتاء المخاطَب وهي دعاء اي ان الثمانين سنة وعسى ان تبلغها انت قد احوجت سمعي الى ترجمان

(١١) سد الصين وسيف اقيانس

ومنهُ . قال حضرة صاحب السعادة احمد باشا زكي في تصدير الادب الصغير ما نصهُ « مثلث في التوحيد قد اجتمعت على كلمتهِ شعوب متباينة من سد الصين في اقصى الشرق الى سيف اقيانُس في نهاية اندلس » فما مرادهُ بقولهِ سيف اقيانس وهل سد الصين هو سد مأرب او غيرهُ

ج . السيف بكسر السين الشاطيء . والاقيانس البحر المحيط الذي نكتبهُ عادة اوقيانوس ويريد بهِ الاتلنتيكي . ونظن انهُ يريد بسد الصين السور الصيني المشهور وهو ليس سد مأرب الذي كان في اليمن ولا تزال آثارهُ فيها

(١٢) رسم الخرائط

مصر . محمد افندي صادق راغب بمدرسة الطب . كيف نشأ رسم الخرائط الجغرافية ومن اول من وضع ذلك

ج . ترون مقالة في هذا الموضوع في المجلد الثامن والعشرين من المقتطف وفيها رسم اقدم خريطة وجدت حتى الآن وهي خريطة مصرية رسمت سنة ١٣٧٠ قبل المسيح ورسم خريطة بطليموس الذي نشأ في القرن الثاني للميلاد ورسم الخريطة المنقولة عن كرة الشريف الادريسي الذي نشأ في القرن الثاني عشر للميلاد

(١٣) مصدر نور الشمس

ومنهُ . ما مصدر النور في الشمس . ولا يخفى ان النور مصدرهُ حرارة شديدة درجتها فوق درجة الاحتراق فهل من دليل علمي على ان الشمس تحترق واذا كان الامر كذلك فلمَ لم تنفد المادة المحترقة حتى الآن

ج . ان الشمس في حالة حمو شديد جدًّا وقد حسبوا ان درجة الحرارة فيها نحو عشرة آلاف . وفي سبب حرارتها قولان مشهوران الاول سقوط الرجم المتوالي عليها والثاني تقلص جرمها المستمر . ثم ان المادة المحترقة لا تنفد اي لا تزول من الوجود اما في ارضنا فالفحم المحترق يتحد بالاكسجين ويصير غازاً مركباً من الاكسجين والكربون وينتشر في الهواء ثم يعود الى الارض مع ماء المطر او تمتصهُ النباتات . والخيط الذي في المصباح الكهربائي يضيء من شدة الحرارة ولكنهُ لا ينفد بل يبقى في مكانهِ والمادة والقوة خالدتان لا تتلاشيان فيما نعلم

(١٤) منشورات نبوليون في مصر

الزيتون . ش شدياق . جاء في تاريخ نبوليون في مصر وسوريا بقلم المرحوم سليم البستاني صفحة ١٨ ما يأتي « ثم امر (نبوليون) بان يصير اقامة المطابع الكثيرة التي اتى بها معهُ وذلك في الاسكندرية وان تشرع في طبع اوامرهِ واعلاناتهِ في اللغة الفرنسوية والعربية والسريانية » فارجو الافادة عمَّا اذا

طُبع شيءٌ من منشوراتهِ باللغة السريانية واين يمكن ان توجد نسخة من ذلك

ج. رأَينا عند المرحوم صادق بك كامل كثيراً من منشورات بونابرت بالعربية والفرنسوية ولا نتذكر اننا رأَينا بينها شيئًا باللغة السريانية وهذا رأي غيرنا من الذين جمعوا ما طبع في مصر في عهد الحملة الفرنسوية فانهم لم يروا بينها شيئًا مطبوعًا بالسريانية

(١٥) امبراطور الجمهورية

ومنهُ . وقع تحت يدي ليرا فرنسوي (بنتو) مضروب سنة ١٨٠٦ وعلى احد وجهيهِ رأس نبوليون الاول ومكتوب حولهُ نبوليون امبراطور Nap. Emp وعلى الوجه الآخر اكليل وحولهُ الجمهورية الفرنسوية R. Française فما معنى ذلك وهل يتفق وجود الامبراطورية والجمهورية معاً

ج . عندنا نحن قطعتان ذهبيتان فرنسويتان كلٌّ منهما بار بعين فرنكاً وعليهما كتابة مثل كتابة البنتو الذي عندكم ولما وقعتا في يدنا منذ نحو ٢٥ سنة ظننا انهما سكتا كذلك خطأً ولكن لما ورد سؤالكم بحثنا في هذا الموضوع فاتضح لنا ان نبوليون لما تاقت نفسهُ الى الملك والى جعلهِ موروثًا في نسلهِ لم يشأ ان يلقب نفسهُ ملكاً خوفًا من الحزب الجمهوري في الجيش فاختار لقب امبراطور ومعناهُ قائد الجيش العام وهو اللقب الذي كان يلقب بهِ القنصل الروماني حينما يقود جيش رومية واول من تلقب بهِ يوليوس قيصر وتبعهُ خلفاؤُهُ . اي ان الحكومة الرومانية كانت جمهورية وكان رئيسها يسمَّى قنصلاً ومتى قاد الجيش لقب امبراطوراً فاقتفى نبوليون خطة يوليوس قيصر وكان ذلك بمرسوم من مجلس الشيوخ في ١٨ مايو ١٨٠٤ وبقيت الحكومة جمهورية ولو بالاسم

(١٦) الانسان والاصابع الست

المحلة الكبرى عزيز افندي سوريال . ظن البعض ان الانسان الاول كان لهُ ست اصابع في كل يد فالرجاء ابداء رأيكم في ذلك على صفحات المقتطف

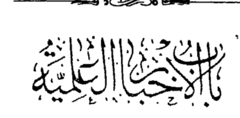
ج . لا دليل على صحة ذلك بل تدلُّ الدلائل على ان عدد الاصابع كان خمسة دائمًا اذ هو كذلك في جنين الانسان وفي الحيوانات الشبيهة بهِ ولانهُ لاداعي لزوال الاصبع السادسة لو كانت موجودة كما زالت الاصابع من قوائم الخيل . ولو كانت موجودة وزالت لبقي لها اثر في يديهِ او في ايدي اجنتهِ

(١٧) سبب تغير الفصول وطول النهار

دمياط . مصطفى افندي اللوزي : ما سبب تغيُّر الفصول وسبب طول النهار وقصرهِ

ج ان سبب تغيُّر فصول السنة وسبب قصر النهار وطولهِ هو كون دائرة البروج (اي الدائرة التي تدور فيها الارض حول الشمس مرة واحدة في السنة) مائلة على خط

الاستواء لا مطابقة له فلو كانت مطابقة له لظلت الشمس على خط الاستواء السنة كلها ولم تتغير فصول السنة ولا اختلف النهار في الطول والقصر . اما الآن فالشمس تقع على خط الاستواء مرتين في السنة احداهما حوالي ٢١ مارس وتعرف تلك النقطة بالاعتدال الربيعي والاخرى حوالي ٢١ سبتمبر وتعرف بالاعتدال الخريفي وفيهما يتساوى طول النهار والليل . ومتى جاوزت الشمس الاعتدال الربيعي تقع شمالي خط الاستواء نصف السنة فيحدث من ذلك فصل الربيع وفصل الصيف هناك و يكون النهار اطول من الليل . ومتى جاوزت الاعتدال الخريفي تقع جنوبي خط الاستواء فيحدث من ذلك فصل الخريف وفصل الشتاء شماليةً ويقصر النهار عن الليل . هذا في القسم الشمالي من الارض و يحدث مثله في القسم الجنوبي متى كانت الشمس جنوبي خط الاستواء



اوجه القمر في شهر مارس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٤	٥	٥٨	صباحاً
الربع الاول	١١	٨	٣٣	مساءً
البدر	١٩	٧	٢٧	«
الربع الاخير	٢٦	٦	٢٢	«
القمر في الاوج	١٢	٧	٢٤	«
« « الحضيض	٢٦	٣	١٢	«

السيارات

يكون عطارد كوكب الصباح والزهرة كوكب المساء

والمريخ يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً والمشتري كوكب المساء في اول الشهر ثم يشاهد في آخره

وزحل يغرب نحو الساعة ٢ صباحاً

سير العلم في اوربا واميركا

قالت السينتفك اميركان في مقالة عن تأثير الحرب في سير العلم باوربا واميركا « ان انضمام كثيرين من علماء اوربا وجامعي حروف المطابع الى المحاربين في الميادين كان عقبة كبيرة في سبيل تقدم العلم في البلاد الاوربية فلم يخترع شيء يستحق الذكر ولا اكتشف شيء الا صنع العلف من الخمير في المانيا بعد

تضييق الحصر البحري عليها. اما اميركا فليس الامر فيها كذلك. و يكفي للدلالة على حسن سير العلم فيها تمكننا في خلال السنة الماضية من مخاطبة باريس وجزر هونولولو بالتلغراف اللاسلكي من وشنطن عاصمة هذه الولايات»

وقابلت بين سير علم الفلك في اوربا وسيره في اميركا فذكرت ان المكتب الفلكي الالماني الذي كان يوزع الاخبار الفلكية من كيال على جميع انحاء المسكونة قبل الحرب انقطع عن عمله هذا في زمن الحرب فتولى مرصد جامعة كوبنهاغن نشرها مكانهُ. اما في اميركا فان العمل قائم بهمة لا كلال نصب التلسكوب الكبير في مرصد مونت ولسن. وهو اكبر تلسكوب صنع وقطر عدسيتهِ مئة بوصة. ومتى تمَّ تركيبهُ امكن ان يصوّر بهِ مئة مليون نجم جديد

صفّ المصابيح في الشوارع

بحث بعضهم في افضل الطريقتين لصف المصابيح على جانبي الشوارع العمومية هل هو صفها على جانبي الشارع متقابلة او مترادفة كما في القاهرة مثلاً فكان حكمهم ان الطريقة الاولى هي الافضل من جهة الزينة او الجمال الهندسي. وان الثانية افضل من جهة المنفعة الاَّ حيث عرض الشارع ليس اعظم كثيراً من المسافة بين مصباح ومصباح فحينئذٍ يفضل صفّ المصابيح متقابلة. اما حيث عرض الشارع اعظم بكثير من المسافة بين مصباح ومصباح فالطريقة الثانية افضل. و بناء على ذلك يكون صف المصابيح بحسب الطريقة الاولى افضل في مدينة مثل القاهرة فان عرض شارع من الشوارع الكبرى كشارع المدابغ مثلاً الذي يقطع شارع قصر النيل عند البنك الاهلي لا يزيد على ثلث المسافة بين مصباح وآخر

من سيبيريا الى انكلترا بحراً

بلغ انكلترا في اكتوبر الماضي باخرتان انكليزيتان قادمتان من سواحل سيبيريا الشمالية وهما تحملان شحناً من حاصلات بلاد اوبي وينيسي بطريق بحر كارا والاوقيانوس المتجمد الشمالي

حصى المرارة

لحظ جرَّاح انكليزي ان الحصى تتكوَّن في مرارات الارانب التي تلقح بمكروبات لولبية تشبه مكروبات الكولرا في شكلها. وربما اتصلوا من ذلك الى معرفة السبب في تكوُّن الحصى في مرارات الناس مما هو كثير الحدوث في البلاد الحارَّة

كتب قديمة في الفلك

في مكتبة لندن الآن مجموعة صغيرة من كتب قديمة مطبوعة في علم الفلك. منها نسخة تقويم بالايطالية لمونتريجو واخرى

باللاتينية . وكلتاها مطبوعتان في مطبعة ارهارد رتدولت المشهورة بالبندقية سنة ١٤٧٦ ونادرتا الوجود الآن . ومنها كتاب باللاتينية لمؤلف نفسهِ طبع في نورنبرج في السنة المذكورة ايضاً . وبينها كتب اخرى طبعت في القرن الخامس عشر ايضاً فيها رسوم للكسوف والخسوف وغيرها من الرسوم الفلكية منها ما لُوّن باليد ومنها ما لُوّن بالطبع . و بين تلك الكتب كتابان لغليليو الواحد طبع سنة ١٦١٣ ووصف فيهِ كلف الشمس وبقعها وكان قد اكتشفها حديثاً واعلن فيهِ اكتشافهُ للاضطرابات الحادثة في افلاك اقمار المشتري . والآخر كتابهُ المسمى « ديالوغو » وهو الذي وصف فيهِ رأي بطليموس في نظام الافلاك ثم رأي كوبرنيكوس بعدهُ فافضى الى حكم ديوان التفتيش المشهور عليهِ

وبين تلك الكتب كتاب واحد بالانكليزية من الطبعة الاولى لكتاب نيوتن « المبادئ » طبع سنة ١٦٨٧ . والنسخة محفوظة احسن حفظ

اغاني الهنود بالفونوغراف

عهد مكتب الحكومة الاميركية الخاص بدرس اجناس الناس الى سيدة اميركية في جمع اغاني الهنود الاميركيين بالفونوغراف فجمعت نحو الف منها حتى الآن . وموضوع كثير من هذه الاغاني الاعتقاد بوجود الله يسمونهُ « الطبيب العظيم » فينظمون الاناشيد ويغنونها لهُ طالبين عافية وعمراً مديداً وعوناً على نشر الفضائل وهجر الرذائل وفي طليعتها شرب المسكر . وبعض هذه الاغاني قديم منقول بالسماع اباً عن جدّ ولكن المغنين يستعينون على تذكرهِ بمذكرات منقوشة على قطع من لحاء الشجر . وبينها مجموعة من اغاني سميت « اغاني الاحلام » يدعي الهنود انها جاءتهم وحياً في حلم او في غيبوبة وهذه تستعمل لعلاج المرضى . وقد ابدى احد كهانهم او اطبائهم قوّتهُ الخارقة العادة بمجزة اتاها وهي اشبه شيءٍ باعمال المشعوذين ذلك انهم ربطوهُ بحبال وسلاسل فتملص منها على مثال المشعوذين الذين نراهم كل يوم

زراعة الجوت في الهند

تبلغ مساحة الاطيان التي تزرع جوتاً في بلاد بنغال وكوش بهار وآسام من اعمال الهند ٣٢٥٠٠٠٠ فدان . وبلغت قيمة ما اصدر منها من الجوت الخام ٢٠ مليون جنيه سنة ١٩١٣ . وفي كلكوتا معامل لنسجهِ تنسج ما زنتهُ ثلاثة الاف طن في اليوم . وفي سنة ١٨٥٥ لم يكن فيها سوى معمل واحد

المطر في انكلترا

قاسوا ما وقع من المطر في انحاء انكلترا المختلفة في شهر دسمبر الماضي فوجدوا ان

معظمهُ وقع في مكان اسمهُ بورودايل من مقاطعة كمبرلند وكان ٣٠٫٢١ من البوصة واقلهُ في جلدستون من مقاطعة نوفوك وكان ٣٫٤٣ من البوصة · ولبيان عظم المقدار الاول نقول ان سورية من البلاد التي تعتمد في ارواء مزروعاتها على الامطار الاَّ بقعاً محدودة منها ومع ذلك يتراوح متوسط ما يقع من المطر فيها كل سنة بين ٣٠ بوصة و٣٥ · واذا تجاوزت هذا القدر خيف من الغرق كما جرى في بعض السنين اذ بلغ متوسط المطر في فصل الشتاء ٤٦ بوصة فغرق كثير من الزرع · فما نزل من المطر في بورودايل وفي شهر واحد بلغ ثلثي ما ينزل عادة في سورية مدة اشهر الامطار وهي خمسة اشهر على الغالب

سكة حديد الرأس والقاهرة

لم يبقَ لوصل القاهرة باقصى افريقية جنوبًا بسكة الحديد الاَّ اتمام الخط في ثلاثة اماكن الواحد بين كمبوف وبوكاما في الكنغو البلجيكية · والثاني بين ستانليفيل في الكنغو البلجيكية ايضاً وبحيرة البرت · والثالث بين دوفيل في حلقة لادو ورجاف في السودان المصري وهذا الاخير هو الاقصر وطولهُ ١٠٠ ميل · والمرجح انهم يمدون فرعاً من ستانليفيل الى بحيرة تشاد ومنها الى حيث يتصل بخط سكة الحديد الفرنسوية التي تجتاز الصحراء الكبرى

وهناك خطٌ للسفر من مدينة الراس الى القاهرة غير الخط المتقدم وهو ان يركب المسافر سكة الحديد من مدينة بروكن هل في رودسيا الى الطرف الجنوبي من بحيرة تنجنيكا ثم يمرُّ باملاك المانيا في شرق افريقية حتى ينتهي الى سكة حديد اوغندا ومنها الى سنار في السودان

فضل الكيمياء الصناعية

قال عالم انكليزي من مقالة نشرت في المجلة الانكليزية « ان اعانة الحكومة الالمانية لفرع الكيمياء الصناعية هو اشبه شيء بعرق ذهب في جسم السياسة الالمانية · واذا تسنَّى لنا يوماً فهم المراد بكلمة « كلتور » (رقيّ) التي يرددها الالمان كثيراً رأينا ان الكيمياء الصناعية او الصناعة الكيماوية هي روح ذلك الرقي وقوامهُ »

الورق وربُّ الخشب

لما اعلنت اسوج عزمها على منع اصدار رب الخشب الى انكلترا قلقت انكلترا لذلك اشدَّ قلق لاعتمادها في صنع الورق على ما تستوردهُ من هذا الرب · فقد زادت قيمة ما استوردتهُ منهُ عشرة اضعاف بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٩١٥ فكانت في الاولى ٥٠٠ الف جنيه فصارت في الثانية ٥ ملايين واستوردت في السنة الماضية ايضاً ما قيمتهُ

مليون جنيه من المواد الاخرى التي يصنع الورق منها كخشب الوزال والخرق (الكهنة) وغيرها . اما ربّ الورق فكانت تستورد منهُ نحو ٧٠ في المئة من اسوج ونروج . فاسوج تمدّها بمعظم الربّ الكيماوي الذي يستعمل لصنع الورق الفاخر . ونروج بمعظم الربّ المسمى بالميكانيكي وهو الذي يصنع منهُ ورق الصحف اليومية عادة . والباقي من الرب يرد من اميركا وكندا ولكن معظم ما يرد منها هو من الربّ الميكانيكي اي ربّ الخشب المطحون

مدالية البرت

اهدت جمعية الفنون الملكية في انكلترا مداليتها المعروفة بمدالية البرت هذه السنة الى السر جوزف طمسن « لمباحثهِ في الكيمياء والطبيعة وتطبيقها على حاجات الفنون والمصنوعات والتجارة » . وهذه المدالية انشئت سنة ١٨٦٣ تذكاراً لزوج الملكة فكتوريا وهي تمنح كل سنة « لمن يتفوق في ترويج الفنون والمصنوعات والتجارة »

اللاتينية لغة عامة

توفي اخيراً الاستاذ باتسلي الايطالي فابّنتهُ المجلاّت العلمية الانكليزية ومما قالتهُ مجلة نانشر في تأبينهِ انهُ لما عقد مؤتمر الطب الدوَلي اجتماعهُ الحادي عشر في رومية سنة ١٨٩٤ اقترح باتسلي جعل اللاتينية اللغة العامة لجميع الناس وكان هو رئيس المؤتمر

فكتب اليها الآن السر لودر برانتون الطبيب المشهور يحبذ هذا الاقتراح و يشير باخراجهِ الى الفعل وختم رسالتهُ بقولهِ : « كلما مرَّ بنا يوم وازداد الاختلاط بين امم الارض المختلفة اشتدت حاجتهم الى لغة عامة للتفاهم والتخاطب . وقد حاول البعض سد هذه الحاجة بتأليف لغة عامة كالفولابوك والاسبرانتو فنجحوا بعض النجاح ولكن لم تصر احداهما لغة عامة . ومن المعلوم ان الانكليزي قلما يتعلم اللغات الاجنبية كالهندي او الالماني او الروسي . وعندي ان تفوق الالماني على الانكليزي من هذا القبيل هو الذي احلَّ تجارتهُ محل تجارة الانكليزي في بعض انحاء المعمور قبل الحرب . ومتى انقضت هذه الحرب المشؤومة فستحاول المانيا مرة اخرى الحلول محل انكلترا في تجارة العالمين والقاء بذور الشقاق بين الحلفاء بكل صنوف الشر والدهاء . فاذا لم يتعلم الانكليز لغة الفرنسويين والطليان والروس فلا يستطيعون المحافظة على ما بينهم من الوداد الآن . فالفرنسوية والايطالية سهلتان ولكن الروسية عسرة وقد تصير الزم اللغات لنا . فاذا علّمت اللاتينية في بلاد الحلفاء لم يمضِ الأَ القليل حتى تستعيد مكانها القديم اي تصبح اللغة العامة لجميع العالم المتمدن »

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والاربعين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٤

الحياة والمادة في حرب (١)

وهي خطبة الفيلسوف الفرنسوي هنري برغصن Henri Bergson رئيس اكادمية العلوم الادبية والسياسية بباريس تلاها في اجتماعها السنوي في ١٢ دسمبر ١٩١٤

قيل ان الفلسفة تقول للمرء "Comprendre et ne pas s'indigner" اي « تبصَّر ولا تغتظ » اما انا فاخالفها في ذلك واذا رأَيت الجرائم تُرتكب وخيّرت فيما افعل فاني افضل ان اطلق لغيظي العنان ولا اتبصَّر . ومع ذلك فلسنا مخيَّرين بل نحن مدفوعون للغيظ لان بعض ضروبهِ اذا تبصَّر المرءُ في مرماها زادت قوةً وتجدَّدت سورتها . وغيظنا من هذا النوع فاننا اذا امعنا النظر في مرامي هذه الحرب زدنا حنقاً من مثيريها . ولا اسهل من اثبات ذلك كما سيجيء

عكفت المانيا على الشعر والفلسفة منذ زمن طويل مدَّعيةً انها خُلقت للفكر والخيال ولا تهمها حقائق الاشياء . نعم ان ادارتها كانت مختلَّة وانها كانت مقسومة ممالك متناظرة متخاذلة حتى خيف من انتشار الفوضى فيها بعض الاحيان انتشاراً لا قامع لهُ . ولكن الناقد البصير كان يرى تحت هذا الاختلال الظاهر شجرة الحياة التي تكون دائماً في اولها غضة كثيرة الفروع ثم تُشذَّب وتُهذَّب حتى تصير في الشكل الذي يراد بقاؤُها فيهِ . فكان من المنتظر ان تتولَّد من مجالسها البلدية ادارة حسنة تضمن النظام ولا تنفي الحرية وان ينشأ من اتحاد ممالكها المتخالفة ما يسمَّى باتفاق المتخالفات الذي هو اكبر مميز للاجسام الحيَّة . ولكن هذا

(١) هو هنري لويس برغصن استاذ الفلسفة في كلية فرنسا واحد اعضاء الانستتو ولد سنة ١٨٥٩ ولعلهُ اشهر فلاسفة فرنسا الآن ولهُ من المؤلفات المشهورة كتاب الزمن والارادة الحرة وكتاب المادة والذاكرة وكتاب النشوء المبدع

الامر لا يتم في يوم او يومين بل لا بدَّ لهُ من زمن كافٍ كما هي الحال في سائر الاحياء اذا اريد ان تعمل كل ما هو مقدور لها من الاعمال

لما كانت المانيا جارية في تكوين وحدتها كمجموع حي كان فيها او فيما يليها اناس شأنهم تحويل كل شيء الى صورة صناعية . وهذا كان شأن مملكة بروسيا في تكوُّنها فانها تكوَّنت بضم بعض الولايات المأخوذة بالغلب او بالكسب ضمًّا صناعيًّا كأنها قطع ثوب خيط بعضها ببعض فكانت ادارتها صناعية آليَّة وجرت في اعمالها مجرى الآلات في دقتها وانتظامها . ومثلها صار جيشها الذي كان مطمح انظار ملوكها من آل هوهنزلرن . ومما لا ريب فيهِ ان الناظر الى بروسيا يرى في اعمال اهلها وتصرفاتهم من التدقيق والسير على خطط معلومة محدودة ما يدلُّ على انهم آلات صماء متحركة وذلك من اشارات ملوكهم الى خطوات جنودهم إما لانهم تمرَّنوا على الطاعة العمياء قروناً عديدة او لان محبة الغلب والنهب المغروسة فيهم استولت على حياة الامَّة وحوَّلت انظارها ومطالبها الى ما هو مادي محض

وجاء يوم وقفت فيهِ المانيا بين امرين لتختار واحداً منهما إما الوحدة الصناعية الميكانيكية التي فُرضت عليها فرضاً من الخارج واما الوحدة الحيوية الطبيعيَّة التي تولّدها الحياة من الداخل . وكان عليها ان تختار لكل حالة من هاتين الحالتين الادارة التي تناسبها إما الادارة الصناعية المقيَّدة بما فيها من الانتظام التام ولو كانت خالية من التجدُّد الحيوي مثل كل نظام صناعي وإما الادارة الطبيعيَّة الحرة التي ينشئها الناس الاحرار اذا ائتلفوا بمقتضى ارادتهم من غير اكراه . فايُّهما اختارت ؟

كان في المانيا حينئذٍ رجل تجسَّمت فيهِ روح بروسيا . رجل نابغة ولا شك ولكنهُ نابغة في الشر لانهُ كان بلا ضمير ولا ايمان ولا محبة . ازال النمسا من سبيلهِ لئلاَّ تفسد عليهِ الغرض الذي كان يسعى اليهِ . ثم قال لنفسهِ اننا عازمون ان نجعل المانيا تتمتع مع بروسيا بكل ما نتمناهُ ونطمع فيهِ فاذا تردَّدت عن اجابة طلبنا لان شعبها لم يشأ ان يعمل بما نقول باختيارهِ فاني اعلم كيف اضطرهُ لذلك ازجُّ بهِ في حرب عوان في منازلة عدو لنا كلنا عدو خدعناهُ وتربصنا بهِ نوائب الدهر وسنأخذهُ على غرَّة وحينما ينفخ في بوق الظفر اقوم واجعل المانيا توَّالي على نفسها وهي سكرى بخمرتهِ ان لا تغمد الحسام حتى تنال كل اطايب الارض

قال وفعل وآلت المانيا على نفسها ان تفعل بقولهِ . ثم اوجب عليها ان لا تخلع سلاحها عنها لكي لا تنكث بعهدها . ومن اقوالهِ التي رواها عنهُ اخصاؤهُ قولهُ « اننا لم نأخذ من النمسا شيئاً بعد معركة سادوى لكي نستطيع ان نصالحها يوماً ما » وعليهِ فقد اخذ من فرنسا

الالزاس وجانباً من اللورين لكي لا يبقى مجال للصلح بينها وبين المانيا قاصداً ان لا يبرح من بال الالمان انهم في خطر دائم من الحرب فيجب عليهم ان يغوصوا في سلاحهم ولا يخلعوهُ ابداً اي يجب على المانيا ان تعضد بروسيا في مقاصدها الحربية وفي التأهب الدائم للحرب بدلاً من ان يكون انضمامها اليها واسطة لتقويتها واستغنائها عن الحرب

نعم انضمت المانيا الى بروسيا فتألفت من ذلك قوة حربيَّة زادت منعةً سنة بعد سنة لكنها تخطت الحدود التي قدرها لها بسمارك وحدث في امرها ما حدث في امر الساحر الذي يقال انهُ استحضر جنيَّة وعزَّم عليها حتى تأتيهُ بدلو ماءٍ تفرغهُ في بيتهِ وهو لا يعرف كيف يصرفها فظلت تجلب الماء وتفرغهُ حتى اغرقتهُ

نظَّم ملوك بروسيا جنودهم ومرَّنوها واعتنوا بها حتى صارت عنوان الكمال في حسن نظامها وتدربها وغرضهم من ذلك ان يجعلوها آلة لنيل مأربهم وهو اجتياح ما يملكهُ جيرانهم من الاراضي لان الناس قلما كانوا يملكون شيئاً آخر فكانت ثروة الانسان تقدر بما يملكهُ من الارض . ولكن لما جاء القرن التاسع عشر واستخدم الناس العلوم الطبيعيَّة لمنافعهم المادية فارتقت الصناعة واتسعت التجارة صار للثروة وجوه اخرى . ثم لما وضعت الحرب اوزارها سنة ١٨٧٠ رأت المانيا وهي طامحة بنظرها الى امتلاك خيرات العالم ان لا بدَّ لها من ان تصير صناعية تجارية وهذا لا يستلزم ان تغيّر اساليبها من حيث التدقيق والتنظيم والاستطلاع بل يدعوها لان تزيد استمساكاً بها وتضيف اليها الغطرسة والجاسوسية اللتين هما دعامة قوتها الحربية . فتتأهب بالصناعة والتجارة وقوتهما لا تقلُّ عن قوة جيشها وتغزو بهِ وبهما ممالك الارض

ومن ثمَّ جعل جيشها وصناعتها يسيران جنباً لجنب متعاضدين الجيش الذي تجسَّم فيهِ حب الفتح والظفر ومعهُ البوارج الحربية المكمّلة لهُ . والصناعة التي جاءت منقادة الى حب الفتح . نمت الصناعة الالمانية وابنعت من كل الوجوه ولكنها لم تنحرف عن غايتها الحربية . فأنشئت معامل كبيرة لم يرَ العالم لها مثيلاً ضمَّت الوفاً من العمَّال وعملهم سبك المدافع والى جانبهم عمَّال آخرون انتحلوا كل اختراع اخترعهُ ذكاءُ الامم المجاورة وحولوهُ عن غايتهِ النافعة وجعلوهُ آلة للحرب والدمار . فزاد الجيش والاسطول قوةً ومنعةً بزيادة الثروة الناتجة من نمو الصناعة والتجارة فاوفيا الثروة ما انفقتهُ عليهما بان وقفا طوع امرها وجعلا يفتحان السبل والاسواق للصناعة والتجارة . ولكن هذا المجموع الكبير المركَّب من الصناعة والتجارة والجيش والاسطول الذي سار سيراً حثيثاً بضغط ملوك بروسيا عليهِ وضغط بروسيا على المانيا فزادت

سرعتهُ بالاستمرار كان لا بدَّ لهُ من ان ينحرف عن جادتهِ لشدَّة سرعتهِ فيخرج عن كل قيد و يتدهور الى الهلاك

ان الرغبة في الفتح والظفر لا تشبع ولكنها تضطر ان تقف عند حد ما اذا اقتصر صاحبها على تملُّك بلاد جيرانهِ . فلما رغب ملوك بروسيا في توسيع ملكهم اضطروا ان يحاربوا جيرانهم حروبًا متوالية ولكن الواحد منهم لم يستطع ان يغتصب في الحرب الواحدة اكثر من ولاية او ولايتين لقلة ذات يدهِ ولكن لما اتسعت الثروة لم يعد للرغبة في الفتح حد تقف عندهُ فاجتمعت المطامع التي كانت تظهر آونة بعد اخرى لان الاحوال لم تسع ظهورها في وقت واحد — اجتمعت معًا على غرض غير محدود كما انها هي غير محدودة . فحيثما وُجدت موادّ للصناعة ومرافئ لاصلاح السفن وامتيازات لذوي الاموال واسواق للبضائع التجارية فهناك ادَّعت المانيا ان لها حقوقًا مقررة . والواقع ان السياسة التي افادت بروسيا وآلت الى ارتقائها انتقلت دفعةً واحدة من التقدير والتدقيق الى التقحُّم والتهور . فان بسمارك الذي قادهُ عقلهُ الى وضع القيود لمطامعهِ كان خصمًا للاستعمار وقد قال ان كل مصالح الشرق لا تساوي عظام جندي من الحرس البومراني . ولكن المانيا سارت على الخطة الاولى التي اختطها لها ثم اندفعت فيها لا تلوي على شيءٍ ضاربة شرقًا وغربًا حيث لا تجد مقاومة كبيرة قاصدة ممالك الشرق ومملكة البحار فاثارت بفعلها هذا الحرب على الامم التي تمكن بسمارك من محالفتها او مصادقتها ووضعت نصب عينيها سيادة المسكونة كلها

ولم يكن عند المانيا وازع ادبي يضع حدًّا لمطامعها فلما سكرت بخمرة الظفر وبما وصلتْ اليهِ من المجد والسؤدد بظفرها وبما جنتهُ علومها وفنونها من هذا الظفر رأت من النجاح المادي ما لم تعرفهُ من قبل ولا حلمت بهِ ولا خطر على بالها فقالت " ان كانت القوة قد انتجت هذه النتائج واناالتني الثروة والعزة ففيها سرٌّ خفي وجوهر روحاني . وان القوة الوحشية وما يتبعها من الحيَل والاخاديع اذا امتزجت بمهارة كافية للتغلُّب على العالم فهي منحة من الله ووحي الهي منهُ . والشعب الذي اعطي هذه القوة هو شعب الله المختار وغيرهُ من الشعوب عبيد لهُ فلا يحرَّم عليهِ شيءٌ يأول الى تعزيز سلطتهِ . لا يقولنَّ احدٌ ان الحق لا يُهضَم فما الحق الاَّ ما يتَّفق الناس عليهِ والاتفاق لا يكون الاَّ حسب مشيئة الغالب اي حسب ما تنصُّ قوتهُ . فالقوة والحق سيَّان فاذا شاءت القوة ان تسير في خطة جديدة صار الحق القديم في خبر كان وصار الاتفاق السابق قصاصة ورق " . ولما رأت المانيا ما ادهشها من فوز قوتها الوحشيَّة وما ترتَّب على فوزها من النجاح المادي حركت دهشتها هذه الوفًا من العوامل

النفسيَّة بجاءتها متسارعة من كل صوب عوامل وآمال كانت في نفوس شعرائها وفلاسفتها — في نفس كل من يستطيع ان يقنعها بصحة ما صممت عليهِ ولو خداعًا فصارت اغراض المانيا مذهبًا فلسفيًّا نادى بهِ الاساتذة في المدارس والجامعات فانطبعت بهِ الامة وما اسهل ما انطبعت بعد ان أَلِفت الانقياد الاعمى · ولم يكن لها غرض اسمى منهُ تقاوم بهِ اغراض اهل الحل والربط

ولقد قال كثيرون ان سياسة المانيا مبنيَّة على هذا المذهب وعندي انها فلسفة تحوّل الطمع الاشعبي والارادة التي اعمتها الخيلاء الى ما تزعمهُ اغراضًا سامية · وهذا المذهب نتيجة لا سبب · وسيأتي وقت حينما ترى المانيا ما اصابها بسببهِ من الحطة الادبيَّة فتقول معتذرةً انها افرطت في ثقتها ببعض التعاليم النظرية وان الخطأ في الحكم ليس جريمة · فيقال لها حينئذٍ ان فلسفتها لم تكن سوى طريقة للتعبير بالفاظ فلسفيَّة عن توحشها وجشعها وقبائحها · وهذا شأن اكثر الناس فان ما يعدُّونهُ مذهبًا لهم إنْ هو الاَّ اساليب يعبّرون بها عن احوالهم واعمالهم · فانهُ لما صارت المانيا دولة الغزو والنهب استشهدت على صحة عملها بالفيلسوف هيجل كما تستشهد على محبتها للجمال الادبي بالفيلسوف كانْت وعلى رقة قلبها بجاكوبي وشوبنهور · واذا كان لها ميل آخر ولم تجد بين فلاسفتها مَن تستشهد بهِ وتستند اليهِ استشهدت بفيلسوف اجنبي · فانها لما ارادت ان تقنع نفسها بان مستقبل الامم مقدور لهم استشهدت بكاتب فرنسوي وعدَّتهُ بين المشاهير ولو كنا نحن لا نسلم لهُ بهذه الشهرة وهو غوبينو

ولكن متى صار الطمع القبيح مذهبًا سهل عليهِ كل صعب واستُحِلَّ فيهِ كل امر · فان الشعب الالماني ادَّعى انهُ شعب الله المختار الذي يحقُّ لهُ وحدهُ ان يعيش كما يشاء واذا سمح لغيرهِ ان يعيش معهُ فذلك كرم اخلاق منهُ · وهذا السماح هو السلم · واذا ثارت الحرب حقَّ لالمانيا ان تستأصل اعداءها ولا تكتفي بقتل الجنود الذين يحاربونها بل تلحق بهم النساء والعجائز والاطفال وتنهب وتحرق ويكون غرضها الذي تسعى اليهِ ان تخرب البلاد وتفني العباد · هذه هي النتيجة اللازمة عن مذهبها · ولنأتِ الآن الى غرضها والاساس الذي تبني عليهِ

لما كانت الحرب وسيلة للفصل في الخصومات بين الدول كانت محصورة في جنود الدولتين المتحاربتين ثم جعل الناس يبطلون ما لا داعي لهُ ولا فائدة منهُ من الإضرار والتخريب وقضوا ان لا ينالوا غيرَ المحاربين باذًى ونظموا قوانين للحرب جروا عليها · الاَّ ان الجيش الالماني لم ترضهِ هذه القوانين لان غايتهُ الغلبة باية واسطة كانت · ثم لما صارت جنود بروسيا

جنود المانيا الصناعية لم تعد المانيا تكتفي بخضد شوكة عدوها الحربية بل طلبت ايضاً ان تستولي على صناعتهِ وتجارتهِ وثروتهِ ومصادرها وقالت ان لا بدَّ لها من ان تخرب معامله حتى تزول مناظرتهُ لها وان تنهب مدنهُ وتحرقها حتى يفتقر وتغتني هي بفقرهِ . ويجب ان تكون الحرب قصيرة المدة لكي لا تخسر كثيراً ولان قوتها الحربية ينقصها الشعور بانها على حق وان الحق فوق القوة وهو يقوي اصحابهُ ويجدد قواهم . ولما كانت قوتها الادبية محصورة في الافتخار الناتج من قوتها المادية فهي عرضة لتقلبات الدهر كالقوة المادية فاذا نفدت قوتها المادية نفدت معها قوتها الادبية فلا يحسن ان يبقى سبيل لنفاد هذه القوة بل يجب على الآلة المادية ان تضرب ضربةً قاضية دفعةً واحدة وذلك بارعاب السكان وشل اعصاب الامة المعادية . وللوصول الى هذه الغاية ينبغي ان لا يترك شيءٌ يقف في سبيل هذه الآلة ومن ثمَّ قرَّ القرار على ارتكاب كل انواع الفظائع ونظّم ذلك تنظيماً متقناً كما نظّم الجيش

هذا تعليل ما نراهُ امام عيوننا حتى صرنا نسمع قولهم بربرية علميَّة وبربرية منظمة وبربرية بُنيت على قواعد العمران . ويطرق مسامعنا في كل ما تقدم من تاريخ هذا النظام نغمة الاعتماد على القوة الحربية والمعامل الصناعية والآداب المادية

متى مرَّت السنون ولم يبقَ مما نراهُ الآن الاَّ صورة مجملة فالفيلسوف الناظر الى تاريخنا قد يقول ان القرن التاسع عشر استخدم العلم لتوسيع نطاق الفنون الآلية فجهَّز الانسان في اقل من خمسين سنة بآلات وادوات تزيد على كل ما استعملهُ مدة الوف من السنين السابقة فاستخدم هذه الآلات والادوات كأنها اعضاءٌ جديدة طالت بها اعضاؤُهُ وقويت فكبر جسمهُ بها من غير ان تكبر نفسهُ فوقع بينهما اختلاف كبير نتج عنهُ مشاكل كثيرة ادبيَّة واجتماعية وقومية حاولت اكثر الامم حلها وملءَ الفراغ الذي في جسم السياسة بتوسيع نطاق الحرية والاخاء والعدل . وبينما كان الناس يسعون هذا المسعى الروحي الحميد قامت قوى الجحيم وكادت لهم مكيدة جهنمية لانها جعلت الوسائل الميكانيكية التي اعدَّها العلم لخدمة الانسان تمتلك الناس حتى تصير طبيعتهم مادية مثلها . فكيف يصير العالم اذا تسلَّط هذا النظام المادي على نوع الانسان وجعل الناس آلات جامدة متجانسة بدلاً من تدرُّجهم في الارتقاء الحيوي الذي تتفق فيهِ المتخالفات وتعمل معاً لغرض واحد . وكيف يصير الناس متى انقادوا انقياداً اعمى لكل امر يؤْمرون بهِ من آلة صمَّاء تتحكَّم بعقولهم وضمائرهم وفقدوا المقدرة على التمييز بين الخير والشر بفقدهم روح العدل . كيف يصيرون متى قامت القوة الوحشية مقام القوة الادبية . واي توحش يصل اليهِ الناس متى حدث كل ما تقدَّم وكلَّت النفوس حتى بطل شعورها .

وماذا يحدث اذا انكفأت قوى الناس الادبيَّة وعادت القهقرى في الساعة التي كادت تصل فيها الى غايتها العظمى وقامت قوة شيطانية جعلت الروح مادية بدلاً من جعل المادة روحيَّة . هنا امة تحاول ذلك فان ملوك بروسيا سلَّحوا بروسيا و بروسيا سلَّحت المانيا وسار الجميع معاً في نظام آلي حربي توخَّى المحالفة مع الصناعة والتجارة حتى اذا تمَّت له كان منها قوة هائلة وحينئذٍ تصير اشارة من هذه القوة كافية لجرّ امم الارض كلها وجعلها تسير في خطة الالمان وتخضع لاوامرهم وهذا هو المراد بالحرب حينما اقرَّت المانيا على اعلانها

ولقد اقرَّت المانيا على الحرب واعلنتها ولكن نتيجتها لم تأتِ كما قدَّرت لان القوى الادبية التي اعتقدت انها تخضع للقوى المادية نهضت واثبتت انها هي الموجدة للقوى المادية حتى ان شعباً صغيراً حملهُ شرفهُ على مقاومة امبراطورية كبيرة . ولما اهين العدل نهضت امة اخرى لم تكن تُعْنَى بغير اسطولها وفي اقل زمن حمل السلاح مليون بل مليونان من رجالها . واعجب من ذلك ان امَّة ثالثةً كان يُظَن انها منقسمة على نفسها انقساماً يوجب خرابها صار كل ابنائها اخوةً في يوم واحد . ومن ثم لم يبقَ ريب في نتيجة هذه الحرب . فترى من الجهة الواحدة قوة ظاهرة سطحية ومن الجهة الاخرى قوة باطنة عميقة . الاولى آلة صماء اصطناعية لا تستطيع ان تصلح نفسها اذا تخرَّبت والثانية حياة تتجدَّد في كل لحظة . الاولى تزول بالاستعمال والثانية تبقى على الدوام

وسيقول الفيلسوف الناظر في تاريخنا ان تلك الآلة جرت على العمل زمناً طويلاً لا تكلُّ ولا تمل ثم كلت ثم التوت ثم انكسرت . نعم انكسرت ولكنها سحقت الجم الغفير من ابنائنا سحقتهم وهم في ريعان الشباب وعنفوان القوة وسيطول بكاؤُنا عليهم . ومن السنن المحتومة على الروح ان ترى المادة مقاومة لها وان الرزايا تصيب الاحياء

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

لكن الدم الذي اريق في هذه النوبة كان دماً زكيًّا والوجوه التي عُفرت بالتراب كانت عنوان الجمال . فانظر كيف ان القدر المحتوم جمع كل قوى الهلاك وهاجم بها الحياة لكي تكون المعركة نهائية فاصلة . فغُلب الموت ونجا نوع الانسان برزيئة مادية من السقوط الادبي الذي لو حلَّ بهِ لقضى عليهِ قضاء ابديًّا . فتهلل الناس في محنتهم وتغنوا بنشيد الشكر لانهم نجوا من الخراب والاضمحلال

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

اسبانيا

ليست اسبانيا هذا الزمان هي نفسها اسبانيا سنة ١٤٩٣ التي خصَّ بها البابا المعاصر لها نصف بحور الدنيا . فان اسبانيا القديمة ناءت من زمان طويل باعباء التعصب الديني بعد ان امتدَّ رواقها بحراً و برًّا . اما الآن وقد زال عن اسبانيا الحديثة آخر اثر من آثار الاستعمار فانها آخذة في التجدد شيئاً فشيئاً بما تبدي من الهمة في السعي والاقتصاد في الرزق

قال فارس اسبانيٌّ في زمانهِ «هذه قشطيلة تصنع الرجال ثم تنفقهم» . وقد علَّق احد مشاهير الكتاب على هذه العبارة قولهُ «ان في هذه العبارة البديعة الهائلة خلاصة تاريخ اسبانيا» . وقال آخر «ان كلَّ ما يقتل روح الرجولة وحب الحرب والاستقلال في الشبيبة الاسبانية قد حدث . فان الحرب وحدها اذا طالت واشتدت تكفي لترك جعبة الامة خاوية من نسلها القوي وان امة الحرب اليوم هي امة الانحلال غداً وقد دامت روح الحرب في اسبانيا ولازمها السعد في فتوحاتها الف سنة ونيفاً فلم يخضع الرومان بلاد ايبيريا الاَّ بعد بذل مهج الرجال وانفاق بدرات الاموال و بقي الاسبان جنوداً اشداء حتى القرن السادس عشر . لكن حرب هولندا في القرن السابع عشر اضنتهم وفي اواسطهِ انهزم مشاة الاسبان في روكروى — وكانوا خيرة مشاة اوربا — امام الفرنسويين ومن ذلك الوقت آذن مجد اسبانيا الحربي بالزوال

ولا يعلم هل نال اسبانيا معظم الخسارة من تشتيت شمل رجالها الاقوياء في مستعمراتها الكثيرة او من حروبها الدائمة في اوربا او من اعمال مجلسها الديني المسمَّى بديوان التفتيش . فان هذا الديوان افضى الى افناء العقول المستقلة والمستنيرة فيها وكان اشدَّ وطأة على قومها من سائر دواوين التفتيش في البلاد الاخرى

على ان دوام السلام في اسبانيا وانقطاع اسباب الخسارة بزوال مستعمراتها اخذ يجدد حياة البلاد المالية و ينعش روح الصناعة والتجارة كما هي الحال في فرنسا ولا بدَّ ان يعقب ذلك ارتقاءٌ طبيعي وادبي

المانيا

ربما نال المانيا ما نال فرنسا من حروب لويس الرابع عشر ونابليون الاول والثالث

ولكن لما كان الكتّاب الالمان اقلّ صراحة وبيانًا من الفرنسويين عند البحث في معايبهم القومية لا نجد فيما كتبوا سوى القليل عمّا اصاب بلادهم من الخسارة في الحروب · وزد على هذا كلّهِ ان نظام المانيا الحديثة المؤلف من حكومة اشتراكية تحت اشراف عسكري افضى الى تصغير الفروق الظاهرة بين الشعوب التي تتألف منها فصار لكل فرد مكان يصعب عليهِ ان يهبط الى ما دونهُ او ان يصعد الى ما فوقهُ · ثم ان التعليم الالزامي العام فنيًّا كان ام عاديًّا يمكن كلّ فرد من افراد الامة من تحصيل معيشتهِ · ويطلب من الالماني ان يكون جنديًّا ويدفع الضرائب ويحفظ لسانهُ · وهي واجبات بسيطة لا تضطر صاحبها الى السعي والابتكار · والخدمة الالزامية في الجيش توجب على كلّ فرد الخضوع لرئيسهِ · فهو بين امرين فاما التسليم بحالة محتملة بعض الاحتمال واما العصيان وما يجرُّ من الشقاء او الموت · وعندهم اشكال متعددة من التأمين ضدّ الفقر والبطالة والشيخوخة تقي الفرد شرّ الفاقة والاعواز · وان المصاعب التي يجدها العاميّ امامهُ اذا شاء دخول المدارس الجامعة ليصير من العلماء او المدارس الحربية للانتظام في سلك الضباط انما هي حاجز حصين يمنع امل الارتقاء الاَّ عن ذوي المواهب · ولا يجتاز الحواجز التي بين طبقة وطبقة الاَّ اهل النبوغ في العلم وتحصيل المال · فنظام مثل هذا يقلّل بلايا الفقر ومصائبهُ ولكنهُ يسدّ باب الابتكار في وجه الجمهور ويقيد الحرية الشخصية بنظام موضوع · فالذين يحسبون تسلّط المبادئ العسكرية اعادةً للهمجية يرون ان تجدّد تلك المبادئ في المانيا من اسوإ العواقب الناتجة عن التقدم العلمي الحديث

وقد افضى انتصار المانيا على فرنسا سنة ١٨٧١ الى تعزيز الروح الحربية في المانيا وجعل انتشار ذلك الروح يظهر بمظهر جزءٍ جوهري من نموّ الامة في التجارة والصناعة · وهذا ما لا بدّ ان يؤدي الى كارثة طامة في النهاية سواء انتصرت المانيا في حربها مع الحلفاء ام لم تنتصر · واذا تدبرنا كل ما اصاب فرنسا والمانيا من نتائج الحرب السبعينية وجدنا ان سياسة الدم والحديد التي جرى عليها بسمرك وخلفاؤُهُ اضرت المانيا اكثر مما اضرت فرنسا

انكلترا

طالما ترددت الشكوى في انكلترا قبل الحرب من انحطاط الامة الانكليزية · ولكنها شنشنة الصحف الانكليزية في اشهر الصيف اذ الاخبار قليلة · فقال الشاكون في شكواهم ان صغار المالكين آخذون في التناقص يومًا فيومًا · وان زوايا لندن ومنشستر ولفربول ممتلئة باصناف الكروب والرزايا من صغار اولاد يشتغلون ونساء يعملن باجور طفيفة واطفال

يموتون بالامراض وسوء التغذية وسكارى يترنحون وشيوخ يتضورون جوعاً. وان الطبقات العليا مؤَلفة من اناس لا همَّ لهم الاَّ اللهو والقصف وعندهم ان لعب الكريكت اعظم شأناً من الاحتفاظ بالامبراطورية

ولا ريب ان كثيراً من هذه الشكاوي من قبيل انتقاد الانسان لنفسهِ وهو من ضروب التسلية عند اغنياء انكلترا الذين لا عمل لهم . وبعضها يرمي الى غرض سياسي هو تسوئة اعمال الوزارة القائمة. ولكن لا مشاحة في ان وراء ذلك كلهِ شيئاً من الحقيقة . فان انكلترا اتت في القرن الماضي فعالاً عظيمة عادكثير منها بالخير الدائم على العالمين. وقد نشرت افكارها وعدَّلت اعمالها وقوَّت خلقها الى حد لم يستطعهُ احد غيرها . وضرب رجالها في انحاء الارض حيثما يستطيع الاحرار السكنى وشيدوا معاهد حرة تشدُّها لحمة التعاون والتساهل ومدت رواق السلام وما يتبعهُ من النظام والادب في كل بلاد همجية ومزجتهُ بما يكفي من الحرية ليجعل ملكها دائماً . ومكنت ابناءها من المتاجرة مع الهمج والكسب منهم

ورب سائل يسأَل وما الذي انفقتهُ انكلترا في هذا السبيل. فان جهداً عظيماً مثل هذا يفضي الى خسارة عظيمة في قوتها . فاقول ان هذه الخسارة لا تبدو لنا في انحطاط كفاءة ساستها وعلمائها بل في قلة عددهم وازدياد عدد الرجال الذين لا ينفعون الامبراطورية . وكثير من قوة انكلترا انتقل الى اميركا والى ملحقاتها التي تحكم نفسها والتي لا يصحّ ان تسمى فينا بعد مستعمرات . وهذه القوة نشرت التقاليد الانكليزية في بلدان صغيرة نشيطة سلمت من اعظم العيوب التي تصم انكلترا وهو عيب جعل الامتيازات بين الطبقات قانوناً معمولاً بهِ . ولكن الانكليزيّ انكليزي حيثما حل فلا يصح لذلك ان يحسب ذهابهُ الى كندا واستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقية خسارة لانكلترا

اما الهند فليس امرها واضحاً بمثل هذا الوضوح ولطالما تساءل الناس عمَّا صنعت انكلترا للهند . وعندي انها صنعت الشيء الكثير وعملها يزداد تحسناً بالاختبار ويرفع شأن البلاد على مرّ الايام . ولكن ما الذي صنعت الهند لانكلترا . هذا سؤَال قلما خطر ببالٍ. واقول جواباً عنهُ ان الهند زادت ثروة الانكليز او الجزء الصغير منهم الذي يشتغل بالتجارة الاجنبية ولكن الرجال الذين اغنتهم الهند كبيت ساسون الذي يتاجر بالافيون ليسوا عادة ممن يشاطرون الامة ارباحهم تلك الامة التي تضرب عليها الضرائب ليغتني غيرها. وقد اعطت الهند عملاً لالوف من الشبان الانكليز ولكنها ضمت رفات الوف من رجالهم اهل المروءة والهمة العالية الذين كان فقدهم خسارة على بلادهم . قال لي ضابط انكليزي ذات يوم

« رأيت رجالاً يموتون في الهند موت الذباب ولو عاشوا لكانوا من بناة السلطنة ورافعي عمدها »

على ان الوسائل التي توسلت بها انكلترا لتوسيع سلطنتها ليست كلها مما يستطيع الانكليزي الحرّ دفاعاً عنهُ · فان بعضها جرّ عليها سوء السمعة واتخذهُ اعداؤُها حجة عليها. وقد سميت الحرب الحاضرة « بالانتقام من بيكونسفيلد » · والحق يقال انهُ لولا تلاعب بيكونسفيلد بالشؤُون الامبراطورية في زمان كان فيهِ المجد غاية بلا التفات الى الوسائط المؤَدية اليهِ لما خرجت من البلقان تلك الشرارة التي اضرمت النار في جوانب اوربا كلها

ان انكلترا غنية اذا نظرتَ اليها من فوق · ولكن ثروتها انحصرت في ايدٍ قليلة بالتقليد وتمييز فئة عن فئة قانوناً حتى باتت موارد انكلترا في قبضة الدوقات اصحاب الاطيان واللوردات اهل التجارة والمال · فان ربع سكان البلاد لا يملكون شيئاً وعشرهم في فقر مدقع على الدوام وستُلحق ويلات الحرب الحاضرة ومصائبها عشراً آخر بهم · قال فرنكلن « ليس بين الاعمال عمل تساوي ارباحهُ نفقة الاكراه عليهِ بقوة الجيوش » · ولكن ارباح عمل مثل هذا تعود على القلائل الذين لا يستحقونها · اما نفقتهُ دماً وذهباً فتقع على جمهور الامة

ان حكومات الارض تجازف في سبيل الاستعمار والتبسط ولكن الشركات التجارية والصناعية وغيرها هي التي تجني الربح · وهذا خطأٌ لا يغتفر · فان ما تنفقهُ الامة يجب ان يُعادَل بما تربحهُ · ولا يكفي ان نقدر خرجنا من جهة ودخلنا من الجهة الاخرى في حين ان الخرج يخرج من مال الامة والدخل يدخل جيوب افرادها · واعلم ان مال الامة الذي يحوَّل الى جيوب الافراد انما هو الامتياز بعينهِ والامتياز نقيض العدل وعدو الديموقراطية وهو يخرق مبدأ المساواة امام القانون . قال الاستاذ آرثر طمسن « بعض الحروب لازم وبعضها قد يكون صواباً وربما كانت كذلك الآن ولكن هذا الرأي لا يغير هذه الحقيقة وهي ان كل حرب طويلة تشترك فيها الامة تضعف النسل لان صفة النسل تتوقف في كل حال على الرجال الذين يبقون بعد الحرب · ولا تموت الامم الاَّ من قلة الرجال · أليس عندنا دلائل تدلّ على زيادة الضعفاء · يقولون هنا (في انكلترا) اننا لا نستطيع تخفيف ما يوازي مثقال ذرة من قوتنا الحربية الوطنية اذ لا مناص لنا من الاحتفاظ بسيادتنا مهما كانت النفقة ما دمنا مضطرين الى اطعام تلك الملايين الكثيرة · ولكن أليس هذا القول سفسطة ؟ او ليس اشتغالنا بالامور الحربية هو سبب شقائنا الوطني ؟ انّا اذا اقتصدنا بعض المال من نفقتنا الحربية فلا يتعذر علينا عمل في سبيل اصلاح حالنا الاجتماعية »

علم الانسان

العقل ومقياسهُ في تمييز الاجناس

ما هو العقل وما هو محكهُ ومقياسهُ ؟ يرى الباحث لاول وهلة ان العقل والجسد يختلفان في امرٍ جوهري فانّ العقل مرن يسهل انفعالهُ وتغيرهُ واما الجسد فيتخذ صورة معلومة وشكلاً خاصًّا يرثهُ الولد من والديهِ و يورثهُ لاولادهِ . فهل نعود الى المذهب القديم القائل ان العقل او النفس شيءٌ غريب عن الجسد وانها حشرت فيهِ حشراً واحلّت فيهِ قسراً على حدّ قول ابن سيناء في قصيدتهِ المشهورة

هبطت اليك من المحلّ الارفعِ ورقاء ذات تعزّز وتمنعِ
وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجعِ

الى ان قال

وتظلّ ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربعِ
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدّها قفص عن الاوج الفسيح الاربعِ
فلأي شيءٍ اهبطت من شاهق سامٍ الى قعر الحضيض الاوضعِ

على ان هذا المذهب ليس من العلم في شيءٍ فان العلم يقضي بتصوّر النفس (او العقل) والجسم على اتفاق تامّ وبانهما يدٌ واحدة في عمل الحياة وعرضة لتأثير واحد مشترك بينهما . وبناء على ذلك ينبغي افتراض كون الوراثة تتناولهما كليهما وكون نواميسها تمشي عليهما معاً . وبقدر ما يكون العقل ذا قابلية للانطباع والانفعال يكون الجسد ايضاً

الأ ان الدماغ وهو مركز العقل واكثر اجزاء الجسد قابلية للانفعال هو ايضاً ابعدها منالا عن عين الباحث . فانهُ موضوع في صندوق من العظم الصلب فلا يُرى الأ بعد الممات حينما يكون بلا عمل . وعليهِ لا يمكن اتخاذهُ مقياساً صادقاً للصفات الموروثة . فقد زعم البعض ان حجم الدماغ احد مميزات الاجناس بعضها عن بعض ولكن جمهور العلماء ليسوا على هذا الرأي . نعم ان متوسط حجم الدماغ في الابيض اكثر بقليل من متوسطهِ في البوشمان سكان استراليا الاصليين مثلاً ولكنك لا تستطيع في حساب مثل هذا ان تغضي عمّا بين الفريقين من اختلاف الاجسام وعن ان الجسم الكبير يصحبهُ على الغالب راس كبير . وزد على ذلك ان الاوربي ربما كان اسبق الى المعارضة في هذه المقابلة لانهُ يكره ان يعلم في

نهايتها ان حجم الدماغ في بعض جماجم الانسان الوحشي المعروف باسم نياندرتل هو اعظم منهُ في نوابغ الشعراء والسياسيين المحدثين بين الاوربيين

فواضح من ذلك ان مقياس حجم الدماغ ليس بالمقياس الذي يعوَّل عليهِ في تمييز الاجناس. ولا يعوَّل كذلك على شكل تلافيفهِ وعددها . فقد نتصل بها الى معرفة الفرق بين الابله وغيرهِ ولكنها لا ترينا الفرق بين الجاهل والعالم او الغبيّ والنابغة

وقد خيل الى قوم ان حدة المشاعر الخمس قد تكون من مميزات الاجناس معتمدين على ما نقل السياح عن حدة البصر بين بعض القبائل المتوحشة التي تعتمد في رزقها على الصيد والقنص . وتكررت هذه الانباء عن حدة بصر بعض القبائل الهمجية وسمعهم حتى تألفت في جامعة كمبردج بانكلترا بعثة علمية لتحقيقها برآسة بعض علماء الفلسفة العقلية فسافروا الى استراليا فظهر لهم بعد البحث الدقيق ان متوسط قوة المشاعر الخمس بين الهمج من سكان تلك البلاد مثل متوسطها بين الاوربيين تقريباً . وانما يمكنهم من رؤْية الطريدة عن بُعد شاسع تمرنهم على الصيد

وهناك مقاييس لقياس قوة الذاكرة والانتباه والادراك وغيرها من القوى التي يعدها معظم الناس عقلية . ومقاييس لقياس ردّ الفعل الذي يطرأ على الجسم من انفعالهِ بالفواعل الخارجية وقياس التعب والارتعاش وغيرها من الانفعالات التي يحسبونها عقلية وجسدية معاً . ولكن الفلسفة العقلية لا تستطيع التمييز في هذه الحالات بين الصفات الموروثة وبين نتائج الاختبار الشخصي . وانما يعلم ان حالة الجسم والعقل الوقتية تؤَثر في تلك الصفات

وربّ قائل يقول اننا نستطيع تمييز الغريزة عن غيرها حيث نراها والمميز لها سيرها على وتيرة واحدة واستقلالها عن سائر قوى الجسم . وهذا القول وهم مستولٍ على الاذهان . فان تصور الغريزة آلة ميكانيكية لا تحول عن مجراها ولا تتغير انما هو تصور قديم لا يعوَّل عليهِ الآن بعدما عُرِف ان الغريزة كثيرة الانفعال والاختلاف وانها تنطوي على اعمال عاقلة كالفكر والشعور والارادة

كذلك يعترض معترض ويقول وكيف تستطيع فصل الغريزة عن غيرها لتحكم على مظاهرها ؟ نعم انك تستطيع تمييز بعض الاعمال الغريزية التي يعملها الطفل بعيد الولادة كطلب الرضاعة مثلاً اذ لا جدال ان ليس لتربية الام والاختبار دخل هنا . ولكن ما قولك في الغريزة او مجموع الغرائز التي تميز الذكر عن الانثى فانها لا تظهر الاَّ بعد ما يكون الفرد قد بلغ دور التجربة والاختبار

والحقيقة ان العلماء لا يزالون يبحثون هل غرائز الانسان قليلة كما يظهر لنا او ان غرائزهُ تظهر قليلة لأن فيهِ الشيء الكثير منها الى حدٍ انها دائمة التعارض والتصادم مدى العمر فينفي بعضها بعضاً وقد ايّد بعضهم المذهب الثاني بقولهِ ان خير مقياس للغرائز هو الانفعالات الفرعية . وان كل عمل من اعمال الغريزة يحتوي على ثلاثة افعال وارد ومتوسط وصادر . فالوارد فكر والصادر ارادة وهما طرفا العمل الغريزي وتراهما يتغيران بزيادة الاختبار . اما الجزء المتوسط الممثل للانفعال فلا يتغير بل يبقى على ما هو تقريباً . اي ان الخوف والتعجب والغضب والمقت والنفور والزهو والخيبة وغيرها من الشهوات او الانفعالات شائعة بين جميع الناس على السواء تتبع فيهم طرقاً معينة وتجري في مجارٍ محدودة قلما تنحرف عنها

ولو سلمنا جدلاً بصحة هذا الرأي ما وصلنا بهِ الى مقياس للتمييز بين اجناس الناس المختلفة بل ان الناس متساوون تقريباً في العواطف والشهوات حيثما كانوا وجراثيم هذه العواطف مكنونة فيهم ولكن اختلاف العادات وصنوف التربية يقدّم هذه العاطفة و يؤخر تلك فتبين الاولى متجسمة وتتضاءل الثانية

ومن المتناقضات في الظاهر ان الاسود الذي يُظَنّ عادة انهُ اكثر انفعالاً من الابيض هو في الحقيقة وواقع الامر اقل انفعالاً منهُ كما ظهر من التجارب التي جربتها مس كلر الاميركية في بعض النساء البيض والسود متبعة في ذلك تأثير الانفعالات في التنفس . ومهما يُقَل في قيمة هذه التجارب فمن المؤكد ان العلماء الذين بحثوا في طبائع القبائل الهمجية يميلون الى وصفها بجمود العواطف اذا لم يروها تبلغ منتهى الهوس والطرب في حفلة رقص او غيرها من الحفلات . ولعل السبب فيما يظهر من سرعة انفعال الزنجي هو اعتيادهُ هو وسائر الهمج الذين في درجتهِ ان يعيشوا و يعملوا جماعات فيقتدي بعضهم ببعض

فاذا لم يصحّ اتخاذ هذا المقياس او ذاك لتمييز الاجناس بعضها عن بعض فما هو معنى ذلك كلهِ ؟ هل المعنى ان الناس متساوون او ان في ذلك اشارة ضمنية الى حاجتنا الى نظام دقيق لاصلاح النسل . وجواباً لذلك يقول العارفون ان الجنس او النسل شيءٌ لا يمكننا الآن فصلهُ على حدة لاجتلاء ماهيتهِ وان كنا نعتقد بوجودهِ حقيقة . وانهُ لا بدّ لنا من انتظار اختبار الآراء والمذاهب ونضجها في هذا الباب قبل الاقدام على العمل والتطبيق فان الاغراض والعصبيَّة الجنسية على رداءتها لهي افضل من البناء على حقائق علمية لم تثبت

اما دعوى الذين يدعون ان الجنس شيءٌ ثابت معيّن الحدود فقد كاد يثبت بطلانها ويحلّ محلها المذهب القائل بقابلية العقل والجسد للانفعال وتطبيق احوالها على الوسط الذي

يكتنفهما . ولكننا لا نعلم علاقة تلك القابلية بالجنس ولا نسبتها اليهِ . فلعلَّ وراثة العادة والاستعمال ينطبع تأثيرها في النسل او ان قابلية الانفعال والانطباع تزداد بازدياد التزاوج بين فئات الخلق المختلفة

واما مسئلة اصلاح النسل (Eugenics) فلا ريب ان هناك «عملية فرز» بين الناس واسعة النطاق متصلة الحلقات حتى في البلاد المتمدنة . فقد ظهر من احصاء ان خمسين طفلاً من كل مئة طفل يولدون في انكلترا لا يعيشون ليتناسلوا وان نصف الذين يعيشون ليتناسلوا — او ربع المجموع — يلدون ثلاثة ارباع الجيل الذي يليهم . وهذا «الفرز» انتخابيٌّ من بعض الوجوه ولكنَّ نتائجهُ لا تزال مجهولة . ولا يعلم هل تفضي الى المناعة من بعض الامراض او القدرة على عيشة قليلة الحركة في المدن . فكيف يمكننا والحالة هذه ان ننتخب الصنف الذي يفضل غيرهُ للتناسل ولو حصرنا انتخابنا في بلد واحد . ولا يبعد ان يكون نسل طرفين أصلح احدها دون الآخر خسيساً كما يقولون ولكن لا مناص لنا من ذلك ومن بقاء مسئلة الجنس والنسل حيث هي الآن ما لم يصلح الطرفان تماماً . وكذلك لا يبعد ان يكون التزاوج بين الاجناس المختلفة مفضياً الى ازدياد التوالد كما يقول البعض . ولكن اذا كانت نتيجة ذلك التوالد ازدحام هذه الكرة بصنوف واطئة دنيئة فلسنا اقرب مما كنا الى حل هذه المشكلة

الانتخاب الطبيعي

وفلسفة الالمان في الحرب

للالمان ولع شديد بالفلسفة وهي عندهم فن عقلي تهتزُّ بهِ اوتار قلوبهم كما تهتز بالانغام الموسيقية وقد يبلغ بعضهم فيها حد الاعجاز فيغلق على القارئ فهم معانيهِ وادراك مبادئهِ فيتوهم ان الكاتب في منزلة سامية من المعرفة لا يدركهُ الاَّ الراسخون في العلم . وقد قيل عن احدهم انهُ اذا راجع ما كتب تعذر عليهِ فهمهُ لان الصور الخيالية اذا مازجت الحقائق العلمية شوهتها وافسدت مبادئها ولهذا فاغلاق معانيهم على افهام العامة ناجم من خلط الاوهام بالحقائق ومن توغلهم في عالم الخيال وخوضهم في بحر السفسطات . وفي هذه العجالة لا نتولى البحث في كل مبادئهم الفلسفية لكشف النقاب عن اغلاطهم وشرودهم عن الحقيقة بل نقتصر على نقد فلسفتهم في الحرب بحيث يبين للقارئ شذوذهم العقلي الذي ادَّى الى غرورهم واغراق العالم في بحر من الدم طغى عجاجهُ فهدم معالم الانسانية وشوَّه محاسن المدنية وحط كثيراً من معالم العلم والادب

يقول بنهاردي « ان الحرب عمل عادل لانهُ ينطبق على مبادئ البيولوجيا (علم الحياة) وبما ان الحرب ناموس بيولوجي فالغاؤُها غير مستطاع عدا عن انها واجب ادبي وعامل ضروري للتمدن »

نقول ان تفنيد هذا الرأي لا يحتاج الى عناء كبير ودرس طويل ويظهر فسادهُ اولاً من ان بروسيا امة حربية من اول نشأتها وقد استعدت لهذه الحرب استعداداً لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ بما هيأت لها من وسائل الهلاك فجعلت النواميس البيولوجية مبرئة لعملها ولا غرابة اذا تمكن هذا الاعتقاد في اذهان الناشئة التي تعدها السلطة الحاكمة للحرب ليكون لها منها درع منيع بقواها العقلية فوق ما هيأت من القوات المادية

ويقول كثيرون غيرهُ من فلاسفة الالمان « ان الحرب تنازع بقاء وانها نتيجة الانتخاب الطبيعي وبما ان الامة الالمانية امة قوية وجب ان تنازع الامم الضعيفة حياتها حتى يفنى الضعيف ويبقى القوي جرياً على هذا الناموس الطبيعي »

يظهر فساد هذا الزعم من تفهم الانتخاب الطبيعي وادراك عملهِ الحقيقي فمبدأ الانتخاب الطبيعي يقوم على قاعدة تكاثر النسل فاذا كثرت المواليد كما في الاحياء الدنيا هلك الجانب الاكبر منها الذي لا يصلح للحياة وبقي القليل الصالح للحياة فناموس الانتخاب هو بقاء الاصلح كما يقول سبنسر · وهنا يظهر خطأ الالمان في تفسير هذا الناموس لانهم لم يقولوا ببقاء الاصلح بل ببقاء الاقوى وفاتهم ان القوة البدنية ليست هي الاصلح للحياة لاننا اذا حبسنا اسداً في زريبة مسيَّجة مات فيها جوعاً واما اذا حبسنا انساناً فقد يعيش لانهُ يفتكر دائماً بوسائل النجاة وحفظ الحياة · واذا جمعنا في الزريبة الاسد والانسان فالاسد يفترس الانسان مع انهُ ليس اصلح منهُ للبقاء · فاذا جعلنا الانتخاب الطبيعي مبرراً للحرب وجب ان نعتبر تنازع البقاء تنازعاً افرادياً اي صراعاً بين شخص وآخر وهذا من السخافة بمكان كما لا يخفى

عرفنا من علم طبقات الارض ان انواعاً كثيرة من الكائنات الحية انقرضت بموت بعضها وتنوع البعض الآخر بتطبيق كيانهِ على ظروف وجودهِ فبقي حياً متنوعاً ومختلفاً عن اصلهِ وذرية تلك الانواع الباقية هي الكائنات التي تعيش الآن على سطح الارض · هذه هي الحقيقة ولا حاجة للبيان ان الاحياء التي غلبت عاديات الايام وعاشت الى الآن هي الاصلح للبقاء ولا يمكن ان يكون بقاؤُها نتيجة تغلب الافراد على العوامل الكثيرة التي عملت في ادوار التقلبات الكثيرة التي مرت بها الكرة الارضية كتقلبات الحرارة وتنوع العوامل الكيماوية وجزر البحار وغيرها من العوامل الكبرى العمومية · ولم يكن ولا يمكن ان يكون في وقت من

الاوقات ان ما تعمر بهِ الارض من الكائنات الحية كان نتيجة تنازع افرادي اي قتال بين شخص وآخر وقتل الواحد و بقاء الاخر · واذا كان لهذا النوع من تنازع البقاء بعض العمل فهو قليل لا يعتد بهِ ولا اهمية لهُ · ومن المعلوم الذي لا ريب فيهِ ان الحيوانات الكبرى المفترسة وذات القوة الفائقة قد انقرضت وما بقي منها سائر الى الانقراض

ففلسفة الالمان اذاً في الحرب لا تستند الى ركن علمي صحيح لان البيولوجيا لا تدل اقل دلالة على جوازها وتحبيذها وليس في نواميسها ما ينطبق في الحالة الحاضرة من العلم على الروابط التي تربط الامم بعضها ببعض · وناموس الانتخاب الطبيعي اقل كل النواميس الطبيعية دلالة على ذلك لان عوامل التمدن تعمل على الدوام في تنويعهِ وابطال عملهِ كما يتضح مما يأتي بيانهُ

عند ما يكتسب نوع من الانواع نموًّا كافيًا من العقل يؤهلهُ لنوع من الاجتماع تظهر فيهِ حينئذٍ معرفة ما نسميهِ بالواجب · اما الشعائر والعواطف النبيلة التي في الانسان كالحب والحنو والكرم وغيرها فانها لم تظهر فيهِ فجاءة بل سارت مرحلة فمرحلة حتى بلغت الدرجة السامية في الانسان المتمدن الراقي · فقد كانت في البداءة متجهة الى الاولاد وهم اطفال يحتاجون الى مساعدة والديهم ثم امتدت الى افراد العائلة الى الاقرب اولاً ثم الى الابعد واما احترام الشيوخ فهو من مراحل التمدن الاخيرة لان الامم المنحطة في سلم المدنية لا تزال تقتل شيوخها · ثم امتدت الى العشيرة فالقبيلة فالأمة · وقد قضت الضرورة بذلك بسبب تكاثر النسل الذي دعا الى اجتماع فئات كبيرة في مساحة ارض واحدة يستثمرونها و يعيشون من نتاجها وحاصلاتها فكان من الضرورة ان يتولد في افراد تلك الفئة المجتمعة الشعور بالتضامن فنشأ من هذا شعور اكبر واعم وهو الميل الجنسي وحب الوطن ونما هذا الشعور فصار اكبر واعم ودعا الى حب الانسانية واحترامها وهذه آخر مرحلة من مراحل الامم الكبرى وهي مرحلة الرقي والنمو و يعرف مكانها من الامة بكيفية استعمارها

كلما ارتقى التمدن والعلم زادت قوة الانسان بالتحكم في الطبيعة وهذه القوة تظهر باستخدام القوة الطبيعية بالمعنى المفهوم منها في علم الطبيعة اي باصطناع الآلات القوية وحفر الترع وخرق الجبال بالانفاق وتظهر ايضاً في الكائنات الحية الحيوانية والنباتية وبها يقوم الانتخاب الصناعي مقام الانتخاب الطبيعي فيستخدمهُ الانسان لفائدتهِ ومنفعتهِ لان كل التنوعات الحيوانية والنباتية التي يستخدمها هي نتيجة الانتخابات الصناعية ولكنها ليست ثابتة وتفقد اذا فقد الانسان او لم يوالِ الاعتناء بها · ومن يلتفت الى الحدائق التي يعتني بها يندهش مما يرى فيها من النباتات الجميلة والازهار البديعة والبقول المفيدة والفاكهة الطيبة وهي كلها

عمل الانتخاب الصناعي الذي يتولاهُ الانسان ويزول ويختفي بعد اهمال الحديقة وعدم الاعتناء بها . فالانسان الذي لا يركن الى الانتخاب الطبيعي في الحدائق ويستعيض عنهُ بالانتخاب الصناعي لا يعقل ان يترك نسلهُ تحت رحمة هذا الانتخاب الاعمى والاَّ لما كان للطب وعلم الصحة لزوم لتقليل معدل وفيات الاطفال ولجاز ان يترك العجزة والمعوهين عرضة للهوان والعذاب . فاذا لم يجز ذلك والالمان لا يجيزونهُ لانفسهم أفيجوز تطبيق الانتخاب الطبيعي على الامم المتمدنة ؟ ذلك لعمر الحق لا يصدر الاَّمن ادمغة مختلة التركيب وفاسدة العلم

ليس من سداد الرأي ولا هو في شيء من العلم ان تكون القوة ركناً للانتخاب الطبيعي لأن قوة الفرد لا تدل على كونهِ الاصلح للبقاء فاذا تصارع باستور وجونسون فلا ريب في ان باستور يكون مغلوباً كما انهُ لا ريب في انهُ اصلح كثيراً للبقاء من جونسون لانهُ خدم العلم والانسانية خدمات جليلة ومفيدة عدا عن ان القوة البدنية في الحرب ليست العامل الوحيد للنصر ولان النصر يستوجب صفات ممتازة من العقل والاخلاق .

يزعم الالمان انهم يمتازون بصفات سامية لا يتحلى بها شعب ذو رخاء وترف كالشعب الفرنساوي وانهم اذا اتخذوا في محاربتهِ طريقة الارهاب ذلَّ حالاً وسحقوهُ بسهولةٍ وقد اخطأُوا في هذا كما اخطأُوا في ما سبق لانهم خلطوا بين التمدن والانحطاط فحسبوا ان الفرنساويين سائرون الى الانحطاط والانقراض رغم كونهم يرقون في السلم الاعلى والاشرف من المدنية واذا كانت فئة من الامة الفرنساوية تمثل بمقامها الاجتماعي الامة بمجموعها وظهرت فيها بعض ظواهر الانحطاط كعدم الكفاءة والاختلاس والانغماس في الملذات وتبرئة المجرمين فليس ذلك دليلاً على انحطاط الامة بكاملها لان رخاء الامة الفرنساوية كان نافعاً لها في ازمتها الشديدة اذ ادركت جيداً وسريعاً الخطر الذي يهدد كيانها فهبت للدفاع عن نفسها بروح واحدة وانتبهت فيها روح الحماسة والشجاعة الكامنة في دم ابنائها ويعترف لهم بها العالم بالاجماع وقد ظهرت تلك الروح جلية بقوة دفاعهم وحسن بلائهم

رسخ في ذهن الالمان ان قياد فرنسا قياد شخصي متطرف وان روح الوطنية فيها معدومة وقد اخطأُوا في هذا ايضاً لان تلك الروح الشريفة روح الوطنية كانت كامنة بما كانت عليه الامة من الترف والنعيم فانتبهت بمنبه الخطر الداهم فعادت الى تقاليدها المعروفة وقامت قومة واحدة تنتصر للحق والانسانية واظهرت بخدمة هذا المبدإ كل ما لها من الصفات النبيلة التي يعترف لها بها العالم بالاجماع واخطأ ظن الالمان بضعفها او زوالها . وكان من حدة ذكاء الفرنساويين انهم طبقوا احوالهم على حالة الحرب الحديثة وهم لم يكونوا مستعدين لها فاعدوا

عدتهم من ذخائر واسلحة الى حدٍ من الاتقان ربما فاق حد عدوهم بدون ان يلجأوا الى الوسائل المحرمة التي استعملها العدو

ومن اغلاط الالمان المنطقية ان الفرنساويين بما هم عليهِ من الرخاء والرفاه لا يستطيعون الثبات طويلاً بل يتولاهم الضجر والقنوط لان الثبات على الحالة الحاضرة من الحرب العنيفة القائمة الآن لا ينطبق على حال بها الرفاهة وفاتهم انهُ لا يمكن لامة ان تبقى على سكينتها ورخائها بعد ما يحل بها ما حل بفرنسا من الدمار ولا سيما اذا كانت ذات انفة وشمم كالامة الفرنساوية

وسنرى بعد هذه الحرب ان المستقبل لا يكون للامة التي تثير الحروب وتجعلها غايتها العظمى ووجهة قوتها المعنوية والبدنية لان كل النظامات الاجتماعية تقضي بالسير الى الامام في سبيل سعادة الانسان ولان الانسانية تأبى الرجوع الى الوراء الى ادوار الهمجية والبربرية فالامم التي يجب ان تنقرض ليست الامم التي تكره ان تخصص كل قواها ومجهوداتها للامور الحربية . فلا تنقرض الامم الضعيفة والصغيرة بل الامم التي تحاول العبث بمبادىء الانسانية كالاستقامة والصدق والمحافظة على حسن العلاقات بين الامم والتي تغدر وتذبح وتنهب وتدمر وترغب في الاستيلاء على العالم بهذه المبادىء وهذه الوسائل

يحاول فلاسفة الالمان ان يستخرجوا المبادئ الادبية من الناموس البيولوجي فهم يجهلون البيولوجيا والادب معاً او انهم يغالطون في تفسير كلمة الناموس فيخلطون بين معناهُ العلمي ومعناهُ الاجتماعي فالنواميس العلمية ثابتة لا تحتاج لتطبيقها الى وساطة الانسان واما النواميس الادبية والاجتماعية فاتفاقات وضعت لتنظيم الحياة على نظام مشترك . واذا بلغت الجسارة من كبار امة الى القول بوجوب ارتكاب الجرائم وعدم استنكار الاعمال الخارجة عن حد الادب كان من الواضح ان تلك الامة قد آلت على نفسها ان تخرج من دائرة الانسانية وحق عليها القول انها سقطت الى اسفل دركات الانحطاط لان الانسان في دور الهمجية كان يفرح باعمالهِ الهمجية ليرضي بها غريزتهُ ولكنهُ لا يدعي الادب ولا يحاول ان يقنع سواهُ بحسن عملهِ . واما همجية شعب متمدن يدعي بلوغ المنزلة السامية من الرقي بل يتبجح بالكمال وينسب لسواهُ النقص فوصمة عليهِ لا تمحى لان همجيتهُ تكون سبباً لخسارة المدنية خسارة فادحة قد لا يرجى تعويضها كما حصل في هذه الحرب المشومة من خسائر النفوس والنفائس التي لا تقدر بثمن ولا يرجى تعويضها

الدكتور
امين ابو خاطر

مرتبة الشمس بين الشموس

قلما يخطر لنا ببال ان الشمس على عظم بهائها وسنائها ليست الاَّ كوكباً من الكواكب العظمى. وانها انما تظهر لنا اعظم شأناً مما هي حقيقة بسبب قربها منَّا بالنسبة الى تلك الكواكب او الشموس

ومن اصعب الصعاب تعيين رتبة الشمس بين تلك الشموس من حيث البهاء والسناء ليس لأن في حساب تلك الرتبة شيئاً من الصعوبة وانما الصعوبة في اخذ الاقيسة التي يبنى ذلك الحساب عليها. وقبل مقابلة نور الشمس بنور غيرها من الشموس لا بدَّ لنا من معرفة امرين: الأوَّل بُعد تلك الشموس. والثاني نسبة نور شمسنا الى نورهنَّ كما نراهنَّ باعيننا من هذه الكرة. اما معرفة بعدهنَّ فقد اصبحت من القضايا السهلة بعد ما كانت من اعقد المسائل العلمية حتى صرنا نعرف بُعد كثير من الشموس القريبة وقليل من الشموس البعيدة بدقة تمكننا من معرفة الامر الثاني او الحكم بما تكون اقدارها ودرجة لمعانها اذا صفَّ بعضها الى جانب البعض وعلى مسافة واحدة منَّا

وقد اختار الاستاذ كابتين الفلكي الهولندي ان يحسب تلك المسافة مساوية لما يقطعهُ النور في $32\frac{1}{2}$ سنة فوجد انهُ لو أُدني بعض الشموس البعيدة الى تلك المسافة لفاق لمعانهُ كثيراً كلَّ نجم من النجوم الثوابت التي نراها بل لفاق المشتري ولنافس الزهرة. اما بعض الشموس او النجوم القريبة منا بالنسبة الى تلك فلو أُقصي الى تلك المسافة لبات غير منظور بالعين المجردة ولا بالنظارات الصغيرة. و بناءً على ذلك لو أُقصيت شمسنا الى تلك المسافة لتضاءل نورها الى اضعف مما هو الآن بمبلغ ٤٢٥٠٠ الف مليون مرة

ورب سائل يسأل اذا أُقصيت الشمس الى ذلك البعد اي الى بعد $32\frac{1}{2}$ سنة نوريَّة عنا فكيف تظهر لنا بالنسبة الى كواكب السماء التي نراها وكم يكون قدرها؟ وجواب هذا السؤال من الصعوبة بمكان. ومعظم السبب في صعوبتهِ ان نور الشمس يساوي عشرة آلاف مليون من نور الشعرى اليمانية التي هي ألمع الثوابت في افقنا. فلا سبيل الى المقابلة بين انوار تختلف الى هذا الحدّ في نسبتها بعضها الى بعض الاَّ باكتشاف طريقة تمكننا من اضعاف نور الشمس مليون مرة مثلاً وتقوية نور الكواكب التي تراد مقابلتها بها الى اقصى حدّ. ومع ذلك نجد ان نور الشمس لا يزال على ضعفهِ ابهى بكثير من نور الكواكب مهما قوبناهُ. على ان تقليل الفرق بين النورين يمكننا من المقابلة المرومة

وقد اكتشفت بضع طرق لذلك اولاها طريقة زولنر الالماني التي استنبطها سنة ١٨٦٤ . فانهُ استطاع تصغير صورة الشمس بامرار اشعتها في تلسكوب مقلوب واضعف نورها بامرار الاشعة في زجاجة مدخنة كما يفعل الذين ينظرون الى الشمس عند كسوفها . وفعل عكس ذلك بالنجم المسمَّى العيوق وهو من الثوابت اللامعة واخذ صورتهُ وقابل الصورتين اي صورة الشمس مصغرة وهذا النجم مكبراً بنور نجم صناعي مكوَّن من ضوء مصباح مارٍ وسط ثقب صغير . فظهر لهُ بالحساب ان الشمس تظهر لنا ابهى من العيوق بستة وخمسين الف مليون مرة اي لو ظهر في ليلة من الليالي ٥٦ الف مليون نجم مثل العيوق لبانت تلك الليلة مشرقة كالنهار والشمس في رائعته

والطريقة الثانية منسوبة الى ثلاثة علماء الواحد فرنسوي والثاني رومي والثالث اميركي . وقد تناولوا هذا البحث في وقت واحد وكلٌّ منهم مستقلٌّ عن الآخر لا يدري ما يفعل . فظهر من حساب الفرنسوي ان الشمس ابهى من العيوق باربعة وستين الف مليون مرة . ومن حساب الرومي انها ابهى منهُ بثلاثة وخمسين الف مليون مرة . ومن حساب الاميركي وهو الاستاذ بكرنج المشهور انها ابهى منهُ بستة وستين الف مليون مرة . فمتوسط هذه الحسابات الاربعة ٦٠ الف مليون ولا بدَّ ان يكون صحيحاً لان متوسط الفرق بينهُ وبين كلٍّ منها نحو ٩ في المئة فقط من قيمتهِ . ولا يكاد يحتمل انهم كلهم اخطأُوا في جهة واحدة

وعليهِ لو اقصيت الشمس عنَّا الى بعد $\frac{1}{2}$ ٣٢ سنة نورية لتضاءل بهاؤُها الى جزء من سبعين من بهاء العيوق ولبانت نجماً المع بقليل من نجوم القدر الخامس فلا ترى بالعين المجردة الاَّ بصعوبة .

اما العيوق فلما كان ابعد عنَّا بكثير من ذلك المقياس اي $\frac{1}{2}$ ٣٢ سنة نورية فهو لذلك ابهى من الشمس بمئة وخمسين ضعفاً . فالشمس متوسطة المرتبة بين الشموس فمنهنَّ ما هو اكبر منها ببضعة آلاف مرة ومنهنَّ ما هو اصغر منها بالف مرة

وقد قيس نور النجوم الضعيفة فوجد ان اضعف نجم يمكن تصويرهُ بالتلسكوب الكبير في مرصد مونت نلسن (باميركا) يرسل الينا من النور ما لو جمع نور ٥٠٠ الف مليون مليون من امثالهِ لساوى نور شمسنا لا غير

العربي بدل الاعجمي

نشرت في المقتطف (اغسطس سنة ١٩١٥ ص ١٣٢) بعضَ ما عنَّ لي من الآراء بشأن الالقاب واسماء الرتب العسكرية . واوردت ما يُقابلها او ما جاء بمعناها عند العرب . وذلك على اثر تأليف لجنةٍ من أُولي الشأن للنظر في حقيقة مدلول هذه المسمَّيات وإصلاح اسمائها بتجريدها من العجمة وصبغها بصبغةٍ عربيةٍ ورأيت اليومَ إتمامًا للفائدة وتحقيقًا للغاية المطلوبة ان أُتابع البحث فيما يتعلَّق ببعض المصالح الاميريَّة والوظائف الملكية والحِرَف والصنائع التابعة للحكومة . وقد جرت العادة على ان تُطلَقَ عليها اسماء أعجميَّة او غير وافية المقصود منها تمامًا حتى لقد تلتبس على رجال الدواوين انفسهم

من ذلك انهم يقولون «مصلحة اللبانات والفنارات» والصحيح فيها «مصلحة الموانئ والمنائر» كما جرت الصحف على تسميتها . امَّا كلمة «لبان» التي جمعوها «لبانات» فتركيَّة الاصل ومعناها المرمى او الميناء . وقد يستعملونها بمعنى «المنفى» مثال ذلك «لبان طره» وقد اشتقَّت العامَّةُ في سوريا من هذه الكلمة فعل «لَومَنَ» بمعنى ارسل الى المنفى او الى الاشغال الشاقَّة . ولعلَّ العلاقة التي بين المعنيين — اي مرمى ومنفى — هي نفس العلاقة التي بين معنيي كلمة Galère عند الفرنسويين . فانَّ معناها الاصليَّ نوعٌ من السفُن يُسيَّر بالمجاذيف . ولمَّا كان الاسرى والمحكوم عليهم بالاشغال الشاقَّة يُرسلون في الزمن الغابر للتجذيف في مثل هذه السفن فقد اصبحت العبارة envoyer aux galères مرادفةً للإرسال الى المنفى او الى الاشغال الشاقة

ويستعملون في هذه المصلحة «رسوم شمندوره droits de bouée» والمقصود منها تلك العلامات العائمة على وجه الماء لترشد السفن الى وجود صخرٍ او ممرٍّ خطرٍ ولعلَّ كلمة «عوَّامات» اصحُّ وادلُّ على المعنى

ويقولون ايضًا في تلك المصلحة «رسوم تماكين permis de départ» ولعلَّ اللفظة مُشتقَّةٌ من مكَّن يمكِّن تمكينًا فالاصلح والحالة هذه استعمال المفرد «رسوم تمكين» اي الاذن في السفر

ويقولون «قبودان المينا» و «رئيس قبودانية المينا» والافضل استعمال «رُبَّان»

ويقولون «مراكبية» والاصحّ استعمال ملاَّح او نوتي (ج نواتي) وهي لفظة يونانية معرَّبة قديمًا وقد اخذها الفرنجة ايضًا عن اليونان فقالوا (nautonier)

و يقولون « بريزلام » معوّلين على اللفظ الافرنجي بحرفهِ . وهو الرادّ او الوازع للامواج

و يقولون قلم « البسابورتات » والبسابورت او الباسبور جوازُ السفر فيمكن استعمال « الجواز » بدلاً من اللفظة المستعملة الآن

و يقولون « الجمعية التشريعية » والتشريع لا يفيد لغةً معنى الاشترع اي سنّ القوانين والشرائع . فالاصحّ ان يُقال « الجمعية الاشتراعية » من اشترع الشريعة اي سنّها

و يقولون « وزارة الحقانية » والنسبة الى الحق على هذه الصورة غير قياسية وفي تركيا يقولون « نظارة العدلية » . وافضلُ من هذه وتلك ان يُقال « وزارة العدل »

و يقولون قلم « تمغة المصاغات » وصحّتُها « دمغة المصوغات » كما لا يخفى

و يقولون مصلحة « البوستة » وقد يحسنُ الاتفاق على لفظة « البريد » . ومصلحة البوستة نفسها تستعمل احياناً هذه الكلمة فهي تصدرُ في كل سنةٍ كتاباً عنوانهُ « الدليل المفيد لمصلحة البريد » والكلمة عربية ذات مشتقّاتٍ لا تخلو من الفائدة . ويمكن اشتقاق « بريدي » بمعنى postman الانكليزية و postier الفرنسوية

و يقولون في هذه المصلحة « صرّ » لترجمة group ويحارون عادةً في جمعها . والافضل استعمال « صُرّة » (ج صُرر) والصرّة في كتُبِ اللغة ما تصرّ فيهِ الدراهم . وهذا هو المعنى المقصود

وكثيراً ما يُضيفون الى آخر الاسماء لفظة « خانه » للدلالة على المكان او الدار فيقولون: « الانتكخانة » وهي المتحف و يحسنُ استعمال « دار الآثار » بهذا المعنى كما استعملت « دار الكتب » للكتبخانه . وقد لاقت هذه التسمية ارتياحاً من اهل الادب

وكذلك « المهندسخانة » وهي مدرسة الهندسة . ومن هذا القبيل ايضاً « الدفترخانة والقيودات » وهي دار السجّل او القيد . وقد استحسن البعضُ كلمة « دفترية »

و يقولون « الترسانة » وهي دار الصناعة كما لا يخفى

وفي بعض المصالح فئةٌ من المستخدمين هم العمالُ واصحاب الحرَف يُطلقون عليهم عادةً اسماء متبوعةً باداة « جي » وهي اداةُ النسبة الى الحرفة في اللغة التركية . ولا يصعبُ إعادة هذه الاسماء الى صيغةٍ عربيّة او ايجاد ما يؤدي الى المعنى المقصود منها . من ذلك انهم يقولون : مكوجي وصحتها كوّاء ، ومطبعجي وصحتها طبّاع ويستعملون « اتشجي » ويجمعونها اتشجية من « اتش » التركية ومعناها نار والافضل استعمال الكلمة العربية التي تفيد معناها وهي

وقّاد وقّادون . و يقولون « جنزرجية » والمقصود منها القيّاسون و يقولون « فوتوغرافجي » أو « مصوراتي » والصحيح مصوّر و بمعنى آخر رسّام

ويستعملون « نوبتجي » ومعناها صاحب النوبة أو الدور فيجدرُ استعمال « منوِّب » من نُوِّب الرجل جُعلت لهُ النوبة . وجاء في المصباح : تناوبوا على الامر تداولوهُ بينهم يفعلهُ هذا مرّةً وهذا مرةً . ومنها المناوبة

و يقولون « كلارجي أو كرارجي » واحسنُ منها قهرمان (ج قهارمة) وكذلك بدلاً من « السفرجية » يحسنُ استعمال « النُدُل » وهم خَدَمَةُ الدعوة او الضيافة . من نَدَل الخبزَ من السفرة اي غَرَفَهُ

و يقولون « عربجي » وقد جرى استعمال « حُوذي » بمعناها من حاذ الدابَّة ساقها مسريعاً . والحُوذي بالضمّ الطارد المستحثّ على السير

و يقولون « قهوجي » وقد جاء في كتب اللغة : أقهى الرجلُ إقهاءً دام على شرب القهوة فيمكننا ان نقول « القاهي » بمعنى ساقي القهوة جمعها قُهاة مثل طاهٍ طهاة

و يقولون « تمرجي » وتُقابلها الكلمة العربية « ممرّض » كما هو معروف

و يقولون « طلمبة وطلمبجي » والأصح في الاولى مضخَّة أو مِنضحة وفي الثانية ضخَّاخ أو نَضّاح . فالمضخَّة قصبةٌ في جوفها خشبةٌ يرْمَى بها الماء . ونَضَحَ البيتَ بالماء رشَّهُ وبلَّهُ

و يقولون « جاشنجي » لترجمة essayeur اي الذي يأخذ جشنة الشيء . والمعروف في كلام العرب بهذا المعنى المقاطرة من قَطَرَ الرجلُ قَطَرًا وزن جلَّةً (قفَّةً) من تمرٍ او عدلاً من متاع او حَبّ او غيرهِ فاخذ ما بقيَ على حساب ذلك ولم يزنْهُ . ويحسنُ استعمال « القطري » للقائم بهذا العمل

و يقولون « نشانجي » marqueur والافضل ان نقول « وسَّام » من وسم الشيءَ كواه وأثَّر فيهِ بسمةٍ أو كيّ . والسِمَة والوسمة العلامة . والميسم الآلة التي يوسم بها

و يقولون « توفكجي » لصانع السلاح أو للذي يُصلحهُ . وقد ورد على ألسنة العرب كلماتٌ ثلاثٌ يمكن التعويل على إحداها لتأدية المعنى المقصود اذا توسعّنا في مدلولها . وهي « مثقِف » من ثقَّف الرمح قوَّمهُ وسواهُ والثقاف آلةٌ تُسوّى بها الرماح . جاء في معلقة عمرو بن كلثوم (والضمير عائد الى الرماح)

إذا عضَّ الثِقافُ بها اشمأزَّت ولتهم عشوزنةً زبونا
عشوزنةً اذا غُمِزَت أرنَّت تشجُّ قفا المثقِّف والجبينا

و « صَيْقَل » من صقلَ السيفَ جلاهُ وكشف صدأَهُ والصيقل شحّاذُ السيوف وجلاّؤُها ج صياقل وصياقلة · و « قَيْن » من قانَ القينُ الحديدَ سوّاهُ والقين ج قِيان الحدّاد ويُطلق على كلّ صانعٍ

ويقولون من هذا القبيل وان كانت الجيم غير زائدة « سروجي » والنسبة الى الجمع غير قياسية فالافضل ان يُقال « سرّاج » على وزن فعّال فقد جاء في كتب اللغة : والسراجة حرفةُ السرّاج وهو الذي يصنعُ السروج · وهناك لفظةٌ قد تفيد المعنى المقصود وهي « خرّاز » اي الذي يشتغل بالمخرز

وكما يزيدون « جي » او « خانة » في آخر بعض الكلمات للنسبة الى الحرفة او للدلالة على المكان فهم كذلك يزيدون في اول الكلمة غالباً وفي آخرها احياناً لفظة « باش » ومعناها بالتركية « رأس » للدلالة على الرياسة والاولوية بين ارباب العمل الواحد · فيقولون من هذا القبيل باشكاتب وباشمفتش وباشسجان وباشفرّاش وباشساعي الخ فلا اسهل من ان نستبدل بهذه الكلمات كلمات عربية فنقول رئيس كتّاب ورئيس مفتشين ورئيس سعاة الخ او مفتش اول وكاتب اول الخ

ويقولون من هذا القبيل « حكيمباشي الاسبتالية » والاصح « رئيس اطباء المستشفى » ويقولون « اجزاجي » والاصح صيدلاني ج صيادلة وهو بيّاع العطر والعقاقير والادوية · ويقولون « اطباء بياطرة » في جمع طبيب بيطري (médécin vétérinaire) وجمع بيطريّ بيطريّون · امّا بياطرة فهي جمع بيطار maréchal-ferrant ويجمعون على هذا القياس صرّاف على صيارف وصحيحها صرّافون· اما صيارفة فهي جمع صيرَف وصيرَفي والمعنى واحد

ويقولون في وزارة الاشغال العمومية « القسم الميكانيكي » والافضل ان يُقال « القسم الآلي » نسبةً الى آلة · وعلم الميكانيك معروفٌ عند العرب بعلم الآلات والحِيَل ونقول كذلك « آليّون » بدلاً من ميكانيكية

ويقولون « القسم الجيولوجي » اي علم طبقات الارض ويمكن استعمال الهَلَكي (وزن فلكي) والهلكة (هَلَك) ما بين كل ارض الى تحتها الى الارض السابعة · فتُستعمَل هذه الكلمة لطبقات الارض كما تُستعمَل كلمة فلك لطبقات السماء

ويقولون « قشلاق » والكلمة العربية « ثكنة » فالثكنة (ج ثكنات) بضم اولها مركز الاجناد ومجتمعهم على ما جاء في كتب اللغة · وهذا المقصود من كلمة قشلاق

ومن هذا القبيل يحسنُ التعويل على لفظة « مخفر » بدلاً من « قره قول »

و يقولون « مرتبات العائلة السلطانية » والافصح ان يُقال « مرتبات البيت السلطاني »

و يقولون « تشريفاتي » و يجمعونها و يؤنثونها على « تشريفاتية » والافصح ردُّها الى صيغةٍ قياسية تشريفي ج تشريفيون · ويحسنُ استعمال كلمة « وصيفة » لسيدات الشرف في القصر السلطاني · و يقولون « الاو برا السلطانية » و يقابل ذلك المسرح او الملهى

و يقولون « ايجارات ومتحصلات املاك الميري » والاصحُّ « تأجير الاملاك الاميرية ومحصولها »

ويحسنُ استعمال « مدير عامّ » بدلاً من « مدير عموم » « والادارة العامّة » بدلاً من « إدارة العموم » وكذلك مفتش عام

و يقولون ايضاً « الاستشارة المالية او القضائية » في ترجمة Service du Conseiller Financier ou Judiciaire وكلمة استشارة هنا لا تؤدي المعنى المقصود فهي اقرب الى معنى consultation ولذلك يُفضّل استعمال « دائرة » او « قلم » المستشار المالي او القضائي

و يقولون « مصائد الاسماك » « وعوايد الاملاك » والصحيح ان يُقال « مصايد » « وعوائد » كما لا يخفى

و يقولون السكك الحديد او السكة الحديد · والصحيح ان يقال على سبيل الوصفية : السكة (او السكك) الحديدية · او على سبيل الاضافة : سكة (او سكك) الحديد

وفي جميع المصالح يجمعون « كسوة » على « كساوي » كأنها على وزن « دعوى دعاوي » والصحيح ان تُجمع على « كُسًى » مثل ربوة ربًى · ويجوز جمعها جمعاً مؤنثاً سالماً اي كسوات

و يقولون « رئاسة مجلس الوزراء » والصحيح رياسة بدون همزة او رآسة

و يقولون دوسيه وملف والثانية وان كانت عربية لا تفيد المعنى المقصود فهي اقرب الى معنى rouleau اي الشيء الملفوف · والكلمة المستعملة عند العرب بهذا المعنى « إضبارة » من ضَبَرَ الكتبَ والصُحُف جمعها وجعلها إضبارةً

و يقولون « جنائني » نسبةً الى جنائن جمع جُنينة التي هي تصغير جنّة وهذه النسبة غير قياسيةً كما لا يخفى فكلمة « بستاني » افصحُ واصحُّ · ويقولون « صنائعية » والصحيح صنّاع · و يقولون الى الآن « قاووش اغامي » والافضل ان يُعوّل على « رئيس قوّاسين » والقوّاس هو حامل القوس كما ذكرنا في مقالتنا عن الرتب العسكرية في مقتطف اغسطس من السنة الماضية · ويقولون اسطى اسطوات لرئيس النجارين او الحدادين

والكلمة منحوتة من « أستاذ » الفارسية فيمكن ان نستعمل معلّم او عريف فنقول : معلّم (او عريف) نجارين او حدادين الخ · contremaître

وفي كتب اللغة : العريف العالم بالشيء وقيل النقيب وهو دون الرئيس · وقيل العريف يكون على نُفيرٍ والمنكب يكون على خمسة عرفاء ومنهُ عريف المكاتب للولد الذي يُفوَّض اليهِ القيام على مراقبة الاولاد

ويقولون « وابور الزلط » ويحسن استعمال « مرداس » بهذا المعنى من ردس الارض دكّها بالمرداس · والمرداس شيءٌ صلبٌ يُردسُ بهِ أي يُدَكُّ

ويُقابل « الزلط » من كلام العرب « الحصباء » او « الحصى » وهي الحجارة الصغيرة· ويمكن استعمال « التحصيب » — من حصَّب المكان فرشه بالحصى — بدلاً من « مكدام » وهي كلمة افرنجية يُقصدُ بها نفس المعنى على أنها مشتقة من اسم Mac Adam وهو اول من عوَّل على هذه الطريقة لتسوية الشوارع

ويقولون « قومسيون » وقد جرى الكثيرون على استعمال « لجنة » وهي تفيد المعنى تماماً

ويقولون « خرائط وخرط » وهي لفظة يونانية معرَّبة واصل تعريبها « قُرطاس » وقد جرى نفرٌ من الادباء على إطلاق « مصوَّرات جغرافية » على المقصود من الخارطة

ويقولون « هويس واهوسة » écluses ولعلّها من « حاووز » او « حوض » (بلفظ الضاد ظاءً على الطريقة التركية) وعليهِ فيمكن الرجوع الى الاصل العربي

ويقولون « المستخدمون المرفوتون » من رفت ومعنى « رفت » فتَّهُ بيدهِ ومنها « الرفات » كلُّ ما تكسَّر وبلي · ولعلهم اخذوها من « رفض » والاوفق استعمال « عزل » و « اقال » ومشتقاتهما : الأُولى بمعنى renvoyer او destituer والثانية بمعنى licencier

***

هذا ما عنَّ لي ان اوردهُ في مقالتي السابقة وفي مقالة اليوم من الاسماء التي تُستعمل الآن في دواوين الحكومة على غير صحتها والتي تدعو الحالة الى إصلاحها · وليس هذا الاصلاحُ بالامر العسير او المتطلب العناء الكثير

ويجدرُ لهذا الغرضِ أن تؤلف لجنة تُمثَّلُ فيها جميع الوزارات والمصالح الاميرية للنظر في هذا الامر ويكون من شأن هذه اللجنة في الوقت نفسهِ إصلاح نصّ مطبوعات الحكومة المعروفة باسم « استمارات ونماذج » وهي اوراق مطبوعة تتداولها الايدي في معاملات متنوّعة وكثيراً ما تتضمن اغلاطاً بيِّنَة هي من بقايا الماضي

أمَّا ما يسمّونهُ « بلاغة الدواوين » فلم اتعرَّض لهُ بشيءٍ كما يرى القارئ لان إصلاح هذه اللغة ليس بالامر الممكن دفعةً واحدة بل هي غاية تُدرَك شيئًا فشيئًا كلّما ازداد عددُ المتعلمين في خدمة الحكومة . وقد سار الاصلاحُ شوطًا يُذكر من هذا القبيل بفضل طائفةٍ من الأُدباء والكتاب المعروفين الذين ضمّتهم الحكومة الى اقلامها في السنوات الاخيرة وهم دائبون على ترقية لغة المصالح بالتدريج ولعلّهم مفلحون وان القطر المصريّ لجدير بتحقيق الآمال المعقودة عليهِ من حيث إنهاض لغة العرب فهو من الاقطار العربية بمثابة القلب من الجسم

القاهرة انطون الجميّل

البلهارتسيا في القطر المصري

انتدبت الحكومة الانكليزية لجنة في السنة الماضية لدرس مرض البلهارتسيا في القطر المصري برآسة اللفتننت كولونل ليبر . فاتمت مهمتها ونشرت تقريراً يتضمن خلاصة درسها جاء فيهِ ما فحواهُ :

اكتشف سبب داء البلهارتسيا في الانسان الدكتور بلهارتس سنة ١٨٩١ فسمي باسمهِ . اما طريقة انتقالهِ والعدوى بهِ فلم تكتشف الاَّ حديثًا

سبب الداء وجود نوع من الحَلَم في اوردة المسار يقا (غشاء الامعاء) والمثانة . او يقال بكلام اخص ان بيض هذا الحَلَم هو سبب الالتهاب على الغالب . ولما عُرف السبب شرع الاخصائيون في علم الحيوينات الطفيلية يبحثون في كيفية انتقال الحَلَم الى جسم الانسان واتصال الداء بهِ . وكان قد عرف ان البيض يفقس في الماء اجنة ذات اهداب واستنتج الباحثون فيما مضى قياساً على طبائع انواع اخرى من الحلَم ان هذه الاجنة تدخل بعد فقسها اجسام بعض الحيوانات الصدفية التي تعيش في الماء العذب . فامتحنوا وجودها فيها بطريقتين الواحدة تلقيح بعض ذوات الاصداف بالاجنة المشار اليها . والثانية تشريح بعض ذوات الاصداف ولكن جميع التجارب التي جُرّبت ذهبت سدًى . ولعلَّ سبب ذلك ان التجارب جُربت في ٩ اصناف فقط من ٥٠ صنفاً من ذوات الاصداف الموجودة في القطر المصري

وكان ليبر واتكنسون قد عرفا من ابحاثهما في اليابان ان الناس والكلاب تصاب هناك ببلهارتسيا ناشئة عن نوع آخر من الحَلَم ولكنهُ من الجنس عينهِ . وثبت ان الكلاب تعدى بايقافها في الماء بعد اطلاقهِ على الحقول المصابة ولا تعدى بايقافها في ماءٍ يحتوي على اجنة

الحلم · ولوحظ ان الحلم الذي يدخل أجسام الكلاب يختلف كثيراً عن الاجنة فاستُنتج انهُ لا يبعد ان تكون هناك واسطة لنقل العدوى · ومما لوحظ ايضاً ان الفيران تعدى من الماء الذي يعيش فيهِ الحلزون · وعليهِ بحث ليبر فوجد البلهارتسيا في ثلاثة انواع من ثمانية من اشهر ذوات الاصداف · ولم يقل اين وجدها بالتخصيص بل قال انهُ وجدها على مسافة نصف ساعة من القاهرة بالقطار ولعل ذلك في المرج لانهُ يقول فيها بعد انهُ وجد البلهارتسيا هناك في ٤٩ غلاماً من ٥٤ فحصهم ولا يزيد عمر الواحد منهم على ١٢ سنة · وقال انهُ وجد ١٥ نوعاً من الحلزون في ترعة المرج بعد نزح الماء منها

ومن اشهر الحلازين التي وجد البلهارتسيا فيها ما يسمى Planorbis boissyi والحلم كثير فيها الى حدّ انهُ يسهل جمع كثير من دودهِ منها وقد لقحت الجرذان بها فوجد الدود او الحلم في اوردتها البابية · وفحص بيضها فثبت انهُ من النوع الذي يصيب الانسان .

ومما جاء في التقرير ان الداء اكثر شيوعاً في الوجه البحري والفيوم منهُ في الاماكن التي تروى ري الحياض · فقد قال الدكتور مادن انهُ يدخل مستشفيات القاهرة من الجيزة ١٠ مصابين بالبلهارتسيا من ١٠٠ الف من السكان · ومن الشرقية ٢٠ من كل ١٠٠ الف ومن القليوبية ١٨ ومن المنوفية نحو ١٣ · ومعلوم ان الري الصيفي لم يتمّ في بعض انحاء الجيزة في حين ان المديريات الثلاث الاخرى تروى كلها ريًّا صيفيًّا · وربما كان الري الصيفي مساعداً على توالد الحلزون ونمائهِ

وجاء في التقرير ايضاً قولهُ : يولد في القاهرة ٣٠ الف مولود في السنة يصاب بالبلهارتسيا ثلثهم · وكيفية ذلك ان ماء القاهرة على نوعين الواحد مرشَّح والآخر غير مرشح والماء الذي يؤخذ من النيل للري لا يعاد اليهِ عادة بل يصرف في مصارف الى البحر الملح ولكن بعض هذه المصارف يتصل بالنيل جنوبي القاهرة فلا يبعد والحالة هذه ان يكون الماء غير المرشح سبب العدوى في القاهرة · على ان الدود يبقى حيًّا في الماء عند عمل التجارب ٣٦ ساعة · وقد قدروا انهُ اذا كان مكان اتصال المصارف بالنيل على بعد ٣٠ ميلاً من القاهرة او اكثر فان الدود يموت قبل وصول الماء اليها · اما من جهة العدوى في القاهرة نفسها فلم يثبت بالبرهان وجود الدود في الماء غير المرشح المأخوذ من المواسير · ومن رأي كتبة التقرير ان خزن الماء غير المرشح من يوم ونصف الى يومين يميت دود البلهارتسيا · اما في الارياف فحلّ المسئلة سهل نظريًّا وهو ان يصرف الماء من الترع فيموت الحلزون الذي فيها ولكنهُ صعب عمليًّا لعلاقة الامر بالري والزراعة

الحرب والامراض

(ملخصة من مقالة نشرت في المجلة الطبية الانكليزية المعروفة باسم (The Practitioner) وهي بقلم الجراح الجنرال رولستن الطبيب الاستشاري للبحرية الانجليزية والطبيب الاول لمستشفى سنت جورج الشهير)

اثبتت الشواهد العديدة ان هذه الحرب الكبيرة اثرت تأثيراً عظيماً في الامراض الباطنية والجراحية فالحرب تساعد على انتشار الاوبئة وذلك باجتماع عدد عظيم من الجند في مكان واحد . فالحميات التي لا تحدث الاّ افرادية او وبائية في زمن السلم تحدث بشكل محليّ في زمن الحرب كما حصل في انتشار الحمى التيفودية في حرب جنوب افريقية والحمى التيفوسية في السرب والحمى البارا تيفودية وبعض الحمى النخاعية المخية في الجيوش البريطانية في هذه الحرب . ويساعد ايضاً على انتشار الامراض المعدية في الجيوش وجود المكروب في بعض الاصحاء والذين يعرفون بحاملي المرض (carriers) وتظهر ايضاً بين الجنود امراض غير معدية بشكل وبائي مما لا يحدث مثلهُ في زمن السلم ويشاهد ذلك في امراض الخنادق كالتهاب الكلى الحاد واقدام الخنادق والغنغرينة الغازية والتتنوس وحمى الخنادق والالتهاب الشعبي والالتهاب الشعبي الرئوي الناشئة عن استعمال الالمان للغازات الخانقة كالكلورور والبرمور والاضطرابات العصبية لدرجة الجنون في بعض الاحيان والنيوراستينيا

وتؤثر الحرب في غير المحاربين ايضاً حتى في البلاد غير المهاجمة من حيث التغيير في الغذاء والتأثير العقلي وتغيير العمل او المهنة . فكثير من الناس يعملون في معامل الذخائر وبذلك يعرضون انفسهم لاعمال جديدة قد تكون احياناً ضارة او خطرة . فالذين يعملون في معامل الطيران يتعرضون لبعض الغازات السامة وقد اصاب البعض منهم يرقان تسممي بشكل وبائي . وحدث في حصار باريس سنة ١٨٧٠ وفي حرب البوير زيادة مطردة في مرض الغواتر . ومما تهمّ معرفتهُ هل تكثر ايضاً الاصابات بالبول السكري في مثل هذه الاحوال ام لا .

وتختلف الجراحة في زمن الحرب عنها في زمن السلم ففي السلم يعالج الجراح الجروح بعد تعقيمها بمضادات الفساد . اما في الحرب فالجروح تأتيهِ ملوثة . وقبل الحرب كانت عمليات البتر نادرة اما في الحرب فهي كثيرة جداً ويصرف الجراح معظم وقتهِ في تطهير الجروح في زمن الحرب ولذلك ظهرت مسألة البحث عن مطهرات جديدة للجروح كالبورسال وتحت

كلورات الصودا وطريقة التصريف للجراح رَيط "Wright" . وافضت الحرب ايضاً الى البحث في اصابات نادرة الحدوث كالانوريزما الشريانية الوريدية والنزيف في تجويف الصدر

ومما يهم البحث فيهِ المقارنة بين هذه الحرب وحرب جنوب افريقية . فالفرق كبير جدًّا وواضح من الوجهة الصحية وقد افاد جدًّا المصل الواقي من الحمى التيفودية في هذه الحرب حتى ان الاصابات بها قليلة جدًّا بعكس ما كانت الحالة عليهِ من جنوب افريقية فانها كانت متوطنة في الجيش ولكن يظهر ان الحمى الباراتيفودية التي كانت الوقاية منها قليلة حلّت محل الحمى التيفودية في هذه الحرب . ثم ان الجروح في هذه الحرب اشد تلوثاً مما كانت في حرب جنوب افريقية وسبب قلة تلوثها في جنوب افريقية حرارة الشمس فان فعلها كان اقوى من المطهرات ولذلك ترى الغنغرينة والتتنوس والجروح الملوثة كثيرة في هذه الحرب . وفي حملة الدردنيل كثرت العدوى بواسطة الجهاز المضمي حتى عظمت الاصابات بالدوسنطاريا والحمى التيفودية والباراتيفودية والاسهال واليرقان فبلغ عدد الذين اصيبوا بهذه الامراض ٧٨٢٠٠ الى آخر اكتوبر سنة ١٩١٥ . وكانت الجنود تصاب بالاسهال بمجرد نزولها الى البرّ كما حدث في حرب جنوب افريقية . وكثرت في حرب جنوب افريقية اصابات الروماتزم . وندرت اصابات التهاب الكلى بعكس ما هي الحال في فرنسا

ولنبحث في كلّ من هذه الامراض على حدة فنقول :

— الحمى التيفودية —

تشمل هذه التسمية ايضاً الحمى الباراتيفودية بقسميها A و B ففي الجيش الانجليزي في فرنسا كانت الباراتيفودية اكثر انتشاراً من التيفودية وقد احصىَ السر دوجلاس دوصن ٩١٠ اصابات بالباراتيفويد من ١٣٦٣ إصابة بالحمى التيفودية بفرنسا اي بنسبة ٦٦٫٧ في المائة ولكن يحدث احياناً ان يصاب المصاب بمكروب التيفويد والباراتيفويد في وقت واحد وبمقارنة هذين النوعين من الحمى وجد ان الباراتيفويد اقل وضوحاً من التيفويد واخف وطأة . ويحتمل كثيراً ان يحسب بعض اصابات الباراتيفويد انفلونزا او لا يشخص فتنتشر العدوى وهي اقل خطراً . ففي الاصابات السابق ذكرها (٩١٠) لم يمت الا اثنان في المائة . وقد اختلف الباحثون في اي النوعين من الباراتيفويد تكون الوفيات اكثر من الآخر : فتورنز وهوتجتن يقولان ان النسبة في النوع B اكثر بقليل من ٤ في المائة وفي النوع A اقل من واحد في المائة . ولكن في العدد ٦١٠٠ من المجلة الطبية البريطانية ١٩١٥ ذكر ان النسبة في النوع A ٢٫٤ في المائة وفي النوع B لم تحدث وفيات في الاصابات التي استخرجت

منها هذه النسبة وعددها ٤٤٧ . وعلى كل حال فالنوعان يتشابهان في الاعراض والعلامات ولا يميزهما الاَّ الفحص البكتريولوجي . وظهر في هذه الحرب ان اصابة الامعاء بهما اعظم شأناً مما كان يظن قبلاً

وقد اثبتت هذه الحرب قيمة المصل الواقي من الحمى التيفودية الذي حضرهُ رَيط . وقيل ان بعض الذين حقنوا بهِ اصيبوا بما يسمونهُ الحمى التيفودية ولكن الحقيقة انهم اصيبوا بالحمى الباراتيفودية ولم يحقنوا للوقاية منها . ولكن الهمة مبذولة الآن لحقن الجنود بمصل للوقاية من التيفويدية والباراتيفودية بنوعيها . وقد جرب مع مصل الكولرا في ١٧٠٠٠٠ صربي ولم يأت بنتيجة رديئة

ويجتهد الاطباء في انجلترا الآن لمنع انتشار الوباء بواسطة المرضى الناقهين من هذه الحميات وذلك بفحص براز كل ناقه و بولهِ ميكرسكوبيًّا وقد وجد بالاحصاء ان المكروب لا وجود لهُ الاَّ في عُشْر الناقهين عند حلول الاسبوع العاشر لدور النقاهة

— الدوسنطاريا —

تكهّن البعض بان الدوسنطاريا ستظهر في الميدان الغربي بحالة وبائية ولم يصدق هذا التكهن والحمد لله ولكنها تفشت تفشياً هائلاً بين الجنود في الدردنيل وشوهد انهُ بمجرد نزول الجنود الى غاليبولي كان يصيبهم اسهال يعقبهُ في كثير من الاحوال دوسنطاريا . ولما وصل الناقهون الى انجلترا وفحص برازهم لم تشاهد فيهِ الاميبا "Amœba" ولكن قيل انها شوهدت في مستشفيات الاسكندرية والقاهرة بكثرة وان الامتين "Emetine" اي المادة القلوية المستخرجة من عرق الذهب نجحت نجاحاً باهراً في علاجها . وبما ان هذه المادة تتلف الاميبا فهذا هو السرّ في عدم وجود الاميبا في براز الناقهين في انجلترا . وقال باست سمث انهُ يجب من باب الاحتياط حسبان ان كل اصابة دوسنطاريا تأتي من الشرق حمى باراتيفودية فمن ٧٠ اصابة وصلت بليموث باسم دوسنطاريا وجد ان اربعين في المائة حمى باراتيفويدية A و٢٠ في المائة حمى باراتيفويدية B و١١ في المائة تيفويدية وذلك لانهُ اذا لم تفحص الاصابات بكتيريولوجياً امكن بسهولة حسبان كل اصابة دوسنطاريا مصحوبة بحمى حمى تيفودية . وكثيراً ما يتفق ان يصاب الانسان بالمرضين معاً او بواحد بعد الآخر .

— اليرقان —

ظهرت اصابات عديدة بهذا المرض بين الجند البريطاني في منطقة البحر الابيض وربما

تلا الاصابة اسهال او دوسنطاريا او حمى تيفويدية او باراتيفويدية ولكن بعض الاطباء يقولون ان هذا المرض بسيط على الغالب وتأثيرهُ في الجسم قليل

— الحمى المخية النخاعية —

كان الاعتقاد الشائع ان هذا المرض ليس من امراض الحروب ولكنهُ ظهر بحالة وبائية في هذه الحرب كما بين ذلك ازلر الشهير . ففي السنة الاولى من الحرب حدث اكثر من ٤٠٠ وفاة في جيش الدفاع الوطني البريطاني و ٩٠ وفاة في البحرية . وسبب انتشار هذا المرض تجمع المقترعين وبينهم اشخاص يحملون مكروب هـذا المرض ولو انهم اصحاء . ولتلافيهِ يجب العناية بالمقترعين وابعاد حاملي المكروب او على الاقل ابعاد الناقهين من المرض لانهُ يصعب جدًّا ابعاد حاملي المكروب . وهذا المرض يصعب تشخيصهُ في اولهِ لمشابهتهِ لامراض اخرى كالانفلونزا وبعض انواع الالتهاب السحائي . ومتوسط الوفيات كثير جدًّا (اكثر من خمسين في المائة) والعلاج بالمصل لم ينجع ويعزى ذلك لرداءة نوع المصل فلذلك اخذوا يحضرون الآن مصلاً جديداً

— النزيف في تجويف الصدر —

هذا المرض نادر في زمن السلم وهو نتيجة صدمة او جرح او انفجار شريان ولكنهُ في هذه الحرب كثير ومن ٤٠٠ إصابة في الجيش ٢٥ في المائة تلوثت وتحولت الى صديد ومن ٩٨ اصابة بزلت استخرج من كل مصاب تقريباً لتر ونصف من الدم ووجد ان الدم يتجمد في داخل الصدر عقب الاصابة بسرعة

— التهاب الكلى الحادّ —

اصيب بهذا المرض في الجيش البريطاني في فرنسا ١٠٦٢ لغاية يونيه سنة ١٩١٥ وكلما ارتفعت الحرارة ازداد عدد الاصابات ولم يوقف لهذا المرض على مكروب ولا وجد لهُ مكروب في البول او الدم والوفيات بهِ قليلة جدًّا

— حمى الخنادق —

هذه حمى متقطعة غير خطرة يجوز ان تختلط بحمى الدنج او الانفلونزا او الباراتيفودية ولكنها تختلف في العلامات. وبالفحص البكتريولوجي يمكن تمييزها وربما كان سببها لدغ الحشرات التي تسطو على جسم الانسان كالقمّل والبراغيث

الدكتور
محمد زكي شافعي بالفيوم

ثمار العلم البيولوجي الحديث

وما ينتظر منهُ وما يبنى عليهِ

(من خطبة الرآسة للدكتور اليوت رئيس جامعة هارفرد الشهيرة ورئيس مجمع تقدُّم العلوم الاميركي . ويراد بالعلم البيولوجي علم الموجودات الحية اي علم النبات والحيوان والانسان والتشريح والفسيولوجيا وما يتصل بهذه العلوم من حيث نمو النبات والحيوانات وما يعرض لها من الآفات كما ترى في هذه الخطبة)

لقد استفاد نوع الانسان فوائدجمة منذ مئة وخمسين سنة الى الآن من التقدُّم السريع الذي تقدمتهُ العلوم الكيماوية والطبيعية والبيولوجية . ففي الخمسين سنة الاولى من هذه المدة كانَ للكيمياء والطبيعيات اليد الطولى في كل ما يأول الى نفع الانسان ولكن المئة السنة التالية كان الفضل الاكبر فيها للعلوم البيولوجية

فاستنباط اساليب النقل والانتقال الجديدة (كالبواخر وسكك الحديد) وعمل المصنوعات بواسطة الآلات البخارية وانشاء الاعمال الهندسية الكبيرة الفضلُ فيها كلها لعلم الطبيعة . والتقدُّم الزراعي الذي تمَّ في النصف الاخير من القرن الماضي الفضلُ فيهِ للطبيعة والكيمياء . ثم جاءت العلوم البيولوجية فافادت الفلاَّح فائدة كبيرة لانها ساعدتهُ على تكثير جنى الارض واصلاح نوع المواشي ووقاية المزروعات والحيوانات مما يضرها

وما نتج عن علم الطبيعة وعلم الكيمياء من الاصلاح الصناعي والاجتماعي افاد الانسان بنوع عام فوفَّر راحتهُ واطال عمرهُ ووقاهُ من العوارض الطبيعية وزاد شعورهُ بالتعاون المتبادل بين افرادهِ وجماعاتهِ بما تمَّ من التسهيل في نقل الاخبار فصلحت حالهُ وزادت رفاهتهُ لكن هذا النفع الذي نال نوع الانسان من تقدُّم علم الطبيعة وعلم الكيمياء لم يكن محضاً بل مازجهُ شيءٌ من الضرر فان ما في المعامل والمدن من الازدحام والجلبة والضوضاء ضرر مازج النفع ولكن العلوم البيولوجية اي علم النبات وعلم الحيوان وعلم الفسيولوجيا وعلم الكيمياء الحيوية استُخدِمتْ في الجراحة والطب والتدابير الصحية فافادت نوع الانسان مباشرةً لانها وقتهُ من المرض والموت الباكر وما يترتب عليهما من الالم والحزن لان العلوم البيولوجية تتناول عواطف الناس فيقل بها قلقهم وتزيد رفاهتهم ويتخلصون من بعض الآفات التي اصابت نوع الانسان من قديم الزمان ومن توقُّع حدوثها وتضمن لهم مستقبلاً سعيداً

ولقد كان باستور اول من حوَّل مجرى النفع من البحث الكيماوي والطبيعي الى البحث البيولوجي . فكان بحثهُ اولاً مختصاً بالتبلور وتدرَّج منهُ الى البحث في انحراف النور بواسطة

البلورات . وكان اولاً استاذاً لعلم الطبيعة ثم صار استاذاً لعلم الكيمياء . ولما كان يبحث في بعض الاملاح الآلية تدرَّج الى البحث في الاختمار اتفاقاً وكان رئيساً لمدرسة ليل وهي بلدة صناعية فجعل يدرس اختمار عصير البنجر الذي يولّد الالكحول . اي ان بحثهُ هذا كان بيولوجياً مع انهُ لم يكن خبيراً بعلم الحيوان ولا بالعلوم الطبيَّة . فاثبت اولاً ان الحي لا يتولَّد تولداً ذاتيًّا من مادة غير حيَّة وقال في ذلك انهُ « لا الغازات ولا السائلات ولا الكهربائية ولا المغنطيسية ولا الاوزون ولا شيء من الاشياء غير الحية تتولَّد منهُ الاحياء . واذا ظهر انها تولدت من الهواء فيكون تولدها من جراثيم حية عائمة فيهِ » . وقال في مكان آخر « ان غبار الهواء يكون حاملاً لجراثيم الاحياء التي تتولد في آنية يدخلها الهواء وفيها محاليل قابلة للفساد » . الى ان قال قولاً يعدُّ من قبيل النبوَّة وهو « انهُ يجب التوسُّع في هذه المباحث اعداداً لبحث اهم عن اسباب الامراض المختلفة »

ولقد عاش حتى توسَّع في مباحثهِ فوصل الى اسباب مرض دود الحرير وسبب الكوليرا التي وصلت الى فرنسا من مصر واسباب الآفات التي يشكو منها صانعو الخمر والبيرا واسباب الحمَّى الطحالية وكوليرا الدجاج والكَلَب . واستنبط هو وخلفاؤُهُ وسائل فعَّالة لمعالجة هذه الامراض والآفات ولمعالجة التيفويد والدفتيريا . واكتشافهُ ان الامراض المختلفة ناشئة عن مكروبات خاصَّة ادَّى الى اكتشاف انواع المصل الواقية التي تقي من تلك الامراض او تشفي منها فبني على ذلك علم الطب الحديث وعملهُ

وكان باستور متضلعاً من علم الطبيعة وعلم الكيمياء ومتدرباً على التدقيق في البحث والاستدلال منذ صغرهِ فانتقل الى البحث في العلوم البيولوجية وعمرهُ ٣٢ سنة فصار اكبر مستنبط فيها ومطبّق لمبادئها واعمالهُ تثبت ان العلوم البيولوجية افادت نوع الانسان في السنين الست الماضية اكثر مما افادتهُ سائر العلوم . وقد كتب الى ابيهِ سنة ١٨٦٠ يقول « عسى الله ان يقدرني على المواظبة في اشغالي حتى اضع حجراً صغيراً في البناء السخيف المتقلقل بناء معارفنا باسرار الحياة والموت التي عجزت عن ادراكها العقول» .

فاجاب الله دعاءهُ

وها كم خلاصة ثمار العلوم البيولوجية منذ بداءة القرن التاسع عشر الى الآن

اول شيء اكتُشف في هذا الباب التطعيم الواقي من الجدري وذلك قبل اكتشاف جراثيم الامراض وانتقالها بواسطة الحشرات والحيوانات واساليب الوقاية منها . ومدار هذا التطعيم على ادخال شيء قليل من صديد جدري البقر في جسم الانسان فيصاب بجدري

خفيف لا يميتهُ ولا يشوههُ بل يقيهِ من الاصابة بالجدري الذي يشوه ويميت • وانقاذ الناس من وباء الجدري نعمة من اكبر النعم التي نالها نوع الانسان من صناعة الطب

وقد عُلم الآن كيف تنتقل امراض الدوسنطاريا والكوليرا والتيفويد والتيفوس والفرفرية والطاعون والدفثيريا والسل والزهري والتعقيبة وداء النوم والحمّى الصفراء وفقر الدم من شخص الى آخر بواسطة المكروبات او الحشرات والفضل في ذلك للبحث البيولوجي في المكروبات والحشرات • وقد استُنبطت الوسائل لمنع هذه الامراض أو لتوقيف إنتشارها وأُصلحت الطرق لمعالجة اكثرها • وعُرف الشيء الكثير من امر شلل الاطفال والسرطان

هذا وان اللسان ليعجز عن وصف ما استفادهُ الناس من ثمار العلوم البيولوجيَّة في منع هذه الامراض او تخفيف وطأتها بعد ان كانت منذ عهد قريب من اشد ما يرتعب منهُ الناس وترتجف لهُ فرائصهم • وكان بعضها يفد في شكل وباء جارف فلا يبقي ولا يذر • ولا يستطيع اهل هذا العصر ان يتصوروا مقدار الخوف والذعر اللذين كانا يستوليان على اسلافهم وقد خلصوا منهما الآن بواسطة البحث الطبي والطب المنعي • والفضل في نجاح الطب المنعي هذا لعلم المكروبات وعلم الباثولوجيا

وقد انشئت المجالس الصحية ونيط بها اعمال كثيرة لم يكن لها وجود قبلما دلّت علوم البيولوجيا والكيمياء والطبيعيات على ما يجب عملهُ لحفظ الصحة والوقاية من الامراض وتوفير الرفاهة للناس في الحاضر والمستقبل • وعمال هذه المجالس يعلّمون الناس الآن قواعد حفظ الصحة ويوجبونها عليهم في مساكنهم وشوارعهم ومعاملهم ومدارسهم ويراقبون اطعمتهم ويقونهم من الامراض المعدية ومن تأثير الاعمال المضرة بهم ويدرسون ما يفشو بينهم من الاوبئة وما يصابون بهِ من موت اطفالهم ويفصلون المرضى عن الاصحاء ويطهّرون المنازل من جراثيم الامراض ومن الحشرات التي تنقلها او تحملها • وهذه الاعمال كلها مبنيَّة على علم البيولوجيا وهي تتنوع من وقت الى آخر حسب تقدم هذا العلم

واكثر الفضل فيما تحقق حديثاً من علم الطب للتجارب التي جُرّبت في الحيوانات بعد تخديرها او تبنيجها • فقد استفاد نوع الانسان فوائد جمة من البحث في الحيوانات الكبيرة كالدجاج والارانب وخنازير الهند والقطط والكلاب والبقر والخيل والبغال والحمير وفي كثير من الحشرات كالبراغيث والقراد والبعوض والقمل كما من البحث في الحيوانات والنباتات المكروسكوبية • وعلم الباحثون منذ ستين سنة الى الآن اموراً كثيرة جداً وهي تزيد سنة فسنة وكانت نتيجتها ان زادت الراحة والرفاهة وقل التعب والالم كما تقدم

هذا ما نتج في الماضي من العلوم البيولوجيَّة ولننظر الآن الى ما ينتظر منها من النتائج في المستقبل

ان البحث الطبي والجراحي سار سيراً حثيثاً مدة العشرين السنة الماضية وسيضطرد سيرهُ في المستقبل على ما يظهر فان المدارس الطبيَّة والمستشفيات عاكفة عليهِ كلها وقد انشئت لهُ معاهد مخصوصة ايضاً واعتمد كثير من المدارس الطبية على تعليم التشريح والفسيولوجيا والباثولوجيا على اسلوب تظهر فيهِ المقارنة بين الانسان والحيوان فيما تدور عليهِ هذه العلوم · وقد شرع العلماء يرون اهمية المقارنة الباثولوجية فان كل الذين يفكرون في نفع الانسان والحيوانات الداجنة يرون ان التجارب في الحيوانات مع استعمال المخدرات ومضادات الفساد هي السبيل القويم لتوسيع معارفنا باسباب الامراض ووسائل شفائها ومنعها ومن ثم تظهر فائدة المقارنة بين انواع الحيوان والانسان من هذا القبيل

اما الامراض المعدية فيظهر ممَّا عُرف حتى الآن من معالجتها اننا سنتمكن قريباً من قمع اخبثها · ففي عشر سنوات من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٣ نُقل الداء الزهري الى بعض الحيوانات الدنيا وكُشف المكروب الخاص بهِ واستُنبطت طريقة لاكتشاف هذا الداء في المصابين بهِ ولو لم تكن لهُ علامات ظاهرة فيهم وثبتت فائدة السلفرسان في قتل مكروبهِ · وربي المكروب خارج جسم الانسان حتى تكوَّن منهُ مزدرع نقي وتولَّد من ذلك اللوتين (luetin) وهو كاشف مهمٌّ في تشخيص الحالات الخفيَّة · واخيراً كشف مكروب الزهري في دماغ المصابين بالشلل العام وفي الحبل الشوكي من المصابين باضطراب الحركات (اتكسيا) وهذه المكتشفات سهَّلت التحكُّم بهذا الداء الخبيث ولكن لم يعمل بها حتى الآن على اسلوب كافٍ لاستئصالهِ فعلى المجالس البلدية ان تجد الوسائل الفعالة لمقاومتهِ ومنع انتشارهِ لانهُ من شر آفات العمران · والآمال متجهة الآن الى الذين في يدهم امر التدابير الصحية ان يتمكنوا من استئصالهِ من كل البلدان المتمدنة

وقد تسنَّى لحكومات البلدان المتمدنة ان تقي شعوبها من مضار الاطعمة الضارة والادوية المغشوشة بما استفادتهُ من علم الكيمياء الحيوية · وهذا العمل من اهم اعمال مجالس الصحة العمومية وهو يحتمل التوسع الكثير

ومن ثمار علم البيولوجيا التي جناها الناس في الخمسين السنة الماضية الوسائل الجديدة التي يُكشَف بها السبب الحقيقي للمرض وطرق التشخيص الجديدة وبعض هذه الطرق كيماوي وطبيعي واكثرها بيولوجي · ثم ان كل ما علم من حقيقة مقاومة العدوى وظرقها بني

على المباحث البيولوجية . وجانب كبير من التدابير الصحية التي تعوّل عليها مجالس الصحة العمومية لكشف ما يضرُّ بالصحة وازالتهِ مبنيٌّ على ما عُرف من المقارنة التشريحية والفسيولوجية والباثولوجية بين الانسان والحيوان . ومن الامثلة التي تنطبق على ذلك ما يتخذ الآن من الوسائل لمنع الامراض المعدية من المدارس وفحص اسنان التلامذة وعيونهم وانوفهم وآذانهم وجلودهم واكتشاف ما فيهم من العيوب البدنية والعقلية والنوامي الغددية في انوفهم وافواههم . ثم ان معالجة التلامذة بعد اكتشاف ما فيهم من الادواء والآفات يحقق الآمال باصلاح الجيل المقبل . واذا خالط جماعة واحداً مصاباً بالدفثيريا وخيف ان يكونوا قد أُعدوا منهُ فقد كُشفت مادة يعلم بها ذلك فلا يعالج منهم بالمصل المضاد للدفثيريا الاَّ الذين أُعدُوا بها حقيقة ومن ثم يعلم مَن أُعدي ومَن لم يعدَ وربما افضى ذلك الى معرفة السبب الذي يمنع العدوى عن بعض الناس اي الى معرفة اسباب المناعة الطبيعية

ومن المسائل الكبيرة التي تفيد فيها العلوم البيولوجية مقاومة السكْر والعهر وهي فرع مهم من باب صحة الامم ويتناول هذا الفرع معالجة ضعاف العقول والمجانين والمصروعين والعميان . والمضار الناجمة عن هذه الآفات كثيرة جدًّا وهي مرتبطة بعضها ببعض وقد جاءت وسائل علاجها من علم البيولوجيا ويرجى ان يتسع نطاق هذه الوسائل وتزيد فوائدها

وقد وُسع نطاق التعليم حتى يتناول الاعمال الصحية والجراحية والطبية فنتجت منهُ فوائد جمة وينتظر ان تزيد كثيراً في المستقبل فتزيدبها الصحة والرفاهة . فقد علّمت الممرضات وأُرسلن الى المراكز فيطفنَ على البيوت يمرضنَ المرضى ويعزينهم ويعلّمنَ امهاتهم واخواتهم كيف يعتنين بهم وينظفنهم ويمنعنَ نقل العدوى منهم الى غيرهم . وتعليم الممرضة هذا لاقارب المريض مهم جدًّا مثل تمريضها للمريض . وعندنا نساءٌ يتبعن المريض الى بيتهِ بعد ما يشاهدهُ الطبيب في المستشفى ويعلمنهُ كيف يعتني بنفسهِ ويستعمل العلاج ويشرفن على ما حولهُ ويشرنَ بما يجب عملهُ لكي تتوفر لهُ الراحة فيستفيد هو ويستفيد اهل بيتهِ وجيرانهُ ايضاً من تعليمهنَّ . وهن والممرضات يبحثن في تاريخ كل مريض وعائلتهِ فيجمعن فوائد علمية كثيرة يستفيد منها دارسو علم الوراثة وعلم اصلاح النسل . وهذا شأن الممرضات اللواتي يستخدمنَ في المدارس وشأن الاطباء الذين يراقبون التلامذة فيها فانهم كلهم يراقبون ما يصيب التلامذة من الامراض والعاهات ويخبرون آباءهم او اوصياءهم بالطرق العلاجية التي يجب اتباعها ويعلمونهم كيف يقون اولادهم منها . ويقال مثل ذلك عن اطباء الاسنان الذين يُطلَب منهم في بعض المدن الاميركية ان يزوروا المدارس من وقت الى آخر ويفحصوا

اسنان التلامذة ويتوقف النجاح في علم طب الاسنان على كثير من المعارف البيولوجية . وسينتج عن ذلك كلهِ ان تقل آلام الناس وتزيد راحتهم وتقوى ابدانهم وتطول اعمارهم

ستأتي البقية

العود الى الفصد

كان مدار التداوي عند القدماء على امرين الاستحمام بالماء الحارّ واستخراج الدم من الجسم سواء كان ذلك بالفصد او الحجامة او الشرط . اما الحمامات الحارة فلا تزال من ضروريات الطب الحديث في علاج بعض الامراض ولكنهم اضافوا اليها الحمامات الباردة في علاج امراض اخرى لا تنفعها الحمامات الحارة بل تضرّها . واما استخراج الدم فقد اهمل من زمان طويل في البلاد المتمدنة وكان السبب الاعظم في اهمالهِ كثرة استعمالهِ بلا قاعدة ولا ضابط . فكلّ من شكا علة جيء لهُ بالفاصد والحجام فاعملا فيهِ المبضع والمشراط . وقد حرم ابن سيناء استفراغ الدم في الطفل والشيخ حيث قال :

والطفل ذو العامين ليس يحجمُ والشيخ ذو الستين عنهُ يُحجمُ

وفي الامثال « افرغ من حجّام ساباط » وساباط بلد في مدائن كسرى والمثل يضرب في البطالة والتعطل . قيل انهُ حجم كسرى مرة في سفرهِ فاعطاهُ عطاء اغناهُ عن الحجامة فلم يَعُد اليها فكان يقضي اوقاتهُ في اللهو والبطالة . وقيل انهُ كان يحجم من مرّ عليهِ من الجيش بدانق اي سدس درهم ديناً الى حين قفولهم . ومع ذلك يمرّ عليهِ الاسبوع والاسبوعان ولا يأتيهِ احد فكان يخرج امهُ ويحجمها لئلاَّ يعيَّر بالبطالة . فما زال ذلك دأبهُ حتى نزف دمها وماتت فصار مثلاً

ولم يكن القدماء يكتفون بفصد المرضى بل كانوا يفصدون الاصحاء مرة او مرتين في السنة . وبقي الفصد شائعاً في اوربا حتى اوائل القرن السابق ويقال انهُ عجل بموت وشنطون الرئيس الاول للولايات المتحدة الاميركية في اواخر القرن الثامن عشر . ولا يزال معوّل الدجّالين عليهِ في بلاد المشرق الى يومنا هذا

وجمهور الاطباء الآن على ان الفصد مفيد في بعض الامراض ولازم للحياة في امراض اخرى ولكن يجب ان لا يقدم عليهِ الأ بطريقة علمية ويجب ان تكون قاعدة الطبيب الذي يستعملهُ هذه « لا تعالج الداء فيموت المريض بل عالج المريض فيموت الداء » وهي قاعدة يجب

اتباعها في معالجة جميع الامراض ولكن كثيرين من الاطباء يهملونها جهلاً وتقصيراً .
وليكن اعتماد الطبيب او الجراح في ملاءمة الفصد وضرورة تكرارهِ ومقدار الدم المستخرج
على اعراض المرض التي تظهر كل مرة لا على اسم المرض . وليلاحظ بنية المريض وتركيبهُ
الفطري فلا يفصدهُ وهو في دور النزع ولا اذا كان الدم ضعيفاً والمرض مزمناً بل اذا كان
الدم مسموماً وكان الضغط في الاوعية الدموية شديداً وكان بطين القلب واذينهُ الايمنان
مفعمين دماً اسود من الدم المحتقن في الاوردة . وهذه المبادئ علّمها جالينوس او علّم
اكثرها في زمانهِ

وقد دلت الابحاث التي بحثها بعض مشاهير الاطباء حديثاً مثل ابل[1] ورونتري
وترنر من اطباء مدرسة جونس هبكنس الطبية في اميركا انهُ يمكن نزف ٢٢ اوقية طبية من
الجسم بلا ضرر ولكن اذا بلغ الدم المستخرج اكثر من ثلث دم الجسم كان ذلك عظيم الخطر
على المفصود لا لحرمان الجسم مقداراً كثيراً من الدم او مصلهِ — فان هذا سهل التجدد — بل
الخطر في تقليل الكريات او الخلايا الحمراء التي تعوم في السائل الدموي والتي وظيفتها حمل
الاكسجين وتوزيعهُ في الجسم حتى اقصى اطرافهِ . وتجديد هذه الكريات ليس بالامر
السهل . لذلك جرى الاطباء المذكورون في تجاربهم على استخراج مقادير كبيرة من
الحيوانات مراراً وتكراراً وفصل الكريات الحمراء عن السائل واستبدالهِ بشيء من محلول
« لوك » ثم حقن الجسم بالكريات والمحلول . فاثبتت تجاربهم في الحيوانات انهُ يمكن استخراج
السائل الدموي مراراً وبمقادير اعظم مما يمكن استخراجهُ منهُ بطرق الفصد العادية بشرط
ان تعاد الكريات الى الدم بعد حفظها في سائل ملائم لها كمحلول لوك المذكور

والمعروف في الطب على قول السينتفك اميركان ان الكريات التي تفصل عن السائل
الدموي يمكن حفظها الى خمسة ايام بالبرد الذي لا يتجاوز درجة الجمد من غير ان يتطرق
الفساد اليها فاذا حقن الجسم بها بعد ذلك عادت تعمل كالعادة . وهذا ما حمل مجلة الجمعية
الطبية الاميركية على القول انهُ يمكن حفظ الكريات بالثلج في غرف الاعمال الجراحية لحقن
الجسم بها عند الاقتضاء . ويمكن الالتجاء الى هذه الطريقة في استحضار المصل من الخيل
لاستعمالهِ في التطعيم الشافي من بعض الامراض . فبدلاً من استخراج بعض دم الفرس في
كل اسبوعين او نحو ذلك كما يفعلون الآن يمكن استخراج مقادير اعظم في فترات اقل اذا
حقن الفرس بعد كل فصدة بالكريات على ما تقدم

(١) انظر خلاصة ما كتبناهُ في هذا الموضوع في مقتطف اكتوبر الماضي

ابن بطوطه وبلاد السودان الغربي

(تابع ما قبلهُ)

واصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحر وغلبة الصفراء واجتهدنا في السير الى ان دخلنا الى مدينة تكدًا ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجوزلي واضافني قاضيها ابو ابرهيم اسحق الجاناتي وهو من الافاضل واضافني جعفر بن محمد المسُوفي ٠ وديار تكدًا مبنيَّة بالحجارة الحمر وماؤُها يجري على معادن النحاس فيتغير لونهُ وطعمهُ بذلك ٠ ولا زرع بها الاَّ يسير من القمح يأ كلهُ التجار والغرباء ويباع بحساب عشرين مدًّا من امدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المد ببلادنا وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدًّا بمثقال ذهب ٠ وهي كثيرة العقارب وعقاربها تقتل مَن كان صبياً لم يبلغ واما الرجال فقلما تقتلهم ٠ وقد لدغت يوماً وانا بها ولداً للشيخ سعيد بن علي عند الصبح فمات لحينهِ وحضرت جنازتهُ ٠ ولا شغل لاهل تكدًا غير التجارة يسافرون كل عام الى مصر ويجلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها ٠ ولاهلها رفاهية وسعة حال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك اهل مالي وايوالاتن ولا يبيعون المعلَّمات منهنَّ الاَّ نادراً وباثمن الكثير

ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليهِ في الارض ويأتون بهِ الى البلد فيسبكونهُ في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا سبكوهُ نحاساً احمر صنعوا منهُ قضباناً في طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب اربع مائة قضيب بمثقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة بمثقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحمل النحاس منها الى مدينة كُوبَر من بلاد الكفار والى زغاي والى بلاد بَرْنُو وهي على ميسرة اربعين يوماً من تكدًا واهلها مسلمون لهم ملك اسمهُ ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم الاَّ من وراء حجاب ٠ ومن هذه البلاد يؤْتى بالجواري الحسان والفتيان والثياب المجسدة ويحمل النحاس ايضاً منها الى جوجوة وبلاد المورتبين وسواها

ذكر سلطان تكدًا — وفي ايام اقامتي بها توجه القاضي ابو ابرهيم والخطيب محمد والمدرس ابو حفص والشيخ سعيد بن علي الى سلطان تكدًا وهو بربري يسمَّى إزار وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينهُ وبين التكركري وهو من سلاطين البربر ايضاً منازعة فذهبوا الى

الاصلاح بينهما فاردت ان القاهُ فاكتريت دليلاً وتوجهت اليهِ واعلمهُ المذكورون بقدومي فجاء اليَّ راكباً فرساً دون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديعة وعليهِ ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق ومعهُ اولاد اختهِ وهم الذين يرثون ملكهُ . فقمنا اليهِ وصافحناهُ وسأل عن حالي ومقدمي فأُعلم بذلك وانزلني في بيت من بيوت اليناطبين وهم كالوصفان عندنا وبعث اليَّ برأس غنم مشوي في السفود وقعب من حليب البقر . وكان في جوارنا بيت امهِ واختهِ فجاءتا الينا وسلّمتا علينا وكانت امهُ تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ويشربونهُ ذلك الوقت وبالغدو واما الطعام فلا يأكلونهُ ولا يعرفونهُ . واقمت عندهم ستة ايام وفي كل يوم يبعث الينا بكبشين مشويين عند الصباح والمساء واحسن اليَّ بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنهُ وعدت الى تكدّا

ذكر وصول الامر الكريم اليَّ — ولمّا عدت الى تكدّا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بامر مولانا امير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين آمراً لي بالوصول الى حضرتهِ العلية فقبّلتهُ وامتثلتهُ على الفور واشتريت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلث وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدّا وتوات انما يوجد اللحم واللبن والسمن يُشترى بالاثواب وخرجت من تكدّا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة اربع وخمسين (وسبعماية) في رفقة كبيرة فيهم جعفر التواتي وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدّا وفي الرفقة نحو ستماية خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكركري وهي ارض كثيرة الاعشاب يشتري بها الناس من برابرها الغنم و يقددون لحمها و يحملهُ اهل توات الى بلادهم . ودخلنا منها الى بريّة لا عمارة بها ولا ماء وهي مسيرة ثلاثة ايام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوماً في بريّة لا عمارة بها الا ان بها الماء ووصلنا الى الموضع الذي يفترق بهِ طريق غات الآخذ الى ديار مصر وطريق توات وهنالك احساء ماء يجري على الحديد فاذا غسل بهِ الثوب الابيض اسودّ لونهُ وسرنا من هنالك عشرة ايام ووصلنا الى بلاد هكّار وهم طائفة من البربر ملثّمون لا خير عندهم ولقينا احد كبرائهم فحبس القافلة حتى غرموا له اثواباً وسواها وكان وصولنا الى بلادهم في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيهِ ولا يعترضون القوافل واذا وجد سرّاقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا لهُ وكذلك جميع من بهذه الطريق من البرابر . وسرنا في بلاد هكّار شهراً وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعر ووصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد برابر اهل لثام كهؤلاء فاخبرونا باخبار بلادنا واعلمونا ان اولاد خراج وابن يغمور خالفوا وسكنوا تسابيت من توات فخاف اهل القافلة من ذلك . ثم

وصلنا الى بودا بضم الباء الموحدة وهي من اكبر قرى توات وارضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيّب لكن اهلها يفضلونهُ على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب واكل اهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يختزنونهُ كما يختزن التمر ويقتاتون بهِ ويخرجون الى صيدهِ قبل طلوع الشمس فانهُ لا يطير اذ ذاك لاجل البرد . واقمنا ببودا اياماً ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في اوسط ذي القعدة الى مدينة سجلماسة وخرجت منها في ثاني ذي الحجة وذلك اوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخارى وسمرقند وخراسان وبلاد الاتراك فلم أرَ اصعب من طريق أم جنيبة . ووصلنا ليلة عيد الاضحى الى دار الطمع فاقمت هنالك يوم الاضحى ثم خرجت فوصلت الى حضرة فاس حضرة مولانا امير المؤمنين ايدهُ الله فقبّلت يدهُ الكريمة وتيمنت بمشاهدة وجههِ المبارك واقمت في كنف احسانهِ بعد طول الرحلة والله تعالى يشكر ما اولانيهِ من جزيل احسانهِ وسابغ امتنانهِ ويديم ايامهُ ويمتع المسلمين بطول بقائهِ . وهاهنا انتهت الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبع مائة والحمد لله وسلام على عبادهِ الذين اصطفى »

انتهى ما نقلناهُ من رحلة ابن بطوطه الى بلاد السودان الغربي وهي آخر رحلاتهِ . ويرى الناظر فيها انها مفعمة بالفوائد عن حال سكان تلك البلاد في عصرهِ . واول شيء ينتبه لهُ ان سكان تلك البلاد كانوا في ذلك العصر ارقى مما صاروا اليهِ في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر حينما دخلها الاوربيون . وانهم كانوا مسلمين في الغالب يكرمون رجال العلم ويأتيهم القضاة والمعلمون من المغرب الاقصى والقطر المصري والشامي فيجازون عندهم على الرحب والسعة . وان شأن المرأة كان رفيعاً عندهم مساوياً لشأن الرجل . وقد قال ابن بطوطه ان البنات كنَّ يخرجن عرايا ولعلَّ الشبان كانوا كذلك وهذه هي الحال الآن في اواسط افريقية والعفَّة هناك ليست دون ما هي عليهِ في البلدان التي يلبس رجالها ونساؤها افخر الملابس واسترها للجسم . ويعجبنا ما قالهُ لهُ احد التجار في ابوالاتن وهو ان مصاحبة النساء للرجال عندهم على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها . وقال هو قبيل ذلك ان السكان هناك مسلمون محافظون على الصلوات وتعلُّم الفقه وحفظ القرآن واما نساؤهم فلا يحتشمنَ من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهنَّ على الصلوات

ومما يستحق الذكر ايضاً امتداد التجارة في ذلك العصر بين السودان الغربي وسائر الاقطار الافريقية والشرقية . وحبذا لو عني احد الباحثين بتفصيل هذه المواضيع

مصر منذ تسعين سنة

للسائح الفرنسوي دي نرفال

(٤)

الوكيل

كان اليهودي يوسف التاجر الذي ذكرتهُ فيما سبق يأتي لزيارتي احياناً كثيرة ويظهر لي التودد فيجلس على « ديواني » ويشرب القهوة ويدخن . فيوماً ما اتاني قائلاً :

علمت انك تفتش عن امرأة فاحضرت لك « الوكيل » . فاجبتهُ ومن هو الوكيل ؟ قال هو الواسطة بين الرجل الراغب في الزواج وبين اهل البنات وهو شيخ جليل ينفعك في هذه المسألة . وقد رجوت منهُ نيابة عنك ان يرى بنتاً موافقة لك وصالحة للزواج . فقلت لهُ ولكنني لا اريد ان اعقد زواجاً في مصر . قال لست مضطراً لعقد الزواج الاَّ الى اجل محدود . قلت لا اريد ان اتسرى او ان اسكن مع امرأة على غير سنة الزواج ولربما كانت من النساء الفاجرات . قال كلا ليس الآن في القاهرة سوى النساء الاحرار لان سعادة افندينا نفى كل عواهر مصر الى اسنا والشلال وطهر مصر منهنَّ . قلت ائتيني اذاً بالوكيل فدخل الوكيل وهو كما قال يوسف شيخ اعمى يقودهُ ابنهُ وهيأتهُ تدل على الاستقامة والرصانة . وقيل لي ان الوكيل لا يكون في الغالب الاَّ من العميان ليسهل عليهِ الدخول الى بيوت الاسر ومقابلة اهل البنات الراغبات في الزواج . فاستأجرنا الحمير وركبنا قاصدين الذهاب الى بيت رجل قبطي وعندهُ بنات صالحات للزواج . وكان الوكيل قبل حضورهِ اليَّ قد كلمهُ بشأني فضرب لهُ موعداً لارى البنت . والعادة ان الخاطب لا يمكنهُ ان يرى وجه خطيبتهِ ولا يعرف هيئتها وشكلها الاَّ انهُ يرسل نساء من اهلهِ فيرينها ويصفنها لهُ . ولكنني اشترطت على الوكيل ان ارى الفتاة اذ ليس لي من اثق بهِ في هذه المهمَّة فلم يتردد ابو الفتاة في قبول هذا الشرط العادل تسامحاً . وبينما نحن سائرون قال لي يوسف مترجماً كلام الوكيل انهُ يمكنني ان اتزوج في مصر على اربع طرق مختلفة . فقلت وما هي ؟ فاجاب ان الطريقة الاولى هي ان اتزوج بفتاة قبطية بعقد اسلامي . وذلك ان يأتي بشيخ يقال لهُ المأذون فيكتب لك عقد الزواج بشهادة بعض الشهود واثبات القاضي

ولست مرغماً بهذا العقد على انتحال الدين الاسلامي . ولكن ليس كل القبطيات يرتضين بهذا العقد بل يرضى بهِ الاَّ المتهتكات والفقيرات

واما الثانية فهي ان يعقد زواجك قسيس قبطي بشرط ان تدفع المهر وتحدد مبلغاً موَجلاً تدفعهُ لزوجتك اذا شئت فيما بعد ان ترجع الى بلادك وتتركها هنا عند اهلها . قلت من العدل ان يدفع المهر في هذه الحالة ولكن كم مقدارهُ . قال بحسب منزلتك ومقدرتك المالية من مئة غرش الى مئتين فقط ! فقلت في نفسي خمسون فرنكاً انها لصفقة رابحة ! قال وتدفع ايضاً مبلغاً مضاعفاً اذا تركتها . ولكن بهذه الطريقة لا يمكنك ان تتزوج الاَّ بابنة فقيرة من اسرة وضيعة . واما ان شئت ان تتزوج بفتاة جميلة من اسرة وجيهة فيجب ان يعقد زواجك قسيسو الاقباط في الكنيسة وان تتبع مذهبها . وفي هذه الحالة يكون زواجك مرتبطاً بحياتك لا يمكنك ان تطلق امرأتك ولا ان تتخذ بها بديلاً . ولا تقدر ان تتركها وترجع الى بلادك او تدفع غرامة باهظة . قلت لا يمكنني ان اتزوج على هذه الطريقة

واما الطريقة الثالثة فهي ان تتزوج على مذهبك اللاتيني عن يد قسيسي الافرنج وهذا الزواج كما تعلم يجعلك مرتبطاً بزوجتك طول ايام حياتك ويجعلها مضطرة ان تتبعك اينما سرت قلت لا لا . دعني من هذه الطريقة . وماذا ايضاً ؟

قال واما الرابعة فالزواج المدني عن يد قنصل حكومتك واذا كان لك صلة معرفة اوصداقة باحد موظفي القنصلية فيمكنهُ ان يضيف الى عقد زواجك شرطاً يجعلك حرًّا مطلقاً اذا شئت الرجوع الى بلادك

واستمر الحديث بيني وبين الوكيل بواسطة يوسف اليهودي الى ان وصلنا الى منتهى حارة الاقباط تجاه الازبكية عند طريق مدينة بولاق . فدخلنا في بيت ظاهرهُ حقير مبني بالطوب في سوق تباع فيها اللحوم والفاكهة (ربما كانت سوق النصارى الآن) . وقال لي الوكيل ان هذا البيت ليس لابي الفتاة بل لاحد اقاربها وسترى فيهِ ابنتين فاختر واحدة منهما . فقلت لهُ ولكني انذرك من الآن اني لا ادخل اذا كانتا تقابلانني وهما محجبتان . فقال كن مطمئناً فقد كلمت اهل البنات بذلك وقرروا فيما بينهم ان ليس من حرج اذا رآهما افرنجي سافرتين مرة واحدة . فدخلنا الى دهليز مظلم ثم الى « مندرة » مفروشة بحصيرة فوقها « طراحة » . وعلى الطراحة اربعة رجال « متربعون » وكلهم بملابس زرقاء . فخشيت ان

يكون الوكيل قد اوقعني في كمين ولكن وجود البيت بالقرب من السوق جعلني اطمئن . ثم صعدنا الى عليّة نوافذها مطلة الى الخارج ومغطاة بشعريات ومشربيات بارزة فجلسنا على مقاعد واطئة ونظرت حولي فاذا كوّة صغيرة مفتوحة في الجدار وعليها حاجز من خشب مثقوب فعلمت ان في الغرفة الاخرى مسكن النساء يريننا ولا نراهن . فجسلنا وجلس بجانبي يوسف اما الوكيل الاعمى وابنهُ فجلسا القرفصاء امامي و بعد هنيهة دخل شيخ جليل باللحية بيضاء طويلة وعلى رأسهِ عمامة سوداء قيل لي انهُ قسيس قبطي ثم دخل عم الفتاة او خالها وامرأة اخرى قيل لي انها « الوكيلة » او الخاطبة . وقالت ان الصبيتين تستعدان للدخول وقدمت لنا خلال ذلك القهوة والشبقات . و بعد برهة طويلة دخلت امرأتان محجّبتان قيل لي انهما امَّا الفتاتين . ولبثتا واقفتين عند الباب فدعوتهما للجلوس فأبتا وقال لي يوسف عن لسانهما انهما خادمتاي وتقفان احتراماً لي . ثم دخلت صبيتان مكشوفتا الوجه فتقدمتا وحنتا رأسهما امامي وقبلتا يديّ فاشرت اليهما بالجلوس عن جانبي فأبتا كل الاباء وقال لي يوسف عن لسان الحاضرين دعهما فانهما جاريتاك .

فلم اود كرجل فرنسوي ان ادع الفتاتين واقفتين امامي كجاريتين ولبثت مدة طويلة اشدد في الطلب وقال لي يوسف ان العادات الشرقية تمنع النساء والبنات من الجلوس امام الرجال تأدباً واحتراماً وخصوصاً في محل مثل هذا فلم اذعن لهذه العادة المغايرة لذوقي وآدابي الغربية . واخيراً بعد مشاحنة طويلة جلستا . وكانتا متزيتين بثوب زاهٍ من القماش المعروف بالشيت فوقهُ رداء من « الموصلين المخرّم » وعلى رأس كل منهما طربوش احمر حولهُ قطع نقود « الغوازي » وعليهِ شرائط الحرير وتتدلى من اطرافهِ صفوف من « البندقيات » « والمحموديات » الذهبية وربما كانت من النحاس المموّه بالذهب . وكانت احداهما سمراء اللون سوداء الشعر والاخرى شقراء بيضاء . فالاولى تمثل العنصر المصري القديم وهي نحيفة الجسم طويلة القامة كالنخلة بعينين سوداوين يصفها شعراء الشرق « بقامة كغصن البان وعيون المهي والغزلان » واما الشقراء فغضة الجسم بدينة ذات بشرة ناصعة البياض ادهشني وجود مثلها في مثل هذا المكان . فمالت عواطفي الى هذه الاخيرة وصرت الاطفها واطري محاسنها ولم اهمل السمراء من التلطف والمجاملة تأدباً . ولبثت مدة ساعة انتقل في الحديث بين الفتاتين واهلهما الآ اني لم اشر الى الزواج ولم اصرح برغبتي في من اخترتها عروساً لي واخيراً قال لي يوسف علامَ عولت . قلت سأتروى في هذه المسألة وسارجع مرة اخرى لارى الفتاة الشقراء ايضاً وحينئذٍ اصرح بقصدي . فلم يقتنع القسيس القبطي ولا اهل

الفتاتين بجوابي هذا الغامض واصروا ان اعلن عزمي فاجبتهم اني سأزورهم مرة اخرى وانهي المسألة · ورأيت انهم لم يثقوا بكلامي كل الثقة · ولما ودعتهم وخرجت رأيت في فسحة الدار الفتاة الشقراء تصلح نقابها وقد ظهر محياها وشعرها الذهبي بعد ان سقط طربوشها فتظاهرت بالخجل ونظرت اليَّ بابتسامة فاتنة تغلبت على ارادتي وعواطفي فالتفتُّ الى يوسف وقلت لهُ قل لهم اني سارسل في الغد بعض الهدايا لهذه العروس الشقراء واني ساتزوجها على الطريقة الاسلامية امام المأذون الشرعي

فلما نقل كلامي الى ام الفتاة اظهرت الغضب والانفة واجابت لا ازوج ابنتي الأ في الكنيسة عن يد القسيس القبطي فنحن من اسرة معروفة ورجالنا كتبة في دوائر الحكام · فقلت ليوسف سلها عن بعلها · فاجابت ان بعلي كان كاتباً في دائرة الباشا ومات منذ بضع سنين وهي لم تبلغ السادسة عشرة من عمرها ولم تتزوج سوى مرة واحدة · فصرخت بدهشة فهذه الفتاة ارملة اذاً ؟ فاجابت كلا بل مطلقة · قلت فقل لهم اذاً اني عدلت عن الزواج · فخرجت وانا افكر في هذا الامر الغريب المدهش ومع ذلك لم انكث بوعدي فارسلت في اليوم التالي الى الفتاتين قطعتين من القماش هدية

وكان الوكيل الاعمى يتردد اليَّ في كل يوم ويعرض عليَّ فتيات للزواج وكلهنَّ من الامر القبطية وكنت اذهب معهُ وأزورهنَّ والحالة واحدة كما شرحتها في الزيارة الاولى من التجمل والاستقبال والحديث ولم اغفل قط عن ارسال الهدايا الى كل فتاة تقدم لي · وشاع امري في حارة الاقباط كلها فلم تأنف اسرة من قبول زيارتي حتى ان ارملة فقيرة احضرت ابنتها الى منزلي لاراها وعرضتها لتكون زوجة لي حسب الطريقة التي اختارها فرأيتها لا تصلح لي وصرفتها بعد ان زودتها بهدية

جنينة رشيد

ساء البربري ابراهيم الذي وضعهُ عندي الترجمان عبد الله عوضاً عنهُ تردد يوسف اليهودي والوكيل القبطي الى منزلي فاحضر لي يوماً ما شابًّا مصريًّا اسمهُ محمود وقال لي انهُ وكيل الزواج وان لهُ معرفة باسر وجيهة قبطية ورومية وعرض عليَّ فتيات اكثر وجاهة واعلى منزلة من الفتيات اللواتي عرضت عليَّ اولاً · وذكر لي فتاة من اسرة وجيهة غنية لا يتجاوز عمرها الخمسة عشر ربيعاً ولكن اهلها يشترطون عليَّ ان اتزوج بها عن يد قنصل دولتي فقلت لهُ انها صغيرة السن لا تليق بمن يتجاوز الثلاثين سنة من عمره · فاجاب هذه هي السن

اللائقة للزواج هنا وقلما تجد فتاة تجاوزت هذه السن الاَّ وتكون ارملة او مطلقة واهل هذه الفتاة عَلِموا بمنزلتك ورتبتك ورغبوا في مصاهرتك لانك ساكن وحدك في بيت كان يسكن فيهِ قبلك سائح انكليزي واجرتهُ السنوية ثلاثمائة غرش وكل الاقباط في هذا الحي يحسبونك جنرالاً او شريفاً بين قومك او حاكماً

قلت ولكني لست جنرالاً ولا حاكماً . قال يرون انك لا تعمل عملاً ولست بذي مهنة ولا تاجراً فلا بد ان تكون من ذوي الالقاب او الاملاك ويقولون انك « امير لواء » . وقد علمت ان رتبة امير لواء تعادل عندنا رتبة جنرال في الجيش وعزمت ان ازور هذه الاسرة الوجيهة التي تحسبني كفوءًا لها في الزواج . فركبنا الحمير واخذني الوكيل محمود الى الموسكي ثم انعطفنا شمالاً الى نواحي جنينة رشيد (درب الجنينة) فقرع محمود باب منزل وحضرت جارية سوداء وفتحت لنا ولما رأتنا اظهرت السرور . ثم رقيت السلم وكانت تصفق بيديها معلنة تشريف « الميرلوا » وسمعت فتح ابواب واغلاق ابواب ولغطاً كثيراً . واخيراً وصلنا الى الطبقة العليا فاستقبلنا هناك رجل ببزة نظيفة وهيأة تدل على الوجاهة وعلى كتفهِ « مشلح » من الكشمير فرحب بنا وادخلنا الى مقصورة مفروشة بالفاخر الرياش والسجاجيد العجمية وكان هناك غلام يافع طلق المحيا عرفني بهِ وقال انهُ ابنهُ . ثم دخلت علينا امرأة جميلة الهيأة في الثلاثين من عمرها فحيتني بتأدب وقدمت لي ولزوجها وللوكيل الشبقات والقهوة وعلمت من حديث صاحب الدار عن لسان ترجماني ابراهيم ان منشأ هذه الاسرة من الصعيد الاعلى من نواحي سوهاج وطهطا وهم من الاقباط الذين دخلوا حديثاً في المذهب الكاثوليكي . وبعد هنيهة دخلت فتاة صغيرة بين جاريتين فحيتني كالعادة ثم اخذت من جاريتها صينية كبيرة عليها المربى في اطباق من البلور يؤخذ بملاعق صغيرة من الفضة . ثم جلست بالقرب من امها وقد ابت اولاً ان تجلس امامي . فحدقت نظري فيها فاذا هي لم تزل صغيرة ولم تكد تبلغ سن الحلم ولا تكامل نمو جسمها وبينها وبين امها شبه تام كأنها صورة مصغرة لها . وقالت لي انها تعلمت القراءة في مدرسة الراهبات الفرنسيسكانيات واخذت عنهن بعض كلمات ايطالية . وحقيقة رأيت في هذه الاسرة ماسرني من الادب والحشمة واعلمني ابو الفتاة بانهُ لا يقبل ان يزوج ابنتهُ الاَّ في دير الافرنج او عن يد قنصل فرنسا فوعدتهُ بالجواب النهائي بعد التروي . ثم خرجت من هناك مودعاً شاكراً لطفهم

وفي اليوم التالي كان احد « الشعانين » عند الافرنج ووافق في هذه السنة عيد الفصح عند اليهود . وفي هذا العيد يحمل النصارى سعف النخل والزيتون في الكنائس ففي مساء

هذا اليوم قصدت النزهة في حديقة وراء الموسكي يقال لها جنائن رشيد بالقرب من درب الجنينة يقصدها اهالي القاهرة عموماً للنزهة بين بساتين نضرة وحدائق غناء تجري المياه في وسطها في سواقٍ و بحيرات وتروى من النيل في شهور الفيضان . وهناك سواقٍ تدار بواسطة الثيران فتخرج المياه من آبارها في ادلاء مربوطة فيها ويسمع منها في دورانها نغم شجي كسجع الحمام . وهذه الغيطان الخصبة واقعة بين حيّ الافرنج وحارة الاقباط (وهي البقعة الكائنة الآن بين محل ستين ومحكمة الموسكي وبنك الرهونات قرب البوابة القديمة لحي الافرنج والمعروفة الآن بدرب الجنينة ودرب البرابرة) وبين هذه الحدائق بيوت بعض القناصل وبيت الدكتور كلوت بك طبيب الباشا الحاكم وغيرهم من الافرنج وهناك بساتين الليمون والبرتقال واشجار النخل والموز والجميز

فقصدت في ذلك اليوم تلك الجنائن والدخول اليها من حديقة البيت الذي يقطنهُ قنصل دولة سردينيا و يجب نقد البواب والبستاني بعض دريهات حسب العادة . ثم دخلت الى حديقة نضرة مسوّرة وهي للدكتور كلوت بك جعل قسماً منها لتربية النعام والزراف والغزلان واقام بعض النوبيين على حراستها والقسم الاخر يزرع فيهِ شجر التوت لتربية الحرير . فادى بنا السير الى منعطفات بين الغيطان ودخلنا الى حديقة اخرى لبعض القناصل مزروعة موزاً وهناك بحيرة واسعة وكشك تحت دوالي العنب مدعوم باعمدة من خشب لجلوس المتنزهين . وهذه المتنزهات قاصرة غالباً على النساء ففي يوم الجمعة للمسلمات و يوم السبت للاسرائيليات و يوم الاحد للمسيحيات عموماً . فالاوليات يأتين محجبات اما الاخريات فسافرات الوجوه الاّ اذا مرّ امامهنّ رجل فيسدلن النقاب على وجوههن وكثيراً ما يأتين الى هناك ومعهن خادماتهن يحملن حصيراً او سجادة يجلسن عليها وسلالاً مملوءة من الاطعمة والحلوى

فلما وصلت الى هناك رأيت النساء زمراً زمراً بين الحدائق تحت ظلال الاشجار او على ضفاف السواقي فقصدت مكاناً منفرداً وجلست على جذع نخلة ساقطة . وفيما انا كذلك اذا بفلاح اقبل نحوي وهو يضحك متودداً فلما تفرست فيهِ عرفتهُ وهو اخو العروس الصعيدية التي رأيتها بالامس فكلمني كلاماً لم افهمهُ واخيراً فهمت من اشارتهِ انهُ يدعوني للدخول الى الكشك فاخذني الى هناك واشار اليَّ ان لا انتقل من موضعي . ثم تركني وذهب وبعد هنيهة رجع تتبعهُ امرأتان محجبتان فدخلتا ورفعتا النقاب عن وجهيهما فاذا هما العروس

وامها فنهضت وحييتها بلطف ودعوتهما للجلوس فجلستا وكانت اشارات الايدي والعيون تقوم مقام الحديث بيننا · واخيراً تذكرت ان الفتاة قالت لي انها تعلمت شيئاً من الايطالية في مدرسة الراهبات فكلمتها بها فاذا هي لا تحسن النطق الاَّ ببعض جمل يسيرة مشوبة بلهجة عربية · واشرت الى احدى اشجار النخل وقلت لها بالايطالية — في هذا اليوم عيد النخل فخرجت الى الحديقة واتت بغصنٍ صغير من نخلة وقالت لي « ايوسونو رومانو · ميافستا » · فعلمت ان مرادها انها كاثوليكية تابعة للكنيسة الرومانية وان هذا اليوم عيد عندها لان عيد الشعانين عند الاقباط الارثوذكس لم يكن بعدُ · وفي نظر نصارى الشرق ان كل الافرنج رومانيون · كأَنها تقول لي تلميحاً ان لا مانع ديني من زواجي بها في كنيسة الافرنج

وعند الغروب ودعت الام وابنتها بعد ان وعدتهما بزيارة اخرى وخرجت من جنائن رشيد قاصداً مشاورة قنصلي واصدقائي في امر زواجي · وفي اليوم التالي ذهبت الى صديقي سليمان آغا وكلمتهُ بهذا الشأن فقال لي « تزوج حسب شريعتك » ولما شاورت صديقي المصور مارلهات قال لي « تزوج كيفما شئت بشرط ان لا يكون العقد مدنيًّا في القنصلاتو » فرأَيت الصواب في كلامهِ · ترى هل جننت حتى اتزوج عن يد القنصل او في دير الافرنج زواجاً ابديًّا بفتاة صغيرة جاهلة في الخامسة عشرة من عمرها ؟ وهل استطيع ان اتحمل عبء هذه المسأولية ماديًّا وادبيًّا كل ايام حياتي ؟

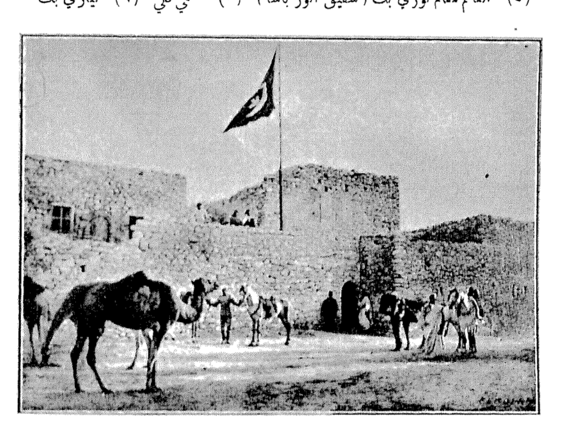
فعزمت ان أَقطع كل صلة مع هذه الاسرة وارسلت هدية لائقة الى الفتاة وصرحت لاهلها بواسطة الوكيل اني لا اتزوج بفتاة تحسب كابنتي · وبعد يومين حضر ترجماني عبدالله من السويس ورأَيتهُ ناقماً عليَّ اذ قال لي هذا ما كنت اخشاهُ فقد اغتنموا فرصة تغيبي عنك وخدعوك وارادوا ان يزوّجوك بفتاة صغيرة عن يد القنصل · فقلت لهُ ولكني صرفتهم بالحسنى وعدلت عن الزواج · قال نعم ما فعلت · وقد قال لي محمود انهم طلبوا منك مهراً · قلت كم كانوا يؤَملون مني · قال عشرين الف غرش لانهم يحسبونك غنيًّا شريفاً · فعدلت عن الزواج لما فيهِ من المصاعب واتبعت مشورة عبدالله وهي ان اشتري جارية من سوق الجواري لتقوم بخدمة منزلي مدة اقامتي في مصر

ديمتري نقولا



وفد انور الى السيد السنوسي

(١) الدكتور عبد الغني بك (٢) احمد صوان (٣) الدكتور حافظ عفيفي
(٤) القائم مقام نوري بك (شقيق انور باشا) (٥) فهمي علي (٦) نيازي بك



محل نزول وفد انور في جغبوب

مقتطف ابريل ١٩١٦
امام الصفحة ٣٦٣

السيد السنوسي وتخوم مصر الغربية

مهما تكن الاسباب التي حملت دول اوربا على هذه الحرب الضروس فلم يكن ثمت موجب لاشتراك تركيا معهنَّ فيها لان ليس لها مغنم منها ولا هي مضطرة اليها ولا تعود عنها الاَّ بالخسران سواءٌ كان الفوز للحلفاء او لدول الاتحاد الالماني. وما يقال عن تركيا بنوع خاص يقال بنوع اخص عن قبائل العرب المؤتمرة بامر السيد السنوسي سواءٌ كان هجومها على التخوم المصرية برضاهُ او بغير رضاهُ

ولقد اهتمت الحكومة العثمانية بامر السيد السنوسي في عهد الحرب الطرابلسيَّة لكي يساعدها على الايطاليين . وفي شهر مايو من سنة ١٩١٢ علم انور بك (وكان يومئذٍ في درنه يحارب الايطاليين) ان السيد السنوسي قادم من كفرة الى جغبوب لزيارة مقام جدهِ راس الطريقة السنوسية . فانتدب وفداً للسلام عليهِ وكان الوفد مؤَلفاً من البكباشي نوري بك رئيساً (شقيق انور) . والدكتور عبد الغني بك المفتش الصحي لفرقة درنه والقائم مقام احمد بك صوان ونحو ٢٠ جنديًّا من البيادة و ٤ من السواري . وكان مع الوفد ٢٧ جملاً ٢٠ منها لحمل الماء

اما جغبوب فعلى ٤٠٠ كيلو متر من درنه جنوبًا بشرق . وتقطع القوافل هذه المسافة في ١١ يوماً . وقد قصَّ الدكتور عبد الغني بك خبر تلك الرحلة فقال ما خلاصتهُ منقولاً عما جاء في جريدة الاستراسيون الفرنسوية بقلم المسيو ديمون

نزلنا في مساء اليوم الاول من رحلتنا في مكان يقال لهُ العزية وهو الزاوية الثانية التي بناها السيد السنوسي الاكبر . وقد بناها على اطلال قلعة يونانية رومانية . وفي هذه الزاوية نحو ١٥ بيتاً و ٤٠ نفساً

وفي اليوم التالي غادرناها فبلغنا بعد اربعة ايام آبار «أُقيم» وهي خمس وعليها حارس اسود من قبَل السيد السنوسي للعناية بالآبار وتوزيع الماء منها بالقسط . وقد قال لنا ان ماء الآبار لا يجف ولو بلغ القيظ غايتهُ . اما الماء فعذب امر السيد السنوسي بان لا يشرب منهُ الاَّ السيَّاح والذين يقصدون جغبوب لزيارة ضريح السنوسي الاكبر . ولكن رجال القوافل والتجار الذين ينقلون التمر من سيوى الى بنغازي يشربون منهُ ويسقون جمالهم ويملأُون قربهم مقابل نقود يدفعونها الى الحارس

ثم غادرنا اقيم فبلغنا محطة «الضيف» بعد ثلاثة ايام وكنا نسري ليلاً تفاديًا من هجير النهار ونهتدي في سرانا بالنجوم لا غير . وكان دليلنا رجل من العرب اجرتهُ ٤ جنيهات في الشهر .

وارض الضيف منثورة بعظام القطمان التي يأتي بها زائرو مقام السيد السنوسي لينحروها . وذلك انهم يبلغون الضيف وخرافهم على آخر رمق من فرط العطش وكثيراً ما لا يجدون الماء الكافي لها فتموت بالالوف قبل نحرها في جغبوب . ومثل هذا قد يصيب تجار الغنم في مسيرهم من الغرب الى القطر المصري

وبعد مسيرة يومين بلغنا بئراً يقال لها ثانية الضيف حفرها السيد السنوسي الحالي ولكن ماءها كبريتي لا يسوغ شربهُ الاَّ الجمال . ثم بلغنا جغبوب بعد نصف يوم

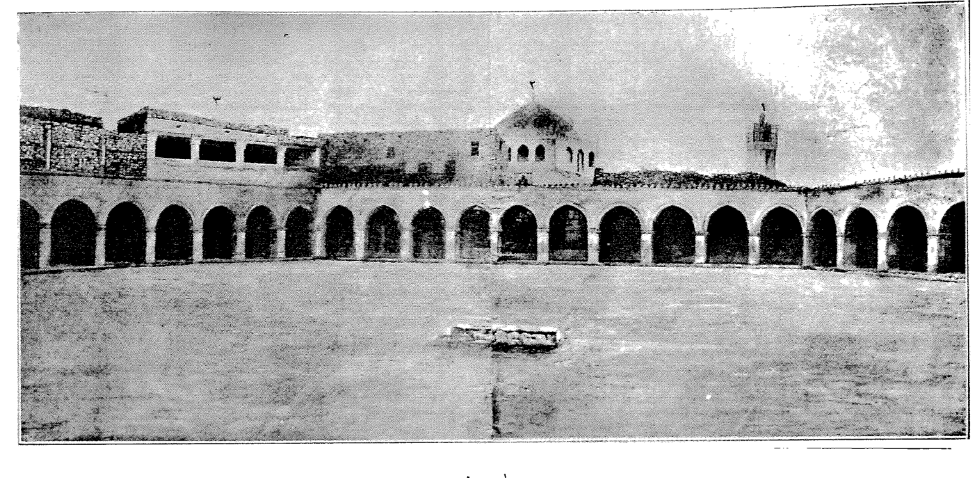
وقبل وصولنا اليها التقطت من وجه الصحراء كثيراً من الاصداف البحرية المتحجرة على اختلاف انواعها ومن عظام الانسان والحيوان حتى صار لديَّ مجموعة بديعة النظام . ولكنني اضطررت ان اترك جانباً كبيراً منها لما تركنا برقة على عجل بعد نشوب الحرب بين الدولة العثمانية وممالك البلقان . اما الاشياء المهمة منها فعهدت فيها الى نوري بك فجاء بها الى الاستانة

استقبلنا في جغبوب شيخ الزاوية سيدي محمد التني فاعطانا منزلاً لنقيم فيهِ نحن وسائر الذين معنا . وهو وكيل السنوسي في جغبوب ينتمي الى عائلة قديمة جدًّا ومعهُ فرمان من السلطان منحهُ فيهِ وحدهُ امتيازاً بالاتجار بسنّ الفيل في طرابلس . وهو تاجر غنيّ اصلهُ من قدامس ولكنهُ اختلف مع الوالي نفرَّ الى جغبوب . اما ما علمتهُ عن السيد السنوسي وطريقتهِ وجغبوب فيلخَّص بما يلي

في سنة ١٢٧٣ هجرية الموافقة سنة ١٨٥٨ ميلادية بنى السنوسي الاكبر سيدي محمد زاوية صغيرة هناك . وهو جزائري عالم وزاهد حجَّ البيت مراراً . وقد اكرمت القبائل لقياهُ فجعل يشرح لهم الكتاب حتى طار صيتهُ في العلم والتقوى كل مطار . ولما رأى ماهم عليهِ من الجهل والغباوة بنى لهم في الجبل الاخضر زاوية سماها الزاوية البيضاء وطفق يلقنهم العلم ثم انشأ طريقة امتدت شيئاً فشيئاً حتى انتشرت في معظم العالم الاسلامي وتوفي في جغبوب ودفن فيها . فبنى لهُ ابنهُ مقاماً فخماً بمال يقال ان اسماعيل باشا اعطاهُ اياهُ

وقد خلف سيدي محمد السنوسي ابنين — سيدي المهدي وسيدي محمد الشريف . اما سيدي المهدي الذي خلفهُ فلهُ ابنان ايضاً وهما سيدي رضا وسيدي ادريس . واما سيدي محمد الشريف فلهُ خمسة اولهم سيدي احمد الشريف وهو السنوسي الحالي

وسكان جغبوب الآن ٣٥٠ نسمة وليس فيها تجارة ولا بيع . بل ليس هناك دكان ولا قهوة والمكان كلهُ اشبه الامكنة باديرة الرهبان . ومعظم اهل المكان رجال متعبدون استأذنوا



جامع جغبوب

(١) المأذنة (٢) ضريح السنوسي الاكبر (٣) منزل السيد السنوسي الحالي

مقتطف ابريل ١٩١٦
امام الصفحة ٣٦٥

السيد السنوسي في السكنى هناك هم واهلهم فلا يخرجون منهُ الاَّ باذنهِ ولا عمل لهم الاَّ العبادة والذكر

والقبائل ترسل بعض ابنائها الى مدرسة هناك متصلة بالجامع لدرس القرآن وهم يأتون بزادهم وفراشهم معهم · اما الزاد فأكياس من الشعير يسندونها الى جدران غرفهم و يصنعون خبزهم وادامهم منها · واما فراشهم فملاءة يلتحفونها وحصيرة يفترشونها وهذا كافٍ للذين انصرفوا الى الدرس والعبادة · وفي الزاوية ايضاً ٨٠ عبداً اسود للخدمة في الجامع والضريح وما اليهما من الحدائق · والزاوية تعطي كلاًّ منهم ٥ كيلو غرامات من الشعير في الاسبوع

والجامع كبير طول صحنهِ ٣٥ متراً وعرضهُ ٣٠ وعلى جوانبهِ اروقة فيها ابواب مصاريعها من الخشب الهندي المجزع المنقوش أُتي بها من بلاد الهند و يدخل منها الى بلاط الجامع وهو قائم على اساطين طويلة طول كل اسطوانة منها سبعة امتار عليها سطح مقبب مستدير ويوصل من البلاط الى هيكل الجامع · وهناك تربة السيد محمد السنوسي وتابوتهُ من الخشب تحتهُ قطعة كبيرة من الرخام يحيط بها درابزون من النحاس لهُ باب مصفح بصفائح الفضة وقد كتب عليه نسبهُ

وكان سكان جغبوب في عهد السنوسي الثاني سيدي المهدي ٣ آلاف نسمة · فحفر الآبار الارتوازية وزرع بساتين النخل والرمان وكروم الزيتون والمباطخ حتى كان منها حدائق غنّاء · وسنة ١٨٩٦ غادر جغبوب قلقاً من جوار الانكليز والترك واوغل في الصحراء مسيرة ١٥ يوماً حتى وقف عند كفرة · وما كاد يخرج من جغبوب حتى تبعهُ معظم اهلها و بقيت جغبوب مزاراً للسنوسية فلا يسمَّى حاجًّا من يحج الكعبة ما لم يزر قبر السنوسي ايضاً

وارسل السلطان عبد الحميد وفداً للسلام على السنوسي الاكبر برآسة صادق باشا و بطريق مصر وواحة سيوى · وعاد فارسلهُ ثانية للسلام على السنوسي الثاني في كفره · وانما حدا بعبد الحميد على ارسال الوفود الى السنوسي اولاً وثانياً خوفهُ من السنوسية لاشدة حب السنوسي فسلط عليها منافساً ينافسها وهو الشيخ ظافر مؤسس الطريقة الظافرية فبنى هذا بعض الزوايا في برقة ولكن نفوذ طريقتهِ لم يتجاوز جدران زواياها

وبقي وفد انور في جغبوب ثلاثة اشهر يترقب وصول السيد السنوسي · وكان الحرّ قد اشتد الى درجة لا تطاق ولكن اعتدال الليالي كان يخفف عنا بعض ما كنا نعاني من الحرّ وكان طعامنا خبز الشعير وشرابنا ماء الآبار الآسن فلازمتنا الدوسنطاريا ولم تفارقنا · واذا اقبل احد الكبراء لزيارة الضريح نحروا لهُ جملاً او جملين وفرقوا لحمهما على اهل جغبوب · وكنا ندخن سرًّا لان السنوسي حرَّم التدخين ولكن اهل المكان دروا بنا وشكونا

اليهِ ليمنعنا من التدخين · وفي جغبوب بعض النساء على ما علمنا ولكننا لم نرَ واحدة منهنَّ ولو محجبة · واتفق ذات يوم اني صورت بعض المشايخ بآلة فوتوغرافية صغيرة كانت معي · ولما كانوا لم يروا من قبل آلة مثلها ولا عرفوا ما هي لم يبالوا بما فعلت · فعدت الى منزلنا مسروراً وطفقت اظهر الصور واذا بجلبة خارج المنزل ورجال دخلوا علينا مغيظين غير مستأذنين وصائحين لقد سرقتم وجوهنا ووجوه اشياخنا لتأخذوها الى الكفار والله اعلم بما سينالنا من اذى هذا السحر · ثم توعدونا بكسر الآلة · فطيبت قلوبهم وسكنت روعهم واقنعتهم باني لا اريد بهم سوءًا وقلت اني ساكسر هذه الآلة الشيطانية ثم كسرت اشياء لا قيمة لها ومزقت بعض اوراق لا نفع منها · فسكن ما جاش من جاشهم وسرّي عنهم وانصرفوا راضين

وكنت اصور الصور فيما بعد سرًّا وانفح البعض بالهدايا فلا يفشون امري ولكن كثيراً من الصور اتلفهُ الرمل والماء الكبريتي الذي اضطررت الى استخدامهِ في اظهارها

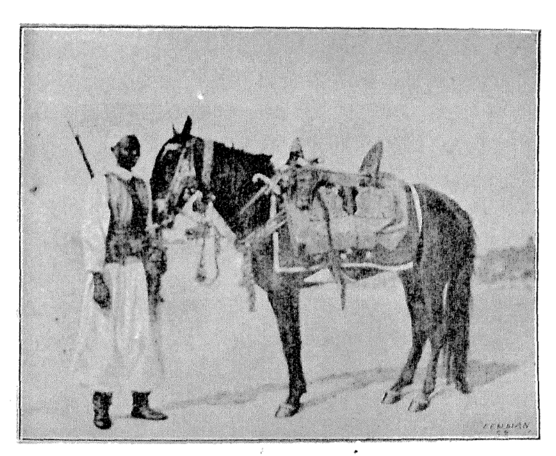
ومرَّ شهر مايو ويونيو ويوليو ولم يحضر السيد السنوسي · ولكن قدم من كفرة في شهر يوليو قافلة فيها عشرة جمال تحمل كتباً هي الكتب التي يستصحبها في اسفارهِ ورحلاتهِ ويرسلها امامهُ واخيراً قيل لنا انهُ قادم بحاشية كبيرة وكان اغسطس قد انتصف · ثم شاع بعد ذلك بقليل ان قائم مقام كفره كان قادماً في طليعة حاشية السنوسي فمات في الطريق هو وسائر من كان معهُ من الرجال والنساء والعبيد والاماء قبلما بلغوا ابار جالو بيوم واحد

وفي ٦ سبتمبر خرجنا لاستقبال السيد السنوسي الى مكان يبعد مسيرة يوم ونصف عن جغبوب اسمهُ ابو سلام · وابلغناهُ اننا قدمنا لتقديم واجب الاحترام والخضوع وكان الوقت ظهراً فقيل لنا انهُ وقت القيلولة وان السيد يستقبلنا عند الزوال · وكان الى يمين خيمتهِ رايتان من نسيج اسود وابيض وعليهما الآيات القرآنية . وهما مغروزتان في الرمل بين خيمة السنوسي من جهة وخيم شيوخ الزوايا الآخرين · ووراء هذه الخيم خيم العبيد والحشم

وفي المساء دعينا لزيارة السيد فركبنا خيولنا الى ان صرنا على ٢٠٠ متر من خيمتهِ فنزلنا ومشينا كرامة · حتى اذا صرنا على ٥٠ متراً قيل لنا ان اخلعوا نعالكم من ارجلكم ففعلنا · وحينئذ انتظمت حاشيتهُ امامنا في شكل قوس وهي مؤلفة من ثماني مئة نفس وجعلوا يطلقون البنادق وهم يصرخون « اهلاً بابناء السلطان ومرحباً بابناء الخليفة » · فلما دخلنا الخيمة وتقدمنا للثم يديهِ نهض لتحيتنا وهكذا يفعل مع جميع الذين يزورونهُ حتى العبيد السود · وكان حافي القدمين يجلس على حصير ويلبس قميص حرير طويلاً يصل الى قدميهِ وبرنساً من الحرير فوقهُ ويغير قميصهُ كل يوم · وهو في الثالثة والاربعين من عمره معتدل القامة مائل



مدينة جغبوب



حارس السيد السنوسي وجواده

مقتطف ابريل ١٩١٦

امام الصفحة ٣٦٧

الى السمن اسمر البشرة اسود العينين قصير شعر اللحية والشار بين عيناهُ تتوقدان ذكاء وتخترق نفس جليسهِ . وعلى رأسهِ طاقية مكية وحولها عمامتهُ . فقدمنا اليهِ راية عثمانية موشحة بالآيات القرآنية فقبلها ثم جلس واشار الينا بالجلوس وقال « مرحباً » وسكت وبعد دقيقة قال « مرحباً » وسكت هنيهة ثم رفع يديهِ وعينيهِ وقرأ الفاتحة . ومعنى ذلك عند السنوسيين « ان الجلسة انتهت لان كل كلام بعد كلام الله عبث بل حرام » فنهضنا وخرجنا فعين لنا احد اتباعهِ المكان الذي ننصب فيهِ خيمتنا ثم جاءنا بشيء من الطعام . وفي الغد ركب السيد جوادهُ وارتحل في جهة جغبوب يحفهُ مئة من خدمهِ السود وكان معهُ سيفان وبندقيــة من طرز لبل غنمها من الفرنسويين في حرب وداي . فتبعناهُ على الاثر وكان معهُ الدكتور حافظ عفيفي ارسلهُ قومندان بنغازي عزيز بك امامهُ الى جالو ثم رافقهُ الى جغبوب . وقبل دخولنا جغبوب بقليل ترجل السيد وسائر الذين معهُ ومشوا اليها حفاة وفي رأسهم الرايتان المشار اليهما آنفاً فاخذت صورة الموكب خلسة ولو رأوني لاهانوني مزيد الاهانة وربما قتلوني

ولما دخلنا جغبوب توجه السيد الى الجامع وحدهُ وصلى عند ضريح جدهِ . وبلغ عدد الذين كانوا هناك تلك الليلة ١٥٠٠ نفس فامر فذبح ١٢ جملاً ووزع لحمها عليهم وكثير من اكياس الرز فطبخت في مراجل كبيرة وجلس الجميع طول ليلتهم يأكلون ويتسامرون والسيد في غرفتهِ قائم يصلي . وكانت تلك الليلة ليلة السابع والعشرين من رمضان وقد اراد السنوسي ان يكون وصولهُ الى ضريح جدهِ في ذلك اليوم ليحيي تلك الليلة ليلة القدر في الصلاة امامهُ

وفي ٩ سبتمبر وصل رسولان آخران من قبل انور بك يحملان الهدايا وهما حلمي بك سكرتيرهُ الخاص والشيخ صالح التونسي وانضما الينا . وفي ذلك اليوم عينهِ ابلغنا السيد انهُ يستقبلنا الساعة العاشرة مساءً . فقصدنا اليهِ في الساعة المضروبة فاستقبلنا واقفاً كعادتهِ . ثم جلس والحَّ علينا ان نجلس وجعل يستخبرنا عن اشخاصنا وعائلاتنا ومواشينا وحالة الزراعة في بلادنا . وكان طول وقتهِ جالساً ويداهُ متقاطعتان وهو مائل برأسهِ وسائر بدنهِ الى جهة ومطرق الى الارض وقلما يحدق ببصرهِ الى مخاطبهِ . ومن عادتهِ الاصغاء الى ما يقول مجالسهُ فاذا فرغ اجابهُ بلفظ موجز فلا يكرر ما قال من الكلام ولا ينقض ما ابرم من الاحكام

فبسطنا لهُ المهمة التي جئنا بها فقال لنا « هذا حرَم وارض مقدسة . وهنا يبقى استقبالكم فيهِ كضيوف وليس لاحد غيري سلطة عليهِ »

ثم قرأ الفاتحة فخرجنا من لدنهُ وعاد اليهِ نوري بك وحدهُ ليكلمهُ سرًّا وليقدم اليهِ

هدايا السلطان وهي علبة فيها ساعة مرصعة بالماس وسيف مرصع ونياشين وسجاجيد وثوب تشريفة كالذي يلبسهُ شيخ الاسلام وانسجة ثمينة وحلى لنسائهِ . فقبل الهدايا وعرضها على الجمهور شهادة بكرم السلطان وقال ان قوانينهُ لا تسمح لهُ بلبس الذهب والانسجة الثمينة والجلوس على الطنافس وبقيت تلك الجلسة معقودة حتى نصف الليل

وفي غد ذلك اليوم جاءتنا الهدايا منهُ وهي جبة مصرية وقميص وبرنس وطربوش لكل منَّا . وفي اليوم عينهِ صنع لنا مأدبة كان عدد المدعوين اليها اربعين نفساً . اما هو فلم يحضرها بل اكل وحدهُ على عادتهِ . ولكنهُ بعد الطعام شرب الشاي معنا وهو شاي اخضر معطر بالعنبر . ودافع عن نفسهِ مما اتهم بهِ من الاشتغال بالسياسة وقال انما هو رجل عابد مشغول بالدفاع عن الايمان

هذا والهدايا تأتيهِ من جميع العالم الاسلامي بطريق سيوى . ومراسلوهُ كثار وهو يأمر كتبتهُ بالرد على كل كتاب يردهُ والكتب التي يكتبونها ذات صيغة واحدة مفعمة بالعبارات الدينية ويضيف الى كل منها بعض كلمات بخط يدهِ

وفي ١٢ سبتمبر كان عيد الفطر فصلينا معهُ صلاة الجماعة . وفي شهر الصيام يصلي صلاة سادسة غير الصلوات الخمس وذلك ايام الجمع وهي صلاة التراويح تبدأ نحو الساعة العاشرة مساء وتنتهي عند الفجر فيتلى فيها القرآن كلهُ والسامعون وقوف — يتلوهُ شيخ الزاوية وامام الجامع وهو سوداني . ويشهد السنوسي الصلاة وسط القوم لا يميزهُ عنهم شيء

ودعانا للغداء في ايام العيد الثلاثة . ولما انسنا بهِ استأذنتهُ في تصوير صورتهِ الفوتوغرافية واريتهُ الآلة وشرحت لهُ عملها . ولو كان فيها الواح لتمكنت من اخذ صورتهِ من غير ان يشعر بذلك . ولما لم يجب قلت ان ذلك غير محظور شرعاً فانا اعرف ديني وهو انما ينهى عن اقامة الاصنام والانصاب التي لها ظل . وان كان في ذلك معصية فانت تستطيع ان تخبرني بوجه المعصية لانك ولي كبير . اما انا فاريد ان يرى جميع المسلمين وجه السنوسي العظيم . قال ليس في ذلك محذور حقيقة ولكن قومي واهل جغبوب على جانب كبير من الجهل فربما حملوا تصويري على محمل سوء وفسروهُ بغير المراد منهُ . فلم يسعني الالحاف فاستأذنت في تصوير جوادهِ وسيفهِ فاذن لي في ذلك

وظهر لنا انهُ لا يفرق بين فرنسا وايطاليا وامور اخرى من هذا القبيل . فاوضحنا لهُ ذلك فاصغى الينا تمام الاصغاء من غير ان يقطع الكلام علينا او يسأل سؤالاً . واخيراً قال « اما انا فلا اعلم غير امر واحد وهو انما المسلمون جميعاً اخوة »

وبعد عشرين يوماً مرت على اقامتنا بجغبوب صرف قومهُ كلاً الى وطنهِ . واستقبلنا لآخر مرة ورد لنا الزيارة في منزلنا وقرأ لنا الفاتحة ثم قال « عودوا الى معسكركم واقرأوا على اخي انور السلام فان الله ارسلهُ الينا » فطلبنا منهُ ان يصحبنا بكتاب اليهِ . فقال ان ذلك لا يليق بعدما ارسل انور وفدهُ اليهِ وانهُ هو سيرسل الرسل اليهِ ومعهم كتب منهُ

خرجنا من جغبوب في ٢٨ سبتمبر فماتت خيلنا و بعض جمالنا في الطريق لشدة الحرّ وقلة الماء وكدنا نحن نهلك عطشاً قبل بلوغنا آبار اقيم

ولما بلغنا درنه رأينا ان الحالة زادت تحسناً عما كنا نعهدها قبل سفرنا الى جغبوب وكنا موقنين بالنصر الاخير لو لم تنشب الحرب بين الدولة وممالك البلقان فاضطر انور الى السفر ولكنهُ كان قد حلف للعرب بان يقاتل معهم حتى الموت . فعزم على السفر الى السنوسي ليحلهُ من يمينهِ هذه فركب الاتوموبيل الى جغبوب فبلغها في يوم ونصف يوم ثم عاد الى درنه واختفى بدعوى انهُ مسافر الى بنغازي

ولما بلغتُ السلوم في رجوعي اروني هدايا ارسلتها الحكومة الايطالية الى السيد السنوسي فرفضها . منها طقم للشاي من الذهب الخالص وقالوا ان هناك هدايا اخرى مثل حليّ وحلل وغير ذلك

و بقي السيد السنوسي بعد ارتحالنا يقاوم الطليان في برقة . وقدم درنه حيث التقى بعزيز بك قومندان بنغازي وكان قد جاء درنه ليتولى القيادة مكان انور . فاقام السيد السنوسي احتفالاً كبيراً نادى فيهِ بتعيين عزيز بك وزيراً لحربيتهِ وابلغ العرب ان انور انما سافر الى الاستانة باذنهِ و بامرهِ وانهُ سيعود يوماً ليقودهم ثانية وفي خلال ذلك يجب عليهم اطاعة عزيز بك كما اطاعوا انور وان الله ونبيهُ يدعوانهم لجهاد الطليان . وارسل اخاهُ سيدي محمد العبد الى بنغازي ليتولى القيادة مكان عزيز بك

انتهى ما لخصناهُ من مقالة المسيو ديمون . وقد ارسل الالمان والاتراك الضباط والاسلحة الى السيد السنوسي ونظموا لهُ جيشاً من العرب لكي يغزو القطر المصري فيضطر الانكليز الى ابقاء قوة كبيرة فيهِ للدفاع عنهُ . وحمل هؤلاء الجنود على تخوم مصر الغربية مراراً فآبوا بالفشل وقتل واسر منهم خلق كثير وجرح قائدهم جعفر باشا وأُخذ اسيراً . ويقال ان السيد السنوسي يتنصل مما فعلهُ الاتراك والالمان و يقول انهُ كان على غير ارادتهِ . وعسى ان تحقق الحكومة العثمانية ان محاربتها للحلفاء باغراء المانيا مضرٌّ بها فتترك الالمان وتبطل اغراء العرب وتتفق مع الحلفاء على ما فيهِ مصلحتها الحقيقية

خصائص بعض الحيوانات

النور والكهرباء واللون

بحث لذيذ مفيد يظهر علة كل معلول ويبين ان لكل سبب مسبباً وأن بعض خصائص الحيوان والنبات تتغير بتغير الزمان وتتشكل طبقاً لما يحيط بها من العوامل كالاقليم ولتنازع البقاء

رأى الباحثون ان من خصائص الحيوان ما هو غريزي ومنها ما هو مكتسب . فالغريزي هو ما بقي ملازماً لها في جميع أدوار حياتها والمكتسب هو ما ظهر في كل دور من أدوار الحياة وما كان مطابقاً لهذا الدور كل المطابقة . مثال ذلك ان فصيلة الضفدع تتحد في جميع المميزات التي تفصلها عن غيرها ولكننا اذا تتبعنا تاريخ نموها وادوار هذا النمو نرى أن لكل دور خصائص مخصوصة . فالقناة الهضمية في دعاميص الضفدع تختلف عن قناة البالغة منها لان الاولى تغتذي بالحيوانات الدنيئة التي تعيش في مياه المستنقعات والثانية تتغذى بالحشائش والنباتات . فمعى الاولى مشابه لمعى آكلة اللحم في القصر ومعى الثانية مشابه لمعى آكلة النبات في الطول . وقد قال الذين يحترفون تربية الحيوان ان المفترس منهُ متى أمسك صغيراً وربي على الالفة اضاع كثيراً من مميزات الوحشية واكتسب غيرها من الائتلاف والاختلاط بالحيوانات الاليفة

على ان بعض الصفات الغريزية والمكتسبة ما هو نتيجة عوامل كيماوية داخلية تظهر باشكال مختلفة طبقاً للاسباب الجوهرية التي تعمل في تربية هذه الصفات . وذلك التباين في الخصائص سبب من اسباب تنازع البقاء ونتيجة رغبة كل فصيلة من الحيوانات في احياء نسلها وابقائهِ او ابقاء الاصلح منهُ مع تقلب ادوار حياتهِ واحاطتهِ باعداء اقوى منهُ

المخلوقات طبقات ارقاها الانسان والوسائط التي استنبطها واتخذها للدفاع عن كيانهِ كثيرة لا يجهلها احد . والحيوانات التي دون الانسان قسمان الاول الحيوانات العليا والثاني الحيوانات الدنيا . والعليا إما مفترسة او اليفة واولاهما اشد وقوتها في عضلاتها تستخدمها للافتراس او لدفع معتد عليها . وأما الدنيا فهي ضعيفة الجانب اتخذت بعض الوسائط لدفع الاذى عن نفسها كالتلون بالوان مختلفة للتعمية على مفترسها وتضليلهِ او افراز بعض الغازات او الحوامض السامة فتحيط بها كسياج وتحفظها من شر قاتلها . هذا ومبحثنا الآن ينحصر في ثلاث خصائص مهمة من خصائص الحيوانات وهي إما عمومية كتلون فصائل الحيوان كلها بالوان مختلفة او خصوصية ويأتي تحتها الضوء والكهربائية التي امتاز بكل منها بعض الحيوان دون الآخر

ضوء الحيوان

ولنبحث الآن في خاصة الضوء فنقول : هذه الخاصة احدى نتائج العوامل الكيماوية الداخلية ظهرت بهذا المظهر ليمتاز بها بعض فصائل الحيوان دون الآخر . ولقد رأى العلماء ان بعض الحيوانات غير الفقرية تحلى بهذه الصفة ولا يمتاز بها من ذوات الفقار الا بعض انواع السمك . وقد اكتسب هذا النوع هذه الخاصة لانهُ يعيش في اعماق البحار حيث الظلام دامس فيفتقر الى النور كي يرى عدوهُ فيجتنبهُ . وبعد البحث كيماويًا عن سبب النور وجد ان الجهاز العصبي محتكم في افراز بعض الغدد المنيرة في جلد السمك فلا تفرز الا وقت الضرورة

وفي الحيوانات الدنيا عدد عظيم من الحيوانات المضيئة كالبكتيريا التي تعيش في الخشب والاحجار . وفي جنوب امريكا بعوضة ذات جلد شفاف تحتهُ غدد تفرز بعض السوائل وهذه تتجمع في بقعة مخصوصة من الرأس فتظهر مضيئة وقد سميت لذلك بالمصباح . ومن غريب ما يحكى عن الحيوانات المضيئة ان ذباب النار في الهند منتشر كثيرًا وذو لمعان شديد حتى ان سيدات الهند يمسكنهُ ويحلين به رؤوسهن في الحفلات الليلية فتظهر كالماس بهاء . ومن فصيلة العقرب حيوان يعرف بذي المائة ارجل اذا سحق اضاءت جميع السوائل الجارية في انسجته

وبحار اميركا الجنوبية وبحار الهند مملوءة بالبروتوزوى والحشرات والاصداف التي اذا فاجأها عدو أفرزت بعض السوائل المضيئة وبذلك تراهُ وتجتنبهُ . لما كنا في رأس البر في العام الماضي ركبنا ليلة قاربًا في النيل وكان اذ ذاك ماء البحر الابيض طاغيًا عليهِ فكنا كلما جذفنا ظهر الماء حول المجاذيف مضيئًا بنور شديد فلما عدنا الى القاهرة سألنا الدكتور ولسن استاذ الفسيولوجيا في مدرسة الطب المصرية عن ذلك فقال ان مياه البحار مملوءة بالبروتوزوى المضيئة ولا يظهر ضوءها الا ليلاً عند تحرك المياه . فسألناهُ هل للفصفور علاقة بهذا الضوء فقال ان غدد الحيوانات المضيئة تفرز مادة دهنية فصفورية وهذه تنتج الفصفين Phosphene بعد تعرضها لفعل الانزيم (خمير) والفصفين مضيء باتصاله بالهواء ولكن اضاءة السمك الذي يعيش في اعماق البحار امر غريب لعدم وجود الهواء الذي يعمل في اشعال الفصفين في هذا العمق . ولعلَّ لهذا السمك اكياسًا يحفظ فيها الهواء فتستخدمهُ وقت الحاجة او تكون للافرازات قوة على امتصاص الهواء الموجود في الماء

كهربائية الحيوان

هذه ايضًا من العوامل الكيماوية التي خصت بها بعض الاسماك لاستخدامها وقت الحاجة . ومعلوم ان جسم كل حيوان خاضع لقوى الكهربائية وكل عصب فيهِ موصل للكهربائية

كالاسلاك المعدنية ولكن المقصود من كهربائية الاسماك ما يحس بهِ الانسان من الرعشة عند لمسهِ صنفاً مخصوصاً منهُ ولست اذكر ان كانت الكهربائية خاصة ببعض الاسماك او توجد في غيرها . واول سمكة عرفت بالكهربائية هي المعروفة بالانكليزية باسم Electric eel اي الحنكليس الكهربائي وتوجد في جنوب امريكا وطولها عشر اقدام اما في مصر فلا يعرف بهذه الصفة الأصنفان من السمك يأتيان من اعالي السودان مع المياه النيلية وهما المرموس Mormerus والمولبترروس Moleptorerus Electricus وكلاهما يعرفان عند الصيادين باسم (ابي رعاش او السمك الرعاد) وهذا يجتنبهُ الصيادون لان لمسهُ قد يؤدي الى الموت خصوصاً عند خروجهِ من الماء لانهُ كلما كان شديداً كان تيارهُ اقوى اما اذا لمس بعد خروجهِ من الماء بوقت طويل فلا خوف منهُ البتة لان جهازهُ العصبي يكون اذ ذاك قد ضعف وقواهُ اجهدت . وليس لكل جزء من السمكة هذه الخاصة فمن السمك ما توجد الكهربائية في البقعة التي تحيط بذيل السمكة ومنها ما يظهر في جنبيها . وتختلف هذه الاعضاء الكهربائية ايضاً في تكونها ونشأتها فمنها ما هو من النسيج الغددي ومنها ما هو من النسيج العضلي . ويمتاز الجلد الذي يغطي البقع المكهربة بكونهِ اسمك من غيرهِ . وقد وجدت الاسماك الكهربائية في كثير من البحار فسمك الطوربيد Torpedo fish موجود في بحار فرنسا و English ray في مياه انجلترا ولبعض اسماك انجلترا انسجة تشبه الانسجة المكهربة ولكنها لا تعمل عملها فاطلق عليها اسم Pseudo Electric fish اي السمكة الكهربائية الكاذبة

ولسنا بحاجة الى شرح الاعضاء المكهربة هستولوجياً لان ذلك خارج عن غرضنا من هذا البحث اما اذا اردنا معرفة فائدة هذه الاعضاء فنرى انها لا تخرج عن دفاع السمك عن نفسهِ وافتراس ما هو دونهُ

الوان الحيوانات

لكل صنف من اصناف الحيوان لون خاص بهِ فمنهُ ما كانت فصيلتهُ كلها من لون واحد ومنهُ ما اختلفت فيهِ الوان الوحدات في كل فصيلة ومنهُ ما يكون لون جلدهِ واحداً ولون ريشهِ او شعرهِ مختلفاً كما في الدجاج والحيوانات المفترسة وغير المفترسة . وقد يكون الاختلاف كما ترى في الانسان وبعض الحيوانات المفترسة في لون الجلد والشعر معاً فان شعر الانسان لا يغطي جميع اجزاء جسمهِ الا انهُ يختلف لوناً في طوائف البشر وقيل ان لون الشعر مرتبط بطقس البلاد فهو اميل الى الاصفرار او الاحمرار في البلاد الباردة والى السواد في البلاد الحارة ولا يغرب عن البال ان نقصان الشعر في جسم الانسان من عوامل المدنية واندثار آثار الوحشية . على

ان اختلاف لون بني الانسان واقع في الجلد فاحدى طبقاتهِ تحوي الصبغة التي يعرف بها لونهُ

ومن الاجسام الحية ما فقد اللون كلية كالبروتوزوى الشفافة فانها لا ترى ما دامت عائمة في الماء ولا بد لرؤيتها من الانتظار ريثما تستقر فيهِ فترى بانعكاس الضوء منها

وان معظم الحيوانات المفترسة تتحد في لون شعرها فان لون الحيوانات اللبونة وجوارح الطير هو الرمادي او الاشهب او الكميت . فالفيران والارانب والثعالب وكلاب البحر والخيل والكلاب والقطط الوحشية والقردة والذئاب والاسود والغزلان الوحشية وغيرها متشابهة لوناً وشذ عنها النمر والزرافة والرئم ولكن شذوذها من مؤيدات اتحاد الاغلبية في اللون على اننا اذا فحصنا شعور هذه الحيوانات المتحدة في اللون نرى ان لونها الاسمر عبارة عن اختلاط الوان متعددة كالابيض والاصفر والاسود ونرى ايضاً ان ظهور هذه الحيوانات اقتم لوناً من بطونها ويزداد هذا الفرق في الحيوانات ذوات الارجل القصيرة لانها متى سارت تحت نور الشمس انعكس ظلها الاسود على بطنها فيسودها ويجعلها مماثلة لظهرها واذ ذاك يصعب على عدوها رؤيتها وتمييزها

قلنا ان معظم الحيوانات الوحشية اتحدت في اللون ونقول الآن ان تأليفها وتربيتها من صغرها يغير لونها ويغير طرق تلونها فبعد ان يكون لونها الاسمر مركباً من الوان مختلفة ممتزجة يصبح لون الشعر واحداً ويظهر في جسمها بعض النقط السوداء او البيضاء . فاذا قارنا بين القطة الوحشية في انجلترا ومصر نرى ان الاولى رمادية والثانية صفراء ولكن الاليفة فيهما متعددة اللون . ويعرف الكلب الوحشي باللون الرمادي الاسمر كالذئب او الاحمر ككلاب الهند اما الاليف فمتعدد اللون كالقطط وما يقال عن الكلاب والقطط يقال عن الخيل والخنازير والمواشي . اما الاوز فالمعروف عنهُ انهُ لم يغير لونهُ بعد ائتلافه . وقد اضاعت الحيوانات بائتلافها مزية بياض بطنها فاصبح ريش الدجاج وشعر الكلب واحداً في جميع اجزاء جسمها وبذا سهلت رؤيتها من مسافة بعيدة وذلك مضر لها اذ يسهل قتلها والفتك بها

واذا التفتنا الى الطيور الداجنة وغيرها نرى ان لون ريشها ناتج عن مادة في خلايا الريش وهذا اللون مرتبط بناموس حياة الطير وطريقة معيشتهِ والبلاد التي يعيش فيها وبكونهِ ذكراً او انثى . ومن الطيور ما يغرد بصوتهِ الرخيم فيقتنى في المنازل ويعتنى بتربيتهِ وقد اختص بتلون ريشهِ بالالوان البهجة السارة كالكناري والببغاء والبلبل وغيرها . ومنها ما يزعق بصوت مرعب تنبو عنهُ الاذن كالبوم والغراب فيعيش شريداً في الخرائب والاطلال ولون ريشهِ ترابي اسود ليس عليهِ مسحة من الجمال والبهجة

أما علاقة البلاد او المحيط بريش الطير فتظهر بمقارنتنا للدجاج والديوك في بلاد مختلفة فالديك الرومي يختلف عن الديك الهندي وعن الديك البلدي بالشكل والحجم ولون الريش وكذلك الدجاج . وقد يكون الاختلاف في لون الطيور المختلفة مرتبطاً بطرق معيشتها فالسماني يهبط الى الاراضي المصرية لكي يرعى من غلالها وترى ريشهُ مصفرّاً كسنابل القمح فلا يرى من بينها . أما علاقة الريش بالتذكر والتأنث فمن الخصائص الجنسية الثانوية اذ تلون ريش الديك بالالوان المختلفة البهجة وحرمان انثاهُ منها من العوامل الثانوية التي تقرب ميلها اليهِ للتناسل .
ولون الحيوان يختلف في حالة سكونهِ وعدم حركتهِ او انزوائهِ في مرقدهِ عن لونهِ في حالة الحركة والمرح تحت نور الشمس وحرارتها المحرقة كما نشاهدهُ فينا نحن . فان الوجوه تصفرّ وكريات الدم الحمراء تقل بالسكون والقعود . ويحدث ما هو ضدّ ذلك بالحركة وفعل حرارة الشمس . وقد وجد بالبحث ان من الافاعي ما هو اصفر اللون ومنها ما هو مخطط بالخطوط الصفراء او السوداء فالاولى تعيش في الخرائب فيقرب لونها من لون التراب والثانية تعيش في الماء فمتى سبحت فيهِ ظهرت تموجات الماء عالية ومنخفضة او بيضاء وسوداء فتضل عين من يراها . كل ذلك نتيجة سعيها في بقاء نوعها

قلنا أن لون الحيوان ناتج عن صبغة في احدى طبقات جلدهِ تعرف بالميلانين وبينّا بالاختصار العلاقة بينها وبين فائدة الحيوان الشخصية بالنسبة للمحيط الذي يعيش فيهِ ولكننا الآن نبحث في فائدة اخرى لهذه الصبغة وفي طريقة تحولها من لون الى آخر فنقول : ان اهم فائدة للميلانين هي قوة امتصاصهِ لاشعة الطيف فوق البنفجي ففي البلاد الاستوائية يحتوي نور الشمس على كمية كبيرة من اشعة الحرارة ومن هذه الاشعة القوية الفعالة . ومتى وُجد ذو اللون الابيض في هذه البلاد احمرّ لونهُ ثم اسمرّ . وفائدة تحول اللون الابيض الى الاسمر مساعدة الميلانين على جذب الاشعة التي فوق البنفسجية وحفظها فلا تتخلل الجلد وتحرق ما تحتهُ من الانسجة وهذا هو السر في ان العبيد والسمر يسكنون مناطق الارض الحارة وان من كثر منهم تعرضاً لحرارة الشمس كفلاحي الهند واستراليا يمتازون من سكان المدن بشدة سواد وجوههم . ومن الغريب ان السود والصينيين متى ذهبوا الى البلاد الاوربية الباردة ومكثوا فيها سنين عديدة لا يعدمون لونهم الاصلي أما نسلهم فيختلف حسب قانون مندل كما سيجيء . ومن الغريب ايضاً ان الاوربي في المنطقة الحارة لا يسودُّ وجههُ بل يقف عند درجة السمرة وان سكان منغوليا لا يزال الاصفرار ملازماً لوجوههم ولو أن حرارة بعض مدنها كحرارة الهند واستراليا

و يتغير لون الشعر في الطفولية عنهُ في الكبر فكم من طفل ولد ذهبي الشعر فلما كبر اخذ شعرهُ في التقتم والسواد وكم من امرأة تمنت لو بقي شعرها ذهبياً براقاً والسبب في ذلك ان الصبغة التي في الشعر مادة آلية تتأثر بعاملين الاول خمير موجود في الجلد يسمى Tyrosinase (تيروسيناس) فهذا يؤثر في الصبغة مع توالي السنين و يسبب سواد الشعر. أما الصبغة السوداء فيمكن تحويلها حمراء او صفراء بماء الاكسجين كما يعرف بعض السيدات

قلنا ان الحيوان المفترس بتأليفهِ يتغير لونهُ وذلك لانهُ بعد ان تكون الصبغ والخمير متوزعين توزعاً متساوياً بين جميع اجزاء جسمهِ يحصل اختلال فيهِ بان ينعدم الخمير في جزءٍ فتظهر البقع البيضاء . اما في الزرافة فقد انتظم توزيع الخمير فنتج عن ذلك تخطيط جسمها بالابيض والاسود . ومن الحيوانات ما يكون شعرهُ ابيض طول عمرهِ كالدب الابيض ومنها من يدب البياض في شعرهِ في دور معين من ادوار الحياة كالانسان . اما السبب في بياض الشعر فيرجع الى فقدان الصبغة الملونة وحلول فقاقيع هوائية محلها والعامل في ذلك ما اشار اليهِ الاستاذ متشنيكوف الروسي وهو رئيس معهد باستور بباريس اذ قال ان كريات الدم البيضاء المعروفة بالفاغوسيت Phagocyte تتسرب من جذر الشعرة الى ساقها وتلتهم المادة الملونة فيحصل فراغ في جذع الشعرة ينتج عنهُ دخول فقاقيع الهواء فيها فتصبح بيضاء ناصعة او تبقى سمراء صفراء وليس الامر كذلك في الدب الابيض فقد عدم الصبغة الملونة من بدء خلقتهِ اذ ولد على الثلوج البيضاء فتلون بلونها لكي لا يرى من فوقها

وهناك عاملان قويان يؤثران في تلون الحيوانات وهما تعرضها للضوء سواء كان طبيعياً او صناعيًّا وتناسلها فقد وجد الباحثون ان معظم الحيوانات التي تعيش في بطون الارض كالورل وفي امعاء الحيوانات الاخرى كالديدان وفي كل بقعة لا يتخللها ضوء كالدب الابيض في القطب الشمالي حرمت من المادة الملونة يؤيد ذلك تلون الحيوانات التي تعيش في اعماق البحار فان تمتعها بالمادة الملونة راجع الى سببين اولهما اما ان اشعة الضوء فوق البنفسجية تتخلل المياه الى هذا العمق العظيم اوان المادة المضيئة التي تفرزها من غددها تنير ما حولها فاصبحت عاملاً قويا ذا علاقة متينة بتلونها

أما تأثير تلون الحيوانات بتناسلها فهو بحث طويل يدخل تحت قانون مندل الوراثي وليس لنا ان نبحث فيهِ الآن بل نورد مثلاً واحداً من نظرياتهِ وهو اذا اقترن عبد اسود بامرأة بيضاء أتى نسلهما اما اسمر اللون او اقرب الى البياض او السواد حسب تغلب احد اللونين على الآخر

سمعان نجار طالب طب

ثثبيت النتروجين الجوي

بعد ان تمكن ڤينوجرادسكي من فصل الكلوستريديوم حاول ان يفصل غيرها من مكروبات تثبيت النتروجين فلجأ الى تسخين التربة للدرجة ٧٥ سنتجراد لينقص مكروباتها التي لا تكوّن جراثيم ظانًّا ان مكروبات تثبيت النتروجين ليست منها و بذلك تبقى فيسهل عليهِ فصلها ولكنهُ لم يوفق الى غرضهِ اذ ظهر ان المكروبات المذكورة من الطائفة التي لا تكوّن جراثيم . وفي سنة ١٩٠١ اكتشف بيرنك نوعين متشابهين من المكروبات يثبتان النتروجين اطلق على احدهما اسم ازوتوباكتر كروكوكوم[1] وعلى الثاني ازوتوباكتر اجيلس[2] والاول كان كثير الانتشار في الاراضي الزراعية اما الثاني فقد وجدهُ في مياه الانهار والترع وفصلها بالطريقة الانتخابية التي استخدمها ڤينوجرادسكي بنجاح من قبل في فصل مكروبات النترجة فاخذ محلولاً مركبًا من ٢ في المائة من المنيت و ٠,٢ في المائة من فصفات البوتاسيوم الثاني مذابة في ماء حنفية ولقحهُ بجرامات قليلة من التربة ثم تركهُ في درجة حرارة تتراوح بين ٢٠ — ٣٠ سنتجراد و بعد بضعة ايام تكون على سطح المحلول طبقة غشائية مكروبية . ثم اخذ يربي المكروب بعد ذلك بنقلهِ من المحلول الى سطح مادة الاجار اجار التي جعل تركيبها كتركيب المحلول . بذلك توصل للحصول عليهِ نقيًّا . كذلك امكن بيرنك ان يستعيض عن المنيت بالدكستروز واللفيلوز والسكروز والدكسترين واملاح الخلاَّت والسمنات والپروپيونات وغيرها من المواد الآلية الكربونية التي يؤكسدها الازوتوباكتر وبذلك اثبت امكان الاستغناء عن المنيت بمواد آلية كربونية اخرى . الاَّ انهُ لاحظ ان المكروب ينمو و يتكاثر بنشاط وحدهُ اذا زرع في محلول المنيت اما في محلول الدكستروز فتنمو معهُ مكروبات اخرى تسبب الحموضة . وفي المحاليل المشتملة على املاح السمنات والپروپيونات وما شابهها ينمو نقيًّا (وحدهُ) ولكن ببطء . ووجد ان تثبيت النتروجين يكون بنسبة ٧ مليجرامات لكل جرام منيت او دكستروز يؤكسدهُ المكروب في حالة تلقيح المحلول بهِ من التربة مباشرة . وفي المحاليل التي زرع فيها المكروب نقيًّا (وحدهُ) وقف نموهُ في حالتين وفي حالتين اخريين كانت نسبة النتروجين المثبت ضئيلة جدًّا اذ كانت في حالة ١٣,٠ مليجرام وفي حالة اخرى ٠,٢٧ مليجرام لكل جرام من السكر تأكسد ولكن بيرنك بمزجهِ المكروب النقي مع بعض

(١) Azotobacter chroococcum (٢) Azotobacter agilis

مكروبات الحامض السمنيك مثل الجرنيلو باكتر[١] والراديو باكتر[٢] والايرو باكتر[٣] توصل لنتيجة احسن اذ كانت النسبة ٩ و٥ مليجرام نتروجين مثبت لكل جرام سكر تأكسد

فحاول بيرنك بعد ذلك ان ينسب تثبيت النتروجين في حالة مزج الازوتو باكتر بالجرانيلو باكتر وامثالهِ الى الاخير دون الاول ظنًّا منهُ انهُ هو المسبب لتثبيت النتروجين في المحلول لتعيش عليهِ الازوتو باكتر . ولكن جرلاخ[٤] وفوجل[٥] قد اثبتا ان الازوتو باكتر كروكوكوم النقي في قدرتهِ تثبيت كميات كبيرة من النتروجين الاَّ ان قوتهُ في ذلك تضعف عند الكبر ووجدا في تجاربهما ان المكروب المربى منذ ١٨ يومًا اذا لقح في محلول ثبت من النتروجين بعد خمسة اسابيع ٩ و١٢٧ المليجرام في اللتر والمربي منذ ١١٠ يومًا اذا لقح في المحلول ثبت ٩ و٥٤ المليجرام في اللتر في المدة نفسها بينما المكروب المربي منذ ٣٢٨ يومًا لا يثبت سوى ٤ و٢٣ في اللتر الواحد في المدة عينها . وكذلك وجدا ان كمية النتروجين المثبت لكل جرام من السكر يستهلك تتوقف على كثرة وجود الهواء اوقلتهِ ووجدا انها تتوقف كذلك على كمية السكر الموجود في المحلول فمثلاً ان نسبة ١٢ جرامًا من السكر في لتر من المحلول ارقى من غيرها اذ المكروب يثبت في هذه الحالة مقدار ٦ و١٠ المليجرام من النتروجين كلما تأكسد جرام سكر . وهذه ارقى نسبة بمقارنتها بغيرها فيما اذا كان اللتر من المحلول يشمل كمية من السكر اكثر من ١٢ او اقل منها اذ ثبت ان السكر اذا زاد عن ١٢ في اللتر بان كان ١٥ فانهُ لا يتثبت من النتروجين سوى ١٩ و٤ من المليجرام لكل جرام من السكر اما اذا كانت كمية السكر اقل من ١٢ بان كانت ١٠ فانهُ لا يثبت سوى ١٤ و٩ من المليجرام من النتروجين لكل جرام سكر . وذلك ناتج من ان زيادة تثبيت النتروجين تكون مطردة كلما ارتفعت كمية السكر من ١ — ١٢ اما فيما وراء هذا العدد فيحصل انعكاس في العملية بسبب تشبع المحلول لدرجة موقفة لنمو المكروب بنوع ما

ومما ارتآهُ جرلاخ وفوجل ضرورة وجود الحامض الفصفوريك والكلسيوم لنمو المكروب وان كان يستغني عن المغنيسيوم والبوتاسيوم اذ لا يتوقف عليها هذا النمو

ان مكروب الازوتو باكتر كروكوكوم اهم انواع الازوتو باكتر نشاطًا وهو كثير الشيوع في الاراضي الزراعية في العالم فقد فصل من اراضي مصر وافريقية الشرقية والهند ونيوزيلندا وروسيا وغيرها ولكنهُ لا يوجد في الاراضي الحمضة والاراضي الرملية الجافة . ووجوده

(١) Granulobacter (٢) Radiobacter (٣) Aerobacter

(٤) Gerlach (٥) Vogel

يكون على الدوام في الطبقة السطحية من الارض على عمق يتراوح بين ٥٠ و٦٠ سنتمتراً بخلاف الكلوستريديوم فانهُ يوجد في طبقات اكثر عمقاً من هذه تتراوح بين ١٠٠—١٩٠ سنتمتراً. ذلك لان الكلوستريديوم من المكروبات اللاهوائية فلا ضرر من وجودهِ في طبقة محتجبة عن الهواء أما الازوتوباكتر فانهُ مكروب هوائي يوجد في الطبقة التي يتخللها الهواء وعليهِ فعملية تثبيت النتروجين تتم في الطبقة السطحية بعمل الازوتوباكتر وفيما تحتها بعمل الكلوستريديوم

والازوتوباكتر كروكوكوم يكون بيضي الشكل او كروياً بادئ بدءٍ ومتحركاً بذنيبات عديدة في احد طرفيهِ وهو يوجد فرداً او زوجاً فاذا كان بيضياً تراوح طولهُ بين ٤ — ٥ ميكرونات وكان عرضهُ ٣ ميكرونات ومن مميزاتهِ انهُ اذا صبغ بمحلول اليود في صغرهِ تلون بالصفرة فاذا كبر وصبغ بالمحلول المذكور تلون بالحمرة القاتمة وذلك لتكون مادة الجليكوجين فيهِ . واذا زرع على سطح منبت الاجاراجار في الدرجة ٣٠ سنتجراد يكوّن بادئ بدء مجموعات بيضاء لامعة صغيرة الحجم مستديرة الشكل محدبة تكبر تدريجاً وبعد زمن يظهر في وسط كل مجموعة منها نقطة سوداء محاطة بحلقات سوداء متبادلة مع اخرى بيضاء . فاذا كمل نمو هذه المجموعات اسودت تماماً وصار قطر كل منها ٥—٦ ملليمترات تقريباً . والازوتوباكتر كروكوكوم يتميز عن الكلوستريديوم بعدم تكوين الجراثيم وبكونه هوائياً وبانهُ لا يكون الحامض السمنيك

اما الازوتوباكتر اجيلس الذي فصلهُ بيرنك من مياه الانهار فاكبر حجماً من سابقهِ بيضي الشكل شفاف اللون يتحرك بذنيبات في احد طرفيهِ ويسهل تمييزهُ اذا زرع على سطح الآجاراجار المشتمل على ٠,٥ في المائة من بروبيونات الكلسيوم بدلاً من السكر لانهُ في هذه الحالة ينمو جيداً ويكون مجموعات مستديرة بيضاء كل منها محاط بمنطقة خضراء ناضرة

وهنالك نوعان آخران من الازوتوباكتر فصلهما لبمان من اراضي امريكا هما ازوتوباكتر فاينلاندياي[1] وازوتوباكتر بيرنكاي[2] والاول بيضي الشكل اذا زرع في محلول المنبت يكون غشاء ابيض اللون على سطحهِ يصفر بعد زمن ثم يحمرّ قليلاً واذا زرع على سطح منبت الاجاراجار يكوّن مجموعات مستديرة شفافة في اول الامر ثم تصفرّ تدريجاً ويتراوح طول قطر كل منها بين ٢ الى ٤ ملليمترات والثاني كروي الشكل اكبر من جميع الانواع السابقة غير متحرك واذا زرع في محلول المنبت ينشأ عنهُ راسب ابيض وتتكون كذلك مجموعات بيضاء صغيرة على سطح السائل وعلى جدران الاناء . وهذه الانواع لم يتحقق

(1) Azotobacter vinelandii (2) Azotobacter Beijerinckii

وجودها في الاراضي المصرية الى الآن . ولم يعرف شيء كثير عن التغيرات الكيماوية التي تحدثها الازوتو باكتر اثناء تثبيتها عنصر النتروجين وغاية ما عرف منها الى الآن هو تكون غاز ثاني اكسيد الكربون مع كميات قليلة من الحوامض الآلية وقد استدل على ذلك من تجربة اجراها ستوكلاسا [١] في سنة ١٩٠٨ فاخذ محلولاً غذائياً في تركيبه ٩٫١٥ الجرام من الدكستروز ولقحهُ بالازوتو باكتر لكي يقف على عمله فقدر بعد ذلك ان ٧٫٩ الجرام من الدكستروز تحولت الى ثاني اكسيد الكربون و ٠٫٣ الجرام الى كحول اثيلي و ٠٫٢ الجرام الى الحامض الفورميك و ٠٫٧ الجرام الى الحامض الخليك و ٠٫٢ الجرام الى الحامض اللبنيك ولم يستطع معرفة ما آلت اليه الكمية الباقية وهي ٦٫٦ الجرام من الدكستروز . وقد وجد ان النتروجين تثبت في نفس الخلايا المكروبية الا قليلاً منهُ وجد على صورة مركبات ذائبة في المحلول

يشبه الازوتوباكتر الكلوستريديوم في انهُ يحصل على القوة اللازمة لحياته من المركبات الآلية التي يؤكسدها ومن الضروري لهُ وجود الجير او كربونات الكلسيوم واملاح الفصفات وغيرها من الاملاح المعدنية و ينعدم اذا لم يحصل على كفاية من هذه المركبات . فمما اثبتهُ فشر [٢] انهُ ينعدم او يتوقف عملهُ اذا كانت التربة مشتملة على اقل من ٠٫١ في المائة من الجير

ان وجود مركبات النتروجين ليس ضرورياً لهُ ولكن يناسبهُ وجود كميات قليلة جداً في اول الامر لكي يبدأ عملهُ . اما كثرة وجود تلك المركبات فانها تضعفهُ وربما ينشأ عنها استنقاص املاح النترات الى نتريت فنشادر بعملية عكس النترجة

ولا بد للازوتوباكتر من الرطوبة الكافية في التربة بحيث تتراوح نسبتها بين ٥ — ١٥ في كل مائة جرام منها . وكذلك الحرارة يجب ان تكون درجتها من ٢٥ — ٣٠ سنتجراد اما اذا ارتفعت عن ٣٥ او نقصت عن ١٠ فان ذلك يسبب ضعف المكروب ويحدث تغييراً في شكله بحيث يصبح عاجزاً عن القيام بعمله

كان فرانك وهلريجل قد اثبتا في تجاربهما سنة ١٨٨٨ ان الاراضي التي يكثر على سطحها نمو نباتات الالجى الخضراء تزداد فيها كمية النتروجين ما دامت معرضة لضوء الشمس اما اذا منع عنها الضوء أو حجبت بطبقة من الرمل تعطل نمو تلك النباتات فلا تزداد فيها كمية النتروجين فذهبا الى القول بان نباتات الالجى في قدرتها تثبيت النتروجين من الجو ولكن كسوفتش [٣] وغيره من العلماء قالوا ببطلان هذا الرأي لانهم زرعوا انواعاً نقية من الالجى

(١) Stoklasa (٢) Fischer (٣) Kossowitsch

مثل سستوكوكوس[١] وستيخوكوكوس[٢] في بيئات خالية من مركبات النتروجين معرضة للضوء فوجدوها لا تنمو مطلقاً مع وجود كفايتها من نتروجين الهواء ثم وجدوها تنمو جيداً اذا أُمدت بالنترات وما ذاك الاَّ لانها لا تثبت النتروجين وقد ايد هذا الرأي بو ياك[٣] بتجارب اجراها على الالجى التي تدعى نستوك[٤]

وبعد القطع بعدم مقدرة الالجى على تثبيت النتروجين رأى كسوفتش في سنة ١٨٩٤ انهُ لا بد من سبب لزيادة كية النتروجين في الارض التي يكثر على سطحها نمو الالجى فاضاف مكروبات التربة الى انواع من الالجى النقية وعلى الاخص الى النستوك وروباهما معاً في بيئة واحدة فحدث تثبيت النتروجين الجوي فقال بنسبة تثبيت النتروجين الى مكروبات التربة وبان هناك تبادل نفع بين الالجى والمكروبات اذ الالجى تجهز المركبات الآلية من ثاني اكسيد الكربون الجوي بتأثير ضوء الشمس لتغذية المكروبات وفي نظير هذه المنفعة تحصل الالجى على نتروجين الجو المثبت بعمل المكروبات كغذاء · وقد زاد رأي كسوفتش وضوحاً باكتشاف الازوتوباكتر وثبوت انهُ يتبادل النفع مع الالجى

ان العلماء وان اثبتوا بتجاربهم اقتدار الازوتوباكتر على تثبيت النتروجين الجوي وانهُ يعيش في التربة مع الالجى متبادلاً النفع معها فلم يتوفقوا لمعرفة مقدار نشاط الازوتوباكتر في التربة تحت الظروف الطبيعية المختلفة وذلك بالنظر للصعوبات التي يلاقيها الكيماويون في تقدير كميات النتروجين الضئيلة التي تضاف الى التربة بعمل الازوتوباكتر ولما يطرأ من النقص في نتروجين التربة نفسهِ بسبب وجود المواد الآلية · على ان مجرد وجود الازوتوباكتر في التربة لا يمكن اعتبارهُ دليلاً على انهُ يثبت النتروجين قطعاً وانما يدلل على ذلك بتجارب دقيقة يجب اجراؤُها على نفس التربة تحت الظروف الطبيعية المختلفة وهذا اشبه شيء بالمستحيل · اما الطريقة المتبعة لتقدير نشاط الازوتوباكتر باضافة كميات من السكر او المواد الكربوهيدراتية الاخرى الى التربة لمعرفة التغيير الواقع في محتوياتها النتروجينية فقد انتقدها رَصِلْ لان اضافة مقادير السكر الى التربة وان كانت تساعد على تثبيت النتروجين الاَّ انها قد تحدث نقصاً في النترات بدليل ما اثبتهُ الفريد كوخ في تجربتهِ سنة ١٩٠٧ اذ اخذ ٥٠٠ جرام من الطمي المخلوط بالرمل وفردها على اطباق لكي يتخللها الهواء بسهولة ثم اضاف اليها مقادير قليلة من الدكستروز تدريجاً بنسب مخصوصة وتركها رطبة على الدوام في الدرجة ٢٠ سنتجراد فشاهد حدوث تثبيت النتروجين بسرعة وبنسبة

(١) Cystococcus (٢) Stichococcus (٣) Bouilhac (٤) Nostoc

مطردة الى ان بلغ غايتهُ بعد ١٨ اسبوعاً ثم اخذ في النقصان بعد ذلك . وكذلك الطريقة التي اتبعت في جزيرة مور يشس لتقدير نشاط الازوتوباكتر بتسميد زراعة قصب السكر بمقادير من رب العسل [١] فانها وان احدثت زيادة في المحصول الاَّ انها لم تكن برهاناً صحيحاً على اطرادها بدليل ان الطريقة نفسها اجريت في جزر هاواي فكانت النتيجة بالعكس مع حدوث استنقاص في نترات التربة . ولِمَ لا يقال في الحالة الاولى ان رب العسل او المواد السكرية والكربوهيدراتية لم يستعملها الازوتوباكتر غذاء فينشط بها وانما كانت سماداً للنبات خاصة على ان اضافة السكر او المواد الكربوهيدراتية الى التربة فضلاً عن كونها ليست بدليل قاطع على ازدياد تثبيت النتروجين لما سبق فان طرق الفلاحة تأباها ولا تسمح باستخدامها

وليست مكروبات تثبيت النتروجين قاصرة على جنس الكلوستريديوم والازوتوباكتر فقط بل هناك مكروبات اخرى كثيرة تقوم بهذا العمل غير ان الصعوبات في البحث تحول دون معرفة الشيء الكثير عنها فمثلاً في سنة ١٨٩٥ فصل كارون [٢] بالمانيا مكروباً منها وحصل عليهِ نقياً بكميات كبيرة اذ رباهُ صناعياً وعرضهُ للبيع للزارعين تحت اسم الينيت [٣] معلناً انهُ يثبت النتروجين الجوي اذا لقح في الاراضي الضعيفة فيزداد بهِ غذاء النباتات وتكثر حاصلاتها فابتدأ العلماء بفحص تركيب الالينيت وعمل التجارب عليهِ ليقفوا على تأثيرهِ في التربة فثبت لهم انهُ مشتمل على مكروب نقي اطلق عليهِ اسم باسيلوس الينباخنسس [٤] يشبه كثيراً مكروبات التربة العادية مثل باسيلوس مجاثيريوم وباسيلوس ميكوديس وباسيلوس سبتليس المشهورة بكبر حجمها وبتكوينها للجراثيم و بمحاجتها للهواء وقد ثبت ان في قدرتهِ تثبيت النتروجين في ظروف مخصوصة وان في استطاعتهِ كذلك استنقاص النترات في ظروف اخرى بمعنى ان لهُ عملين مختلفين في التربة يؤدي احدهما الى زيادة المركبات النتروجنية والآخر الى نقصانها وقد اثبتت بعض التجارب العملية التي اجريت في الحقول عليهِ زيادة محسوسة في حاصلات الارض باستخدامهِ وفي بعض التجارب الاخرى لم تحقق زيادة ما ولذلك تضاربت فيهِ الآراء ولم يجتمع الراي على استخدامهِ وتعميم نشرهِ

محمود مصطفى الدمياطي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) Molasses (٢) Caron (٣) Alinit (٤) Bacillus ellenbachensis



استغلال الارض

٣

الادارة الزراعية

ادارة المزارع فن غير فن الفلاحة فليس كل عارفٍ بهذا عارفًا بذاك ولا هو جدير بان يسمو اليهِ الاَّ اذا كان ذا استعداد لهُ . ولا شبهة في ان الالمام بالفلاحة شرط اوَّلي لا بد منهُ لادارتها وان النبوغ في الادارة لا يكون على اتمهِ الاَّ لمن يكون ضليعًا بالفلاحة وليس خليقًا بهِ الاَّ الادار يون العاملون بما تقتضيهِ الاصول الفنية والنظامية والاقتصادية عملاً يؤَدي الى احسن النتائج الممكنة

ولئن كان في المؤَلفات والمعاهد الزراعية من اصول الفلاحة وقواعدها — وان كان قليلاً من كثير مما يعرف في العرف الزراعي — ما تعين دراستهُ على مباشرة العمل في الغيطان فليس كذلك الشأن في الادارة الزراعية ولذا كانت الحاجة الآن في تعرُّفها الى عرف ذويها أمسَّ من الحاجة في تعرُّف الفلاحة الى عرف اهلها

تقوم الادارة الزراعية بتدبير شؤُون المزارع الزراعية والاقتصادية وعلاقاتها العملية والادبية وذلك يقتضي اولاً — من الملاك مع آداء مطاليب الفلاحة في اوقاتها — انتقاء العمال الاكفاء ومراقبتهم مراقبة حسنة فعّالة واخذهم بنتائج اعمالهم و بقدر ما فيها من حسن الاجتهاد والنجاح

ثانيًا — من الموظفين مع التزام النظام الذي يرتضيهِ المالك — الاجتهاد والاستقامة في اداء واجباتهم العملية والادبية

ثالثًا — من الفريقين معًا — التزام المبادئ الحسنة مع معامليهما عامة وفلاَّحي الزرعة خاصة والاعتدال في تقدير الواجبات والحقوق المتبادلة بينهما مع التسامح فيما يمكن التسامح فيهِ

بعض الملاك يقبض يدهُ دون المصروف اللازم لفلاحة الارض فتقل غلتها اولاً ثم يمحل خصبها و يسوء حالها اخيراً

وليست الاطيان التي عطّل قصور ملاّكها او تقصيرهم استغلالها — مع ان المصروف اللازم لها يمكن تعويضهُ من غلتها في سنة واحدة او بعض سنة — بقليلة بين المزارع

اما الاطيان الموات اوالمستجدة (التي لا تزال في اول عهد اصلاحها الذي لم يتم) والتي يحول العسر لا الاهمال دون اصلاحها واستغلالها فعذر صاحبها في قصوره مقبول ما دام في عسرهِ . والاطيان المستجدة التي من هذا القبيل قد زادت بعض الازمات الاخيرة

قد يكون الشحّ على فلاحة الاطيان سببهُ قصور مالية المالك دون وفاء كل ما يطلب منهُ لنفسهِ ولارضهِ فيهمل هذه ولكن ارى انهُ في هذه الحالة احوج لان يقتصد على نفسهِ دون ارضهِ ما يمكّنهُ من استغلالها وزيادة غلتها ليوسّع على نفسهِ بعد ذلك في المستقبل القريب . اما القرش الذي يضن بهِ اليوم على استغلالها فسيحرمهُ من غلتها عشرات من القروش كان محققاً ان يفوز بها لو لم يكن ذلك الضن (راجع ما كتبناهُ عن إداء مطاليب الفلاحة في المقالة الثانية من هذا البحث) فكأنهُ بذلك يزيد عسرهُ سوءًا على سوء

وقد يكون سبب الشح سوء تقدير المالك لاهمية شؤون الفلاحة . والملاك الذين كذلك ليسوا بقليلين وسيأتي الكلام عليهم بعدُ

وقد يكون السبب ظن المالك ان الشح يحول دون اسراف موظفيهِ و يقلّل الفُرص على قليلي الذمة منهم وهذا علاج غير حكيم ولا يلجأ اليهِ الاّ الملاّك العاجزون او القليلو الخبرة فان السبيل الوحيد للاقتصاد والضبط ليس تأخير طلبات الفلاحة او اختصارها بل هو وضع قواعد محكمة للعمل وانتقاء الموظفين الاكفاء المستقيمين لتنفيذها ومراقبتهم بعد ذلك للتحقق من تطبيقهم عملهم على مقتضيات النظام والفلاحة والامانة والاجتهاد

والمشاهدات ترينا ان تأخير طلبات الفلاحة مهما كان سببهُ كان دائماً وابداً ضد مصلحة الملاك وقلّلاً للتبعة على العمّال لاستفادة الخونة منهم متسترين بستار سوء الحالة الذي اساسهُ سوء تقدير المالك للامور . وكثيراً ما آل الامر في مثل هذه المزارع الى خروج اصحابها عنها ببيعها او بتأجيرها خروجاً غير مأسوف عليهِ وان يرثها عنهم من غير عقبهم من يصلح لعمارتها وفلاحتها

احمد الالفي

الاطيان وما يزرع منها قطنًا

اوردنا في الجدول التالي مساحة الاطيان الزراعية في كل من مديريات القطر المصري وما زرع منها قطنًا سنة ١٩١٣ قبلما نقصت زراعة القطن ونسبة الاطيان التي زرعت قطنًا الى الاطيان كلها

المديرية	مساحة الاطيان	مساحة القطن	النسبة في المئة
(١) الدقهلية	٤٧٥ ٥٢١ فدانًا	٢٦٤ ٥٩٩ فدانًا	نحو ٥٥,٦ في المئة
(٢) الغربية	٨٩٥ ٨٤٢ «	٤٣٢ ٦٧٤ «	٤٨,٣ « « «
(٣) البحيرة	٥٧٨ ٨٤١ «	٢٥٣ ٢٠٦ «	٤٤,٠ « « «
(٤) الشرقية	٥٣٠ ٣٨٨ «	٢٢٣ ١٥٧ «	٤٢,٠ « « «
(٥) المنيا	٣٧٥ ٨٧٥ «	١١٥ ٨٣٦ «	٣٨,٠ « « «
(٦) القليوبية	١٩٢ ٥١٤ «	٠٧٢ ٣٨٧ «	٣٧,٥ « « «
(٧) المنوفية	٣٤٥ ٠٠٦ «	١٢٧ ٢٢٠ «	٣٦,٦ « « «
(٨) بني سويف	٢٢٢ ١٨٦ «	٠٧٤ ٧٥٤ «	٣٣,٦ « « «
(٩) الفيوم	٢٩٨ ١٠٠ «	٠٧٩ ١٤٩ «	٢٦,٥ « « «
(١٠) الجيزة	١٧١ ٨٦٩ «	٠٤١ ٨٨٣ «	٢٤,٤ « « «
(١١) اسيوط	٣٩٠ ٧٥٦ «	٠٥٨ ٥٩٩ «	١٥,٠ « « «
(١٢) جرجا	٢٢٠ ٤١٢ «	٠٠٦ ٩١٥ «	٠٣,٠ « « «
(١٣) اصوان	٠٦٥ ١٣٣ «	٠٠٠ ٩٣٦ «	٠١,٤ « « «
(١٤) قنا	٢٥٩ ٣٨٩ «	٠٠٣ ٩٥٥ «	٠١,١ « « «
المجموع	٥ ٠٢٣ ٢٣٠ «	١ ٧٥٥ ٢٧٠ «	٣٥,٠ « « «

وواضح من ذلك ان زمام زراعة القطن في الدقهلية اوسع منهُ في غيرها بالنسبة الى مساحة اطيانها فان اكثر من نصف اطيانها يزرع قطنًا كل سنة وهذا يستلزم ان يزرع بعض اطيانها قطنًا سنتين متواليتين احيانًا. وتتلوها الغربية والشرقية والبحيرة وفيها كلّها براري واطيان مستجدة لا تزرع قطنًا فاذا اغضينا عنها ظهر ان الاطيان الرواتب فيها يزرع نصفها قطنًا كل سنة. ومن الغريب ان القليوبية والمنوفية لا يزرع القطن سنويًّا الّا في نحو ثلث اطيانهما

ولعلَّ ذلك من اسباب وفرة محصول الفدان فيها · ومثلها المنيا وبني سويف من الوجه القبلي اما الفيوم فلا مانع يمنع زرع القطن في ثلث اطيانها الاَّ قلة المياه الواردة اليها صيفاً فانها لا تكفي الاَّ لزرع ربع اطيانها وقد لا تكفي هذا الربع في كثير من جهاتها · ومع ذلك قال احد مديري الاعمال فيها ان الماء الوارد اليها صيفاً يزيد على الحاجة · فعسى ان لا تتمسك مصلحة الري بقوله كأنهُ منزل بل تنظر في الارقام المتقدمة وتزيد الماء حتى يكفي لزرع القطن في الاطيان الزراعية على الاقل

فوائد في زراعة الكتان

صادرات الكتان

كان الصادر من روسيا في السنة ٢٠٠٠٠٠ طن من الكتان ومن هولندا ٣٠٠٠٠ طن ومن بلجكا ٣٦٠٠٠ طن ومن فرنسا ١٣٠٠٠ طن

غلة فدان الكتان المصفَّى

في فرنسا	٦٨٦	رطلاً
وفي النمسا	٥٤٦	«
وفي المجر	٥٤٦	«
وفي هولندا	٥١٨	«
وفي المانيا	٤٩٠	«
وفي بلجكا	٤٤٨	«
وفي ارلندا	٤٠٦	«
وفي ايطاليا	٣٣٦	«
وفي روسيا	٢٣٨	«

وقد كان الكتان البلجيكي اغلى انواع الكتان فقد بلغ ثمن الطن منهُ احياناً قبل الحرب ٢٤٠ جنيهاً ولكن متوسطهُ كان ٦٥ جنيهاً و يتلوهُ الكتان الهولندي فقد بلغ ثمن الطن منهُ احياناً ١٤٠ جنيهاً ولكن متوسطهُ كان ٥١ جنيهاً ثم الكتان الارلندي فقد بلغ ثمن الطن منهُ احياناً ٨٠ جنيهاً ولكن متوسطهُ ٥٢ جنيهاً ثم الكتان الفرنسوي من برتني فقد كان متوسط الطن منهُ ٤٤ جنيهاً ثم الروسي فالالماني

مبادىء خصب المزروعات

(تابع ما قبلهُ)

تقدم في الجزء الماضي ان خصب المزروعات ثلاثة مبادىء

الاول. ان يجد النبات في التربة مقداراً كافياً من كل المواد المغذية الضرورية لهُ ولاسيما النتروجين والبوتاسيوم والفصفور

والثاني. ان تنحل مواد التربة بفعل الاحياء التي فيها بسرعة وبغير عائق

والثالث. ان تجاب مطالب النبات كلها واذا لم يجب واحد منها صار عائقاً ووقف النمو واذا زيد فاعل من فواعل الخصب زاد النمو بهِ الى ان يقل فاعلٌ آخر فتصير قلتهُ عائقاً يقف النمو عندهُ

وكل مبدإٍ من هذه المبادىء الثلاثة يُرى واضحاً بنوع عام في كل المزروعات ولكن اذا اريد العمل بهِ تماماً لم يظهر الامر سهلاً لكثرة الفواعل وتنوُّعها . مثال ذلك تسميد المزروعات بالفصفات فان الفصفات لازم لنمو النبات وقد ظهر من التجارب بزرع المزروعات في الرمل وتسميدها بالفصفات ان بين مقدار الفصفات وخصب النبات نسبة حسابية محدودة ولكن لا يحدث ذلك اذا زرعت المزروعات في غير التربة العادية وسمدت بالفصفات فان التربة يكون فيها حينئذٍ شيءٌ من الفصفات وما من سبيل لمعرفة مقدار ما فيها من الفصفات الذي يستفيد منهُ النبات لانهُ يختلف باختلاف الطرق التي تستعمل لمعرفتهِ واذا كانت الطريقة مبنية على استعمال الحامض التريك فكلما طال استعمال الحامض قلَّ الاكسيد الفصفوريك المستخرج من التربة

ويظهر انهُ اذا سمدت الارض بسماد الفصفات لكي يزيد خصبها لم يقف الفصفات فيها منتظراً النبات لكي يقويهُ ويخصبهُ بل يفعل بالارض فتمتصهُ ومنها يأخذ النبات ما يحتاج اليهِ منهُ اي ان التراب والزرع يحاول كلٌّ منهما الاستئثار بالفصفات . وتختلف مقدرة التراب باختلاف بنائهِ فاذا كان طفالاً فهو اقدر على حفظ الفصفات من الرمل ولذلك فالمقدار الكافي من الفصفات في الارض الرملية لا يكفي في الارض الطفالية . ومن ثم عرف لماذا يكون احتياج الارض الطفالية الى السماد الفصفوري اشد من احتياج الارض الرملية

ثم ان النبات جسم حي فلا يمكن تحديد ما يحتاج اليهِ من الغذاء تحديداً يصلح في كل وقت وكل حال لان ذلك يختلف باختلاف الاحوال ولهذا يجب الذهاب الى الاطيان وامتحان



ملكة رومانيا



تمثال ملكة رومانيا وهي تعتني بجريح

مقتطف ابريل ١٩١٦

امام الصفحة ٣٨٧

الاسمدة المختلفة فيها مدة سنتين او ثلاث سنوات حتى اذا ظهرت النتيجة وتكررت بنفسها يعتمد عليها وتتخذ قاعدة

ثم ان البحث في تعقيم التربة اثبت ان الاحياء المكرسكوبية التي فيها طائفتان مختلفتان الاولى مفيدة لتكوين الغذاء اللازم للنبات والثانية غير مفيدة لهُ والاولى اقدر من الثانية على مقاومة العوارض التي تنتابها فاذا عولجت التربة بشيء يضرُّ بهذه الاحياء ويميت بعضها فان الثانية تموت قبل الاولى فتنتفع المزروعات بذلك ولكن اذا عولجت التربة بشيء يقوي هذه الاحياء فان الطائفة الثانية الضارة تقوى فينتج من ذلك ضرر للمزروعات . وهذا مبدأ آخر حري بالنظر ويظهر فعلهُ حيث يقل خصب التربة بزيادة السماد فيها كما في الاماكن التي يشتد البرد فيها فتزرع الخضر والبقول في بيوت من الزجاج اتقاء البرد فان تربتها يقل خصبها بزيادة السماد فتعالج بالبخار السخن حتى يموت جانب كبير من المكروبات التي فيها فيقع اكثر الموت بالمكروبات الضارة لا بالنافعة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة رومانيا

نعي البرق هذه الملكة الجليلة في اوائل الشهر الماضي فرأينا ان نعيد ما كتبناهُ عنها منذ سنتين حيث قلنا :

هي اكتب كاتبات العصر واشعر شاعراتهِ وتعرف لدى ارباب الاقلام وقارئي كتب الادب باسم كارمن سلفا اي غناء الغاب ابوها من بيت الماني قديم عريق في المجد ومنهُ الامير الذي اختير حديثاً ملكاً لالبانيا وامها اميرة نسوية اخت دوق لكسمبرج وكلاهما من محبي الآداب والفنون . عُلّمت القراءة وعمرها ثلاث سنوات وبرعت في حداثتها في تعلم اللغات ونظمت الشعر الحسن وعمرها ثلاث عشرة سنة ومن ثم الى الآن وهي تنشئ وتنظم واكثر ما تميل الى الكتابة فيهِ المواضيع الاجتماعية والقصص الفكاهية ومن ذلك كتاب قصص للصغار بيع منهُ نحو مليون نسخة لا لانها تكتب كملكة بل لانها تكتب كامرأة ووالدة ثاكلة

اقترنت بملك رومانيا سنة ١٨٦٩ وولد لها ابنة سنة ١٨٧٠ · فسُرَّ الشعب الروماني بها واهدى اليها سريراً من الذهب · ولم تكد تبلغ الرابعة من عمرها حتى كاد يعبدها لما امتازت بهِ من جمال المنظر ولكنها مرضت حينئذٍ بمرض وافد انتشر في بخارست وامات كثيراً من الاطفال · وبقيت اربعة ايام وهي بين الحياة والموت فافرغ الاطباء حيلهم وغاية ما وصل اليهِ علمهم ولكنهم لم يقووا على مقاومة الداء · اربعة ايام بلياليها وامها ساهرة عليها لا تفارقها لكنها لم تستطع ان تدفع مقدوراً واخيراً فتحت الابنة عينيها وقالت بصوت لا يكاد يُسمع انا عطشانة اسقوني من ماء بيلَش فصار نهر بيلَش من ذلك الحين مقدَّساً في رومانيا · ولم ترزق الملكة ولداً غيرها فقضت عمرها في وصف محاسن هذا النهر والجبال المحيطة بهِ نثراً ونظماً · واحيت كل القصص القديمة واسكنت تلك الآكام والوهاد بصور خيالها كل ذلك تذكاراً لابنتها ولبست الحداد من ذلك الحين تعاقب بين الابيض والاسود

وقد صار قبر هذه الابنة حرماً تزورهُ الملكة كل يوم الاَّ اذا منعها مرض · وبنت الى جانبهِ ملجأً للايتام تذكاراً لهُ واقامت عليهِ تمثالاً من المرمر يمثل ابنتها وقصائب شعرها حول وجهها وعيناها مغمضتان وكتبت تحتهُ آية من الانجيل وهي « لم تمت لكنها نائمة »

وبنت الى جانب النهر الذي نطقت ابنتها باسمهِ قبلما اسلمت الروح قصراً بديعاً افرغت في رسمهِ وتزيينهِ ما اعطاها الله من قوة التصور وسعة الخيال · شرعت في بنائهِ سنة ١٨٧٥ ومضى ثلاثون سنة وكبار المهندسين والنقاشين يعملون في تنسيقهِ وتزيينهِ وانفقت عليهِ بدرات الاموال ولا تزال ايدي الصناع تعمل فيهِ والداخل اليهِ الآن كالداخل الى متحف من المتاحف الكبيرة لكثرة ما فيهِ من التحف والاعلاق المجموعة من اقطار المسكونة ولان غرفهُ الكثيرة مختلفة النسق والاساس والهندام باختلاف البلدان المنسوبة اليها فهناك غرفة انكليزية للاستقبال واخرى المانية للاشراف واخرى شرقية للجلوس واخرى هولندية للصور واخرى تركية للتدخين وهلم جرًّا · وفيهِ اربعون منزلاً لانزال الضيوف كل منزل منها تام بغرفهِ ومرافقهِ

التقت بزوجها اول مرَّة في قصر امبراطور المانيا ببرلين وكانت قد اتتهُ زائرة وهي فتاة في السادسة عشرة · ويقال انها كانت نازلة على سلم القصر مسرعة على جاري عادتها فزلَّت قدمها ووقعت واتفق ان البرنس شارل الذي اقترن بها بعدئذ كان صاعداً فتلقاها · وكانت تقول انها لا تتزوج الاَّ بمن يجعلها ملكة لرومانيا لان تلك البلاد مشهورة بجمال مناظرها حتى كأنها شعر نظمتهُ الطبيعة ولم يكن لها ملك حينئذٍ ولا كانت مملكة · لكن

الامير الذي تلقاها وهي واقعة ونجاها من الهلكة وقع من نفسها موقعاً عظيماً فاقترنت بهِ بعد تسع سنوات اي بعد ان جُعل اميراً لرومانيا . ولما خطبها اخذت تتعلَّم اللغة الرومانية فلم يمضِ عليها وقت طويل حتى احسنتها لكثرة ما تعرف من اللغات

ولما انضمَّت رومانيا الى روسيا في محاربة الدولة العلية جعلت صاحبة الترجمة تمرّض الجرحى وتعزي المحتضرين واقامت مستشفى لمئة منهم على نفقتها وكانت تحضر العمليات الجراحية الكبرى . ولما رأى اغنياء بخارست منها ذلك جعلوا يحذون حذوها في الانفاق على الجرحى واجتمع نساء العساكر وجمعوا مبلغاً طائلاً من المال صنعوا بهِ تمثالاً لها يمثلها راكعة امام جندي جريح وقد عمدت رأسهُ بيسارها وفي يمينها كأس تقدمها لهُ

ولما وضعت الحرب اوزارها وعاد زوجها الى بيتهِ كتبت الى امها تقول « الحمد لله فقد عاد شارل (اي زوجها) و يسهل عليَّ الآن ان اعود الى كني الى ازهاري وطيوري وكتبي ودفاتري . و يل للمرأة التي تضطرُّ ان تخوض غمار السياسة . قدَّر الله لنا سلماً طويل الامد يزول بهِ ما خامر نفوسنا من البؤس والكد و يجعل كل ما حدث في خبر كان » .

والحادثة التالية تدل على ما كان لها من المكانة في نفوس الضباط والجنود :—

اصيب ضابط بكسر مزدوج في فخذهِ وقال الجراح ان لا بدَّ من بترهِ . اما الضابط فابى ذلك مفضلاً الموت على ان يعيش بلا ساق . فلجأ الجراح اليها لعلها تقنع الضابط . ولما رأت الكلام والحجج لا تجدي معهُ نفعاً ركعت امامهُ وقالت لهُ حتى الآن لم اتوسَّل الى مخلوق قط لكنني اتوسَّل اليك ان تطيع امر الجراح . فقال لها ان فعلتُ ما تريدين فماذا يكون جزائي . قالت اني اهدي اليك رجلاً صناعية لم يصنع الصناع احسن منها ومتى تعلمت المشي عليها ادعوك الى القصر انت واولادك » فاطاع امرها وقُطعت رجلهُ

زارتها احدى الكاتبات منذ عهد غير طويل وكتبت عنها تقول « اول ما وقع نظري عليها عجبت من ان جمالها الفائق لم تذبل نضارتهُ حتى الآن وطلاقة وجهها لا تزال على عهدها ثم استغربت سعة معارفها وتمكنها من البحث في كل موضوع ولكن لم يخفَ عليَّ انها كانت تفرط في استعمال قواها العقلية فتكاد تستنزفها كلها . فكثيراً ما كانت تأتي في الصباح الى المائدة وفي يدها رزمة من الاوراق تكون قد احيت الليل في كتابة ما فيها ثم ينقضي النهار وهي تنتقل من عمل الى آخر لا تكلُّ ولا تملُّ . الى ان يأتي اولاد اخيها امبرو يد بعد ان يتموا دروسهم فتقضي ساعة معهم في اللعب والغناء »

لما زارت انكلترا آخر مرة نزلت في قصر وندزر ضيفة على الملكة فكتوريا وتلت على مسمع الملكة رواية شعرية تاريخية من نظمها باللغة الالمانية تلتها كلها من غير ان تفتح كتاباً. وتلت في وقت آخر امام السر هنري ارفنج الممثل الشهير رواية اخرى من نظمها ناقلة اياها ارتجالاً من اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية فابدعت في حفظ المعنى مع فصاحة التركيب الانكليزي حتى ادهشت السامعين وقالوا ان ذلك فوق طول البشر

وزارت سنة ١٩٠١ قبر امبراطورة النمسا ووضعت عليهِ اكليلاً من الزهر كتبت عليهِ ما ترجمتهُ « اتيتك بازهار قطفتها من اعالي الجبال لاطرحها عند قدميكِ اللتين كانتا دائبتين على السعي الى اسمى المطالب الى السلام الدائم الى المعرفة الكاملة الى ينابيع النور والطهر الابديين. اتيتكِ بالازهار من تلك المسالك التي كنا نسير فيها عند فجر النهار حينما كان زهر الربى ينعش نفسينا باريجهِ والمعاني تتلألأ كالكواكب من عينيك فتصفرُّ منها لآلئ الندى خجلاً. ولقد كانت نفسكِ صافية كالبلور جسورة كقدميك تطوف العوالم وتخترق اعماق الخفايا ومجاهل الغوامض ضفرَت الزرايا لرأسك اكليلاً فلم يعد يعبأ بتاج الملك. رأيت امجاد العالم وعظمتهُ خيالاً زائلاً لانك الى العالم الروحي انضيتِ العزيمة ومنهُ جاءتكِ النجاة حينما عن مساوئ الدنيا التفتِّ فسمعتِ في ظلمات الليل صوت قلبك يستجلي بنات فكركِ ويزفُّ عرائس عقلكِ. ولقد كنتِ الحليفة لتلك الافكار الحرَّة والمعاني النفيسة. فيا اختاهُ عند قدميكِ اطرح ازهاراً علتها حمرة الخجل وصفرة الوقار قطفتها لك من جبال كرباثيا. عند القدمين اللتين اضناهما التعب قبلما تمتعتا بالراحة اطرح هذه الازهار فلتبثَّ لك اشواق الذين شاقتهم المعالي وهم يحثون مطاياهم الى الخلود »

وقد قرأنا لها شعراً انكليزيًّا في وصف دير وستمنستر فلما قرأنا ما هو ابلغ منهُ

القابلية او الجوع

القابلية او الجوع شعور الحيوان شعوراً غريزيًّا بالحاجة الى الطعام اللازم لحفظ جسمهِ ولتقديم ما يكفيهِ من القوة لاتمام وظائفهِ. وسببهُ الاخير عائد الى اختلاف النسبة بين الموجود في الجسم والمطلوب لهُ. فاذا قلَّ الموجود عن المطلوب شعر الجسم بالحاجة الى ما يسدُّ النقص ويعيد التوازن. واذا تساويا فتساويهما هو الشبع. واذا زاد الموجود على المطلوب كان الشعور بزيادة الامتلاء وما يعقبهُ من التقزز او التخمة

اما سبب الجوع المباشر فمختلف فيهِ · فقد عزا بعضهم العطش الى جفاف اطراف الاعصاب في الجلد والفم بتبخير الماء من سطحها وعزوا الجوع الى تهيج قليل يطرأ على المعدة من تسرُّب العصارة المعدية اليها من جدرانها · ومهما يكن من ذلك فما لا مشاحة فيهِ ان حسن القابلية لازم لعمل الهضم · والذوق الصحيح والقابلية الجيدة هما خير مرشد الى نوع الطعام الذي يؤكل وكميتهِ اللازمة

وقد يستولي على القابلية كغيرها من وظائف الجسم ما يحيد بها عن الجادة فيطلب صاحبها اكل الرماد او التراب او الشعر او الحصى او الفحم او غير ذلك كما يحدث في الحالة المعروفة باسم « بيكا » عند الاطباء وهي حالة شاذة تطرأ احياناً على الحبالى والمصابين بالهستيريا وغالباً على المصابين باختلال عقلي · على ان اهمّ ما تصاب بهِ القابلية آفتان اشتدادها الى حدّ عدم الشبع او النهم وهو ما يسمى بالجوع الكابي · وضعفها الى حدّ فقدها

اما النهم فقد يكون مجرَّد عادة ناشئة عن اعتياد المآكل الطيبة ومن عواقبهِ زيادة حموضة المعدة والنقرس والسمن وغيرها من الآفات التي تختلف باختلاف العادة والمزاج · وهو على الغالب من اعراض بعض انواع سوء الهضم او البول السكري ويسمَّى حينئذٍ « بوليميا »

واما ضعف القابلية او فقدها فعرض من اعراض جميع الامراض التي تسبب ضعفاً عامًّا لان نشاط المعدة وافراز العصارة المعدية يضعفان بضعف حيوية الجسم وانحطاط قوتهِ · لذلك كان فقد القابلية من اول اعراض السل · وغنيّ عن البيان ان وجودهُ يزيد شدة ذلك الداء العياء · وهو كذلك من اعمّ اعراض الدسبسيا ومرطان المعدة · وكثيراً ما لا يكون لهُ سبب ظاهر فتعود القابلية حالاً بعد تناول شيء من المقويات والعقاقير المرة مثل الخشب المرّ او الجنطيانا او الكينا او الجوز المقيئ

وهناك داءٌ يعرف عند الاطباء باسم الانوركسيا العصبية يفقد فيهِ المصاب قابليتهُ فلا يكاد يأكل شيئاً و يقل نومهُ ويخف جسمهُ و يصفرّ لونهُ ومع ذلك يواظب على عملهِ الشاق بلا كلل ولا ملل · والغالب ان يصيب الشابات وان ينتهي بهنّ الى انحلال عصبيّ تامّ

علامات الموت

يخشى كثيرون من الناس ان يُدفنوا احياناً على اثر نوبة اغماء او صرع تأخذهم وتطول مدتها فيظن انهم ماتوا وهم لم يموتوا · وكثيراً ما اتفق ان دفن الاحياء خطأً ولكن ذلك

نادر الحدوث في البلاد المتمدنة حيث الاطباء كثيرون ووسائل التحقق من الموت سهلة

للموت اعراض كثيرة منها ارتخاء عضلات الوجه فتنفتح العينان والفم · وفقد انحناء الظهر فيتسطح بوضع الجثة على السرير او على مائدة · واصفرار الوجه اصفراراً خاصاً · وفقد اللون الاحمر الذي يرى بين عقد الاصابع اذا وضعت الكف بين العين والمصباح · وعدم نفط الجلد واحمرارهِ اذا مسَّتهُ النار · وهذا الاخير يسمى علامة كريستسون وهو من اهم العلامات · ومنها انهُ اذا ربط خيط حول الاصبع ثم نزع لم يتغير لون الجلد · اما في الاحياء فان الخيط يترك دائرة بيضاء مكانهُ ثم تحمرّ وتصير اشد احمراراً مما حولها

على ان اهم العلامات لتمييز الموت حالاً وقوف القلب وانقطاع النَّفس · اما القلب فتستقصى حركتهُ بوضع الاذن على الصدر داخل حلمة الثدي الايسر · واما النَّفس فيسبر بوضع مرآة او ريشة امام الفم والانف · فاذا تكون على المرآة بخار او اضطربت الريشة فالتنفس باقٍ لم ينقطع والاَّ فلا · ومنهم من يملأ كأس ماء ويضعها على صدر المشتبه في موتهِ وينظر الى نورها المنعكس على السقف فاذا ترجرج فالحياة باقية والاَّ فالموت واقع

وهناك اربعة امور مهمة لتعيين الوقت الذي انقضى على الموت· الاول انهُ بعد انقضاء اربع ساعات او اكثر تظهر بقع مزرقة على الظهر تظن عادة انها اثر رضوض. وهي ليست كذلك · والثاني ان الجسم يأخذ في فقد حرارتهِ بعد الموت حالاً حتى تهبط الى مثل حرارة الوسط الذي هو فيهِ بعد انقضاء ١٥ ساعة الى ٢٠ ساعة على الموت· ولكن اذا كان الطقس حارًّا او كان الميت قد مات بالاختناق فان فقد الحرارة يكون اكثر ابطاء مما تقدم · والثالث ان اليبوسة تبدأُ بعضلات العنق بعد الموت باربع ساعات الى عشر ثم تمتد الى العضلات الاخرى وتتم بعد ذلك ببضع ساعات وتدوم يومين الى اربعة ثم تأخذ في الزوال شيئًا فشيئًا· وهي تدهم الجسم باسرع من ذلك اذا كان الموت بمرض من الامراض التي طال امدها · وكثيراً ما تفاجئ العليل على اثر آفة تصيب دماغهُ · واذا حني عضو متيبس في ميت زال عنهُ تيبسهُ · أما التخشب الذي يصيب الجسم الحي فلا يُزال بليّ العضو المتخشب بل يبقى كما كان · والرابع ان الانحلال علامة للموت اكيدة وهو يبدأُ بظهور بقعة مخضرة على اسفل البطن بعد الموت بيومين او ثلاثة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

الفلسفة المادية . حقيقتها . ونتائجها

عزيزي الدكتور صرُّوف

اشكرك اولاً . ثم استميحك الإذن في الملاحظة الآتية

في كلامك على « الرُّجحان » في المقتطف قلت :

« والظاهر ان الدكتور نظم هذه القصيدة وشرحها قبل نشوب الحرب الحاضرة وما انتجتهُ الفلسفة المادية »

فهل انت من المعتقدين ان الحرب الحاضرة وفظائعها نتيجة هذه الفلسفة ؟

اذا كان العلم اليوم زاد العدَّة فتكاً والسطوة اتساعاً ، ولم يهذّب الطبائع كما ينبغي ، ولم ينظّف العقول كما يجب ، ولم يمنع الحروب الجائرة ، فهل كانت الحال في الماضي اصلح ، وهل كانت الحروب اقلّ ، أم كانت اكثر جسوًّا وفظائعها اشنع كذلك « بطبيعتها » منها اليوم ، مع شدَّة شناعة الحرب الحاضرة ؟ وهل يجوز في احكامنا ان ننسى تاريخ المقابلة ؟

وما هي الفلسفة الماديَّة ، وما هو تعليمها في الاجتماع ؟

يقولون ان الفلسفة الماديَّة انما هي فلسفة المصلحة ، وان المصلحة سبب الحرب اليوم . وكلا القولين صحيح . ولكنهم يقولون ايضاً — والجرائد صرعتنا [1] بترديد هذا القول — ان فلسفة المصلحة من شرّ التعاليم . فهل هذا صحيح ؟

ألم تكن الحروب في الماضي لاجل المصلحة ؟ أَوَ ليست المصلحة الدافع لنا في اعمالنا جميعها حسنة كانت ام غير حسنة ، ماديَّة او ادبيَّة ، دنيويَّة ام غير دنيويَّة ، وهل أحدٌ منا يسعى لغير مصلحة ؟

(١) بالمعنى العامي الدارج

فبماذا تُشَانُ المصلحة ان تكون محازنا في اعمالنا ؟

ولكن المصلحة ما هي ؟ واين هي ؟

هذا الذي يختلف الناس فيهِ ، وقلَّ منهم من يفهمهُ على جليّتهِ ، او يعمل بهِ وإن فهمهُ ان لم يرسخ في طبيعتهِ

اكثر الناس في الاجتماع حتى اليوم يعملون كأنَّ مصلحتهم لا تتفق على مصلحة سواهم وهذا سبب اكثر مصائب الاجتماع وتثاقلهِ في ارتقائهِ . وكان ذلك في الماضي اكثر منهُ اليوم فمن كان المسؤُول في الماضي ؟

الفلسفة الماديَّة اساسها علم الطبيعة(١) . فماذا يعلّمنا نظام الطبيعة في امر هذه المصلحة ؟

الطبيعة تنظر الى المصلحة العامَّة في كل أعمالها . ولكنَّ المصلحة العامَّة تتوقَّف على المصلحة الخاصَّة ، وإلاَّ لم تنتظم مجاميع من وحدات ، ولم تنتظم اجسام من مجاميع ، فهي لذلك تنظر الى المصلحة المشتركة ايضاً

نعم ان في الطبيعة شيئاً كثيراً من القسوة ، لأَنَّ فيها كثيراً من الإسراف كما في مثال بيض السمك وازهار النبات الذي ضربتهُ . والقسوة هنا شرطٌ لازم لتوفير المصلحة العامَّة ، وإلاَّ عمَّ الموت وبادت المجاميع وبادت الانواع لعدم كفاءة القوت . فعمل الطبيعة هنا معقول

والإسراف هنا ليس تبذيراً ، بل هو عملٌ اقتصاديٌّ من جنس الاعمال الاحتياطيَّة لسلامة الكلّ . ولذلك هو يكثر في ما كان كثير التعرُّض للطوارىء كما في الاحياء التي لا تحضن بيضها ، ويقلُّ في ما كان قليل هذا التعرُّض كما في الحيوانات التي تحضن بيضها واولادها ومنها الانسان . فالعمل هنا في غاية الاحكام والغرض الكلي منهُ متوفر

والتنازع بين وحدات الجسم الواحد ومجاميعهِ مهما اشتدَّ فهو تنازع انتخابي لمصلحة الجسم وليس هو غالباً العداء المفكك لاوصالهِ . ولا يكون كذلك الاَّ بين المتغايرات لمصلحة المتماثلات

هذا ما يعلمنا اياهُ نظام الطبيعة الغشيمة وتطبعهُ فينا فلسفتها الماديَّة . وللعقل شأن كبير في ذلك في الاجتماع . ولكنهُ لا يخرج فيهِ عن هذه القاعدة حتى يقع في الحيف . وخروجهُ عنها حتى اليوم كثير

---

(١) كان حقها ان تسمى الفلسفة الطبيعية او فلسفة الطبيعة لما كانوا في الماضي يخفون بلفظة « المادية » من الشبهات من انها فلسفة شهوانية لدفع ما قد يكون من ذلك عالقاً في ذهن البعض حتى اليوم

فهل الحرب الحاضرة تنطبق على هذه الفلسفة او هل تعاليم مثيريها في الاجتماع معقولة ولو انهم اساطين في العلم ؟

الاجتماع كالجسم الحي . جسم متماثل لهُ وحداتهُ ومجاميعهُ نظيرهُ هي الامم والافراد. ونظامهُ كنظامهِ

فهل في نظام الجسم الحيّ ما يوجب هذا التنازع التقاطعي المفكّك الاّ في احوال معينة اوضحناها هناك كالقضاء على وحدات فاسدة لصيانة المجموع او على مجموعٍ غير صالح ان لم يكن اصلاحهُ لصيانة الجسم . وما خلا ذلك أفليس نظام هذا الجسم يعلمنا ان التنازع في الاجسام المتماثلة مهما راح فيهِ من الضحايا فهو تنازع تعاوني اذا جاز لي ان اسمّي هذا العمل لمصلحة العامة هكذا ؟

والمراد من قولنا المتماثلات والمتغايرات يتضح جيداً من قول اليازجي الكبير

اني رأيت الأُسد أحسن خلّةً من جنس هذا الناطق المتمرّدِ
الناس تقتل كل يوم بعضها والأُسد تقتل غيرها اذ تعتدي

فهل يجوز ان تكون الفلسفة الماديّة او فلسفة المصلحة سبب هذه الحرب وفظائعها وهي في جسمٍ متماثل وبين اعضاء صحيحة وعلى مصلحة غير متوفّرة لاحد ؟ أم الأَولى ان يكون سببها سوء فهم هذه المصلحة لا انها نتيجة هذه الفلسفة ؟

وما هو شان هذه الفلسفة في الاجتماع والعلم لم يتخلّل طبقات العامّة . ولم يختمر ولم ينضج في رؤُوس الخاصة انفسهم

والشواهد على ذلك كثيرة من تقاعس المجتمع عامّةً وخاصةً عن المشروعات العمومية النافعة لهُ كأَن العامّة لا تدري وكأَن علم الخاصّة «عذريّ»

بل شاهدُنا هذه الحرب نفسها التي تراق فيها الدماء بحاراً وتذهب المصالح فيها جزافاً لمطامع جنونية في رأسٍ مفتونٍ تحف بهِ زمرة من تجار وسياسيين وعلماء خَرِبي الذمم او مشرّدي الروية . وهل ينقاد للسفّاحين المخرّبين غير المغفّلين ؟

فالفلسفة المادية غير مسؤُولة عن هذه الحرب . وكان يجب ان تنهى عنها لو كانت النفوس متشبّعة منها ومدركة لها عملاً بالمصلحة المشتركة التي لا تتوفّر المصالح عامة بدونها — وما المسؤُول عنها حقيقةً غير الطمع الجائر والجهل المطبق . والجهل بين الامم الراقية حتى اليوم اكثر جداً مما يُظَنّ

ألا ترى الأصوب ان تقول معي ان السبب الحقيقي اليوم لهذه الحرب الكبرى هو الانتقال في الاجتماع من قديم راسخ الى جديد لم يستقرّ وانت تعلم كم هي اطوار الانتقال في الطبيعة عنيفة وشديدة الخطر . لان الانسان اذا كان حتى اليوم لا يعرف مصلحتهُ في الاجتماع كما ينبغي ففي الطبيعة نواميس تعاقب الذي يقف في وجه المصلحة العامة وتقضي على افتتانهِ وتردُّهُ الى هذه المصلحة التي فيها مصلحتهُ ايضاً . وسيخرج الاجتماع بعد هذه الحرب الى حال أصلح تنقشع فيها شيئاً السحابات الكثيفة التي تغمُّ على العقول . ولكن بعد عنف شديد من اثر ذلك التباطؤ وتراكم المتباينات . وكان ينبغي على العقل ان يقيهُ شرّ ذلك لو كان أنقى وأرقى

***

واما ما ذكرتهُ من امر الاتصال والانفصال والوجود والخلود واحتمال بقاء الوجدانات الخ . فلا أُطيل فيه لئلاّ يردّنا الى نظريات يطول الاخذ والرد فيها على غير جدوى وشأن العلم فيها ضعيف

وكلامك في ذلك قسمان علميّ وغير علميّ او طبيعي واحتمالي . فالطبيعي لا محلّ للخلاف فيهِ . واما الاحتمالي فمذهبك فيهِ ما عدا انهُ يخالف الشائع المعروف هو مزيجٌ اقرب تارةً الى اللاأدرية . وتارة الى المذاهب العلمية الطبيعية . ولكنهُ يختلف عنها باحتمال بقاء الوجدان بعد فناء الجثمان في القوّة الشاملة الخالدة المتصلة على صورة يصعب تصوُّرها . فإمّا ان يكون بقاؤهُ ضمن الطبيعة . وحينئذٍ يجب ان يكون فيها على غير ما يُعلَم عن بقاء قوى سائر الموجودات الطبيعية التي تنشأ منها وتفنى فيها . وما دليلنا عليهِ؟ وإما هو خارج الطبيعة وحينئذٍ يبقى علينا ان نفهم فوق ذلك كيف يكون هذا الانفصال عنها مع ذلك الاتصال بها . والاجتهاد هنا بيّن . والحكمة التي سردت عليها الادلة في نظام الطبيعة على صورة خلاّبة ليست كذلك الاّ اذا كان النظام المذكور طبيعيًّا اضطراريًّا . والاّ لم تكن لكثرة النقص الذي لا يذهب عليك فيهِ من مثل الإسراف الذي ذكرتهُ . ومن مثل الاعضاء الاثرية وكثرة تبدُّد القوى في الطبيعة كما لا يخفى . وكان ينبغي التفاوُتُ لو كان العمل غير طبيعي . اللهمّ الاّ ان تكون فيهِ على مذهب استاذنا الاكبر الدكتور ڤان ديك «من ان الذي يصنع ساعة تصنع ساعات هو اعظم من الذي يصنع كل ساعةٍ وحدها» فيكون الشأن بعد ذلك للطبيعة . على ان ذلك معا فيهِ من الحكمة للتسامح الذي فيهِ لاجل العلم لا يجلو مسألة الخلق من طبيعي تارةً وغير طبيعي اخرى بالنظر الى مقامهِ من هذا الاتصال

والانفصال في آنٍ واحد ، ولا يبين مكان الاستقلال للصانع ، وكيفية بقاء الوجدان للمصنوع . واذا كنا لا نفهم المراد من هذا البناء والهدم المترادفين لغرضٍ غير طبيعي فماذا يهمُّ الطبيعة من ذلك والغرض الطبيعيّ منهُ متوفر لها في تطوُّرها . ولا بأس من ذلك كلهِ اذا كانت النفوس ترتاح اليهِ واذا كان لا يقف في سبيل العلم . واليوم لا يقف كما كان يقف منذ خمسين سنة فقط . والشوط الذي قطعهُ العقل في هذه المدَّة من هذا القبيل يفوق كل حساب . اذكر ذلك هنا ليس لانهُ من موضوعنا ولكن لأُبدي سروري من التحوُّل البديع الذي حصل في العقول في هذه البرهة الوجيزة بالمذاهب العلمية الحديثة التي كان لمقتطفكم الأغر الفضل الاول والاكبر في نشرها بيننا . — واقبل فائق احترامي الدكتور

شبلي شميل

[المقتطف] لم نكد نقرأُ قولكم

فابلوا عصرنا بظلم عصور سادها الدين ثم بعد اجيبوا

حتى تمثلت امام اعيننا فظائع الحرب الحاضرة واستعداد الالمان لها ماديًّا وادبيًّا . ماديًّا باعداد العدة الكثيرة لها من القواد والجنود والمدافع والقنابل والغازات والجواسيس والقواعد التي تنصب عليها المدافع في بلاد العدو . وادبيًّا بسعي فلاسفة الالمان وعلمائهم الى استخدام العلوم الفلسفية والبيولوجية لاقناع الشعب الالماني انهُ ارقى الشعوب كلها ويجب ان يسودها ويستحل في سبيل هذه السيادة كل محرَّم . ولذلك ظننا انكم نظمتم قصيدتكم وشرحتموها قبل شبوب هذه الحرب وما انتجتهُ هذه الفلسفة المادية . وعسى ان تطالعوا خطبة الفيلسوف برغسن التي افتتحنا بها هذا الجزء ومقالة صديقكم الدكتور ابي خاطر فيهِ

ونريد بالفلسفة المادية الفلسفة التي تعلّم الناس ان يحصروا نظرهم في المادة ونواميسها وينفوا كل ما سواها . فهي لا تكتفي بقول الفيلسوف سبنسر ان الخالق غير معروف ولا يعرف بل تنفي وجودهُ مستقلاًّ عن المادة كما قال الفيلسوف لوتز . واذا صحَّت هذه الفلسفة وجدت فيها فظائع الالمان اقوى مبرّرٍ لها والاَّ فكيف لا يجوز للانسان ان يقتل الذين يرى انهم واقفون في سبيل تقدمهِ كما يجوز لهُ ان يقتل الاسود والذئاب والبعوض والذباب . ولماذا لا يجوز لابن باريس وبرلين ان يقتل الزنوج الذين يمنعونهُ من دخول غابة في قلب افريقية ليصطاد فيها كما يجوز لهُ ان يقتل قرداً او افعى يمنعانهِ من دخولها . الا ترون ان المانع الذي يمنع الناس من ان يغبن اقوياؤُهم ضعفاءهم هو في الغالب شيء غير المادة وغير نواميسها

ولا يفيد الاحتجاج بالعجماوات ان طوائفها عائشة على تمام الصفاء كما في النمل والنحل والجراد لا يفني بعضها بعضاً ولا وازع لها غير الناموس الطبيعي فان العجماوات مرَّ عليها ملايين كثيرة من السنين وهي على حال واحدة تقريباً فرسخت فيها غرائز يتعذر نزعها منها . وأما البشر فشذوا عن سائر انواع الحيوان من هذا القبيل مهما كانت اسباب هذا الشذوذ وتمكنوا من التغلُّب على طباعهم والتطبُّع بغيرها . فاذا قام في نفوس جماعة انهم ارقى من غيرهم وانهُ يجوز لهم ان يتسلطوا على الغير ويمتهنوهُ فعلوا ذلك . وهذا كان شأنهم من قديم الزمان ويظهر لنا انهُ زاد في هذه الايام حيث بني على قواعد علمية كما بناهُ فلاسفة الالمان حتى ان الشاعر كبلنغ الانكليزي وهو من اهل الخيال الذين ينتظر منهم ان يكونوا ابعد الناس عن الغطرسة واقربهم الى السجية السمحاء طلب من قومهِ في بعض قصائدهِ ان يعاملوا اهالي جنوب افريقية كما يعاملون انفع المواشي لهم . واناس يقولون هذا القول لا يكثر عليهم ان يذبحوا تلك المواشي اذا نشزت عليهم او استحبوا لحمها . والظاهر ان الالمان يفعلون مثل ذلك في مستعمراتهم ولكننا نعتقد ان الشعبَ الانكليزي لا يزال متمسكاً بقواعد دينهِ الذي يعلّم ان الناس كلهم اخوة ومن دم واحد فهو ارأف من الالمان بسكان افريقية وبكل مستضعف

ورب قائل يقول ان الفلسفة المادية تمنع ارتكاب الفظائع وتنهى عن اثارة الحروب وتوجب على الناس ان يعيشوا عيشة راضية . ولكن القول شيء وتأييدهُ شيء آخر لا سيما وان المشاهد ينفي هذا القول ويثبت ان الفلسفة المادية مسؤُولة عن هذه الحرب وان عدم نهيها عنها كان حيث النفوس مشبعة منها . اما سائر البلدان حيث النفوس غير مشبعة منها فارتكاب الناس للفظائع قليل جداً . وقُبيل كتابة هذه السطور وقع نظرنا على المقطم الصادر اليوم (٢٤ مارس) وفي تلغرافاتهِ واخبارهِ الفقرات التالية

(١) «كان في محطة سكة الحديد (في مدينة زيبروج) قطار الماني فيهِ ٣٥٠ جريحاً من الالمان فلم تقذف الطيارات والبوارج (الانكليزية والفرنسوية) القنابل عليهم»

(٢) « وقد انقذ الروس جميع بحارة الباخرة » (والباخرة المانية)

(٣) « ومما يجدر ذكرهُ في هذا الصدد ان جميع الدوائر العسكرية البريطانية تطري الضباط والجنود العثمانيين على ما ابدوهُ من الشهامة والرجولية في حربهم وتقابل بين هذه الصفات العسكرية الرائعة وبين ما فعلهُ الالمان »

والتقينا نحن ببعض الذين عادوا من غليبولي من ضباط الجيش البريطاني وسمعناهم يثنون

الثناء المستطاب على الجنود العثمانية وقد ذكروا لنا بعض افعالهم الدالة على شهامتهم ومروءتهم وقالوا انهم لم يروا منهم شيئاً يعاب عليهم

(٤) ان الضباط الترك والضباط العرب عاملوهم (اي عاملوا الاسرى البريطانيين الذين كانوا في اسر العرب في حدود مصر الغربية) بالرفق والانسانية والشفقة وان المشقة التي عانوها لم تنشأ عن سوء المعاملة بل عن قلة الطعام واللباس والادوية وان آسريهم كانوا مثلهم وقاسوا معهم ما قاسوه من هذا القبيل»

فقابلوا ايها الدكتور الفاضل بين افعال هؤلاء الانكليز والفرنسويين والروس والترك والعرب وبين افعال الالمان تلامذة الفلاسفة الماديين وما فعلوه بركاب السفن التي اغرقوها وبالاسرى الذين اسروهم وبالنساء والبنات اللواتي احتلوا بلادهنَّ

وكل ما تقدم لا يحط من قيمة العلوم الطبيعية ونفعها الكبير ولا ينفي وجوب الحث على تعلمها والعمل بها ولكنهُ يدل على حاجة الانسان الى التعاليم الادبية مهما كان اساسها — التعاليم التي توجب على الناس الحب والرحمة والحنان وتصرفهم عن القسوة والغطرسة والايثار

أما سائر ما استطردتم الى ذكرهِ مما تقوم عليهِ ادلة علمية او فلسفية او لا يزال في معرض الفرض فالاسهاب فيهِ يبعدنا عن الموضوع المقصود بالذات · واننا نشكركم على ما وصفتم بهِ المقتطف وهو يفتخر بان قراءهُ استفادوا مما تتحفونهُ بهِ آونة الى اخرى من الفوائد العلمية والادبية والفلسفية

المصطلحات الفلسفية

سادتي الافاضل

على السؤال نمرة ٢ من مقتطف فبراير الحاضر اجبتم الاستاذ عبد الباري ان كتب الفلسفة تأليف ابن سينا لا تفهم (وهي الحقيقة التي لا جدال فيها ولا مراء) · غير اني بينما كنت بالامس اتصفح فهرس مكتبة «هندية» لسنة ١٩١٦ قرأت في الصفحة ٣٧ منها سطر ٤ اسم كتاب «مبادئ الفلسفة القديمة لابي النصر الفارابي» فجئت بهذا اقول انهُ ربما كان في هذا الكتاب ما يفي ببعض حاجة الاستاذ عبد الباري والسلام ختام

احمد الصراف

باب التقريظ والانتقاد

الميكانيكا التطبيقية

لقد احسنت وزارة المعارف بما ابدت من الاهتمام بترجمة كتب التدريس من الانكليزية واختيارها الكتب التي تدرَّس في اكبر الجامعات الانكليزية مثل هذا الكتاب في مبادئ الميكانيكا التطبيقية

اما الترجمة فنود ان تكون غاية في الدقة وان لا يعدل فيها عن المصطلحات الرياضية العربية القديمة ففي الصفحة الثانية من هذا الكتاب كلمة القطع الناقص ولم نفهم المراد بها الاَّ بعد ما قرأنا ما يليها فعلمنا انهُ اريد بها ما نسميهِ بالاهليلجي .وقد اصطلحنا على تسمية القطر الاطول بالقطر والاقصر بالمنضم فتصير قاعدة مساحة الاهليلجي هكذا اضرب القطر في منضمهِ والحاصل في ٧٨٥٤ و٠ اي في ط/٤

ولا يخفى ان طالب العلم لا يكتفي بكتاب يدرسهُ في المدرسة بل لا بدَّ له من مطالعة المطولات والمجلات المختصة بذلك العلم وهذه لا وجود لها في العربية الآن فلا بدَّ من مطالعتها بالانكليزية او الفرنسوية فحبذا لو الحق بهذا الكتاب وامثالهِ من الكتب العلمية المترجمة حديثاً معجم تذكر فيهِ كل الكلمات العلمية الاصطلاحية وما يقابلها في الانكليزية او الفرنسوية او فيهما كلتيهما فتسهل على الطلبة مراجعة المطولات فيهما . والكتاب كبير يقع في ٥٤٤ صفحة وهو مطبوع طبعاً حسناً جدًّا وموضح بما يلزم من الرسوم والاشكال وفيهِ تمارين كثيرة

الآلات الحرارية

يقال في هذا الكتاب ما قيل في الذي تقدمهُ من انهُ مترجم في وزارة المعارف من كتاب انكليزي من خيرة الكتب الموضوعة في بابهِ وحبذا لو الحق بهِ معجم تذكر فيهِ الكلمات الاصطلاحية مع ما يقابلها باللغة الانكليزية . ثم ان اكثر المسائل التي الحقت بهذا الكتاب نظري وقد وجدنا بالاختبار ان القواعد النظرية لا تفهم جيداً ولا ترسخ في الذهن الاَّ اذا عُمل بها . فحبذا لو زِيدت المسائل العملية الملحقة بهذا الكتاب وجعلت مما يقع للمهندس والميكانيكي في تعاطي اعمالها في هذا القطر

الكتاب الابتدائي في الهندسة

هو ايضاً من الكتب العلمية التي ترجمت حديثاً في وزارة المعارف عن كتاب انكليزي وقد يعذر مترجمو الكتابين الاولين اذا استعملوا مصطلحات غير عربية او بعيدة عن المألوف أما مترجمو هذا الكتاب فلا يعذرون لان العرب ترجموا كتب اقليدس وارخميدس منذ مئات من السنين وترجمة الطوسي لاقليدس مطبوعة مشهورة . واصول اقليدس تغني عن كل كتاب هندسي ألف بعدها على نسقها

وحبذا لو دُقق في قراءة مسودات هذا الكتاب حتى يخلو من الغلط المطبعي ففي الصفحة ٧ قيل ان الخط الفاصل بين المركز والمحيط يسمى نصف « قطر » والصواب الواصل بين المركز والمحيط . وفي الصفحة ١٤ والسطر الذي قبل الاخير قيل وهنا يتكون خط افقي مستقيم اي خط مستقيم « يضع » زاوية قائمة والصواب يصنع او يكوّن . وفي الصفحة ١٤٢ والسطر ٣ « اقواسها » والصواب « قوسهما » متى كان لهما قوس واحدة

وفي الكتاب كثير من المسائل والتمارين التي ترسخ قواعدهُ في ذهن الطالب

شرح « المضنون بهِ على غير اهلهِ »

وهو شرح العلاَّمة عبد الله بن عبد الكافي على الابيات التي انتخبها الشيخ الامام العلامة عز الدين عبد الوهاب الزنجاني . وقد تولى طبعهُ الاستاذ اسحق بنيامين يهودا وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة قال فيها انهُ استنسخهُ من النسخة الوحيدة التي في المكتبة الخالدية بالقدس الشريف واسقط منهُ بيتاً لمجونهِ وجملة حشوية لفحش الفاظها وحبذا لو اسقط منهُ اكثر باب الهجاء . الى ان قال ان الكتاب مجموع من عيون المختارات والدواوين ويشتمل على لب لباب الادب وزبدة اشعار العرب من جاهليين ومخضرمين ومولدين . وجاء في هذا الكتاب نسبة الابيات الثلاثة الاولى من قصيدة السموأل المشهورة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي فنبه لذلك في المقدمة واستطرد الى نسب السموأل وما فعلهُ الاب شيخو بديوانهِ

والاشعار المجموعة في هذا الكتاب مقسومة الى ثمانية ابواب وهي الكتب ومجالستها . والمدح والوصف . والشوق والحنين . والنسيب والتشبيب . والتهانيء . والمراثي . والشكاية . والهجو . وقد الحق بهِ فهرساً لاسماء الشعراء المذكورين في الكتاب مرتبة على حروف المعجم وضبط الاشعار بالشكل الكامل

احصاء المكاتب والمدارس

في القطر المصري

اصدرت مصلحة عموم الاحصاء العمومية احصاءها السنوي للكتاتيب والمدارس في القطر المصري لسنة ١٩١٤ — ١٩١٥ المكتبية فاذا عدد الكتاتيب التابعة لها ٧٦٠٠ والمعلمين ١٤٠٠٠ والتلاميذ ٣٨٢٠٠٠ يقابلها ٤١٠٠ كتّاب و ٨٨٠٠ معلم و ٢٣٥٨٠٠ تلميذ سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ . اما المدارس فقد نقص ٥ منها ونحو ٦ آلاف تلميذ عن احصاء سنة ١٩١٢

وقد عللت المصلحة زيادة الكتاتيب وتلاميذها بقولها :

« ولا يمكن ان تكون هذه الفروقات ناتجة عن زيادة حقيقية في ظرف سنة واحدة . ولكن وزارة المعارف العمومية كانت قائمة بعمل احصاء سنوي عن الكتاتيب الاَّ ان هذا الاحصاء لم يكن شاملاً الاَّ جزءًا من تلك الكتاتيب وخصوصاً التابعة لها والمرتب لها اعانة والتي تحت مراقبتها »

وعللت نقص المدارس بقولها : ان سببهُ الحرب التي دعت الى اقفال بعض المدارس واضطرت بعض الآباء الى اخراج ابنائهم منها بحكم الاقتصاد

واعظم نقص ظهر كان في عدد تلاميذ المدارس المصرية فهبط من ١١٤٠٠٠ سنة ١٩١٢ الى ١١١٠٠٠ سنة ١٩١٤ . اما تلاميذ المدارس الانكليزية والفرنسوية واليونانية فقد زاد عددهم قليلاً

وبلغ مجموع تلاميذ الكتاتيب والمدارس ٥٣٧٢٠٠ اي نحو ٢٣ في المئة من مجموع سكان القطر . وقد جاء في احصاء سنة ١٩٠٧ ان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة ٦٠٩٣٢٢ فقط وهذا غير معقول . وقد عللت المصلحة ذلك بقولها : ولا بد ان يكون وقع غلط في قيدهم وربما يكون ذلك الغلط ناشئاً من سهو حصل لبعض العادّين فلم يستعلموا من آباء الاولاد عمّا اذا كان ابناؤُهم الصغار يقرأُون ويكتبون » .

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) انتقال الافكار

مصر · مدرسة القضاء الشرعي محمد افندي كامل الغمراوي · يدَّعي بعضهم انهُ في مكنتهِ ان يغير من افكار غيرهِ عن بُعد فاذا اراد مثلاً اصلح بين الزوجين او بعث في قلب اليئِس من الحياة ما يسمَّى بالانكليزية vitality وذلك بان يوجه اليهِ فكرهُ بكليتهِ فيرسل منهُ شعاعاً يوحي بواسطتهِ اليهِ ما يريد · واظن هذا من قبيل التنويم المغنطيسي وانتم لا تنكرونهُ فهل ترون صحة ما يدعيهِ

ج · ان الذين يدَّعون ذلك يقولون انهُ من قبيل التلبثي اي تأثير العقول بعضها ببعض عن بعد بغير واسطة محسوسة كأن يصدر من عقل زيد حينما يفتكر امواج تفعل بالاثير ويصل فعلها بهِ الى عقل عمرو · لكن لم يقم دليل قاطع على صحة ذلك حتى الآن · ولو كان انتقالُ الافكار على هذه الصورة صحيحاً لكثر استعمالهُ والانتفاع بهِ كما استُعمل نقل الامواج الكهربائية من غير سلك في التلغراف اللاسلكي · الأ ان قولنا ان هذا الشيء او ذاك غير صحيح او لم يقم دليل على صحتهِ لا يستلزم انهُ محال لذاتهِ بل مرادنا انهُ غير صحيح حسب ما وصل اليهِ العلماء الباحثون حتى الآن · وهذا لا ينفي ان تثبت صحتهُ في المستقبل القريب او البعيد ·

(٢) تعريب الكتب العلمية

مصر · م·م هل في الامكان ان نترجم الكتب العلمية الى العربية ولو كانت في العلوم الحديثة كالجيولوجيا والبيولوجيا والبكتريولوجيا

ج · نعم ولكن لا بدَّ من تعريب كثير من الكلمات العلمية فيها اي لا بدَّ من ابقاء كثير من الكلمات العلمية الحديثة بلفظها كما في اسماء هذه العلوم الثلاثة وذلك يشمل كل الكلمات التي تبقى بلفظ واحد تقريباً سواء كان الكتاب العلمي بالانكليزية او الفرنسوية او الايطالية · اما الكلمات القديمة الوضع التي يراد بها الحرارة والقوة والمرونة والسرعة

والكثافة واللطافة والتجزؤ والالتصاق والجذب والدفع وما اشبه فلا بدَّ من ترجمتها بمثل هذه الكلمات العربية التي تؤدي معناها . ونشير بان يؤلف مجلس علمي من كبار العلماء الذين لهم المام واسع بالعربية وبلغة او اكثر من اللغات الاوربية وباكثر العلوم الرياضية والطبيعية حتى يختاروا اصلح الالفاظ التي تؤدي المعنى المراد او ما اصطلح عليه مترجمو الكتب الرياضية والطبية والفلسفية من اليونانية الى العربية في عهد العباسيين . ولقد كتبنا في المقتطف في كل موضوع علمي وفلسفي ورياضي ولم نجد كبير مشقة في اختيار الالفاظ المؤدية للمعاني المطلوبة

(٣) تعليم العلوم بالعربية

ومنهُ . وهل تعليم هذه العلوم بالعربية مع ما فيهِ من الاضطرار الى ترجمة الكتب اصلح وانفع للبلاد من تعليمها بلغة اوربية كالانكليزية او الفرنسوية على كثرة ما فيها من الكتب العلمية

ج . نعم على شرط ان تكون عبارة الكتب العلمية العربية بسيطة صحيحة مدققة سواء كانت مؤلفة او مترجمة . فان تعلُّم التلميذ العلم بلغتهِ التي رضعها مع اللبن واتقن فهمها اسهل عليهِ من تعلمهِ بلغة اجنبية لم يتقنها كما اتقن لغتهُ . ثم ان العلم يقتضي المطالعة والمذاكرة ايضاً وقد تكون المذاكرة اهم من المطالعة وهي اسهل باللغة الوطنية منها باللغة الاجنبية . وهناك امر آخر لا يقلُّ اهمية عن المطالعة والمذاكرة وهو انهُ اذا بقي التعليم بلغة اجنبية فلا بدَّ من الاعتماد على الاساتذة الاجانب دائماً فيُسدُّ في وجهِ ابناء البلاد اهم سبيل من سبل النجاح العلمي و يتعذر قيام العلماء المتبحرين منهم . ثم انهُ لا ينتظر ان يطلب العلم في المدارس العالية الاَّ نفر قليل جدًّا من ابناء البلاد والباقون يستفيدون مما يؤلفهُ هؤُلاء من الكتب وما ينشرونهُ في الجرائد والمجلاَّت فاذا تعلموا العلوم بلغة اجنبية تعذر عليهم ان يفيدوا ابناء بلادهم باقلامهم وتبقى البلاد مفتقرة الى غيرها في كل العلوم والفنون وما يترتب عليها

(٤) قلة الاساتذة الوطنيين

ومنهُ ان الاساتذة المتعلمين المتبحرين من ابناء الوطن الذين قرنوا العلم بالعمل لا يزالون قليلين جدًّا ولا بدَّ لنا من الاعتماد على اساتذة من الاجانب فاذا اشترتم بان يكون التعليم باللغة العربية تعذر علينا الانتفاع بالاساتذة الاجانب لانهم لا يستطعون تعليم العلوم باللغة العربية فكيف تعالج هذه الحال حينئذٍ

ج ان الاستاذ الاجنبي لم يخلق استاذاً بل خلق طفلاً ابكم مثل سائر اطفال البشر وهو يتعلَّم مثل غيرهِ ثم يمارس صناعة التعليم . فما يستطيعهُ هو حينئذٍ يستطيعهُ كل تلميذ

يتعلم مثلهُ ويجتهد اجتهادهُ ويكون ميلهُ الى التعليم مثل ميلهِ . بل يُنتظر من الوطني ان يكون اشد من الاجنبي رغبةً في تعليم ابناء وطنهِ . والتلامذة الذين اتمّوا دروسهم في هذا القطر ثم ذهبوا في الرسالات العلمية الى اوربا وتخرَّجوا في بعض جامعاتها يجب ان يكونوا اقدر من غيرهم على تعليم ابناء بلادهم . وهذا لا ينفي استدعاء نوابغ الاساتذة الاوربيين من وقت الى آخر والانتفاع بعلمهم واساليبهم في التعليم

لما كنا ندرُس وندرِّس في المدرسة الكلية الاميركية ببيروت لم يخطر على بالنا قط ان الاستاذ الاوربي او الاميركي يفوق الاستاذ الوطني الذي درس درسهُ . فتعليم العلوم اللغوية والرياضية والطبيعية والكيماوية والطبية على انواعها تناوبهُ الاساتذة السوريون والاميركيون ولم يثبت هؤلاء انهم اقدر من اولئك في التعليم ولا بعد ما صار التعليم بالانكليزية . ونعتقد ان ما جرى هناك يجري ايضاً في هذا القطر او يجب ان يجري فيهِ . ومتى كان الغرض الوحيد من المدارس تعليم التلامذة وتعليم البلاد بهم لم يتعذر ايجاد افضل السبل المؤدية الى ذلك . واذا بدا خطأ من ابناء البلاد كما يقع غالباً في بداءة كل امر فانهم يصلحونهُ رويداً رويداً . والانسان يتعلم من خطاءِ اكثر مما يتعلم من اصابتهِ . والطفل الذي لا يُترك ليمشي ويعثر مراراً كثيرة بل يُحمَل على الذراعين دواماً لكي لا يعثر لا يتعلم المشي ابداً

(٥) الهنود واكل اللحم

ميت ابو خالد . محمود افندي بيومي . هل الهنود غير المسلمين لا يأكلون اللحوم وان كان فما حكمتهم في ذلك

ج . ان البراهمة لا يأكلون لحم البقر . وهذا كان شأن المصريين والفينيقيين وسبب امتناعهم عن اكل لحم البقر اعتقادهم انَّ فيها روحاً قدسياً . ثم ان الزهاد منهم يحرم عليهم قتل الحيوانات مطلقاً حتى الديدان والخنافس وهم يستعطون طعامهم استعطاء والظاهر انهم لا يمتنعون عن اكل طعام اعطي لهم وفيهِ لحم غير لحم البقر

(٦) الاحلام والتنويم

ومنهُ . هل للاحلام علاقة بالتنويم المغنطيسي

ج . يكاد النوم المغنطيسي يكون مثل النوم الطبيعي وما يتنبه في ذهن من ينام النوم المغنطيسي يكاد يكون مثل ما يتنبه في ذهن النائم النوم المغنطيسي . وسنبسط الكلام على الاحلام والنوم المغنطيسي في الجزء التالي

(٧) ازالة النمش

الاسكندرية . ملك افندي سعيد لويس . ما هي افضل طريقة لازالة النمش من الوجه

ج · ما من طريقة تزيل النمش من الوجه وتمنع ظهورهُ ثانية ولكن اذا اذيب هيبو سلفيت الصودا sodium hyposulphite او كلوريد الامونيا ammonium chloride مع قليل من السليماني corrosive sublimate (½ قمحة منهُ في ثمانية دراهم من الماء) وبلت خرقة بالمذوب ووضعت على النمش فالغالب انهُ يختفي كلهُ او اكثرهُ ولو مدةً · ومما يفيد ايضاً دهن النمش بدهان هيبو كلوريت الكبريت درهم منهُ في ثمانية دراهم من المادة التي يصنع منها الدهان

(٨) حفظ الغلال من السوس

ومنهُ · ما هي افضل طريقة لحفظ الغلال وبالاخص الفول من التسويس

ج اذا اريد حفظهُ علفاً للمواشي فالطريقة المتبعة وهي دشهُ قبلما يقع فيهِ السوس تحفظهُ منهُ واذا اريد حفظهُ للتقاوي فالطريقة المتبعة ايضاً وهي وضعهُ في المواهي وسدها سدًّا محكماً بالطين يحفظهُ من السوس · واذا اريد خزن الكثير منهُ في المخازن وكانت ارض المخازن من البلاط او الاسفلت وجدرانها خالية من الشقوق التي يقيم فيها السوس وخزن الفول فيها قبلما وقع فيهِ السوس ومُنع دخول السوس اليها حُفظ منهُ · ويمكن قتل كل السوس من المخازن ومنع دخولهِ اليها بصب قليل من بي كبريتيد الكربون في صحن ووضعهِ في اعلى كومة الفول في المخزن واقفال بابهِ وكواهُ كلها فبي كبريتيد الكربون يستحيل بخاراً ثقيلاً يملأُ المخزن ويتخلل حبوب الفول و يقتل كل ما هناك من السوس ولا ضرر منهُ على الفول لانهُ يطير بعد مدة وتزول آثارهُ

(٩) لون الفول الابيض

ومنهُ · كيف يحفظ لون الفول الابيض الذي يكون بهِ وهو جديد

ج · يحفظ بوضعهِ في مكان خالٍ من الرطوبة

(١٠) الحرب وسير العمران

الاسكندرية · احمد افندي عبد العال سلامه · هل تؤَخر الحرب الحالية سير العمران

ج · يتعذر الحكم في ذلك سلباً او ايجاباً الاَّ بعدما تضع الحرب اوزارها فنعلم متى انتهت وعلى اي شروط انتهت · فاذا انتهت هذا الصيف بفوز تام للحلفاء يمكنهم من ارجاع المانيا دولاً صغيرة فالغالب ان اوربا تسترجع قوتها سريعاً و يعود العمران الى سيرهِ المألوف واذا طالت سنةً اخرى او سنتين او اكثر وبقيت سجالاً وانتهت باعياء الخصمين فالعمران يتأخر كثيراً وتخبو النار تحت الرماد الى ان تضطرم بعد سنين قليلة

(١١) تعلم اللاتينية

ومنهُ . لماذا تعلّم جامعات اوربا اللغة اللاتينية مع انها ميتة

ج . لانها اصل اكثر اللغات الاوربية ولان فيها من كتب الادب ما ليس في غيرها ويقول البعض انهُ يجب العدول عن تعليمها مطلقاً ويقول غيرهم انهُ يجب الاكثار من تعليمها حتى تعم معرفتها كل البلدان المتمدنة او حتى تصير لغة عامة

(١٢) اشهر المجلات الانكليزية

ومنهُ . ما هي اشهر المجلات الانكليزية العلمية والتاريخية والعمومية

ج . يظهر لنا ان اشهر المجلات الانكليزية العلمية ناتشر Nature والعمومية القرن التاسع عشر والفورتنيتلي وبلاكوود ولا نعرف مجلة خاصة بعلم التاريخ ولكن أُنشئت حديثاً مجلة للبحث في الآثار المصرية وكل ما يتعلق بتاريخ مصر القديم . ثم ان منشورات الجمعية الاسيوية الملكية تبحث في كل ما يتعلق بتاريخ اسيا ولغاتها وآثارها

(١٣) سائل كندي

الجيزة . عزيز افندي انيس . ما هو سائل كندي المذكور في مقتطف فبراير في الكلام على علاج البخرفاني لم اجد صيدليًّا يعرف هذا الاسم

ج ان مذوب كندي Condy fluid هو مذوب برمغنات الصوديوم sodium permanganate

(١٤) كلوريد الكلسيوم وكلوريد البوتاس

ومنهُ . ان نسبة درهمين من كلوريد الكلسيوم او كلورات البوتاس في اوقية ماء للغرغرة لا يصرح بها صيدلي لانهُ يراها كثيرة فكيف ذلك

ج . ان الوصفتين اللتين تشيرون اليهما منقولتان عن السيتفك اميركان ولا نرى وجهاً لتخطئتهما فالسائل الذي يشرب مركب من ١٥ قمحة من كلورات البوتاس واوقية ماء فاذا فرضنا ان شربت الاوقية كلها في الجرعة فتكون الكلورات فيهما ١٥ قمحة وجرعة الكلورات الطبية من ١٠ قمحات الى ثلاثين قمحة مذابة في الماء ثلاث مرات في اليوم اما الغرغرة ففيها درهمان من كلوريد الكلسيوم مذابان في اوقية ماء واوقية سبيرتو ونصف اوقية ماء الورد . ولا ضرر من الغرغرة بشيء من هذا المذوب لانهُ لا يحتمل ان يبلع الانسان الاَّ نقطاً قليلة اذا بلع شيئاً والجرعة التي تشرب شراباً من كلوريد الكلسيوم ٣ قمحات الى ١٠ قمحات

(١٥) فائدة الياذة هوميروس

الابيض . اليوزباشي ثابت افندي حسن . ما هي فائدة الياذة هوميروس الادبية او التاريخية وكيف اميز بين حقائقها التاريخية واقوالها الخرافية

ج . ان فائدتها الادبية والتاريخية قليلة مثل اكثر القصائد الشعرية ويروى عن الفيلسوف هربرت سبنسر انهُ كان يستثقل قراءتها ويحسب انها اضاعة للوقت الاَّ ان الذين عنوا بدرسها مثل الوزير غلادستون يعجبون بها غاية الاعجاب والذين شرحوها اشاروا غالبًا الى ما هو حقيقي من حوادثها التاريخية . والظاهر انها مبنية على حوادث حقيقية وبها استدلَّ شليمن على آثار ترواده ونقبها فوجد فيها ابدع الآثار التاريخية

(١٦) هل الحروب علم

ومنهُ . ارجو الافادة عن الفارق بين كلمة علم وكلمة فن فاني لا اكاد افهم مدلول قولهم ان الالمان جعلوا فن الحرب علمًا باصول

ج . يراد بالفن الصناعة اي العلم العملي كفن التصوير وفن النقش وفن الحفر . ويراد بالعلم القواعد النظرية التي بنى عليها غيرها كعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة . فعلم الحساب اي قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة والترقية والتجذير حقائق تستعمل في المعاملات التي تقتضي حسابًا . وقيسوا على ذلك علم الجبر وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطبيعة

فاذا ثبت بالاستقراء ان الهجوم دفعةً واحدة بكل قوة الجيش في فاتحة الحرب كفيل بالظفر او نسبة الظفر فيهِ الى الفشل كبيرة جدًّا فذلك قاعدة علمية ولو كانت استقرائية . واذا ثبت ايضًا ان استعمال الاسلحة غير المألوفة عند الخصم يفعل بهِ فعلاً عصبيًّا شديداً فتضعف مقاومتهُ و يلوذ بالفرار وعلم سبب ذلك الفسيولوجي اوالنفسي فاتخذ قاعدة في الحرب فهذه القاعدة علمية يبنى عليها ولا شبهة ان الالمان استعملوا قواعد كلية استقرائية مثل هذه في حربهم ولكننا لا نرى ان الحرب صارت بها علمًا باصول مقررة كالرياضيات والطبيعيات لما يعتور التطبيق من الاحوال المختلفة التي يعسر فرضها قبل حدوثها ولذلك فشل الالمان في كثير من تقديراتهم . وليس كذلك العلوم المحضة كالحساب والكيمياء فان الحاصل من ضرب عدد شفع في عدد آخر صحيح هو شفع دائمًا سواء كان العدد كبيراً او صغيراً . والحاصل من ضرب عدد ايجابي في عدد سلبي هو سلبي دائمًا . والحاصل من ضرب قاعدة المثلث في نصف علوهِ العمودي يعدل مساحة سطحهِ . والحاصل من اتحاد الكلور بالصوديوم هو كلوريد الصوديوم دائمًا اي ملح الطعام . والماء يستحيل بخاراً بالحرارة دائمًا في حالة ضغط الجو العادي وقيسوا على ذلك سائر القواعد العلمية

باب الاخبار العلمية

كثافة النجوم

كتب المستر شابلي في المجلة الفلكية مقالة بين فيها ان كثافة النجوم قليلة جدًّا فكثافة بعضها عشر كثافة الشمس وكثافة البعض الآخر اقل من ذلك كثيراً حتى تبلغ ثلاثة اجزاء من مئة الف جزء من كثافة الشمس.

ووجد الاستاذ ارنجتون ان النجوم لا تتم دورتها حول المحور الذي تدور حولهُ في اقل من ثلثماية مليون سنة

جمجمة بلتدون

وصفنا هذه الجمجمة وصورناها في احد اعداد المقتطف وكان اغرب شيء فيها ان القحف فيها مستدير كأنهُ قحف رأس انسان من اهالي هذا العصر ولكن الفك الاسفل كبير الاسنان وخالٍ من بروز الذقن كأنهُ فك قرد من نوع الشمبانزي لا فك انسان. وقد قال بعض العلماء الآن ان هذا الفك ليس لتلك الجمجمة ولو وجد على مقربة منها وانهُ فك قرد من نوع الشمبانزي. ولا ينقض ذلك ان عظام الشمبانزي لم توجد في اوربا حتى الآن لان ذلك دليل سلبي لا يؤخذ بهِ وقد توجد هذه العظام غداً ويقال انهُ وجدت سن في المانيا شبيهة باسنان الشمبانزي

تغير نور اروس

اروس اقرب السيارات الينا واصغرها فان قطرهُ نحو عشرين ميلاً وقد رصدتهُ السيدة مرغريت هارود وصورتهُ وقت استقبالهِ سنة ١٩١٤ فوجدت ان نورهُ يتغير بمقدار اربعة اعشار القدر في سبع ساعات و ٢١ دقيقة وهذا التغير يبلغ ثلاثة اضعاف تغيرهِ في استقبالهِ سنة ١٩٠٣ والمظنون ان سبب ذلك هو كونهُ غير كروي الشكل فيختلف نورهُ باختلاف وجههِ المتجه الينا

الحرارة والجاذبية

المعروف ان قوة الجاذبية لا تتغير بالحر والبرد بل تبقى على حالٍ واحدة ولكن ذهب البعض منذ عهد بعيد ان الحرارة تؤثر في الجاذبية اي ان الاجسام تثقل بالحرارة وفي دسمبر الماضي قدم بعضهم رسالة الى الجمعية الملكية ببلاد الانكليز قال فيها انهُ اذا تجاذب جسم كبير وجسم صغير واحميا الى الدرجة ٢٠٠ بميزان سنتغراد فالجاذبية بينهما تزيد جزءًا من خمس مئة

طيران الفراش

ثبت بالمشاهدة ان الفراش المعروف باسم السيدة الملونة يقطع الالب في اوربا والفراش المعروف بالاميرال الاحمر وقع على سفينة تبعد عن البر ٥٠٠ ميل والفراش المعروف في اميركا باسم عشب اللبن يقطع من كليفورنيا الى جزائر سندويج مسافة الفي ميل . ويقال ان رجلاً من الجراد مرَّ فوق البحر الاحمر سنة ١٨٨٩ وكانت مساحتهُ ٢٠٠٠ ميل مربع وقدر ثقل ما فيهِ من الجراد بنحو ثلاثة واربعين الف طن . ولكن اذا كانت مساحتهُ الفي ميل مربع كما تقدم وفرضنا في القدم المربعة منهُ عشر جرادات فقط فثقل الجراد كلهِ نحو ثلثمائة الف طن

حياة الضفدع في الماء

ثبت بالامتحان ان الضفدع تعيش مغمورة بالماء ١٦ يوماً متوالية وقد تعيش ٥٢ يوماً وهي مغمورة بالماء ثم تنتفخ وتموت والمرجح ان سبب موتها حينئذٍ امتصاص جسمها للماء وللنتروجين . وتعيش الضفدع في الماء ولو بلغ درجة تحت درجة الجليد ولكن اذا بلغت حرارتهُ ٣٥ درجة اماتها

الاستاذ متشنيكوف

مرض الاستاذ متشنيكوف واشتدت وطأة المرض عليهِ فقلق رجال العلم قلقاً شديداً وكتب صديقهُ السر راي لنكستر الى مجلة نانشر يقول ابتدأ المرض قبل عيد الميلاد فافرغت لهُ ولزوجتهِ بعض الغرف في معهد باستور لكي لا يجيء يوميًّا الى المعهد من سفر حيث محل اقامتهِ ولا يصعد سلم المعهد وبذلك تمكن من الاشراف على المباحث العلمية في ذلك المعهد ولكن ظهر بعد ذلك ان الداء وصل الى رئتيهِ واصيب بالتهاب البليورا وذات الرئة فنقل الى مستشفى المعهد واشتدت وطأة المرض عليهِ . واليوم (٢٦ فبراير) جاءني من مدام متشنيكوف ان حالتهُ تحسنت وقد بزل تجويف الرئة ثلاث مرات وخرج منهُ في المرَّة الثالثة لتر من السائل فاستراح بعد اخراجهِ ويرى الاطباء ان التهاب البليورا سيزول سريعاً . واما التهاب ذات الرئة فقد زال

السر وليم ترنر

نعت المجلات العلمية الاستاذ الكبير السر وليم ترنر توفي في ١٥ فبراير الماضي عن اربع وثمانين سنة ولم يكن موتهُ متوقعاً لانهُ بقي الى قبيل وفاتهِ متمتعاً بالصحَّة التامَّة . اختير استاذاً للتشريح في جامعة ادنبرج سنة ١٨٦٧ فاقام في هذا المنصب ٣٦ سنة يدرّس ويدرّب وكان تلامذتهُ الكثيرون قد اخذوا يهتمون ليقيموا لهُ عيداً في السنة

المقبلة اذ يكون قد مرَّ عليهِ خمسون سنة منذ جعل استاذاً . ولم يكتف بالتدريس بل اهتم بتوسيع المعارف الطبيَّة وزيادة اساتذتها ورأس المجمع الطبي وجمعية ادنبرج الملكية وكلية الجراحين الملكية وجمعية ادنبرج الطبيعيَّة ومجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم سنة ١٩٠٠ . وقد ترجمنا خطبتهُ فيهِ ونشرناها في مقتطف نوفمبر ودسمبر تلك السنة وموضوعها بناء الاجسام الحيَّة وهي من اوضح ما كتب في بابها . وكان من منشئي مجلة التشريح الانكليزية

الاعلان بالسينماتوغراف

اخذ الناس يتفننون في استخدام السينماتوغراف للاعمال المفيدة بعد اتخاذهِ وسيلة للتسلية . وآخر ما اتصلوا اليهِ ان ارباب المصانع التي تصنع الآلات المختلفة جعلوا يستخدمونهُ واسطة للاعلان عن آلاتهم وذلك بان يصوروها وهي تتحرك على شرائطهِ ويعرضوها على زبائنهم فيشاهدوا عملها وحركة اجزائها المختلفة ويدركوا دقائقها قبل شرائها . وكان العلماء قد استخدموهُ قبل ذلك لاظهار حركات النبات والحيوان في نموهما واعمالها

وجوه الاقتصاد في انكلترا

على اثر الحركة الكبيرة القائمة الآن في انكلترا لحث الامة الانكليزية على الاقتصاد بازاء النفقات الهائلة التي تنفق كلَّ يوم على الحرب كتب السر وليم طمسن الطبيب الانكليزي الشهير مقالة في مجلة نانشر ابان فيها بعض وجوه ذلك الاقتصاد منها استعمال القطاني التي تحتوي على كثير من البروتيين طعاماً بدلاً من اصناف اللحم الغالية الثمن . وهذه القطاني هي العدس والفول والفاصوليا والبازلا وامثالها . وتحويل كثير من المراعي ارضاً زراعية . ثم قابل بين المراعي والاراضي الزراعية فقال ما فحواهُ ان قيمة المواد الغذائية التي تخرج من فدان يزرع بطاطساً هي ١٧ ضعف ما يخرج من فدان ترعى فيهِ البقر والغنم . وقيمتها من فدان يزرع حنطة ١٩ ضعفاً . ومن فدان يزرع فولاً او ما اشبههُ ٢٠ ضعفاً . وعليهِ فمن الاسراف تربية المواشي في الارض الزراعية او جعل الاراضي الزراعية مراعي للمواشي

السباحة والثياب

ظهر من تجارب بعض العلماء انهُ اذا غطس رجل عارٍ من الثياب في ماء بارد حرارتهُ ٨ درجات بميزان سنتغراد فقد جسمهُ حرارتهُ في ثلث الوقت الذي يفقدها فيهِ لو غطس في الماء وهو لابس ملابسهُ . وان قوة جذب الملابس المبللة للابسها الى القعر تساوي ثقل اربع اواق فقط . وهذا يؤيد

رأي من قال بانهُ اذا أشرفت سفينة على الغرق واتضح ان مدة اقامة ركابها في الماء ستطول فخير لهم ان يبقوا ملابسهم عليهم الاَّ اذا اقتضى الامر السرعة في السباحة لان الملابس تقي من البرد وفعلها قليل في الغرق

طعام العجول

علفت بعض العجول لبنًا خالصًا . ثم لبنًا اخذت زبدتهُ وخلط بالذرة . ثم مصل اللبن بعد خلطهِ بطعام آخر . فوجد ان العلف الاول اصلح انواع العلف لها ولكنهُ اغلاها . وان الثاني والثالث خير الاطعمة من الوجهة الاقتصادية ولاسيما ان الاول لا يفوقها الاَّ قليلاً من حيث قوتهُ الغذائية

تهوية التربة

اصدرت جمعية المباحث الزراعية الهندية تقريرها السنوي الاخير وهو يتضمن بحثًا مستفيضًا في تهوية التربة التي تتألف منها سهول نهر الكنك ووادي كويتا في شمال الهند الغربي . ومن رأي الكاتب ان وصول الهواء الجوي الى جذور النباتات لازم لنموها وزكائها . وان اغراق الارض بالماء يفضي الى رصّ التربة ومنع الاكسجين عنها . وان ارواء الارض على مبدإِ زيادة الهواء وتقليل الماء يفضي الى زيادة المواسم وتوفير مياه الري

التزوج بين الاقارب

خطب الاستاذ بولتون على جمعية اصلاح النسل التي انشئت تذكاراً لغلتون الشهير فقال ما خلاصتهُ : من التقاليد التي جرى الناس في ايامنا عليها ان التزوج بين الاقارب الاقربين كاولاد العم والخال يضرُّ بالنسل وبناءً على ذلك بات التزوج بينهم الآن اقلَّ مما كان في سالف الزمان . على انهُ ليس ثمة دليل يدل على ان هذا التقليد مبنيٌّ على اساس صحيح . وفي سنة ١٨٧٠ كتب دارون الى السرجون لبوك (الذي صار لورد افبري فيما بعد) يقول « إما ان يبيَّن كذب هذا المعتقد وإمَّا ان يثبت بالبرهان » واقترح ان يبحث في هذا الموضوع في الاحصاء التالي ولكن الحكومة لم تفعل

الكلَب في انكلترا

لم تظهر في انكلترا اصابة كلَب منذ سنة ١٩٠٢ حينما صدر القانون القاضي بكمّ الكلاب البلدية وحجز الكلاب الواردة من الخارج ستة اشهر قبل تسليمها الى اصحابها . ولكن في السنة الماضية كلب كلْب كان محجوزاً في الكورنتينا قبل انقضاء مدة الحجر المقررة فقتل . وليس للكلَب وجود في أستراليا ونيوزيلندا لان نظام الكورنتينا فيهما شديد فلا يجد هذا الداء سبيلاً الى دخولها . اما

في اوربا فانهُ اندر ما يكون في البلاد السكندناوية اي اسوج ونروج والدنمرك

تجارب في داء البلاغرا

تطوع ١٢ رجلاً من المسجونين في سجن ولاية مسسبي باميركا لعمل بعض تجارب البلاغرا فيهم على ان يعفى عنهم بعد انتهاء التجارب ويطلق سراحهم . وبقيت التجارب تسعة اشهر من اول فبراير الى آخر اكتوبر من السنة الماضية فاطعموا حتى ١٩ ابريل طعام المسجونين المعتاد فلم يظهر اثر للبلاغرا فيهم . ولكن بعد هذا التاريخ جعل طعامهم حبوباً دون غيرها فظهرت على ستة منهم اعراض تشبه اعراض البلاغرا منها طفح جلدي خاص بهذا الداء . ومعلوم ان القول بعلاقة البلاغرا باكل الحبوب ليس حديثاً بل قديم ثم عدل عنهُ لعدم ثبوتهِ . ولكن اذا ثبت ان الداء الذي اصيب بهِ الستة المشار اليهم هو البلاغرا بعينها لزم العود الى القول الاول

اسطوانات جديدة للفونغراف

اخترع المستر اديصن الشهير مخترع الفونغراف اسطوانات جديدة تصنع من نوع من الصمغ بعد مزجهِ ببعض المواد الكيماوية فتخرج اكثر صلابة واحتمالاً من الاسطوانات المعروفة الآن فضلاً عن انهُ يمكن صنعها من الورق فتكون بذلك ارخص ثمناً

استخراج الدهن من الخمير

قال مراسل السينتفك اميركان في برلين: اعلن الاستاذ دابروك في احدى الجمعيات العلمية اكتشافاً مدهشاً . فقال ان علماء الالمان سعوا من اول نشوب هذه الحرب في استعمال الخمير لاستخراج الالبيومن (الزلال) والدهن . ومنذ ايام جاءتنا رزمة من ميدان القتال فيها مادة فطرية مجففة ومرسلها تلميذ من تلاميذ معهد الصناعات الخميرية . وبعد فحصها بالمكرسكوب وجد ان في كل خلية من خلاياها نقطة جلاتين وهو الدهن الخميري الذي طالما كنا ننشدهُ . ووجد ايضاً ان ٨ في المئة من مادة هذه الخميرة دهن و ٣٠ في المئة زلالاً . ويقول العارفون انهُ يمكن عمل خمير يحتوي على ١٠ في المئة من مادتهِ دهناً . وفي ذلك ربح كافٍ للمتجرين بهِ

فضلات الجرائد

ألف الايطاليون في جميع مدنهم الكبرى اجواقاً من الصبيان والبنات لجمع نسخ الجرائد القديمة اينما وجدت والمجيء بها الى حيث تكبس على شكل قدد للوقود وترسل الى الجنود الايطالية التي تقاتل على حدود النمسا حيث حطب الوقود قليل فيحرقونها للتدفئة ولصنع القهوة وتسخين الطعام ونحو ذلك من الحاجات .

بعض عادات القرود

قضى المستر جارنر احد العلماء الاميركيين ردحاً من عمرهِ يدرس طبائع القرود الافريقية وعاداتها في مواطنها. واخيراً خطب في الجمعية البيولوجية بوشنطون فقال في خطبتهِ ان هذه القرود تشبه طوائف الناس الدنيا في كثير من حركاتها وسكناتها . فطعامها نباتيّ على الغالب ولكن اللحم ضروري لها ايضاً . وهي تنام على ظهورها او جنوبها كالناس وتصنع لانفسها اسرَّة تعلو عن الارض الى ٢٥ قدماً وهي حادة البصر شديدة السمع . أما شمها فليس اقوى من شم الانسان . وأما لمسها فاقل دقة من لمسهِ . و يرجح العالم المذكور ان مدة حمل الانثى لا تزيد على سبعة اشهر وقلما تلد توأمين . وهي تدرك سن البلوغ بين السنة السابعة والتاسعة والذكر بعد ذلك بسنة او سنتين وحد عمرها بين ٢٠ سنة و ٢١ . وهي ترعى حقوق الملكية بعضها لبعض

عمل الزجاج في اميركا

كان اهل الولايات المتحدة الاميركية قبل الحرب يجلبون الآنية الزجاجية التي تستعمل في الكيمياء من المانيا رغم الرسوم الجمركية الباهظة التي تقتضيها الجمارك الاميركية على الواردات . ومن غريب ما يذكر في هذا الصدد ان هذا الزجاج يصنع من رمل خاص لا وجود لهُ الاَّ في ولاية نبراسكا الاميركية فكانت الوف الاطنان منهُ تحفر من ارض تلك الولاية وتشحن بسكة الحديد الى الموانى الشرقية ثم بالبواخر الى المانيا حيث تصنع منهُ البواتق وانابيب الاختبارات الكيماوية وغيرها من الادوات الدقيقة ثم يرسل كثير منها الى اميركا ولكن الاميركيين اخذوا يعملون هذه الادوات الآن في بلادهم بعد ان تعذر جلبها من المانيا . والحاجة تفتق الحيلة

الدم في الخبز

معلوم ان الخبز يصير اكثر تغذية والذّ طعماً باضافة بعض المواد الالبيومينية كاللبن او البيض الى العجين ولكن غلاءهما يحول دون استعمال الفقير لها في خبزهِ . على ان من المواد النتروجينية الكثيرة الغذاء ما يمكنهُ الانتفاع بهِ بثمن قليل كالدم الذي يهدر في السلخانات ولا ينتفع بهِ البتة . فانهُ كثير المواد النتروجنية والاملاح المعدنية اللازمة لقوام الجسم. وقد جاء في السينتفك اميركان ان عالماً المانياً اسمهُ دروست اخترع طريقة لاستخدام الدم طعاماً وازالة رائحتهِ وطعمهِ ولونهِ التي تجعل الناس يعافونهُ و ينفرون من اتخاذهِ طعاماً . وذلك انهُ يمزج الدم بشيءٍ من بروكسيد الهدروجين فيبيض وتزول رائحتهُ ويعقم. ثم ان اضافة بروكسيد

الهدروجين الى المادة الآلية كالعجين تفضي الى تصاعد الاكسجين من العجين غازاً فيفعل ذلك بالعجين فعل المواد التي تضاف اليهِ لانتفاخهِ مثل كربونات الصودا وغيرها . وقد قال العالم المذكور انهُ ما زال يمزج خبزهُ بالدم منذ ست سنوات فعاد ذلك باحسن العواقب عليهِ وعلى عائلتهِ

اما طريقة مزجهِ بالعجين فهي انهُ ياخذ الدم ويضعهُ في صندوق الثلج من يوم كامل الى يوم ونصف ثم يزيل الجلطات منهُ ويضيف المصل الى الدقيق فيعجن بهِ ثم يضيف الى العجين بروكسيد الهدروجين او مادة اخرى ركبها لذلك خصيصاً

اطول الخطب

سمعنا مرة محامياً تكلم ثلاث ساعات متوالية فاستغربنا طلاقة لسانهِ وقوة عارضتهِ ولكن يقال ان السر ادورد كارسن المحامي الارلندي المشهور تكلم مرة في قضية ٢١ يوماً متوالية . والسر جمس كلردج تكلم ٢٦ يوماً في احدى المرافعات لما كان نائباً عمومياً . والدكتور كنيلي المحامي تكلم مرة ٤٣ يوماً في قضية فاجابهُ المستر هوكنس (الذي صار لورد برمتن) بكلام استغرق ١٣ يوماً ولما لخص القضية رئيس المحكمة استمرَّ في تلاوة تلخيصهِ ٣١ يوماً

ومنذ اربع سنوات كان السر ادورد كارسن محامياً في قضية مالية فتكلم ثمانية ايام وكان المحامي عن الخصم السر روفس ايزاكس (الذي صار لورد ردنج) فتكلم تسعة ايام . ولما جرت المرافعة في قضية شركة التلفون ومصلحة البوسطة الانكليزية تكلم محامي شركة التلفون ٩ ايام ومحامي البوسطة ١٢ يوماً

الالسنة القتالة

يقال في العربية لحس العثُّ الثوب اي اكل صوفهُ . لكن اللحس الحقيقي الذي يجرد اللحم عن العظم هو لحس الاسود فان السنتها مغطاة باهداب كبيرة حادَّة تفعل كالمبرد بما تصيبهُ . وفي لسان الهرّ والثور اهداب مثل هذه ولكنها صغيرة لا تقابل بما في السنة الاسود

اغلى الممثلين في السيناتوغراف

كثر ربح صانعي صور السيناتوغراف حتى استخدموا اشهر الممثلين والممثلات في الروايات التي صوَّروها ودفعوا لهم الاجور الفاحشة . من ذلك ان سيدة اسمها ادنامامي أُعطيت عشرين الف جنيه لاجل دخولها في رواية واحدة . ومدام بفلوفا أُعطيت عشرة آلاف جنيه لاجل دخولها في رواية اخرى ونصف الربح الصافي من صور تلك الرواية فبلغت اجرتها ٧٥٠ جنيهاً كل ساعة

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٨ جماد الثاني سنة ١٣٣٤

دعائم الصناعة

كثر الاهتمام في غضون الشهرين الماضيين بالصناعة المصرية والمعامل الصناعية . وهو اهتمام حميد يُشكَر القائمون بهِ جزيل الشكر وعسى ان لا يفشلوا اذا رأَوا ان استعداد البلاد الصناعي قليل جدًّا من كل وجه كما سيجيء

والاهتمام بالصناعة متية كل الامم الراقية في هذه الايام حتى يصحُّ ان يقال ان عصرنا هذا عصر الصناعة ولعلَّ اهم اسباب الحرب الناشبة الآن التزاحم الصناعي بين ممالك اوربا . وسيكون التفوُّق في الصناعة الحكم الفصل فيها . بل ان البلدان التي لم تشترك في هذه الحرب فعلاً جعلت تستعدُّ للكسب منها بصناعتها بعد ما تضع اوزارها فوق ما كسبتهُ منها حتى الآن

اطَّلعنا قُبَيْلَ كتابة هذه السطور على مقالة في مجلة السينتفك اميركان من قلم المستر لين وزير الداخلية في الحكومة الاميركية موضوعها استعداد اميركا في مواردها الصناعية الطبيعيَّة صدَّرتها السينتفك اميركان بكتاب جاءها من الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة وهذا تعريبهُ

« الى محرر السينتفك اميركان بنيو يورك

« سيدي

« ان في تنبيه بلادنا الى الفوائد الجلَّى المفتوحة ابوابها لديها في اسواق العالم خدمةً كبيرة لها . فان هذه الابواب واسعة جدًّا وفي طاقتنا ان ندخل منها الى حقول كثيرة الموارد وافرة الخيرات ولكن لا يتهيأُ لنا ذلك ما لم نكن على كفاءة تامَّة في الاعمال الصناعية البالغة ارقى ما نتوخاهُ . فينبغي علينا ان نستعين بكل ما يخدم بهِ العلمُ الصناعةَ وان نستخدم

كل ما يُنتظَر من التعليم في تربية الصنَّاع على ممارسة اعمالهم ومزاولتها . ويجب ان يتَّصف صنَّاعنا بالإِقدام والاعتماد على النفس عالمين ان صناعتهم مبنيَّة على القواعد العلمية المقرَّرة ومؤيَّدة بقوَّة الامَّة . فاذا استعان صنَّاعنا المتعلمون بعلمائنا الباحثين ووازرهم اصحاب الاموال بالسخاء من غير تضييق ولم يغتروا بانفسهم بل كان منهم لهم ناقد ففتشوا عن مواقع الخلل في مصنوعاتهم واصلحوها — فقلَّ ان يوجد مكان على وجه البسيطة لا تروج فيهِ المصنوعات الاميركية وتحل منهُ المحل الارفع

من القصر الابيض في ١١ فبراير سنة ١٩١٦ ودرو ولسن »

ووَاضح من ذلك ان لنجاح الصناعة دعامتين كبيرتين العلم والمال وقد اضاف اليهما الوزير لين دعامةً ثالثة وهي وجود لوازم الصناعة من المواد الاصلية والقوة المحركة . ويضاف الى ذلك دعامة رابعة اشار اليها الرئيس ولسن من طرف خفي وهي قوَّة الامَّة القوة التي تحمي متاجرها حتى تدخل اسواق المسكونة من غير خوف ولا وجل . وهاك خلاصة ما قالهُ الوزير

اهتممتُ منذ بضعة اشهر بالبحث عمَّا عندنا مماَّ نستطيع ان نقابل بهِ العالم الذي علَّمنا الآن ان الحرب لا تنحصر في الجيوش بل تتناول التنازع بين كل ما للامم المتحاربة من قوى الحياة اي بين مراكزها المالية ونظاماتها الصناعية وغلات اراضيها ومعادن مناجمها وذكاء عقولها . ولا تقتصر الجيوش الآن على ما فيها من الجنود والخيول والاسلحة بل تتناول الكيماويين والمخترعين والالغام والطيارات والاوتوموبيلات والاسلاك الشائكة وسكك الحديد وكل الآلات والادوات التي لدى الامم الصناعية

اما الولايات المتحدة ففيها كل ما تحتاج اليهِ ما عدا مادة او اثنتين فانهُ يستخرج منها سنويًّا ٦٦ في المئة من كل البترول الذي يستخرج من المسكونة و ٦٠ في المئة من كل النحاس و ٤٠ في المئة من كل الفحم الحجري و ٣٢ في المئة من كل الرصاص والتوتيا . ويستخرج منها ايضاً القصدير والبلاتين والمنغنيس والنكل . ولكن المستخرج من هذه المعادن الاخيرة قليل لا يفي بحاجة البلاد . ونستطيع ان نبني البوارج ونصنع الاوتوموبيلات وننشئ المعامل وسكك الحديد وتكون معادن ذلك كلهِ من مناجمنا وخشبها من حراجنا . ولا نحتاج الاَّ الى الكاوتشوك . وعندنا لتسميد الارض كثير من املاح الفصفور واملاح البوتاسا ويسهل علينا استخلاص النتروجين من الهواء بنفقة قليلة جدًّا لكثرة القوة المائية عندنا . فلا تفتقر اراضينا الى السماد . وعندنا كل انواع الاراضي والاقاليم من الحار الى البارد فتصلح بلادنا

لزرع كل الحبوب والاثمار على انواعها · وعندنا فوق ذلك كلهِ من القوة المائية المتّصلة ما يقدر بنحو ستين مليون حصان

ولدينا غير هذه الموارد الطبيعية موارد عقلية من اذكى ما يكون كما تشهد مكتشفاتنا ومخترعاتنا الكثيرة · فقد اخترع رجالنا في الخمسين سنة الماضية ثلثي كل المخترعات المهمَّة التي اخترعها البشر في هذه المدة · ويسجَّل كل يوم في اميركا مئتا امتياز باختراعات جديدة · وعدد المخترعات يزيد سنة فسنة

وقد منعتنا هذه الحرب من جلب مواد كثيرة كنا نجلبها من اوربا فجعلنا نصنعها بانفسنا او نستخرجها من مناجمنا كالبترول والتولول اللذين تصنع منهما اصباغ الانيلين والمواد المتفجرة وكاملاح البار يوم والتنجستن والكوبلت والانتيمون والكدميوم والبلاتين · ولم نكتفِ باستخراج ما يسدُّ حاجتنا من هذه المواد بل صرنا نستخرج منها ما نتاجر بهِ ونصدرهُ الى البلدان الاخرى

ولا بدَّ لنا من التحكُّم في استخراج ما في جوف ارضنا من البترول لكي لا ينفد سريعاً لانهُ اذا نفد تعذر علينا ان نجد ما يقوم مقامهُ · فاشجار الحراج نزرع بدلاً منها واما البترول الذي تولَّد في قلب الارض في العصور الغابرة فلا نعلم كيف تولَّد ولا سبيل لنا الى توليدهِ

ومن اهم مواردنا الطبيعية التي يجب ان نعنى باستخدامها والاستفادة منها القوة المائية التي في انهارنا اذا اقمنا لها سدوداً حتى ترتفع مياهها وتروي ما حولها من الاراضي العالية ثم تنحدر فيتولد من انحدارها قوة عظيمة لادارة الآلات ولاستخراج النتروجين من الهواء وعمل الاسمدة النتروجينية اللازمة لتخصيب الارض · والارض البور التي لا تروى لا فائدة منها والنهر الجاري الذي لا يروي ارضاً لا فائدة منهُ بل منهُ ضرر كبير في طغيان مائهِ ولكن اذا قيِّدت الانهار بالسدود حتى علا ماؤُها واستُعمل للري نتج منهُ ومن الارض فوائد لا تقدَّر · وقد زارنا منذ سنة السر وليم ولككس الذي انشأ خزان اصوان في مصر فلما رأى انهارنا قال انهُ يأسف جدًّا اذا لم يسعدهُ الحظ فيرى ما لا بدَّ من حدوثهِ يوماً ما وهو تقييد نهر المسسبي بسد يحكم بمائهِ حتى يروى بهِ كل واديهِ الذي هو اكبر جدًّا من وادي النيل واصلح منهُ لسكنى البيض · ولا بدَّ للحكومة الاميركية من ان تعمل هذا السد عاجلاً او آجلاً

انتهى ما قالهُ رئيس اعظم بلاد صناعية زراعية ووزير داخليتها وخلاصتهُ ان الصناعة تقوم الآن بالعلم والمال والقوة و بوجود موادها الاصلية كلها او اكثرها · وقد قلنا « الآن » لان ما يشترط في هذا العصر عصر المباراة والمزاحمة التجارية لم يكن يشترط في العصور الغابرة

حينما كانت كل بلاد مستقلة بصناعتها لا تأتيها المصنوعات الرخيصة من بلاد اخرى فتزاحم مصنوعاتها وتقضي عليها كما حدث فعلاً في هذا القطر والقطر الشامي واكثر الاقطار الشرقية

الأَّ ان الاميركيين استعانوا بوسيلة اخرى لترقية صناعتهم لم يشر اليها رئيسهم ولا وزيرهُ وهي حماية الصناعة الاميركية بضرب المكوس (عوائد الجمرك) الباهظة على المصنوعات الاجنبيَّة . نعم ان هذه المكوس تؤخذ اخيراً من جيوب الذين يستعملون المصنوعات الاجنبيَّة واكثرهم من الفقراء وان الاغنياء اصحاب المعامل هم الذين يستفيدون من غلاء المصنوعات الاجنبيَّة ولكن ذلك لا ينفي ان صناعة البلاد ترتقي بهذه الحماية فتفي بحاجة البلاد ويكتسب اصحابها مما يصدر منها الى الخارج

ونحن في هذا القطر تنقصنا القوة المائية والقوة البخارية كما ينقصنا كثير من المواد الاصلية . ويرد على ذلك ان المياه تنحدر في بعض الاماكن في مديرية الفيوم ولا يتعذَّر استعمال القوة الناتجة من انحدارها وان في انحدار المياه من عيون خزان اصوان قوة تقدَّر بالوف الاحصنة . ولكن القوة الناتجة من انحدار المياه في الفيوم قليلة وقد ينتفع بها في محلها وهي لا تشبع من جوع . وقوة المياه المنحدرة من سد اصوان عظيمة ولكن لا يتيسَّر نقلها الى المدن البعيدة كالقاهرة والاسكندرية الاَّ على اسلاك ثخينة جدًّا من النحاس تجعل نفقات النقل اعظم من الفائدة الحاصلة من هذه القوة . وخير ما تستعمل لهُ استخراج النتروجين من الهواء وتركيبهُ مع الجير لتوليد السماد الكيماوي . وقد اهتمت الحكومة بذلك ويحتمل ان تخرجهُ من حيز النظر الى حيز العمل يوماً ما

اما القوة البخارية فيحتمل ان يوجد من البترول في جهات قريبة ما يقوم بها اذا لم يوجد لها فحم حجري . ومع ذلك فالصناعات التي موادها الاصلية في البلاد كالحياكة والدباغة وما يترتب عليها وما يتفرع منها كافية لان تشغل الالوف من الصناع

وكذلك الصنائع التي يسهل جلب موادها من الخارج فتصل رخيصة يحسن تنشيطها بكل ما في الامكان . ويجب ان تبذل كل الوسائل لاقناع الاهلين باستعمال المصنوعات الوطنية حتى يعتادوا استعمالها وتفضيلها على غيرها . وبغير هذه الوسائل لا يرجى شيوع المصنوعات الوطنيَّة وتفضيلها على المصنوعات الاجنبية

ولكن في البلاد مورد ثروة اغزر مما يمكن ان تنالهُ من الصناعة وهو الزراعة فان دخلها يحتمل ان يزاد خمسين في المئة او اكثر كما سيجيء

العالم الجاني

لما نشبت الحرب الاهلية في اميركا منذ خمسين سنة كان في الجيش الاميركي طبيب اسمهُ مينور أُصيب بدَخل في عقلهِ من جرَّاء ما شاهد من ويلات الحرب فجاء بلاد الانكليز واقام في مدينة لندن وقد قام في ذهنهِ ان الارلنديين يقصدون قتلهُ . ونهض ذات ليلة وجعل يمشي على رصيف نهر التايمز واتفق ان رجلاً كان يمشي وراءهُ فخيل لهُ انهُ يقتفي خطواتهِ قاصداً قتلهُ فاخرج مسدَّساً من جيبهِ ودار اليهِ ورماهُ بالرصاص فقتلهُ . وقُبض عليهِ وحوكم فاعترف بجريمتهِ ولكن ثبت للقضاة انهُ مختل الشعور فحكموا بسجنهِ في سجن المجانين المجرمين

ولما توفي السر جمس مري منذ بضعة اشهر وهو مؤلف اوسع قاموس في اللغة الانكليزية كتب بعضهم في مجلة ستراند ان الدكتور مينور هذا كان اكبر مساعد لهُ في تأليف ذلك القاموس وقد ساعدهُ فيهِ وهو في سجن المجانين المجرمين . فاهتمَّ الناس بامرهِ اهتماماً كبيراً وكان قد أُخرج من السجن سنة ١٩١٠ بعد ان اقام فيهِ ٣٨ سنة فقصدهُ واحد من قبل مجلة الستراند وحادثهُ في سبب سجنهِ وكيف ساعد السر جمس مري في تأليف قاموسهِ . فقال « ان الذي قتلتهُ كان يقصد قتلي ولو اردت ان انتصل من عملي لسهل عليَّ ذلك بان اطرح المسدَّس في النهر واسير في طريقي وانكر اني انا القاتل ولم يكن هناك احد ليشهد عليَّ . اما الدكتور مري (قبل ان اعطي لقب سر) فكان ينشر منشورات صغيرة يطلب فيها من قارئيها ان يرشدوهُ الى معاني بعض الكلمات ويذكروا لهُ الشواهد على استعمالها بتلك المعاني . واول ورقة وقعت في يدي من هذا القبيل كانت عن الكلمات التي صار لها معانٍ جديدة في الولايات المتحدة الاميركية والظاهر انهُ سُرَّ بالاجوبة التي بعثت بها اليهِ ومن ثمَّ توالت مسائلهُ عليَّ وكنت اجد لذة في الاجابة عنها »

ويقال انهُ بعث الى الدكتور مري بنحو ثمانية آلاف شاهد من الشواهد التي اعتمد عليها وذكرها في قاموسهِ . ولما قيل للدكتور مينور انك لم تنل الجزاء الذي يستحقهُ عملك هذا اجاب اني لا انتظر جزائي من العبد بل من المعبود . ثم قال ان الاجزاء التي كانت تطبع من القاموس كانت ترسل اليَّ تباعاً فكنت امتّع بروءيتي نتيجة عملي وهذا حسبي

وكتب المستر جون فشر صاحب البيت الذي كان الدكتور مينور فيهِ لما ارتكب الجريمة يقول « انهُ كان من الادباء الظرفاء . ولما جاءنا قال انهُ اتى انكلترا لاجل النزهة وانهُ يكره

النزول في الفنادق الكبيرة والعمل بقوانينها وقد يضطر احياناً ان يغيب اياماً متوالية وهو يودُّ ان نضع مصباحاً منيراً في غرفتهِ كل ليلة ولو لم ينم فيها لانهُ قد يأتيها متأخراً وهو يكره ان يدخل غرفة مظلمة · وذات ليلة دخلت غرفتهُ لاقفل كواها وانير مصباحها ولم اكن اعلم انهُ فيها فنهض من سريرهِ بغتةً وانتصب امامي واتفق انني تمكنت من انارة المصباح في تلك اللحظة وذكرت لهُ اسمي فهدأ روعهُ ولولا ذلك لكنت انا القتيل · ثم اجتمعت بهِ عصر اليوم التالي فوجدتهُ انيس المحضر واسع الرواية جدًّا · وكان ذلك وقتما تمَّ الفوز لالمانيا على فرنسا سنة ١٨٧١ واستلم تيرس رئاسة الجمهورية الفرنسوية فكلمني في سياسة اوربا كأنَّهُ ابن بجدتها · وقبلما ارتكب الجناية غاب عنا يوماً او يومين ثم عاد نحو الساعة التاسعة ليلاً وقال انهُ لا يريد طعاماً بل هو ذاهب لينام · ونحو نصف الليل سمعتُ جرس الباب يقرع بشدة فنهضت واذا احد رجال البوليس يسأل عنهُ فقلت لهُ انهُ نائم في غرفتهِ فقال كلاَّ بل هو الآن في دار البوليس ويدَّعي ان اسمهُ الدكتور مينور وقد قتل قتيلاً ويجب ان تذهب معي الى دار البوليس وتتحقق مَن هو فذهبت معهُ واذا انا بالدكتور مينور نفسهِ فطلب مني ان ارسل اليهِ بعض امتعتهِ فارسلتها وجاء رجال البوليس في اليوم التالي وفتشوا امتعتهُ فوجدوا فيها نحو ثلثماية جنيه »

وكتب واحد من رجال ذلك السجن (وكان قد رأى الدكتور مينور كل يوم مدة ثلاث عشرة سنة) انهُ كان من ذوي اليسار الذين يسمح لهم ان يقيموا في قسم مخصوص ويعطي كل منهم غرفة خاصةً يقيم بها اما هو فأُعطي غرفتين واحدةً ينام فيها وواحدة يقيم فيها في النهار ويتناول فيها طعامهُ وهو السجين الوحيد الذي سُمح لهُ بغرفتين في زماني · والغرفة التي كان يقيم فيها في النهار هي التي كان يكتب فيها ما كتبهُ للسر جمس مري وكان يصوّر فيها بالالوان المائية وكانت جدرانها مغطاة بخزائن الكتب وادوات التصوير لانهُ كان مغرماً بتصوير المناظر الطبيعية وبمساعدة الغواة بالتصوير من السجناء وبجمع الكتب من الطبعة الاولى وبمطالعة المجلات الادبيَّة

وكان في ذلك القسم من السجن مكتبة كتبها منتقاة وهو القسم الوحيد الذي فيهِ مكتبة فكان كثير التردد اليها واستعارة الكتب منها · والغالب انهُ كان يستعير الكتاب وقلما يأخذهُ الى غرفتهِ بل يتصفح القليل منهُ ثم يردهُ الى مكانهِ ويعود الى غرفتهِ مسرعاً

وذات يوم كان جالساً في الرواق الذي يقيم فيهِ السجناء لاستنشاق الهواء وكنت اتذاكر مع واحد منهم في موضوع مقالة للاستاذ ولترريلي قابل فيها بين رواية دكنس المسماة اوراق

بكوك وبين رواية لآخر اسمها داڤد هروم وكنا كلانا نجهل هذه الرواية الثانية ونجهل اسم مؤلفها . وسمعنا الدكتور مينور تتكلم فقال ان داڤد هروم رواية اميركية وقد كان لها شأن كبير في الولايات المتحدة وعندي هنا نسخة منها . ثم اتانا بها . ولما خرج من السجن قال لي اني تركت رواية داڤد هروم هنا ليقرأها من يشاء

وبقي وهو في السجن يعتقد ان الارلنديين والايالسة يضمرون لهُ الشر ويحاولون قتلهُ ومع ذلك لم يكن يظهر الكراهة للارلنديين المسجونين معهُ . وطلب ان تفرش ارض الغرفة التي ينام فيها بالزنك على نفقتهِ لكي لا تصعد الشياطين اليهِ من الغرفة التي تحتها . وكان يضع اناء من الماء في كل غرفة من غرفتيهِ زاعماً ان الشيطان لا يستطيع ان يدخل غرفةً فيها ماء

وكانت اوهامهُ تتسلط عليهِ في الليل . كان السجناء مأمورين ان يكونوا في فرشهم الساعة السابعة ونصف مساء وقبل الساعة الثامنة ببضع دقائق كان مدير السجن يمرُّ على الغرف كلها ليرى كل سجين في فراشهِ وكان الدكتور مينور يقول ويؤكد انهُ لا يكاد المدير يمر بغرفتهِ حتى يدخلها بعض الاشرار بامر رجال الحكومة ويخرجوهُ منها ويأخذوهُ غصباً عنهُ ويطوفوا بهِ البلاد ويدخلوهُ منازل الفجور ويضطروهُ الى ارتكاب الموبقات ثم يعودوا بهِ الى غرفتهِ . ولما صُنعت الطيارات (الاروبلانات) صاروا يحملونهُ بها ويطيرون بهِ الى الاستانة وغيرها من المدن الشرقية ويضطرونهُ الى دخول اماكن الفجور . حتى اذا نهض في الصباح نهض خائر القوى نادماً على ما فعل مشمئزاً منهُ

وعادهُ مرةً طبيب السجن وجعل يجادلهُ في امر فقال لهُ الدكتور مينور ان قصتي معك مثل قصة الثعلب والاسد فقد زعموا ان الاسد اخذ على نفسهِ العهود والمواثيق ان لا يؤذي احداً من الحيوانات الا ذوات القرون . وذات يوم رأى بعضهم الثعلب خارجاً من مغارة الاسد مذعوراً لا يلوي على شيء فقالوا لهُ على مَ انت خائف فقال ألا ترون نتوًّا في قمة رأسي فقالوا ولكن هذا ليس قرناً فقال نعم ولكن ان قال الاسد انهُ قرن فمن يجادلهُ وهذا شأني معك ايها الطبيب . انتهى

والجنون فنون ونوادر المجانين كثيرة اكثر من ان تحصى ولكن لم يقع لنا قط ان سمعنا عن مجنون ساعد في تأليف قاموس وكان لهُ شأن كبير في تأليفهِ . غير ان الجنون الجزئي الذي من هذا القبيل قلما يخلو منهُ اصحاب القرائح ولولا انهُ كان في هذا الرجل دافعاً لهُ لقتل من توهم انهُ يقصد قتلهُ لعاش ومات مثل سائر الناس

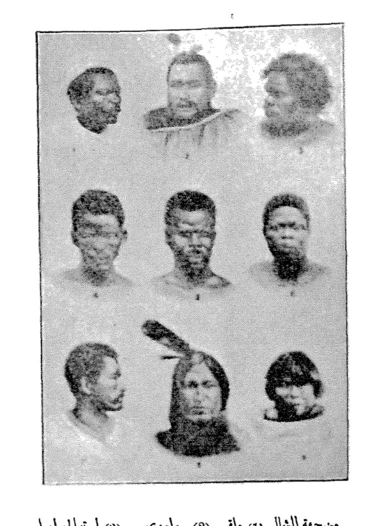
ايفان باولوف

نعت الصحف العلمية الاخيرة عالماً روسيًّا من كبار علماء الفسيولوجيا وهو الاستاذ ايفان باولوف. وقد قالت مجلة نانشر في تأبينهِ « ان علم الطب سيبقى مديونًا لهُ الى آخر الزمان ». واعظم ما اشتهر بهِ ابحاثهُ في الغدد والعصارات الهضمية كالعصارة المعدية وعصارة البنكرياس والصفراء. وفيما كان يبحث في كيفية افراز المعدة للعصارة المعدية اثر في نفسهِ عظم شأن المنبهات المعنوية كالمشاعر الحس في عمل الهضم وافراز العصارة المعدية وافراز اللعاب واختلاف تركيبهِ. فمن جهة حاسة البصر مثلاً وجد بالامتحان ان رؤية الطعام الجاف او الجامد تفضي الى افراز مقدار كبير من اللعاب المائع المائي ورؤية الطعام السائل تفضي الى افراز مقدار صغير من اللعاب اللزج. وذلك لان الاول يُحتاج اليهِ لمضغ الطعام والثاني لتسهيل البلع

وكذلك وجد ان رؤية لون لامع قبيل الاكل ينبه القابلية ويفضي الى افراز اللعاب والعصارة المعدية. وهكذا في الحواس الاخرى فان سماع صوت موسيقي او شم رائحة معينة او لمس شيء معين تساعد على عمل الهضم. ومما جاء في كلامهِ عن الصوت وتأثيره في الجهاز الهضمي قولهُ: « ومن غريب ما رأيت سيلان لعاب بعض الناس عند سماعهم صوتًا موسيقيًّا معلومًا. واغرب من ذلك جمود لعابهم عند سماعهم صوتًا موسيقيًّا آخر لا يختلف عن الاول الاَّ بمقدار ربع نوتة ». وقد سمّى هذه المشاهد بالافعال المنعكسة الشرطية

وكلنا يعلم تأثير رائحة الطعام في تنبيه القابلية وعمل الهضم مما لا تفعلهُ اعظم المنبهات المعروفة. وليس منَّا من لا يشعر بدغدغة في جوانب فكيهِ حيث الغدد اللعابية وبسيلان لعابهِ عند رؤيتهِ احداً يأكل شيئًا حامضاً. وكثيرون يفيض لعابهم اذا ذكرت المواد الحامضة امامهم او اذا كانوا جياعاً ورأوا احداً يأكل حتى لا يتمالكوا عن بلع ريقهم اذا لم يتسنَّ لهم مشاركة الآكل في طعامهِ

وقد عُرف فضل هذا الرجل فنال جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ وجعل عضواً في كثير من الجمعيات العلمية واعطتهُ الجمعية الملكية ببلاد الانكليز نشان كوبلي لاجل مباحثهِ في علم البيولوجيا وجعل مديراً لمعهد الطب الامتحاني في بطرسبرج. وكانت وفاتهُ في اوائل فبراير الماضي ولهُ من العمر سبع وستون سنة



من جهة الشمال (1) ملغي (2) ماوري (3) استرالي اصلي
(4) هوشنوت (5) زولو (6) من غرب افريقية
(7) باسك (8) هندي اميركي (9) اسكيمو



(1) يوناني (2) هندي (3) يهودي (4) سوري
(5) سكندناوي (6) مجري (7) جركسي (8) صيني (9) ياباني

مقتطف مايو ١٩١٦

امام صفحة ٤٢٥

علم الانسان

تقسيم الاجناس

قبل الفراغ من الكلام على اجناس الانسان لا نرى غنًى عن ايراد الاقوال المختلفة في تقسيم تلك الاجناس. واولها واهمها تقسيم بلومنباخ في اواخر القرن الثامن عشر. فقد قسم اجناس الناس الى خمسة اقسام وهي القوقاسي والمنغولي او المغولي والاثيوبي والاميركي (الهندي) والملقي. اما القوقاسي فلا يزال القول بهِ حتى الآن على ما فيهِ من الشمول الذي ينظم العربي والاسوجي مثلاً في سلك واحد مع ان الفرق بينهما ليس اقل مما بين الاميركي والملقي وقد جعل كلٌّ من هذين قسماً مستقلاًّ عن الآخر كما رأيت. وهذا عيب واضح في تقسيم بلومنباخ كما ان من عيوبهِ الاغضاء عن الجنس الاسترالي (الاصلي) والبشمن من اهل جنوب افريقية الاصليين وعدم ذكرهما في ذلك التقسيم وهما من ابين تنوعات الانسان واوضحها حدوداً

ثم قسمها كوفييه الى ثلاثة اقسام القوقاسي والمغولي والزنجي. او الابيض والاصفر والاسود او كما سماها الاقدمون اليافثي والسامي والحامي. ولكن هذا التقسيم المنظور فيهِ الى اللون دون غيرهِ ليس جامعاً مانعاً لما تقدم من الاعتبارات

وقسمها بكرنج الى ١١ قسماً وبوري سان فنسان الى ١٥ وديمولن الى ١٦. ومزية هذا التقسيم الاخير شمولهُ اي انهُ يتناول جميع التنوعات الواضحة الحدود ولا يهمل احدها. ولكن العلماء الطبيعيين لم يجمعوا على تقسيم من كل التقاسيم المتقدمة اذ لم تخلُ من وجوه الضعف ومغامز النقد. ويكفي في انتقاد تقسيم بكرنج ان يقال انهُ قسم الامم البيضاء الى قسمين العربي والحبشي. وهذا ايضاً هو شأن غيرهِ مثل اغاسيز ونوط وكروفرد وامثالهم. ولعلَّ تقسيم هكسلي افضل تقسيم في نظر علماء الحيوان. فقد قسم الناس الى اربعة تنوعات وهي الاسترالي (الاصلي) والزنجي والمغولي والابيض الناصع البياض (زانثوكروي) واضاف اليها تنوعاً خامساً وهو الاسمر (ملانوكروي) وتحت هذه التنوعات فروع وفصائل كثيرة. اما علماء علم الانسان فيعترضون على هذا التقسيم لانهم يحسبون بعض تلك الفروع والفصائل تنوعات قائمة بنفسها

ولا يخفى ان المحكّ الذي اعتمد العلماء عليهِ ليعرفوا هل امم البشر المختلفة تنوعات لنوع

واحد هو تزاوجها واتيانها بنسل غير عقيم على الدوام. وقد عُرف بالاختبار ان الخلاسيين المولودين من الاوربيين والسود او من الاوربيين والهنود الاميركيين يلدون على الدوام وكذلك المولودون من الهنود الاميركيين والسود وغيرهم . وان لنسلهم صفات مختلطة ورثها من الابوين وهو انما يختلف عن التنوعات الاصلية بان فيهِ ميلاً الى العود الى هذا الاصل او ذاك كثُر ذلك الميل ام قلَّ . وقد قام بين العلماء من قال ان ليس الخلاسيون كلهم ولودين على الدوام وان الخلاسيين المولودين من الاوربيين والاستراليين الاصليين بوجه خاص يكادون يكونون عقيمين. ولكن طول التحقيق اثبت بطلان هذا القول وايَّد المذهب الشائع من انهُ اذا تزاوج تنوعان نتج من تزاوجهما فرع جديد وان هذا الفرع يأتي بنسل اذا تزاوج افرادهُ وافراد ايّ التنوعات الاصلية

فبناء على ذلك اذا سلمنا جدلاً بوجود عدد قليل من التنوعات البشرية بادئ بدء فواضح ان تزاوجها يفضي الى ظهور عدد غير محدود من التنوعات الفرعية كما هو الحال بين الناس الآن . ومن رأي البعض انهُ لا يبعد ان يكون تزاوج التنوعات المختلفة هو كل السبب او بعضهُ فيما يرى الآن من الفرق بين الامم الكثيرة الاختلاط في نسبها كامم اوربا مثلاً . فقد ذهب هكسلي الى ان الهوتنتوت من اهل جنوب افريقية متولدون بين البشمن والزنوج من اهل تلك البلاد . وان السُّمر (ملانوكروي) من اهل جنوب اوربا هم نتيجة تزاوج البيض والاستراليين الاصليين

بقيت هناك مسألة عظيمة الشان في هذا الباب اختصم عليها علماء علم الانسان سنين طوالاً ولم يتفقوا وهي كيف اختلفت تنوعات الناس القليلة التي يمكن عدّها اولية هذا الاختلاف الذي نراهُ الآن والذي صارت بهِ اقساماً مستقلة بنفسها بحيث يسهل تمييزها بعضها عن بعض . والعلماء في ذلك فريقان فريق يرى ان جميع صنوف البشر تسلسلوا من اصل واحد او من زوجين لا غير . وفريق يدعي ان التنوعات الاولية تولدت من اصول مستقلة وبعبارة اخرى ان الناس يرجعون الى اجداد مختلفة الاصول لا الى جدّ واصل واحد

اما الفريق الاول اي القائلون باصل واحد فيتعيّن عليهم ان يبينوا ما هي العوامل التي افضت الى ما يرى من الفروق العظيمة بين اجناس البشر مع تفرعها من اصل واحد. فالقدماء لم يجدوا صعوبة كبيرة في بيان تلك العوامل فقال ارسطو مثلاً ان للاقليم هو اعظمها وان

الشمس هي التي سودت بشرة الزنجي . ولكن ظهر للباحثين من المتأخرين ان عامل الاقليم اضعف فعلاً وابطأ سيراً مما كان يظن وان الاجناس المختلفة اختلافاً واضحاً في بناء اجسامها كالبشمن والزنوج في افريقية يعيشون في اقليم واحد ولكن ليس ثمة دليل يدل على ان بناء اجسامهم آخذ في التماثل والتجانس . ومن جهة اخرى نرى بعض قبائل اميركا الجنوبية لا تزال متشابهة من عهد بعيد رغم عظم اختلافها في الاقليم والمأكل . وقد نظر داروين الى هذين العاملين عامل الاقليم وعامل اختلاف طرق المعيشة وتأثيرهما في اجناس الناس المختلفة فظهر لهُ ولغيرهِ من كبار الباحثين ان تأثيرهما ضئيل وبطيء الى حد يعسر عندهُ التوفيق بين هذه النتيجة والمدة القصيرة التي مضت على خلق الانسان على ما جاء في التوراة . ولما كان بعض طوائف الناس كالمصريين والزنوج لا يزالون الآن كما كانوا منذ ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف في هيآتهم وملامحهم فاختلافهم الى هذا الحد عن الاصل الواحد الذي اشتقوا منهُ وفي تلك المدة امر مستحيل الاَّ باعجوبة

هذه هي الصعوبة التي عرضت للقائلين بالاصل الواحد ولم يتمكنوا من حلها فلذلك راجت سوق المذهب الآخر الى حين ولكن المباحث الحديثة عادت بالناس الى المذهب الاول لما ثبت ان الانسان وُجد على الارض منذ زمن مديد وان التغيرات الكثيرة التي طرأت على صنوف الناس في ذلك الزمن المديد كافية على بطئها لافتراقهم عن الاصل الذي تفرعوا منهُ الى حد ان يكون منهم الابيض والاسود او القوقاسي والزنجي . ولكن يقال من جهة اخرى ان مذهب ارتقاء الانواع لا يستلزم ضرورة تسلسل تنوعات النوع الانساني من اصل واحد فان اصحابهُ يسلمون انهُ لا يبعد ان تكون انواع مختلفة من القرود قد ارتقت فتولد منها بعض تنوعات الناس . ومع ذلك كلهِ نرى اصحاب هذا المذهب (وهو الذي اصطلح على تسميتهِ بالداروني نسبة الى داروين اشهر القائلين بهِ) اميل الى القول بالاصل الواحد حيث الاختلافات بين الانواع ضعيفة يمكن التوفيق بينها وردها الى مصدر واحد. فقد قال داروين في كتاب تسلسل الانسان ما ترجمتهُ :

« لا ينكر ان طوائف الناس الموجودين الآن يختلفون في امور كثيرة كاللون والشعر وشكل الجمجمة ونسبة اعضاء الجسم بعضها الى بعض وغير ذلك ولكن اذا نظرنا اليهم جملةً وجدناهم كثيري التشابه في امور شتى . وكثير من هذه الامور لا شأن لهُ او انهُ غريب في بابهِ حتى لا يكاد يحتمل ان الانواع او الاجناس الاصلية المختلفة حصلت عليه

مستقلة عن غيرها . وهذا الحكم يصحّ على وجوه الشبه العقلية بين اكثر طوائف الناس تميُّزاً بعضها عن بعضها . واذا رأى العلماء الطبيعيون اتفاقاً جليًّا في تفاصيل عديدة صغيرة بين طائفتين او اكثر من طوائف الحيوانات الداجنة او اشكال طبيعية متقاربة سواء كان ذلك في العادات او الاذواق او الاميال اتخذوا ذلك الاتفاق حجة لهم في القول بانها جميعاً متسلسلة من اصل واحد كانت فيهِ تلك الصفات وانهُ على ذلك يجب ان ترد الى نوع واحد . وهذه الحجة تصح ايضاً على اجناس الناس المختلفة »

قلنا ان اعظم عقبة في سبيل القائلين بتسلسل الناس من اصل واحد ان يبينوا كيف اختلفت التنوعات البشرية هذا الاختلاف عن الاصل مع انها لا تكاد تختلف الآن بشيءٍ عمّا كانت عليهِ في اوائل العصور التاريخية . وقد حاول الفرد رصل ولس (قسيم دارون في مذهبهِ) بيان ذلك بقولهِ ان الناس الاولين ممثلي الاجناس الحاضرة كانوا قليلي الادراك فلم يكونوا قد تمرسوا بفنون الدفاع عن انفسهم من عوادي الاقليم ولا اتقنوا الوسائل التي تكفيهم شرّ عدوان الطبيعة عليهم فلذلك كانوا في حالتهم الوحشية اكثر انفعالاً بالمؤثرات الخارجية من اهل هذا الزمان . ولذلك لم يلقَ الانتخاب الطبيعي وغيرهُ من العوامل مقاومة كبيرة في تكوين تنوعات الانسان المختلفة وهي أورثت نسلها لون بشرتها وتركيب بنيتها

ويقال اجمالاً ان المذهب القائل بوحدة اصل الناس صار اثبت الآن منهُ في الماضي . ولا يعلم هل تحلّ المسألة حلاً قاطعاً ولا ومتى يكون ذلك ولكن كثرة ما اكتشف في هذا الباب في الربع الاخير من القرن الماضي وفيما انصرم من هذا القرن يحدو الناس على الامل بحلّها قريباً كما قال دارون

***

قلنا في مقالة سابقة ان العلماء يقدرون قِدَم الانسان على هذه الارض بمئات الالوف من السنين غير جازمين بعدد تلك المئات . وكانوا حتى القرن الماضي يسلّمون بتقدير احد كبار رجال الدين من الانكليز وخلاصتهُ ان الارض والانسان خلقا سنة ٤٠٠٤ قبل المسيح . ولكن علم الجيولوجيا اثبت ان الحيوان والنبات ظهرا على هذه الارض منذ عصور متوغلة في القدم . وان اول ظهور الانسان عليها يعدّ حديثاً بالنسبة الى ذلك وهو يتراوح بين ٢٠ الف سنة ومئة الف على القليل . وعلم الآثار والعاديات يؤيد علم الجيولوجيا من هذا القبيل .

وقد حفروا في بعض انحاء وادي النيل الى عمق ٦٠ قدماً فوجدوا قطعاً من الفخار واللبن المشوي مما دلّ على ان الانسان كان يسكن هذا الوادي ويحسن عمل الفخّار قبل الزمان الذي مرّ على رسوب ٦٠ قدماً من الطمي . وحسبوا ان متوسط رسوب الطمي لا يزيد على بضع بوصات في القرن الواحد فاذا فرضنا انها ست اقتضى ١٢٠ قرناً او ١٢ الف سنة لرسوب ٦٠ قدماً منهُ . ووجدوا في سو يسرا ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وفي كلّ منها آثار الانسان . اعلاها تحت سطح الارض ٤ اقدام وفيها من آثار الرومان الذين عاشوا منذ ١٥٠٠ سنة . والثانية التي تحت سطحها ١٠ اقدام . والثالثة تحت سطحها ١٩ قدماً . وعلى هذا الحساب يكون اهل الطبقة الثالثة قد عاشوا منذ نحو ٧١٠٠ سنة . وقد دلت آخر ابحاث علماء الآثار القديمة في هذا القطر انهُ كان مركز حضارة زاهية منذ ستة آلاف سنة او سبعة آلاف على القليل

والى هذه الآلاف الستة او السبعة يجب ان يضاف زمن طويل ارتقت فيهِ المعارف والفنون حتى بلغت مبلغها في عهد المصريين الاقدمين مثلاً . وزد على هذه الادلة دليل اللغات ونكتفي هنا بايراد شاهدين :

الاول شاهد العبرانية والعربية . فهاتان اللغتان قريبتان في النسب وليست احداها مشتقة او متفرعة من الاخرى بل هما فرعا اصل واحد اقدم منهما بالطبع . فان كانت العبرانية ترجع الى بضعة الوف من السنين كما يدلنا التاريخ فالى كم من القرون والعصور يرجع اصلهما الذي اشتقت منهُ

والثاني شاهد اللغات الهندية الاوربية المعروفة ايضاً باسم الآرية . فان الهنود واهل مادي وفارس واليونان والرومان والجرمان والكلتيين والسلاف القدماء كانوا في ازمان بعيدة اممًا مستقلة في لغاتها وتواريخها . ومعلوم الآن ان هؤلاء جميعهم تفرعوا من اصل واحد وان لغاتهم بنات ام واحدة . فان كان عمر البنات يقدر بالوف السنين فبالحري عمر الام . فلا بدع اذا ارجعوهُ الى مئة الف من السنين

السبيرتسم

وعلاقتهُ بالجنون

(١)

ظهرت مسئلة السبيرتسم من ستين سنة وكثر فيها البحث والجدل وادعى انصارها معرفة اسرار ما وراء الطبيعة ووسائل الاتصال بعالم الارواح واجتهدوا في نشر تعاليمها وتأييد مبادئها . وادعاها ايضاً قوم في الشرق عالم العجائب ومسرح الارواح فلم يخطُ هذا العلم ان صح ان نسميهُ علماً رغم اجتهاد دعاتهِ خطوة واحدة الى الامام من نشأتهِ الى الآن بل بقي على ما كان عليهِ من الغموض والابهام فلم يجلُ غامضاً ولا كشف سرًّا طبيعيًّا . وبذل المقتطف مجهودهُ من عهد بعيد في كشف النقاب عما في اعمال اصحاب هذا العلم من الغش والاحتيال وفي تفسير بعض ظواهرهِ علميًّا . ولو جُمع ما كتب في هذا الموضوع لملأ صفحات كثيرة من حجم المقتطف الأ ان الكتابات كانت متفرقة وفي اوقات متباعدة فلم يلم الجمهور بها وبقيت المسائل ترد اليهِ بين حين وآخر فيجيب عليها على قدر ما يسمح بهِ وقتهُ ومجالهُ . فرأيت ان اجمع في مقالة واحدة كل ما تهم معرفتهُ في هذا الموضوع ليلمّ بهِ كل من يحب الوقوف على اسرارهِ . واستندت في ما كتبت الى ثقات درسوا الموضوع درساً دقيقاً والموا بهِ من كل جهاتهِ . ويؤيد الثقة بهم كونهم اطباء اخصائيين بالامراض العصبية ومديري ملاجئ المجاذيب والمجانين فاذا بحثوا فيهِ سار بحثهم على القواعد العلمية ومطابقة الحوادث التي تقع تحت نظرهم على احوال الوسيط او الشخص السبيرتي

يجب ان نعرف اولاً ان السبيرتسم واستحضار الارواح هو غير المانيتسم (التنويم المغنطيسي) ففي الاول يستولي الوهم على اصحاب الدخل العقلي وبعض اصحاب الامراض العصبية كما سنرى . والثاني حقيقة علمية يعترف بها كبار العلماء ويستعملها اطباء اخصائيون لشفاء بعض الامراض العصبية . وفي المانيتسم يستولي المنوِّم (بالكسر) على ارادة المنوَّم (بالفتح) فيجري اوامرهُ انفعاليًّا بدون ان يدرك انهُ مسوق الى العمل بتأثير عامل خارجي . والشخص القابل للتنويم يكون دائماً ضعيف الارادة منحرف المزاج العصبي واحياناً منحط الادراك والعقل فهو لذلك يصح ان يكون وسيطاً ملائماً لاعمال السبيرتسم فاذا حضر قوم جلسة تنويم مغنطيسي وادَّعى المنوَّم كشف الاسرار ومعرفة الماضي والمستقبل فذلك

تدجيل غايتهُ التمويه والكسب لان اصحاب العلم الجديرين بالثقة كالاطباء الاخصائيين ومديري مستشفيات الامراض العصبية لا يدَّعون هذه الدعوى بل ينكرونها كل الانكار. وقد تيسر لنا حضور جلسات كثيرة من التنويم المغنطيسي فعرفنا ما فيها من الحقائق وتحققنا فساد دعوى معرفة الغيب بامتحانات لا تقبل الريب لاننا كنا نلقي الاسئلة على المنوَّم وهو هنا بمنزلة الوسيط في السبيرتسم فيجيب عليها اجوبة تافهة او غير سديدة . وبيان ذلك ان المنوِّم يوجب ان يقف على ما تضمرهُ فاذا عرفهُ اجاب المنوَّم جواباً ينطبق على السوءال وذلك لان المنوِّم يستولي على ارادة المنوَّم وذهنهِ فيجعلهُ خاضعاً لارادتهِ ومن ثم فهو يستطيع ان يوحي اليهِ الضمير فيجيب هذا عليهِ كما يشاء. مثال ذلك ان تضمر ان لك ابناً في الحرب على خط النار وانك تريد ان تعرف عنهُ شيئاً وانت ليس لك ابن هناك فينبئك المنوَّم ان حالة ابنك هي كذا وكذا فيتضح من ذلك انهُ لا يعرف شيئاً من الغيب وان لا اتصال لهُ على الاطلاق بعالم روحاني وان المنوِّم هو الذي كشف لهُ ضميرك فاجاب على ما تحب ان تعرف باعتقاد انك صدقت بان لك ابناً على خط النار . وقد اسهبت الكلام على هذا الموضوع في مقالة ادرجت في المقتطف فلا حاجة للرجوع اليهِ واطالة البحث فيهِ

واما السبيرتسم فعمل مستقل يقوم بظواهر خصوصية وفي ظروف خصوصية و يدعي اصحابهُ ان الارواح تتجسم وتعود الى هذا العالم ولكن لمدة قصيرة تكون فيها شديدة التأثير

وتنحصر ظواهر السبيرتسم في اعمال قليلة وهي سماع اصوات القرع وحركة الطاولة وظهور الشبح والكتابة . ويقولون ان الارواح تخاطبهم بهذه الوسائل فالاصوات تصدر من الهواء والطاولة ومن رفس الارض برجل الطاولة وهي واضحة ومنسقة ولكل منها معنى خاص . والشبح يظهر بصورة خيال تجللهُ سحابة ولكنهُ واضح الى ان يمكن تصويرهُ بالفوتوغراف . والطاولة ترتفع عن الارض وتنتقل الى الامام والوراء والجانبين وتقف في الهواء لا يوءَخرها ناموس الجاذبية العام عن القيام بهذا العمل الخارق . والكتابة تحصل بحركة يد الوسيط بدون ان يعرف غالباً ما هي او ما هو معناها . فبهذه الظواهر او بهذه اللغة المصطلح عليها تخاطب الارواح العالم الخارجي وعلينا ان نفك رموزها لتنكشف لنا اسرار المسئلة

لا يجوز ان نسفه بلا برهان علي او دليل سديد آراء اصحاب السبيرتسم او ننكر مبادئهم الغريبة وان قامت اركانها على رمل تسفيهِ الرياح بل يجب ان نفرض ان مسئلة السبيرتسم تقبل البحث والجدل مثل كل المسائل العلمية لان كل علم ما عدا علم الحساب وما يتفرع عنهُ فيهِ نظريات تحسب اليوم حقيقةً وتنقض غداً فيجب ان نلتفت اليهِ التفاتنا الى

المسائل العلمية وان كنا لا نرى فيهِ من الاهمية سوى ما بلغ من سلطته على افكار العامة حتى لم يبقَ لانصارهِ حاجة الى التبشير بهِ ودعوة الناس اليهِ لان الناس يأتون اليهم مختارين من كل ناحية وصوب و يتهافتون على حضور الجلسات و يملأون قاعات التشخيص واكثرهم اقبالاً اصحاب الهوَس الديني لانهم يشاهدون من العجائب ما ينطبق على ما الفوا تصديقهُ والاعتقاد بهِ من التعاليم الدينية . فاذا شاهدوا في جلسات السبيرتسم غرائب وعجائب يقصر ادراكهم عن تفسيرها وهي تشبه في ظاهرها العجائب التي رسخ فيهم الايمان بها مالوا الى الاعتقاد بصحتها ووجهوا حياتهم نحو هذا المعتقد الجديد. على ان الحياة تتجه في سيرها الى امور كثيرة كالحاجة والاشغال اليومية والحزن والفرح الخ والى الامور الشخصية كالاطباع والاميال والامزجة فيتالف من مجموع هذه الامور مركب فاعلي وانفعالي يدفع الى حب الاستطلاع والرغبة في كشف الاسرار والغوامض. والسبيرتسم يستولي على الذهن عند ما تكون المعدة ملآنة والقلب خالياً والجسم مستريحاً والمجال واسعاً للافتكار فيهِ فهذا هو مجال النظر في مبدإِ السبيرتسم وهو على ما نرى قليل الاهمية من حيث الفلسفة الشخصية وعدم وجود ضرر منهُ على الحياة او على النظام الاجتماعي . وعلى هذا النحو سار العالم من ستين سنة الى الآن يحسب السبيرتسم اكتشافاً جديداً لا توازيهِ الاكتشافات الكهربائية واشعة اكس والتلغراف اللاسلكي والطيارات الهوائية والغواصات التي هي العوامل الحقيقية للرقي والمقدمات الصحيحة للانقلابات الاجتماعية

يذهب الناس في تأويل مسائل السبيرتسم بحسب عقولهم واميالهم وتربيتهم وغرائزهم وينقسمون فيهِ الى ثلاثة اقسام : القسم الاول فريق المتعلمين الذين يشكون في صحتهِ ويمعنون النظر في وسائلهِ فاذا ارتابوا في واحدة او ظهر لهم الخداع فيها نبذوها بجملتها واكثرهم لا يكترث لهُ كعلمٍ بل يذهب الى قاعة الجلسة كما يذهب الى قاعة التمثيل فلا يعلق في ذهنهِ منها سوى ذكر وقائعها . ووجود هذا الفريق في الجلسة يكرههُ اصحاب السبيرتسم وكثيراً ما يحاولون توقيف الجلسة لاعذار ينتحلونها واذا فشلوا في حضورهم حسبوا فشلهم من قبيل فشل الكيماويين احياناً بامتحاناتهم الكيماوية

والقسم الثاني فريق العلماء الذين يميلون الى البحث والتنقيب فيبحثون في السبيرتسم بحثاً ينطبق على القواعد العلمية ومنهم فلامار يون الفلكي المشهور ولكن ابحاثهم لم تأتِ بنتيجةٍ رغم ما بذلوا من الجهد العظيم ورغم ما هم عليهِ من المكانة في العلم ومن دقة النظر وصدق الامتحان لان المسئلة على ما ظهر الى الآن لا تقبل التحقيق حتى ان فلامار يون نفسهُ نصير

السبيرتسم العنيد اضطر الى الاعتراف بان السبيرتسم لم يكشف لهُ غامضاً من غوامض الطبيعة وان ليس لظواهره قاعدة يصح ان تكون قياساً لغيرها

والقسم الثالث فريق العامة الذين يترددون الى جلسات السبيرتسم لمشاهدة الغرائب المدهشة التي تخلب البابهم وتبهر ابصارهم وهم ليسوا على علم يؤَهلهم لفهمها ومعرفة اسبابها وردها الى القواعد العلمية فيميلون الى تصديقها و ينسبون ما لا يفهمونهُ طبيعيًّا الى خوارق الطبيعة قياساً على خرافات الاقدمين واعتقادهم بغرائب الجن وخاتم المارد و بساط الريح وقبع الاخفاء الخ

ظواهر السبيرتسم

تجري الامتحانات في غرفة مظلمة و يقف الوسيط شاخص البصر ومحدقًا الى الطاولة ترجمان الارواح ينتظر الشروع في عملهِ وقضاء مهمتهِ . والحضور مجانين وعقلاء ينتظرون الشروع في العمل بشغف وفروغ صبر كأَن على رؤُوسهم الطير فترتجف القلوب وتشخص الانظار وتضطرب الاعصاب و يأخذ التأثير مأخذهُ في كل منهم ولا سيما النساء لان فترة الانتظار للوقوف على ما يخبئهُ لهن المستقبل اشد تأثيراً فيهن مما هو بعد حصولهِ . ومن البديهي ان يحصل هذا الانفعال لمن يقف عند حافة المجهول وهو لا يعلم ما ستفاجئهُ بهِ الارواح من الخطر او الحذر او كشف المستور من يد ذلك الوسيط او تلك الطاولة التي عما قليل ستهتز وتتحرك وترتفع وتدور وتجاوب على ما يلقى عليها من الاسئلة . فحضور الجلسة في بداءتها عظيم الاهمية والشأن لان الانفعال المتواصل يبلغ في نهايتها اشدهُ ويعم كل الحاضرين . والظواهر العصبية على ما تكون عليهِ من القوة والضعف في الشخص تظهر في البداءة ومنها يحكم على ميل الشخص ومزاجهِ واستعدادهِ ومن ثم على تأثير السبيرتسم فيهِ

يشرع الوسيط في العمل وحدهُ او بمساعدة شخص او شخصين فيضع يدهُ على الطاولة ثم يضع ممثلو الحفلة ايديهم و يتلوهم بعض الحاضرين حتى تتلامس الاصابع وتتم الحلقة فتأخذ الطاولة بعد ذلك في الحركة التي يشعر بها الممثلون اولاً لانهم يشعرون باخف الاهتزازات واضعفها ثم تزيد قوةً ووضوحاً حتى يشعر بها الجميع لان الطاولة اذ ذاك تأخذ في التقدم والتأخر والارتفاع والهبوط . ثم يضع الوسيط يدهُ بيد احد الحاضرين و يضرب بالاخرى في الهواء ضربةً او اثنتين او ثلاثًا او اربعًا فتسمع اصوات هذه الضربات من جهة الطاولة وهي اصوات صماء تشبه اصوات الصدمات الكهربائية . ومما يستحق الذكر هو ان رجلي الوسيط لا تلامس في هذا العمل ارجل الطاولة بل تكونان بعيدتين عنها ثم يضع الوسيط وبعض الحاضرين ايديهم على الطاولة فتسمع الاصوات من جوانب الغرفة وتظهر اقوى من الاصوات السابقة

تعزى هذه الاصوات الى طرق شتى من الغش والاحتيال الاَّ ان اصدق تعليل لها ما جاء بهِ الدكتور مارسل فيولت الذي درس الموضوع درساً دقيقاً فقال ان ذلك القرع المنظم هو اصطلاح تؤدَّى بهِ معانٍ خصوصية فان قرعتين مثلاً تعنيان السلب وثلاث قرعات تعني الايجاب وان تنسيقها يدل على بعض حروف الهجاء فيؤلفون من الحروف كلمات يفهمها الوسيط فيؤدي فحواها للمستفيد

طلب الدكتور مارسل فيولت الاتصال بالارواح فجلس حول الطاولة وكان بقربها كرسيٌ ثقيل من نوع «البوف» يبعد ستين سنتيمتراً عن رجل الوسيط ليتأكد عدم احتيال الوسيط على استخدامهِ فتحرك الكرسي تحت رجلهِ حركةً انزلاقية ذهاباً واياباً وكان اذا دفعهُ برجلهِ يرجع من نفسهِ اليهِ ثم تحرك الكرسي خمس مرات او ستًّا حركةً قوية ارتفعت الطاولة بعدها بدون ان يمسها احد وسقط ما عليها وتبعثر . ذلك لان الكرسي وان كان ثقيلاً ينزلق بسهولة على ارض الغرفة ويسهل دفعهُ بالرجل وجرُّهُ بخيط من الدوباره . وكانت الستائر تنتفخ على طولها كما لو نفختها ريح عاصفة بدون ان يمسها الوسيط بيدهِ او برجلهِ وترتفع احياناً فوق رؤُوس الحاضرين وتجلّلهم . ثم وضع يدهُ في احدى يدي الوسيط ووضع احد اصحابهِ الفلكيين يدهُ في الاخرى فشعرا كلاهما بنخسٍ مؤلم على خاصرتيهما وكتفيهما ولم يريا اليد التي لمستهما بحيث يجوز ان يقال انها يد شخص غير منظور . وقد سمع اصوات القرع التي تصدر من الطاولة ورأى الطاولة تتحرك وتعلو وتنزل وتضرب الارض بارجلها ووقف على الاسئلة التي تلقى عليها وعلى الاجوبة التي تجاوب بها فتحقق بطول البحث ودقة النظر ان حركات الطاولة مع اصوات القرع الصادرة منها اشارات مصطلح عليها للدلالة على كلماتٍ او جملٍ . وطريقتهم في ذلك ان يبدأوا بكلمةٍ يسرعون الى كتابتها تحاشياً لضياع الوقت فاذا لم تفِ تلك الكلمة بالغاية او لم يفهم المقصود منها اعترضت الطاولة وظهر اعتراضها بحركات خصوصية كانها تتبرّم فتعطي كلمة ثانية وثالثة الى ان يحصل الاعتقاد بوجود عنصر روحاني

وشاهد في بعض امتحاناتهِ الشبح او اجزاءً منهُ كاليد والساعد والراس والجذع . قال : حضرت وصديقي فونتناي جلسة في مونفور لاموري فرأى صديقي شبحاً بيني وبينهُ واما انا فلم ارهُ لاننا كنا متقابلين نراقب اوسابيا (الوسيط المشهورة) وكل منا يمسك بيد من يديها . فتبادلنا محلينا فظهر لي حينئذٍ الشبح وهو رأس رجل ذي لحية كثة الاَّ انهُ لم يكن جلياً وتبادر الى ذهني انهُ خيال شخص يروح ويجيء امام مصباح احمر ولهذا لم اتمكن من مشاهدتهِ

من محلي الاول لان المصباح كان ورائي فظهر الشبح بيني و بين صديقي وبما انهُ لم يكن واضحاً وجليًا سألت هل يسمح لي بلمس تلك اللحية وللحال شعرت بلمس لحية ناعمة جداً لظاهر يدي

ظهرت كل تلك الظواهر بحضوره في القاعة التي كانت تزيد ظلاماً شيئاً فشيئاً بطلب الوسيط والحاحه لان الارواح في زعمهِ لا تظهر الا اذا جعلت نفسها في مستوى الطبائع البشرية فتخاطبهم بطريق اعضاء الحس والسمع والبصر . رأى الطاولة تتحرك وترتفع وتقرع قرعاً متبايناً وفهم رموز القرع من نوع الاجوبة التي يجاوب بها على الاسئلة وظهر لهُ انها اجوبة تافهة لا قيمة لها ولا فائدة منها لان فيكتور هيجو الذي كانت روحهُ تستحضر كان يغلط في الاملاء وفولتير في الانشاء . ولكنهُ لم يكترث لها كثيراً لان غايتهُ من البحث الوقوف على ظواهر الحياة بعد الموت لعلَّ في الطاولة سرًّا لم يسبر غورهُ فيكشف

وفي الواقع ان المسئلة بنفسها قليلة الاهمية ما خلا ما يكون من فعلها احياناً في توليد الانفعالات لان العامة الجاهلة اذا وقفت على تعليل مسئلة من المسائل الطبيعية تعليلاً علميًا لم تعد تلك المسئلة تؤثر فيها تأثيرها السابق . فالصاعقة كانت سابقاً ترعب الناس عموماً اما الآن فلا تخيف احداً لانهم وان كانوا لا يعرفون شيئاً عن الكهربائية فقد عرفوا ان الصاعقة تحصل بسلسلة قوات طبيعية وهي مع ذلك لا تزال تقتل الآن كما كانت تقتل سابقاً . واذا عرف ان نور الشفق حادث طبيعي برح من الاذهان انهُ نذير بالشر . وما من احد من اقاصي الريف يستغرب الآن سير المركبة بلا خيل وقس عليهِ . فالعلم الصحيح لا يثير النفسانيات والعلم غير الصحيح يؤثر فيها كثيراً و يشوش العقل بتعليل المسائل على ما هو فوق الطبيعة ولهذا فالشبح الذي يظهر في تمثيل السبيرتسم يؤثر ظهورهُ الغريب في الاشخاص المعرضين للاختلاط الذهني والهذيان و يعرضهم للتعاسة والشقاء في حياتهم العقلية والعملية

يتضح مما سبق بيانهُ ان ظواهر السبيرتسم تصدر من شخص غير منظور و يتلقنها الوسيط بالرموز و يطلق عليها اسم الخارجة لانها ليست منهُ وخارجة من عملهِ الذاتي ولكن من الظواهر ما يتولد في الوسيط نفسهِ و يصدر منهُ بدون ان يتلقنهُ من مصدر خارجي وتسمى بالباطنة وهي اكبر شأناً من تلك واكثر اهمية لانها تستلزم استشارة الارواح بسرعةٍ وتدل على بلوغ الوسيط درجة الكمال وتظهر فيهِ بالكتابة والتكلم والملابسة

اما الكتابة فهي ان يكتب الوسيط احرفاً او كلمات او جملاً يتلقنها من الروح من غير ان يكون لدماغهِ او فكرهِ دخل في تأليفها ومن غير ان يكون تحت تأثير النوم المغنطيسي . وتعرف هذه الحالة في الفلسفة العقلية بالظاهرة الروحانية وفي الطب بازدواج الشخصية لانها

تحدث من ارتجاج العقل الذي يحصل عقيب التأثر والانفعال الشديدين وتظهر في المجاذيب اصحاب الهذيان وفي المجانين عند ما يستقل المركز الدماغي لوظيفة الكتابة بالعمل

واما التكلم فهو ان يتكلم الروح بفم الوسيط وهو حالة من ازدواج الشخصية اوضح واتم من الحالة السابقة لان عضلات التكلم اقل خضوعاً للارادة من عضلات الكتابة فيكون الارتجاج العقلي فيهِ اكثر ظهوراً وتظهر هذه الظاهرة في الوسيط من غير ان يكون في حالة الجولان النومي الذاتي او المحدث. ويظهر مثلها في الامراض الدماغية وفي المجاذيب المصابين بالهذيان المعروف بهذيان الحركة الكلامي

واما الملابسة فهي آخر حدٍ لازدواج الشخصية لان الروح تلابس الوسيط وتسكن فيهِ وتكتب بيدهِ وتتكلم بفيهِ وتتسلط على عضلات وجههِ فتتحكم في سحنتهِ وملامحهِ وحركاتهِ بحيث يصبح بحالةٍ تختلف كثيراً عن حالتهِ السابقة فخطهُ لا يشبه خطهُ السابق ويصير للامحهِ معانٍ غير مألوفة ويحصل ذلك في حال النوم واليقظة . والوسيط يتعب منهُ تعباً زائداً قد لا يخلو من الخطر ويحصل مثل ذلك لبعض المجاذيب ويظهر فيهم في اوقات متقطعة وقد يكون طويل المدة او مستمرًّا اذا كانت العلة الدماغية فيهم مزمنة

هذه اهم الظواهر السبيرتية وهي غريبة وخارجة عن المألوف واذا لم تفسر تفسيراً علمياً صحيحاً كانت محل الدهشة والاستغراب . فحصول ما يماثلها في الاختلاط الذهني ينقض غرابتها ويدل على رابطة القربى بينها وبينهُ اذ لا ريب ان المناظر التي سبق شرحها تُحدث في المراكز الحسية العمل الذاتي الانفعالي (automatisme) لان رؤية الاشباح وسماع اصوات القرع المتباينة تستوجب استرعاء اعضاء الحس الظاهرة ثم استرعاء مراكزها الدماغية ثم توجيه قوى العقل لادراكها وتفسيرها . اما الحركة والصوت فيمكن تفسيرهما بالسبب الذي احدثهما واما العمل الذاتي الانفعالي فيعسر تفسيرهُ فيردُّ الى عمل الارواح . وهذه هي نقطة الاشتراك بين الظاهرة السبيرتية وبين الاختلاط الذهني فهذا يشتق من تلك والاستعداد الشخصي واسطة الاتصال بينهما لان اصحاب الاستعداد تشتد رغبتهم في جلسات السبيرتسم للاتصال بالارواح والوصول الى حالة من احوال الوسيط ولاسيما حالة العمل الذاتي الانفعالي كالكتابة فاذا بلغوها كانت عاقبتها عليهم الاختلاط الذهني

الدكتور
امين ابو خاطر

طريقة الصرف المغطّى

او الصرف بالبرابخ (١)

في القطر المصري نحو مليون فدان من الاطيان الضعيفة التي انفق عليها الى الآن نفقات جمة لاصلاحها وهي مرهونة بمبالغ كثيرة مع انها لا تأتي الأبحاصل قليل لا يوفي فائدة تلك النفقات والرهون . اذ لا يخفى ان اغلب المتأخرات الجسيمة المطلوبة للبنوك الراهنة والتي هي سبب تكاثر نزع الملكية في هذه السنين الاخيرة ليست مطلوبة على الاطيان التي من الدرجة الاولى مثل اطيان المنوفية وغيرها بل جانب عظيم منها متأخر على الاطيان التي اشرنا اليها . فسنشرح اولاً حالة الاطيان المذكورة . وثانياً سبب ضعفها والطريقة اللازمة لاصلاحها . وثالثاً النتيجة المالية المنظور الحصول عليها من تعميم تلك الطريقة

(١) — حالة الاطيان —

قدر السر وليم ولكوكس في كتابهِ عن الريّ في مصر الاطيان المحتاجة الى الصرف بالآلات الرافعة على الغالب بنحو مليون وثلثمائة وعشرين الف فدان . فاذا اسقطنا من هذا القدر نحو ثلثمائة وعشرين الف فدان من الاطيان الحسنة القديمة العهد بالزراعة في تلك المنطقة يبقى لدينا مليون فدان من الاطيان الضعيفة الكثيرة الاملاح والرطوبة

ثَبَتَ من المباحث التي جرت حديثاً ان المياه الموجودة في جوف الارض بهذا القطر قد ارتفع منسوبها في السنين الاخيرة وذلك بسبب ارتفاع منسوب المياه في التُرَع العمومية الناشئ عن ارتفاع الحواجز في القناطر الخيرية بقرب مصر وبسبب تعميم الري في القطر . فتسبَّبَ من ذلك اولاً بعض النَشع الى الاطيان القريبة من الترع العمومية . وثانياً ما نراهُ سنوياً من تساقط لوز القطن في شهري اغسطس وسبتمبر قبل ان تدخلهُ الدودة اذ يرد ماء النيل حينئذٍ فيعم الري جميع الاطيان حتى الشراقي والتي تزرع البرسيم البدري او القطن فتكثر المياه في جوف الارض وترتفع فتغرق بها جدور اشجار القطن و يتساقط اللوز بكثرة من جراء ذلك . وكان هذا السبب من الاسباب المهمّة التي افضت الى قلّة حاصلات هذه السنين المتأخرة في الاطيان البحرية . فان جوف ارضها ممتلئ رطوبة مضرّة . واذا اردت

---

(١) ملخص ترجمة المحاضرة التي القاها حضرة صاحب الامضاء على الجمعية السلطانية الاقتصادية في جلسة ٣١ مارس الماضي

برهاناً على ذلك فقابل منسوب المياه التي في المصارف المارّة في وسطها بمنسوب الارض نفسها فترى ان الفرق بينهما في معظم الاحيان لا يزيد على ثلاثين سنتيمتراً ففي هذه الحالة تكون محاصيل تلك الاطيان ضعيفة جدًّا وسكّانها لهذا السبب قليلين وكذلك ومواشيها فينتج من ذلك قلّة النفر والخدمة والسباخ

فاذا بقيت حالة تلك الاطيان على ما هي عليهِ اي لا يزيد ايرادها على واحد او واحد ونصف في المائة مع ان كثيراً منها مرهون للبنوك بواقع سبعة او ثمانية في المائة فالمتأخرات تزيد طبعاً وتؤدّي الى نزع ملكيتها . وعاقبة ذلك على القطر المصري سيئة جدًّا لان تلك الاطيان الحديثة التصليح والزراعة هي التي كانت سبب جانب كبير من الدين على القطر فاذا بقيت تلك الاطيان على ما هي عليهِ فكيف يسدّ ذلك الدين الجسيم الذي عليهِ لاوربا . اما اذا اصلحت فان حاصلاتها تزيد وتُرسل الى الخارج وتزيد الصادرات فتفوق الواردات وفائدة الدين الذي على القطر

اذاً من الضروري لمصلحة المُلاَّك الخصوصية ومصلحة القطر العمومية ان تصلّح تلك الاطيان تصليحاً مستوفياً. وهو ما نبحث فيهِ الآن

(٢) — تصليح تلك الاطيان بواسطة الصرف المغطى —

في الناس فريق يظنّ ان رطوبة الوجه البحري واحوالهُ الجوية هي التي تؤثّر في المزروعات وتسبب كثرة التداوى وتأخير نضج المحصولات وان الضرر جميعهُ ناتج من ذلك.

فنحن لا ننكر تأثير الطقس والرطوبة في المزروعات ولكننا نرى اولاً ان ليس هناك فرقٌ جسيمٌ بين طقس المنطقة البحرية والمنطقة المتوسطة من هذا القطر الى حدّ يسبّب قلّة غلة الاطيان البحرية

ثانياً نرى في اقاصي القطر ان الاطيان التي صرفها حسن والتي هي اعلى من غيرها تأتي بحاصلات وافرة مثل اطيان باقي القطر ولذلك فان السبب في ضعف الاطيان البحرية هو وجود الملح وكثرة المياه في جوفها لا رطوبة الجو . وعلى كلّ فان رطوبة الجو تأتي من جملة اسباب منها تبخّر المياه من جوف الارض فاذا صُرفت تلك المياه وجفّفت الارض تماماً يقل التبخّر وتقل الرطوبة . فالتحسين متوقف والحالة هذه على الصرف

اما الطريقة المستعملة الآن لصرف تلك الاطيان فهي كما يعلم القرّاء عمل مصارف

صغيرة في وسط الارض تبعد بعضها عن بعض ٣٠ الى ٦٠ متراً وعمقها لا يزيد على ثمانين سنتيمتراً الى متر - فهذه الطريقة تحسن الاطيان بعض التحسين مع مرور الزمان الطويل ولكن المالك لا يوافقهُ الانتظار هذا الوقت الطويل للحصول على ايراد كافٍ من اطيانهِ وخصوصاً اذا كانت مرهونة بواقع المائة سبعة او ثمانية في السنة . واذا امعنَّا النظر في طريقة المصارف المكشوفة نرى ما يأتي

اولاً : ان هذه الطريقة تحسينها بطيء جدًّا فلا يتحسن بها في السنين الاولى سوى جزءٍ قليل من الارض وهو الملاصق للمصرف ويبقى الباقي بائراً . واذا تحسن فيما بعد فيكون تحسنهُ سطحياً ويبقى جوف الارض سيئاً والبرهان على ذلك انهُ اذا تركت تلك الارض سنة او سنتين فقط غطت الاملاح سطحها وعادت كما كانت قبل التصليح

ثانياً : ان طريقة المصارف المكشوفة تجعل جانباً كبيراً من الارض مشغولاً بالمصارف من غير ان يزرع وهذا الجزء يتراوح ما بين سبعة في المائة وستة عشر بحسب قرب المصارف او بعدها بعضها عن بعض فاذا قدَّرنا ايجار الفدان بستمائة غرش فقط ومساحة المصارف مع جسورها بثلاثة قراريط من اربعة وعشرين قيراطاً فتكون الخسارة الناتجة من عدم ايراد الارض المشغولة بالمصارف مبلغ ٧٥ غرش سنويًّا . فاذا أضيفت لتلك الخسارة مصروفات تطهير المصارف السنوية التي لا تقل عن ١٥ غرشاً الى ٢٥ غرشاً الفدان الواحد رأيت ان طريقة المصارف المكشوفة منهــا خسارة سنوية من ٩٠ غرشاً الى ١٠٠ غرش في الفدان الواحد

ثالثاً : لو كان من الممكن حفظ جميع المصارف المكشوفة منتظمة وعميقة على الدوام ومطهَّرة ونظيفة من الحشائش وغيرها لا غضينا عن باقي عيوبها ولكن هذا من الصعب جدًّا بل من المحال كما يَعلَمُ من كان مثلنا مكلَّفاً ادارة بعض ابعاديات من الاطيان المشار اليها . واوّل مانع لذلك هو كثرة المصارف التي في الاطيان ففي ابعادية مساحتها مثلاً خمسمائة فدان ترى ٣٠٠ الى ٤٠٠ مصرف فكيف يمكن والحالة هذه حفظ ذلك العدد الكبير بحالة منتظمة فان صرف المياه السطحية ومرور المواشي وانهيال الجسور تجعل تلك المصارف تطمي بسرعة . واذا كانت تلك الاطيان مؤجرة زادت صعوبة حفظ المصارف ايضاً لان الفلاحين عادةً لا يهتمون بمسائل تطهير المصارف وحفظها نظيفة واذا اجبرتهم على ذلك طهروها تطهيراً سطحيًّا قليل الفائدة وهذه هي حالة العزب المتقنة نوعاً فما بالك بالابعاديات المتروكة لادارة الجهلاء والتي لا يتعهدها المالك الا نادراً

فترى من ذلك ان حفظ المصارف المكشوفة مطهرة جيداً من الامور الصعبة جدًّا ان لم نقل من المستحيلة فيلزم مُلاَّك تلك الاطيان ان يلجأُوا الى طريقة صرف أُخرى تكون وافية بالغرض وتزيل كل الاضرار السابق ذكرها . وهذه الطريقة هي طريقة الصرف المغطى اي البرابخ الفخار المغطاة . وهي ان يُفتح في الارض على مسافات متقاربة من ١٠ امتار الى ١٢ متراً مجارٍ ضيقة وعميقة من ٨٠ الى ٨٥ سنتيمتراً وقاعها منحدر انحداراً متساوياً بطريقة هندسية توضع فيهِ برابخ فخار قطر الواحد منها عشرة سنتمترات ومتداخلة بعضها في بعض عند اطرافها . ثم تغطى تلك البرابخ بالتراب المحفور من المصارف فيعاد ما اخذ من اسفل الى مكانه وما اخذ من السطح الى مكانهِ . ويلزم ايصال البرابخ في النهاية الى مصرف مكشوف يكون عميقاً لاجل صرف مياه البرابخ اليه . واذا كان منسوب مياه المصرف العمومي لا يضمن الصرف بالراحة وجب تركيب آلة رافعة لنزح المياه منهُ

اما فوائد هذه الطريقة فهي كثيرة وهاك اهمها :

اولاً ترى في الرسم الذي على الصحيفة المقابلة حرف (ا) رسم قطعة ارض منصرفة بالبرابخ وحرف (ب) رسم ارض منصرفة بالمصارف المكشوفة المعتادة في القطر المصري . ويتضح لك من مقابلتها انهُ يمكن حفر مصرف واحد مفتوح بحسب الرسم (ب) حيث يمكن حفر خمسة مصارف او اكثر بموجب الرسم (ا) اذ المصارف مغطاة في جوف الارض بحسب الطريقة الثانية فلا تمنع زراعة سطحها . فينتج من ذلك ان الصرف يكون بقوة زائدة جدًّا ليس فقط بالنسبة لزيادة عدد المصارف بل ايضاً بالنسبة لشفط اي جذب البرابخ في الارض . وقد اتضح ذلك جليًّا في التجربة التي اجرتها مصلحة الدومين في سنة ١٩٠٢ والتي سنذكرها فيما بعد ففي تلك التجربة بلغت مياه الصرف الواردة من ارض مساحتها ٢٧ فداناً وصرفت بالبرابخ ١١٧ متراً مكعباً في الساعة . وقد صرف ٢٧ فداناً بالمصارف المكشوفة فلم يصرف منها الاَّ عشرة امتار مكعبة بالساعة اي اقل من الاولى باحد عشر مرة وهذا معقول لان المياه بموجب الطريقة المغطاة تتجه الى المصارف عامودية ولا ترى مانعاً يمنعها من ذلك اما في الطريقة المكشوفة فتضطر ان تتجه الى المصرف المكشوف أفقية . ومن المعلوم عند المجربين ان الارض الجامدة تعارض مرور المياه في قلبها افقيًّا . فينتج اذاً من وجود البرابخ ان المياه المضرة التي في داخل الارض تنصرف بسرعة ومعها الاملاح المضرة ايضاً

ارض متشققة وضعيفة

بربخ بربخ بربخ بربخ بربخ بربخ

٢٠ مترا

حرف (ا)

قطاع من ارض مصرفة بالبرابخ

٢٥ مترا ٢٥ مترا

مصرف مكشوف

ارض باقية رطبة ومتملحة ارض باقية رطبة ومتملحة

حرف (ب)

ثانياً ان الصرف المغطى بالبرابخ يجعل الهواء الذي هو روح المزروعات يتخلل جوف الارض بكثرة لان الهواء يدخل الارض ويحل محل المياه التي كانت فيها ثم يدخل ايضاً البرابخ عند انتهاء مرور المياه منها ويتخلل الارض هكذا من اسفلها فتجف وتتشقق بسرعة · والفلاحون يعلمون ان تشقق الارض هو دليل تحسنها وخصوبتها · ومن هذا يتضح ان الصرف المغطى يزيل الاملاح المضرة من الارض ويحسن معدنهـا ويجعلها تفرط مثل الارض المستعملة من سنين عديدة

ثالثاً ان الصرف المغطى يحفظ حرارة الارض اذ يمنع تبخر المياه منهـا فينتج من ذلك اولاً سرعة نضج المزروعات وهذا مهم جداً لان الضرر الذي يصيب القطن وغيره يصيبها متأخراً · وثانياً ان الارض تلين للحراث وتنشف فيمكن خدمتها وزراعتها بدرياً وهذا مهم ايضاً كما يعلم المزارعون

رابعاً واخيراً ان الصرف المغطى يوفر على المالك كما اشرنا سابقاً مصروفات التطهير ويمكنهُ من زراعة الارض ويسهل مرور العربات ووابورات الحرث وغيرها مما ينتج من استعماله وفر مهم في الابعاديات المتسعة · فكل تلك الفوائد تدل على محاسن طريقة الصرف المغطى ولكن يلزمنا ان نبحث هل حققت التجارب تلك المحاسن.

وجواباً على هذا نقول ان هذه الطريقة هي المستعملة في اوربا عامة ونتيجتها هناك حسنة جداً والاطيان المنصرفة هكذا تفوق دائماً بخصبها الاطيان المجاورة لها حتى ان حكومات اوربا سنَّت قوانين تجرئ الفلاحين وتساعدهم على تعميم تلك الطريقة ومدت الاهالي مالياً لهذا الغرض · فان حكومة انكلترا مثلاً سلفت الاهالي ستة ملايين جنيه لاجل استعمال تلك الطريقة في مليون ومئتي الف فدان وكانت النتيجة حسنة الى حد ان هذه السلفة اوفيت في مدة ثماني سنوات فقط · ومنت الحكومة الفرنسوية قانوناً في ١٧ يوليو سنة ١٨٥٦ اقرضت الاهالي بمقتضاه اربعة ملايين جنيه للغرض نفسه وكانت النتيجة ايضاً حسنة للغاية · وقد يظن البعض ان نجاح هذه الطريقة في اوربا ليس دليلاً كافياً على نجاحها في القطر المصري بسبب اختلاف الجو وطبيعة الارض · فنقول انهُ اتضح هناك ان الصرف المغطى يجعل الارض تجف وتتشقق ويتخللها الهواء فتصبح خصبة وهذه الامور كلها تابعة لعوامل طبيعية عامة وارض مصر عرضة لتلك العوامل كغيرها

وزد على ذلك ان طريقة الصرف المغطى استعملت في القطر المصري واسفرت عن نتيجة

حسنة جداً · ففي سنة ١٩٠٢ انتقت مصلحة الدومين الاميرية (انظر تفصيل ذلك في مجلة الجمعية الزراعية عن شهري مايو و يونيو سنة ١٩٠٣) قطعة ارض من البور المسبخة بقسم ثاني بشبيش بالغربية وقسمتها الى ثلاثة اقسام متساوية المساحة

القسم الاول : ملئ وصرف سطحيًا بلا حفر مصارف

القسم الثاني : حفرت مصارف فيه و بعد الواحد عن الآخر ٣٥ متراً

القسم الثالث : صرف بالطريقة المغطاة بواسطة البرابخ

و بعد ذلك ملئت القطع الثلاث مياهاً مدة اربعة شهور ونصف متوالية وكانت مياه الصرف ترفع بواسطة طلمبة بالنسبة لعلو مياه المصرف العمومي · ثم حللت الارض بعد التجربة وكانت قد حللت قبلها فوجد ان ٢٢ طن ملح استخرج من القطعة الثانية المنصرفة بالمصارف اما ما استخرج من القطعة الثالثة المنصرفة بالبرابخ فبلغ ١٢١ طنًا اي ٥ $\frac{1}{2}$ ضعف ما استخرج من الاولى · ثم زرعت كلها قطناً في مسافة شهرين بعد اتمام التجربة وهاك المحصول الذي اتى من الزراعة :

القطعة الاولى (ملئ وصرف) لم تأتِ بشيء

القطعة الثانية (مصارف مفتوحة) اتت بنصف قنطار

القطعة الثالثة (الصرف بالبرابخ) اتت باربعة قناطير ونصف

وقد نقلنا ما تقدم من دفاتر مصلحة الدومين التي أطلعنا عليها باشمهندسها · ثم اننا توجهنا في اكتوبر سنة ١٩٠٨ الى الارض التي جرت فيها التجربة وكانت الاطيان حينئذٍ مزروعة قطناً فنظرنا المحصول وقدرناه بستة قناطير للفدان في القطعة المنصرفة بالبرابخ مع ان الاطيان الاخرى كانت لا تزال ضعيفة · وسألنا الناس هناك فاكدوا صحة ما ورد في مجلة الجمعية الزراعية وسرعة تحسن القطعة المنصرفة بالبرابخ · و بعد ذلك استعملت المصلحة تلك الطريقة فيما يزيد على مئتي فدان في دَمرو و بشبيش وكانت النتيجة حسنة جداً · ثم أن كثيراً من الملاك في برمصر استعملوا الصرف بالبرابخ في بعض القطع المستملحة عندهم وكانوا مسرورين جداً من النتيجة السريعة التي توصلوا اليها · اما ارض بشبيش التي عملت فيها مصلحة الدومين تجربتها فانها ارض فرطة من طبيعتها فخشية ان يكون فعل الصرف المغطى بطيئاً في ارض سوداء جامدة عملنا نحن ايضاً تجربة في قطعة ارض مساحتها عشرة افدنة بجهة مرمباي على النيل في مديرية البحيرة بملك الخواجه جورج عيد ولم تزرع سابقاً حتى انهم جربوا زراعة

الدنيبة فيها فلم تنبت لانحطاط تربتها كثيراً عن تربة الاطيان المجاورة لها وكانت ذات ارض جامدة سوداء ومستملحة للغاية . فبعد ان ركبنا فيها البرابخ اقمنا لها ساقية لرفع مياه الصرف وملأناها بالمياه بضعة اشهر ثم زرعناها برسيماً فنما . وفي السنة التالية اصبحت اطياناً زراعية جيدة وفي العام الماضي زرعت ذرة فاتى الفدان بسبعة ارادب فجعل المزارعون يتزاحمون على استئجارها وفعلاً قدموا لاستئجارها بسعر ٦٣٥ غرشاً الفدان فابى ناظر الزراعة تأجيرها بهذه الفئة لانها تساوي اكثر . وفي شهر فبراير الماضي توجه جناب الدكتور الفريد عيد مدير صندوق الرهينات العام وجناب المسيو جاكوبس مدير شركة كفر الدوار معنا الى تلك النقطة وعايناها وتأكدا من محادثة الفلاحين هناك صحة ما كان . وكان الفلاحون مستغربين سرعة اصلاح تلك القطعة بعد ما يئسوا منها اما نحن فموقنون ان تلك القطعة التي كانت اقل الاطيان وهي الآن احسنها ستتقدم ايضاً في المستقبل ويبلغ ايجارها عشرة جنيهات الفدان بشرط ان يواظب على رفع مياه الصرف بالطلمبة المركبة في تلك الجهة لمصلحة الابعادية كلها

واذا قيل ان بعض التجارب التي جربت بها طريقة الصرف المذكورة لم تأت بالنجاح المطلوب فهذا كان سببهُ إمَّا جهل طريقة وضع البرابخ ووضعها يجب ان يناط بمهندس متمرّن واما ان المياه الواردة من البرابخ لم ترفع فلا فائدة والحالة هذه من وضع البرابخ في الارض اذا لم تصرف المياه التي تمر فيها وترفع بالآلة اذا كان منسوب مياه المصرف العمومي لا يسمح بالصرف بالراحة

النتيجة المالية المنظورة

اذا سئلنا ما هي كلفة الصرف المغطى بالفدان الواحد نجيب انها تختلف بحسب ثمن البرابخ ومصاريف نقلها ومشالها واجرة الحفر وغير ذلك . فالقطعة التي جربنا فيها تلك الطريقة في سرمباي كلفت سبعة جنيهات الفدان . ويقال اجمالاً ان متوسط الكلفة هو كما يأتي للفدان الواحد :

ص	
٣٠٠	ثمن البرابخ والكسر واجرة النقل
٢٣٠	حفر المصارف ثم ردمها
١٧٠	نقل البرابخ ووضعها وعمل الميزانية وغير ذلك
٧٠٠	الجملة

هذا اذا كانت البرابخ مصنوعة باليد حسب الطريقة المستعملة هنا . اما اذا اريد صرف مساحة كبيرة من الاطيان فيمكن حينئذٍ استحضار آلات لعمل البرابخ فتقل الكلفة . ولكن لزيادة التأكيد لنفرض ان كلفة العملية ليست فقط ٧٠٠ غرش بل ٨٠٠ ولنبحث في هل تفوق النتيجة المنظورة تلك الكلفة أم لا

قلنا ان القطعة التي جربت مصلحة الدومين تلك الطريقة فيها كانت بوراً سبخة ولم تمض بضعة اشهر حتى اصبحت اطياناً زراعية جيدة واعطت اربعة قناطير ونصفاً من الفدان الواحد وهذا مما يضمن لتلك القطعة ايراداً صافياً يتراوح ما بين ٧ جنيهات و٨ للفدان الواحد . وبما ان الارض كانت بوراً سبخة قبل عملية الصرف فيمكننا الحكم بان هذا الايراد الصافي نتج من تلك العملية . وقد كانت كلفتها بما فيها مصاريف الملء والصرف ورفع المياه والحرث وغيرها بموجب دفاتر حسابات الدومين ١٢ جنيهاً و٨٠٠ مليم فكأن هذا المبلغ اتى بفائدة سنوية قدرها ٧ جنيهات و ٥٠٠ مليم اي ٦٠ في المئة سنوياً . فمن هو المالك او المموّل الذي لا يقبل على عمل مثل هذا يأتيه منهُ ربح سنوي هذا مقدارهُ

واذا صرفنا النظر عن ارض الدومين التي كانت فرطة من طبيعتها ونظرنا الى الارض السوداء الجامدة المستملحة التي اجرينا فيها التجربة بسرمباي رأينا ما يأتي :

كلّف الفدان في تلك القطعة ٧٠٠ غرش كما تقدم . فاذا اضفنا الى ذلك مصاريف الحرث والري والصرف والرفع بالساقية الخ وهي ٢٥٠ غرشاً . وكذلك فائدة هذا المنصرف وهي ٦ في المائة لمدة سنتين بدلاً من السنة الواحدة اي ١١٧ فتكون جملة الكلفة للفدان بما في ذلك فائدة النقود ١٠٦٧ غرشاً . ولما كان ايراد تلك القطعة الصافي الآن يتراوح بين $\frac{1}{2}$٥ جنيه و ٦ جنيهات للفدان — ولنقل $\frac{1}{2}$٥ جنية — فان المبلغ المنصرف وهو ١٠٦٧ غرشاً يكون قد وظف بفائدة ٥٠ في المئة سنوياً

واذا نظرنا الى ثمن الارض قبل الصرف المغطى وبعدهُ رأينا ما يأتي :

لا يمكننا ان نثمن الفدان من الارض السبخ البور باكثر من ١٠٠٠ غرش . فاذا أضفنا الى ذلك المصروفات التي عملت كما هو مبين اي ١٠٦٧ غرشاً . ومصروفات تقصيب الارض وتصليحها وجزء من ثمن المباني والمعدات والمواشي وغير ذلك اي ٨٠٠ غرش على الكثير كان ثمن الفدان الواحد مع احتساب جميع كلفته ٢٨٦٧ غرشاً حال كون ثمن ذلك الطين الآن (وهو مؤجر بنحو ٧ جنيهات الفدان) لا يقل عن ٨٥٠٠ غرش فيكون الربح الناتج من العملية هو ٥٦٣٣ غرشاً أي نحو ٥٦ جنيهاً ربح الفدان مع ان الرأسمال والكلفة لا يزيدان

عن ٢٨ جنيهاً فكأن العملية أتت بربح قدره مائتان في المائة هذا اذا أريد بيع تلك الارض الآن اما اذا انتظر فسيزيد ثمنها عن ٨٥ جنيهاً وربما بلغ مائة جنيه فيزيد الربح ايضاً. واذا اغضينا عن هذا الربح جميعه ونظرنا فقط الى الوفر الناتج للزراعة من وفر التطهير السنوي (٢٠ غرش الفدان) ومن استعمال الارض كلها بدلاً من ترك ثلاثة قراريط بور. مشغولة بالمصارف من الاربعه والعشرين قيراطاً (وقد قدرنا ذلك بخمسة وسبعين غرشاً الفدان) فهذا الوفر وحده وقدره ٩٥ غرشاً سنوياً كاف لجعل طريقة الصرف المغطى افضل من المصارف المكشوفة لان كلفتها وقدرها ٧٠٠ غرش للفدان تأتي بوفر سنوي قيمته ٩٥ غرشاً اعنى بواقع ١٤ غرشاً المائة سنوياً . ويبقى الربح الذي ذكرناه اعلاه زائداً اي كما يقال بلغة الفلاحين « من فوق الكوم » .

فبعد تلك النتيجة الحسية والتي يمكن كل واحد تحققها بتوجهه الى سرسباي ومعاينة الارض التي أجرينا فيها الصرف المغطى هل يصح ان يقال ان كلفته كثيرة ؟ فما هي كلفة ٨ جنيهات او ١٠ الفدان حال كون زراعة واحدة تسدها ويبقى تحسين الارض مع المحصولات التالية ربحاً صافياً للمالك . ولا يخفى ان زراعة القطن وحدها تكلف مع ثمن السباخ واجرة المواشي من ٥٠٠ الى ٦٠٠ غرش فهل كلفة ٨٠٠ غرش تحسين الارض بالكيفية التي ذكرناها كثيرة . وكيف لا يراها اصحاب الاطيان في انكلترا وفرنسا وباقي اوربا كثيرة واجرة النفر عندهم تساوي ثلاث مرات اجرته هنا . ثم ان كلفة الصرف المغطى تزيد عندهم عما هي هنا بالطبع . والنتيجة التي يرجوها المالك من اطيانه هناك لا يمكن ان تشابه النتيجة التي يمكن الحصول عليها هنا بوجود مياه النيل وحرارة الشمس وكثرة الانفار وغير ذلك من العوامل التي تجعل الزراعة هنا اكثر ايراداً منها في اوربا . ففي فرنسا مثلاً يبلغ ايجار الفدان من احسن الاطيان ما عدا الكرم ١٣٠ غرشاً كما عرفنا ذلك اثناء اقامتنا هناك مدة ثلاث سنوات متتالية لدرس الزراعة . فاذا فرضنا ان الارض المنصرفة بالبرابخ هناك يمكن تأجيرها بواقع ١٥٠ غرشاً أو ٢٠٠ غرش الفدان فما هي هذه الفئة بالنسبة الى التي يمكن الحصول عليها هنا حيث يمكننا تأجير الفدان باضعاف اضعاف تلك القيمة اعنى ٨ جنيهات و ١٢ جنيهاً . فما دام الملاك في اوربا عامة يستعملون طريقة الصرف المغطى لاطيانهم التي تكون كثيرة الرطوبة مع ان معظم ما يرجونه بعد ذلك هو ايجار الفدان بسعر ٢٠٠ غرش وهم مسرورون بتلك الطريقة فكيف لا يقبل عليها اصحاب الاطيان هنا وهم يأملون تأجير الفدان بفئة ٨٠٠ و ١٠٠٠ غرش واكثر

هذا فيما يختص بكلفة الصرف المغطي وهناك بعض اعتراضات أُخرى على هذه الطريقة يلزمنا ان ننظر فيها ونفندها

فاولاً يخشى البعض عدم ثبات البرابخ في الارض وسدها بالطين · فعلى ذلك نجيب انهُ متى وضعت البرابخ حسب الاصول الفنية فلا يخشى عليها مدى الدهر · فقد وجد في بلاد ايران مصارف بالبرابخ محفوظة من مدة قرون خلت وفي بوفيه في فرنسا وُجد في ارض بعض الاديرة مصارف بالبرابخ من ثلاثة قرون محفوظة جيداً وتلك الاطيان كانت مشهورة بخصبها

وثانياً قد يعترض معترض ويقول انهُ ما دام الغرض من الصرف استخراج الاملاح من الارض فعوضاً عن عملية وضع البرابخ التي تكلف سبعة جنيهات الفدان يفضل حفر مصارف قريبة جدًّا بعضها من بعض اي على بعد اربع قصبات وملء الاطيان وصرفها · وبعد تحسينها يردم معظم المصارف ويترك بعضها وهذه الطريقة لا تكلف اكثر من ٣ جنيهات او ٤ الفدان

فعلى ذلك نجيب بان ليس الغرض من الصرف بالبرابخ فقط استخراج الاملاح من الارض بل تجفيف جوف الارض بوجه خاص وتشققها ليتخللها الهواء وفرطها وحفظ حرارتها الى آخر ما شرحناهُ سابقاً وجميع ذلك هو نتيجة الصرف بالبرابخ · ثم اذا كانت طريقة المصارف المكشوفة القريبة بعضها من بعض تأتي بفائدة في الاطيان الفرطة من نفسها والتي منسو بها أعلى من منسوب المياه الموجودة داخل الارض وليس هناك خوف من ارتفاع تلك المياه الارضية حتى تبلغ جذور المزروعات فالطريقة المشار اليها لا تفيد في الاطيان الجامدة السوداء في الجهات البحرية من القطر والتي فيها منسوب المياه الارضية مرتفع وقريب من جذور النباتات · ويلزم حفظهُ واطئاً عن تلك الجذور لئلاَّ يضرّها فلا يوجد والحالة هذه سوى طريقة الصرف المغطى بالبرابخ

رأينا ما هي النتيجة المالية لملاَّك هذه الاطيان واذا بحثنا في النتيجة العمومية للقطر المصري المنظور الحصول عليها مع تعميم هذه الطريقة رأيناها جديرة بالتفات رجال الحكومة · وهاك بيان هذه النتيجة على التقدير

يقال اجمالاً ان ثلث مساحة هذه الاطيان في الحالة الحاضرة يزرع قطناً كل سنة وان الثلثين الآخرين يزرعان برسيماً وذرة او يتركان للملء والصرف بقصد التحسين · ويمكننا ان

تقدر محصول الفدان الواحد الذي يزرع قطناً بقنطار ونصف في الحالة الحاضرة وأردب واحد بزرة فيكون محصول المليون فدان من تلك الاطيان القابل للتصدير الى الخارج (لان البرسيم والذرة لايصدران) كما يأتي

فدن	قنطار	قنطار
٣٣٠٠٠٠ ×	١ ½	٤٩٥ ٠٠٠
٣٣٠٠٠٠ ×	١ اردب بزره	٣٣٠ ٠٠٠ اردب

فاذا قدرنا ثمن القنطار الواحد من القطن باربعة جنيهات واردب البزرة بثمانين غرشاً فتكون قيمة الصادرات من تلك الاطيان ٢ ٢٤٤ ٠٠٠ جنيه ولما كانت جميع صادرات القطر تساوي سنوياً نحو ٣١ مليون جنيه والمساحة المزروعة في القطر هي ٥ ٢٨٢ ٠٠٠ فدان فيرى من ذلك ان الاطيان التي نحن بصددها وهي مليون فدان لا تزيد صادراتها عن واحد من اربعة عشر من جملة صادرات القطر في حين ان مساحتها خمس المساحة كلها

فاذا تم تحسينها بالطريقة المشار اليها زادت ايراداتها وسكانها ايضاً وبعد وقت قليل تأتي بحاصلات وافرة اقلها اربعة قناطير قطن في المتوسط رغماً عن النداوى وغيرها من الآفات. هذا عن ثلث مساحتها واما الثلث الآخر فيزرع قمحاً وفولاً وشعيراً لأن احدى منافع الصرف المغطى انهُ يجعل تلك الاراضي مع جفافها وفرطها وخروج الاملاح منها تعطي محصولاً وافراً من القمح والفول وهو لا يخرج منها الآن فيمكننا اذاً ان نقدر المحصول الذي ينتج منها بعد التصليح كما اشرنا هكذا

القطن	٣٣٠ ٠٠٠ فدان بواقع ٤ قناطير	١ ٣٢٠ ٠٠٠	قنطار
البزرة	٣٣٠ ٠٠٠ « « ٣ ارادب	٠ ٩٩٠ ٠٠٠	اردب
القمح والشعير	٣٣٠ ٠٠٠ « « ٤ ارادب	١ ٣٢٠ ٠٠٠	اردب
وثمن هذه المحصولات يساوي عن القطن والبزرة		٦ ٠٧٢ ٠٠٠	جنيه
وعن القمح والشعير		١ ٥٨٤ ٠٠٠	«
وجملة ذلك		٧ ٦٥٦ ٠٠٠	«
مع اننا قدرنا جملة صادراتها الآن بمبلغ		٢ ٢٤٤ ٠٠٠	«
فتكون زيادة الصادرات السنوية		٥ ٤١٢ ٠٠٠	«

ولو فرضنا ان تصليح تلك الاطيان يستوجب ان يقترض من الخارج نحو ٥ ملايين جنيه او ٦ ففائدة هذا المبلغ على حساب انها ٦ او ٧ في المائة لا تزيد عن ٤١٢٠٠٠ جنيه واذا استنزلنا هذه القيمة فيكون اذاً الربح الصافي للقطر المصري خمسة ملايين جنيه سنوياً تزيد على ايرادات البلاد الصافية

وليلاحظ ان تنفيذ هذا المشروع المفيد لا يستوجب زيادة مياه على المياه الممنوحة الآن لتلك الاطيان فاذاً ليس هناك صعوبة من هذا القبيل. ثم ان النقود اللازمة لتعميم طريقة الصرف المشار اليها تصرف في البلاد لا في الخارج. فلا بدع اذا اهتمت الحكومة المصرية بها وحذت حذو الحكومات الاوربية وخصوصاً حكومتي انكلترا وفرنسا اللتين اقرضتا الاهالي ما يزيد على عشرة ملايين جنيه لتعميم الصرف بالبرابخ هناك وكانت النتيجة حسنة الى حد ان سدت تلك القروض باسرع مما قدر لها رغماً عن كون الايراد الذي يمكن الحصول عليهِ هناك ليس شيئاً بالنسبة الى الايرادات التي يمكن الحصول عليها هنا حيث العوامل المساعدة للزراعة وافرة

ويمكن الحكومة فضلاً عن تسليف النقود اللازمة لاتباع هذه الطريقة تعميمها اولاً في اراضي الميري الواسعة المحتاجة اليها مع استحضار الآلات اللازمة لتقليل كلفة صنع البرابخ وسن القوانين للمساعدة على نشر هذه الطريقة اسوة بالحكومات الاوربية

ولا ريب عندنا ان المنفعة التي يجنيها القطر من ذلك تكون عظيمة جدًّا من حيث زيادة ايراداتهِ وتوازن احوالهِ المالية لسداد الدين الجسيم الذي عليهِ هذا فضلاً عن كون الاطيان التي تحسن بهذه الطريقة تكون سبب رزق للمصريين الذين يزيدون سنوياً في بعض المديريات مثل المنوفية والمديريات القبلية التي لا تعود بعد بضعة اعوام تكفي لمعاش هؤلاء السكان المتكاثرين

اميل كتسفليس
مهندس وخبير زراعي لدى المحاكم المختلطة
بالاسكندرية

الاحلام

(خطبة للفيلسوف الاستاذ برغسن تلاها في نادي العلوم النفسية بباريس سنة ١٩٠١ ثم ترجمت الى الانكليزية بعد ان نقحها الاستاذ برغسن نفسهُ وطبعت سنة ١٩١٣ ثم سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٥ وقد لخصناه في الصفحات التالية وتركنا الكلام فيها بصيغة المتكلم)

ان الموضوع الذي اريد الكلام عليهِ الآن كثير التعقيد يتناول مسائل مختلفة مما هو في حد الغموض والاشكال بعضها سيكولوجي (نفسي) وبعضها فسيولوجي وبعضها مما وراء الطبيعة ولا يمكن استيفاء الكلام عليها الاَّ في ساعات كثيرة ولذلك اغض الطرف عن كل ما لا تمس الحاجة الى ذكرهِ واقتصر على ما قلَّ ودلَّ

يمكن تحديد الحلم بانهُ ادراك اشياء لا وجود لها في الخارج فاني ارى في حلمي رجالاً واشعر اني كلمتهم وسمعت كلامهم ولم يكن امامي رجال ولا انا تكلمت . واشعر كاني رأيت اشياء حقيقية واشخاصاً معلومين لكنني لا أرى اثراً لتلك الاشياء واولئك الاشخاص حينما استيقظ فكيف حدث ذلك

ولكن الم يكن هناك شيء اي ألاَّ يكون حول النائم شيءٌ ماديٌّ يؤثر في مشاعرهِ وقت الحلم اي في عينيهِ واذنيهِ وسائر اعضاء جسمهِ

اغمض عينيك وتأمل فيما يتراءى لك وانت مغمضها . قد تقول انك لا ترى شيئاً . ولكن كرّر اغماض عينيك وتأمل كانك تتبيَّن شيئاً تراهُ فتتصوَّر انك ترى اشياء كثيرة ترى اولاً فضاء اسود ثم قد ترى في هذا الفضاء نقطاً منيرة تجيء وتذهب وتعلو وتهبط رويداً رويداً . وكثيراً ما ترى بقعاً مختلفة الالوان وقد تكون الوانها قاتمة وقد يكون لامعة وهي تتسع ثم تضيق دواليك ويتغير شكلها ولونها سريعاً او بطيئاً وتدور على محاورها بسرعة تبهر النظر . وقد بحث علماء النفس والفسيولوجيا في سبب هذه البقع وتغير الوانها وعللوها بما يصيب شبكية العين من تغير دورة الدم فيها او من ضغط الجفنين على الحدقة وتأثير ذلك في عصب البصر . ومهما يكن سببها فهي اساس الاحلام كلها فهي اسبابها الداخلية ويضاف اليها اسباب خارجية وهي ما قد يؤثر في عيني النائم من صور المرئيات لان العين تميز بين النور والظلمة ولو كانت مطبقة الجفنين وقد تميز بين نور ونور . وفعل النور بالعينين ولو كانتا مطبقتين يؤثر في كثير من الاحلام فاذا أُدخل مصباح الى غرفة بغتة وكان النائم فيها غير مستغرق في نومهِ فقد يحلم انهُ رأى ناراً شبَّت في منزل فاحرقتهُ . مثال ذلك ان رجلاً اسمهُ

ليون حلم ان تياترو الاسكندرية احترق وسطع نور النار حولهُ ثم انتقل هو فجأة الى البركة التي في قلب المنشية فدارت النار على السلسلة التي حولها ثم انتقل الى باريس في زمن المعرض واذا النار شابة فيهِ فاضطر ان يشترك في معمعة كبيرة واستيقظ حينئذٍ وفتح عينيهِ فرأى ان الممرضة دخلت غرفتهُ وبيدها مصباح ليلي وقع نورهُ على وجههِ بغتة. وحدث مثل ذلك لرجل آخر كان مريضاً فانهُ حلم انهُ عاد الى البحرية التي كان فيها قبل مرضهِ وذهب الى طولون ولوريه والقرم والقسطنطينية ورأى البرق وسمع الرعد واشترك في معركة بحرية ورأى لمعان النار من افواه المدافع فاستيقظ مذعوراً واذا هو يرى الممرضة دخلت غرفتهُ وبيدها مصباح ليلي وقع نورهُ على وجههِ. ونور المصباح الذي دخلت بهِ الممرضة سبَّب الحلم الاول والثاني حالما وقع على العين اي انهُ نبَّه الحالم الى صور محفوظة في ذاكرتهِ

واذا كان النور مستطيراً مستمرًّا كنور القمر كان تأثيرهُ في النائم غير تأثير النور الساطع الذي يقع بغتةً فانهُ يحلم حينئذٍ انهُ يرى فتاةً جميلة المنظر او نحو ذلك من الاحلام التي تروق لهُ

وكما يؤَثر النور في عيني النائم تؤَثر الاصوات الخارجية في اذنيهِ عدا ما فيهما من المؤَثرات الداخلية كالطنين والدوي والصفير ونحو ذلك مما قد نشعر بهِ ونحن مستيقظون وقد لا نشعر ولكننا نشعر بهِ حتماً ونحن نيام. فاذا تشقق الاثاث من شدَّة الحر او وقع المطر او هبت الريح او قصف الرعد اثَّرت كل هذه الاصوات في اذني الحالم فحوَّلها الى حديث او غناء او صراخ او ما اشبه. لكن الاصوات لا تؤَثر في احلامنا كالالوان لان اكثر الاحلام نظري لا سمعي فكثيراً ما يحلم النائم انهُ تكلَّم مع شخص وتحادثا محادثة طويلة ثم يشعر انهُ لم يتكلم بل كان عاجزاً عن النطق وان محدثهُ لم يتكلَّم ايضاً بصوت مسموع بل كان التخاطب بينهما بالافكار ويكون ذلك اذا لم تسمع الاذن صوتاً لان الانسان لا يقدر ان يستنبط شيئاً من لاشيء

اما اللمس فمؤَثراتهُ كثيرة اكثر من مؤَثرات السمع ويمكن ان نتكلم ساعات عمَّا يحلم بهِ الانسان من تأثير اللمس فيهِ وهو نائم لان هذا التأثير يمتزج بالصور التي ترد الى الذهن عن طريق البصر فينوعها وينسقها تنسيقاً مناسباً لهُ فكثيراً ما يشعر النائم بخفة غطائهِ فيحسب انهُ لابس ثياباً رقيقة لا تدفئهُ او انهُ عارٍ او حافٍ واذا كان يحلم حينئذٍ انهُ في احد الشوارع شعر ان الناس ينظرون اليهِ غير مستغربين ولو استغرب هو ظهورهُ امامهم على تلك الصورة. وهذا النوع من الحلم يحلم بهِ كل احد. ومن الاحلام التي يحلم بها الجميع الطيران في الهواء او في الخلاء واذا حلم الانسان هذا الحلم مرةً تكرَّر حلمهُ بهِ مراراً ويقول في نفسهِ

ان طيراني في المرة الاولى كان وهماً واما الآن فهو حقيقة لا ريب فيها · ولكنهُ اذا استيقظ حينئذٍ لم يتعذر عليهِ تعليل هذا الحلم اذا امعن نظرهُ وذلك انهُ يكون محمولاً على فراشهِ وقدماهُ غير ماستي الارض فهذا الشعور بانهُ محمول على غير قدميهِ يجعلهُ يعتقد انهُ طائر واذا كان نائماً على احد جانبيهِ حلم انهُ طائر على ذلك الجانب

ومن اهم تأثيرات اللمس ما يشعر بهِ النائم من حركات اعضائهِ الباطنة ولاسيما امعائهِ فان هذه الاعضاء تتحرك على الدوام في النوم كما في اليقظة اما في اليقظة فقلما نشعر بحركاتها لانشغالنا عنها باعمالنا المختلفة وليس الامر كذلك ونحن نيام · فالمرضون لالتهاب الحنجرة واللوزتين يحلمون انْ قد ضُيِّق خناقهم حتى كادوا يختنقون ومتى استيقظوا وزال الحلم زال هذا الشعور ايضاً ولكن لا تمضي ساعات كثيرة حتى يصابوا بالالتهاب حقيقة اي انهم يشعرون بهِ وهم نيام قبلما يشتد حتى يشعروا بهِ وهم مستيقظون · وقد ذُكرتْ امراض وآفات كثيرة حلم بها البعض وهم نيام قبل اصابتهم بها فعلاً حسب الظاهر ولذلك رأى بعض الفلاسفة مثل شوبنهور ان في داخل الوجدان صدى ما يقع من الاضطراب في المجموع العصبي السمباثوي وقال غيرهُ مثل شرنر ان كل عضو من اعضاء الجسم يسبب حلماً خاصًّا بهِ · والَّف بعض الاطباء مثل ارتيغيوس كتباً قالوا فيها انهُ يمكن الاستدلال بالاحلام على نوع المرض · واخيراً ابان المسيو تسيه كيف ان الاحلام المختلفة تدل على الآفات التي تصيب اعضاء الجسم المختلفة كاعضاء الهضم واعضاء التنفس واعضاء الدورة الدموية

وزبدة القول اننا ونحن نيام لا تنقطع مشاعرنا عن التأثر بالمؤثرات الخارجية بل تبقى تتأثر في النوم كما تتأثر في اليقظة · ولو لم يكن فعلها محكماً في النوم كما في اليقظة وان المؤثرات التي تؤثر فينا في اليقظة ولا نشعر بها لانشغالنا بغيرها يبقى تأثيرها فينا فنشعر بهِ ونحن نيام اذ ننقطع لانفسنا · فمجال شعورنا لا يضيق ونحن نيام بل يتسع ولو في بعض الجهات · نعم انهُ يضعف في شدتهِ ولكنهُ يتسع في نطاقهِ فيأتينا بتأثيرات كثيرة مشوشة وهذه التأثيرات هي الخيوط التي تنسج منها احلامنا ولو كانت غير كافية وحدها لنسج الاحلام لغموضها وعدم وضوحها فاذا شعر النائم بشيءٍ من النور والظلمة فقد يتصوَّرها كتاباً ابيض الورق اسود الحبر او بيتاً ابيض الجدران اسود الشبابيك او نحو ذلك من الصور التي فيها ابيض واسود · والذاكرة تحكم بان ما يراهُ النائم هو هذا الشيء او ذاك · فاذا كان الانسان نائماً نوماً عميقاً فذاكرتهُ التي تنسج احلامهُ من الامور المحفوظة في ذاكرتهِ تنتبه بالتأثيرات الخارجية والداخلية التي تحدث لهُ حينئذٍ فيتولد الحلم من مجموعها وقد تكون هذه المحفوظات اموراً قديمة

لا يتذكرها الانسان وهو مستيقظ فتستخرجها الذاكرة من اعماق نفسهِ وهو نائم. والغالب انها اشياءُ وقع نظرهُ عليها واصوات دخلت اذنيهِ وهو غير منتبه. او تكون من بعض محفوظات الذاكرة التي نسي اكثرها و بقيت فضلاتها في مخادع الدماغ فتلتقطها الذاكرة حينئذٍ وتمزج بعضها ببعض على غير نظام وتخلطها بالتأثيرات التي تقع على مشاعر النائم مما حولهُ

واني اعتقد ان كل سيرتنا الماضية محفوظة بتفاصيلها في نفوسنا لم يفقد منها شيء. كل ما شعرنا بهِ وادركناهُ وافتكرنا بهِ واردناهُ من اول ما ابتدأ شعورنا. كل ذلك محفوظ في مخادع النفس ولكنهُ غير ظاهر للعيان فهو يتوق الى الظهور ولكنهُ لا يجد اليهِ سبيلاً من تلقاء نفسهِ ولا نحن مهتمون بامرهِ او متفرغون لهُ لان لدينا مشاغل اخرى تشغلنا عنهُ. ولكن اذا اتفق ان انقطعنا عن اشغالنا اي عمّا يتسلط على ذاكرتنا ونمنا تخلصت هذه المحفوظات من قيودها وخرجت من مخادعها و بادرت كلها يزحم بعضها بعضاً لتحضر امام الذهن في وقت واحد فيتعذر عليها ذلك لكثرتها ولا يصعب علينا ان نعرف ايها يتمكن من الحضور. فالمستيقظ يتذكر الامور التي لها علاقة بما حولهُ من المرئيات والمسموعات والملموسات وحينما ينام يحدث مثل ذلك اي انهُ يتذكر ما يلائم المؤثرات التي تؤثر فيهِ حينئذٍ ظاهراً و باطناً كالاشعة التي تتلألأ امام عينيهِ ولو كانتا مغمضتين والاصوات التي تقرع اذنيهِ ومن مجموع هذه وتلك يحدث الحلم اي مما يشعر بهِ المرء وهو نائم ومن الصور المرسومة في ذهنهِ من شعورهِ السابق. ثم ان الشعور الحاضر لا يكون واضحاً جليًّا فتختار لهُ الذاكرة الثوب الذي يلائمهُ وتلبسهُ اياهُ

فالحلم مثل كل المدركات في تولُّدهِ وتكيُّفهِ. فاننا اذا نظرنا الى جسم من الاجسام فما نراهُ منهُ قليل في جنب الصورة العقلية التي ترينا اياها الذاكرة فالذي يقرأ هذه الصفحة لا يرى كل كلمة من كلماتها وكل حرف من حروفها ولو اراد ان يتبيّن كل كلمة فيها وكل حرف لقضى في ذلك ساعات كثيرة والحقيقة ان الذي يحسن القراءة لا يرى من الكلمة الاّ بعض حروفها وقد لا يرى من العبارة الاّ بعض كلماتها او ما يكفي للاستدلال على البقية وفهم المعنى. وهذه البقية لا يراها ولكنهُ يتصوَّر انهُ رآها (١) وقد ثبت هذا بتجارب كثيرة

(١) [المقتطف] ويصدق هذا بنوع خاص في قراءة الخط فان بعض الكتبة لا يكتبون من الكلمة الاّ بعض حروفها ومع ذلك يقرأها بسهولة من اعتاد قراءتها وقد يترك الكاتب ومرتب حروف الطبع بعض الكلمات و بعض الحروف خطأ فلا ينتبه القارئ لهذا النقص بل يقرأها كأنها موجودة لان ذاكرته تحضرها امام ذهنه

من ذلك تجارب غولدشيدر وملَّر فانهما كتبا بعض العبارات المألوفة واخطآ في كتابتها عمداً فابدلا بعض حروفها وحذفا بعضاً وعُرضت هذه العبارات في غرفة قليلة النور امام رجل ثم انيرت بالنور الكهربائي برهة قصيرة جدًّا لا تكفي القارئ للمرور بنظره على اكثر من ربع الحروف ومع ذلك سهل عليهِ ان يقرأ تلك العبارات من غير خطإٍ . ولما سُئل عن الحروف التي رآها حقيقة ذكر بعض الحروف المكتوبة وبعض الحروف المحذوفة ايضاً حاسباً انهُ رآها بعيني رأسهِ والحقيقة انهُ رآها بعيني عقلهِ ولذلك يرى القارئ صحيحاً بعض الحروف المرسومة خطأً . ويفسَّر ذلك بان الحروف التي وقعت صورتها على عينيهِ ايقظت في ذهنهِ صور هذه الكلمات كما كان يقرأها قبلاً اي جعلتهُ يتذكر صورها الصحيحة . فالذي يدركهُ القارئ حينئذٍ هو ما يتذكرهُ لا ما يراهُ . وعليهِ فالقراءة السريعة نوع من معرفة الغيب لان ما يراهُ القارئ حينئذٍ هو جزءٌ صغير مما يدركهُ واكثر ما يدركهُ كان مخزوناً في دماغهِ (١)

فالانسان وهو مستيقظ يفعل دواماً ما يفعلهُ وهو نائم اي انهُ يدرك صورة ناقصة لما يشعر بهِ وهذه الصورة تنبه الصورة الكاملة التي في ذاكرتهِ وهذه الصورة الكاملة تكون كامنة في ذلك الوقت فتوقظهما الصورة الناقصة وتنبه الذهن لها

والظاهر ان محفوظات الذاكرة تترتب وتتنسَّق حسب اجناسها وانواعها حينما يحدث ما يستدعيها . ويؤيد ذلك تجارب اجراها منستربرج قبل غولدشيدر وملَّر وهو انهُ كان يكتب كلمة غير مألوفة كتابة صحيحة ويعرضها لعيني الرائي مدة قصيرة جدًّا لا تكفي لرؤيتها جيداً ويقيم واحداً الى جانب الرائي يهمس في اذنهِ كلمة اخرى لا مشابهة بين معناها ومعنى الكلمة المكتوبة فيقول الرائي انهُ رأى كلمة تشبه الكلمة المكتوبة في صورتها والكلمة التي سمعها في معناها (وهنا ذكر الخطيب الكلمات التي كتبها الممتحن وهي المانية وهي بمثابة لو كانت الكلمة المكتوبة مفتون والكلمة التي سمعها شجر فانهُ يقرأ زيتون كانهُ رأى الواو والنون وسمع كلمة شجر فنبهت في ذهنهِ اسم شجرة مختوم بالواو والنون . وكذلك اذا كانت الكلمة المكتوبة فستق وهمس واحد في اذنهِ كلمة مدينة فانهُ يقرأها دمشق وهلمَّ جرًّا)

وهذا هو تعليل ما ندركهُ وما نحلم بهِ فانهُ يكون في الحالين من مؤثرات حقيقية تؤثر

---

(١) [المقتطف] ويتضح ذلك من ان المبتدئ بالقراءة يضطر ان يرى كل كلمة وكل حرف ولكن متى خزنت صور الحروف والكلمات في ذهنهِ وتعلقت بمعانيها صار يقرأ «كرجاً» ويكتفي برؤية شكل الكلمة المألوف او رسم العبارة

في المشاعر و يكون فيهما امور مخزونة في مخادع الذاكرة تنتهز الفرصة عند ما تفعل هذه المؤثرات فتظهر من مخادعها وتمتزج بها

ولكن ما هو الفرق بين الحلم والادراك في اليقظة او ما هو النوم من حيث فعل العقل ان كان العقل يعمل في النوم كما في اليقظة على ما تقدم ولماذا نسمي فعلهُ في اليقظة ادراكاً وفي النوم حلماً اي ما هي خواص النوم العقلية

الآراء كثيرة في هذا الشأن فقد قال البعض ان الانسان يتجرَّد عن العالم الخارجي وهو نائم و يبطل شعورهُ بهِ . ولكننا ابنا في ما تقدم ان المشاعر تشعر في النوم ولو لم تؤدِّ الى الذهن صورة واضحة لما تشعر بهِ . وقال غيرهم ان النوم يوقف فعل القوى العليا من قوى العقل كأن مراكزها تصاب بنوع من الشلل الوقتي . ولا اظن ان هذا القول رهين الصحة . نعم اننا لا نستدل الاستدلال المنطقي غالباً ونحن نيام ولكننا لا نكون عاجزين عنهُ حينئذٍ فقد نستدل ونحن نحلم ونقيم اقيسة منطقية صحيحة محكمة بل اتجاسر واقول ان الذي يحلم يفرط في الاستدلال واقامة الاقيسة المنطقية فيكثر شططهُ ولو اكتفى بالمشاهدة والمراقبة لجاءت احلامهُ قليلة الاضغاث والسخافات لكنهُ يحاول تعليل كل ما يشعر بهِ فيجمع بين المتناقضات و يرتكب الشطط . وهذا لا ينفي ان قوى العقل العليا تكون ضعيفة على نوع ما وقت النوم ولذلك تضعف قوة الاستدلال المنطقية و يصير منطق النائم صورة فقط . وعليهِ فلا المشاعر تتوقف عن عملها وقت الحلم ولا قوة الاستدلال

هذا من حيث الآراء ولكننا لا نعرف حقيقة الاحلام فعلاً ما لم نبحث فيها بانفسنا . ولا يستطيع الانسان ان يبحث في كيفية الحلم وهو نائم يحلم ولكنهُ قد يستطيع ان ينتبه حينئذٍ الى كيفية تدرُّجهِ من النوم الى اليقظة اذا عقد نيتهُ على ذلك . واسمحوا لي ان اذكر لكم كيف امتحنت انا ذلك في نفسي . حلمتُ اني كنت اتكلم في موضوع سياسي امام جماعة من رجال السياسة فسمعت لغطاً زاد شدَّةً رويداً رويداً حتى صار صياحاً وضجة كبيرة واذا انا بقائل يقول (اخرج اخرج) . وحينئذٍ استيقظت فسمعت كلباً ينبح فكان على الذات التي استيقظت حينئذٍ ان تقبض على الذات الحالمة وتقول لها لقد سمعتِ كلباً ينبح فظننتهِ غوغاء تضج فلا ادعكِ تذهبين ما لم تخبريني ماذا كنتِ تفعلين حتى ارتكبتِ هذا الخطأ . فتجيبها الذات الحالمة اني كنت بطالة لا افعل شيئاً وهذا وجه الفرق بيني و بينك فانك انتِ اذا سمعت كلباً ينبح لا تعلمين ان الصوت نباح وصاحبهُ كلب من غير روية بل لا تصلين الى الحكم بان الصوت نباح والنابح كلب الا بعد جهد جهيد ولو بدا ذلك منكِ من غير ان تنتبهي

لهُ حسب الظاهر لانك تعودين الى معلوماتك السابقة وما خزنته فيها في ذاكرتك وتجمعينها وتوجهينها الى هذا الصوت وتقابلين بينهُ وبينها حتى تري واحداً منها ينطبق عليه تمام الانطباق واذا اخطأت في هذه المقابلة والمطابقة اقل خطإٍ فلا يكون الاستدلال صحيحاً بل نوع من الحلم • وهذا التطبيق بين الصوت المسموع ومحفوظات الذاكرة لا يتم الاَّ بجهد كما يفعل الخياط الذي يجرب سترة خاطها على بدن من خيطت لهُ فانهُ يوسعها من جهة ويزمها من اخرى حتى تنطبق عليه تماماً • ولذلك فانت تبذلين جهداً كبيراً كلَّ لحظة لادراك ما تشعرين بهِ • وحياتك في اليقظة حياة جهاد وعناء حتى في ساعات العطلة ولا تكتفين بالشعور والتطبيق بل تُغضين عن امور كثيرة تقع تحت حسك فلا تنتبهين لها ولا تنتبهين الاَّ الى ما تختارين • لكن هذه الامور تدخل ذهنك عن طريق المشاعر اردتِ او لم تريدي وتخزن في مخادع الذاكرة وتظهر وانت نائمة فما دمتِ مستيقظة فانت تختارين مما في ذاكرتك ما يناسب الحالة التي تكونين فيها وهذا الاختيار المتواصل هو ما نسميهِ بالذوق السليم وهو جهاد مستمر ولكنك لا تشعرين بثقل وطأتهِ عليك كما لا يشعر المرء بثقل الهواء الذي يضغط على بدنهِ ولكنهُ يتعبكِ حتماً • ولا يفعل الذوق السليم فعلهُ الاَّ بتعب ومشقة • هذا واكرر ما قلتهُ لكِ وهو اني اختلف عنكِ في اني لا افعل شيئاً • فالجهد الذي تعانينهُ انتِ لا اعانيهِ انا لاني لا اهتم بشيء وما النوم الاَّ الابتعاد عن الهموم • اي ان نوم الانسان يكون على قدر انصرافهِ عن الاهتمام بأمور الدنيا • فالوالدة التي تنام الى جانب سرير طفلها لا تسمع هزيم الرعد ولكنها تسمع تنهد الطفل لانها تكون نائمة عن الاول ومستيقظة للثاني وما دام المرء يهتم بشيء فهو غير نائم عنهُ

وقد تسأَلينني ماذا افعل حينما احلم فاخبرك ماذا تفعلين انتِ وانت يقظى • انك تأْخذينني انا الذات الحالمة — الذات الحاوية لماضي تاريخكِ تأْخذينني وتضغطين عليَّ حتى ادخل في الدائرة الضيقة التي تخطينها حولك • هذه هي اليقظة او حياة المستيقظ الطبيعية حياة الجهاد والارادة والعزم • اما الحلم فهو الحالة التي تقفين فيها حينما تهملين امركِ وتفقدين قوة توجيهِ نفسك الى امر واحد اي حينما تبطلين استعمال ارادتك • والامر الذي يستدعي الايضاح هو الطريقة البديعة التي تجرين عليها في توجيه كل ما فيك من القوى الى الشيء الذي يهمكِ وذلك في لحظة واحدة من غير تعمُّل • الاَّ ان ايضاح هذه الطريقة من متعلقات الفلسفة العقلية

هذا ما تقولهُ الذات الحالمة للذات المستيقظة • ولو زدنا في استنطاقها لزادت شرحاً

واسبابها . وخلاصة الفروق الجوهرية بين الحلم واليقظة ان القوى العقلية التي تشتغل في اليقظة تشتغل في الحلم ايضاً ولكنها تكون حرّة في الحلم ومقيدة في اليقظة . فالحلم يشمل الافعال العقلية كلها ما عدا القيد والاهتمام . والحالم يدرك ويتذكر ويستدل ولكنهُ لا يقيس ولا يطبّق ولا يدقق في القياس والتطبيق لان هذا التدقيق يقتضي جهداً عنيفاً . فحسبان النباح ضجّةً استنتاجٌ بسيط لا يقتضي عناء ولكن الحكم بانهُ نباح كلب لا يكون الاَّ بعد إعمال الفكر وإعمال الفكر هو الذي ينقص الحالم وبهِ يمتاز عن المستيقظ

وبهذا الفرق الجوهري نفهم مزايا الاحلام اي مميزاتها فيفهم مثلاً لماذا تكون غير منسجمة وقلما يلاحظ فيها امتداد الزمن او توالي الحوادث حسب اهميتها

فعدم الانسجام سهل التعليل لان الحلم لا يقتضي الانطباق التام بين ما يشعر بهِ الحالم وما يتذكرهُ بل كثيراً ما يطبّق الحالم امراً على امر مخالف لهُ او يطبق اموراً متخالفة يأتي بها من ذاكرتهِ على امر واحد يشعر بهِ . مثال ذلك ان ترى عيناهُ نقطاً بيضاً في بقعة خضراء فيتصورها مرجاً اخضر فيهِ ازهار بيضاء او طاولة البلياردو وعليها كرات العاج او نحو ذلك مما يجتمع فيهِ الاخضر والابيض ويكون محفوظاً في ذاكرتهِ . وتتسارع هذه الصور من الذاكرة وكلٌّ منها يحاول ان يلصق بالتأثير الذي دخل ذهنهُ فقد تتوالى عليهِ الواحدة بعد الاخرى فيرى اولاً مرجاً ثم طاولة بلياردو وقد يظهران دفعةً واحدة حتى لا يرى فاصلاً في الزمن بين الصورة الاولى والثانية فتكون الصورة مرجاً وطاولة بلياردو في آنٍ واحد وعلى هذا النمط يحدث كثير من الاحلام الغريبة التي ينتقل فيها الشيءُ الى غيرهِ حالاً واذ يرى العقل ذلك يحاول ايضاحهُ فيزيدهُ غموضاً

ولهذا السبب عينهِ ينتفي الزمان من كثير من الاحلام فيرى الحالم في ثوانٍ قليلة حوادث لو تذكرها في يقظتهِ لقضى في تذكرها يوماً كاملاً لانهُ وهو في اليقظة يعيش مع غيرهِ من الناس فيرى ما يجري لهُ متتابعاً بحسب اتصالهِ بهم كأن معاشرتهُ لغيرهِ بمثابة ترس ساعة لهُ اسنان كثيرة تنقسم بها حركة زنبلكها الى ساعات ودقائق بدلاً من تركهِ ينحل في وقت واحد . وهذا الترس المسنن لا وجود لهُ في الحلم فلا محل فيهِ للتحكيم والتدقيق وما يقتضيانهِ من الجهد والعناء ولذلك لا يضطر الحالم ان يطبّق ما في نفسهِ على ما هو خارج عنهُ

بقي ان نعلل كيف ان همود العقل يجعل الحالم يقدّم بعض صور الذاكرة على البعض الآخر مع انها تنطبق كلها على الحالة التي يكون فيها على حدٍّ سوى

من الآراء المشاعة اننا نحلم في الليل بما كان يشغل افكارنا في النهار خاصةً . وهذا

يصدق احياناً ولكن ان كانت الافكار التي نفكّر فيها في النهار تبقى معنا ونحن نيام فذلك دليل على اننا لا نكون نائمين النوم الحقيقي المريح بل النوم الذي نستيقظ منهُ متعبين كأننا لم ننم

اما الاحلام التي نحلمها في النوم العادي المريح فتكون غالباً مقترنة بالافكار التي خطرت لنا خطوراً و بالمواضيع التي مرت بنا ولم نمعن النظر فيها · واذا حلمنا بما حدث لنا في يومنا فالغالب ان يكون بالطفيف منهُ لا بالمهم فاذا كنتُ في شارع منتظراً مركبة اركب فيها ولما دنت مني اجفلتُ عن غير قصد ولغير داع خوفاً من ان تصدمني مركبة اخرى فقد احلم تلك الليلة ان مركبة صدمتني ومرَّ عجلها عليَّ ولكنني لا احلم بالمركبة اذا صدمتني فعلاً · واذا سهرت على مريض مشرف على الموت وخطر ببالي انهُ قد يشفى ولو كان الرجاء من شفائهِ مقطوعاً ثم نمت فقد احلم انهُ شفي · والحلم بالشفاء اكثر وقوعاً من الحلم بالموت ولو كان المريض على حافة القبر · ومن المحقق ان الامور التي يراها الانسان في حلمهِ هي في الغالب الامور التي تمرُّ في بالهِ وقت اليقظة مروراً لا التي ينعم نظرهُ فيها و يعلق قلبهُ عليها · ولا غرابة في ذلك لان الذات التي تحلم هي الذات التي لا تهتم ولا تُعنى · والصور التي تجمعها من الذاكرة هي الصور التي تدخل الذاكرة من غير تعب ولا عناء

اما اذا كان النوم عميقاً جدًّا فيحتمل ان تكون احلامهُ غير ذلك ولكن هذه الاحلام تنسى عادة ولا يتذكرها المرء بعد ما يستيقظ واذا تذكَّر شيئاً منها شعر كانهُ آتٍ من مكان سحيق وزمان بعيد دلالة على انهُ تذكر في حلمهِ اموراً مرَّت عليهِ في صباهُ ولما استيقظ حاول ان يسترد بهجة الصبا فقالت لهُ هيهات

فالى احلام هذا النوم العميق يجب ان يتجه بحث علماء النفس لكي يكتشفوا كيف تُجلى محفوظات الذاكرة بعد ان يكون صاحبها قد نسيها ولكي يعلموا الامور التي تدخل في دائرة المباحث النفسية · ولا اجسر ان ابدي رأياً في هذا الموضوع ولكنني لا احجم عن الإعجاب بالغيرة والهمة اللتين يعمل بهما اعضاء جمعية المباحث النفسية · فان كانت التلبثي تؤثر في احلامنا فمن المحتمل ان يكون اشد تأثيرها فينا ونحن نائمون هذا النوم ولكنني اكرر ما قلتهُ سابقاً وهو اني لا استطيع ان ابدي رأياً في هذا الموضوع · وها قد سرت معكم على قدر استطاعتي فاقف عند عتبة المجهولات وستكون اهم اعمال علماء النفس في هذا القرن البحث في اعمق اسرار الوجدان او فيما نسميهِ بالوجدان الباطن ولا شبهة عندي ان الباحثين سيكتشفون فيهِ مكتشفات عجيبة لا تقل اهميتها عن اهمية ما اكتشف مدة القرون الماضية كلها في العلوم الطبيعية · هذا ما ارجوهُ واتمناهُ واجعلهُ مسك الختام

الكيمياء وقت الحرب

هل خطر على بال الذين وضعوا علم الكيمياء ووسَّعوا نطاقهُ وبنوا عليهِ الصنائع الكيماوية المختلفة انهُ يكون يوماً ما اكبر عون للانسان على قتل الانسان . هل خطر على بالهم ان العلم الذي عرفنا بهِ تركيب الاطعمة وحقيقة الهضم والاغتذاء واستحضار الاصول النافعة من العقاقير الطبيَّة وتركيب الادوية المختلفة واكتشاف مسكّنات الالم ومزيلات الفساد ومخصبات الارض — هذا العلم نفسهُ يُستخدم في هذا العصر للقتل والفتك على اساليب اقوى وافظع من ان تخطر ببال . ولكن هذا هو الواقع المشاهد الآن والامَّة التي كانت تفاخر بكثرة الكيماويين فيها وكانت الامم الاخرى تغبطها على ذلك وتستخدم الكيماويين منها لمعاملها هي الامَّة التي بذَّت غيرها الآن في اساليب التنكيل والتخريب نعني بها الامة الالمانية . فقد احصى الاستاذ ليو ڤنيون عدد الكيماويين في ممالك اوربا ونسبتهم الى سكانها فوجد انهم في المانيا ٣٦ ضعف ما هم في فرنسا و ٤٢ ضعف ما هم في انكلترا

وحالما نشبت الحرب قامت شركات المعامل الصناعية في المانيا وجعلت تهتم بجمع المواد الاصلية اللازمة لعمل الاسلحة والذخائر على انواعها فتألَّف منها لجان مختلفة لهذا الغرض جمعت اولاً كل المواد التي كانت مذخورة في البلاد استعداداً للحرب ثم اخذت تستورد غيرها . واول شيء شعرت بالحاجة اليهِ الحامض النتريك فانها جمعت قبل الحرب مقداراً كبيراً من نترات الصودا الوارد من بلاد شيلي باميركا لاستخراج الحامض النتريك منهُ ولكنها وجدت بعد نشوب الحرب انهُ لا يكفي لغرضها اذ ثبت لها ان الحرب ستطول اكثر مما قدَّرت اولاً فلجأت الى الوسائل الكيماوية التي يتركب الحامض النتريك بواسطتها من الهواء وساعدتها في ذلك شركة صناعية في سويسرا تصنع اول اكسيد النتروجين من الهواء فانها وسَّعت معاملها جدًّا واخذت تصنع هذا الاكسيد وتسيّلهُ وترسلهُ سائلاً الى المانيا . وهذا السائل يتولد منهُ الحامض النتريك ويتولَّد منهُ ايضاً غاز سام فيفي بغرض المانيا من الجهتين اي قتل الاعداء بالقنابل المتفجرة او خنقهم بالغازات السامَّة

ثم منعت الحكومة الالمانية استعمال النترات في الزراعة حتى يستخدم كلهُ في الحرب واشارت باستعمال مواد اخرى بدلاً منهُ سماداً للمزروعات

واهتمت بامر الحامض الكبريتيك لكي لا يقلَّ مقدارهُ في البلاد عمَّا يلزم للحرب

وكانت بلادها تستورد اربعة اخماسهِ من بلجكا وكان يستخرج في بلجكا من غير ثمن تقريباً لانهُ كان يتولد فيها حين سبك الزنك والرصاص والحديد من معادنها وكانت هذه المعادن ترد الى بلجكا من اسبانيا واميركا واستراليا وشمال افريقية وقد انقطع ورودها اليها بعد الحرب فانقطع اصطناع الحامض الكبريتيك . واستخراج الحامض الكبريتيك من الكبريت حسب الطريقة القديمة لا يفي بالمراد الاَّ اذا كانت المانيا قد استحضرت مقادير كبيرة من الكبريت من ايطاليا واميركا في بداءة الحرب او قبلما خاضت ايطاليا غمارها وقبلما ضاق نطاق الحصر البحري على المانيا لكن لا يتعذر عليها الآن ان تجلب المعادن الكبريتية من نروج والمجر

واهتمَّ علماء الالمان باستنباط مادة تقوم مقام القمح لعمل الخبز فاشاروا باستعمال الشعير والبطاطس والدم والسكر . وكتب بعضهم مقالات ضافية بيَّن فيها نسبة هذه المواد بعضها الى بعض من حيث تغذيتها للجسم

وكانت المانيا تستورد مقادير كبيرة من الزيوت والادهان . وتشتري من القطر المصري مقداراً كبيراً من بزر القطن لكي تستخرج الزيت منهُ وتطعم كسبهُ لمواشيها فقد استوردت سنة ١٩١٢ من بزر القطن المصري ما ثمنهُ ٥٢٠٣٤٢ جنيهاً وسنة ١٩١٣ ما ثمنهُ ١٤٨٠٧٠٤ جنيهات فلما نشبت الحرب وتعذَّر عليها جلب البزور الزيتية جعل الاميركيون يرسلون اليها ادهاناً مجمَّدة حسب طريقة نورمان والانكليز لا يمنعونهُ لاسيما وانهُ كان يصل الى المانيا بطريق نروج فبلغ مقدار الدهن الجامد الوارد الى نروج ٢٠٠٩ اطنان سنة ١٩١٤ وكان ٣٤٨ طنًّا فقط سنة ١٩١٣ . ومع ذلك بقيت الزيوت والادهان قليلة في المانيا فاشار علماء الالمان بطرق لاستخلاصها مما تطرحهُ المطابخ من النفايات وقالوا انهُ يمكن استخلاص نصف مليون رطل منها كل يوم

وقد اهتمَّ علماء الالمان بعمل العلف للمواشي من مواد غير آلية ويقال انهم نجحوا في توليد نوع من الخمير يضيف نيتروجين الهواء الى المواد السكرية فيتركب من ذلك مادة حاوية كل العناصر التي يغتذي منها جسم الحيوان

واهم وما وجهوا عنايتهم اليهِ تركيب الطعام الصالح للاجسام من المواد التي يتيسَّر الحصول عليها ولو لم يعتد الناس اكلها كما تقدَّم

قال رجل من الامم المحايدة انهُ سافر من برلين الى ڤينَّا في القطر المفتخر وتعشى فيهِ العشاء العادي الذي ثمنهُ نحو ٢٥ غرشاً فوجدهُ مؤلَّفاً من الشوربا واللحم وبينهما لون ثالث entrée وبعدهما الحلو . ولم يكن منظر الطعام مما تعافهُ النفس ولكنهُ لما شرع في الاكل

رأى ان المطعم ليس كالمنظر فان الشوربا كانت ماء اضيف اليهِ بعض المواد الكيماوية واللون (الصحن) الذي بينها وبين اللحم كان من البطاطس المطيَّب ببعض الافاوية واللحم كان اكثره من الجلود والاوتار وقد سلقت وقليت حتى صارت كالخرق · والحلو كان من البطاطس ايضاً وقد حُلّي بمادة كيماوية تقوم مقام السكَّر · والخبز كان خبز الحرب المشهور وطعمهُ خبيث كأنهُ مخلوط بالصراصير · فاكل ما تيسَّر لانهُ كان جائعاً ولكنهُ بقي جائعاً لان ما اكلهُ لم يشبعهُ فلم تكد سفرتهُ تنتهي ويصل الى مكان فيهِ طعام عادي حتى اقبل عليهِ كمن يكاد يموت جوعاً · وعليهِ فاذا كان الالمان يعتقدون انهم حلوا مسألة الطعام باستحضار موادهِ كيماويًّا فقد اخطأُوا في ذلك لان طعامهم هذا لا يشبع من جوع

ونرجح صحَّة ما قالهُ هذا الرجل من حيث الطعام الذي قدّم لهُ حينئذٍ ولكن لا يلزم عن ذلك ان الطعام الذي يقدَّم في ذلك القطر هو كذلك دائماً ولا ان طعام الالمان كلهم صار صناعيًّا تافهاً قليل التغذية فان حركات جنودهم تنقض ذلك ولكن تقديم طعام مثل هذا في فطر مفتخر ولو مرة كل يومين او ثلاثة يدلُّ على ان مواد الطعام نقصت في المانيا فعلاً وانهم استعانوا بالكيمياء وعملوا بها مواد آلية تقوم مقام ما نقص ولكنهم لم يفلحوا · ولا عجب اذا لم يفلحوا لان اعضاء الهضم اعتادت هضم الاطعمة الآلية المعدَّة على اسلوب مخصوص فيتعذر عليها هضم غيرها او ما يخالفها فالذين ألفت معدهم هضم خبز القمح لا يسهل عليهم هضم خبز الشعير على شدَّة القرب بين القمح والشعير واذا قُدّم لهم خبز مصنوع من نشارة الخشب وبعض المواد الكيماوية فلا يحتمل انهم يستطيبونهُ او يهضمونهُ · والذين اعتادوا اكل لحم الغنم والبقر لا يستطيبون اكل لحم الجمال والكلاب بل تعافهُ انفسهم الاَّ اذا عضهم الجوع واشرفوا على الهلاك

ثم ان اعضاء الجسم اعتادت ان تتناول من الطعام المهضوم ما يحتاج اليهِ الجسم لتوليد حرارتهِ وقوتهِ والتعويض عمَّا يندثر منهُ فاذا لم يهضم الطعام في المعدة والامعاء او لم يكن حاويًا لهذه المواد على الكيفية المطلوبة تعذَّر على الجسم الاستفادة منهُ فتعجز الكيمياء عمَّا يسهل على الطبيعة

ولعلَّ قلة الطعام في المانيا تكون اكبر ممهد لحمل الشعوب الالمانية على مغاضبة حكوماتهم والجائها الى طلب الصلح

مدينة المكاتب

نريد بها مدينة وشنطن عاصمة الولايات المتحدة الاميركية . ولا بدع اذا سميناها بهذا الاسم فانها تفوق سائر مدن الدنيا في عدد مكاتبها وعدد الكتب التي فيها

واول تلك المكاتب واعظمها مكتبة الكونجرس (اي مجلسي النواب والشيوخ) فان فيها من الرفوف ما يبلغ طوله مئة ميل وما يسع ٣٦٢٤٠٠٠ كتاب ومجلد ولكن تلك الرفوف لم تمتلئ حتى الآن بل فيها ٢٢٥٠٠٠٠ مجلد فقط . وهذه الكتب على كثرتها ليست حاوية لجميع مواضيع العلم والبحث . وعليهِ ترى الاخصائيين يؤمون غيرها ايضاً من المكاتب الخصوصية في تلك المدينة وكثير ما هي

واعظم هذه المكاتب الخصوصية مكتبة المساحة الجيولوجية فيها ٩٠٠٠٠ مجلد و ١٠٠٠٠٠ كراس تبحث كلها في الجيولوجيا والمواضيع المشاكلة لها

ثم مكتبة جراحة الجيش وهي اكبر المكاتب الطبية في الدنيا وكتبها تتناول المواضيع الطبية والجراحية

ومكتبة السجلات العمومية التابعة لمطبعة الحكومة وتسمى مكتبة مدير السجلات فيها ١٤٧٨٥٥ كتاباً وسجلاً و ١٦٢٨٩ خريطة

ومكتبة وزارة الزراعة وفيها ١٣١٠٠٠ كتاب وكراس في الزراعة وغيرها من فروع العلوم الخاصة بها

ومكتبة الارصاد الجوية وفيها ٣٣٠٠٠ مجلد تبحث في علم الظواهر الجوية (المتيورولوجيا) وعلم الاقليم (كليماتولوجيا)

وللفنون الحربية مكتبتان أدمجتا حديثاً في واحدة وهما مكتبة وزارة الحربية وفيها ٦٠٠٠٠ مجلد و ٤٠٠٠٠ كراس ومنشور . ومكتبة المدرسة الحربية وفيها ٣٤٤٢٧ مجلداً . ثم مكتبة وزارة البحرية وفيها ٥٠٠٠٠ مجلد . ويلحق بها مكتبة المرصد البحري وهي اعظم مكتبة فلكية في اميركا تحوي ٢٧٢٩٦ كتاباً و ٥٤٥٢ كراساً

ثم مكتبة وزارة الخارجية وفيها ٧٠٠٠٠ مجلد في القانون الدولي والسياسة والتاريخ والقوانين الاجنبية ووصف البلاد الاجنبية

ومكتبة تسجيل الامتيازات التجارية وفيها ٩٤٦٤٨ مجلداً في الفنون الصناعية

ومكتبة قلم المقاييس وفيها ١١١٦٦ مجلداً وبضعة آلاف كراس في علم الطبيعة والفنون المختلفة

ومكتبة خفر السواحل والمساحة وفيها ٢٥٠٠٠ مجلد وكراس و ٣٥٠٠٠ خريطة وكثير من الرسوم

ومكتبة المتحف الوطني وفيها ٤٣٦٩٢ مجلداً و ٧٢٠٤٢ كراساً في العلوم الطبيعية بوجه خاص

ومكتبة فرع المناجم وفيها ١٢٠٠٠ مجلد في المعادن والتعدين

ومكتبة المعارف وهي لا مثيل لها في عدد كتبها التي تبحث في فنّ التعليم . ومجموع ما فيها من الكتب والكراريس ١٤٥٠٠٠ . وهي تعير كتبها بالبوستة لجميع من يستعيرها في اميركا من معلمي المدارس وغيرهم من الذين يحترفون التربية والتعليم خارج المدارس

ومكتبة تذكار كولمبس وفيها ٢٨٣٩٩ كتاباً عن آداب الام اللاتينية في اميركا

ومكتبة المجلس الاعلى الماسوني للدرجة الثالثة والثلاثين وفيها ١٠٠٠٠٠ كتاب وكرّاس في الشؤون الماسونية وما يتعلق بها

ومكتبة مكتب الطرش المسمّى بمكتب « فولطا » وفيها كتب وكراريس عديدة لم تحصَ في تعليم الطرش وما اشبه ذلك

ومكتبتان في سكك الحديد وما يختصّ بها في الواحدة ١٦٠٠٠ مجلد و ١٠٠٠٠ كراس . وفي الثانية ٢٥٠٠٠ كتاب وكراس وخريطة

ومكتبة القانون في وزارة الحقانية تحتوي على ٤٥٠٠٠ كتاب وكراس . وقد الحق بمكتبة الكونجرس مكتبة اخرى للقانون اكبر من هذه . وهناك مكتبة ثالثة لكتب القانون تابعة لجمعية المحامين في مقاطعة كولمبيا فيها ١٦٠٠٠ مجلد

ومكتبة قلم العمّال وفيها ٢٨٠٠٠ مجلد وكراس في مشاكل العمّال والاجور والاعمال وما اشبه من الموضوعات

ومكتبة المصايد وفيها ٢٨٦٩٥ كتاباً في الاسماك

ومكتبة مدرسة الهندسة في ثكنة وشنطن وفيها ٥٠٠٠٠ كتاب و ٨٠٠٠ كراس في الهندسة الحربية والملكية

ومكتبة قلم الاحصاء وفيها ٢٨٩٧٠ كتاباً و ٣٩٤١٨ كراساً

ومكتبة الفرع الخاص بدرس اجناس الناس وطبائعهم وفيها ٣١٧٠٩ كتب وكراريس في المباحث المختلفة الخاصة بهذا الفرع

ومكتبة كرنجي وهي مكتبة عمومية كبيرة تعير الكتب لمستعيريها

وفي وشنطن غير ما تقدم مكاتب اخرى كبيرة ملحقة بالجامعات والكليات المختلفة ومكاتب صغيرة ملحقة بالمدارس والاندية . ومجموع المكاتب كلها ١٣٧ مكتبة

اكل لحم الخيل

احسن المرحوم الامير عبد القادر الجزائري في كتابهِ الصافنات الجياد حيث افتتحهُ بقولهِ «الحمد الله الذي جعل الخير معقوداً في نواصي الخيل وزينها بالغرر الواضحة والتحجيل. واقسم بها ومدحها في محكم التنزيل . اناط العزّ بها وعلق القلوب بحبها . واودع الفخر في اثباجها والثروة في نتاجها . والبركة في اعراقها والسبق في عناقها» . ولو كان المقام مقام مدح الخيل والعتاق المذاكي لضاقت بطون الطروس دونهُ اذ لم يجمع كتّاب المتقدمين والمتأخرين وشعراؤُهم على مدح شيءٍ واحد اجماعهم على مدح الجياد . فقد خصوا بعض العجماوات بالذم كالقرد والنمر والحية والضبع والثعلب وربما لم يقولوا كلمة خير فيها . وتناول ذمّهم الاسد سيد الوحوش على عظم بأسهِ وشدة مراسهِ . ولم تخلُ الحيوانات الداجنة من ذمّهم فوصفوا الثور بالعناد والحمار ببلادة الفهم والهرّ بالحقد والخروف بالجبن الى آخر ما هنالك الاّ الفرس فلم يقولوا فيهِ قولة سوءٍ

على ان المقام مقام بحث علمي في استخدام الخيل لغير ما اصطلح الناس عليهِ حتى الآن . فقد اصطلحوا على استخدامها للركوب ثم لجرّ الاثقال وشذّ من استعمل لحمها للاكل . ولكن قام الباحثون الآن يبحثون في الانتفاع بلحمها وجلدها وعظامها بعد ان تكلّ عن الحمل او الجرّ . وقد حداهم على هذا البحث كثرة ما هلك من الخيل في هذه الحرب وما ذهب من لحمها وجلدها وعظامها ودمها سدًى وهدراً في حين انهُ كثير النفع للانسان

قتل في هذه الحرب الالوف المؤلفة من الخيل . وكان المحاربون في اوائلها يدفنون الجثث اذا رأوا انها ستبيت بؤرة فساد ومكمناً لجراثيم الامراض ولكن الالمان اخذوا يفكرون بعد ذلك في ما للحم الخيل وجلدها وعظمها وحوافرها من القيمة وفي طريقة تمكنهم من الاستفادة بها . فنشر عالم الماني مقالة بعنوان « لحم الخيل طعام للناس وللحيوانات » انكر فيها احجام الناس عموماً عن اكل لحم الخيل وقال ان معظم السبب في ذلك غريزة مؤسسة على اعتقاد ديني . اما السينتفك اميركان فتعزو ذلك الى كون الجواد كان صاحب الانسان في سلمهِ ومساعدهُ في حربهِ منذ قرون كثيرة خلت فلذلك استنكف ان يقابل فضلهُ هذا باكل لحمهِ . وفصّل العالم الالماني المشار اليهِ مرادهُ فقال «ان الجرمان الاقدمين وجيرانهم كانوا يجلّون لحم الخيل كثيراً حتى عدوا الفرس اكثر الضحايا قبولاً عند الآلهة . وكانوا بعد

تقديمهِ على مذابحها في اعيادهم يأخذون جمجمتهُ ويسمرونها على ابوابهم وسقوف منازلهم تذكاراً للعيد . ولعلَّ هذا هو ما جعل كهنة المسيحيين القدماء يحرمون اكل لحم الخيل »

هذا ما قالهُ العالم الالماني ولكن المرجح ان المسيحيين اتبعوا في عدم اكلهِ تحريم التوراة للحيوانات التي لا تجترُّ ولا تشق الظلف والفرس احدها . ثم ان البابا غريغوريوس الثالث حرَّم لحم الخيل فلذلك لم يأكلهُ المسيحيون الاَّ مضطرين جوعاً كما جرى في المانيا سنة ١٨١٦ — ١٨١٧ وفي برلين سنة ١٨٤٧ وفي بروسيا الشرقية سنة ١٨٦٣ وفي حصار باريس سنة ١٨٧٠ ثم شاع اكلهُ في اكثر مدن اوربا

ومن رأي الكاتب ان تفتَّش ميادين القتال بعد حدوث المعارك فتذبح الخيل المجروحة جروحاً مميتة وتسلخ جلودها وتوضع جثثها في اكياس مبللة ببرمنغنات البوتاس فتبقى طرية اسبوعين من الزمان . قال « وقد اتبع الفرنسويون هذه الطريقة سنة ١٨٢٠ لحفظ لحم الخيل طعاماً . ثم ان اهل روسيا الاسيوية والتتر والقلموق والكرغس وغيرهم يأكلون لحم الخيل ويستطيبونهُ ويرسلون جلودها الى اسواق اوربا . لذلك يحسن بنا ان نتبع ايضاً هذه الطريقة في حفظ لحم الخيل واطعامهِ لاسرى الروس الذين عندنا وعددهم مليون ونصف فانهم يحبونهُ وهو افضل على كل حال من اللحم المبرَّد الذي يؤتى بهِ من كندا او الارجنتين ويقدم طعاماً للاسرى الالمان في انكلترا فانهم يعافونهُ ولطالما شكوا من رائحتهِ وطعمهِ »

وكتب طبيب الماني مقالة في السينتفك اميركان قال فيها انهُ بالرغم من تعاظم شأن الاتوموبيلات في هذا الزمان وما لسكك الحديد من الاهمية التي بلغت غايتها لا يصح القول ان عصر الخيل فات وولَّى . فاذا عُرف ان في كل فيلق من فيالق الجيوش الكثيرة من الخيل ما يعدُّ بالالوف اتضح ان عددها في هذه الحرب كثير جداً

ثم وصف زيارتهُ لاحد المستشفيات الالمانية الخاصة بالخيل وكيفية معالجتها فيها فقال ان التي تُصاب بداء السقاوة المعروف تقتل وتشرَّح حالاً . والتي يشتبه في كونها مصابة بهِ تعزل عن غيرها ويدقق الكشف عليها وفحصها طبياً . اما الخيل التي تكون مصابة بآفات لا تقبل الشفاء فتسلَّم الى الجزار ليذبحها . واما التي تكون محمومة فتقتل وتسلخ للانتفاع بجلودها لأن اكل لحمها ضارٌّ . وقال انهُ دخل ذلك المستشفى في نحو نصف سنة في اوائل الحرب الفا فرس شفي نحو الف منها فاعيدت الى فصائلها المختلفة . وقتل نحو مئة كانت مصابة بالسقاوة . وبيع ١٢٨ للجزارين لانها اصيبت بآفات لا تقبل الشفاء . ومات او قتل نحو مئة لاصابتها بامراض مصحوبة بالحمى . وبيع نحو ١٥٠ منها للفلاحين لانها غير لائقة

للخدمة العسكرية · والباقي بقي في المستشفى لاستئناف المعالجة وعمل العمليات الجراحية وعدده يزيد على ٥٠٠

وكثيراً ما اشرنا في اعداد المقتطف الماضية الى اكل لحم الخيل في المانيا · ولا يبعد ان يشيع اكله فيها اذا ثبت بعد الفحص الدقيق انهُ كثير الغذاء سهل المضم ليس فيهِ ما يضرّ آكليهِ وان امتناع الناس عامة عن اكلهِ الى الآن انما كان عملاً بفريضة دينية او اجابة لداعٍ آخر لا دخل للضرر فيهِ · واذا عمَّ اكل لحم الخيل بلداً مثل المانيا فليس ثمت ما يمنع اقتباس البلاد الاخرى لهُ واتخاذ هذا اللحم قواماً للطعام كلحم المواشي

وللخيل فائدة اخرى كبيرة غير الفوائد المتقدمة فانهم يستخرجون من دمها انواع المصل التي تستعمل لمداواة بعض الامراض او الوقاية منها كالدفثيريا والتتانوس وترياقاً لسمّ الافاعي

مصر منذ تسعين سنة

للسائح الفرنسوي جيراردي نرفال

(٥)

— بلاد الغرائب —

كنت اصعد احياناً الى سطح منزلي في آخر حارة الاقباط لامتّع نظري بجمال الطبيعة فاذا امامي عند شروق الشمس سهول المطرية ومروج عين شمس الزمردية وعن يميني جبال المقطم الجرداء وتحت سفحهِ مدينة الاموات باعمدتها وقبابها العالية مدفن حكام مصر وخلفائها وسلاطينها منذ الف عام · وفي عين شمس مسلّة الفراعنة الاثر الوحيد الباقي من تلك المدنيّة البائدة كأنها وهي بين تلك المروج الخضراء وحولها غابات النخيل والجميز حارسة للاهرام ولمدافن الالهة والملوك منذ اربعين قرناً

وكثيراً ما كنت اقضي على تلك الحال ساعة من الزمان امتع فيها نظري بجمال هذه المناظر وانا غارق في بحر الافكار وعالم الخيال · وفي صباح احد الايام رأيت الجو قاتماً فرفعت راسي واذا الجراد مالئ الافق وكان عبد الله ترجماني واقفاً بالقرب مني فحرك قصبة غليونهِ في الهواء مراراً فسقط بين اقدامنا بعض جرادات وهي كبيرة الحجم · وقال لي عبدالله ان الجراد آفة من آفات مصر يأكل الزرع ويفني الضرع ويخشى من حدوث مجاعة

في هذه السنة . ثم سألني ألا تأكل الجراد . فاظهرت التقزز والاشمئزاز . فقال يطيب اكلهُ اذا جُرّد من رأسهِ واجنحتهِ وشوي بالنار او قلي بالسمن وهو طعام شهي عند العربان وكثيراً ما يملحونهُ و يقددونهُ و يحفظونهُ للشتاء و يستطاب اكلهُ مع خبز الذرة . وعلى ذكر الطعام قلت لهُ لما كنت قد تركت الفندق واتخذت منزلاً خاصًّا ألا يمكنك ان تطبخ لي طعامي ولو على الطريقة المصرية لانهُ يصعب عليَّ ان اذهب كل يوم مرتين في الحر الى فندق دومرج . فاظهر الانفة والترفع وقال اعلم يا مسيو اني لست طباخاً بل ترجمان ان شئت فاطلب لنفسك غيري . فقلت ألا يعرف صاحبك البربري ابرهيم الطبخ . اجاب كلاَّ لان وظيفتهُ حراسة باب منزلك فقط . فقلت له وما العمل اذاً ؟ فالسوق ملآنة بقولاً ولحماً وسمكاً فيجب ان آكل في منزلي فأتني بطباخ . اجاب قلما تجد طباخاً افرنجيًّا الاَّ في سرايات الامراء والوزراء ومرتبهُ لا يقل عن ستمائة غرش . فقلت اريد طباخاً مصريًّا يطبخ لي طعاماً بلديًّا . اجاب ربما تجدهُ عند صاحبك الخواجا جان

— الخواجا جان —

جان رجل فرنسوي المولد صاحب خمارة في حارة الاقباط يختلف اليها كثيرون من الاروام والمالطيين والاقباط . وهو من بقايا جنود الحملة الفرنسوية لم يشأ ان يرجع الى بلادهِ بعد ان تقيَّد في خدمة احد امراء المماليك فاصبح وطنيًّا مصريًّا فانتحل الاسلام وسمى نفسهُ محمداً وارتفعت منزلتهُ واثرى وملك بيتاً كبيراً وتزوج واقتنى الجواري والعبيد والخيول وكان محسوباً من اتباع المماليك . ولما قُتل المماليك واتباعهم لم يتخلص المسيو جان من القتل الاَّ بحماية قنصل فرنسا لهُ غير انهم سلبوهُ اموالهُ وصادروا كل مقتنياتهِ فتفرق عنهُ نساؤُهُ وجوارِيهِ واصبح فقيراً فاضطر ان ينزوي في حارة الاقباط و يرتزق من تلك الحانة و ببيع الخمر للافرنج « والعرقي » البلدي لليهود والاقباط والبوظة للبرابرة . ولما تكلل عملهُ بالنجاح اتى بالخمور الفاخرة من مالطة وسورية وجزائر اليونان واشتهرت حانتهُ حتى كانت مجتمعاً للافرنج و بعض العامة والخاصة من المسلمين وهؤلاء كانوا يدخلون اليها سرًّا . فهناك تعرفت بالمسيو جان ولم اكتم عنهُ احوالي : ولما شاورتهُ في اموري المنزلية اجاب

من الصعب ان تقيم في مصر فرداً وفي منزل خصوصي من غير ان تبذل نفقات طائلة . فيجب ان يكون عندك خدم كثيرون ان شئت ان تكون في راحة وذا منزلة مكرمة في اعين القوم . ولكل خادم مهنة خاصة لا يتعداها الى سواها فالطباخ لا يطبخ الطعام الاَّ اذا كان

حولهُ غلمان يساعدونهُ في غسل الآنية والطباق . وكذلك « السفرجي » لا يعمل عملاً آخر سوى ترتيب السفرة . والخادم لا يشتغل بغير تنظيف البيت وترتيبهِ . والبواب لا ينتقل من الباب وكل منهم يأنف العمل في مهنة غير مهنتهِ . فهم كسالى لا فائدة منهم . فالافندي او صاحب الوجاهة والمنزلة لا يكون وجيهاً الاَّ اذا استخدم كاتباً يدعى كاتب السر . وقهرماناً لدارهِ يدعى « الخازندار » . وحاملاً للشبق ومنظفاً للشبقات والنراجيل يدعى « الشبقجي » . ووكيلاً لاسلحتهِ يدعى « السلحدار » وسائساً لخيولهِ برآسة « السرَّاج باشي » . وصانعاً للقهوة يقال لهُ « قهوجي باشي » . وسقاَّء وحمارهُ ليأتي بالماء من النيل بالقرب . وذلك عدا طائفة كبيرة من الطباخين والخدم والبوابين والخادمات والجواري داخل دار الحريم ومثلك لا يستغني عن طباخ مع مساعدهِ وخادم وقهوجي وبواب

قلت وكم يبلغ مرتب هؤُلاء في اليوم . قال لا اقل من ثلاثين او اربعين غرشاً ويجب ان تحسب مثلها ثمن المأكولات . فقلت هذا مبلغ باهظ اكثر مما ادفعهُ في الفندق . فقال لا ريب في ذلك وقد لا يطيب لك الطبخ المصري . فقلت ساعوّد نفسي أكلهُ . فقال ويجب ان تناقش الخادم في الحساب لئلاَّ يسرقك وهو يشتري الحاجيات المنزلية . فقلت لا بأس ساتوصل بهذه الواسطة الى فهم اللغة العربية . فارجو منك ان تنتخب لي هؤُلاء الخدم . فقال ساهتم بذلك ولكني لا أكفل امانتهم واخلاصهم . فقلت وهل هم لصوص . فقال كلاَّ لا لصوص في مصر لان اللصوصية مقترنة غالباً بالجراءة وهذه الصفة لا وجود لها هنا . ولكن هؤُلاء الخدم يكتسبون منك بعض دريهمات في مشترى الحاجيات من السوق

رأيت من خلال هذا الكلام ان المصري المسكين محتقر في نظر الاوربيين عموماً حتى من الطبقة الواطئة من الافرنج . وللاوربي سلطة ولو وهمية على المصري كما ان للاتراك سلطة فعلية قاسية عليهِ وقد اذلهُ نير الاستعباد الطويل منذ العصور السالفة فاصبح عبداً لحكامهِ .

— السخرة —

خرجت من حانة جان واجتزت ساحة الازبكية قاصداً الذهاب الى فندق دومرج في حي الافرنج ومررت بالقصر الذي جعلهُ بونابرت مسكناً لهُ ولم يزل قائماً وحولهُ حديقة واسعة محاطة بسياج من الصبير (التين الشوكي) واشجار الجميز . وفي تلك الحديقة قتل الجنرال كليبر بيد غادر اثيم . وبالقرب من هذا القصر المعهد العلمي الفرنسوي المصري حيث

كان يجتمع اعضاء البعثة العلمية . ولم يزل هذا الاثر باقياً الى الآن[1] . وبالقرب من الحديقة بحيرة الازبكية تمتلئ ماء في ايام الفيضان و ينتقل الناس من جهة الى اخرى بالقوارب الكثيرة الراسية على ضفاف البحيرة . وقد بدأ الحاكم بردم جزء كبير منها وجعلهُ حديقةً زرع فيها شجر الجميز وغيرهُ . ورأيت عند مروري من هناك مئات من الفلاحين المصريين يعملون في ردم البحيرة ونساؤُهم وبناتهم ينقلون الاتربة في قفّات واكثرهن لا يستر اجسامهن سوى قميص ازرق . اما البنات الصغار والغلمان من سنّ الثمانية فما دون فعراة الاجسام كما يرون على ضفاف النيل في القرى . ورأيت الملاحظين على العمال من المصريين ايضاً وفوقهم المفتشون وكلهم من الاتراك وبايديهم اسواط من الجلد واذناب الثيران يقرعون بها ظهور الملاحظين . وهؤُلاء يحملون بايديهم عصيًّا من الخيرزان يقرعون بها ظهور العمال الفلاحين انتقاماً من قارعيهم ! ! وكل هؤُلاء الملاحظين والمفتشين تحت سيطرة مفتش عام من ضباط الجهادية الأتراك وكان متردياً بلباس تركي وعلى رأسهِ طربوش احمر واسع وعلى جنبهِ سيفهُ وفي نطاقهِ الجلدي الخناجر والغدّارات . ويحمل في يدهِ سوطاً طويلاً يلاحظ العمل كمهندس ويجدُّ في تنشيط المفتشين و ينتهرهم باللغة التركية . ولما رآني هذا المفتش واقفاً امام هؤُلاء العمال المساكين اندب سوء حظهم واعطف راثياً لحالة البنات والغلمان الصغار واكثرهم لم يتجاوز كثيراً سن الفطام دنا مني وحياني باللغة الفرنسوية الفصحى . فدهشت كثيراً وعلمت من اثناء الحديث انهُ من مواطنيّ الذين كانوا ضباطاً في الحملة وقد اسلموا ولم يشاؤُوا ان يفارقوا نساءهم المصريات فدخلوا في خدمة الباشا وتزيوا بزي الاتراك اصحاب السلطة وتخلقوا باخلاق اهل البلاد . ولما تم التعارف بيننا قلت لهُ :

لِمَ تسخرون هؤُلاء النساء مع اطفالهن و بناتهن في هذا العمل الشاق ؟ . فاجاب لسنَ مسخرات . فرجالهن يأتون بهن ليشتغلن معهم فيأخذون الاجرة مضاعفة فاجرة المرأة غرش في اليوم والبنت والغلام نصف غرش واما الاجرة العامة لكل عامل فغرش واحد . قلت اني ارى بعض العمال مقيدين بالسلاسل في ارجلهم فقال هؤُلاء هم المتوانون الكسالى المتشردون الذين لا يأتون الى العمل من تلقاء انفسهم فنضطر ان نلتقطهم من الشوارع والقهوات . قلت وكيف كانوا يعيشون اذاً . فقال من سرقة الاثمار والذرة والبلح

(١) قصر بونابرت والمعهد المشار اليهِ كانا في المكان القائم فيهِ الآن محل صيدناوي في ميدان الخازندار وما اليهِ من الابنية في جهة محل فرانسيز

من الغيطان فشيءٌ قليل منها يكفيهم قوت يومهم · وفي الليل يؤمون القهوات ليسمعوا قصص الزير وعنترة ثم يتوسدون التراب · فالباشا احسن عملاً في تسخيرهم ونعو يدهم العمل وزد على ذلك اننا ندفع لهم الاجرة كغيرهم ولكننا لا نصرفهم ليلاً · قلت وكيف تجمعون العمال عند ما تحتاجون اليهم · فقال عندما يريد سعادة افندينا اصلاح طريق او ردم بحيرة او بناء قصر يأمر فصيلة من الجنود فيحصرون حيًا او شارعًا من كل جهاته على غفلةٍ و يقبضون على كل من يقع تحت ايديهم و يأخذونهم للعمل قلت وهل يأخذون كل من وقع تحت ايديهم من المارَّة · قال نعم ولا يطلق الضابط سبيل احد منهم الاَّ الاتراك والافرنج والباقون فمن كان منهم تاجراً او وجيهاً فيشتري نفسهُ و بدفع مال السخرة · اما الفلاحون والفقراء فيساقون الى العمل مكرهين باجرة مقررة ولا يصرفون الاَّ اذا انتهى الردم اوالهدم او البناء وربما دام سنة او اكثر · وكانت السخرة قبلاً امتيازاً لكل سيد او امير اما الآن فقد الغى سعادتهُ هذا الامتياز

— الراقصون والراقصات —

تناولت الغداء في الفندق وخرجت الى قهوة في الموسكي ثم ذهبت عند المساء الى مكان غناء قريب من القهوة · ورأيت اول مرة رقص الغوازي وسمعتُ غناء « العوالم » وكنت اود ان اصف هذا المكان لكثرة ما رأيتهُ عنهُ في كتب السياح من قبلي · فقدصوَّروهُ مكاناً فسيحاً مفروشاً بمقاعد الدمقس والحرير وجدرانهُ زاهية مزينة بصور النساء العاريات والحوريات وعلى رفوفهِ آنية الصيني والخزف الثمينة والمصابيح العربية كمصباح علاء الدين الموصوف في كتاب الف ليلة وليلة · فلم اجد في تلك القهوة سوى جدران مبيضة بالجير عليها رسوم جمال ونخل وسفن ناشرة اشرعتها ليس فيها شيءٌ من الرواء · وعلى رفوفها اسرجة زيتية ينتشر دخانها الكثيف في الفضاء ومقاعدها من الخشب والجالسون عليها يدخنون بالشبقات اوالنارجيلات المركبة من جوز الهند وقصب الغاب · وصاحب المكان يدير عليهم القهوة من حين لاخر في فناجين ضمن ظروف من نحاس · وقد رأيت هناك الفلاح بزعبوطهِ الازرق والقبطي بقفطانهِ الاسود والبدوي بعباءتهِ المخططة وعلى رأسهِ الكوفية والعقال والعربي بشلحهِ الابيض والتركي بسراويلهِ الواسع وطربوشهِ الاحمر وخناجرهُ في منطقتهِ · اما الافرنج من مالطيين واروام وايطاليين فجالسون ناحيةً تقدم لهم القهوة محلاَّة بالسكر

وكان في صدر المكان منصةٌ مرتفعة جلست عليها العوالم والراقصات وقد بهر نظري زيناتهنَّ وحلاهنَّ اللامعة على رؤُوسهنَّ وصدورهنَّ من القطع الذهبية. وقفن على المسرح يرقصن رقصاً غريباً مستهجناً خليعاً تهز فيهِ الاعناق والارداف والمعاطف واوساطهنَّ عارية تتدلى حولها شرائط القصب المعلقة في اطرافها الجلاجل تأتلف رناتها مع رنات الصنوج الصغيرة في اصابعهنَّ ومع حركات الرقص ونغمات الزمر والطار والدف . ورأيت راقصتين زججتا الحواجب والعيون وقد دقت خصورها واعارها الجمال مسحة . وفيما انا احدق فيهما رايت الشعر في عوارضهما وعلمت بعد ذلك انهما شابان مخنثان لا فتاتان . ولما انتهى دور الرقص نزل احدهما عن المرسح ودار بين المتفرجين يجمع « البقشيش » منهم فكان بعضهم يلقي في يدهِ بعض بارات يردفها بعبارات غزلية . فلما دنا مني وضعت في يدهِ قطعة نقود وحولت وجهي عنهُ اشمئزازاً وانفة . وقيل لي ان الراقصات والعوالم والغوازي كن يظهرن قبلاً في اماكن اللهو والغناء ولكن الوالي الباشا امر ان لا يظهرن على المراسح العمومية ونفى اكثرهن الى اسنا فاقتصرن على الغناء والرقص في البيوت والسرايات عند اقامة الاعراس والافراح فاضطر اصحاب القهوات ان يبدلوهنَّ بفتيان مردٍ يتخذون هيأة الغوازي في ضفر شعورهنَّ وزيناتهنَّ وملابسهنَّ ويقلدون رقصهنَّ الخليع . وهم معروفون في مصر باسم « الخوَلات » كما ان المغنيات معروفات باسم « العوالم » جمع عالمة والراقصات باسم الغوازي جمع غازية

— الهائم —

رجعت الى منزلي وانا افكر في معيشتي البيتية المقبلة وعزمت ان اصرف ترجماني عبد الله اقتصاداً بعد ان عرفت الطرق والشوارع وتعلمت بعض كلمات عربية اتمكن بها من السؤَال والاستفهام والاهتداء في المسير . وعند وصولي الى منزلي رأيت جمعاً من الخدم والطباخين كان مواطني المسيو جان قد ارسلهم اليَّ لانتقي من بينهم من كان صالحاً لخدمتي فلقيتهم جالسين في صحن الدار يدخنون وقد وزع عليهم خادمي القهوة ورأيت اليهودي يوسف التاجر جالساً في قاعة الاستقبال وبين يديهِ النارجيلة يدخن . اما ترجماني فكان نائماً فايقظتهُ ولما رآني صاح بي :

كنت بانتظارك منذ الصباح . فقلت لهُ وماذا تريد مني ؟ . قال لقد عملت مجلساً وقلقاً في الحارة والجيران حولك يتضررون منك يريدون ان يشكوك الى مدير الضبط . قلت

ولماذا . قال لصعودك الى السطح ووصوصتك على نساء الجيران . قلت الم نقل لي انهُ ليس في صعودي الى السطح ليلاً من حرج . قال نعم ولكنك تصعد باكراً وتلبث الى ما بعد شروق الشمس فاضطرت صاحبة البيت ان ترسل فعلة يبنون جداراً عالياً في السطح يحجب عنك حريم الجيران وها هم الآن يعملون على حسابك . فصعدت الى السطح مع عبد الله فرأيت بعض الفعلة والبنائين يبنون جداراً من الطوب عند واجهة تطل على حديقة صغيرة ومنزل مفتوحة نوافذهُ وقال لي . في هذا البيت تسكن « هانم » اي سيدة محصنة وهي التي تشكو منك . وقد تهددت المرأة القبطية صاحبة بيتك بان تشكوها الى القاضي لانها اجَّرت بيتها لرجل اجنبي يصعد الى السطح ويشرف على البيوت وهذا محرم في الشرع فاضطرت القبطية ان تأتي بالبنائين ليرفعوا جداراً بين البيتين . قلت ولكني لم التفت قط الى هذه الجهة ولم ارَ هذه « الهانم » . قال ولكنها رأتك واقفاً في الصباح وهذه حجة كافية للشكوى . قلت وكم عمر هذه السيدة . قال هي امرأة ارملة في الخمسين من عمرها . قلت عجباً في الخمسين وتقول انها تتذمر وتأنف من النظر الى شاب اجنبي

فاشتد بي الغيظ واقبلت نحو الفعلة ودفعتهم بحدة وغضب وهدمت بيدي ورجلي ما وضعوهُ من الطين والطوب وسقط بعضهُ على حديقة جارتي الارملة . فوجم البناؤون وتباعدوا عني خوفاً من غضبي . والعادة ان الوطنيين لا يجسرون على مقاومة رجل افرنجي او تركي فطردتهم في الحال . اما الترجمان واليهودي فلم يجسرا ان يعترضاني . ثم نزلت ودعوت الخدم الذين ارسلهم لي جان فانتقيت منهم طباخاً وخادماً وصرفت الباقين وكان الطباخ يدعى مصطفى وقد رأيت على وجهه ملامح الذكاء والنشاط واتفقت معهُ على الاجرة وهي غرش ونصف في اليوم على ان يطبخ لي على الطريقة المصرية ويشتري الحاجات من السوق . واما الخادم فجعلتهُ مساعداً لهُ

ثم جلست على المقعد مع الترجمان ويوسف ودار بيننا الحديث عن شؤون مختلفة الى ان قرع الباب وقيل لي ان شيخ الحارة قادم ليكلمني فاذنت لهُ في الدخول . فقال لي انني اسأت بطردي الفعلة وانهُ مسؤول عني لدى ولاة الامور وربما اصابهُ سوء لانهُ اسكن رجلاً افرنجيًّا عازباً بين منازل العائلات وان « الهانم » سترفع شكواها مني الى القاضي لانني اكشف عليها وقد القيت الطوب في ارضها . فاعتذرت لشيخ الحارة عن حدتي وجهلي لعادات البلد ووعدتهُ بان لا اصعد الى السطح في النهار واني مستعد لان اعوض الضرر الذي حدث بسببي . فقال لي حسناً تفعل وبذلك ترفع عن عاتقي المسئولية . فقلت لهُ ماذا

ترى ان اقدم لها على سبيل العوض . قال ارسل امرأتك تعتذر لها وتقدم لها من قبلك غزلية قماش وبضع مناديل حريرية او شيئاً آخر على سبيل الهدية . قلت يا للغرابة ولكنك تعلم اني لست متزوجاً . فاظهر الدهشة والاستياء وقال ما شاء الله ألم تأتِ بامرأة حتى الآن . اعطيتك مهلة اسبوع ولم تفِ بوعدك .... آه ما اسوأ حظي فاذا كنت مصرّاً على عدم السكنى مع امرأةٍ فيجب ان تخرج من هذا المنزل وتذهب الى فندقٍ او خان

فجعلت ألاطفهُ بالحسنى الى ان سرّي عنهُ ورجوت منهُ ان يعطيني مهلة ثلاثة ايام ايضاً ففعل . ولما خرج من عندي قصدت ان اذهب الى قنصل فرنسا اشاورهُ في امري

— قنصل فرنسا في القاهرة —

كنت قبل سفري من باريس قد اخذت من بعض الاصدقاء وارباب الوجاهة في الحكومة كتب توصية الى كثيرين من قناصل الشرق في مصر وسوريا احدها كتاب الى قنصل فرنسا الجنرال في الاسكندرية المقيم الآن في القاهرة للاستعانة بهم عند الاضطرار الى المساعدة والحماية . ولم اشأ عند وصولي الى القاهرة ان ازور القنصل ما دمت لست في حاجة الى مساعدتهِ . وقد وطدت العزم ان اقيم فيها كمصري شرقي خلافاً لعادة غيري من السياح الذين حالما يطأون ارض هذه المدينة يلبسون افخر ملابسهم ويتقلدون اوسمتهم ويزورون قناصلهم فيصحبونهم في الاسواق والطرق بالتراجمة والادلاء والقواصة «والمجرين» امامهم وخصوصاً السياح الانكليز . فانك تراهم سائرين في القاهرة باثوابهم الرسمية مجعدي الشعور وعلى رؤُوسهم القبعات البيضاء يجولون للتفرج على الآثار والجوامع بابهة كأنهم سائرون في موكب ولا يمكنهم بهذه الطريقة ان يختلطوا بحرية مع المصري والعربي والصعيدي والتركي . ويأنفون من الدخول الى قهوة او حانة او ان يجلسوا مع الشرقي لمعرفة اطوارهِ واخلاقهِ ويحسبون هذا الاختلاط تدنياً وضعةً . فهل يؤمل من هؤلاء السياح ان يدركوا شيئاً من اخلاق القوم وعاداتهم غير ما يرون من الظواهر . فاذا كتبوا فعلى غير هدًى وحقيقة

اخذت كتب التوصية من حقيبتي وذهبت الى القنصل فلما عرفني رحّب بي ودعاني للغداء عندهُ وكان على مائدتهِ يومئذٍ اثنان من مواطنيَّ وهما الدكتور كلوت بك طبيب الباشا وحكيم المستشفى . والمسيو لوبرت مدير الاوبرا في باريس سابقاً وقد بقي بعد الحملة الفرنسوية في القاهرة وجعلهُ محمد علي باشا كاتب التاريخ عندهُ « مؤرخ الوقائع والحوادث المصرية »

وكان بيت القنصل بجوار بيت الدكتور كلوت بك في حدائق رشيد (درب الجنينة) ٠ والامر الغريب ان هذين الرجلين اي الدكتور والمؤرخ يلبسان الملابس الشرقية على الزي التركي والطربوش الواسع والدامر والقفطان والسراويل وعلى صدر يهما تتلألأ الوسامات التركية الممنوحة لهما من الباشا لانهما من اتباعهِ وهما مقيدان بخدمتهِ وقد منحها لقب بك ٠ وان من يراهما بهذه الهيأة لا يشك انهما سيدان من كبار الاتراك

— الاسلام والرق —

لبثت عند القنصل الى الليل واطلعت عندهُ على الجرائد التي وردت من فرنسا مع البريد الاخير وعرفت أخبار بلادي وسياستها ولو لم تكن تهمني كثيراً لاني صبوت بكليتي الى المعيشة الانفرادية وصرت مصرياً فلم اعد احفل بالمعيشة الاوربية والاخبار الغربية ٠ وبعد الغداء دار الحديث بيني وبين القنصل عن شؤُون مختلفة ٠ وذكر لي حادثةً تافهة في حد ذاتها ولكنها اقلقت بالهُ وهي في عرف قسيسي اللاتين قضية معضلة او مشكلة دولية ٠ وذلك ان خادماً فرنسوياً من بقايا الحملة خامل الذكر اسلم هو وزوجتهُ لفائدة خصوصية او لسبب آخر فنهض الاكليروس اللاتيني لمقاومتهما وابلغوا شكواهم للقنصل ليرفع هذا « الذل » على زعمهم عن الدين الكاثوليكي ٠ واشتد الخصام والمشاحنة بين قضاة المسلمين وبين اكليروس الافرنج فاولئك كانوا يحرضون هذا الفرنسوي على الثبات ٠ وهؤُلاء يقولون له من العار ان تجحد دين ابائك واجدادك ٠ والقنصل في حيرةٍ لا يعلم ماذا يفعل فمن جهة لا يقدر ان يقاوم جهاراً سلطة قضاة الدين في البلاد ومن جهة اخرى لا يشاء ان يثير غضب الاكليروس اللاتيني عليهِ لئلاَّ يشكوهُ الى ملك فرنسا (لويس فيليب وقتئذٍ) ويتهموهُ بالاهمال في حماية الدين والاخلال بواجباتهِ وهو مندوب من حكومتهِ لحماية النصارى في الشرق ٠ ولكن الرجل الخادم ظل ثابتاً في عزمهِ وقد اقتنع من كلام الامام اذ قال لهُ « انك خادم وضيع ففي النصرانية تظل طول حياتك خادماً فقيراً صعلوكاً واما اذا اسلمت فتصبح سيداً كريماً ٠ وفي شريعتنا الناس كلهم سواءٌ في الحقوق فالحقير يمكنهُ ان يترقى بجدهِ حتى يصير اميراً او وزيراً وينال نعيم الدنيا والآخرة فلما سمعت زوجتهُ هذا الكلام صارت تحضهُ على الثبات لتلقب « بالهانم » وتلبس الحلي والجواهر وتسير امامها الجواري والعبيد وهي تؤمل ان تطلق يوماً ما من زوجها وتتزوج من سيد عظيم فتسكن السرايات والقصور

وقد وجد القنصل حلاًّ لهذا الاشكال فانهُ دعا الرجل وزوجتهُ ليلاً بواسطة القواصة ثم ارسلهما مقيدين تحت جنح الظلام الى مركب في بولاق يقلهما الى الاسكندرية وهما

الآن مسجونان في القنصلاتو هناك الى ان تأتي الباخرة الفرنسوية فيرسلها الى فرنسا . فاعترضت على عمل القنصل المنافي لروح الحرية الفرنسوية وقلت لهُ هل يجيز لك القانون تقييد الحرية الشخصية والدينية . فاجاب نحن في بلاد الشرق حيث لا دستور ولا قوانين للحكومات . وللقناصل السلطة المطلقة فيما يفعلون تبعاً للظروف ولعادات البلاد فيجب ان اراعي حرمة النصارى وعاداتهم واحفظ مركزي فلم ارَ حلاً لهذا المشكل غير ما فعلت لاني من جهة لا قبل لي بمقاومة شريعة البلاد الدينية ومن جهة اخرى لا اريد ان اثير عواطف المسيحيين والاكليروس اللاتيني عليَّ

وبعد هذا الحديث بسطت للقنصل حالتي المنزلية وقصصت عليهِ ما جرى لي من امر صاحبة البيت والجيران وشيخ الحارة وكيف عزمت على التزوج من فتاة قبطية واستشرتهُ فيما يجب ان افعل تلقاء هذه المصاعب وقلت اني استأجرت منزلاً خصوصياً وهم يطلبون مني اما ان اخرج منهُ واما ان اتزوج او آتي بامرأة تخدمني فقال : لهم الحق في ذلك وهذه قاعدة او قانون متبع في مصر بصرامة وعندهم ان سكنى شاب عازب في منزل منفرد وخصوصاً اذا كان اجنبيًّا بين منازل العائلات يدعو الى التقولات والشكوك وقد ذكر هذه العادة كل السياح في كتب اسفارهم . انظر كتاب الدكتور كلوت بك عن مصر وتقرير المستر وليم لاين قنصل انكلترا السابق فانهُ عند وصولهِ الى القاهرة مُنع من السكنى بين العائلات في منزل منفرد واضطر ان يقيم في الفندق حتى وصلت امرأتهُ من انكلترا وهذه العادة عريقة في القدم وقد ذكرها ماليت قنصل جنرال فرنسا في مصر على عهد لويس الرابع عشر منذ مائة وخمسين سنة في كتابهِ عن مصر . فيجب عليك ان تتزوج ان شئت البقاء في منزلك

قلت ولكني لا اريد ان اعقد زواجاً في مصر لا اراهُ صالحاً لي ولمستقبلي ولحالتي المالية . ثم اني قد عزمت على مواصلة سياحتي الى سوريا ولبنان . وقد اشار عليَّ ترجماني ان اشتري جارية من سوق العبيد (الجلاَّبة) فما رأيك . قال لك الخيار . قلت واذا فعلت هل اخالف القانون الفرنسوي . قال كلاَّ بشرط ان تطلق حرية الجارية اذا اخذتها معك الى فرنسا . وطال الحديث بيننا في هذا الشان واوضح لي القنصل سهولة مشترى الجواري وخصوصاً الحبشيات وقال ان كثيرات منهن جميلات يغلب فيهن اللون الفاتح او النحاسي وان كثيرين من الاجانب والموظفين الاوربيين في مصر اقتنوا الجواري الحبشيات والنوبيات . وقد اشترى كلوت بك كثيرات منهن بامر الباشا الحاكم ووضعهنَّ في مدرسة الطب وقصر

المستشفى وعلمهن صناعة التوليد وجعل منهن قوابل . وقال لي ان الحكومة لا تمنع الاوربيين من مشترى العبيد والجواري . وان عبداً اسود ابق مرةً من بيت المسيو لومبرت فشكا امرهُ لذوي السلطة ففتشوا عنهُ واعادوهُ اليهِ . وكنت لم ازل متشبعاً من عاداتنا الغربية فدهشت من هذه الانباء المخالفة لروح المدنية الاَّ اني علمت فيما بعد ان الرق في الشرق هو بمثابة التبني عندنا . فالعبيد في قصور العظماء وسرايات الامراء يعيشون في راحة ورفاهية والخدمة المفروضة عليهم ليست بشاقة ولا جائرة وحالتهم عند اسيادهم افضل من حالة الفلاحين المصريين الاحرار الذين يسامون ظلماً وعسفاً و يضربون بالسياط ويسخرون للاعمال الشاقة . وعلمت ايضاً ان الجواري اسعد حالة ومعيشة ورفاهة في قصور اسيادهن من المرأة المصرية التي يبيعها ابوها لزوجها فيقبض مهرها ويسلمها الى رجل قاسٍ يسيء معاملتها وربما تركها مع اطفالها تموت جوعاً وتزوج بغيرها .

والقناصل في الشرق مختلفو الآراء والمعاملات في حقوق الاسترقاق اذ ليس لها نصوص صريحة في القوانين الاوربية او المعاهدات الدولية . ولكن قنصل فرنسا اوضح لي رأيهُ في هذا الشان بقولهِ « لا ارى بأساً ببقاء الحالة الحاضرة كما هي عليهِ الآن اي ان يسمح للاوربيين بشراء العبيد والجواري لاعمالهم التجارية والصناعية . فالقوانين التركية تحرم مشترى الاراضي والعقارات وامتلاكها ولكنهم يضطرون الى اقتناء اراضٍ او انشاء معامل لمتاجرهم ومصنوعاتهم باسم غيرهم من الاقباط او السوريين او انهم يلجأون الى حيل شرعية بواسطة ايجارات لمدة طويلة او غير محدودة وفي هذه الحال يضطرون الى استئجار العمال والصناع من الفلاحين المصريين او الاهالي وهؤلاء كلهم موصوفون بالكسل فضلاً عن ان الحكام والامراء ومشايخ الحارات معتسفون فانهم اذا احتاجوا الى فعلة في الاشغال العمومية اخذوهم من معامل الاوربيين قسراً عنهم واقتادوهم للسخرة . ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على متاجرهم واعمالهم ولهذا التجأ اكثرهم الى مشترى العبيد للعمل وتكفلوا بالانفاق على مأكلهم وملبسهم ولا سلطة حينئذ للحكام على هؤلاء العبيد المملوكين . واذا رأى الاوربي عبداً من عبيدهِ كسولاً او متمرداً فلهُ الحق ان يبيعهُ او ان يستبدلهُ بغيرهِ

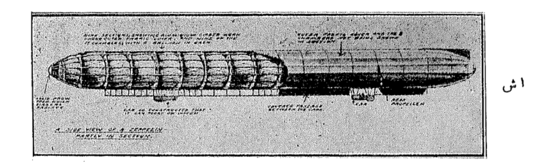
ديمتري نقولا

بلونات تسبلن الجديدة

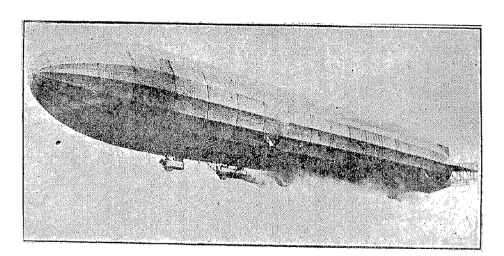
كلفت التيمس المسيو جورج براد الخبير الفرنسوي الشهير بفنّ الطيران ان يوافي قراءها بوصف مسهب لبلونات تسبلن القديمة والجديدة ووجوه الفوق بينها فانشأ لذلك مقالة ضافية الاذيال بناها على نتيجة فحصهِ لبلون تسبلن الذي قنصهُ الفرنسويون اخيراً في رفيني والمعلومات الخصوصية التي اتصلت بهِ من المانيا قال

زرت المكان الذي أُنزل فيهِ البلون الالماني في رفيني في ٢١ فبراير الماضي مع الضابط الفرنسوي الذي عهد اليهِ في وضع التقرير الرسمي عن ذلك البلون وتفقدناهُ جيداً فصار في وسعي ان اصف احدث طرز من بلونات تسبلن وصفاً مبنيًّا على الحقائق التي رأَيتها بعيني ولمستها بيدي. واني اعترف بان وصفي هذا ليس من الدقة بالمكان الذي يكون فيهِ لو كان البلون المذكور صحيحاً سليماً ولكنهُ دقيق على قدر ما سمحت بهِ الحال كما يتضح ممَّا يلي

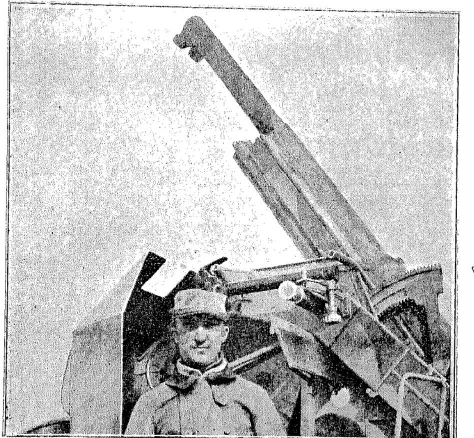
ولرب قائل يقول وما ادراك ان البلون الذي قنصهُ الفرنسويون في رفيني هو من احدث ما بناهُ الالمان ؟ والجواب عن ذلك انهُ كذلك بلا ريب ولا شك لان فيهِ اختراعات جديدة لم تكن في البلونات القديمة كما يرى ممَّا يلي علاوة على انهُ كان يسير بخمسة محركات وخمسة رفاصات وكان مكعب جرمهِ اكبر جدًّا من البلونات القديمة . ثم ان الحرفين L Z والرقم الذي يليهما تدل على مرتبة البلون التي رسمت عليهِ في قائمة البلونات التي تسلمها دور صنعة تسبلن الى الحكومة . الالمانية وكان آخر بلونين استلمتهما الحكومة الالمانية من دور صنعة تسبلن بفردركسهافن قبل نشوب الحرب تماماً في ١٤ يوليو سنة ١٩١٤ مرسوم عليهما الحرفان L Z ثم الرقمان ٢٤ و ٢٥ على التوالي . وقد شهدت بنفسي تجربة البلون ٣٠ L Z في بودنسي في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ . فالحرفان L Z والرقم ٧٧ الذي يليهما تكفي اذاً للدلالة على ان المانيا انشأَت في الاشهر الثمانية العشرة الماضية ٥٢ بلوناً جديداً من بلونات تسبلن على الاقل. وكان المعروف ان المانيا كانت تبني بلوناً واحداً في كل ثلاثة اسابيع في الربع الاخير من سنة ١٩١٤ اما الآن فانها تبني بلوناً واحداً على الاقل في كل عشرة ايام كما يستدل من التقدير المتقدم . ولو كان البلون L Z ٧٧ من البلونات القديمة لوجب علينا ان نفرض ان انشاء البلونات في المانيا كان سائراً بسرعة غريبة يزيد متوسطها على بلون واحد في الاسبوع وهو امر غير معقول . ومن الامور البديهية ايضاً ان تكون المانيا قد استعانت ببلوناتها على مساعدة جيوشها في هجومها على فردون وان تكون قد استخدمت لذلك



ش ١



ش ٢

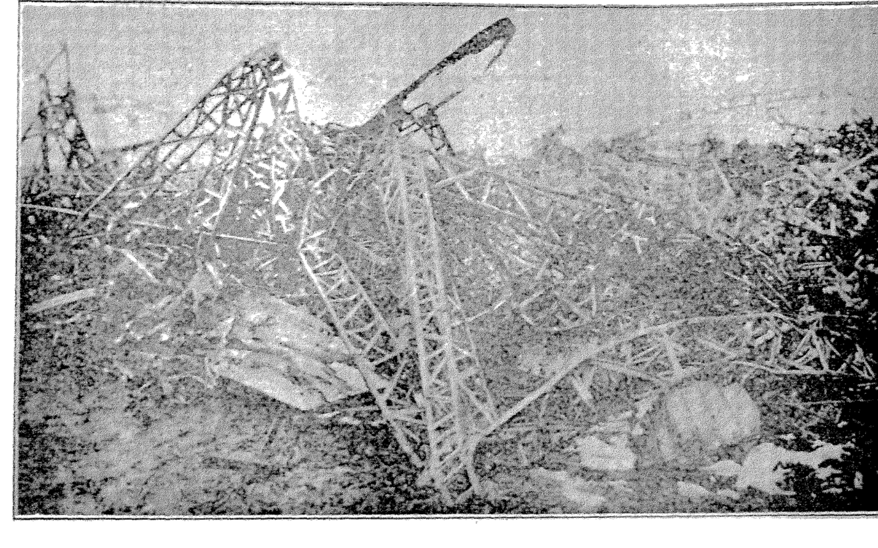


ش ٣

ش ١ تسبلن بشكلهِ القديم وتفاصيلهِ الداخلية ش ٢ تسبلن بشكلهِ الجديد
ش ٣ المدفع الذي رمي بهِ فخرق ووقع

مقتطف مايو ١٦١٦

امام الصفحة ٤٧٦



ما بقي من بلون تسبلن بعد ما احترق ووقع

مقتطف مايو ١٩١٦
امام الصفحة ٤٧٧

احدث ما عندها من تلك البلونات واقواها لضرب خط سكة الحديد الذي يوصل فردون بسائر انحاء فرنسا ويستمد بهِ الحصن العظيم جمع ما يحتاج اليهِ من الميرة والذخيرة · وعلى ذلك يسوغ لنا ان نتخذ البلون L Z ٧٧ الذي قنصهُ الفرنسويون في رفيني قاعدة لبحثنا في البلونات التي اغارت على انكلترا وباريس والتي يحتمل ان تعيد الكرة عليها ايضاً .

ان اكوام الانقاض التي تفقدناها في رفيني لم تمكنَّا من تصور حجم البلون الذي قنص هناك بالدقة والضبط ولكن لخص قوائمهِ الكبرى وانحنائها وتقدير معظم الضغط الذي تحملهُ ومقابلة هذه الامور بمثلها في البلون Z ٨ الذي قنصهُ الفرنسويون ايضاً في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ وكان مكعب جرمهِ ٢٢ الف متر مكعب ايدت استنتاجنا بان جرم هذا البلون كان ٣٠ الف متر مكعب · وقد وجدنا ايضاً ان قوائم هذا البلون واضلاعهُ وسواها كانت مصنوعة من الالومنيوم المقوى بمزيج من النحاس والزنك في حين ان قوائم البلون Z ٨ واضلاعهُ كانت مصنوعة من الالومنيوم فقط

وفي الجدول التالي حجوم الانواع السابقة من بلونات تسبلن وهي

الطرز	متر مكعب	الطول بالمتر	القطر بالمتر
١٩١٢	١٩٥٠٠	١٤١	١٤،٨٠
١٩١٣	٢٢٠٠٠	١٥٦	١٤،٨٠
١٩١٤	٢٧٠٠٠	١٥٨	١٦،٥٨
١٩١٥	٣٠٠٠٠	١٦٠	؟

وكان شكل الانواع السابقة من بلونات تسبلن متناسبة متناسقة اي ان مقدمها كان مثل مؤخرها تماماً اما في البلون الاخير فقد كان هذا التناسب معدوماً · وكان شكل البلون اجمالاً مثل شكل البلونات البريطانية والفرنسوية اي انهُ كان كبيراً من مقدمهِ ثم يدق جرمهُ تدريجاً حتى ينتهي في رأس محدد في طرف مؤخرهِ فتقل بذلك مقاومة الهواء لهُ في سيرهِ ويكسبهُ سرعة السير من غير زيادة القوة المحركة

وكان في البلون المذكور كما في سائر البلونات الالمانية القديمة والحديثة مركبتان مصنوعتان من المعدن توضع فيهما المحركات ويجلس فيهما الميكانيكيون وهما مثل الزورق في شكلها وكان عقد المواصلة بينهما غرفة مركزية يجلس فيها ربانو البلون ورجالهُ وقاذفو القنابل · اما التلغراف اللاسلكي فكان في الغرفة التي توضع فيها القذائف · وكان في تلك

الغرفة ايضاً سلم عمودي يخترق البلون صعوداً و يؤدي الى ظهرهِ حيث اقيمت منصة من المعدن لنصب المدافع السريعة عليها واطلاقها منها

وكان فيهِ ايضاً خمسة محركات من طرز المحركات التي كانت تستعمل في البلونات القديمة قوة كل منها ١٨٠ — ٢٠٠ حصان وزنتهُ ٤٨٠ غراماً وهو يحرق ٢٣٠ غراماً من البنزين لكل حصان او كيلو غرامين و٥٠٠ غرام من الزيت في الساعة

اما البلونات القديمة التي بنيت في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ فلم يكن فيها الاَّ ثلاثة من هذه المحركات وكانت تدير اربعة رفاصات موضوعة في اماكن متناسبة على جانبي البلون اثنان منها عن اليمين واثنان عن اليسار والاول منها عن احد الجانبين على بعد ثلث طول البلون من المقدمة والثاني على البعد عينهِ من المؤخرة · وزيد محرك آخر في البلونات التي بنيت سنة ١٩١٤ فصار فيها اربعة تحرك اربعة رفاصات ثم زيد محرك خامس في البلونات التي بنيت في سنة ١٩١٥ فصارت خمسة تحرك خمسة رفاصات وضع الخامس منها وراء المركبة الخلفية · وقد زيدت بهذه الزيادة في المحركات والرفاصات سرعة البلونات في السير والارتفاع حتى اذا طرحت « الصابورة » والقنابل التي فيها و بسطت اجنحتها العمودية ورفعت مقدمها حتى صار في زاوية تزيد على ١٥ درجة تمكنت من الارتفاع بسرعة عظيمة والنجاة من القنابل التي تطلقها المدافع المقاومة للطيارات عليها ومن مناوأة الطيارات لها ايضاً · وذلك ما فعلهُ البلون الذي اغار على باريس في ٢٧ يناير الماضي فانهُ بعدما قذف قنابلهُ كلها صعد في الجو بسرعة عظيمة ابلغتهُ عنان السماء فغاب عن الابصار واحتجب تحت جنح الظلام عن انظار الطيارين الذين طاردوهُ الى علو ٢٨٠٠ متر

وقد ظهر لنا من فحص الجثث التي عثرنا عليها في بلون تسبلن الذي قنصهُ الفرنسو يون في رفيني ان عدد الرجال الذين كانوا فيهِ لا يقل عن ٢٣ او ما يعادل عدد الرجال الذين قدرهم ربان سفينة الصيد « كنج ستيفن » في البلون L ١٩ لما مر بهِ في البحر الشمالي وهو يغرق وطلب منهُ رجالهُ ان ينقذهم على سفينتهِ بعد ما كانوا قد اغاروا على انكلترا وهذا مما يدل على ان البلونين كانا من طرز واحد · وقد كان المعروف ان بلونات تسبلن من طرز سنة ١٩١٢ كان يكفي لادارتها ثمانية رجال وزيد هذا العدد في طرز سنة ١٩١٣ فصار ١٢ وفي طرز سنة ١٩١٤ فصار ١٨ والعدد الاخير منها مثبت من التلغرافات التي نشرتها الصحف والمجلات الفنية في المانيا لما اغارت بلونات تسبلن على انفرس وباريس وانكلترا في اوائل سنة ١٩١٥

وكانت البلونات من طرز سنة ١٩١٤ تحمل ما زنتهُ الف كيلو غرام اي طن من القنابل في غارةٍ لا يتجاوز مداها ار بعاية ميل بحري ولكن البلون L Z الذي قنص في رفيني كان فيهِ ما زنتهُ ١٥٠٠ كيلو غرام من القنابل طن ونصف طن اما عدد القنابل بالذات فكان عشرين قنبلة وهي من حجوم مختلفة زنة اصغرها ٥٠ كيلوغراماً واوسطها ٨٠ كيلوغراماً واكبرها ١٠٠ كيلوغرام وكانت كل قنبلة من هذه القنابل موضوعة في جهاز خاص مؤلف من كلاَّب مقفل ومتصل بمجرى كهربائي فاذا ضغط قاذفو القنابل زرًّا امامهم في الغرفة التي يجلسون فيها عادة اتصل المجرى الكهربائي بالكلاَّب نيفلت من قفلهِ وينفتح بثقل القنبلة المعلقة بهِ فتسقط القنبلة من مكانها على الغرض المقصود من غير ان تمسها يد ويحسن بي ان اشير هنا الى ان الجهاز الكهربائي الذي يستعمل لاخراج الكلاَّب من قفلهِ هو مثل الجهاز الذي يستعمل للاجراس الكهربائية في المنازل والمكاتب وسواها تماماً وكان البلون قد قذف كل ما كان فيهِ من القنابل قبل ان يقنصهُ رجال المدفعية الفرنسوية وينزلوهُ الى الارض ورأيت الحفر التي احدثها انفجار هذه القنابل فكان عمق بعضها سبع اقدام ونصف قدم وقطرها ١٧ قدماً

ولم يكن في البلون المذكور مدفع من الطرز المعروف «بمدفع الريفولفرات» ولو من عيار صغير ولكن كان فيهِ ستة مدافع سريعة اثنان منها على الظهر يدوران على منصة هناك واثنان في المركبة الامامية والمدفعان الباقيان في المركبة الخلفية

ولم نستطع ان نثبت مقدار البنزين الذي كان في البلون ولا ما يحتاج اليهِ منهُ في غاراتهِ لان الاحواض التي يخزن فيها كانت النار قد اذابتها- ولم نعثر ايضاً على اثر للانوار الكشافة القوية التي تستعملها بلونات تسبلن عادة وترسل اشعتها من علو عظيم جدًّا الى الارض تحتها فتنيرها

وقد اصيب البلون بقنبلة المدفع التي صوبت اليهِ على علو يختلف من ١٨٠٠ متر الى الفي متر وكان قد اغار على باريس وطار في جوها على هذا العلو ايضاً ولكنهُ ارتفع الى علو ثلاثة آلاف متر بعد ما طرحت «الصابورة» منهُ وقذف ما كان فيهِ من القنابل

واخبرني الطيار لسبس الذي طارد هذا البلون اكثر من خمسين دقيقة وظل طول هذه المدة يطير تحتهُ وهو يراهُ من غير ان يستطيع اصابتهُ برصاص مدفعهِ السريع انهُ يقدر ان طيارتهُ كانت اوطأ من البلون من ٧٠٠ متر الى ٨٠٠ وان البارومتر في طيارتهِ دل على انها كانت على ارتفاع ٢٨٠٠ متر حينئذٍ وهو آخر ما تستطيع الوصول اليهِ . فيتضح من ذلك

ان احسن طريقة لمهاجمة البلونات انما يكون بالهجوم عليها قبل وصولها الى المدينة التي تقصد الاغارة عليها وقذفها القنابل التي فيها عليها اما في تلك المدينة نفسها فالافضل انْ تترك مهمة مقاومة البلونات في جوها الى المدافع الخاصة بمقاومتها • فيرى من ذلك ان لمقاومة البلونات المغيرة ثلاثة ادوار وهي :

اولاً — مطاردة الطيارات الكبيرة المسلحة بالمدافع الكبيرة للبلونات قبل وصولها الى لندن او باريس او سواهما من المدن

ثانياً — اطلاق المدافع الخاصة بمقاومة البلونات والطيارات على هذه البلونات وهي محلقة في جو المدينة التي تغير عليها والاحسن ان تستخدم لذلك المدافع السريعة من العيارات الكبيرة مثل مدفع ١٠٤ مليمترات و ١٢ مليمتراً والمدافع البحرية الالمانيـة وان يستعمل فيها ثلاثة اصناف من القنابل وهي قنابل الاسترشاد ويشترط ان تترك وراءها اثراً مضيئاً يرشد الى مكان البلون ويمكن رجال المدفعية من تسديد الرماية • والقنابل الممزقة او المدمرة • وقنابل شرابنل • والمعروف ان مدافع كروب الخاصة بمقاومة الطيارات التي قطر فوهتهـا ١٠٤ مليمترات وعيارها ٤٥ تطلق قذيفة زنتها ١٥ كيلو غراماً ونصف كيلو غرام بسرعة ٨٠٠ متر في الثانية وترسلها الى علو اربعة آلاف متر • وهذه المدافع تطلق ١٥ طلقة في الدقيقة وتقلت قنابل شرابنل التي تطلق منها ٦٢٥ رصاصة • والالمان يستعملون هذه المدافع والمدافع التي قطر فوهتها ١٢٠ مليمتراً في حماية اوستند من غارات الحلفاء الجوية عليها

ثالثاً — مطاردة الطيارات الخفيفة السريعة المسلحة بالمدافع السريعة الانطلاق والاسهم النارية لهذه البلونات وهي عائدة من غارتها على ارتفاع عظيم

ومن الواجب ايضاً ان يكون حول المنطقة التي يرام حمايتها من الغارات الجوية عدد كبير من الانوار الكشافة القوية وان توضع بشكل دائرة حتى تلتقي اشعتها في الجو في نقطة واحدة فيقع البلون بين هذه الاشعة كما يقع جسم غريب بين شفرتي المقراض • والاحسن ايضاً ان توضع الانوار الكشافة على بعض الطيارات حتى تقع اشعتها على البلون عن مسافة قريبة

وقد يتوهم البعض ان عظم جرم البلون يجعلهُ هدفاً قريب المنال سهل الاصابة ولكن سرعتهُ واستطاعتهُ التحليق في الجو الى علو عظيم جداً تجعلان اكتشافهُ واللحاق بهِ وقنصهُ من اصعب الصعاب

ومما لا ريب فيه ان بلونات تسبلن تسير الى انكلترا قريبة من سطح الارض والبحر وربما كانت تقلل سرعتها وهي سائرة فوق سطح البحر ايضاً اقتصاداً في البنزين ثم ترتفع تدريجاً كلما قلّ المخزون فيها من البترول ويحتمل ايضاً ان تضطر في بعض الاحيان الى طرح ما فيها من «الصابورة» عند وصولها الى شواطىء انكلترا طلباً لزيادة الارتفاع والتحليق في الجو

ان عند المانيا الآن ٤٠ بلوناً من بلونات تسبلن الحديثة ومعظمها موكّل باستطلاع البحر الشمالي وبحر البلطيك وهو في مفاوضة دائمة مع الاسطول الالماني والغواصات الالمانية . فيرى من ذلك ان المهمة الكبرى لهذه البلونات ان تقف على حركات السفن الحربية والسفن التجارية المعادية والمحايدة في هذين البحرين وتنقل خبرها الى هيأة اركان البحرية الالمانية

وقد علمت من الذين زاروا المانيا وعادوا منها ان الرجال اللازمين لبلونات تسبلن يدربون الآن في مدرسة خاصة في ليبتسج بجوار المستودع القديم الذي للبلونات هناك وانهُ انشىء في ضواحي تلك المدينة وعلى مقربة من المدرسة المذكورة ثلاثة مستودعات جديدة للبلونات ومدرستان اخريان احداها لتدريب ضباط مدفعية الجيش والاخرى لتدريب ضباط البحرية على تسيير البلونات البرية والبحرية وادارتها. ومركزمدينة ليبتسج من الوجهة الجغرافية يجعلها في حرز حريز من الغارات الجوية سواء كان من فرنسا او البلجيك او روسيا او البحر لبعدها عنها . وهي ايضاً المركز الاكبر في المانيا لتوليد غاز الهيدروجين (مصنع شمتنس) ولصنع اجزاء البلونات (مصنع زيس في يينا) علاوة على انها ملتقى ثلاثة مسالك او طرق هوائية تخترق جو المانيا اولها يؤدي الى الميدان الغربي بطريق غوتا ففرنكفورت ومياتس ومتس او بطريق وادي الرين فكولونيا واكس لا شابل والبلجيك . والثاني الى الميدان الشرقي بطريق برلين فبوزن وليجنتز وكونجسبرج . والثالث الى البحر بطريق كوكسهافن وهمبرج وكيال وعنابر شلزويج . وقد اقتصرنا في بيان هذه الطرق على اسماء المدن التي فيها المستودعات الكبرى للبلونات . اما الطرق نفسها فتظهر للطيارين مما فيها من المنائر الهوائية والمظلات اللازمة للبلونات



استغلال الارض

(٤)

انتقاء الموظفين

يحسب اكثر الملاك ان ادارة المزارع لا تستدعي ما تستدعيهِ الادارات الاخرى من ضروب الكفاءات الفنية والادبية والاخلاقية معاً ففريق منهم على ان معرفة الفلاحة ليست شرطاً ضرورياً في مدير المزرعة ناظراً كان او مفتشاً كأنهُ يمكن ان يحسن انسان ادارة شيء لا يعرفهُ

واذا كان الناظر الذي يحسن فلاحة احدى المناطق يخطئ اذا لم يحسن تدبيره في منطقة غيرها كما ابنا في مقالتنا الاولى فكيف تدبير من يجهل الفلاحة جملةً اما ان يجري في ادارتهِ كما اتفق على غشم او معتمداً على غيرهِ . وما ظنك بادارة هذا شأن رئيسها فيها . ان ذكاء الانسان ونشاطهُ واستقامتهُ ونحوها من الصفات الفاضلة انما يظهر اثرها في تدبيرهِ شؤُون ادارتهِ وتطبيقهِ قواعد صناعتهِ فاذا انتفت معرفتهُ بهذه الشؤُون والقواعد انتفى ظهور اثر تلك الصفات فيها فهي كرؤُوس الاموال التي لا تنتج بذاتها بل يتداولها في الاعمال . وعلى قدر الالمام بتلك القواعد والشؤُون يأتي اثر تلك الصفات

ولئن كان في الاحوال العادية يمكن مع المزايا الشخصية الحسنة الاكتفاء بمعرفة مبادىء الفلاحة واصولها العامة فليس الشأن كذلك في الاحوال الدقيقة والمآزق الصعبة . تأمل تجد انهُ لم يثبت على صدمات الازمات من الملاك المستجدين والمرتهنين الا من دبّرت مزارعهم الفلاحةُ الحاذقة والادارةُ الدقيقةُ المبنيةُ عليها تدبيراً اكثر غلتها وقلل مصروفها وبالتالي زاد ريعها الى آخر حدود الامكان

كنت قبيل تحرير هذه السطور احادث مفتشاً من كبار مفتشي البنوك العقارية في هذا الموضوع فقال لي « ألا ترى الشركة الفلانية فانها على متانة اساسها المالي قد تضعضعت احوال مزارعها لانحطاط ادارتها الزراعية وشركة الاتحاد فانها مع وهن اساسها المالي قد نشطت احوالها بفضل ادارتها الزراعية الراقية »

ومنهم فريق على انهُ في معرفة الفلاحة وحدها الكفاية لادارة شؤُونها بلا تقدير يؤْبهُ بهِ للكفاءة الادبية التي يجب توفيرها في كل من تمهد اليهِ مهام اي عمل . كأَن القواعد الفنية تقوم بذاتها مجردة عن العوامل الاخرى كالهمة في تطبيقها وجودة النظر في تكييفها حسب المناسبات وتمييز متشابهاتها وتقدير ملابساتها وتدبير شؤُونها ومتعلقاتها . واذا كنا نرى في الغيطان الصغيرة التي يزرعها اصحابها انفسهم من التفاوت بين غيط وغيط متلاصقين ما يدل على رجحان فلاح على فلاح معَ تساويهما في معرفة القواعد الزراعية المتبعة في البيئة والشائعة في العرف فبالاحرى يكون التفاوت اكبر واظهر في المزارع الكبرى بين مزرعة ومزرعة . وهذا هو الواقع المشاهد في اكثر الاوقات والبيآت

فالمعرفة الفنية بلا الكفاءات الاخرى كالبذور بلا شروط النماء ويكون نماة كليهما تبعاً لشروطهِ جودة ورداءة . وكما ان توفر شروط النماء يساعد انبات البزرة الرديئة وعدم توفرها يُضعف انبات البزرة الجيدة كذلك الرجلُ النيّر يستطيع بمعارفهِ الفنية وان قلَّت اكثر مما يستطيعهُ من دونهُ تنوراً بمعارفهِ الفنية وان كثرت

واذا استثنينا بعض مسائل الحشرات والفطريات وغيرهما من مسائل الزراعة التي تستدعي معرفة علمية خاصة فان الوسائط التي تعمل وتشير بها المعاهد والدوائر الزراعية الراقية في الفلاحة العملية ليست ازيد من اتقان العمل بالاساليب المعروفة . ولكن المعرفة شيء والعمل شيءٌ آخر واتقانهُ شيءٌ غيرهما

وكلٌّ يرى طرق الشجاعة والندى ولكنَّ طبع النفس للنفس قائد

ولا شبهة في ان الرجل المستنير اقدر على تجديد العمل واتقانهِ واعرف بمزاياها واساليبها ممَّن دونهُ تنوراً . وكل العارفين الذين انتقدوا الفلاح المصري بحق لم يصفوهُ بالجهل باساليب الفلاحة العملية فان معرفتها شائعة في عرفهِ الزراعي قبل كل شيءٍ آخر بل انتقدوا فيهِ بعدهُ عن الاتقان والتبصر والحزم في تطبيقها وتدبير شؤُونها وتكييفها بحسب الظروف . فمثلاً يعد تفشي دودة القطن ولاسيما دودتي اللوز يجب الاهتمام بالتبكير في زراعتهِ اكثر من قبلُ وبعد تفشي الامراض الفطرية فيهِ وفي بعض اصناف الحبوب يجب تخفيف سقيها في بعض ادوار حياتهما النباتية وغير ذلك من الاحوال التي اقتضاها تغير الظروف التي تدبّرها مهرة الفلاحين المستنيرين الدائبين على دقة البحث والاستدلال وجودة الملاحظة والاستنتاج وهذه صفات لا تتيسر الاّ لذوي الشخصية الراقية عمليًا وادبيًّا واذا كانت الكفاءات الادبية

لازمة لمديري المزارع في تطبيق اخص ما يعرفهُ الفلاح من اصول الفلاحة العملية وقواعدها فبالاحرى تكون الزم لهُ في سائر شؤونها الاخرى اقتصادية كانت او ادارية

ان الاداري المستنير اذا لم يكن حاذقاً في الفلاحة لا يتوانى عن استخدام الاكفاء من رجالها لمعاونته في شؤونهِ ولذلك قلما شاهدنا بل لم نشاهد قط مزرعة تضعضعت احوالها من نقص الكفاءات الزراعية بل كل المزارع التي اضمحل امرها كان السبب فيهِ نقص الكفاءات الاخرى

ومن اغاليط الملاك توظيفهم بعض خدمهم او حشمهم ايثاراً لنفعهم عن غيرهم ومثل هؤلاء يكونون في الغالب من غير ذوي الكفاءات وان ثقة المالك فيهم ناشئة من تزلفهم او قرابتهم منهُ او ارضائهم لهُ في احوال ليست من احوال الزراعة في شيء فضلاً عن انهم لمكانتهم منهُ يكونون ذوي دالة عليهِ فلا يحذرون حذر غيرهم كما انهُ لا يأخذهم بالحزم والعزم الواجب في الاعمال الزراعية

ومن الاسباب التي تحول دون استخدام الاكفاء او تنمية الكفاءات قلة المرتبات او جعلها على نسبة معينة محدودة مهما كانت شخصية العامل وكفاءتهُ مع ان الموظف الحاذق يستطيع بتدبير او تعديل لا يستطيعها غيرهُ من الموظفين العاديين نفع المزرعة نفعاً لا يعد مرتبهُ او زيادتهُ بجانبهِ شيئاً مذكوراً

اعرف ناظر مزرعة في الجهات البحرية الواطئة لا تزيد مساحتها عن ٢٢٠ فداناً مرتبهُ الشهري بملحقاتهِ ٩ جنيهات مصرية وازيد وهذا المرتب يعتبر عند انصار المرتبات العالية كثيراً اما السبب فانهُ كان يأخذ هذا المرتب على مزرعة مساحتها ٧٠٠ فدان من اجود الاطيان الجنوبية العالية وكانت تلك المزرعة الصغيرة لا تغلُّ الاَّ بعض ما يصرف عليها وكان هذا الناظر معروفاً بالخبرة والنشاط والاستقامة فنقلهُ المالك اليها فكانت نتيجة عملهِ فيها زيادة غلتها تدريجاً حتى صار بعد الخسارة يستغل من الفدان من $2\frac{1}{2}$ الى $3\frac{1}{2}$ جنيه ربحاً صافياً

ان الارض الرديئة تحتاج الى الادارة الدقيقة جداً اكثر مما تحتاج اليها الارض الجيدة ففلاحها منها في عناء كبير وربح قليل فهي كالمريض احوج لحسن التدبير من الصحيح

احمد الالفي

التين البرشومي

اسمهُ النباتي فيكوس كاريكا "Ficus Carica" واسمهُ الانكليزي "Fig" وهو تابع للفصيلة الحرافية "Urticaceae" وشجرهُ يعلو من سبعة امتار الى ثمانية وخشبهُ خفيف مسامي اصفر اللون يستعمل في صناعة كراتيف الاسلحة واوراقهُ متبادلة ذات اعناق طويلة وسميكة خشنة ومغطاة بوبر قصير ويختلف شكلها باختلاف النوع فمنها اوراق ذات خمسة فصوص او ثلاثة ومنها اوراق بيضية الشكل والازهار موضوعة في غلاف لحمي تخرج من اباط الاوراق وهذا الغلاف اللحمي هو النورة ويسمى خطأً بالثمر ويوجد داخلهُ اعضاء التذكير والتأنيث والوسائط كما هو الحال عندنا في التين المصري وقد يكون عضو التذكير والوسيط في شجرة وعضو التأنيث في شجرة اخرى كما هو الحال في التين الازمرلي

وشجر التين يحتوي على عصارة لبنية مرة الطعم شديدة الحرافة · ورداءة طعم التين قبل نضجهِ تنسب الى هذه العصارة اللبنية الموجودة في الازرار الثمرية (النورة) ومتى تم النضج تحول تلك المادة الشديدة الحرافة الى مادة سكرية غروية شديدة الحلاوة · اما اصل موطن التين فهو حوض البحر الابيض المتوسط ثم زرع في افريقيا وانتقل منها الى اسبانيا وايطاليا وفرنسا ثم انتشر في جميع الممالك الاخرى · والتين من النباتات القديمة المصرية وقد وجد العالم النباتي « شونيفورث » في مقابر سقاره بجوار الاهرام صورة شجرتين من التين على كل واحدة منها رجل متسلق يجني منها الثمر والمعروف ان قدماء المصريين كانوا يستعملون عصارتهُ اللبنية في الطب

تلقيح التين "Caprification"

بما ان التين الازمرلي لا يوجد في نورتهِ الذكر والانثى والوسيط معاً فلا يحدث فيهِ اخصاب فتذبل ازرارهُ الثمرية وتجف وبهذه الحالة لا يمكن الحصول على محصول منهُ الاَّ بعد عملية تلقيحية صناعية

وبما ان الاخصاب يحصل عادة بواسطة حشرات صغيرة تسمى بلستفاجا جروسورم "Blastophaga Grossorum" توجد في وسائط "Galls" اشجار التين البري فعملية التلقيح تنحصر باخذ افرع من تلك الاشجار البرية التي تعيش في وسائطها حشرات البلستفاجا المذكورة وتعلق على اغصان التين المزروع ففي هذه الحالة تخرج تلك الحشرات من الوسائط مختلطة بالطلع الذي في التين البري وتلقح بهِ التين المستنبت

انواع التين

١ «التين الفيومي» وهو اكثر الانواع انتشاراً ويزرع بكثرة في قريتي دار الرماد ومنشية عبد الله بالفيوم وثمرهُ متوسط الحجم حار الطعم ولبهُ احمر وهو اول انواع التين التي تظهر مبكرة في الاسواق في شهر يونيه «بوُّونه» ويعرف في الاسكندرية باسم التين الحبشي

٢ «السلطاني» وثمرهُ كمثرى الشكل تقريباً وجلد ثمرهُ اسمر ارجواني اللون ولبهُ اصفر محمر شديد الحلاوة ويزرع بكثرة في سيدي جابر بالاسكندرية

٣ «العبودي» ويعرف ايضاً بالتين الاسود او الغرابي وجلد ثمرهِ اسمر غامق وهو اقل حجماً من الفيومي ولبهُ اصفر ارجواني حلو الطعم

٤ «الابيض الكمثرى» وهو اجود الانواع واكبرها حجماً وثمرهُ ذو جلد ابيض وقمتهُ مفرطحة وهو معروف بجودة نوعهِ ويباع بثمن اغلى من جميع الانواع الاخرى ويزرع بكثرة قرب الاسكندرية

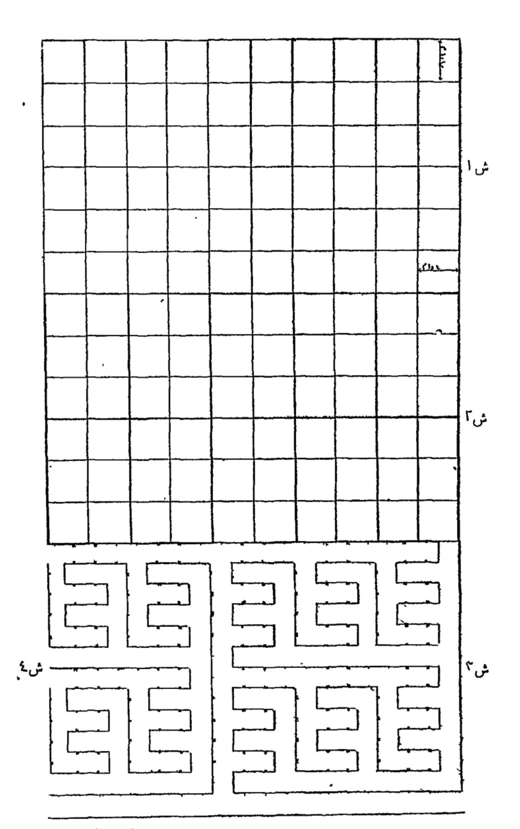
٥ «الاستانبولي» وثمرهُ مستطيل قليلاً عند قمتهِ متوسط الحجم وجلدهُ اخضر مائل الى الصفرة ولبهُ احمر حلو الطعم

٦ «الاخضر» وثمرهُ متوسط الحجم ايضاً يشبه الاستانبولي تقريباً وجلدهُ اخضر فاتح ولبهُ احمر حلو الطعم ايضاً

التكاثر

يتكاثر التين بالعُقل وفي بعض الاحيان بالفسائل التي بجوار نباتاتهِ واحسن عُقل يتكاثر بواسطتها هي التي تؤخذ من اغصان قوية عمرها سنة وهذه الاغصان تقطع قطعاً طولها خمسة وعشرون سنتيمتراً وتغرس في المنبت «الورش» متباعدة بعضها عن بعض بمسافة ثلاثين سنتيمتراً وتترك هكذا مدة سنة وفي شهر فبراير من السنة الثانية تنقل النباتات النامية من العقل الى المشتل وتزرع على ابعاد نصف متر بعضهـا عن بعض وتترك في المشتل سنة او اثنتين حتى تبلغ ارتفاعاً كافياً لتنقل الى محلها المستديم في البستان اما العُقل فيراعى زرعهـا بادئ بدءٍ في شهر فبراير وقد تستمر الزراعة كما هو الحال في الفيوم لغاية اوائل ابريل ويلاحظ في زراعة العقل ان لا يترك منها فوق سطح الارض الاَّ عين واحدة

اما في ناحية بلتان قليوبية حيث تكون الارض طينية فتغرس العقل في محلها الدائم مباشرة متباعدة بعضها عن بعض مسافة اربعة امتار في شهر مارس وطول العقل يبلغ عادة من خمسين الى ستين سنتيمتراً وتغرس كل ثلاثة عقل معاً في جورة واحدة ويلزم ان تكون



مقتطف مايو ١٩١٦
امام الصفحة ٤٨٧

كل عقلة محتوية على زر طرفي وتدفن العقل تماماً في الارض ولا يظهر منها الأ الزر الطرفي فقط ومتى اخذت هذه العقل في النمو يترك اقواها لتكون شجرة اصلية و يقلع الباقي

طرق الزراعة

١ « طريقة زراعة الفيوم » هذه الطريقة تخالف جميع الطرق التي يغرس بها التين في الجهات الاخرى وبما ان طريقة غرس التين بالفيوم هي من احسن عمليات الزراعة لهذا النبات علميًا واقتصاديًا فقد استحسنا شرحها بايجاز وهي كالآتي : —

تحضر الارض كما في حالة الزراعة الصيفية فتحرث اربع مرات ثم قبل الحرثة الرابعة تسمد بالسماد البلدي والكفري معاً بنسبة اربعمائة نقلة حمار للفدان ثم تخطط الارض بالطول وبالعرض كما في الشكل نمرة ١ وتبعد الخطوط بعضها عن بعض بمسافة اربعة عشر شبراً عبارة عن مترين و٦٠ سنتمتراً . ثم تطرد الارض من الشمال الى الجنوب وفي هذه الحالة يحصل التطريد في الخط الثالث فقط اي يترك خطان و يطرد الثالث وتسمى هذه العملية بتفصيل المراجع شكل ٢ ثم تطرد الارض ثانياً من الشرق الى الغرب وفي هذه الحالة يحصل التطريد في الخط الثاني فقط اي يترك خط و يطرد الثاني وتسمى هذه العملية بتفصيل الشقق وبعد تفصيل الشقق تقطع الارض بالمحراث الى ترابيع والتربيعة تحتوي على اثنتي عشرة شقة كما في الشكل ٣

ومساحة الشقة تكون غالباً ¾ قصبة عرضاً في قصبة طولاً و يشمل الفدان الذي مساحته ثلاثمائة قصبة نحو اربعمائة شقة تقريباً . وبعد الانتهاء من تفصيل الارض واعدادها للزراعة كما سبق تغرس العقل في الشقق وتغطى كلها بالتراب بشرط ان لا يظهر منها شيء فوق سطح الارض وبعد الغرس تروى الارض ريًّا غزيراً ويزرع في الشقة ١٦ جورة في كل واحدة منها عقلتين تبعد بعضها عن بعض بمسافة ثلاثة سنتيمترات كما في الشكل ٤ وتبعد الجورة عن الاخرى بمسافة سبعين سنتيمتراً اي ان التين تزرع نباتاتهُ على بعد سبعين سنتيمتراً بعضها عن بعض ويزرع في اول سنة من زراعته محاصيل موقتة مثل العجور والخيار والفول وغيره وهذه المحاصيل تزرع خصيصاً للانتفاع بايرادها حتى يعطي التين ثمرهُ

٢ اما في جهات القطر المصري الاخرى غير الفيوم فتزرع عقل التين على مسافة اربعة الى خمسة امتار بعضها عن بعض بطريقة الغرس المربع المستخدمة في غرس الاشجار الخضية وخلافها

« نوع الارض » . يوافق التين الارض الزرقاء كاراضي بلتان بالقليوبية ودار الرماد بالفيوم

وينمو في الاراضي الخصبة الصفراء الغنية التربة ولا تنجح زراعتهُ في الاراضي المالحة او الرملية

« طريقة الري » يمنع ري التين من شهر نوفمبر لغاية آخر يناير (طوبه) ثم يروى في فبراير كل اثني عشر يوماً وفي اغسطس وسبتمبر يخفف الري ويروى كل عشرين الى خمسة وعشرين يوماً ويلزم الاعتناء في الري عند نضج الثمار لان اهمالهُ يضر بمحصول التين في هذا الوقت

« التسميد » يسمد التين في الفيوم بالسماد البلدي والكفري معاً بنسبة اربعمائة حمل حمار للفدان اي يوضع في كل شقة حمل سماد ويفرش على الارض ثم يعزق فيها اما في الاسكندرية وفي الجهات الاخرى التي يغرس فيها التين على مسافات منتظمة فيسمد بطريقة تسميد الاشجار الاعتيادية اي يوضع لكل شجرة حمل سماد بلدي بعد حفر اخدود حولها

« التقليم » شجر التين لا يحتاج الى التقليم غير ان عملية التقليم تكون قاصرة على تربية النبات في صغرهِ وقطع الاغصان المتقاطعة او الميتة في كبرهِ وايضاً يلزم قطع الفسائل والاغصان الضعيفة التي تنمو في اسفل الغصون الاصلية

« المحصول » في الفيوم الاشجار المغروسة في مارس تثمر في السنة الثانية في شهر مايو اي بعد اربعة عشر شهراً من تاريخ غرسها وتستمر في الاثمار لغاية اغسطس ويجمع الثمر كل يومين او ثلاثة اما في السنة الثالثة وما بعدها فيبدأ الجمع من يونيه « بوؤونة » وينتهي في نوفمبر « هاتور » ومحصول الفدان يختلف ما بين اربعين الى خمسين جنيهاً . ويباع التين بالمائة في الفيوم ففي شهر يونيه يبلغ ثمن المائة خمسة عشر قرشاً ثم ينخفض الثمن الى اربعة قروش في الاشهر الاخرى . ويمكث الشجر في الارض بالفيوم من خمس عشرة الى عشرين سنة ثم تغير ارضهُ ويغرس في غيرها . ولكن يشترط ان تكون الاشجار خالية من الامراض ومعتنى بتربيتها وتسميدها وتنظيفها من الحشائش والاعشاب

« طريقة تجفيف الثمر » بعد جني الثمر يوضع على سطح مستوجاف مغطى بطبقة من القش ويعرض لحرارة الشمس ويقلب من وقت الى آخر حتى يجف . وقد يجفف ايضاً في افران مخصوصة ولكن تجفيفهُ في الشمس افضل من تجفيفهِ في الافران

« الامراض » ١ الحشرة القشرية الشمعية المعروفة بالانكليزية باسم "Waxy Scale"

٢ الحشرة القشرية الفنجالية " " " "Cup Sacle"

« العلاج » ترش الاشجار المصابة قبل نمو ازرارها بمحلول الجير والكبريت

عبد الحميد رضوان　　مدرس علم فلاحة البساتين
بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

التجارب الزراعية

تجرب وزارة الزراعة تجارب زراعية مفيدة في الجيزة منها ما يختص بزرع القمح والقطن وقد دعت كبار المزارعين الى مشاهدتها

واصناف القمح التي جربت زراعتها هناك ٦٩ صنفاً ٢٨ منها من استراليا و ٤١ من القطر المصري . وكل صنف منها مزروع على حدة في عدة اماكن على اسلوب واحد وهي مسمدة كلها بالسماد البلدي بمعدل ١٥ متراً مكعباً للفدان . والتقاوي ثلاث كيلات للفدان مزروعة في خطوط ليسهل المرور بينها

والقمح الاسترالي سنابله طويلة من ذوات الصفين خالية من السفا (الحسك) ومع انهُ زرع في وقت واحد فبعضهُ نضج وحصد لانهُ لا يقيم في الارض الاَّ اربعة اشهر ونصف شهر وبعضهُ لا يزال اخضر . ويظهر لنا ان متوسط غلة الفدان منهُ كلهِ لا تقل عن سبعة ارادب . ويراد ان يعلم مقدار غلتهِ تماماً والسعر الذي يباع بهِ في اوربا عموماً وفي بلاد الانكليز خصوصاً

والقمح المصري ٤١ صنفاً كما تقدم مما يزرع في الوجه القبلي والوجه البحري وهي نامية جيداً كلها تقريباً ويظهر لنا ان محصول الفدان منها من خمسة ارادب الى ثمانية ومنها صنف مغربي قصلهُ طويل غليظ طولهُ متر وثمانون سنتمتراً وسنابلهُ كبيرة ولا يزال اخضر . ومنها صنف سنابلهُ غليظة متفرعة . وكل اصناف القمح الاسترالي والبلدي مزروعة بعد القطن . والاصناف التي يظهر بهذه التجارب انها اجود من غيرها تحفظ التقاوي منها وتزرع سنة بعد سنة ثم يعتمد عليها

وقد جربت زراعة القطن على اساليب مختلفة من حيث بعد الجور بعضها عن بعض وزمن الخف . فالابعاد بين الجور جعل بعضها ٢٠ سنتمتراً وبعضها ٤ وبعضها ٥٠ وبعضها ٦٠ . وكل فريق منها يخف في اربعة اوقات مختلفة اما بعد المسح بعشرين يوماً او اربعين او خمسين او ستين لكي يتضح اي هذه الطرق يدعو الى التبكير في نضج القطن فيسلم من دودة اللوز والدودة القرنفلية . وهناك كل اصناف القطن التي تزرع في القطر المصري وقد زرع كل صنف منها على حدة وعلى اساليب مختلفة ليعلم ايها اصلح لهُ . وهناك ايضاً بيوت من السلك تزرع فيها اصناف المزروعات حتى تبقى خالصة لا تلقح بغيرها بواسطة الفراش

ولا يخفى ان هذه التجارب العلمية ضرورية للوصول الى اجود اصناف القمح والقطن . وتجرب تجارب مثل هذه للوصول الى اجود اصناف الذرة الشامية والبلدية



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الفلسفة والعلم والالمان والحرب

الذي شرَّد الالمان ، وأضرَّهم ، وأضرَّ العالَم بهم اليوم ، ليس العلم الطبيعي وفلسفتهُ المقيَّدة بهِ ، بل تعلُّقهم على الفلسفة المطلقة المنتشرة بينهم اكثر مما هي بين سائر الامم والتي كانت دائمًا شؤمًا على الاجتماع في كل العصور . ودكاترتهم في هذا الباب يقرعون دكاترة العالَم اجمع عدًّا في كل الابواب

فهذه الفلسفة العريقة فيهم ، والتي لا علاقة لها بالعلم الطبيعي هي التي ضلَّلتهم في المسائل الاجتماعيَّة وحملتهم على هذه الجناية الكبرى على الاجتماع وعلى انفسهم . وهي التي مكَّنت سوءاسهم منهم لمغامرة بهم سعيًا وراء احلام غير موزونة هي في هـذا العصر خاصةً جنون مُطبِق . وأعمت حكَّامهم عن ان يروا نتيجة ذلك عليهم . فاسرة هوهنزلرن اليوم في احتضار ، وسيُجهَز عليها متى ثاب القوم الى رشدهم ، وعبر هذه الحرب ستجعلهم يثوبون مهما غلظت طباعهم وأظلمت عقولهم . وما هو شأن العلم الطبيعي وفلسفتهِ الماديَّة في امة يجوز عليها الاعتقاد في نفسها انها شعب الله الخاص ، وفي حكَّامٍ يزعمون ان الآلهة تناجيهم ويعملون السَّيف معوّلين في النصر عليهم

فانا لا ادفع عن الالمان فظائعهم حتى أُحتجَّ بها . ولا اظنُّ احدًا حسبها عليهم اكثر مني ، حتى اني استهدفت لمطاعن الحمقى الجُبناء المتشيّعين لهم من مقوّمي الظهور الرائعين اليوم في بحبوحة من نِعَم الذين اغدقوا عليهم خيرات الأمن فكانوا لهم من الثالبين . وانما أُنكر دعوى الذين ينسبون ذلك فيهم الى تأثير العلوم الطبيعيَّة والعمل بفلسفتها الماديَّة كما يقولون . كأنَّ الالمان اليوم بين أُمم اوربا الراقية هم المستأثرون بهذه العلوم وحدهم ، وشأنهم فيها فوق

الجميع ، وهو وهمٌ . وكأَنَّ هذه العلوم ترمي حقيقةً الى ذلك وهو وهمٌ أيضاً . وايُّ تعليم فلسفي او سواه كان يحكم العالم في العصور الخوالي يوم كان التقطيع والتشنيع يستنفد كل ضروب التفنن ، و يوم لم يكن للعلوم الطبيعيَّة وفلسفتها الماديَّة عين ولا أثر

وانا وان كنت اسلّم بحسن صنيع الآخرين في هذه الحرب في معاملة الناس والآثار كالانكليز والفرنساوبين خاصة ، واحمدهم عليهِ ، فلا أُسلّم بان السبب انحرافهم عن تعليم العلوم الطبيعيَّة وفلسفتها ، وشأن هذه العلوم عندهم أعظم ممَّا هو عند الالمان من كثرة فلاسفة هؤُلاء وقلَّة فلاسفة اولئك مما يدلُّ على ان فهمهم لهذه العلوم اتمّ ونظرهم من خلالها الى المصلحة أَوسع

واني ليسرُّني ان اعلم اليوم ، ولو بدهشة ، ان الاتراك مع خلوّهم من كل علمٍ ، صاروا ممَّن يضرب المثل بهم في حسن الصنيع في الحروب ، على الرغم مما كتبوهُ عن أنفسهم في سفر خروج الارمن من هذه الدنيا الفانية الى العالم الباقي . وهي نعمة تهبط احيانًا على الناس من علٍ ولا علاقة لها بالعلم ، وقد يكون لها علاقة بغير العلم مما لا يزال الاجتماع يئن منهُ . وان كنت اعذرهم على فظائعهم واعذر سائر الشعوب الذين في مرتبتهم لجهلهم بالنسبة الى الالمان الذين لا عذر لهم لا تصافهم بالعلم عن حق

فلندع العلوم الطبيعيَّة وفلسفتها الماديَّة جانبًا ولا ندنّسها بفظائع الالمان في هذه الحرب، ولنبحث عن السبب الصحيح في تعاليم اخرى غير هذه التعاليم

لا ريب في ان الذي دفع الالمان الى هذه الأَعمال الخرقاء في هذه الحرب الشنيعة هو تعاليمهم الفلسفية المنطبقة على طباعهم من جهة وعلى مرامي سوَّاسهم من جهة أُخرى ، وقد ظنّوها الطريق المثلى الى بغيتهم . ولا ريب انهم اخطأُوا ، وخطاؤُهم هنا لقصر نظر اجتماعي لا لشيء آخر

واما الظن بان تعاليمهم هذه مستخرجة من العلوم الطبيعية . ومنطبقة على فلسفتها الماديَّة فهو بعيد عن الصواب بعد الثريا من الثرى . فان كان في تعاليم بعضهم ما يرمي الى مثل هذه الدعوى لدعم نظرياتهِ الفلسفية السابقة فهو وهمٌ منهُ او تضليل مقصود ، كما أَبنتُ ذلك في غير هذا المكان ، وكما يستفاد من مقالة زميلي الدكتور ابو خاطر التي عبَّر بها عن افكاري باحسن ممَّا كنت استطيع . فمطالعتي لها لا تضعف حجّتي بل تؤَيّدها ، وان كان يرميهم فيها بسوء الفهم فقط ، وانا ارميهم فوق ذلك بسوء القصد .

وكلام حضرة الزميل هنا هو ابلغ واعظم قيمة من كلام الفيلسوف برغصن في هذا المعنى والسبب هو ان برغصن فيلسوف يعالج المعلوم متأثراً بالموهوم ، وزميلي طبيب طبيعي لا يتلمس في طيات الغيوم و بين النجوم

وكلامي هذا لا يحط من قدر مقالة الفيلسوف برغصن في بابها . صاحب كتاب الارادة الحرَّة ، وهي ليست حرَّة الأ في دائرة الراجح من موروث ومخبور . كما ان زميلهُ الفيلسوف ريشه الشهير هو من زعماء الاسباب الغائية ، ولكنها ليست المجرَّد المطلق ولا الطبيعي المقيَّد ، كل ذلك من سيئات سطو الفلسفة على العلم ، والواجب الضدّ

فالفيلسوف المذكور لا يتعرَّض هنا للطعن في فلسفة العلوم الطبيعية ، وانما هو يقرّر ما في اخلاق الالمان من الشذوذ ، وفي افعالهم من الخرق . وقد وصفهم انهم اهل شعر وفلسفة منذ زمان طويل ، اي قبل ان يكونوا علماء . وهذا الميل فيهم صرفهم الى تحويل كل شيء الى « صورةٍ صناعية » اي غير طبيعية . فلما انتشر العلم الطبيعي بينهم لم يعانوا استخدام ما فيهم من الميل الفلسفي لاستخراج كليَّات هذا العلم كما هي حقيقةً ، بل حوَّلوا هذه الكليَّات الى غرضهم المرسومة « صورتهُ الصناعية » في ذهنهم طبقاً لفلسفتهم الخاصة حسب مرمى اهوائهم ، بناءً على انهم « اهل فكر وخيالٍ لا تهمهم حقائق الاشياء » كما قال عنهم الفيلسوف المذكور . وكان المُنتظر ان العلم والاختبار يصرفانهم الى هذه الحقائق في الامور الاجتماعية ، فلم يكن شيءٌ من ذلك ، وكلُّ ما تمَّ لهم انهم انتظموا كالآلة الميكانيكية العمياء التي يسهل عطبها لاقل عطلٍ فيها . فالالمان اذا كان العلم رقَّاهم في الصناعة ، وزادهم قوَّة كما زاد سائر الامم التي انتشر بينها ، فشرودهم في فلسفتهم حملهم على بذل هذه القوَّة لغرض اجتماعي لا ينطبق على ما يستفاد من نظام الاحياء ، فلم يتبصروا ليدركوا حقيقتهم في جسم المجتمع البشري ، ونسبتهم فيهِ الى سائر اعضائهِ وبالتالي ليصونوا مصلحتهم بصيانة مصالح المجامع التي لا تقوى مصلحتهم الأ بها ، فكان منهم هذا التهوُّر الذي جنى عليهم حتى اليوم اكثر مما جنى على الآخرين

ولا عبرة بالقول انهم طمحوا حينئذٍ بانظارهم الى ما هو « ماديّ محض » ، فان هذا لا يجعل ماديتهم نتيجة الفلسفة المستخرجة من كليَّات العلم الطبيعي ، ولا يجعلهم بالحقيقة ماديين اكثر من سواهم ، وربما فاقهم سواهم كالانكليز خاصةً في الحياة الاجتماعية العملية المتوفرة فيها مصلحتهم . فالألمان نظير كل الامم طُلَّاب مصلحة . والمصلحة لهم ولسواهم « مادية » قبل

كل شيءٍ . فامتلاك بلادٍ والانتفاع باناسها وارضها ومناجمها الخ كل ذلك « مادي » .
ولكن الذرائع الموصلة اليهِ قد تكون مادّية ، وقد تكون ادبية حسب المقام من جهة ،
وحسب الفهم والإدراك من جهةٍ اخرى . فكل ما لا يُوصل الى هذه المصلحة من هذا او
من ذاك ، فالتعو بل عليهِ خرقٌ يعاب كما في قول الشاعر :

ووضع النّدى في موضع السيف بالعلي مضرٌ كوضع السيف في موضع النّدى

وما من عاقلٍ اليوم يقول ان الألمان ينالون بغيتهم في المجتمع بسحقهِ ، لابادماجهِ ،
بالطرق التي ساروا عليها حتى الآن . فقد ظهروا انهم ، مع علمهم الغزير ، جاهلون لطبائع
العمران . فهم اذا كانوا اليوم علماء مبرّزين ، وصنّاعاً ماهرين ، فهم قبل ذلك فلاسفة
مشرّدو الروية . واذا سطت الفلسفة على العلم ، وحوّلتهُ لغرضها ، ولم ترتبط بهِ ، ولم تُبنَ
عليهِ ، كان شرّها اعظم جداً مما لو كانت بدونهِ كما في البلاد التي معوّلها على العلوم الكلاميّة ،
والعلم الحقيقي منها مفقود

ولقد سبق لي ان اسهبت الكلام في ذلك في خاتمة المجلد الاول من مجموعتي . ثم في
رسالة « ارائي » بعد ذلك حيث افتتحت الكلام بقولي : « انا لا أُحبُّ أن اعنى كثيراً
بالفلسفة الاّ ما كان منها من قبيل الاستقراء العلمي فقط ، لما تجرُّ اليهِ غالباً من السفسطات
البالغة اذا شردت عن العلم »

ومن حسنات هذه الحرب ان مجرى الافكار في الفلسفة وسائر العلوم الكلاميّة وفي
المباحث الادبية كالرومان ، أخذ اليوم يتغيَّر كثيراً . فقد كثر طعن الفرنساو بين انفسهم
على كتابهم في اسلوبهم في اقاصيصهم الموضوعة ، وما فيها من التأنّق في تصوير ما لا ينطبق
على الحقيقة . ولقد قرأت اخيراً خطاباً لأحد اطبائهم في العلم والفلسفة القاهُ في احدى
الجمعيات الطبية بباريس اقتطف منهُ ما يأتي ولو انحرفت قليلاً عن الموضوع ، ليعلم ذلك
الذين هاجوا عليَّ وماجوا يوم قلت ان فلسفة ارسطو واضرابها اضغاث احلام ، وخبط في
اوهام . قال

« ان كلود برنار اوضح لنا التضادّ الكائن بين الفلسفة والعلم وهو برسمهِ لنا قواعد الطب »
« الامتحاني ، قام يحذّرنا من الفلسفة التي ترمي ، نظراً لما في عقلنا من الضعف وحبّ الاثرة »
« الى ان تكون ذات تعليم استبدادي ، والى السطوة على العلم بالمنطق وحدهُ وهذا يحول »
« دون التثبُّت بالدرس . وهو يقول بوجوب اقتران الفلسفة بالعلم ، لكن اذا كانت الفلسفة »

« خالية من السند العلمي ، لتسبح تائهة في طيَّات الغيوم ، فالعلم في غنًى عنها · ومن كلامهِ »
« قولهُ : « أرى ان العلماء يستطيعون عمل اكتشافاتهم ونظريَّاتهم والقيام بعلمهم من غير »
« الفلاسفة » · فالعلماء والمخترعون هم بالحقيقة المحسنون الحقيقيُّون للانسانية · وماك آدم[1] »
« وستفنسون[2] عملا لتقريب الناس بعضهم من بعض اكثر من افلاطون في جمهوريتهِ »
« التي لا تُسكَن ، او من أئمة الفلاسفة الانسيكلوبيذيين[3] · والفلاسفة بوجه العموم لم »
« يكونوا بركةً على الانسانية بل بالضد · وهاك ما قالهُ بونابرت عن روسو[4] · قال »
« كان أفضل لراحة العالم ان لا نكون وُلدنا لا انا ولا هو » · فان هذا الرجل السفسطي »
« لم يكن اقل ضرراً على الانسانية من توماس موروس[5] بآرائهِ الخيالية ، او من فنلون[6] »
« بمدينتهِ صالنت عاصمة المستحيل · فانهُ ، اي روسو ، صنع انساناً لا وجود لهُ الاَّ في »
« مخيلتهِ أطلق عليهِ اسماً رومانياً هو (اميل) · وجعلهُ بين الرجال نموذجاً فذّاً ، اذ ربّاهُ »
« تربية عالية ارستوقراطية حملت الطامعين المستبدين على التشبُّه بهِ للسطو على الجماهير »
وإلحاق الضرر بهم لشدَّة امانتهم بالكاتب نظراً لما في انشائهِ البديع من الخلابة المؤثرة
فيهم » [7] اه · وربما نقلت الخطاب كلَّهُ في المقتطف

فالفلسفة المادية التي اصطلح البعض بان يطلقها على الكليَّات المستخلصة من العلوم الطبيعية ليست فلسفة الالمان حقيقةً ، ولا هي سبب هذه الحرب وفظائعها · وما سببها الاَّ فلسفتهم الخاصَّة الخارجة عن مدار العلم الطبيعي ، وهي فلسفة اثرة غير اجتماعية خياليَّة عريقة في الغموض والابهام

الدكتور شبلي شميل

---

(١) مهندس انكليزي مخترع رصف الشوارع بالطريقة المعروفة باسمهِ

(٢) مهندس انكليزي مخترع اوتوموبيل السكك الحديدية

(٣) فلاسفة فرنساويون في القرن الثامن عشر منهم دالمبار وديدرو وفولطير الخ

(٤) جان جاك روسو فيلسوف فرنساوي وكاتب شهير

(٥) فيلسوف الماني من طرز الفلاسفة الاقدمين

(٦) واضع كتاب تلماك لارشاد وريث عهد مملكة فرنسا فقد جاء فيهِ وصف مدينة خيالية اطلق عليها هذا الاسم وزعم انهُ بها يرشد تلميذهُ الى حسن الحكم في الرعايا

(٧) La Médecine Internationale Mars 1916. Allocution du D: P. J. Larrieu, Paris.

كروية الارض

حضرة العالم المجل محرر المقتطف الاغر

سلام لكم باحترام وبعد فبينما انا اراجع بعض الاعداد الماضية من مجلتكم الزاهرة اذ وقع نظري في عدد يناير سنة ١٩١٣ على سؤال (هو التاسع) موجه من حضرة عزيز افندي رزق وهو «من اول القائلين بكروية الارض» فكان جوابكم انهُ «فيثاغورس اليوناني» على انهُ ان كان فيثاغورس قد قال بكروية الارض منذ ٢٤٠٠ سنة (اي منذ سنة ٥٠٠ ق · م تقريباً فان اشعياء نبي اليهود قد سبقهُ فقرر هذه الحقيقة منذ ٢٦٠٠ سنة (اي منذ نحو سنة ٧٠٠ ق · م) اذ يقول في العددين ٢١ و٢٢ من الاصحاح الاربعين من سفرهِ :—

«ألا تعلمون · ألا تسمعون · ألم تخبروا من البداءة ألم تفهموا من اساسات الارض · الجالس على كرة الارض وسكانها كالجنوب الذي ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن»

والعجيب في هذا الامر ان هذا الاصحاح قد قرأهُ ائمة الكنيسة القبطية بامعان حتى انتخبوا منهُ الاعداد الثالث والرابع والخامس مقدمة لبعض فصول الانجيل التي تقرأ في كنيستهم (وانما خصصت الكنيسة القبطية بالذكر لانني متأكد من ترتيبها) ومع ذلك لم يؤثر انهم هم أو سواهم من رجال الدين فطنوا لهذه الحقيقة فايدوها ايام كان الاخذ والرد بشأنها على اشدهِ · بل المرجح انهم كانوا من اشد الناس معارضة لكثير من الحقائق العلمية والجغرافية التي يظهر من حرف الكتب الدينية ما ينافيها في بعض المواطن · وهم انما يفعلون ذلك حبًّا بتلك الكتب فيجنون عليها وعلى الاديان عامة

على ان الكتاب المقدس يحتوي على كثير من احدث ما اكتُشف من الحقائق العلمية الجليلة التي لا يزال البعض يعدونها كفراً بالله وانبيائهِ · وقد ظلت زمناً هذا مقدارهُ وهي بين ايدي الناس وشفاههم ولكنها بعيدة عن اذهانهم

فبينما يقول اشعياء بكروية الارض يقول ايوب بانعزالها في الفضاء بقولهِ «يمد الشمال على الخلاء ويعلق الارض على لا شيء (ص: ٢٦ : ٧)

كذلك يفتتح سليمان الحكيم سفره «الجامعة» بذكر ثلاث حقائق جليلة هي دورة الرياح ودورة المياه ثم عدم انعدام المادة وعدم تجددها — قال عن الاولى (ص : ١ : ٦) الريح

تذهب الى الجنوب وتدور الى الشمال . تذهب دائرة دورانا والى مداراتها ترجع الريح

وقال عن الثانية (ص : ١ : ٧) كل الانهار تجري الى البحر والبحر ليس بملآن . الى المكان الذي جرَت منهُ الانهار الى هناك تذهب راجعة

وقال عن الثالثة (ص : ١ : ٩) ما كان فهو ما يكون والذي صُنعَ فهو الذي يُصنع فليس تحت الشمس جديد . وعدد ١٠ : ان وُجدَ شيء يقال عنهُ انظر هذا جديد . فهو منذ زمان كان في الدهور التي كانت قبلنا

فمن هذه الحقائق اثنتان جغرافيتان والاخيرة كيمية . ولا يبعد ان تكون هذه الآيات ومثيلاتها هي التي نبهت عقول رجال العلم فانعموا فيها النظر ثم والوا البحث حتى وضحت لهم وأقاموا عليها الادلة التي كنا نسمعها من معلمينا فنعارضهم اشد المعارضة لتشبع افكارنا بما رسخ فيها من معتقدات العوام

فهل يأتي وقت يتفق فيهِ العلم مع الدين في الكليات والجزئيات و يثبت الفضل للدين كما ثبت الآن ؟

ارجو حضرتكم نشر هذا على صفحات مقتطفكم مشفوعاً بما ترونهُ

وتفضلوا بقبول فائق احترامي عزيز سور يال

المحلة الكبرى وكيل المدرسة القبطية

[المقتطف] ان الكلمة العبرانية التي ترجمت كرة في سفر اشعيا تشبه الكلمة العربية « جوق » اي الاطار الذي يحيط بالشيء و يظن بعض المفسرين الذين اطلعنا على اقوالهم انها تشير الى كروية الارض و يظن غيرهم انها تشير الى السماء التي تظهر انها تحيط بالارض . وجمهور المحققين على ان هذا الاصحاح والستة التي بعدهُ لاشعيا حتماً ولكن يقول بعضهم ان اليهود كانوا ينقحون كتبهم الدينية من وقت الى آخر و يزيدون فيها ما يشاؤون . اما سفر ايوب فالمرجح انهُ كتب في القرن الخامس او الرابع قبل المسيح وانهُ حاوٍ للآراء العلمية والفلسفية التي كانت شائعة حينئذٍ . ولا يحق لنا ان نلوم آباء الكنيسة لانهم لم يقولوا بكروية الارض ووقوفها في الخلاء لان في الكتاب آيات كثيرة تدل على ان الارض مبسوطة فقد قال اشعيا نفسهُ في الاصحاح الثاني والاربعين هكذا « يقول الله الرب خالق السموات وناشرها وباسط الارض ونتائجها » وقال صاحب الزبور في المزمور ١٣٦ « الباسط الارض على المياه » . ومع ذلك فقد يكون في الكتاب آيات كثيرة لا يدرك الناس معناها الا بعد ما يتسع نطاق المعارف

رباعيات ابي العلاء المعري

سيدي محرر المقتطف الاغر

هل لكم ان تتفضلوا فتذكروا على سبيل المثال في مجلتكم رباعيةً للفيلسوف الشاعر ابي العلاء وما يقابلها من الترجمة الانجليزية التي قام بها الكاتب المبدع المتفنن امين افندي الريحاني فطال التحدُّث عنها والتنويه بها في الصحف . انكم بذلك تُغنون مَنْ لم يطلع عليها مثلي عن التردد في اقتنائها ، وانْ بعدتْ المسافة وكثر غرق السفن بين انجلترا وامريكا مطلع شمسها . واذا كان الريحاني لم يظفر بمثل الاكرام الذي لاقاهُ شكري غانم واضع رواية «عنترة» بالفرنساوية ، فلا اقلَّ علينا من واجب السعي لاعلان وترويج هذا الديوان الذهبي الذي اتحف بهِ قلةُ السيال الناطقين بالانجليزية ، واذا حقَّ للسوريين خاصةً ان يفاخروا بكثرة رجال الادب فيهم وتعدُّد نابغيهم ، فحريٌّ ايضاً ببقية اهل الضاد والغيورين عليها ان يشتركوا في تشجيع ذوي العبقرية الرافعين علَم اللغة ، دون تعصُّبٍ لوطنٍ او دين ، فما قتل المنفعة مثل التحاسد الجنسي او الديني الذميم

واذا كان الانجليز قد خلَّدوا ذكر فتزجرالد لاحكامهِ ترجمة «رباعيات عمر الخيَّام» فلماذا نقصّر ونتوانى نحن «الشرقيين» في تكريم صاحب «الريحانيات» مترجم «رباعيات ابي العلاء» (وهو منَّا وفخرٌ لنا) ، اذا كان عملهُ المجيد مستحقًّا هذه العناية ، كما يتضح من التقاريظ الزاهية التي خُصَّ بها . انَّا في زمنٍ قلَّ بيننا من يزكّي عن علمهِ ومواهبهِ ، فخليقٌ بنا ان نحمد المجتهد ونرفع من قدر المستبق النشيط . لذلك انتهز هذه المناسبة ايضاً لمناشدتكم الادب ان تتكلموا مرةً اخرى بتوسع على قصة «مجنون ليلى» التي اطرف بها قراء الانجليزية حديثاً اديبٌ سوريٌّ آخر

وفقتمْ مجلتكم الزاهرة على خدمة الادب والعلم وتدوين الحسنات ، ومثل هذه المآثر النفيسة جديرةٌ بالاعتبار لقيمتها الادبية المعنوية ، ولاجتهاد اصحابها في وقتٍ تفشَّى اليأسُ والاتكالُ بين رجال الشرق

كم ثناءٍ على فتًى عمَّ قوماً قيمةُ العقدِ حسنُ بعض اللآلي

عاش اولو الفضل غرباء في بلادنا فعرفهم سوانا ، واهنَّا بذلك انفسنا ، وما انتفعنا بمن سلفوا ولا مَنْ خلفوا ، فكان جرماً على العلم والذكاء ان يظهر في مصر امثال الامام الديني

محمد عبده والمصلح الاجتماعي قاسم امين بك والشاعر الناثر المفلق شوقي بك · نُعنى بالاجنبي وخادم سوانا وندمي الاكفّ له تصفيقاً ، ولا نُعنى بجارنا المُسْدي لآداب لغتنا ، كما نؤثر ان نغمض العين اذا ابصرنا نجماً يضيءُ في سمائنا عن رفع رؤُوسنا لتبيُّنهِ والاهتداء بوحيهِ ، فالى متى هذا الاغفال المزري بكرامة شعبٍ مهما عُدَّ الآن متأخراً فهو سلالةُ حضارتين عريقتين ؟

احمد زكي ابو شادي

لندن (طبيب)

[المقتطف] لما نشر الريحاني رباعياتهِ نوهنا بها في المقتطف وافردنا لها مقالة صدرنا بها الجزء الحادي عشر (جزء نوفمبر) من سنة ١٩٠٣ ملأَت نحو ست صفحات ولقبنا الرباعيات فيها بكتاب الشهر ومما قلناهُ هناك ان امين افندي ريحاني نقل الى الانكليزية مختارات من شعر ابي العلاء ونظمها نظماً رائقاً بعد ان ألَّف بينها واوجز واطنب وتصرف في التعبير عن المعاني · ثم اوردنا بعض الرباعيات الانكليزية واصلها العربي وبيَّنا كيفية تصرفهِ · وقلنا في آخر المقالة « حبذا لو اعاد المترجم الكرة على دواوين المعري فانهُ يجد فيها درراً أُخرى تعدُّ بالمئات يحسن ضمها معا اختارهُ منها الآن

وكنا نظن حينئذٍ ان الريحاني لم يسبق الى ترجمة اشعار المعري الى لغة اوربية ولم يكد ذلك الجزء من المقتطف يصل الى روسيا حتى كتب الينا حضرة العالم بندلي صليبا الجوزي منها يقول ان العالم النمسوي فون كرمر Von Kremer سبق امين افندي ونقل كثيراً من اشعار المعري الى اللغة الالمانية ثم ذكر بعض هذه الرباعيات بالعربية والالمانية وقد نشرنا ذلك في باب المراسلة من مقتطف فبراير سنة ١٩١٤ والحقناهُ بكلام وجيز تحسن مراجعتهُ

اما قصة مجنون ليلى فلم يترجمها لبيب افندي جريديني عن العربيَّة ترجمة بل بناها على القصة العربية اي انهُ اخذ الكثير من حوادثها ومعانيها وافرغها في قالب الشعر الانكليزي ولهذا قلنا انهُ عالجها فنظمها شعراً انكليزيًّا لا يقل في طبقتهِ عن شعر ولترسكوت كما هو في مارميون وسيدة البحيرة وهو يحسب ان ما فعلهُ انما هو تمهيد لشاعر انكليزي يتوسع فيهِ ما شاءت قريحتهُ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة عظيمة بفضائلها

هي الدوقة اليصابات اوف بافاريا او ملكة البلجيك التي ذاعت مآثرها في الخافقين وتحدث الناس بفضائلها في كل بلاد. انشأت احدى الجرائد الانكليزية مقالة شائقة عنها فرأيت ان اعربها للقراء الكرام ولاسيما السيدات والفتيات اللواتي لا ينفتأن يذكرنها بالخير كلما ذكرت هذه الحرب واهوالها

لما بلغت الدوقة اليصابات السن التي يبدأ فيها الصغار بالدرس افهمها اساتذتها ومهذباتها انها اذا انصبت على الدرس واحرزت من العلم قسطاً وافراً أضافت مجداً الى مجد بيتها التاريخي القديم البيت المالك في بافاريا ومن اعرق البيوت في الحسب والنسب

جاهدت اليصابات في ذلك الجهاد الحسن حتى لقد كانت تقضي ساعات لهوها وفراغها في الدرس والمطالعة فاظهرت ذكاء مفرطاً ومقدرة فائقة وكادت تفقد صحتها من شدة انكبابها على تحصيل العلوم فضربت منها بسهم وافر. وهي اليوم اكثر اميرات اوربا وملكاتها تضلعاً من العلم والفلسفة وقد نالت شهادة دكتور في الطب

ولما كانت في العشرين من عمرها صحت عزيمتها ان لا تتزوج فكانت تقول في بالها انني لم اتعب ذلك التعب الكثير في تحصيل العلم الا لاخدم بلادي وابذل حياتي في رفع شأنها واعلاء قدرها واجراء ما استطيع من الاصلاح فيها. كانت تفكر في ذلك كلهِ وتدأب في اخراجهِ من حيز القوة الى حيز الفعل فشرعت تنشئ عدة طرق متسعة ومتنزهات جميلة تضع رسومها بيدها على اجمل مثال

وبعد ما نالت الشهادة الطبية اخذت في بناء عدة مستشفيات اكثرها لفقراء الامة وكلما اتمت بناء منها اعدت فيهِ جميع لوازمهِ من اسرَّة وعدد جراحية الى غير ذلك من احدث ما استنبطتهُ العقول. وكانت تعتقد ان الدواء والغذاء وحدهما لا يعجلان في شفاء المريض

فيجب ان يظلّ منشرح الصدر قرير العين كأنْ يُقرأ على مسمعهِ ما يسرهُ ويعزف امامهُ بآلات الطرب والغناء لكيلا يتطرق الضجر والسأم اليه بانتظارهِ يوم شفائهِ . وكانت تجد من نفسها انبعاثاً الى اتمام ما تفكر فيهِ لنفع امتها

كان يخيل اليها ان والدتها ستكون اول مساعد لها على اتمام ما عزمت عليهِ وهو ان تظل عزباء تخدم بلادها قصارى جهدها ولكن والدتها اتتها يوماً وقالت لها لقد حان الاوان يا ابنتي لان تتزوجي وتصيري ربة بيت وقد اخترت لك اجمل امير في اوربا وارضاهم خلقاً واحسنهم تهذيباً وتثقيفاً . فنظرت الى والدتها والحيرة تعلوها والبهتة آخذة منها وقالت لها وما انتفاع بلادي اذاً من علمي وجهادي في سبيل الحصول على العلم . أريد ان تكون لي شهرة واسعة وان تحدث امتي عن خدم جليلة اقوم بها لخيرها واسعادها . فابتسمت امها قائلة وما يضيرك لو تزوجت . انك تقدرين متى كنت الى جانب قرينك ان تنفذي ارادتك وتحققي رغبتك بمسرة وابتهاج . متى كنت الى جانب البرنس البرت اوف فلندرس الحالي وملك البلجيك العتيد صرتما يداً واحدة عاملة لخير بلادهِ ونفعها وخدمة بني الانسان . وانك تصيرين ملكة تأمرين بالنافع وتنهين عن الضار

فمن ذلك الحين احبت الدوقة اليصابات الملك البرت وتعاهدا على ان يدأبا في خدمة الامة البلجيكية و يمحوا سمعة عم الملك غير اللائقة بالملوك . وكانت اليصابات مملوءة بالشجاعة كما ان قلبها مملوءٌ بالرأفة والحنان والعواطف الشريفة

***

تزوجت بامير لم يكن الحب وحدهُ الرابطة الاولى في اقترانها بهِ وانما هناك رابطة اشد واقوى وتلك الرابطة هي تعاهدهما على اسعاد الامة البلجيكية وقد رزقا ابنة وابنين وقامت الملكة اليصابات على تربيتهم وتهذيبهم وانها لتفتخر في مجالس العظماء والعظيمات بانها قامت بالواجب عليها لابنائها فكانت لهم نعم المعلمة

ومن المزايا التي تذكر بها انها موسيقية من الطبقة الاولى واحب آلات الطرب اليها الكمنجا وقد علمت ابنها الاكبر دوق اوف برابنت وابنها الثاني العزف عليها وابنتها الضرب على البيانو

***

نشبت الحرب الاوربية الحالية وكان مركز زوجها الملك في قلب جيشهِ فقالت لهُ

مكانك اني الى جانبك حيثما تكن أكنْ وان اصابك مكروه فانا فداؤك ولا اريد ان احيا يوماً دون ان أراك · كذلك يظل الفرقدان

قال الملك قد يتفق احياناً انني اقف في الخنادق عدة ساعات غائصاً في الوحل والماء · قالت ذلك ما ارغب فيهِ فاقوم بحق الخدمة لبلادي

سارت الملكة والملك بعدما خبأت جواهرها الثمينة ولم تبقِ معها الاَّ حلية لا تفارقها حلية تضعها فوق قلبها معلقة بسلسلة ذهبية وفيها قلب ذهبي مرصع بالحجارة الكريمة وقد قلدها إياها زوجها الملك يوم تعاهدا على الحب ووعدتهُ ذلك الوعد الصادق بان تقف عمرها على خدمة بلادها الجديدة

ان كثيرين من الملوك والملكات اودعوا جواهرهم البنوك في احوال حرجة فعمل الملكة اليصابات لم يكن عملاً مستغرباً لاسيما وانها كانت في احرج المواقف واصعبها ولم تظهر علامات التأثر على وجهها لانها كانت شجاعة كريمة الاخلاق مخلصة لزوجها فلم تطق على فراقهِ اصطباراً لئلاَّ تزيد حزنهُ وكآبتهُ حزناً وكآبة · ولقد جعلت هذه الملكة الصالحة رعيتها تحبها حبًّا جمًّا بحنانها ورأفتها وحميد صفاتها التي اقلُّ ما يقال فيها انها ملكة الصفات الحميدة

وكان اولادها قبل الحرب يتمون علومهم في انكلترا وكانت هي تزورهم وتدخل غرفة الدرس وتشارك اساتذتهم في تعليمهم · ولما كانت هي نفسها مجتهدة وناجحة ايام كانت تدرس وتتعلم عرفت كيف تبث فيهم الرغبة في الدرس وتحصيل العلم

فالملكة اليصابات من اللواتي استنرن بنور العلم والعرفان شديدة الكره للفخفخة والمباهاة الفارغة · كانت تزور الفقراء والمرضى بنفسها وتكتب في دفتر معها ما تراهُ لازماً لهم ثم ترسل اليهم حاجاتهم بعد عودتها الى قصرها

ولم تفعل ملكة ما فعلتهُ هذه الملكة الشريفة العواطف فقد اشرفت على ساحة الحرب ورأت رجالها الشجعان يقتلون بقنابل الالمان وشهدت ايضاً ويلات الحرب ومصائبها · وكانت تصدر الاوامر تباعاً بتخفيف آلام الجرحى وتفعل من الخير ما لم تفعلهُ ملكة سواها

رحمه صروف

الدفثيريا وعلاجها

كثير من الامراض القصيرة المدة السريعة السير كالجدري والدفثيريا والكولرا يتوقف شفاؤُهُ على سرعة تشخيصهِ ومعالجتهِ . وكلما اسرع التشخيص والعلاج اسرع الشفاء. كتب الينا بعضهم يقول :

« امسينا يوم الاثنين الثالث من ابريل وابنة لي في العاشرة من سنها تشكو بعض الم في احدى لوزتيها وبقيت قبل ذلك ببضعة ايام تشكو انحطاطاً في قواها حتى اصفرّ وجهها ولكن ذلك لم يمنعها المواظبة على الذهاب الى المدرسة . وفي اوائل الليل اخذتها حمّى خفيفة لازمتها طول الليل . وفي الصباح كانت الحمّى لا تزال عليها ففحصت حلقها فحصاً سطحيًّا فلم ارَ شيئاً ولا اشتبهت في شيء ولكن البنت ما فتئت تقول منذ شعرت بالالم في احدى اللوزتين اخاف ان اكون مصابة بالدفثيريا

ومن حسن حظها ان زارتنا الساعة ١١ قبل الظهر خالتها وهي ممرضة وكنت انا غائباً عن المنزل ففحصتها فرأت في مؤخر حلقها الغشاء الكاذب الرمادي اللون او اللؤلوي كما يقول الاطباء وهو من اهمّ اعراض الدفثيريا ولكنهُ قد يكون من اعراض بعض آفات الحنجرة ايضاً . فحكمت بان البنت مصابة بالدفثيريا فهبت مسرعة تفتش على طبيب تستعير حقنة الدفثيريا منهُ و بعد تعب كثير وفقت الى مطلوبها ومرّت باجزاخانة فاشترت منها جرعتين فحقنت المصابة بواحدة ثم بالثانية بعد نصف ساعة

وبعد الظهر دعونا الطبيب فقال انهُ لا يستطيع البت في هل المرض دفثيريا املا فارسل شيئاً من اللعاب الى المعمل البكتريولوجي حسب الطريقة المتبعة وفي خلال مجيء الجواب حقن سائر اهل البيت تحوطاً وفي جملتهم انا فلم يشعر احد من المحقونين باقل انزعاج ولا بشيء من الحمى وكان بينهم طفلة عمرها ١٠ اشهر وبنت عمرها سنتان وكسور . على انهُ ظهر على جلد المصابة و بعض المحقونين طفح بعد الحقن بعشرة ايام فاكثر

وفي ظهر اليوم التالي (الثلاثاء) جاء الجواب بانهم وجدوا مكروب الدفثيريا في اللعاب فقطعت جهيزة قول كل خطيب . اما المريضة فارتفعت حماها مساءً حتى بلغت ٤٠٫٥ وبقيت كذلك معظم الليل وفي صباح الاربعاء هبطت الى ٣٨٫٥ وبعد الظهر الى ٣٨ . وما زالت تهبط حتى كانت طبيعية صباح الخميس . ولم تشكُ في اثناء ذلك كلهِ شيئاً سوى اشتداد

الحمى مساء الاثنين حتى كانت لا تطيق فتح عينيها ولكنها منذ صباح الثلاثاء كانت حالتها طبيعية فيما سوى ارتفاع الحمى قليلاً . ومن ظهر الخميس لم تطق البقاء في سريرها وكانت حركتها خارجة حركة من لم يصب بداء يعد اشد الادواء فتكاً بالصغار وعاد اليها لونها كأنها لم تصب بالحمى المضنية وكانت تطلب الاكل كل ساعتين . ولولا الحاح الطبيب في ان تلازم سريرها او غرفتها على القليل مدة ما لعادت الى سابق عادتها من اللعب والمرح

فهذه الحادثة تبين لنا فضل الاسراع في تشخيص الداء ومعالجته . وقد هال الممرضة منظر حلق الابنة حينما فحصتها وصاحت صيحة الهلع قائلة ان الاصابة شديدة الخطر فاوقعت الرعب في قلب الام بوجه خاص وهذا ما ربما تؤاخذ به ولكن عذرها كون الابنة ابنة اختها فلم تتمالك عن فعل ما فعلت

قابل سلوك هذه الممرضة بسلوك بعض الاطباء الذين اذا رأوا حادثة مثل هذه اجلوها فاشتد الداء حتى يتعذر الشفاء . « وقبلما يأتي الترياق من العراق يكون العليل فارق » كما يقول المثل . انتهى

المقتطف — يدل الاحصاء على ان متوسط وفيات الدفتيريا هبط بعد اكتشاف المصل سنة ١٨٩٤ من نحو ٣٠ في المئة الى اقل من ١٥ في المئة . وعندنا انهُ اذا امكن تشخيص كل حادثة والشروع في معالجتها بعد ٤٨ ساعة من بدء الاصابة بها على الكثير هبط متوسط الوفيات الى اقل مما تقدم . ولكن يقال من جهة اخرى ان من الاصابات ما يكون خبيثاً شديد الوطأة بادئ بدء فلا ينجع فيهِ علاج ولا تنفع وقاية غير وقاية الله . على انهُ يحسن تلقيح كل صغير يشعر بالم في حلقهِ حالاً فان التلقيح لا يضر ان لم يفد . كذلك يحسن حقن افراد العائلة التي يصاب احدها بالدفتيريا تحوطاً وان تكن فائدة الحقن المنعي لم تثبت ثبوتاً قاطعاً . اما ما ثبت ثبوتاً قاطعاً فهو فائدة الحقن الشفائي . والدفتيريا تخالف من هذا النظر بعض الامراض التي تعالج بالمصل كالجدري فان فائدة مصل الجدري منعية فقط اي ان التطعيم في الجدري يفيد قبل الاصابة لا بعدها على خلاف الدفتيريا . ولكن كثيرين من الاطباء يعتقدون بفائدة الحقن المنعي فلا بأس بهِ لانهُ ان لم يفد فلا يضر كما قلنا ولأن ثمن الحقنة لا يتجاوز في هذه الايام بضعة عشر غرشاً

فالاسراع في المعالجة لازم كل اللزوم . وقد دل كثير من الحوادث على ان التأخر في الحقن بالمصل اكثر من يومين بعد ظهور المرض افضى الى موت المصاب



حل العقدة

في انتاج الاولاد حسب الارادة

اهدى الينا صديقنا الدكتور ابرهيم العريبلي نزيل اميركا هذا الكتاب المبني على مباحثهِ الخصوصية ومباحث بعض علماء الطب وتجاربهم وقد افتتحهُ بقولهِ

من رام نسلاً من ذكور او انا — ثٍ باختيارٍ فليطالع مصحفي
فيهِ دليل لا يضلُّ مطالعاً — والحق في صفحاتهِ لا يختفي
هذا اكتشاف مثبت بتجاربي — فاختر لنفسك ما تحب وتصطفي

وواضح بعد هذا البيان الوجيز ان موضوع الكتاب الاستدلال على الاوقات او الاسباب او الاساليب التي تجعل الجنين ذكراً او انثى سواءٌ كان ذلك في الناس او في الحيوانات . والكتاب يقع في ١٨٦ صفحة بحرف دقيق وقد جمع فيهِ كل ما يتعلَّق بالزواج وانتخاب الزوج والزوجة والحمل والولادة وتكوُّن الجنين من البيضة والالقاح وآراء العلماء الباحثين في تكون الذكر والانثى وعلاقة ذلك بقوة الزوجين وسنّيها وزمن الحيض واختلاف البلدان والفصول . وقد اضطرَّ المؤَلف ان يضمّن كتابهُ اموراً كثيرةً يأبى الناس التكلُّم بها جهراً مع انها من الزم اللوازم لحفظ الجنس والصحة والرفاهة فصرَّح بها كمن يعلم شدَّة الحاجة الى معرفتها . ولا ندري هل الاصلح ان يطَّلع الناس في كل سن على هذا الكتاب او يحصر الاطلاع عليهِ بالمتزوجين والمتزوجات . ولا شبهة في ان كثيرين يودُّون الاطلاع عليهِ . وما ذكرهُ عن الاسباب الداعية الى جعل الجنين ذكراً او انثى محتمل وقد ايدهُ بشهادات كثيرين من الاطباء الباحثين ومن مربي المواشي ومن المؤَلف نفسهِ . وجعل ثمن النسخة خمسين غرشاً او ريالين ونصف ريال من الريالات الاميركية

الفهرست

وهو معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية لحضرة واضعهِ امين واصف بك . وقد

جاء في مقدمتهِ ما فحواهُ ان للمطالع في كتب التاريخ العربية القديمة حاجة كبيرة الى تعرّف مواقع البلدان التي ورد ذكرها فيها فاذا رجع الى الخرائط العصرية لم يجد فيها طلبتهُ . لذلك وضعت هذه الخريطة التاريخية للمالك الاسلامية وهذا المعجم الوجيز وصرفت عناية خاصة في ضبط الاعلام اعتماداً على الثقات كياقوت وابي الفداء والفيروزابادي وغيرهم .

الاعترافات

او قصة نفس للشاعر الناثر عبد الرحمن افندي شكري . تصور موءلفها صديقاً لهُ ملَّ الحياة في عالم المدنية فهام في مجاهل السودان وقبل سفرهِ اودع الموءلف مذكراتهِ واشترط عليهِ ان لا ينشرها الاَّ اذا مضت سنة ولم يأت خبر منهُ . وقد قال الموءلف في مقدمتهِ « لقد مضت سنوات لم اسمع في خلالها شيئاً عن صديقي صاحب الاعتراف فجعلت اسأل عنهُ حتى علمت انهُ وصل الى بلاد نيام نيام فاكلهُ اهلها رحمة الله عليهِ ... وقد رأيت ان اجمع مذكراتهِ وانشرها لان في نشرها عبرة كبيرة لمن يعتبر . وسيرى كثير من القراء نفوسهم مكبرة مرسومة في هذا الصحائف لاننا في حياتنا الاجتماعية سواسية مثل اسنان الحمار .. »

الغربيات

ديوان شعر لحضرة الياس افندي عبدالله طعمه السوري موطناً البرازيلي مقاماً . وقد جاء فيهِ انهُ الديوان الاول وان النسخة التي وصلتنا هي من الطبعة الثالثة وان الناظم في سن الواحدة والعشرين . اما ديوانهُ فحسن النظم يحتوي على كثير من الشعر الجيد . واما طبعهُ فاحسن مما نرى هنا ولاسيما الورق مما يدل على ان البرازيل لم تشعر حتى الآن بالازمة الورقية التي ناءت بها اوربا وهذا القطر

Hydraulic Flow

اهدي الينا هذا الكتاب من تأليف المستر الفرد بارنز في لندن وهو يشتمل على مذكرات هندسية في المواسير والترع والقناطر وسائر ما يتعلق باعمال الري فلا غنى عنهُ لمهندسي الري في هذا القطر . وقد ذيل باحد عشر رسماً . ثمنهُ ١٣.$\frac{1}{2}$ شلن خالص المصاريف ويطلب بالعنوان الآتي

Messrs. E. & F. N. Spon Ltd.
57 Haymarket,
London, S. W.

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) كولمبس واكتشاف اميركا

ملوي . زكي افندي ناشد سركيس . كم هي المدة التي قضاها كولمبس في سفرتهِ الاولى من اوربا الى اميركا وكم سنة عاش بعد اكتشافهِ لاميركا

ج . اقلع بسفنهِ في ٣ اغسطس سنة ١٤٩٢ ووصل الى جزائر اميركا في ١٢ اكتوبر ثم عاد منها في يناير سنة ١٤٩٣ قاصداً اوربا وتوفي في ٥ مايو سنة ١٥٠٦ اي بعد اكتشاف جزائر اميركا باربع عشرة سنة وتجدون ترجمتهُ وكيفية اكتشافهِ لاميركا في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠١

(٢) آلات الحلب واستخراج الزبدة

دسوق . مصطفى عبده . سمعنا انهُ توجد عند الاوربيين والاميركيين آلات متنوعة لحلب البهائم على اختلاف انواعها وآلات اخرى لاستخراج الزبدة والسمن . ولا يخفى ان المعروف عندنا انما هو حلب المواشي باليد مع ما في هذه الطريقة من الضرر بالصحة بسبب تلوُّث اللبن باقذار يد المرأة الحلابة . ثم بعد الحلب يوضع اللبن في الشوالي الفخار ويترك فيها حتى تظهر القشطة . ويكون حينئذٍ معرَّضاً للاوساخ والاتربة . واظن ان ما يبقى في الشوالي بعد نزع القشطة يبقى فيهِ شيء كثير منها فيذهب في الجبن بغير فائدة . والطريقة الميكانيكية المتبعة في غير بلادنا سمعنا انها اتقن من طريقتنا البلدية في استخراج القشطة من اللبن لذلك قد خطر ببالي ان اسألكم من اين يؤْتى بالآلات لحلب اللبن واستخراج القشطة والزبدة منهُ وكيف يمكن الانتفاع باللبن الباقي بعد استخراج القشطة والزبدة في عمل الجبن

ج . ان التجار الذين يجلبون الآلات الزراعية من اوربا واميركا يجلبون ما يُطلَب منهم من آلات الحلب واستخراج الزبدة وما اشبه . وقد نشرنا فصولاً في عمل الجبن بقلم احد المدرسين في مدرسة الزراعة في المجلد الرابع والاربعين من المقتطف فعليكم بمراجعتها

(٣) الازهار والفصول

اسيوط . محمد افندي طه هام . ما هي الازهار التي تنمو في كل من الفصول المختلفة

ج . انَّ انواع النباتات المزهرة وتنوعاتها تعدُّ بعشرات الالوف واذا اردنا ان نذكرها كلها حسب طلبكم وجب ان نكتب فيها كتاباً كبيرا تعدُّ صفحاتهُ بالمئات وهذا متعذر كما لا يخفى

(٤) النباتات الطفيلية والعطرية

ومنهُ . ما هي النباتات الطفيلية والعطرية

ج . النباتات الطفيلية او الحلمية هي ما كان مثل الكشوث الذي يمتص غذاءهُ من نبات آخر فان بزر الكشوث يقع في الارض وينبت ويميل الى هنا وهناك حتى يجد نباتاً آخر نامياً قربهُ فيلتف عليهِ وتنمو منهُ حينئذٍ جذور تلصق بذلك النبات وتمتص الغذاء منهُ فييبس اصل الكشوث العالق بالارض اذ لا حاجة اليهِ . والنباتات العطرية هي التي في اوراقها او ازهارها او اغصانها او فيها كلها زيت عطري او مادة عطرية كالورد والياسمين والنعناع والزنبق والنرجس وما اشبه

(٥) النباتات الصحراوية

ومنهُ . ما هي النباتات الصحراوية

ج . اذا اردتم ان نذكر اسماءها كلها فذلك متعذر واذا اردتم ان نذكر الوصف المميز لها فهو انها تشترك في كون اوراقها غليظة تجتمع فيها العصارة بكثرة حتى لا تجف ولو طال القيظ . والغالب ان تنتظم حويصلات اوراقها على اسلوب يعرّض اقل جزء منها للتبخّر . وكثيراً ما تكون جذورها خيوطاً دقيقة لانها لا تجد رطوبة في الارض . واما الرطوبة التي فيها فتمتصها اوراقها من رطوبة الهواء . ومما يستحق الذكر اننا رأينا مرةً على قنَّة المقطم فوق القلمة نبتة من الخبازى نابتة على صخر وجذرها غليظ كالكرة والظاهر ان بزرتها سفتها الريح الى هناك بعد ما وقع شيء من المطر واستقر بعضهُ في منخفض في ذلك الصخر فنمت البزرة فيهِ وامتصَّ جذرها الماء الذي وجدهُ وذخرهُ الى زمن القيظ

(٦) تطرية الذرة

طنطا . الخواجه يونس حبيب . نرجو الافادة عن محلول غير سام اذا وضعت الذرة فيهِ صارت طرية

ج . لا افضل من الماء فاذا نقعت الذرة فيهِ لانت واذا سلقت فيهِ زادت ليونتها

(٧) صنع النشا من الذرة

ومنهُ . كيف يصنع النشا من الذرة

ج . تجدون شرح ذلك في مقتطف يوليو الماضي في باب الصناعة

(٨) تقوية الارادة والذاكرة

المرابعين . احمد افندي الالفي . ما هي الوسائل التي يمكن الاستعانة بها على تقوية ملكات حصر الفكر والارادة والحفظ

ج . افعل الوسائل لذلك المزاولة او

التمرُّن ولا بدَّ من التدرُّج في ذلك تدرجاً من القليل او السهل الى الكثير او الصعب ومن الاقتصار على موضوع واحد الى مواضيع كثيرة ومن الاعتدال في الاكل او البقاء دون حد الشبع لانهُ اذا كثر الطعام في المعدة او ساء الهضم قل ورود الدم النقي الى الدماغ لتغذيتهِ وتنبيههِ · ولا بدَّ من اراحة الدماغ بالنوم الكافي ومن الوقوف في تشغيلهِ عند حد التعب ومن تقليل الاعتماد على الكتب والمذكرات وكل ما يقلل الاعتماد على الحفظ والارادة وحصر الفكر

(٩) السلام بعد الحرب

مصر · امين افندي محمد · يقال انهُ اذا دارت الدائرة على الالمان في هذه الحرب تمتع العالم بالسلام بعدها خمسين سنة او اكثر فهل تظنون ان ذلك موَّكد او مرجح

ج كلاَّ لا نظن انهُ موَّكد ولا مرجح بل نرى الاستعداد لحروب المستقل قائماً على ساق وقدم في كل البلدان فان الولايات المتحدة الاميركية — وهي مستقلة بامورها وتستطيع ان تستغني عن سائر البلدان في كل شيء وليس فيها اسرة مالكة تسعى لحفظ عرشها — اخذت الآن تناظر دول اوربا في انشاء اكبر البوارج الحربية ومرادها ان تنشئ بوارج سرعة البارجة منها ٣٥ ميلاً بحرياً في الساعة وقوة آلات كلٍ منها ١٤٠٠٠٠ حصان مع ان اقوى بارجة عند الانكليز الآن لا تزيد قوة آلاتها البخارية على ٧٨٠٠٠ حصان · ويقال ان دور الصنعة في انكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا وايطاليا واليابان تعمل الآن نهاراً وليلاً في انشاء السفن الحربية وملحقاتها · وهذا الاستعداد الكبير للحرب يدفع الشعوب اليها ولو عن غير قصد منهم

(١٠) قرطاجنة وقرطجة

ومنهُ · قرأت في احد الكتب او الفهارس الجديدة ان المدينة التي بناها الفينيقيون في افريقية بالقرب من موقع تونس اسمها قرطجة لا قرطاجنة كما تذكرونهُ في المقتطف وان قرطاجنة اسم لمدينة في اسبانيا فهل ذلك صحيح

ج · ان الفينيقيين الذين بنوا هذه المدينة بنوها في اواسط القرن التاسع قبل المسيح وسموها قِريت حديشت اي القرية الحديثة او المدينة الجديدة تمييزاً لها عن صور مدينتهم القديمة التي جاءوا منها · وحرَّفهُ اليونانيون المعاصرون فصار كاخيدون والرومان كارشدون Carch-don والعرب قرطاجنة · قال ابو الفدا في كتابهِ تقويم البلدان ما نصهُ : « وقرطاجنَّة بفتح القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهملة والف وفتح الجيم وتشديد النون ثم هاء بلدة من اعمال افريقية قرب تونس خراب وبها آثار قديمة وقرطاجنة ايضاً مدينة بالاندلس من اعمال تدمير » فالنون اصلية

في الاسم اليوناني والعربي واللاتيني ولكن اللاتينيين سموها احياناً كارثاغو ولكنهم ابقوا النون لما نسبوا اليها فقالوا Carthaginiensis والمدينة التي بناها الفينيقيون في اسبانيا بنوها في اواسط القرن الثالث قبل المسيح وسموها قرطاجنة الجديدة وهي المعروفة الآن باسم Cartagena

(١١) نوى البلح

الجيزة. محمود افندي احمد عارف قرأت في مقتطف يوليو الماضي في التكلم على مستعمرة الكمرون ان من صادراتها نوى البلح فارجو الافادة عن فائدة هذا النوى حتى يهتم بتصديره

ج. هو نوى نوع من النخل يستخرج منهُ زيت لعمل الصابون والزبدة الصناعية وكان يرد بكثرة الى مرسيليا والمانيا

(١٢) ضرر المطالعة

ومنهُ. هل المطالعة الكثيرة ابان النهار تضرّ بالجسم وكم ساعة تشيرون على المرء ان يطالع على الاكثر

ج. نشير على المرء في كل عمل ان يعمل الى ان يشعر بالتعب ثم يترك العمل الى ان يستريح سواء كان عملهُ جسديًّا او عقليًّا

(١٣) متانة الكباري

ومنهُ. كيف تساعد تلك الاعمدة الحديدية المقامة على كبري بولاق في زيادة متانته مع انها ان هي الاَّ اثقال عليهِ

ج. ان الحديد المشبَّك الذي صنع منهُ كل جانب من ذلك الكبري يكون بمثابة كرة واحدة من الحديد. فافرضوا ان المسافة بين كل بغلتين خمسون متراً فاذا صنعت كرة واحدة من الحديد حتى يوضع احد طرفيها على البغلة الواحدة والطرف الآخر على البغلة الاخرى وتكون متينة لا تنقصف بثقلها بل تحمل فوقهُ ما يحتمل مرورهُ فوق الكبري وجب ان يكون عرضها كثيراً وعلوها اكثر من ذلك كما يعلم من حساب متانة الاجسام وكما يظهر لكم اذا امعنتم نظركم في ذلك ولو لم تدرسوا هذا العلم. وكرة الحديد المصنوعة من عوارض مشتبكة تكون متينة مثل الكرة المصمطة واخف منها جدًّا وهذا هو السبب في بناء الكباري على هذه الصورة. راجعوا ما كتبناهُ عن متانة الاجسام منذ عشرين سنة في المجلد الحادي عشر من المقتطف

(١٤) هل العمر محدود

الضبعيَّة. الخواجه اسعد باسيلوس. هل عمر الانسان محدود اي انهُ يموت في اجل محدَّد سواء استعمل الوسائل لاطالة عمرهِ او لم يستعملها

ج. يظهر من اجماع الناس على الهرب من اسباب الموت وعلى استعمال العلاجات التي تشفي الامراض او تقي منها انهم وجدوا بالاستقراء الطويل ان بعض الاسباب التي

تميت الانسان يمكن منعها او ازالتها باسباب أخرى ولكن لا ينتج من ذلك انهُ يمكن دفع كل اسباب الموت لان كل نفس ذائقة الموت وقد يستطيع الانسان ان يتقي الموت ويؤخرهُ ولكن الى حد محدود ثم يأتيه رغماً منهُ

(١٥) نهار ستة اشهر

ومنهُ . اين هي البلاد التي يكون فيها النهار ستة اشهر والليل ستة اشهر

ج . عند القطبين تماماً فعند الدرجة $\frac{1}{2}$ ٦٦ يصير طول النهار ٢٤ ساعة اي تبقى الشمس فوق الافق ٢٤ ساعة وتبقى تحتها ٢٤ ساعة وعند الدرجة $\frac{1}{2}$ ٦٧ يحدث نهار طولهُ شهر كامل وليل طولهُ شهر كامل . وعند الدرجة ٧٨ يحدث نهار طولهُ اربعة اشهر وليل طولهُ اربعة اشهر . وعند القطب تماماً يحدث نهار طولهُ ستة اشهر وليل طولهُ ستة اشهر . الاَّ ان النهار لا يكون شديد الحر لان الشمس تكون قرب الافق والليل لا يكون شديد الظلمة لان الشمس تكون تحت الافق قريبة منهُ ولان البدر يبقى فوق الافق في اكثر ذلك الليل الطويل او بين الربع الاول والربع الاخير من اوجهه ويظهر الشفق القطبي كثيراً فينير ظلمة الليل

(١٦) سبب طول النهار وقصره

ومنهُ . هل الشمس هناك غير شمسنا او ما سبب طول النهار وقصره اذا كانت الشمس واحدة

ج . الشمس واحدة وقد يسهل عليكم ان تفهموا سبب طول النهار وقصره بهذه العملية : —

امسكوا برتقالة بيدكم حتى يكون مكان عنقها الى اعلى والنقطة المقابلة للعنق الى اسفل وافرضوا ان هذه البرتقالة تمثل كرة الارض ومكان عنقها القطب الشمالي والنقطة المقابلة لهُ القطب الجنوبي والخط الوهمي المتصل بين العنق وهذه النقطة محور الارض . وافرضوا انكم وقفتم بهذه البرتقالة في غرفة مظلمة امام مصباح منير يمثل الشمس وجرمهُ كالبرتقالة فان نور المصباح يقع على نصف البرتقالة المقابل لهُ فينيرهُ ويبقى النصف الآخر مظلماً . فاذا امسكتم البرتقالة حتى يكون قطبها الشمالي متجهاً نحو سقف الغرفة وقطبها الجنوبي نحو ارضها كما تقدم ووقفتم بها على موازاة المصباح اي حتى يكون ارتفاعها فوق الارض مثل ارتفاع المصباح وادرتموها على محورها امام المصباح فان نورهُ يبقى دائماً على نصفها المقابل لهُ وينتقل عليهِ بدوران البرتقالة واذا رسمتم نقطة بالحبر على سطح البرتقالة وادرتموها على محورها دورة كاملة كل دقيقة من الزمان امام المصباح فان نقطة الحبر تقابل المصباح مدة نصف دقيقة وتغيب عنهُ نصف دقيقة . ومعلوم ان كرة الارض تتم دورتها على محورها في اربع وعشرين ساعة فاذا كانت هذه البرتقالة تمثل الارض فالدقيقة

تمثل اربعاً وعشرين ساعة ويكون نصفها نهاراً ونصفها ليلاً . واذا حرفتم البرتقالة كثيراً حتى يكون قطبها الشمالي او الجنوبي متجهاً الى المصباح دائماً والقطب الاخر الى الجهة الاخرى منهُ وادرتموها على محورها فان نصفها المتجه الى المصباح يشرق عليهِ نورهُ دائماً والنصف الآخر لا يشرق عليهِ نورهُ ابداً . وهذا حال الزهرة فان نصفها متجه الى الشمس دائماً والنصف الآخر لا يراها . واذا حرفتم البرتقالة قليلاً حتى لا يتجه قطبها الشمالي الى سقف الغرفة ولا الى المصباح بل يكون بين بين وادرتموها على محورها بعد ان رسمتم نقطة حبر على سطحها فان نهار تلك النقطة وليلها يختلفان في الطول والقصر حسب بعدها عن القطبين وحسب انحراف المحور واذا كانت البرتقالة لا تبقى في مكانها بل تدور حول المصباح كما تدور الارض حول الشمس دورة كاملة في السنة وكان محور البرتقالة منحرفاً على سطح هذه الدائرة تغير طول نهارها وليلها كما يتغير طول النهار والليل على سطح الارض . واذا تعذَّر عليكم تصوُّر المراد بعد هذا الشرح فلا بدَّ لكم من درس مبادىء علم الفلك وما يبنى عليهِ من العلوم الرياضية حتى تفهموا المراد تماماً

(١٧) اكثر الامم توحشاً

ومنهُ . من هم اكثر امم العالم توحشاً الامَّة الصينية او الامم الافريقية .

ج . اذا اردتم بالامم الافريقية زنوج افريقية فلا نسبة بينهم وبين الصينيين لان الصينيين من اعرق الامم في المدنية ولا يبعد ان يضارعوا الاوربيين بعد عقدين او ثلاثة من السنين

(١٨) استعمار افريقية لا الصين

ومنهُ . لماذا اختارت دول اوربا استعمار افريقية ولم تستعمر الصين

ج . لانها وجدت استعمار افريقية سهلاً واستعمار الصين صعباً او مستحيلاً بل هي تخاف ان تقوى الصين وتتغلب عليها يوماً ما وتعبّر عن ذلك بالخطر الاصفر

(١٩) الاشتراكية

ومنهُ . من اول مَن وضع مذهب الاشتراكيين

ج . راجعوا ما كتبناهُ في المقتطف عن الاشتراكية والاشتراكيين في المجلد الثامن عشر من المقتطف

(٢٠) حشرات اوربا واميركا

ومنهُ . هل في اوربا واميركا حشرات كالجراد والبراغيث والذباب

ج . نعم والجراد كثير في اميركا ولكنهُ لا يوجد في اوربا والبراغيث والذبان موجودة في اوربا واميركا

(٢١) العمد والمشايخ

ومنهُ . هل يوجد في اوربا عمد ومشايخ وخفر وصيارف كما في مصر

ج · فيها اناس يقومون مقام هؤلاء كلهم ولكن نظام هؤلاء ليس مثل نظام اولئك

(٢٢) اليونانية والقبطية

ومنهُ · ما سبب تقارب اللغة اليونانية من اللغة القبطية

ج · لان البطالسة ملكوا القطر المصري ثلثمائة سنة ولغتهم اليونانية فامتزجت القبطية بها واخذت كلمات كثيرة منها

(٢٣) واضعو اللغة القبطية

ومنهُ · من وضع اللغة القبطية

ج · هي لغة المصريين الاقدمين وقد دخلها بعض التغيير والتبديل بمرور الزمن وكتبت بحروف يونانية بعد دخول الديانة المسيحية الى هذا القطر

ومنهُ · هل يوجد اديرة في اوربا واميركا كما في القطر المصري

ج · نعم واكثر مما في القطر المصري



اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٢	٧	٢٩	صباحاً
الربع الاول	١٠	١٠	٤٧	·
البدر	١٧	٤	١١	مساء
الربع الاخير	٢٤	٧	١٦	صباحاً
الهلال	٣١	٩	٣٧	مساء
القمر في الاوج	٧	٩	٤٢	صباحاً
· الحضيض	١٩	١٠	٠٠	·

السيارات في مايو

عطارد والزهرة وزحل كواكب المساء ويغرب المريخ نحو نصف الليل · والمشتري كوكب الصباح

السسموغراف في الحرب

السسموغراف آلة تدل على حدوث الزلازل وتعيين مواقعها · وقد اهتم الاستاذ بلار النمسوي منذ نحو عشرين سنة باستخدامها للدلالة على الاماكن التي يقع فيها صوت شديد يهز الارض كاطلاق المدافع · ويقال انهُ تمكن الآن من عمل آلة صغيرة تدلُّ على كل مكان يُطلق فيهِ مدفع او تسير فيهِ مركبة او يعدو فرس ولو كان على ٣٥ ميلاً منها فيمكن استخدامها في الحرب للدلالة

على حركات الاعداء واماكن مدافعهم وخيولهم ومركباتهم . ويرسم اهتزاز الصوت فيها اشارات مختلفة يدل بعضها على اطلاق المدافع وبعضها على سير المركبات وبعضها على عدد الخيل وهلمَّ جرًّا فتكون اصدق جاسوس على حركات العدو وسكناته . وقد اتقن آلةمنها حتى صارت تدلُّ على حركات السفن في البحر وحركات الغواصات فيهِ وانواعها وابعادها المختلفة والمرجح ان النمسويين والالمان وضعوا هذه الآلة الآن في غواصاتهم فاستغنت بها عن رفع عينها فوق الماء

التلغراف بالفوتوغراف

يقال ان رجلاً نروجيًّا اسمهُ فردرك دهل استنبط طريقة لارسال التلغراف دفعةً واحدة مهما كان عدد كلماتهِ كثيراً وذلك بنقل صورتهِ بالكهربائية . ولم نطّلع على تفصيل هذا الاستنباط ولكننا نستنتج من القليل الذي قرأناهُ عنهُ ان التلغراف يُكتب ويوضع امام آلة او مرآة فتتأثر من صورتهِ تأثراً تنقلهُ الكهربائية وترسمهُ في المكان الذي يراد ارسالهُ اليهِ . ويقال ان الذين فحصوا هذا الاستنباط حكموا بانهُ سيحل محل آلات التلغراف المعروفة

النقل بالاوتوموبيل

جرَّبت الحكومة الاميركية نقل المدافع ولوازمها بالاوتوموبيلات على طريق طولهُ ٢٦٨ ميلاً فوجدت انهُ يسهل نقلها بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة وان نفقة نقل الطن لا تزيد على نصف مليم كل ميل . وكررت التجربة غير مرة فوجدت الامر كذلك من حيث السرعة وقلَّة النفقة ولكن يشترط ان تكون السكة مرصوفة جيداً . افلا يمكن ان تؤلف شركات في هذا القطر ترصف بعض السكك الكبيرة وتسيّر عليها الاوتوموبيلات لنقل البضائع والركاب والحاصلات لانهُ اذا كانت اجرة نقل الطن مليمًا او مليمين او ثلاثة فهي ارخص جدًّا من النقل بسكة الحديد

الورق المضغوط بدل النعال

قلَّت الجلود في المانيا بسبب الحرب وغلا ثمنها جدًّا فصنع الالمان رقوقًا من الورق المضغوط وكسوها بقشرة رقيقة من الجلد فكان منها جلد متين رخيص الثمن لنعال الجزم ويقال انهُ امتن من الجلد العادي وارخص منهُ جدًّا . ولما شاع استعمالهُ رخص الجلد الحقيقي

الاسلحة والمكروبات

كتب الدكتور هورد بيرد فصلاً في المجلة الشهرية العلمية قال فيهِ ان كل الذين قتلوا او غرقوا في المعارك البحرية في هذه الحرب لا يزيد عددهم على عدد الذين يقتلهم

مكروب التيفويد في الولايات المتحدة في سنة واحدة . وان مكروب السل وحدهُ يقتل من سكان الولايات المتحدة ١٤٧٦٠٠ كل سنة ويترك نحو مليون ونصف مليون من المصابين بهذا الداء فيموت اكثرهم بسببهِ . ويمرض كل سنة بالامراض المعدية خمسة ملايين نفس يموت منهم خمس مئة الف على الاقل . ومن افتك هذه الامراض بعد السل التهاب الرئة فانهُ يموت بهِ كل سنة ١٣٢٠٠٠ نفس ويموت ٧٨٩٠٠ بالسرطان و٧٥٢٠٠ باسهال الاطفال . وما يحدث في الولايات المتحدة الاميركية من فتك مكروبات الامراض بالناس يحدث مثلهُ في اوربا واكثر منهُ جدًّا في اسيا وافريقية

رجال الحرب ورجال الطب

انفق رجال الحرب على قتل كل رجل في حرب البوير ثمانية آلاف جنيه وانفق الاطباء على وقاية كل عامل من الموت في حفر ترعة بناما ما يقل عن خمسين غرشًا فرجال الحرب يدأبون على اهلاك النفوس وينفقون على ذلك اكبر النفقات ورجال الطب يدأبون على وقاية الناس من الموت ولا ينفقون الأ الطفيف

خنافس تأكل الرصاص

ان اسلاك التلفون تغطَّى احيانًا بغطاء من الرصاص وقد وجد ان هذا الغطاء ينخر لغير سبب ظاهر ثم اتضح ان خنافس صغيرة كالبق تقع عليهِ وتعمل بهِ مشافرها فتخرقهُ

البتروليوم في استراليا

حفرت بئر في استراليا عمقها ١٤٠٠ قدم فوجد فيها بتروليوم وشيء من الغاز . ويظهر من ذلك احتمال وجود البترول بكثرة في استراليا

تنظيف الآلات

ظهر بالتجارب ان تنظيف اجزاء الآلات باغلائها في مذوب الصودا الكاوي افضل من تنظيفها بالبنزين . فتغلى اولاً في الصودا الكاوي ثم تغسل بماء غالٍ وتترك فتنشف من نفسها وتكون قد نظفت تمامًا

البنوك الانكليزية

ان تسعة وعشرين بنكاً من البنوك الانكليزية الكبيرة مجموع رأس مالها ٤٩٣٥٦٠٢٠ جنيهًا فقط ولكن فيها من الودائع والحسابات الجارية ما يعادل ٩٩٧٧٩٠٩٢٤ جنيهًا اي ان رأس مالها لا يزيد على اربعة واربعة اعشار في المئة من الاموال التي تشغلها ولذلك تستطيع ان توزع ربحًا سنويًّا على اصحاب اسهمها يبلغ نحو ١٦ في المئة . وفي هذه البنوك كلها كثير

من المال الاحتياطي ففي التسعة والعشرين بنكاً المذكورة آنفاً من المال الاحتياطي ما يبلغ ٠٠٠ ٦١٣ ٣٢ جنيه مع ان رأس مالها لا يزيد على ٠٠٠ ٣٥٦ ٤٩ جنيه

وتمتاز البنوك الانكليزية على البنوك الالمانية بانها لا تخاطر ولا تضارب كالبنوك الالمانية مثال ذلك ان البنك الالماني انفق نحو خمسة عشر مليون جنيه على سكة بغداد الحديدية لا لانهُ يعلم ان انشاء هذه السكة عملية رابحة ماليًّا بل لان امبراطور المانيا امرهُ ان يفعل ذلك فصدع بالامر . وبنوك اخرى المانية انفقت اموالاً طائلة على اعمال لا يرجى منها ربح مالي ولكنها قد تأوَّل الى اتساع الامبراطورية الالمانية فاذا عُقد الفوز لالمانيا في هذه الحرب استفادت من هذه الاعمال فائدة كبيرة والاَّ خسرت كل الاموال التي انفقتها بنوكها عليها وهي اكثر من مئة مليون جنيه

السر كولن سكوت منكريف

نعت اخبار انكلترا رجلاً من اكبر المفضلين على هذا القطر وهو السر كولن سكوت منكريف المهندس الشهير الذي كان وكيلاً لوزارة الاشغال العمومية في اوائل سني الاحتلال البريطاني كان اولاً في بلاد الهند واشترك في قمع الفتنة الهندية ثم انقطع لانشاء الاعمال الهندسية الكبيرة في الري الصناعي . ودُعي الى القطر المصري سنة ١٨٨٣ وجُعل وكيلاً لوزارة الاشغال فاصلح القناطر وقواها واصلح بها ري الوجه البحري وترك خدمة الحكومة المصرية سنة ١٨٩٢ وعاد الى بلادهِ اسكتلندا حيث شغل منصباً عالياً ثم رجع الى الهند وجعل رئيساً لمجلس الري فيها ولهُ فضل كبير على المقتطف فاننا لما انتقلنا بهِ الى القطر المصري سنة ١٨٨٥ ورآهُ وعرف مواضيعهُ قال هذه مجلة لازمة لمن في نظارة الاشغال من الموظفين والمهندسين واشار على النظارة ان تشترك بخمسين نسخة منها توزع عليهم فاستمرَّت على ذلك الى العام الماضي

وكانت وفاتهُ في ٦ ابريل وهو في الثمانين من عمرهِ

مضادات للفساد جديدة

اشارت مجلة نانتشر الى الدواء الجديد المضاد للفساد الذي ذكرت المجلة الطبية الانكليزية خبر اكتشافهِ في اوغسطس الماضي ونقلناهُ عنها وهو محلول هيبوكلوريت الصودا مضافاً اليهِ شيءٌ من الحامض البوريك فقالت ان اول من استعملهُ لمعالجة الجروح هو الدكتور داكن وكان ذلك في مستشفى كومبيان وغيرهِ من المستشفيات الحربية فافاد فائدة عظيمة

على انهُ ليس بالاكتشاف الجديد الوحيد

لمداواة الجروح . فقد ذكرت المجلة الطبية الانكليزية في عدد ٢٩ يناير ١٩١٥ دواءٍ آخر اسمهُ كلورومين وهو من الادوية القاتلة للمكروبات ككل دواء غيره يتحد الكلورفيهِ بالنتروجين . واول من استحضرهُ الدكتور تشتاواي سنة ١٩٠٥ ولكنهُ لم يعلم شيئاً عن فعلهِ المضاد للفساد . وهو يحضّر باضافة هيبوكلوريت الصودا الى سلفوناميد التولوين وفوتهُ اربعة اضعاف قوة الهيبوكلوريت المذكور . وقد نشرت المجلة المذكورة في ١٥ يناير الماضي تقريراً لاحد الجراحين الانكليز عن استعمالهِ لمعالجة جروح الفم والفكين ومما قالهُ ان نتائج استعمالهِ تقوّي العزائم لظهور فوائدها تمام الظهور

درجة الحرارة في اعالي الجو

اصدرت الجمعية المتيورولوجية الانكليزية تقريراً بنتيجة الابحاث التي قام الناس بها لقياس حرارة الجوّ في اعاليهِ بواسطة الطيارات والبلونات . ويؤخذ منهُ ان اعظم ارتفاع بلغهُ البلون الذي يطلق خصيصاً للصعود في الجوّ بعد ان يجهز بالآلات اللازمة لقياس العلو والحرارة من غير ان يكون فيهِ ركاب هو ٢٢ ميلاً او نحو ١٢٠ الف قدم فهبطت الحرارة الى ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد او — ٥٢ . واعلى ما بلغهُ بلون فيهِ ركاب هو بلون طيّر من برلين سنة ١٩٠١ فصعد الى ارتفاع ١٠ كيلو مترات او نحو ٣٠ الف قدم وهو قدر ارتفاع اعلى قمة من قمم جبال حملايا تقريباً فوجدوا الحرارة هناك ٤٢ تحت الصفر . وقد جاء في التقرير ان الغيوم لا تتكون فوق ذلك العلو وان الحرارة واحدة بينهُ وبين ارتفاع ٣٧ كيلو متراً . ومتى ارتفع البلون كيلو مترين عن الارض هبطت الحرارة الى ما تحت الصفر فجمد الماء فيهِ . فاذا بلغ علو تسعة كيلو مترات جمد الزئبق ايضاً

جامعة هندية في بنارس

وضع لورد هاردنج حاكم الهند في ٤ فبراير الماضي حجر الزاوية في بناء الجامعة الجديدة التي تقررت اقامتها في مدينة بنارس وتقدر الاموال اللازمة لها بمليوني جنيه

تعمير النساء

من الامور المثبتة بالاستقراء الطويل ان النساء يعمرنَ اكثر من الرجال . فقد حسب بعضهم ان الذين توفوا سنة ١٩١٥ وقد ناهز كلٌّ منهم الثمانين وذكرت وفياتهم في جريدة التيمس كان منهم ٨٥٤ رجلاً و١١١٧ امرأة ولم يناهز المئة احد من الرجال ولكن ناهزها سبع من النساء

ووفيات الرجال بين الخامسة والخمسين والخامسة والستين تفوق وفيات النساء ولعلَّ

سبب ذلك كثرة مشاق الرجال وهمومهم

وقد ظهر من احصاء شركات ضمانة الحياة في اميركا ان النساء اللواتي يتقاضين سنويات يعمرن اكثر من اللواتي لا يتقاضين هذه السنويات كأنهنَّ يعزمن ان تطول المدة التي يأخذن فيها هذه الاموال لكي لا تغبنهنَّ شركات ضمانة الحياة . وعمل المرأة وجهادها ينقضيان حينما تناهز الخمسين اما الرجل فلا ينقضي تعبهُ وجهادهُ الأ بعدما يبلغ من الكبر عتيًّا مع ان جسمهُ يكون قد ضعف كجسم المرأة

تعليم الهنود قواعد حفظ الصحة

اعدت حكومة مدراس بالهند عدداً من الخطب الخاصة بحفظ الصحة ووسائل النظافة وستترجمها الى الهندية العامية لتلقى على الفلاحين في قراهم ومزارعهم فيسترشدوا بها في المحافظة على صحتهم ووسائل النظافة فيما بينهم

نفقات الدعوى اضعاف قيمتها

طالب احد المدنيين في مناجم الفحم ببلاد الانكليز الشركة صاحبة ذلك المنجم بعشرة شلنات وثلثي شلن فرفضت اعطاءهُ هذا المبلغ لئلا يصير سابقةً فرفع امرهُ الى القضاء فانتقلت القضية من محكمة الى اخرى الى ان حكمت فيها حديثاً محكمة التمييز العليا في مجلس الاعيان بانهُ يستحق هذا المبلغ ولكن مصاريف القضية بلغت الوفاً كثيرة من الجنيهات

ورفع بنك قضية على محامٍ يطالبهُ باربعة شلنات فبلغت مصاريفها ١١٠ جنيهات . ورفع فلاح اسكتلندي قضية على مصلحة الجمارك في بلاد الانكليز يطالبها بنحو نصف غرش فدفع مصاريف القضية ١٥٠ جنيهاً

القطن المصري في نياسالند

كانت حكومة نياسالند من املاك انكلترا في شرق افريقية قد انفقت مالاً كثيراً على تجربة زرع القطن المصري في بلادها . وقد اصدرت مصلحة الزراعة فيها تقريرها السنوي اخيراً وفيهِ ان الحكومة عدلت عن زرع القطن المصري لانهُ جاء ادنى من الصنف الذي تزرعهُ وتسميهِ نياسالند ابلند ولعل سبب ذلك شدة انفعال القطن المصري بتغيرات الاقليم وبفعل الجراثيم الزراعية المختلفة

مسئلة الذباب

طال الجدال على صفحات بعض المجلات الانكليزية في هل يموت الذباب العادي في الخريف بعد ان يبيض فيفقس بيضهُ في الربيع التالي ام يستولي عليهِ سبات طويل مدة اشهر الشتاء فاذا اقبل الربيع بهوائهِ

المعتدل انتفض من سباتهِ وعاد يسعى الى رزقهِ · والاول هو مذهب الجمهور · وقد حاول اهل المذهب الثاني تأييدهُ بزعمهم انهم وجدوا كثيراً من هذا الذباب في حالة سبات حتى ان احدهم جمع مئتي ذبابة فلما فحصت ظهر ان ليس بينها ذبابة واحدة من الذباب العادي

بعض نتائج الحرب

كان من نتائج الحرب حتى الآن استبدال بعض الاسماء بغيرها · فاستبدل اسم بطرسبرج ببطرغراد · وماء كولونيا الالمانية بماء لوفان البلجيكية · وفي هذه العاصمة رأيناهم ابدلوا اسم «الخبز الرومي الالماني» باسم «الخبز الرومي الانكليزي» والاجزاخانة «الفرنسوية النمسوية» بالاجزاخانة «الفرنسوية الانكليزية» وهكذا فعل الجزار واللبان والبدال واشباههم · وكان من الالمان انهم استبدلوا اسماء بعض الاطعمة الانكليزية والفرنسوية باسماء المانية صرفة · وقد قرأنا في مجلة نانشر الاخيرة ان قلم مساحة البحور التابع لوزارة البحرية الفرنسوية استبدل الاسماء الالمانية في جزيرة كرجويلن الفرنسوية في البحر المتجمد الجنوبي باسماء فرنسوية · وقد علقت المجلة على ذلك قولها « ومهما يكن من صواب هذا العمل فلا يسعنا الأ القول ان التمادي في تغيير اسماء الاعلام المشهورة خطأٌ في خطإٍ · لذلك نأمل حرصاً على الدقة الجغرافية أن لا تطبق هذه الفكرة تطبيقاً عامًّا تفادياً من التشويش والارتباك »

معرض غريب مفيد

اقاموا في مقاطعة لستر من انكلترا معرضاً غريباً مفيداً الغرض منهُ بيان الآفات الكثيرة التي يستهدف لها الاطفال على امل مقاومتها وانقاذهم منها · فقد مثلوا وفيات الاطفال على اختلاف اعمارهم باعمدة خشبية صغيرة نصبوها الواحد بجانب الآخر · فالعمود الذي يمثل متوسط وفيات الاطفال من ولادتهم الى آخر السنة الاولى من عمرهم علوهُ ١١ قدماً في حين ان العمود الذي يمثل متوسط وفياتهم بين الشهر الخامس والعشرين من سنهم لا يزيد علوهُ على $\frac{3}{4}$ ٢ البوصة · وبمثل ذلك قابلوا بين قيمة لبن الام ولبن البقر واللبن المجمد بالوسائل الصناعية في غذاء الاطفال · وكذلك اخطار الذباب في نقل عدوى الامراض

الجعلان المصرية

نشر بيان لمجموعة الجعلان التي جمعها اللورد غرنفيل سردار الجيش المصري سابقاً مدة اقامتهِ في هذا القطر وهو يتضمن صوراً ورسوماً كثيرة · وقد جاء فيهِ ان رسم

اللولب الذي يرى على الجعلان يرمز الى الحياة وان السمكة رمز الاله ايسس والخصب وقد استعملها المسيحيون القدماء بعد تنصرهم لانهم لم يروا جناحاً في استعمال رموز وثنية

اقتصاد القطن في المانيا

لما ضيق نطاق الحصر البحري على المانيا حاول الالمان استبدال القطن لصنع الذخيرة ببعض المواد النباتية فلم يفلحوا على ما يظهر ولكنهم افلحوا في استخدام بعض المواد كرب الورق واللغنين (اي المادة الخشبية في النباتات) ضمادات للجروح فوفروا بذلك بعض القطن لصنع الذخيرة وفي برلين شركة تبيع اللغنين الرطل بنحو غرش ونصف لضمد الجروح. ومن افضل الضمادات مادة معروفة باسم «سفاجنم» استعملت ضمادات للجروح في انكلترا والمانيا قبل الحرب وهي نوع من الطحالب كثير الخلايا والانابيب الدقيقة يمتص من الماء في حالته الطبيعية تسعة اضعاف ثقله فاذا جف زادت قدرتهُ على الامتصاص وهو شديد النعومة كثير الخفة يجمع من المستنقعات ويجفف على الصخور حتى يبيض ثم ينظف ويعقم

السم للذبان

ثبت الآن ان الذبان اعدى عداة الانسان . والهمة مبذولة لاستئصالها باية وسيلة كانت . وقد ذكرت مجلة جنوب افريقية العلمية مزيجاً يستأصلها وهو مصنوع من رطل من زرنيخيت الصوديوم (وهو سام جداً) وعشرة ارطال من السكر وثمانين رطلاً من الماء . يذاب الزرنيخ والسكر في الماء وينضح المذوب بمضخة على كوم الزبل واغصان الاشجار فتحوم عليهِ الذبان وتموت حالاً . وهذا المزيج رخيص الثمن شديد الفعل

اكبر بيانو

في التياترو المعروف بتياترو الامبراطورية في مدينة لندن اكبر بيانو في المسكونة فان فيهِ ٥٢٢ مفتاحاً ويضرب عليهِ ستة في وقت واحد وهو مصنوع في اميركا بلاد الغرائب

الغابات في اميركا الشمالية

كانت مساحة الغابات في الولايات المتحدة الاميركية قبل دخول البيض اليها نحو ٨٠٠ مليون فدان فيها نحو ٢٠٠ الف مليون قدم من الخشب فلم يبقَ منها الآن سوى ٥٥٠ مليون فدان فيها نحو ٢٩٠٠ مليون قدم من الخشب . ومن هذا القدر ٧٦ في المئة ملك الافراد والباقي ملك الحكومة . ويقدر ما يقطع من الاشجار كل سنة بمبلغ ٤٣ بليون قدم فاذا دام الحال على هذا المنوال ولم تزرع اشجار جديدة مكان المقطوعة نضب مورد الخشب الاميركي في ٦٥ سنة

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والاربعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ — الموافق ٣٠ رجب سنة ١٣٣٤

المقتطف والمجمع اللغوي العربي

اتم المقتطف في آخر ابريل الماضي السنة الاربعين من انشائهِ وكان جمهور من رجال العلم والادب واهل الفضل والنبل قد رغبوا الينا ان يعقدوا في ذلك اليوم جمعية عمومية يتصدرها اعلام الشرق واقطاب اللغة العربية الشريفة لاقامة احتفال عظيم يليق « باقدم مجلة شرقية وشيخ المجلات العربية » كما تفضل رصفاؤُنا الكرام اصحاب المجلات العربية فلقبوا المقتطف . فشكرنا فضل اولئك الافاضل واعتذرنا بان عملنا لا يستحق منهم هذه العناية ولما الحوا علينا في القبول استأذناهم في تأجيل ذلك الى الزمن الذي يصفو فيهِ الدهر من هذه الاكدار وترتاح النفوس الى مثل هذا الاحتفال وتدول دولة الحرب وتعود دولة السلم وترتفع فيها رايات العلم فقبلوا هذا الاعتذار واجلُّوا الاحتفال حتى تشاء الاقدار

ولكن الصديق القديم العهد الخالص الود الغيور على رفع منار العلم والادب الاستاذ الفاضل اسمعيل بك عاصم ابى الاَّ ان ينجز وعداً وعدهُ منذ ثمانية اعوام حين احتفل في منزلهِ بمضي عشر سنين على مجلة المنار وهو انْ يحتفل « بشيخ المجلات العربية » حين اتمامهِ السنة الاربعين من عمرهِ . وقال ان كان صاحباهُ يعتذران الآن عن قبول حفلة عمومية فلا يسعهما الاعتذار عن قبول دعوتي والحضور في وليمتي حيث ابرُّ بوعدي واهنئهما في منزلي تهنئة خصوصية تكون على الاقل مقدمة وتمهيداً لتلك الحفلة العمومية . فشكرنا جميلهُ وقبلنا دعوتهُ على ان تكون الحفلة للمجلات العربية عموماً ويكون المقتطف من الجملة . وعليهِ دعا الدعوة التي افضت الى تحريك الهمة لانشاء مجمع لغوي عربي او اكاذيمية عربية كما يرى القراء الكرام في وصف هذه الحفلة بقلم حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب

المنار . والى الاعتناء بامر التمثيل العربي حتى يخدم العربية مع المجلات والجرائد ويقوّم اود اللغة العامية . وقد وعد حضرة الاستاذ الفاضل اسماعيل بك عاصم ان يبتدئ ذلك بتمثيل رواية عربية من انشائهِ يخص دخلها بجمعية الهلال الاحمر

المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامنية وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المقتطف سن الاربعين من حياتهِ المفيدة

طالما تشوقت انفس اهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة بلسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي تقتضيها حال هذا العصر . وطالما تحدثوا بهذا في انديتهم وسمارهم . وكثيراً ما هموا ولم يفعلوا . وما اقدموا ثم احجموا وما بدأوا ثم لم يثبتوا . وقد كان عدم تيسر المكان اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوهُ وتحدثوا بشأنهِ عن مواصلة المذاكرة فيهِ ومعاودة الاجتماع لاجلهِ . فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من مدرسة دار العلوم ناديهم منذ سنين قليلة تعلقت آمال كثير من الناس بهم . وكان اختيار حفني بك ناصف رئيساً لناديهم مقوياً للرجاء فيهم ثم ما عتم هذا النادي ان خبت نارهُ . واطفئت انوارهُ . ولكن بعد ترك حفني بك لادارتهِ ومغادرتهِ مدينة القاهرة مرتقياً في منصبهِ

لاح لنا امس بارق امل جديد عسى ان نصل في نورهِ الى ما نريد . فيكون ذلك من بركات المقتطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المقتطف في مثل هذا اليوم (اول مايو) من سنة ١٨٧٦ فتم لهُ امس اربعون سنة . وقد كان مما يخطر ببال كثير من اهل العلم وانصار النهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمقتطف يحتفلون بهِ الاحتفال اللائق بخدمتهِ للعلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الأ بحياتها العلمية والفنية ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كلهُ في مأتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمقتطف صديقنا الاديب الخطيب الشهير اسمعيل بك عاصم المحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات العامة لا يمنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة فاعد امس في دارهِ الزاهية مأدبة لصاحبي المقتطف دعا اليها

صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وصاحبي السعادة يحيى باشا ابرهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية وبعض اصحاب المجلات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار المتألقة بالانوار فكانت سامراً علميًّا من ارقى السمار افتتحها حضرة صاحب الدعوة بهذه الابيات

يا بدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
حاكت الافلاك داري حين حياها نداكم
فاقبلوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جلها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية العلوم والفنون تحلقوا حول تلك المائدة فاصابوا مما طيف عليهم بهِ من الوانها الفاخرة ثم نهض الداعي الوفي الكريم فالقى خطبة نفيسة في الثناء على المقتطف المفيد وعلى منشئيهِ الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر بيَّن فيها خدمتهُ الجليلة للعلم والعربية وذكر انهُ انشئ في بيروت ثم جذبتهُ مصر اليها وذكر مقالتين نشرتا في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلّى فيها كمالهُ مقالة في عمل الزجاج ومقالة في القمر وتشكلهِ منذ يبدو هلالاً الى ان يكون بدراً كاملاً . وكذلك كان المقتطف فانهُ كالزجاج في صفائهِ وبهائهِ وهو كالقمر بدأ هلالاً ثم صار بدراً كاملاً واسأل الله حفظهُ من المحاق

ثم ذكر بدء معرفتهِ لمنشئي المقتطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلهما واخلاقهما ما هو معروف واشار في خطابهِ الى ما سبق من احتفالهِ المشكور ببلوغ مجلة المنار عشر سنين وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المقتطف بالسبق في خدمة العلوم ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الاكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها

ورد في الحديث الشريف «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك على وصفهِ المقتطف بانهُ المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت بهِ من خدمة العلم فذكر المنار وقرنهُ بالمقتطف وقال ان للمقتطف فضيلة السبق واني اعترف لهُ بذلك كما اعترف لابن معط ابن مالك اذ قال في فاتحة الالفية :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

نعم انا اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم وازيد على ذلك الاعتراف بانني قد استفدت من المقتطف من اول عهدي بطلب العلم ولا ازال استفيد منهُ . انني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك اول عهدي بطلب العلم رأيت استاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركاً في المقتطف ومواظباً على قراءتهِ فكانت تلك اول معرفتي بالمقتطف وصرت استعيرهُ بعد ذلك واقرأهُ فاستفدت من مباحثهِ فوائد عقلية وصحية واجتماعية ولا ازال اعتمد على ما يكتبهُ في معرفة اطوار التجدد العلمي العصري

ان المقتطف في نظري مدرسة جامعة سيَّارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيهِ . فانَّ الذين يتعلمون مبادىء العلوم العصرية يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد الغربية . ولا سبيل الى هذا الاَّ بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الاَّ لبعض الاغنياء المتقنين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمقتطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنهُ قراء العربية

من حق المقتطف على الامة العربية ان تحتفل بهِ في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الخمسين من حياتهِ النافعة

احتفل فريق من المصنفين ببلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمقتطف عشرات من الاحتفالات . كان على مروجي الصناعة ان يقيموا للمقتطف مثل هذا الاحتفال لا لان لهُ مطبعة اخرجت للناس من المطبوعات النافعة ما لم يخرجهُ غيرها فحسبُ بل لان للصناعة باباً في المقتطف فهو مرشد لترقيتها بجميع فروعها . وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا لهُ احتفالاً آخر لان للزراعة باباً فيهِ مثل باب الصناعة . ومثل هذا يقال في كل علم وفن ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الليلة صورة مجملة لما يجب على الامة مفصَّلاً

ان اكبر منقبة للمقتطف ومنشئيهِ انهما حجة اللغة العربية على من يتوهمون انها لا تتسع لجميع العلوم العصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكبيران تعلما العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فافادا العلم ما لم يفدهُ احد من المتعلمين منا باللغات الاجنبية

هذا ملخص ما قلتهُ . ثم ألقى احمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المقتطف ومنشئيهِ

في خدمة العلم باللغة العربية افتتحها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين وهو ما يطلب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام وفرض كفاية وهو ما اذا قام بهِ بعض الافراد سقط الطلب عن الباقين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معايشهم) . وقال ان صاحبي المقتطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون . ثم ذكر اول عهدهِ بالمقتطف وانهُ ارسل اليهِ سؤالاً الى بيروت ثم عهدهُ برؤية منشئيهِ وما يحمد من صحبتهِ لهما

وقام ايضاً الشاب النجيب اميل افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء فاثنى على المقتطف وذكر انهُ تلميذ لتلاميذ منشئيهِ العلامتين وذكر ان والدهُ وهو استاذهُ الاول كان تلميذهما وكذلك كان اساتذتهُ في المدرسة الكلية من تلاميذهما

ثم قام صاحب مجلة المفتاح الغراء توفيق افندي عزوز فخطب خطبة اثنى فيها على المقتطف بما هو اهلهُ وذكر استفادتهُ منهُ كغيرهِ وقال ان منشئيهِ العلامتين الفاضلين قد افادا باخلاقهما كما افادا بمجلتهما فهما باتفاقهما وتكافلهما واخائهما قدوة صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو اعظم عائق لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام العلامة الدكتور فارس نمر فالقى خطاباً بليغاً قال في فاتحتهِ انهُ بلسانهِ ولسان شريكهِ واخيهِ الدكتور صروف يشكر اولاً لسعادة اسماعيل بك عاصم عنايتهُ بهذه الدعوة ويعتب عليهِ انهُ جعلها بصورة احتفال ومما قالهُ :

ان حضرة رب هذه الوليمة شرف ادارتنا منذ بضعة ايام وهنأنا بمرور اربعين عاماً على مجلتنا المقتطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وارباب المجلات العربية الذين دعاهم احتفالاً بذلك فابنا لحضرتهِ ان الوقت لا يصلح للاحتفالات ولا خدمتنا تستحق هذه العناية ولكن ابت مكارمهُ ومكارمكم ايها السادة الآن تخصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان تتحفونا بهذا المدح الذي لا نستحقهُ فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه الدار ولدولة الوزير الكبير رئيس الوزراء ولمعالي وزير المعارف ولفضيلة مفتي الديار المصرية ولسعادة رئيس الاستئناف الاهلي ولسعادة سكرتير مجلس النظار وسائر الذين تكرموا بالثناء على المقتطف وذكروهُ بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراماً لهُ جزيل الشكر من هذين العاجزين

ثم قال ان المقتطف وان كان قد انشىء في القطر السوري فقد كان معظم انتشارهِ في القطر المصري وقد لقي من اعاظم مصر اعظم عضد وارحب صدر حتى ان وزير مصر الشهير المرحوم رياض باشا كان يكاتبهُ منذ بدء انشائهِ ولما نقلناهُ من سورية الى مصر رحب بهِ رحمهُ الله كما رحب بهِ الوزير الكبير شريف باشا والعالم المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من اعاظم مصر واكابر علمائها . والامل وطيد ان خدمة المقتطف على ما بها من الضعف تجد من تأييدكم ايها السادة ما يقويها ويزيدها اضعافاً مضاعفة بموازرة سائر المجلات والجرائد العربية في عصر مولانا السلطان المعظم الذي حق لنا ان نباهي بهِ سلاطين الشرق والغرب معاً على حبهِ للعلم واكرامهِ للعلماء ورغبتهِ في اعلاء منار الادب وغيرتهِ على نشر المعارف وجودهِ في سبيل التربية ادامهُ الله للامة العربية فخراً وادامكم للغة العربية ذخراً

ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية افضت الى الكلام في شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليَّ ان اخصص مكاناً من دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلديَّ الآن في المكتبة مكان لائق كانت الجرائد ذكرت اننا فرشناهُ واعددناهُ لراغبات المطالعة من السيدات وليس عندنا سيدات يغشين دار الكتب للمطالعة فنعد لهنَّ مكاناً

فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوهُ بالثناء ورأوا ان قد زالت بهِ عقبة من عقبات الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكانتهُ من النفوس في اول هذه المقالة وزادهم سروراً ما رأوهُ من ارتياح الوزير الاكبر وزير المعارف للشروع في تأسيس المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية وارجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر بتأسيس هذا المجمع بالفعل

وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مثنين على رب المنزل اطيب الثناء

محمد رشيد رضا

الشيخ ابراهيم الحوراني

حملت الينا انباء سورية عن طريق اميركا نعي العلامة الكبير والكاتب الشاعر الشهير المأسوف عليهِ المرحوم الشيخ ابراهيم الحوراني . توفاهُ الله في مدينة بيروت في اواخر شهر يناير الماضي ولهُ من العمر نحو سبع وسبعين سنة قضاها كلها في خدمة العلوم والمعارف والتعليم ونظم القصائد البليغة وانشاء المقالات الرنانة والقاء الخطب الشائقة ووضع المصنفات المفيدة وترجمة الكتب النافعة في كل فن ومطلب

ولد الفقيد في مدينة حمص وترعرع في دمشق وطلب مبادىء العلوم في مدرسة المرسلين الاميركيين في عبيه احد قرى جبل لبنان ثم غادرها الى دمشق وانقطع فيها للدرس والمطالعة وأكبَّ على تحصيل العلوم النقلية والعقلية والرياضية والطبيعية فحذقها وتضلع منها وبلغ من البراعة فيها والوقوف على اسرارها مبلغاً بعيد الشأو عزيز المنال

وما عتم بعد ذلك ان برح دمشق وامَّ بيروت حيث عين استاذاً في المدرسة الكلية الاميركية لفنون اللغة العربية ومن ذلك الحين اخذ طائر صيتهِ يحلق في سماء سورية ومصر والعراق وغيرها من الاقطار العربية فاتسع نطاق ذكرهِ وشجت اعراق شهرتهِ وعلت منزلتهُ بين العلماء والشعراء وارتفع شأنهُ عند طلاَّب المعارف والآداب فاقبلوا عليهِ من كل حدب وصوب يستضيئون بنبراس علمهِ الزاهر ويغترفون من بحر ادبهِ الزاخر حتى اصبح بيتهُ في رأس بيروت منارة ادب وعرفان وكعبة علمٍ يحج اليها العلماء والمتعلمون من كل مكان وناديًا ادبيًا حافلاً باخدان النشأة واخوان النهضة على اختلاف النحل والملل

وما انس لا انس تلك الليالي السارة التي تقضت في ذلك البيت الكريم وكان سمارها نخبة علماء بيروت وشعرائها وادبائها فكم انعقد لهم فيها من حفلات الانس والطرب ومجالس العلم والادب . وكم شهدوا ثمَّ من مطارحات علمية ومساجلات شعرية تخللها ما شاؤُوا من المفاكهات والمطايبات . وفي كل منها كان شيخنا المأسوف عليهِ واسطة عقد الحضور وقطب دائرة الجلوس يهش بوجوه زائريهِ ويبش ويشنف آذان سامعيهِ بالملح المستطرفة واللطائف المستظرفة ويتحفهم بالفوائد العلمية واللغوية وينشدهم من شعرهِ القديم ما يزري بالدر المنظوم ويبادههم من مرتجلاتهِ بما هو اشهى من الرحيق المختوم

وفي سنة ١٨٨٠ اعاد المرسلون الاميركيون في بيروت اصدار جريدتهم المعروفة

بالنشرة الاسبوعية وولوا فقيدنا رئاسة كتابتها وناطوا بهِ علاوة على ذلك ترجمة وتصحيح الكتب الدينية والادبية التي كانت تطبع في مطبعتهم · وظل الى قبيل وفاتهِ قائماً بهذه الاعمال كلها و بغيرها من الاعمال الاخرى التي لم يكن للمرسلين الاميركيين علاقة بها كالتعليم والتأليف ونظم الشعر والقاء الخطب وغير ذلك

ولهُ على الخصوص في مجلدات النشرة الاسبوعية التي صدرت في هذه السنين الطويلة ما لا يحصى من المقالات والقصائد والخطب التي تشهد لهُ بطول الباع وسعة الاطلاع وغزارة المادة وتوقد الذهن وذكاء القريحة وسرعة الخاطر وقوة الحجة والتبريز في حلبة النظم والنثر

وكان رحمهُ الله من اكبر الثقات في اللغة العربية متبحراً في فنونها ومتعمقاً في آدابها ومتضلعاً من فلسفة الفاظها ومعانيها ومتفرداً باستيعاء قيودها وضوابطها واستيعاب شواردها ونوادرها · ولهُ في ذلك مباحث جليلة ومقالات ممتعة تدل على علو كعبهِ وشدة نبوغهِ وتفوقهِ · وكان في مقدمة الساعين في ترقية لغة الكتب والصحف واصلاحها والنهوض باساليبها وتعابيرها من حضيض الابتذال والضعف والركاكة الى يفاع الصون والصحة والمتانة

ومما يريك شدة عنايتهِ بهذه الامور انك تطالع كل ما خطهُ يراعهُ شعراً ونثراً فتراهُ حافلاً بالتراكيب البليغة والالفاظ الفصيحة الصحيحة التي لا يمكن العثور في كتب اللغة على ما يكون اوفى منها بتأدية المعنى الذي ارادهُ · ولهُ الفاظ كثيرة وضعها لمعانٍ جديدة ومسميات مستحدثة فاخذها عنهُ الكتاب والشعراء

ومن مصنفاتهِ في آخر حياتهِ كتاب مطول في علم المنطق جمع فيهِ بين ما وضعهُ مناطقة العرب ومناطقة الافرنج فجاء احدث وانفس ما أُلف في هذا الفن

وجملة القول ان فقيدنا بل فقيد الشرق كان نابغة دهرهِ ونسيج وحدهِ ومن اكبر شعراء عصرهِ وفي طليعة جهابذة اللغة العربية البارعين في العلوم الرياضية

وكان فكهاً طروباً حلو الحديث رقيق الجانب لين العريكة حسن المحاضرة لطيف المعاشرة · رحمهُ الله عداد حسناتهِ وعزى نجليهِ الكريمين وكريمتهُ المصونة وسائر آلهِ وذوي قرباهُ

مصر اسعد داغر

[المقتطف] سننشر خلاصة من آثار الفقيد العلمية والادبية تدلُّ على منزلتهِ الرفيعة بين الشعراء والمنشئين وارباب الحجى وما لهُ من الفضل على تلامذتهِ ومريديهِ

السبيرتسم وعلاقتهُ بالجنون

المقالة الثانية

بحثنا فيما سبق في ظواهر السبيرتسم وتأثيرها في اصحاب الانحراف العصبي والاستعداد الوراثي ووعدنا ان نبحث في هذه المقالة في علاقة السبيرتسم بالجنون. وبما ان المسئلة خطيرة واهميتها كبيرة من الوجهتين العلمية والاجتماعية فكل ما نقررهُ هنا يُسند الى العلماء الاختصاصيين بالامراض العصبية الذين انصرفوا الى درس هـذا الموضوع درساً خاصاً واخصهم الدكتور مارسل ڤيولت ونضرب صفحاً عن المشاهدات الشخصية التي تسنى لنا وبتسنى لكل طبيب ان يشاهدها في ممارستهِ فيقوم البرهان على دعامة من العلم ثابتة يصعب نقضها

كثيراً ما يتخذ الهذيان في ذوي الاختلال العصبي او المجانين حالة سبيرتية بدون ان يكون منشأهُ السبيرتسم وبدون ان يحضر المريض جلسة من جلساتهِ او يعرف شيئاً عنهُ وهذا ما يسميهِ علماء الامراض العصبية بالمرض السبيرتي او بالجنون السبيرتي وهو يشبه بظواهرهِ الهذيان الذي ينشأ من السبيرتسم مباشرةً بحيث يصح ان يطلق عليهِ اسم جنون الوسيط وبعبارة اخرى ان الجنون السبيرتي وجنون الوسيط اسمان مترادفان لمرض واحد

يقسم الجنون السبيرتي الى ثلاثة اقسام وهي مرض الوسيط والجنون والسوداء ولكل منها اعراض وصفات خاصة يمتاز بها كما تمتاز الامراض العمومية بعضها عن بعض

(١) مرض الوسيط — اذا اخذنا مرضاً عمومياً كالحمى التيفويدية رأينا انها تحصل من وجود مكروب خصوصي في الجسم يفرز سمًّا خصوصيًّا ويحدث عللاً خصوصية على سطح الامعاء الاَّ ان اعراضها تختلف باختلاف قوة المصاب وبنيتهِ وسنهِ وعاداتهِ ونوع معيشتهِ واستعدادهِ فيشفى البعض ويموت البعض الآخر مع ان السبب واحد والعلاج واحد

ومثلها الامراض الدماغية فان لها اعراضاً خصوصية في بداءتها وسيرها ونهايتها ولكنها تختلف باختلاف مزاج المصاب وطبعهِ وميلهِ واعتقادهِ وعلمهِ وسعة عقلهِ فيكتسب الهذيان فيها صبغة خصوصية تدل على بعض ذلك او كلهِ فاذا كان الاضطهاد مثلاً صبغة لهذيان المريض عزاهُ الكاثوليكي الى الشيطان والجاحد الى الجزويت والمدني المطمئن الى اعدائهِ وقس عليهِ ولهذا يقول الدكتور مارسل ڤيولت انهُ لا يوجد جنون سبيرتي محض بل جنون ذو صبغة سبيرتية وقد قسمهُ الى قسمين الاول الجنون الذي يظهر في ذوي الاستعداد الوراثي فتظهر فيهم نوب الهذيان بعد اشتغالهم بالسبيرتسم او بعد ترددهم الى جلساتهِ والثاني

الجنون الذي لا يتولد من السبيرتسم راساً بل يكتسب منهُ الصبغة السبيرتية · اما الاول فمن انواعهِ ما يكون الهذيان فيهِ متقطعاً وقابلاً للشفاء ومنها ما يكون نتيجة علل دماغية غير قابلة الشفاء وفي كلا الحالين تبقى اعضاء الجسم سليمة لا تتصل اليها الانحرافات الدماغية ولا يخشى منها على حياة المصاب الاَّ ما كان من قبيل الانتحار و يرجع ما بينها من الفوارق الى نمو العقل فيكون الهذيان في البعض مشوشاً وفي البعض الآخر منظماً او مبرقعاً بظواهر منطقية معقولة والى الاميال الشخصية فيكون بعضهم شديد الحزن والكآبة والبعض الآخر متكبراً كثير الادعاء والخيلاء والبعض سريع التأثر والانفعال

قلنا فيما سبق ان حالة السبيرتي تشبه الحالة في الاختلاط الذهني و بيَّنا صلة القربى ورابطة الاتصال بينهما ونقول الآن ان الاختلاط الذهني قد يتولَّد في البعض بدون ان يرافقهُ الهذيان فيدرك المصاب انهُ في حالة غير طبيعية و يستطيع الحكم بان ما يشعر بهِ هو شعور كاذب فلا يعلق عليهِ اهمية · وهذا اخف انواع الاختلاطات الذهنية وهو نادر لان كل اختلاط ذهني اذا تكرر حدوثهُ آل الى الهذيان اذ يضطرب بال المصاب بهِ و يفقد راحتهُ و يوجس على صحتهِ ولاسيما على سلامة عقلهِ فيقول بنفسهِ ولذويهِ انهُ على ابواب الجنون او لا بد من ان يجن لان الاصوات الوهمية التي يسمعها لا يمكن ان تصدر من دماغ سليم · وهو مصيب في ذلك لان ملابسة هذا الانحراف الذي يتكرر بتكرار سببهِ تسبب لهُ كدراً تمازجهُ افكار وتصوراتٌ سوداوية و يؤُول الى هذيان سوداوي حقيقي يساعد على ذلك الحالة العمومية التي تسوءُ كثيراً من الارق وفقد شهية الطعام فتنحط القوة و يضعف الجسم ومن ثم يضعف العقل فتضعف قوتهُ على مقاومة الهذيان

قلنا ان هذا النوع نادر والغالب ان يجهل المصاب حالتهُ الاختلاطية وان يبقى معتقداً بسلامة عقلهِ وبصحة ما يجول في ذهنهِ من الالفاظ لان الاختلاط الذهني يظهر فيهِ فجأَةً و يبدأُ غالباً بحاسة السمع وهذا هو الاختلاط الذهني السبيرتي بمبناهُ ومعناهُ فيبتدئ من اول يوم من اصابتهِ يسمع اصواتاً تشبه اصوات القرع الخاص بظهور الارواح ويسمعها صادرة من اثاث البيت او من جدار الغرفة ثم يأخذ يتفهم معناها فيستعمل واسطة السبيرتيين المألوفة اي التهجئة و يحسب ذلك وحياً هبط عليهِ وموهبة خصوصية توَّهلهُ لان يكون وسيطاً لان الارواح صارت تخاطبهُ بلغتها فيسر اولاً بهذه الموهبة و يوجه كل ذهنهِ واهتمامهِ اليها للتمكن منها والوصول الى امور جديدة عنها · ومن الطبيعي ان هذا الاهتمام الزائد يؤَدي الى نمو الاختلاط الذهني السمعي بسرعةٍ فلا يطول الوقت حتى يصير يسمع

اصواتًا حقيقية ولكنها لا تلبث طويلاً حتى تصبح مكدرة ومزعجة لانها تكون على الغالب اصوات اهانة وتهديد تكدرهُ وتغيظهُ او اصوات شتائم وبذاءة تمس شرفهُ وبعد مرور مدة على هذه الحالة يأخذ يردُّ عليها فتزداد وضوحًا وتصبح الكلمات المتقطعة جملاً بحيث يقع حديث طويل عريض بينهُ وبينها وكثيراً ما يقع ذلك ليلاً فينتج منهُ ارق متواتر ومزعج ينهك المصاب ويضنيه. ومتى بلغ هذه الدرجة يكون قد رسخ الهذيان فيهِ فتتغير اطوارهُ ويستولي عليهِ الجزع لاعتقادهِ ان عدوًّا يطاردهُ فيقيم في بيتهِ وسائل الدفاع عن نفسهِ فيقفل الابواب والشبابيك والنوافذ ويسدّ اذنيهِ بالشمع ويغطيها بغطاء من الرصاص ويحاول المقاومة ما استطاع اليها سبيلاً لصدّ مضطهديهِ فيفشل

ثم يتسرب الهذيان شيئًا فشيئًا الى حياتهِ الخاصة فيستولي على افكارهِ ويتسلط على اعمالهِ ويوجب عليهِ الاذعان الى ما يأمرهُ بهِ يذكرهُ بماضيهِ ويفضح اسرارهُ ويقبح اعمالهُ فيصبح تحت تأثير الانفعال الدائم ويزيد وسائل الدفاع ويجاوب تارةً على الشتائم والهزء والتهديد بمثلها ويحاول اخرى ان يتصالح مع مضطهديهِ فيسترضيهم بالرجاء والاستعطاف ويعترف لهم بخطاياهِ ويعدهم بالندامة على كل سيئاتهِ الماضية فيخيب سعيًا لان الاصوات تجاوب على التملق بالشتيمة وعلى الاستعطاف بالتهديد وعلى الوعد بالاستخفاف فيتميز غيظًا ويغضب ويبتدئ يتلفظ الفاظًا سمجة وبذيئة لم يعتد التلفظ بها في حالتهِ السابقة

ومتى بلغ المصاب هذه الدرجة لا يندران تشترك المراكز الحسية الاخرى في العمل الانفعالي الدال على زيادة الخلل الدماغي وتقدمهِ. اما هذيان الحس البصري فنادروأما الذوقي والشمي وهذيان الحس العام فكثيرة الحدوث فيشمُّ المصاب الروائح الكريهة ويستنكر طعم المآكل ويعتقد انها مسمومة ويشعر ببخار كهربائية على جسمهِ تلذعهُ وتعذبهُ. فيقول ان كل ذلك من عمل الارواح التي تتعمد اذاهُ فيحاول الدفاع عن نفسهِ منها بحرق الطيوب ونشر بخار العطور في غرفتهِ وغسل اللحوم قبل اكلها ورفض كل طعام لم يطهرهُ بنفسهِ والتحوط بالقطن والاسلحة

ثم يتحول من الدفاع الى الهجوم كما حصل في حادثة حرق فيها المصاب بيتهُ بما فيهِ من الخدم لكي تحترق معهم الارواح التي تضطهدهُ. وهي حادثة مشهورة وليست الوحيدة في بابها وحصول مثلها ليس بنادر. وكثيراً ما يتخذ للدفاع طرقًا مستهجنة ومنها ان يحرق كبريتًا في غرفتهِ وان يبقى مقيمًا فيها معرضًا للاختناق لكي يزعج الارواح التي تضطهدهُ او ان يعذب جسمهُ عذابًا مبرحًا لكي يوصل الالم الى الروح التي تسكن فيهِ وتمسّ عليهِ

ان النفور من هذه الحياة المعذبة يدفع المريض الى اعمال اقبح مما ذكر لانهُ بعد ان

يقنط من عجزهِ عن مقاومة الارواح يتحول الى القاء التهمة على من يعاشرهم من اهلهِ وخدمهِ وجيرانهِ وعلى الحكومة التي تتساهل وتغض الطرف عن اعمال المعتدين والبوليس الذي لا يدافع عن الناس الاخيار والطبيب الذي لا يداوي والوسيط الذي يشجع الارواح الشريرة و يوجهها ضدهُ . وقد يتجاوز من الاتهام الى القتل فيقتل جارهُ بتهمة انهُ يؤجر بيتهُ للارواح الشريرة وقد يقتل عابر سبيل او شخصاً لا يعرفهُ ولا علاقة لهُ بهِ بدون تعمد سابق لان صوتاً اوحى اليهِ ان لذلك الشخص اشتراكاً مع الارواح (انظر حادثة العالم الجاني في الجزء الماضي)

ومع ذلك فقد يدخل في عمل الاختلاط الذهني بعض الحلو على مرارة العيش وتتحول الاصوات من الشتيمة والاهانة والتهديد الى التنشيط والتعزية والملاطفة اي يعتقد ان ارواحاً صالحة اتتهُ كما اتتهُ قبلاً الارواح الشريرة فيصير يرى صوراً جميلة وروحانية يخيل اليهِ انها مرسلة اليهِ من السماء وهي على الغالب لا تكلمهُ الأ ان انظارها وحركاتها معزية ومشجعة وظهورها يملأ صدرهُ حبوراً وقلبهُ عزاء وهي بالحقيقة تدل على اشتداد الخلل الدماغي

لا تصل تلك الحياة التعيسة الى هذه الحالة الأ والقوى العقلية ضعفت وانحطت واصبح المريض آلة لا عقل لها لان الروح اذا اوحت اليهِ انهُ وسيط او ذو مواهب سامية او انبأتهُ بمستقبل باهر مال بكليتهِ الى تصديقها واذا اوحت اليهِ عكس ذلك انكر عليها وكذبها لانهُ يميل طبعاً الى تصديق ما يسرهُ و يرضيهِ اكثر من تصديق ما يكدرهُ و يغيظهُ فضلاً عن انهُ يعتقد ان اهتمام الارواح بمعاكستهِ دليل على اهميتهِ وعظمتهِ وان اهتمامها لا يبلغ هذا الحد لمعاكسة من لا اهمية لهُ وهكذا ترسخ افكار العظمة فيهِ شيئاً فشيئاً وتنتهي بعد طول المدة بمحو تصورات الاضطهاد

ظهر مما تقدم ان مصدر الهذيان الذي يزعج المصاب و يكدر عيشهُ هو خارجي اي ان المصاب يسمع الاصوات صادرة اليهِ من شخص آخر خارج عنهُ وهذا ما يسمونهُ بمرض الوسيط الخارجي . على ان من الاختلاطات الذهنية ما تبدأ ظواهرهُ في المصاب نفسهِ فتكون باطنية اي انهُ يسمع كلام الشتم والاهانة من دماغهِ او من الروح الذي يلابسهُ و يطلق على هذا النوع اسم مرض الوسيط الداخلي وهو من هذا القبيل يشبه حالة المسكون من ابليس في الاعصر القديمة . وهذه هي الملابسة الدالة على ازدواج الشخصية الباطني وهي الدرجة الاولى من سلمها وقد يقف المريض عندها او يتدرج منها الى ان يبلغ احط درجة من الانحطاط العقلي ولا يندر ان يبلغ هذه الدرجة دفعة واحدة

تبدأ ظواهر الملابسة بالاستهواء الباطني وهي تختلف عما سبق بان الكلام لا يصاغ في

رأس المريض واذنهُ لا تسمعهُ بل يطرأُ عليهِ فكر سيئ بوجوب القيام بعمل منكر فيطرده اولاً لانهُ ليس من امياله وعاداته ويرى ان هذا ليس فكرهُ بل فكر الارواح التي تحاول ان تثلم صيتهُ وتدنس شرفهُ وتبعثهُ الى السجن او تقودهُ الى المشنقة وانهُ سعيد الطالع وحسن الحظ لتمكنهِ من مقاومة هذا الفكر السيئ وعدم ارتكاب الفعل القبيح الذي يوعز بهِ

ويشتد الاستهواء الباطني في بعض المصابين حتى تصعب مقاومتهُ او تستحيل فيغضب المصاب اولاً لانهُ يستطيع ان يقدر ما ينتج عنهُ من العواقب السيئة الاَّ انهُ لا يستطيع الى المقاومة سبيلاً فيظهر فيهِ عندئذٍ اضطراب يتفاقم شيئاً فشيئاً كلما تأخر عن اجراء العمل الذي استهواهُ ويشعر كأَنَّ طوقاً من حديد يطوّق رأسهُ وتظلم عيناهُ ويخفق قلبهُ ويضيق صدرهُ ويحس بضغط على عنقهِ يكاد يخنقهُ وقد يبلغ اضطراب المصاب من هذه الأعراض درجةً تضمحل معها كل قوة على المقاومة فيندفع الى اجراء العمل الذي استهواهُ ويشعر بالراحة بعد اجرائهِ . ولهذا الاستهواء درجات كثيرة يختلف العمل باختلاف تقدمها من الملابسة البسيطة التي تبدأُ بالتفوه بالكلام السمج الى عمل الاعمال المنافية للادب الى ارتكاب السرقات والحرائق والقتل حتى الى ارتكاب الاعمال التي فيها خطر على حياة المريض نفسهِ وفيها كلها يحاول المقاومة اولاً فيعقبها الضيق المزعج في الجسم والعقل فارتكاب الجرم فالراحة بعد ارتكابهِ . ولا يخفى ان هذه الظواهر لملابسة الارواح هي نفس الظواهر التي تظهر في الذين كان يقال انهم مسكونون

واذا تقدم المرض درجة اخرى عما ذُكر ظهر الاختلال الذي يسمونهُ الاختلاط الدماغي المحرك للكلام فيشعر المريض بان كلاماً يُفاهُ بهِ في باطنهِ بدون ان يسمعهُ وهو على الغالب كلام سفاهة وشتائم وتوبيخ واهانة ومشورات رديئة واوامر بعمل الشر او بالتلفظ بالفاظ بذيئة . ويحس بذلك في انحاء شتى من جسمهِ في رأسهِ وصدرهِ ومعدتهِ وبطنهِ . وقد شاهد الدكتور مارسل فيولت مريضاً بترت رجلهِ فكان يحس بها في قرمة البتر . وقد يقف الكلام في الحلق فيكون وقوفهُ صلةً بين هذا النوع من الاختلاط الذهني وبين الاختلاط الذهني المحرك للكلام لان وقوف الصوت في الحلق ينبه الشفتين الى الحركة او الى التكلم فتتحرك شفتا المريض بدون تلفظ او يتلفظ الفاظاً واضحة احياناً وغير مفهومة احياناً اخرى وبصوت منخفض احياناً وعالٍ اخرى وكل ذلك تابع لدرجة ازدواج الشخصية وليس للارادة سلطة عليها . وقد يفهم المريض ما يريد ان يقول وقد لا يفهمهُ الا بعد ان يتلفظ بهِ ويسمعهُ واذا تكلم بصوت عالٍ ومسموع كان صوتهُ أجشّ او اعلى من المعتاد والمألوف بحيث يخيل

عند مجاوبتهِ على الكلام الذي تخاطبهُ بهِ الارواح ان المخاطبة جارية بين اثنين مختلفي الصوت

وفي هذه الدرجة يرسخ الاعتقاد في المريض بملابسة الروح لهُ فيدعي ان الروح تسكن فيهِ او تقاسمهُ جسمهُ فيتكون منهما كائن مزدوج يتحرك قسماهُ بارادتين مختلفتين و ينازع احدهما الآخر نزاعاً شديداً

ومن اعراض هذا النوع من الاختلاط الذهني خلا ما ذكر الكتابة الانفعالية وهي ان يكتب المريض كتابة لا دخل للارادة فيها و يكتب كلاماً يجهل ما هو حتى يقرأهُ مخطوطاً على الورق . و بما ان الاضطهاد صفة ملازمة للاختلاط الذهني فما يكتبهُ يكون دائماً مكدراً لانهُ كلام اهانة وشتم وتوبيخ ونبوءات بالشقاء او بما يثلم صيتهُ و يهين شرفهُ و يجعلهُ مكروهاً من الناس او ابله او مجنوناً . ومن المرضى من يرسم رسوماً لا قيمة لها الاَّ بمقدار مهارة المريض السابقة وهي تسوءُهُ كما تسوءُهُ الكتابة لانها تدل على سفاهة وسوء ادب وتحط من مقامهِ وشرفهِ . ولا ريب ان اليد التي تجرّ القلم للكتابة او الرسم تعمل هنا العمل الذاتي الانفعالي وتنقل عن فيكتور هيجو كتابة فيها غلط هجائي وعن رافائيل رسماً لا قيمة لهُ وقد رأينا فيما سبق ان الكتابة الانفعالية واسطة الاتصال بالارواح التي يستعملها الوسيط الذي لهُ خاصة الكتابة السبيريتية فيستحيل ان تفصل هذه الظاهرة عن مثلها في المصابين بالاختلاط الذهني ورأينا ايضاً انها تظهر في المستعدين لها بعد ان يحضروا جلسات السبيرتسم وان السبيرتسم سبب مهيءٌ لها

وفي الدرجة الاخيرة من سلم الاختلاطات الذهنية تجتمع في المصاب الواحد كل تلك الظواهر فتتغير سحنتهُ وتنحرف ملامحهُ و يكتب بيدهِ ويتمتم بشفتيهِ ويتكلم بلسانهِ و يرتكب الجرائم . هذه هي درجة الملابسة التامة التي تعمل فيها هذه الاعمال بدون ان يكون للمريض ارادة فيها او قوة على ردعها واما اذا كان لا يزال فيهِ بقية من العقل فانهُ يشكو من هذه الحالة و يظهر يأسهُ الشديد منها واما اذا كان ازدواج الشخصية فيهِ تامًّا وخسر كل رقابة العقل على اعمالهِ فيظهر فيهِ هذيان العظمة لان الروح التي توحي افكارها بواسطة الدماغ وتجري اعمالها بواسطة العضلات تمحو الشخص القديم ولا تبقي منهُ سوى ذكرى طفيفة

وقد رأينا فيما مرَّ كيفية ظهور الروح المعزية وهي كذلك هنا لان المريض يرى ارواحاً صالحة جاءت لتعزيهُ بمقاومتها الارواح الشريرة التي تضطهدهُ وهي تقوم بعملها على طرق مختلفة كالتكلم بفم المريض او الكتابة بيدهِ او المفاوضة بالسمع والبصر ولكنها لا تسير في عملها على قاعدة مطردة فقد تجاوب بالفم على ما تقولهُ الارواح الشريرة بالاذن او بالكتابة على ما تتلفظ بهِ بالفم او بصوت منخفض على ما تقولهُ بصوت عالٍ وقس عليهِ اي ان

الظواهر المرضية لا قياس لها لانها تابعة لحالة الاختلاطات وسير العلل الدماغية

(٢) الجنون — هو اختلاط ذهني يختلف عن السابق بانهُ لا يزعج المريض و يكدرهُ بل يفرحهُ و يسرهُ اذ ليس فيهِ شتائم واهانات وتهديد وتوبيخ كما في ذاك وتظهر اعراضهُ في المصاب بالكلام الدال على العظمة والحماسة والاعجاب والكبرياء والنصيحة والارشاد الى غير ذلك من وسائل التعزية التي تعزي الارواح بها الوسطاء وهي تظهر في الجنون في كل اعضاء الحس فيرى الرؤى الجميلة والمسرة و يشم الروائح الذكية ويسمع الاصوات المشجعة ولهذا يكون هذيانهُ هذيان رضىً واستحسان ثم يتحول بعد مدة الى هذيان العظمة والادعاء بالنبوءة والالوهية . ولمنطقة هذه التصورات علاقة بعقل المريض فاذا كان ضعيفاً كان الهذيان ضيق النطاق وزرياً وعديم الثبات وكثير التناقض . واما اذا كان ذكيًّا ولا سيما اذا صقلهُ العلم فيكون كبيراً في مجموعهِ ومنطقيًّا ومنظماً لا ينقصهُ الاَّ اصلهُ الوهمي وفساد المقدمات التي يستند اليها والغلو في النتائج التي يطلب الوصول اليها والتشبث بصحة اعتقادهِ الذي لا يقبل فيهِ بحثاً او جدلاً

اما هذيان الرضى والاستحسان فقليل ونادر وهو من خصائص العقول الصغيرة التي لا تستطيع ابتداع التصورات العالية ويظهر في الامراض الدماغية التي تضعف فيها القوى العقلية كالفالج العام فيكتفي المصاب بالموهبة التي لهُ على استحضار الارواح و يعيش جنباً لجنب مع اختلاطهِ الذهني بدون ان يجد فيهِ داعياً للكبرياء لان مطامعهُ لا تمتد الى ابعد من اميالهِ الخصوصية فيقتصر في حياتهِ القليلة الاهمية على القليل الذي يكفي لارضاء ميلهِ وغريزتهِ ويقف هذيانهُ عند حد الرضى ويخلو من مزاعم النبوَّة او الوحي فهو بالاجمال انسان انفعالي لا فاعلي

واما هذيان العظمة فيتسع فيهِ نطاق التصور ويزعم المجنون ان موهبة الوسيط لا تعطى الاَّ للذين ينعم عليهم بها من السماء اما لاهليتهم او لشرف محتدهم ويزعم انهُ على ذكاء يفوق الحد او انهُ من ذرية نبيلة يرجع اصلها الى عنصر الهي او ان يداً اثيمة سرقتهُ من اهلهِ ووضعتهُ في مركزهِ الحالي الزري او ان قوةً فيهِ فوق الطبيعة يعرف بها مستقبل البشر وطبائعهم او انهُ اهل لان يحكم امةً و يسوس مملكةً الخ

والاختلاط الذهني هنا هو ابن التصور لذلك يكتسب الهذيان فيهِ رونقاً يدل على ان رغائب المصاب واميالهُ ومطامعهُ تفرغ في قالب من التعقل وتدل احاديثهُ على الاهمية التي يعلقها على شخصيتهِ وتتخذ هيئة تناسب مقامهُ العالي ويتقدم للامتحانات والمسابقات و يكثر الاحتفاء بالناس بغية الاعلان عن نفسهِ واستمالتهم في الانتخابات

لاسترجاع مقامهِ السامي او يؤَسس في الصحاري القاصية امارات وممالك وهمية والمطالب في جنون العظمة تشمل الارضيات والسماويات فاذا استهوى المريض اهليتهُ وشرف ولادتهِ طلب التبسط في خيرات الارض ورغب في تأسيس مملكتهِ في هذا العالم. واما اذا خالطهُ شعور باطني ظهر فيهِ الميل الى ادعاء النبوَّة والالوهية. واصحاب هذا الهذيان يكونون غالباً اصحاب تشاؤُم واوهام يشغلهم دائماً الاهتمام بازالة كل ما يجري على الارض من الشرور وتختلف فيهم منازع الارواح بين دينية وفلسفية واجتماعية وسياسية ويقوى فيهم الميل الى الكلام والخطابة ولا يخلو كلامهم من مسحة من التعقل والرزانة

والسبيرتسم ليس الاَّ شعوراً باطنيًّا فاذا قاد مثل هؤُلاء الى الجنون رقوا سلَّمهُ بسرعةٍ لان الاختلاط الذهني يساعد على ذلك واقاموا دعوتهم الجديدة على دعامة من التعاليم السبيريتية وشرعوا فيها بالتوبيخ والانذار وزعموا انهم رسل لاصلاح المجتمع والسياسة والادب. ويدعي المجنون اولاً انهُ مرسل من الله ثم يدعي انهُ هو الله بالذات واذ ذاك يكون ازدواج الشخصية فيهِ قد بلغ حدهُ الاقصى واصبح الاختلاط الذهني عامًّا والملابسة تامة ولم يبقَ في المريض تعقل يستطيع معهُ ان يعرف من هو او ما يصدر منهُ وينسى شخصيتهُ السابقة الحقيقية ولا يذكر منها الاَّ ما قل وندر. ومنهم من يتخذ هيئة الجلالة والعظمة فيرقد في سريرهِ بدون طعام ما لم يجبر عليهِ ويقضي حاجتهُ الطبيعية في الفراش لانهُ يفقد ارادتهُ بما يكون فيهِ من الذهول. ومنهم من يذكر ان لهُ جسماً فيقضي حاجتهُ انفعاليًّا بدون ان يفيق من ذهولهِ الالهي ويتجرد من تصوراتهِ البعيدة والعميقة. فهؤُلاء الخرس الذين لا يتكلمون ويصعب استصدار الكلام منهم هم كالمجاذيب الذين لا عقل لهم ولا يمتازون عنهم الاَّ بهوَسهم وشكل سحنتهم الدالَّين على انشغافهم وانشغالهم بالتصورات السامية والواسعة والبعيدة المدى

وهذا الهذيان على انواعهِ يرتبط ارتباطاً متيناً بالاختلاطات الذهنية الحسية والمحركة. ينمو تدريجاً وينتقل من نوع الى آخر وتختلف ظواهر كل نوع باختلاف الروابط التي تربطهُ بالدماغ وطبيعة الاختلاط ومدارك المريض السابقة. فذو المطامع العالية قد يدَّعي الالوهية بعد مرور مدة على هذيانهِ وجنون الوسيط هو الحد الاقصى لمرضهِ

(٣) السويداء — يندمج في هذا الصف فريق من المصابين يبدو على سحنتهم دائماً الحزن والكآبة وهم جبناء ذوو خوف وخجل ووسواس ضعيفو الارادة. يندمون على كل عمل يعملونهُ ويخشون من سوء عاقبتهِ واذا كانوا متدينين حاذروا ارتكاب اية خطيَّة عاقبتها

الهلاك يحتاجون على الدوام الى النصيحة والارشاد والنصيحة الاخيرة تزيل تأثير ما قبلها . يتحاشون المعاشرة ويطلبون العزلة ويجتنبون الكلام ويؤثرون الصمت . ومع ذلك يخافون من التقاعد عن العمل لئلاَّ يكون سيئ العاقبة عليهم ومن عدم اتباعهم النصيحة كالواجب ومن سوء عاقبة العزلة والصمت وبهذا التردد والتذبذب تكون حياتهم حياة اضطراب وانزعاج

ومن كانت هذه حياتهُ ظهرت اعراض الاختلاط الذهني فيهِ بالتقريع والتوبيخ وعقبها هذيان سوداوي مؤلف من تصورات محزنة كالتصور بالخراب والاضطهاد وخسارة الشرف وارتكاب الجرائم الوهمية يخاف احدهم من شيء لا يعرف ما هو ويخشى ان يموت في السجن يحيط بهِ الجلادون . واذا راجع تاريخ حياتهِ السابقة وجد فيها ذنوباً لا تغتفر استوجبت عذابهُ الاليم وقضت بهلاكهِ منها انهُ قصَّر بواجباتهِ نحو والديهِ وكان سبباً لخرابهما وموتهما او اغاظ الله وعمل اعمالاً شائنة واستحق الجحيم .

يختلف الهذيان السوداوي عن هذيان الاضطهاد انهُ في هذا ينسب المريض العذاب الى العالم الخارجي ويلقي اللوم على شخص آخر وفي ذلك ينسبهُ الى نفسهِ ولا يلوم الاَّ نفسهُ وفيهِ تطاردهُ الارواح لكي تقاصهُ على ذنوبهِ وسيئاتهِ وهو لا ينكر عليها الحق بهذه المطاردة ويعترف بانهُ يستحق توبيخها وتهديدها . والرؤَى وان كانت فيهِ نادرة الاَّ انها مخيفة ومزعجة وهي رؤى رمم اناس ماتوا بسببهِ او رؤى ارواح مهددة . وكل رائحة في انفهِ كريهة ونتنة

ومن اعراضهِ المستهجنة اعتقاد المريض بان الروح التي تلابسهُ قد نزعت منهُ احشاءهُ وان لا رئة لهُ ولا قلب ولا معدة ولا دماغ وان تلك الروح تجرهُ بدون شك الى الهلاك

الحزن بادٍ على السحنة والهيئة ذليلة والعين كاسفة والجفون متهدلة والجبهة مجعدة والملامح ساكنة والشفة السفلى متدلية والشعر منثور والثياب وسخة والمريض جامد لا يتحرك مكتوف اليدين او راكع او ساجد سجود المستعطف والمسترحم او عاري البدن ومعرض للبرد القارس اقتصاصاً من نفسهِ

تلك حالة السوداوي التعيس وهو اكثر تعاسة من المجنون وكثيراً ما يحاول الانتحار تخلصاً من تأنيب ضميرهِ الشديد المتواتر واذا كان محجوراً عليهِ في مستشفى حاول الانتحار جوعاً برفض كل طعام يقدم لهُ

وفي المقالة التالية التي نجعلها خاتمة البحث في هذا الموضوع سنورد بعض المشاهدات الطبية التي تؤيد كل ما سبق بيانهُ وتدل دلالة واضحة على علاقة السبيرتسم بالجنون

الدكتور امين ابو خاطر

علم الانسان

(٢) البيئة

البيئة هي ما سماهُ بعض الكتاب العصريين الوسط او المحيط · ويراد بها في بحثنا هذا البقعة التي ينزلها الانسان من هذه الارض بما يحيط بها من الناس واحوال الاقليم من حرّ وبرد وجفاف ورطوبة وما جاكى هذه الظواهر الطبيعية

عند ولادة الطفل يكون قد مضى عليهِ تسعة اشهر معرّضاً لعوامل البيئة التي هو فيها اي بطن امهِ · نعم ان جنسهُ تعيّن منذ حُبل بهِ وقابليتهُ للانطباع او الانفعال بالعوامل الخارجيّة تسهل عليهِ الانفعال بالبيئة التي كان فيها قبل ولادتهِ ولكن ذلك لا يغير جنسهُ · ولذلك كثيراً ما نخطئ في ظننا ان وجود الامهات في بيئات غير صالحة اي بيئات لم تستوفِ فيها شروط حسن الغذاء والعافية فجاء بها الاولاد ضعافاً والنسل منحطاً هو سبب انحطاط الجنس · وبقدر ما يصح هذا الظن يُسَرُّ المصلحون الاجتماعيون لان اصلاح النسل بطريقة الانتخاب الصناعي المسماة « يوجنكس » تصير سهلة التناول ضمن حدود محدودة ولو كانت بعيدة التحقيق اجمالاً بسبب جهلنا لشروطها وقواعدها · فان اصلاح البيئة الطبيعية امر لا اسهل منهُ اذا استطعنا اقناع الجمهور بالحاجة اليهِ لنفع جميع الطبقات على السواء فاذا افتخر الرجل المتمدن بانهُ اسمى من سائر طبقات الخلق فانما يكون ذلك بتمكنهِ من الاحتكام في بيئتهِ الطبيعية على الاكثر · ومهما يكن من امر الماضي فلا مشاحة الآن ان البيئة الطبيعية من صنع الانسان كما ان الانسان من صنعها

ولا ينكر لان لاحوالنا المادية باوسع معانيها يداً في تكييف معايشنا · فمن ساعة الحبل بالطفل يذعن لما اصطلحنا على تسميتهِ « بالقيد الجغرافي » · خذ مثلاً لك طفلاً انكليزيًّا ولد في الهند فان هناك عوامل شتّى تعمل معاً لتقرار هل يبقى حيًّا او يموت . وهذه العوامل يمكن ردها الى ثلاثة للاختصار · الاول تربيتهُ الخاصة بقومهِ · والثاني جنسهُ · وقد عرف هذا الجنس بخواص اشهرها زرقة العينين وشهب الشعر وخواص اخرى في تركيب البنية · والثالث عامل الاقليم وجميع ما يتعلق بهِ · اما من جهة العامل الاول فان تربية الطفل الانكليزي تكون على الغالب اعلى من تربية الهندي لانها تكون اكثر انطباقاً على قواعد الصحة · ولكن العاملين الآخرين وهما عاملا الجنس والاقليم عظيما التضادّ والتناقض الى حدّ يقضي بموت الطفل لا محالة اذا لم يرحل عن الهند في بعض ادوار عمرهِ · وربما استطاع انكليز الهند تطبيق معيشتهم

على اقليم البلاد وتعوّد سكناها بعد ان يدفعوا بذلك ثمناً غالياً من نفوس اطفالهم ولكنهم لا يريدون ان يدفعوهُ كما يستدلّ من رغبتهم عن المقام في تلك البلاد باولادهم الى آخر العمر

فما هي اذاً حدود القيد الجغرافي ؟ واين تبتدئ دائرة نفوذها واين تنتهي ؟ واذا قلنا ان هذا القيد قائم بثلاثة امور وهي المركز والجنس والتربية فهل يغلب احدها الآخرين على طول الزمن ؟ وان كان ذلك فايّ هو الغالب ؟ خذ الانكليز الذين نزلوا الهند والذين نزلوا استراليا مثلاً . فما الفرق بين الاحتلالين على مرور الايام ؟ هل يكون احتلال الانكليز للهند حادثاً بسيطاً وقتياً واحتلالهم لاستراليا استعماراً دائماً ؟ او خذ سكان ولايات اميركا الجنوبية من بيض وسود وحمر . فهم لا تجمعهم الآن جامعة الاّ جامعة الاقليم المشترك اما في الجنس والتربية فهم مختلفون كلّ الاختلاف . فما يكون تأثير ذلك فيهم على مرور الزمن

ان البحث في هذا الموضوع من خصائص علم حديث سمّوهُ علم الجغرافية الانثروبولوجية اي علم الانسان من حيث علاقتهُ بالبيئة التي هو فيها او البقعة التي ينزلها من رحاب هذه الارض . ومن اعلام هذا العلم رتسل الالماني وقد عرّف الانسان بقولهِ انهُ قطعة من الارض . وزاد انصارهُ على ذلك انهم بعد ان قسموا الارض الى هواء وماء وقشرة سطحية وكتلة داخلية قالوا ان الانسان هو الجزء الاكثر حركة ونشاطاً من غلافها الحي

وقال ديمولن الفرنسوي « ان على وجه البسيطة اممًا مختلفة لا حدّ لها فما هو سبب هذا الاختلاف . يقال بوجه عام ان السبب هو الجنس . ولكن قولنا هذا لا يفسّر شيئاً ولا يعدّ تعليلاً شافياً لان الجنس ليس علّة بل معلول . اما السبب الاول في اختلاف الاجناس فهو الطريق الذي جازتهُ تلك الامم . فان الطريق هو الذي يولد الجنس وهذا يولّد الصنف الاجتماعي » . وكلامهُ هذا وارد في مقدمة كتابهِ المسمّى "Comment la route crée le type social" اي كيف يولّد الطريق الصنف الاجتماعي . ويقول في مكان آخر من المقدمة « ولو اعيدت هذه الارض سيرتها الأُولى من اول وجود الانسان عليها لعاد تاريخ اقوامها كما كان اجمالاً ولجرى في مجاريهِ الكبرى الحالية . وقد يكون هناك مجارٍ صغيرة واختلافات ثانوية في بعض مظاهر العيشة العمومية والثورات السياسية التي تنزلها فوق منزلتها ولكن المجاري او الدروب التي ولّدت اصنافاً او شعوباً معينة تولّد تلك الاصناف او الشعوب عينها اذا تركت وشأنها وتطبعهم بطابع الصفات الجوهرية الاولى عينها »

ومهما قيل في ذلك فلا مناص من ان نحسب حساب الجنس والاّ فلِمَ لا تنافس سائر الحيوانات الانسان وتزاحمهُ على سيادة هذه الارض وتبني لانفسها مدنيّات تضارع مدنيتهُ

او تفوقها. وبعبارة اخرى لِمَ يرعى الناس الماشية ولا ترعى الماشية الناس . والجواب اننا خلائق عاقلة لاننا فُطرنا على ان نكون كذلك

ثم انهُ لا مندوحة لنا ايضاً من ان نحسب حساب التربية وما تبنى عليهِ من الادراك والاختيار . فانهُ لا اسهل في تعليل صيرورة الفرس حيوانًا اليفاً وصيرورة قبائل اسيا اقوامًا رحلاً من القول انهُ وجد في اسيا سهول واسعة ووجدت الخيل البرية فيها فلم يجد اهل تلك السهول بدًّا من تصييرها اليفة ومن ان يصيروا هم قبائل رحلاً . صحيح ولكن لِمَ لم يحاول الانسان تذليل الفرس البري من اول عهدهِ بهِ وقد كان في طوقهِ ان يذللهُ من قبلُ والسهول سهول والخيل البرية تملأ بساطها . ولِمَ لم يحاول الهندي الاميركي تذليل الجاموس ويعش عيشة القبائل الرحّل وسهول اميركا لا تقل عن سهول اسيا رحباً وسعة . ولِمَ لا يستخدم البيض والسود في افريقية الفيل في اعمالهم ويذللونهُ للانتفاع بهِ كما فعل الهنود . أذلك لأن هذه الاعمال غير ميسورة ام لأن الانسان لم يهتدِ الى سبيل عملها

ليتصور الباحث في هذا الفرع من العلوم ان حركة الانسان على هذه الارض اوقفت وانهُ وُكل اليهِ توزيع ما فيها من حرّ ورطوبة وادواء ونبات وحيوان وصناعات واشكال حكومة ومذاهب ولغات وسائر ما هناك . لو فعل لوجد ان كثيراً من الاشياء التي عهد اليهِ في توزيعها تتلاءم كما تتلاءم الآن كانها خلقت لتكون معاً . مثال ذلك ان سكان البقاع المحاذية لخط الاستواء ينقطعون الآن عن العمل في منتصف النهار للقيلولة سواء كان في افريقية او اميركا الجنوبية او اسيا ولكنهم ربما اختلفوا في امور اخرى كاللون مثلاً فانهم كلهم ضاربون الى السواد ولكن سكان اميركا الجنوبية سمر نحاسيون والافريقيين سود حالكون والاسيويين كسكان جزيرة بورنيو صفر . وليس توزع الانسان على وجه الارض سوى مشهد واحد من مشاهد نشوئهِ وارتقائهِ ولكنهُ مشهد عظيم الشان كما يظهر لمن يلقي نظرة اجمالية على الارض ويبحث في اختلاف بقاعها اختلافاً جغرافيًّا

اشار المؤرخ الانكليزي « لكي » في بعض كتاباتهِ الى « العقل الانساني في العصر الاوربي » . فما هو ذلك العصر واين مكانهُ الطبيعي والجغرافي . وقد قسمهُ بعضهم الى ثلاثة ادوار : الاول الدور النهري اي سكنى ضفاف الانهار . والثاني دور بحر الروم اي سكنى سواحلهِ . والثالث دور الاتلنتيكي الحالي اي سكنى سواحلهِ . اما من جهة الدور الاول فمعلوم ان وادي النيل ووادي الفرات كانا مسرحين لحضارتين زهتا ودامتا مدة طويلة . على ان تينك الحضارتين لم تنشأا عفواً بلا تعب . فانهُ وان كان النهران المذكوران

قد ساعدا الانسان فان الانسان ساعدهما ايضاً باختراع نظامات الري فيها · واما الدور الثاني فيمتدّ الى آخر العصور المتوسطة وهو الدور الذي كانت فيهِ سواحل بحر الروم مسرح المدنيات السامية هذا اذا ضربنا صفحاً عن حضارة الهند والصين و بيرو والمكسيك وان تكن حضارة هاتين الاخيرتين دون الحضارات الاخرى شأناً · واما الدور الثالث فيمتدّ من عهد اكتشاف اميركا الى يومنا هذا وفيهِ انتقلت قاعدة تلك المدنيات السامية من سواحل بحر الروم الى سواحل الاوقيانوس الاتلنتيكي وخصوصاً سواحل الجزر البريطانية

والباحث في تلك الادوار وخصوصاً الدور الثاني وطبيعة ارضهِ وسكانهِ يرى ان ليس من الضرورة ان البقع المتشابهة في طبيعتها تحوي اقواماً متشابهين في خلقهم وعاداتهم وطرائق معيشتهم · وقد يكون ذلك كذلك لو كانت الاحوال الطبيعية واحدة لا تتغير وكان يمكن فصل الاصناف المختلفة من الناس بعضها عن بعض فصلاً تاماً · ولكن الامر ليس كذلك بل ان تاريخ البشر تاريخ امتزاج اصناف الخلق بعضها ببعض الى حدّ يوجب الحيرة والارتباك · فما هو سبب الامتزاج · من رأي البعض ان سببهُ جغرافي · نعم ان الانسان يمشي الى امام لأن الطبيعة تدفعهُ من ورائهِ ولكن بعض الاحياء ترزح إعياء تلقاء دفع الطبيعة لها وضغطها اياها فتموت · ثم ان في عقل الانسان ذاكرة اجتماعية ذخرت فيها فوائد استفادها في التغلّب على بيئة قديمة ليستخدمها في التغلب على بيئة جديدة و بذلك تمكن من ازالة الحدود الطبيعية التي تفصلهُ عن غيرهِ · ولما كان حيواناً شائع الوطن بطبيعة بنيتهِ الموروثة اصبح شائع العادات والاخلاق ايضاً من غير ان يشعر ولكنهُ يشعر بذلك فيما بعد و يطلبهُ لانهُ لا يكتفي بمجرّد المعيشة بل يطلب عيشة راضية سائغة · وما يقال عن توزع الناس انفسهم على سطح الكرة يقال ايضاً عن توزع حرفهم وصناعاتهم واعمالهم المختلفة · اي انهُ لو كانت البيئة الطبيعية كلّ شيء يحسب حسابهُ لكانت الاحوال الواحدة تفضي الى الاعمال الواحدة في كل حال

وخلاصة القول ان الطبيعة الخارجية او البيئة تعين اصنافنا واشكالنا وهيئاتنا ولكن فطرتنا تتغلّب على ذلك التعيين تغلباً لا نظير لهُ في سائر انواع الحيوان · لذلك ترى الانسان يحبّ و يعشق كلّ يوم على مدار السنة · نعم ان تيار حبهِ يخفّ و يشتد بتقلب الفصول ولكنهُ ليس عبداً لهذه الفصول · ومثل هذا يقال في مكثهِ ومهاجرتهِ وحلّهِ وترحالهِ وسائر حركاتهِ وسكناتهِ · و بعبارة اخرى ان البيئة وهي ما تسمّى عادة بالظروف والاحوال والمحيط والوسط تستطيع تغيير ما تحيط بهِ وفي جملتهِ الانسان ولكنها لم تستطع من تلقاء نفسها حتى الآن ان تولّد انساناً او حياً آخر من الاحياء

المذنبات ومادة اذنابها

يذكر القراء مذنب هلي الذي ألمَّ بجو الارض في ربيع سنة ١٩١٠ زائراً زيارة دامت بضعة اشهر ثم ودَّع على ان يزورنا ثانية بعد زمان طويل · على ان الذين رأوهُ منا عند اول ظهورهِ قليلون لانهُ كان يظهر في نحو الساعة الثالثة بعد نصف الليل اي في الهزيع الاخير منهُ حينما يرين الكرى على الاجفان فيستصعب النائم النهوض من سريرهِ الاَّ لامر ما ولو نبههُ منبه · وقد كنا في جملة الذين بذلوا ساعات من نوم الفجر على حلاوتهِ في سبيل رؤْية ذلك الضيف · وزادنا شوقاً الى رؤْيتهِ علمنا علماً ليس بالظنّ اننا لا نراهُ في زيارتهِ التالية لان الفترة بين زيارة وزيارة نحو سبعين سنة · وكان ظهورهُ على ابينهِ في السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر من مايو في تلك السنة حينما كان يدنو مسرعاً من فلك الارض قبل عبورهِ على قرص الشمس

وقد كتب المستر ڤري احد علماء الفلك الاميركيين مقالة عن تركيب اذناب المذنبات اعتمد فيها على النتائج الجديدة التي استخلصت من ظهور مذنب هلي فلخصناها فيما يلي :

في ١٧ و ١٨ و ١٩ مايو سنة ١٩١٠ كان ذنب مذنب هلي يرى طويلاً مستقيماً وممتداً في الافق الشرقي الى حدود المجرة بانحراف · وكيفية حركة الذنب في خلال تلك المدة تهمّ الناظر اليهِ من الارض لانها تبين لنا هل مرَّت الارض فيهِ مخترقة اياهُ عند دنوّ المذنب من فلكها ام لم تخترقهُ · ولا ريب ان الذنب اقترب كثيراً الى الخطّ الموهوم الحادث من تقاطع فلك الارض بفلكهِ ثم جعل يتقهقر بعد ما باتت نواتهُ والشمس في خط واحد بالنسبة الى الارض · اما كون ذنبهِ قد مسّ الارض فيتوقف على طولهِ وقد عرفنا طولهُ بسهولة فقدرهُ الاستاذ برنارد بمبلغ ١٢٠ درجة على القليل · وقدرتهُ انا بمبلغ ١١٥ درجة وفي هذه الحالة يكون بعيداً عن فلك الارض كثيراً · وقدرت عرض الذنب في اوسع موضع فيهِ بخمس درجات في ١٨ مايو · وقدرهُ برنارد في اليوم التالي بعشر درجات · ورأى ما يشبه ان يكون فرعاً ثانياً للذنب واقرب الينا من الفرع الاول ولكنهُ كان ضئيلاً جداً وعرضهُ ٢٠ درجة

ورأى كثيرون من الذين رصدوهُ في انحاء الارض المختلفة هالات ودارات شديدة اللمعان والاشراق حول الشمس او القمر في ١٩ مايو اي عند الاقتران او بعدهُ بقليل · ففي مرصد يركيس شاهد الاستاذ فروست سحباً شديدة اللمعان كثيرة الالوان بين الظهر

والساعة الواحدة بعدهُ وهالة قطرها ٣٠ درجة · وشاهد الاستاذ مكس وولف من مرصد كونجستول بالنمسا شفقًا لامعًا طويل المدة ودارة حول القمر تفوق في وضوحها كلّ ما شاهدهُ من الدارات قبلاً وقطرها ٥٦ درجة · وقد دلّ ظهورها على وجود عدد عظيم من الذرات الدقيقة في الهواء مما قطرهُ ½ ١ من الالف من المليمتر او نحو ٦ من ١٠٠ الف من البوصة · ورأى غيرهما الهالة الشمسية المعتادة وقطرها ٤٥ درجة وسبب ظهورها وجود بلورات من الجمد ولكن لا يبعد ان تكون البلورات في هذه الحالة قد تكونت بانعقادها حول ذرات الغبار المعروف بالغبار العالمي · وليست هذه المشاهد شاذة الى حدّ ان يقال ان اسبابها ليست ارضية ولكن ظهورها مصاحبًا لظهور المذنب يحمل على القول ان مصدرها خارج جوّ الارض · فاذا صحّ ذلك فلا شيء يمنع من القول ان بعض النور المنبثق من ذنب المذنب انما هو نور منعكس عن دقائق الغبار الذي يقذف في الاصل من نوى المذنبات بعد ما تحمى بحرارة الشمس في جوّ مفعم بغازات الكربون الى درجة الحرارة البيضاء

وكثيراً ما تشاهد سهام نارية تنبثق من نواة مذنب كبيرة وتنتشر حولها والمرجح انها موَّلفة من الغاز الحامل للغبار · وليس ببعيد ان يكون بعض ذلك الغاز شديد الكهربائية · فاذا كان كذلك فلا يبعد ان يندفع بقوة الكهربائية الى الذنب حيث يستولي عليهِ عامل آخر وهو دفع نور الشمس للذرات الدقيقة وبهذا الدفع يبعث الغبار الى الفضاء · هذا هو مذهبنا في ماهية اذناب المذنبات وسيأتي الكلام على امتحانهِ بالنسبة الى المذنب

وقد ظهر من فحص نواة المذنب بالسبكترسكوب انها ارسلت نوراً كثيراً ذا طيف متصل اي فيهِ جميع الوان قوس قزح · وطيف مثل هذا قد يحدث عن نور صادر من غبار بالغ درجة البياض · واذا كان كثير النور الازرق والبنفسجي فالمرجح انهُ يصدر من نور الشمس بعد انعكاسهِ عن مادة جامدة ابرد من الغاز لا عن مادة غازية · وهذا القياس اي وجود النور البنفسجي وما وراءهُ ورؤية خطوط فرونهوفر في طيف المذنب يدلان دلالة لا ريب فيها على ان النور الصادر من نواة المذنب كان ممزوجًا ببعض نور الشمس · ثم فحص نور الجزء التالي للنواة من المذنب فكوَّن طيفًا متصلاً كطيف النواة ولكنهُ كان ضعيفًا حتى لم يؤَثر اخيراً في الواح التصوير · ومهما يكن في الذنب من الغبار فان نورهُ كان اقلّ بكثير مما يصدر عن جسم نورهُ منهُ · على اننا لو قلنا انهُ ليس فيهِ غبار لما كان ذلك ليمنع بالضرورة تأثير الغبار الذي في جوّنا · فان الدقائق التي تتحرك بسرعة او الذرات الكهربائية التي هي اصغر حجمًا من الدقائق واصغر من ان تعكس نور الشمس قد تصلح لان تكون نوى تتكاثف

المواد الاخرى عليها عند دخولها جو الارض وبالتالي لانعقاد بلورات الجمد عليها

وقد وجد في طيف ذنب المذنب على بعد ٣ درجات الى ٦ من نواتهِ اجزاءٌ تدل على وجود غاز اكسيد الكربون الاول· وكانت هذه الاجزاء ٨٠ في المئة من مجموع الطيف اما الباقي فكان طيفاً متصلاً · هذا ما شوهد فيهِ يوم ٢٩ مايو · وقد قال الدكتور لويل « ان الذنب كان مؤلفاً بين ٢٩ ابريل و٧ مايو من اجزاءٍ كالتي تحدث من احتراق غاز محمي الى درجة البياض · وفي ١١ مايو تغير طيفهُ فبات متصلاً تقريباً او حادثاً عن نور الشمس بعد انعكاسهِ عن ذرات الغبار · وفي ٢٣ مايو عاد ممتلئاً بالاجزاءِ المشعة وبقي كذلك وهو يزداد يوماً فيوماً الى الآخر » · اي انهُ عند بلوغ اطراف الذنب جوّ الارض ازداد الغبار فيهِ ازدياداً فائق المعتاد

وشوهدت في طيف المذنب مدة جزء كبير من ظهورهِ خطوط مما وراء البنفسجي ناشئة عن غاز السيانوجين المحمي الى درجة البياض · وهذا الغاز شديد السم وكل دقيقة منهُ مؤلفة من جوهرين من الكربون وجوهرين من النتروجين · وظهرت خطوط الصوديوم في طيف الراس قرب النواة مدة قصيرة وخصوصاً في الجزء الاشد حرارة او المواجه للشمس مما دلَّ على ان حرارة النواة حينئذٍ كانت قريبة من درجة البياض اذ المشهور ان معدن الصوديوم يتبخر ويتقطر عند الدرجة ٩٠٠ سنتغراد· اي ان حالة النواة تشبه حالة البركان الثائر فتلين الجوامد التي على سطحها حتى تصير كالعجين وتندفع الغازات التي في مسام الجوامد على مثال حجارة الخفان التي تندفع من الحمم البركانية وتنتشر الى مسافة بعيدة لان جاذبية النواة ضعيفة لا تستطيع حفظ الغازات قريبة من مركزها · وهذه الغازات تندفع اولاً في جهة الشمس ثم في الجهة المقابلة لها · وتكون في حركتها هذه تحت عاملين الواحد الحركة الدائرية الاصلية والثاني الحركة الناجمة عن فعل نور الشمس وهي اسرع من الاولى· وكان العالم لبديف الروسي اول من اكتشف هذا الفعل ثم علل العالمان نكولس وهل الاميركيان تكوّن اذناب المذنبات بهِ · والمراد بفعل نور الشمس دفعهُ للمواد وهذا الفعل يشتد بصغر الذرات لان سطحها الذي يقع الدفع عليهِ لا يصغر كما تصغر مادتها · وحينئذٍ تندفع الدقائق بسرعة عظيمة تبلغ بها اطراف الذنب في ايام قليلة ثم ينقطع وهجها اما لان حرارتها تهبط عن درجة البياض او لانها تكون قد احترقت او لانها تتفرق بعضها عن بعض الى مسافات تفقد عندها قوة ايصال الكهربائية · واعظم سرعة تبلغها الدقائق هي ٢٥٠٠٠٠٠ ميل في اليوم كما قاسها الدكتور لويل او اكثر قليلاً كما ظهر من حساب الاستاذ برنارد

ثيوسيديدس المؤرخ وبركليس الخطيب

وشجاعة العرب

قرأنا لمترلنك اكتب كتّاب البلجيك ان لم يكن اكتب اهل اوربا في هذا العصر فصلاً بناه على رثاء بركليس لقتلى اثينا في حربها مع اسبرطا على ما ذكره ثيوسيديدس (اوثيوكيذيدس) المؤرخ اليوناني. فرأينا ان نلخصهُ ونلحقهُ بشيءٍ مما قيل عن شجاعة العرب

وثيوسيديدس فيلسوف ومؤرخ ولد قبل المسيح بنحو ٤٧٠ سنة وهو اول من اعتمد التحقيق من المؤرخين فقد قال انهُ لم يصف الاَّ المعارك التي شهدها بنفسهِ او لقي الذين كانوا فيها ووقف على رواياتهم وقابلها بعضها ببعض ومحَّصها بمحك العقل . وبركليس اكبر ساسة اليونان ولد سنة ٤٩٧ قبل المسيح وتتلمذ للفيلسوف انكسغوراس واشتهر بكرم الاخلاق وذكاء العقل وبلاغة العبارة وقوة المعارضة والتفاني في حب وطنهِ

وهاك خلاصة ما قالهُ مترلنك تمهيداً لرثاء بركليس قال :

(١)

حوادث هذه الايام اعظم حوادث التاريخ وما دامت جارية يليق بنا ان نلتفت الى اخبار العصور الغابرة لعلنا نجد فيها ما نستفيد منهُ ونتعظ بهِ ونستند اليهِ . فنجد ان حرب اثينا مع اسبرطا التي تأججت نارها سبعاً وعشرين سنة تماثل الحرب التي نحن مشتبكون فيها الآن . والذي ذكر حوادث تلك الحرب وفصَّلها هو اعظم مؤرخ قام في المسكونة واول مؤرخ ذكر الحقائق الثابتة التي لا محل للشك فيها ثم استدلَّ منها على ضمائر اصحابها وما يمكن ان ينتج منها استدلالاً يؤيدهُ العقل . فهو اكتب الكتَّاب ولا يضارعهُ الاَّ طاشيتوس المؤرخ الروماني . اما طاشيتوس فكان شاعراً ينظم غرر المراثي ومصوراً يصور المهاوي بما فيها من المخازي واما ثيوسيديدس فكان سياسيًّا يحثُّ على مكارم الاخلاق والمعنًّا يخترق بصرهُ حجب الغيب ومصوراً يرسم صور البلدان الحرة وعقول الاذكياء النوابغ والكرماء الاماثل الذين كان منهم سكان البلاد اليونانية في تلك الازمان . الاول يتلمس في الظلام يجمع الاخيلة بيديهِ ويضمها بعضها الى بعض وينظمها عقوداً ولكنهُ لا يزيل شيئًا من ظلمتها . والثاني يجمع اشعة النور ويصوغ منها احكاماً بهيَّة مشرقة على ما فيها من التحقيق . الاول ضجور شديد الوطأة مهتضم للحقوق ولو عن غير قصد منهُ . والثاني صبور منصف يسمو بعقلهِ

الى اسمى ما يبلغ اليهِ ذهن الانسان لا غرض لهُ الاَّ اقامة قسطاس العدل والسعي وراء الخير العام والمجد المخلَّد . تجد الرونق والبهاء في كل ما كتبهُ حتى في وصفهِ للوباء الجارف

(٢)

الحرب بين اثينا واسبرطا كالحرب بين فرنسا والمانيا . غير ان حربنا الآن قائمة بين امة متمدنة وامة متوحشة ادبيًّا واما حرب اثينا واسبرطا فكانت بين طائفتين من امة واحدة . ولكن تينك الطائفتين كانتا مختلفتين ادبيًّا كل الاختلاف فالاولى كان شعارها السلام والبشاشة ولم تكن تُعنَ الاَّ بما يعود عليها بالراحة والهناء وبما تمتّع بها حواسها من المناظر الجميلة واللذات المحللة وقد خرجت الى الحرب كأنها خارجة الى ملعب طلقة المحيَّا حاسبة الحرب من الملاهي التي تروّض الاجسام والفرائض التي يقوم بها المرء عن طيب نفس . ولم تكن قد استعدت للحرب ولا اخذت شيئًا من اهبتها بل لم تكن تعنَ بالمستقبل معتمدة على ما خُصَّت بهِ من الشجاعة الفطرية وسعة الحيلة فنجت من مشاق الاهتمام بالمستقبل واستطاعت ان تقابلها بعزيمة صادقة كمن قضى العمر في معالجتها

اما اسبرطا فلم يكن لها شغل شاغل غير الحرب والتأهُّب لها فكانت كئيبة عبوسة متجردة على الدوام للحرب والصدام تكرهُ كل ما يجلل وجود الانسان على الارض . امة التخريب والسلب والنهب امَّة الوخز والنخز وطأتها ثقيلة على كل ما حولها وعلى نفسها ايضاً . تسعى الى غاية تعدُّ من اسمى الغايات لو كان الغرض من وجود الانسان على الارض ان يكون آلة صماء وعبداً للرؤساء . ولكنها كانت تخالف الذين نحارب بهم نحن الآن في انها كانت في الغالب تحب العدل وتترفع عن الدنايا وتحترم الآلهة وهيا كلها وتقوم بالعهود ولا تنقضها . ولكن لو أُطلق لها العنان لتحكم بلاد اليونان كلها كما تشاء من اول عهدها لما نشأ في تلك البلاد ما نشأ من المفاخر ولما حفظ لها التاريخ الاَّ آثار قوتها الحربية التي لا نفع منها ولا مجد لها ولفقد العالم ذلك الكوكب النوراني الذي يتجه نظرهُ اليهِ حتى الآن

(٣)

وكانت نتيجة الصدام بين هاتين القوتين ان فازت اسبرطا في اول الامر فوزاً حملها على الغرور حتى فقدت ثمارهُ واستطاعت اثينا ان تكبح جماحها سبعاً وعشرين سنة وهي كأنها تقاوم الاقدار . بل لما اعتقدت اسبرطا انها تسحق اثينا في اسابيع قليلة وقفت اثينا لها وقفة الخصم العنيد سبع عشرة سنة والنصر في يدها رغماً عن الوباء الجارف الذي اهلك ثلث سكانها وربع جيشها . ولم يقلب لها الدهر ظهر المجن الاَّ بعدما اصغت الى مشورة متفلسفيها

و بعثت بكل اسطولها وجنودها الى صقلية ومع ذلك استطاعت ان تقاوم عشر سنوات اخرى وكانت هي القاضية على نفسها اخيراً · ولا يقع في التهلكة الاّ من يلقي بيديهِ اليها

(٤)

وليس من غرضي ان اتوسع في هذا الموضوع وانما انا اقصد ان اعيد قراءة صفحة كُتبت منذ اكثر من الفي سنة تأبيناً للابطال الذين فقدتهم اثينا في الدفاع عنها وهي تناسب حالنا بعد ان حلَّ بنا ما حل من الاحزان التي يليق بنا ان نخفف مرارتها وفقدنا من فقدنا من الرجال الذين يجب علينا تأبينهم · فان عادات اليونان كانت تقضي بجمع عظام القتلى الذين حرقت جثثهم في ميدان القتال والعود بها الى اثينا في آخر كل سنة · وكان السكان يختارون ابلغ خطيب منهم لتأبينهم فوقع اختيارهم على بركليس الشهير فبدأ بذكر مناقب الشعب الاثينوي وشرائعهِ واستطرد الى التأبين التالي فقال

لم اذكر ما ذكرتُ من مفاخر بلادنا الاّ لابيّن ان ليس لخصومنا مفاخر مثلها ليأسفوا على فقدها وان الرجال الذين فقدناهم جديرون بكل مدح واطراء · ولقد قمتُ بالجانب الاكبر من مدحهم لان اثينا التي وصفتها انما بلغت ما بلغتهُ بشجاعتهم وشجاعة امثالهم من الرجال الذين تنطبق شهرتهم على استحقاقهم · واذا فتشنا عن مقياس الاستحقاق وجدناهُ فيما ختموا حياتهم بهِ او فيما عملوهُ من الاعمال التي تدلُّ عليهِ اذ من العدل ان يقال ان وقوف الانسان وقفة الصنديد في الدفاع عن وطنهِ تغطي ما كان فيهِ من النقائص · والحسنات يذهبن السيآت · والفضائل العمومية تزيل المعايب الشخصيَّة · وما من احد من هؤلاء اضعف الغنى عزيمتهُ بما يترتّب عليهِ من الملاذ او صدهُ الفقر عن التعرض للمخاطر بما يعدهُ بهِ من الاباحة اذا دارت الدائرة على الاغنياء · بل انهم كلهم حسبوا الاخذ بالثار من الاعداء افضل الغنائم والمخاطرة بالنفس في سبيلهِ امجد الاعمال فساروا الى الحرب متهللين عاقدي العزيمة على تجشُّم كل المشاق وتحمُّل كل المخاطر لكي يأخذوا بثارهم من عدوهم والقوا اعتمادهم على انفسهم ولو كانوا يعلمون ان الفوز قد لا يكون لهم مفضلين عزّة الموت على ذلّة الحياة ففروا من العار وقابلوا الردى وجهاً لوجه لانهُ السبيل الى المجد

فهي هؤلاء الرجال كما يليق بالاثينيين وعليكم انتم ايها الاحياء ان لا تكونوا دونهم في ساحة الوغى ولو طلبتم من الالهة ان يكون الفوز لكم · وعليكم ان لا تكتفوا بالادلة الكلامية التي توجب عليكم الدفاع عن وطنكم وان كانت هذه الادلة مما يحسن ان يلجأ اليهِ الخطيب في محفل مثل هذا بقدرها قدرها بل ينبغي ان تتحققوا بانفسكم قوة بلادكم وتمتعوا انظاركم

يشاهدها كل يوم حتى يملأ حبها افئدتكم . ومتى تجلّت لكم عظمتها كما هي ينبغي عليكم ان تعلموا انها بلغت ما بلغت من المجد والسؤدد بشجاعة ابنائها وتفانيهم في حبها واعتقادهم ان ذلك من اوجب الواجبات عليهم وانهُ ما من فشل كان يمكن ان يحرم بلادهم من بسالتهم بعد ان القوها امام قدميها عن طيب نفس . نعم ضحّوا انفسهم اجماعاً في مصلحة بلادهم فنال كل واحد منهم الجزاء الذي لا يفنى ودُفنوا ولكن ليس في المدافن التي تحوي عظامهم بل في المجد المبا كل حيث يبقى اسمهم خالداً يذكر كلما ذكرت فعالهم المجيدة . والارض كلها بما وسعت مدفن للابطال وذكرهم في اقصى الممالك تحويهِ القلوب . انظروا الى هؤلاء واتخذوهم قدوةً لكم واعلموا ان السعادة ثمرة الحرية والحرية ثمرة الشجاعة ولا تحجموا عن مخاطر الحروب . الصعاليك لا يخاطرون لانهم لا يرجون شيئاً وانما يخاطر من يخشى النوائب ومن اذا حلّت بهِ عبثت بامانيهِ وكان عبثها عليهِ ثقيلاً . والجبن والذل اشد على الحرّ من موت يصيبهُ وهو في عنفوان قوتهِ وحبهِ لوطنهِ

ما قمت لاطلب منكم ان تتعزوا بل لاطلب منكم ان تسرّوا . هذا ما اطلبهُ من اباء هؤلاء الابطال . والمرء معرَّض للموت في كل لحظة ولكن السعيد من يموت ميتة مجيدة مثلما مات هؤلاء الذين تندبونهم الآن بعد ان قُدّر لهم ان تنتهي حياتهم هذا المنتهى المجيد . ولا انكر انهُ يصعب عليكم ان تتعزوا عن الذين فقدتموهم ولاسيما اذا كنتم ترون امثالهم في بيوت جيرانكم فيذكرونكم بهم . ولكن الذين لا يزالون منكم في سن الكهولة سيلد لهم اولاد يقومون مقام الذين فقدوهم و يكونون سياجاً لوطنهم لان الرجل الذي لا يودّ ان يكون ابًا لا ينتظر منهُ ان ينصف وطنهُ و يقوم بنصرتهِ . والذين جازوا السن التي ينتظر فيها اخلاف النسل حسبهم تعزيةً انهم قضوا الجانب الاكبر من عمرهم آمنين والقليل الذي بقي منهُ يعزيهم فيهِ شرف الذين فقدوهم . والحب والشرف لا يشيخان ولا يسرُّ قلب الشيخ في شيخوخته مثل الشرف » انتهى

هذا الكلام الذي قيل منذ ثلاثة وعشرين قرنًا يرنُّ صداهُ في نفوسنا كأنهُ قيل امس وهو ابلغ تأبين للذين فقدناهم ولو كان النبأ فلنحنِ الرؤُوس امام ما فيهِ من البلاغة الفائقة وامام ذلك الشعب العظيم الذي فهمهُ وعمل بهِ . انتهى

رأينا ان نلحق بهذا الفصل كلاماً في الشجاعة روي عن لسان اسماء بنت ابي بكر الصديق قالتهُ لابنها عبدالله بن الزبير بن العوام لما تفرّق عنهُ اصحابهُ واشتد الحصار عليهِ في خلافة

عبد الملك بن مروان · فان اخاهُ عروة جاءهُ حينئذٍ وقال لهُ ان عبدالملك يعطيك الامان على ما احدثت انت ومن معك وان تنزل ايَّ البلاد شئت ولك بذلك عهد الله وميثاقهُ · وكان عبدالله قد امتنع عن مبايعة يزيد بن معاوية وثار عليهِ بالحجاز بعد ان كان سيف الامو بين القاطع وادَّعى الخلافة واخذ البيعة لنفسهِ في الحجاز وكاتب اهل العراق واليمن وخراسان ومصر فوافقهُ الجم الغفير منهم على خلع بني امية · ثم قوي امرهُ لما توفي يزيد سنة ٦٤ للهجرة وذانت لهُ اكثر البلاد ولكن اهل الشام بايعوا مروان بن الحكم الاموي · ثم توفي مروان سنة ٦٥ وخلفهُ ابنهُ عبد الملك فوجه الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير وكان قد انتقض عليهِ اكثراتباعهِ لتضييقهِ على محمد بن الحنفية · فلما قال لهُ اخوهُ عروة ما تقدم دخل على امهِ وقال يا اماهُ قد خذلني الناس حتى ولدي واهلي ولم يبقَ معي الأ اليسير ممن ليس عندهُ اكثر من صبر ساعة · والقوم يعطونني ما اردتُ من الدنيا فما رأيكِ · فقالت انت اعلم بنفسك ان كنتَ تعلم انك على حق واليهِ تدعو فامضِ لهُ فقد قتل عليهِ اصحابك فلا تمكن من رقبتك يتلعَّب بها غلمان بني امية · وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد انت اهلكتَ نفسك ومن قُتِل معك · وان قلتَ قد كنتُ على حق فلما وهن اصحابي وهنتُ وضعفتُ · فليس هذا فعل الاحرار وكم خلودكَ في الدنيا · القتل احسن

فدنا عبد الله فقبَّل رأسها وقال هذا والله رأيي الذي قمتُ بهِ داعياً الى يومي هذا وما ركنتُ الى الدنيا ولا احببت الحياة فيها ولكني احببت ان اعلم رأيكِ فتزيديني بصيرةً مع بصيرتي · فانظري يا اماهُ فاني مقتول فلا يشتد حزنكِ وسلّمي الامر لله فان ابنك لم يتعمَّد اتيان منكر ولا عملاً بفاحشة ولم يجُرْ في حكم ولم يغدر في امان ولم يتعمَّد ظلم مسلم ولا معاهد · ولم يبلغني ظلم من عمَّالي فرضيت بهِ ولم يكن شيءٌ آثر عندي من رضاء ربي · اللهمَّ اني لا اقول هذا تزكيةً مني لنفسي انت اعلم بي ولكني اقولهُ تعزية لامي لتسلو عني

فقالت امهُ اني لارجو من الله ان يكون عزائي فيك حسناً · ان تقدمتني احتسبتك وان ظفرت سررتُ بظفرك اخرج حتى انظر الى ما يصير اليهِ امرك · ثم قالت اللهمَّ اني سلمتُ لامرك فيهِ ورضيت بما قضيتَ فاثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين

وسواء كان هذا الكلام مما قالهُ عبد الله بن الزبير وامهُ او مما وُضع على لسانيهما على اختلاف الروايات فيهِ فهو عنوان الشجاعة وترجمان البسالة · وما اشجع ممن تعرض عليهِ الراحة والرفاهة فيفضل الدعرة لما يحسبهُ حقًّا ولو تحت ظلال السيوف

قيام المجلاّت وسقوطها

ليس بين قراء المقتطف الاَّ من عرف مجلة «العلم العام» الاميركية من كثرة ما طالعوهُ من المقالات التي ما فتئَ المقتطف ينقلها عنها الى العربية منذ عهد طويل · والمراد بالعلم العام العلمَ الذي تتاح موائدهُ للعامة لانهُ مما يسهل عليهم تناولهُ كما يرى من بيانها الذي سننشرهُ فيما يلي · والظاهر انها لم تفز بهذه الامنية امنية تقريب العلوم من افهام العامة بدليل انقطاعها عن الصدور في شكلها القديم من اواخر السنة الماضية وانقسامها مجلتين مختلفتين كلَّ الاختلاف في مقصدها وشكلها · وقد اصدرت لذلك بياناً قالت فيهِ :

«آلت هذه المجلة على نفسها منذ بدء ظهورها سنة ١٨٧٢ ان تقوم بعملين مختلفين الواحد تقريب العلوم من مدارك الجمهور · والآخر نشر مقالات تتتبع فيها تقدم العلوم وتشير بوجوه الاصلاح اللازم في دوائر العلم والتربية والاجتماع · وهاتان الغايتان عظيمتا الشان ولكن لما كان العلم يزداد اتساعاً وتشعباً كلَّ يوم فقد ازدادت بذلك المصاعب القائمة في سبيل الجمع في مجلة واحدة بين الغايتين المشار اليهما

«في اوائل عهد هذه المجلة بالوجود كان مذهب النشوء والارتقاء لا يزال في مهدهِ وقد انقسم العلماء فيهِ اسباطاً واشياعاً وكنا ننشر المقالات في مجلتنا من قلم داروين وسبنسر وهكسلي وتندل وامثالهم فكان الناس يقبلون على قراءة تلك المقالات لصدورها من اولئك الاعلام أهل الحجة في العلوم الحديثة · وقد اصاب الذين سمّوا الثلث الاخير من القرن التاسع عشر عصر العلم وذلك لان العلم الطبيعي سار فيهِ سيراً حثيثاً ونزل اسمى منزلة من حضارتنا · وهذا السير يستلزم تقسيم الاشغال المختلفة والاخصاء فيها حتى يعسر على المشتغل في فرع من الفروع ان يفهم الاشغال التي تجري في فرع آخر في حين ان الحواجز التي بينها اصطلاحية اكثر منها حقيقية اي انها حواجز مبانٍ لا حواجز معانٍ · ولا ريب ان الصعوبة التي يجدها الجمهور في فهم تلك الاشغال اعظم حتى لقد خيف ان يفقدوا الاهتمام بتقدم العلوم وتتبع سيرها · وحيث يعتمد العلم على الشعب لا غنى لهُ عن ثقة الشعب وحسن انعطافهِ · وهذا يقتضي ان يكون هناك مجلتان بدل الواحدة اذ من اللازم توجيه الكلام ايضاً الى الذين يختلفون عن الجمهور في درجة فهمهِ واهتمامهِ

«وفي خلال الخمس عشرة سنة الماضية وجه محرر هذه المجلة همهُ الى تحريرها على قواعد

علمية سامية وفتح صدرها لكبار العلماء الذين يرومون بحث المسائل العلمية الرفيعة الشان . وقد كانت المجلة مجلة الجمهور بمعنى انها لم تكن خاصة بفريق ولا اصطلاحية وكان في وسع الادباء والاذكياء ان يفهموها ولكنها لم تكن مجلة الجمهور بمعنى ان جميع الطبقات يفهمونها وان مشتركيها يعدون بمئات الالوف . وكان يردها كثير من المقالات التي تصلح لمجلة من طراز آخر ولا ريب ان الجمهور يحتاج الى مثل هذه المجلة . فان مجلة كثيرة الصور موقوفة على تقريب العلم من اذهان العامة لجديرة بان يقبل القراء عليها مزيد الاقبال وبأن تحرر على قواعد تختلف عن قواعد المجلات العلمية البحتة كما تختلف المدارس الابتدائية عن الثانوية في اساليبها ومقاصدها

« لذلك نقل اسم هذه المجلة الى شركة تألفت لانشاء مجلة قريبة من افهام العامة اما المجلة الاصلية فصدرت من اكتوبر الماضي على جاري عادتها وبشكلها المألوف ولكنها اتخذت لها اسماً آخر وهو « المجلة العلمية الشهرية » . وهذه القسمة الى مجلتين منطبقة على مذهب الارتقاء اذ يتسنى لكل منهما ان تطابق بين نفسها والبيئة المحيطة بها باكثر مما تستطيعان لو كانتا مجلة واحدة فتخدم كل منهما العلم خدمة كبيرة في طريقتها »

وكانت شركة المجلة قد اسبقت هذا البيان ببيان آخر قالت فيه انها ما اقدمت على هذا الامر الا لانها كانت تخسر كل سنة عشرة آلاف ريال فلم ترَ من الحكمة والصواب الاستمرار على اصدارها واشارت الى بعض المجلات والصحف الاخرى في اميركا فقالت ان مجلة « العلم » الاسبوعية خسرت من اول صدورها الى الآن ٨٠ الف ريال وان مئة صحيفة او اكثر من الصحف العلمية في اميركا لا يفي دخلها بنفقاتها

اما المجلة المصورة التي انتحلت اسم المجلة العلمية فقد جاءتنا اجزاؤها حافلة بالمواضيع التي تروق الخاصة والعامة معاً وفي كل جزء منها اكثر من ١٥٠ صفحة مفعمة بالمقالات والفوائد المختلفة ولا تكاد تجد بينها صفحة خالية من الصور ففيه نحو ٣٠٠ صورة . هذا عدا الاعلانات المنشورة بين دفتيهِ في صدرهِ وذيلهِ وهي تملأ نحو ٩٠ صفحة اخرى منهُ . وثمن العدد ثلاثة غروش صاغ وقيمة الاشتراك السنوي ريال ونصف . وقد قالت ادارة المجلة ان الاشتراكات فيها تضاعفت في خلال ثمانية شهور فكانت ١٠٠٠٠٠ في بدء صدورها فاصبحت الآن ٢٠٠٠٠٠

اما مادة المجلتين فتتضح من المقابلة بين العددين الاخيرين منهما . ففي العلمية عشر مقالات في امثال المواضيع الآتية : توزع النباتات في كليفورنيا . قدم الانسان في اميركا

الشمالية شنغشا والصينيون. الارقام الكبرى والاعمال غير المتناهية (وهي مقالة رياضية).
الفيتامين وطبيعتهُ الكيماوية ومعناهُ الفسيولوجي (وهي مقالة كيماوية فسيولوجية كما هو ظاهر)
الى آخر ما هناك من المقالات العلمية الصرفة

وفي الاخرى نحو مئتي مقالة ونبذة بين كبيرة وصغيرة وهي مبوبة عشرين باباً في الطيارات والاوتوموبيلات والزراعة والهندسة والكهربائية والجيولوجيا وتدبير المنزل والحرب الحاضرة والاختراعات والطب والجراحة والفوتغرافيا والراديوم وسكك الحديد وغير ذلك . ولا تحسبنا مغالين اذا قلنا ان كل مقالة وخبر وفائدة منها تكاد تكون مبينة برسم او صورة

ومما يجدر ذكرهُ في هذا المقام ما قالتهُ المجلة في آخر عدد ظهر منها قبل انقسامها مجلتين . قالت تحت عنوان « المجلات العلمية والجمهور » ما ترجمتهُ :

« اذا كانت البلاد جمهورية فللمجلات والصحف السيارة اللائقة بتربية اخلاق الامة من جميع طبقاتها وحملها على الاهتمام بالعلم وادراك قيمتهِ في ترويج خير الاوطان والنوع الانساني عامة شأن كبير جداً . واذا كان ملكية فلا غنى لها ولحكامها واشرافها واعيانها عن رعاية العلوم والفنون والآداب . ففي المانيا تدير الحكومة الالمانية مدارسها وجامعاتها ومعاهد البحث العلمي وتعينها بالاموال كما تعين المشروعات التجارية التي يطبَّق العلم فيها على العمل . وفي انكلترا يقف رجال الثروة نفوسهم على البحث العلمي ويتولون بعض المناصب من غير ان ينقدوا اجوراً على ذلك . وفيها وفي فرنسا يجزى الباحثون والمنقبون على اتعابهم بالقاب ورتب يمنحونها

« وليس في الامكان جعل البحث العلمي حرفة قائمة بنفسها . ففي نظاماتنا الاجتماعية الحالية يجزى العامل على كل خدمة يخدم بها فرداً واحداً او مجموعاً من الافراد ولكن خدمة المجتمع كلّهِ لا تؤخذ عليها اجرة في الغالب . فانهُ اذا فاز اصحاب الصحف او اصحاب معامل الذخيرة او ضباط الجيش باثارة حرب انتفعوا من عملهم هذا . واذا دافعوا عن السلام فبقي موطّد الاركان نالهم الخسران . واذا استطاع المحامون حلّ العقد القانونية والاطباء تقليل اسباب الامراض اضاعوا بذلك مصالحهم المادية . واذا عمل جرّاح عملية سرطان فقد ينقد الف ريال اجرة عمل ساعة . ولكن اذا اكتشف طريقة جديدة للعمليات اصلح من الطرق المعروفة فقد ينتفع بعض الانتفاع ولكنهُ لا ينتفع اكثر من سائر الجراحين ويكون انتفاعهُ اقل من انتفاع المصابين بكثير . واذا اكتشف دواء للسرطان لا يعطى اجراً ماليًّا

مقابل اكتشافهِ هذا بل بالضد من ذلك يفقد هو ورصفاؤُهُ الجراحون وسيلة من الوسائل التي يعولون عيالهم بها

يرى من ذلك ان البحث العلمي وهو اعظم خدمة يُخدَم بها المجتمع الانساني ليس عليهِ أجر. وقد وكل في هذه البلاد الى اناس وقفوا بعض وقتهم على التعليم في المدارس والجامعات تنفلاً . وفي السنين الاخيرة سعت الحكومة والمعاهد ذات الاوقاف وارباب المصانع والمتاجر الى ترقية البحث العلمي على اساس تجاري فكان الربح عظيمًا جدًّا . ولكن اذا اريد اطّراد البناء على هذا الاساس بادارة الامة فلا غنى عن تربيتها حتى تنزل هذا العمل منزلتهُ اللائقة بهِ وتقدرهُ حق قدرهِ . ولا ريب ان نشر العلوم في المجلات والصحف هو افضل الوسائل لادراك هذه الغاية

ان المسألة معضلة . ذلك لان المدارس العالية والجامعات والمتاحف لا ينتظر منها ان يفي دخلها بنفقاتها حتى انك لترى المدارس الثانوية التي يعلَّم فيها اولاد الاغنياء قائمة على اساس الاعانات . ولو ان متحف التاريخ الطبيعي عندنا فرض رسماً على زائريهِ خلا منهم ولبات دخلهُ من هذه الرسوم في سنة غير كافٍ لنفقاتهِ في شهر . على ان الملاعب العادية التي تعرض فيها الحيوانات المختلفة تقوم بنفقاتها وتربح

اما العلم فممتهن في المجلات القصصية والصحف السيارة . وترى الصحف الصفراء وملاعب الحيوانات والصور المتحركة تقدم الى الجمهور ما يدفع مقابلهُ عن رضى . ولا نمارِ جمهور يتنا بان هذه هي الامور التي يريدها الجمهور لان رغبة مئة مليون من السكان فيها دليل على تقدم عظيم في جنب ما كان يرغب فيهِ قبلاً

ولما رأت شركة هذه المجلة انها تخسر عشرة آلاف ريال في السنة لانها علمية محضة لم ترَ من الصواب والحكمة الاستمرار على اصدارها

نعم ان هذه المجلّة تستحق ان ينفق عليها عشرة آلاف ريال في السنة فوق دخلها بل تستحق ان ينفق عليها اكثر من ذلك كما تنفق البلاد على متحف التاريخ الطبيعي ثلثمائة الف ريال في السنة وعلى جامعة كولمبيا اربعة ملايين ريال ولكن لا ينتظر من شركة خصوصية ان تخسر من جيبها هذا المبلغ سنة بعد سنة الى ما شاء الله لاجل فائدة الجمهور . وكذلك كان الدكتور غراهم بل والمستر هبرد ينفقان نحو ثمانية آلاف ريال في السنة على مجلة العلم . وفي اميركا اكثر من مئة مجلة مخصصة للمباحث العلمية المحضة وما من مجلة منها تكتسب ما يقوم بنفقاتها . على ان المجلات التي تكتب في تطبيق العلم على العمل قد تقوم بنفقاتها

وذلك مما يقوي الامل بان الجمهور سيتدرج الى الرغبة في البحث العلمي المحض حتى تصير مجلاتهُ تقوم بنفقاتها

وقد لا يحسن ان يطلب من الحكومة ان تساعد المجلات العلمية مباشرةً بان تعين لها اعانات سنوية ولكن يجب ان يطلب منها لتساعدها على سبيل آخر وهو ان ترتب اعداداً كافية منها للمكاتب العمومية وان يطلب من كل الذين يعلمون فائدة هذه المجلات ان يشتركوا فيها حتى يكثر دخلها و يفي بنفقاتها · انتهى

فان كانت المجلات العلمية لا تقوم بنفقاتها في بلاد واسعة غنية مثل اميركا فيها اكثر من مئة مليون من السكان واكثرهم متعلمون متهذبون و يعرفون قيمة العلم وهم اغنى شعوب الارض فما قولك في بلاد مثل هذا القطر والقطر السوري · وقد يظن لاول وهلة ان المجلات العلمية رخيصة جداً في اميركا كالمجلات القصصية فلا يفي دخلها بنفقاتها ولكن ليست الحال كذلك فان مجلة العلم الاميركية شهرية وهي اصغر من المقتطف واغلى منهُ لان قيمة الاشتراك فيها ستة ريالات او ١٢٠ غرشاً في السنة ومع ذلك لا يقوم دخلها بنفقاتها مع انها اشهر مجلة علمية في الدنيا و يكتب فيها اعلم علماء اميركا وقد مرَّ على صدورها حتى الآن ٩٨ سنة · ومجلة العلم التي تبلغ خسارة اصحابها ثمانية آلاف ريال في السنة كما تقدم اسبوعيةٌ ولكن لا تزيد صفحاتها في الشهر على ١٤٠ صفحة مع ان قيمة الاشتراك فيها خمسة ريالات في السنة عدا اجرة البريد

فان كانت حكومات الامم الراقية تنفق النفقات الطائلة على معاهد التعليم والتهذيب وعلى مشاهد النزهة والتسلية فاحرِ بها أن تنفق مثل ذلك على المجلات العلمية اذا تحققت فائدتها لشعبها وهي الرابحة ان فعلت لانهُ ما من مال ينفق في سبيل من السبل و يكون ريعهُ اكثر من ريع المال الذي ينفق في سبيل التعليم · فلو وسَّعت الحكومة المصرية مدرستها الطبيَّة منذ ثلاثين سنة حتى تسع مضاعف ما تسعهُ الآن واكثرت من المدارس الزراعية وساعدت المجلات العلمية وانفقت على ذلك كلهِ مئة الف جنيه كل سنة فوق ما تنفقهُ الآن لجنت البلاد مما زاد في صحة سكانها وريع اطيانها ما يساوي ملايين كثيرة من الجنيهات

الآ ان ما فاتنا في الماضي نرجو ان لا يفوتنا في المستقبل لاسيما وقد جلس على عرش مصر سلطان يعلم فائدة العلم و يهتم بنشرهِ وتعزيزهِ ولا بدَّ من ان يحذو رجال حكومتهِ حذوهُ ويعملوا برأيهِ

هل امبراطور المانيا مجنون

كتب الدكتور كالب الصليبي نزيل انكلترا مقالة في هذا الموضوع في مجلّة الستراند الانكليزية كان لها وقع عظيم لانهُ بناها على صورة رآها في مدينة مونخ بتضح منها عقل مصورها وعلى اقوال اشهر الثقات الباحثين في الامراض العقلية قال فيها ما خلاصتهُ

مضت سنون كثيرة والذين يوثق بعلمهم يشكّون في سلامة عقل امبراطور المانيا · اما الآن فصار لهذا الموضوع شأن كبير يهمُّ الناس اجمع وانتقل البحث من معرض النظر في اقوالهِ الى معرض النظر في افعالهِ التي ازجت اوربا في هذه الحرب ولم تقتصر اوامرهُ على قتل المحاربين بل تناولت اغتيال السكان الآمنين في منازلهم

ولقد كنت اهتمُّ بهذا الموضوع كلما قرأت عن حالة الامبراطور العقلية ثم زاد اهتمامي بما رأيت في مدينة مونخ سنة ١٩١٣ اذ ذهبت اليها للاشتراك في عيد وغنر كما سيجيءُ ويضاف الى ذلك ما درستهُ على استاذي السر توماس كلوستون من حوادث الجنون الكثيرة وما رأيتهُ في البيمارستان الملكي قرب ادنبرج وفي ملجإ يورك الذي كان جدي الدكتور كالب وليمس يعالج المجانين فيهِ مدة خمس وثلاثين سنة وبنى على معالجتهم كتابهُ في مسوءلية المجانين المجرمين

وتظهر اهمية هذا الموضوع من انهُ ان كان امبراطور المانيا مجنوناً فهو غير مسوءُول عمّا يفعل فلا يوآخذ مثلاً باغراق الباخرة لوزيتانيا مع انهُ لو كان في مكانهِ رجل عاقل لحُكم عليهِ بانهُ قاتل وعوقب بالقتل

ولكن مسألة مهمّة مثل هـذه لا يحق لاحد ان يبدي فيها حكماً ولو كان طبيباً ما لم يكن قد تعلّم علم الامراض العقلية ومارسهُ زمناً طويلاً ولذلك لا اتوخَّى الاَّ تلخيص ما اجابني بهِ بعض الثقات المشهورين الذين يعتمد على اقوالهم واحكامهم في هذه المسألة في مجالس القضاء مضيفاً اليهِ ما رأيتهُ بنفسي في مدينة مونخ

والاطباء الذين كتبت اليهم سائلاً عمّا يرونهُ في هذا الموضوع لا يستطيعون ان يذيلوا آراءهم باسمائهم لان آداب صناعتنا تحظر ذلك على الطبيب الذي يمارس صناعتهُ ونعم َما تفعل ولم اتجاسر انا على اظهار اسمي الاَّ لانني ابطلت ممارسة الطب · ومن الثقات الذين كتبت اليهم طبيب مشهور ولعلهُ اشهر اطباء الامراض العقلية استحسن هذا البحث واسف لانهُ لا

يستطيع ان يكتب فيهِ بالاسهاب وختم كتابهُ بقولهِ « ارجح ان في عقل الامبراطور شيئًا من الخلل واؤكد انهُ مجرم »

وهذه الكلمات قليلة بسيطة ولكن الطبيب الذي قالها هو اكبر ثقة في هذا الموضوع ولا اظن ان الحكم الاخير يمكن ان يكون ادق من حكمهِ هذا او اقرب منهُ الى الصواب

وامامي الآن مستندان من اقوى المستندات كتبا بعد ما شهرت الحرب ويليق بي ان استشهد بهما الاول ما قالهُ الدكتور مورتن برنس في كتابهِ عن امبراطور المانيا وحالته العقلية فقد قال ان هذا الامبراطور خطب في السبع والعشرين سنةً التي مرَّت منذ تبوَّأ عرش الملك خطبًا عديدة يجد فيها الباحثون في الامراض العقلية اموراً كثيرة تستحق الالتفات. من ذلك انهُ لم يستشهد في كل خطبهِ بشعر « غيتي » شاعر الالمان المشهور ولو مرة واحدة ولكنهُ كان يستشهد دوامًا باسلافهِ من آل هوهنزلرن وبينهم كثيرون من المجانين. ثم ان خطبهُ كلها تتضمن كراهة المبادىء الديموقراطية واحتقارها مع ان الديموقراطيين يبلغون الآن ثلث الشعب الالماني. وهذا الهوس متسلط على عقلهِ وهو مفعم بالغيظ والخوف وفيهِ ما يدفعهُ الى نفثهما دوامًا فيتفجَّران منهُ تفجرًا ومن ثم كثرت محاكمة الذين يقال انهم اهانوهُ وقويت سلطتهُ وسلطة الفريق الحربي في المانيا. ولكن ما سبب هذا البغض والغيظ المتسلطين على عقلهِ

والجواب انهُ يحلُّ الآن محلاً نفتهُ قوانين المتمدنين فانهُ يدَّعي ان لهُ سلطة مطلقة ممنوحة لآل هوهنزلرن من الله تعالى لا من الشعب. وهو لا يدَّعي هذه الدعوى احتيالاً بل يعتقد صحتها وعندهُ انهُ متسلط على شعبهِ بحق الهي وان كل ما لشعبهِ من الحقوق انما هو منحة منهُ. ولذلك قال « اني انظر الى الشعب الذي سلَّمهُ الله اليَّ كمنحة يطالبني بها وعليَّ ان ازيد الميراث الذي ساقدم عنهُ حسابًا يومًا ما ولذلك اضطرُّ ان اسحق كل الذين يعارضونني »

والثاني مقالة في « الغيظ » قرأها الدكتور هسلوب في العام الماضي في المجمع الطبي العقلي وقال فيها ان الرجل من اهالي ملقا قد يعربد فيخرج الى الشوارع فيخاصم ويضرب ويقتل. ويحدث مثل ذلك في بلدان اخرى وقد يصاب بهذا الجنون جمهور كبير من الناس دفعةً واحدة كأَنهُ ينتشر بينهم بالعدوى حتى لقد تصاب بهِ امَّة برمتها فتصير خطراً كبيراً على العمران. وفي التاريخ اخبار كثيرة عن ملوك وولاة اصيبوا بهذا النوع من الجنون ولاسيما اذا كانوا مصابين بداء الصرع فأُعدي بهِ اتباعهم وانصارهم ونكَّلوا بالناس اشد التنكيل.

ولكن كل ما ذكر عن اولئك الملوك والولاة لا يقابَل بما فعلهُ امبراطور المانيا الآن . وقد تجيز القوانين الدولية قتل الناس على هذه الصورة ولكن اهالي العصور المقبلة سيجرّمونهُ حتماً . ثم ان حدوث حوادث كثيرة من هذا القبيل من آل هوهنزلرن يدلُّ على ان ما حدث الآن انما هو حادث عقلي مرَضي مثل الحوادث التي سبقتهُ ويستحيل ان يرضى الناس باعادته مرةً اخرى »

ولا شبهة في صحة هذا الرأي فان شهوات الغيظ والبغض والخوف متى قامت في انسان متفانٍ في حب نفسهِ فقد تفضي الى افعال جنائية ان لم تكن من نوع الجنون الجنائي . فان جنون العظمة (المغالومانيا) او النفخة والخفخفة سخافة تستوجب الهزء ولكنهُ قد يفضي الى ارتكاب الجرائم ومن ثم تدعو الحال الى تقييد بعض مختلي الشعور لدفع اذاهم عن انفسهم وعن غيرهم . واذا اشتد الخوف بالمصابين بجنون العظمة فقد يفعلون افعالاً تتجاوز مضارها بيوتهم وتعمُّ بلاداً برمتها مع انهُ يتعذر الحكم بانهم مجانين فعلاً لان بين العقل والجنون درجات يلتبس فيها الواحد بالآخر حتى يصعب التفريق بينهما . والرتب العالية والاطراء والتملُّق قد تنفخ محبي العظمة حتى يختل بها شعورهم واذا حدث حينئذٍ ما يدعوهم الى امتشاق الحسام فقد يثيرون لظى حرب تحرق الاخضر واليابس

في شهر سبتمبر من سنة ١٩١٣ دخلت البيت الذي كان لنبخ المصور الالماني العظيم يقيم فيهِ في مدينة مونخ وكانت زوجتهُ لا تزال ساكنة في جانب منهُ الاَّ انها كانت غائبة حينئذٍ . وكان دليلي احدى السيدات من بلاط امبراطور النمسا فارتني كثيراً من الصور البديعة التي صوَّرها لنبخ وبينها كثير من صور بسمارك ومن صور اولاد لنبخ نفسهِ . ثم دخلتْ بي غرفة صغيرة وهي تبتسم واذا انا بصورة مثل خربشة الدجاج يصور الطفل صوراً احسن منها وتحتها بحروف واضحة اسم « ولهلم » امبراطور المانيا فانهُ صوَّرها واهداها الى لنبخ لكي يعرضها بين صورهِ البديعة حاسباً انها تضاهيها . وعندي ان هذه الصورة اصدق شهادة على حالتهِ العقلية

وانا لا اعتقد انهُ مجنون ولكنني اعتقد انهُ مصاب بمرض حب النفس فان ظهور الجنون في بعض اسلافهِ لا يستلزم ظهورهُ فيهِ . وعسم ذراعهِ الناتج عمَّا اصيب بهِ من شلل الاطفال لا يدلُّ على حالتهِ العقلية الاَّ من حيث كونهُ يؤْلم مَن كان شديد الاعجاب بنفسهِ مثلهُ ويعرّضهُ دائماً للاحتدام غيظاً

اما الجنون فلا ارى وجهاً لنسبتهِ اليهِ لانني ارى في انتظام اعمالهِ ما يخرجهُ من طبقة المجانين ولو قُسِم لهُ ان يكون تاجراً او مؤَلفاً للشركات لافلح في ذلك لكنهُ شبَّ وشاب في

بيئة لا يسلم فيها الانسان من الزلل ولا سيما اذا كان معجباً بنفسهِ محبّاً للتملّق . فقوي فيهِ العُجب الى حد المرض والاضرار بالغير ومن كان في منصبهِ وفي احوالهِ لا بدَّ ان تأخذ منهُ الخيلاء كل مأخذ ولو كان مرقص اوريليوس[1] فهو من هذا القبيل معذور بعض العذر لانهُ منفعل بالفواعل التي احاطت بهِ فتسلطت عليهِ ومع ذلك لا ابرئهُ من المسؤولية الادبية بل اعدّهُ من اكبر المجرمين واودُّ ان يعاقب كذلك . انتهى

ثم قالت مجلة الستراند انها عرضت هذه المقالة على اثنين من اكبر الثقات في هذا الموضوع الاول الدكتور ارمسترنج جونس مدير بيمارستان كليبري ومدرس علم الامراض العقلية في مستشفى مار برثلماوس فسمح لها ان تنشر رأيهُ واسمهُ . والثاني طبيب آخر لا يفوقهُ احد في هذا العلم فكتب اليها برأيهِ ولكنهُ فضل الَّا ينشر اسمهُ

قال الاول طالعت المقالة البديعة التي كتبها الدكتور صليبي وانا اوافقهُ على ان هذه المسألة مهمة جدًّا ولا يحق لاحد ان يبدي فيها حكماً ما لم يكن قد درس علم الامراض العقلية ومارسهُ زمناً طويلاً . وان البحث في هذا الموضوع لم يعد امراً نظريًّا خصوصيًّا بل صار امراً عمليًّا عمومياً يهمُّ الامم كلها لكي يُعلَم مَن هو الملوم في هذه الحرب الكبرى ولكي يعلم مقدار مسؤوليتهِ

لا يخفى على الخبيرين ان الحد بين العقل والجنون غير واضح فالطرفان البعيدان يمتازان كل الامتياز احدهما عن الآخر واما الطرفان القريبان فيتماسان حتى يتعذر الفرق بينهما اي يصعب ان يعرف اين ينتهي العقل و يبتدئ الجنون لا سيما وان احوال الانسان تختلف من وقت الى آخر فان كل احد يفعل احياناً افعالاً تبعد عن مقتضى العقل والفطنة ولا سيما في سن الصغر حتى يعذر الصغار على افعال يفعلونها لا يعذر عليها الكبار لو فعلوها . بل العمل الواحد الذي يستحسن في سنٍ من سني الحياة قد يعدُّ جنوناً في سن اخرى . والجنون فنون واسعة النطاق جدًّا رأى الباحثون اصولها في غرائز الانسان ولكنها لا تنمو ما لم تكن في تربة صالحة لنموها اي ما لم يكن العقل ميَّالاً الى التحيز والعُجب ومحبة الذات . ونمو الغرائز ولا سيما غريزة حفظ الذات يميل بالمرء الى الخُلق الذي يظهر امتيازهُ بهِ فاذا نما العقل نموًّا صحيحاً نشأ سليماً يتولى ارشاد الغرائز بمساعدة قوانين الآداب والقدوة الصالحة . ويراد بالعقل السليم قوة الحكم والتمييز او استخدام المعلومات السابقة في الاحوال الحاضرة . والعقل السليم هو

(١) امبراطور روماني مشهور بفلسفتهِ وكرم اخلاقهِ

الذي يجعل المرء يعترف بما عليهِ لغيرهِ ويحترم حقوق الناس . وقد قال هربرت سبنسر « ان الغرائز التي يترتب عليها خير الامم والافراد ينتج عنها حفظ النفس » وهي تشمل الاحترام الواجب للامم والعمل بما بينها من العهود والمحالفات وتوجب مجاملة الجميع ورفع شأن الانسانية . وبغير ذلك لا يمكن ان يكون للامم أمن وسلام . فهل بدا من الامة الالمانية او من امبراطورها شيء من الاحترام لهذه الامور . والجواب كلاً . ومتى انحرفت الغرائز كما يحدث في العقول الميالة الى الخلل إما لظنون لا صحة لها او لمؤثرات قوية اثرت في الحداثة زاد الخلل العقلي حتى اذا بلغ اشدهُ صار الحجر على صاحبهِ امراً واجباً . ولا فائدة ان يُطلَب من المصاب بهذا الخلل ان يستعمل عقلهُ لان العقل يكون قد فقد قوة تمييز المؤثرات الخارجية او الجمع بينها والحكم على نتائجها ولا بدَّ حينئذٍ من حدوث ما لا تحمد عقباهُ .

ان تعليم بسمارك لهذا الامبراطور في حداثتهِ قوَّى في نفسهِ ايجاس الشر من عدو وهمي والاستعداد للايقاع بهِ وهذا العدو الوهمي هو بلادنا . ثم ان اعتقاد آل هوهنزلرن بان لهم حقًّا الهيًّا وازدياد هذا الاعتقاد بما في عروق هذا الامبراطور من دم آل ستورت جعلاهُ يعتقد بتأييد الله لهُ حتى سئم العالم دعواهُ في كل محفل بانهُ شريك لله وتوخيهُ الوصول الى ما وصل اليهِ نبوليون من المجد والسؤدد . ثم ان عبثهُ بالعهود التي وقَّعها مع دول اخرى لحفظ البلجيك وذهابهُ الى المغرب الاقصى قصد اغاظة فرنسا واقتحامهُ مرفأ أغادير تحدياً لها وافتخارهُ بتشبيهِ نفسهِ باتلا ملك الهون كل ذلك دليل على طمع وعتو متمكنين من نفسهِ وبالغين حد الجنون . وقد سمي هذا النوع من الجنون باسم بارانويا[1] والمصابون بهِ لا يدخلون كلهم البيمارستانات . وقد يكون منهم اناس من النوابغ واصحاب القرائح الوقادة ومدعي القداسة والنبوة والذين يتصورون انهم يستطيعون العروج الى القمر او غيرهِ من الكواكب . والغالب انهم اصحاب عزيمة صادقة ولكن الصفة الكبرى التي يمتاز بها المصابون بالبرانويا هي الانانية وهي حالة نفسية باطنية ولكن تتخذ صفة دينية . وبهذا تفسر دعاوي امبراطور المانيا الدينية التي يجاهر بها من وقت الى آخر فان عقلهُ غير موزون فلا ينتقد نفسهُ ولا يحتمل ان ينتقدهُ غيرهُ ومن ثم اقام القضايا الكثيرة على الذين انتقدوهُ . وهذه الحالة العقلية تستمرُّ مهما لقيت من المقاومة الى ان يجد صاحبها نفسهُ ضمن جدران البيمارستان حيث يقضي على امانيهِ ولعل هذا البيمارستان يكون الآن جزيرة القديسة هيلانة

---

(1) Paranoia والكلمة يونانية ومعناها بلا فكر وهي نوع مزمن من الجنون اخص اعراضهِ كثرة الوهم وقد يبقى صاحبهُ سليم العقل من وجوه كثيرة . والانذار فيهِ رديء جدًّا

اما الطبيب الذي فضَّل ان لا ينشر اسمهُ وهو لا يفوقهُ طبيب آخر في الدنيا كلها في هذا الموضوع فختم كتابهُ بقولهِ

ان هذه المسألة تعرض دوامًا على الاطباء كما قلتم في كتابكم ولاسيما الاطباء الذين يعالجون الامراض العقلية . والامر الاول الذي يجب الالتفات اليهِ هو تحديد الجنون فان الثقات مختلفون في ذلك والاكثرون الآن على ان الجنون يقاس بافعال المرء لا بالادلة العقلية . وقد مضى عليَّ اكثر من عشرين سنة وانا اقول اني انتظر ان تحدث رزايا كبيرة من تصرُّف امبراطور المانيا الخارق حدود العقل بانياً قولي هذا على الامور التالية

اولاً انهُ من اسرة ظهر الجنون فيها وقد احاط بهِ المتملقون ولا يظهر انهُ يملك قياد نفسهِ

ثانياً ان الذي يعالج المجانين زمانًا طويلاً يستطيع ان يردَّ جنون الكثيرين منهم الى نمو زائد في حاسَّة من حواسهم الطبيعية . فالغَيْرة قد تزيد حتى تتولَّد منها اعراض يخشى شرها . وايجاس الشر من الغير قد يصير ما يسمَّى بجنون الاضطهاد . والحذر قد ينتهي بجنون الشك folie de doute وهلمَّ جرًّا

ثالثًا قيل ان الذين يولدون صمًّا او يعتريهم الصمم في حداثتهم يصيرون اما من اصحاب الظنون فيعتقدون ان الناس يتقولون عليهم الاقاويل لانهم لا يسمعون كلامهم او يصيرون من المعجبين بانفسهم لانهم لا يسمعون احداً يعترض عليهم

ولا شبهة ان كل هؤُلاء معرضون للخلل العقلي

فاذا التفتنا الى امبراطور المانيا ورأَينا المتملقين يحيطون بهِ وهو من المقدرة على جانب عظيم لم يتعذَّر علينا ان نعرف سبب اعجابهِ بنفسهِ وزد على ذلك انهُ غير قادر على انتقاد اعمالهِ . واعتقادهُ بانهُ يعرف كل شيء يدلُّ على خلل في قوة التمييز . لكن كل ما تقدم لا يوجب ان يكون مجنونًا . ولا شبهة في ان اعمالهُ لا تنطبق على القواعد الادبية المرعية . واذا قيل هل هو مجنون او مجرم فالحكم في اي الرجلين هو صعب جدًّا . فلو فعل رجل من الرعايا فعلهُ فسبَّب موت آخر لعومل معاملة مجنون مجرم وسُجن في سجن المجانين المجرمين

قال مودسلي[1] ان البعض جنونهم اشد من شرهم والبعض شرهم اشد من جنونهم والفريق الاول حري بالشفقة والثاني بالعقاب . انتهى

(1) Maudsley عالم فسيولوجي كان رئيس المجمع الطبي البسيكولوجي في بلاد الانكليز واستاذ الطب الشرعي في جامعة لندن ومحرر مجلة العلوم العقلية . ومن اشهر مؤَلفاتهِ فسيولوجية العقل و باثولوجيته ومسؤُلية المصابين بالامراض العقلية



صورة الانف بعد العملية

صورتهُ قبلها

مقتطف يونيو ١٩١٦
امام الصفحة ٥٦١

اصلاح الانف بالجراحة

في الناس كثيرون ينكرون فائدة الدواء في معالجة الامراض . وقد عرفنا بعضاً من مشاهير الاطباء يشخص المرض احسن تشخيص ثم يقف عند هذا الحد كأن يقول لعليلهِ ان مرضك كيت وكيت ولا ينجيك منهُ الاَّ الاعتدال في المعيشة والهواء النقي والطعام السهل الهضم الكثير الغذاء وفي الانسيكلوبيذيا البريطانية عند كلامها على معالجة الدفثيريا بالمصل قولها ان كثيرين من مشاهير الاطباء ينكرون فائدة المعالجة بالمصل مع ظهورها كالشمس ولكن امثال هؤُلاء ان كانوا لا يصدقون فعل المصل فهم لا يصدقون شيئاً

نعم ان طائفة كبيرة من الادوية لا فائدة منها مطلقاً . ولكن من ينكر فائدة الكينا مثلاً في شفاء بعض اصناف الحمى او فائدة التطعيم في الوقاية من الجدري وكذلك فعل كثير من انواع الدواء في تقوية البنية . فان من ينكر ذلك كمن ينكر فعل السم في الاجسام

على انهُ مهما يكن من انكار بعض الناس لفعل الدواء فليس ثمة من ينكر فعل الجراحة . فقد يختلف الاطباء في تشخيص مرض ما ولا يتفقون على تشخيصهِ الاَّ عند فتح رمة صاحبهِ بعد مماتهِ . كذلك قد يختلفون على الدواء الذي يصفونهُ لهُ وقد لا يتفقون البتة ولكن لا مجال للاختلاف فيما يرى رأي العين ويلمس باليد والعمليات الجراحية من هذا القبيل . وقد خطت الجراحة خطى واسعة في الربع الاخير من القرن الماضي حتى قال البعض ان تقدمها اعجب ما كان في ذلك القرن وربما عدَّ اعظم ما تمَّ من الاختراعات والاكتشافات فيهِ

وكثير من الامراض كان يفضي بصاحبهِ الى الموت على الغالب قبل تقدم الجراحة باكتشاف مضادات الفساد كالتهاب الزائدة الدودية الذي كان يسمَّى باسماء مختلفة قبل التحقق من ماهيتهِ . وكانت عملية الزائدة تحسب من العمليات الكبيرة فاذا نجحت واحدة فشل عشر . اما الآن فتعدُّ من العمليات البسيطة التي لا يحسب لها حساب وقلما تنتهي بالموت

ولم يقتصر فضل الجراحة على معالجة الامراض بل جاوزها الى تحسين بعض اعضاء الجسم وخصوصاً ملامح الوجه وبالاخص الانف . فان الانف من ابين اجزاء الوجه التي تظهر بها ملامحهُ . فاذا كان معتدلاً لا شمم فيهِ ولا فطس ولا خنس ولا كزم ولا فغن ولا قنا فهو جميل ويزيد الوجه بهِ جمالاً والاَّ فقد يكون قبيحاً والوجه كذلك

وعيوب الانف ثلاثة . الاول ما ينشأ عن جروح تصيبهُ . والثاني ما تجلبهُ الامراض . والثالث ما كان خلقيًّا . وقد يتفق اذا كان العيب خلقيًّا ان لا يظهر الأ عند بلوغ الانسان حدًّا محدوداً من العمر وحينئذٍ يشمخ الانف بغتة بلا انذار سابق

واول من عالج آفات الانف بالجراحة الهنود فقد كان بعض قبائلهم في زمن سالف يقاصون بعض الجناة بجدع انوفهم . ورأى بعض كهنتهم ان الذين تجدع انوفهم تشوه وجوههم اقبح تشويه وان الواحد منهم يبذل اعزّ ما لديهِ في سبيل تخفيف ذلك التشويه فاحتالوا على رزقهم باصلاح الانوف . وذلك انهم كانوا يقطعون قطعة من جلد الجبهة فوق الانف و يلصقونها بالفراغ الحادث من جدع الانف فتنمو فيهِ وتملأهُ . وقد ذكر التاريخ انَّ الطبيب برانكا الصقلي كان يعالج آفات الانف في اواخر القرن الرابع عشر واوائل الخامس عشر بتطعيمهِ بجلد يقتطع من الذراع . واشتهر بعملياتهِ هذه شهرة طبقت الخافقين

اما العيب الخلقي في الانف فقد يكون نتوءًا بارزاً في قصبتهِ يصير بهِ الانف اقنى او تضخماً في مارنهِ او فطساً في منخريهِ او غير ذلك . وقد درس جراح الماني عيوب الانف الخلقية ومارس معالجتها جراحيًّا مدة طويلة فعرض على جمعية برلين الطبية شابًّا كان ضخم الانف فعمل لهُ عملية جراحية بتر بها النتوء البارز من القصبة فعاد الانف معتدلاً سويًّا لا يكاد يرى فيهِ اثر العملية . ثم عرض على الجمعية بعد ذلك كثيرين عالج انوفهم بطريقة لم يمسّ فيها جلد الانف فاصلح الانوف من غير ان تظهر عليها ندوب الجراح

وقد ظهر من سؤَال كثيرين من الذين عملت فيهم العملية الجراحية ان الذي حدا بهم على تحمّل آلامها وانعابها ونفقاتها ليس مجرّد تحسين الوجه بل التخلص من تعيير الرفاق اياهم بانوفهم وتعريضهم للهزء والسخرية بسببها . وترى في الرسم المقابل صورة فتاة بانفها الاقنى قبل العملية وبهِ سويًّا بعدها . ويقال انها عادت الى المستشفى بعد شفائها وخروجها بين الناس لتشكر الجراح على عمليتهِ فامسكت يدهُ بكلتا يديها وقالت « صدقني انهُ لم يلتفت احد في السوق اليّ » . والظاهر ان الناس كانوا يكثرون الالتفات اليها وهي سائرة لا لحسن فيها بل القبح في انفها

مصر منذ تسعين سنة

— للسائح الفرنسوي دي نرفال —

(٦)

الدراويش

خرجت من عند قنصلي بعد العشاء وكان خادمي البربري ينتظرني عند الباب وقد ارسلهُ عبد الله ترجماني ليرافقني الى منزلي ليلاً وقد انف هذا ان يأتي بنفسهِ لئلاً يحسب خادماً رخيصاً فقضى جزءًا من الليل في القهوة مع بعض التراجمة ثم دخل الى منزلي ونام. وفيما كنت مجتازاً مع البربري في محلة الازبكية رأيت حركة غير عادية فالطرق والقهاوي مكتظة بالناس وفوق الحوانيت المصابيح والزينات والاعلام. ومنائر الجوامع مزينة بالانوار والمؤذنون يرتلون الآيات القرآنية . ورأيت عند ساحة العتبة الخضراء وورائها صواوين داخلها المقاعد والكراسي للجالسين و بينهم القراء والفقهاء يقرأُون القرآن انشاداً وفي بعض الصواوين والحوانيت جوقات المغنين وضاربي الطبول والزمارين. ثم اجتزت من هناك الى ما بين حارة الافرنج والاقباط فرأيت في صحن احد الجوامع جماعة من الناس واقفين على شكل دائرة في وسطها اناس ينشدون وحولهم اربعون او خمسون شخصاً يرددون ذكر الله على طريقةٍ لم ارها قبل الآن . فوقفت اتفرج على هـذا المشهد رغماً عن ارادة البربري خادمي وكان يدفعني بقوةٍ حتى اخرج من هناك خائفاً على زعمهِ من ان يتعدى عليَّ احدٌ من الجهلة لكوني نصرانيًا افرنجيًا ولكني رأيت هناك كثيرين غيري من الاقباط واقفين يشاهدون تلك الحفلة الدينية وقد عرفتهم من جبابهم وعمائمهم السوداء . واني لعالم ان المسلمين يتسامحون كثيراً في ترك الاجانب يشهدون حفلاتهم الدينية. ولما لم اتمكن من اقناع البربري باشارات واضحة قلت لهُ ان يأخذني الى خمارة المسيو جان مواطني وكانت على مقربة من هذا المكان . ولما وصلت رأيت عندهُ جماعةً من الاروام والاقباط يشربون الخمر فسألتهُ عن تلك الزينات والافراح والمعالم التي رأيتها في تلك البقعة وعن الجمع المحتشد في صحن الجامع وعن نشيد الفقهاء والمرتلين فقال لي انها حفلة عيد لولي ذلك الجامع وهذا العيد معروف عندهم « بالمولد » وكل البيوت والحوانيت حولهُ تزين تلك الليلة بالاعلام والشموع والازهار . وان تلك الحفلة التي رأيتها في صحن الجامع معروفة بحفلة « حلقة الذكر » حيث

يجتمع الفقهاء وارباب الطرق المنتسبون لطريقة ذلك الوليّ فيرتلون الايات القرآنية والناس من حولهم وقوف يرددون ذكر اسم الله

فدعوتهُ لان يصحبني الى المكان المشار اليهِ لاتفرج على هذه الحفلة · ولما وصلنا كانت الحفلة في اجمل مظاهرها ورأيت القائمين بالذكر وقوفاً يتمايلون يميناً و يساراً و يترنحون هياماً وهم يرددون ذكر اسم الله بسرعةٍ والمنشدون يثيرون بقصائدهم عاطفة حب الله في صدور السامعين · وقال لي المسيو جان ان اسلوب الحفلة ليس من عقائد الدين الاسلامي وانما هو اختراع قوم من الصوفية يعتقدون ان سعادة الروح في التجرد من المادة وهم بحسب الطريقة كأنهم مجردون من الجسم الهيولي فتسرح ارواحهم وتهيم في حب الله · واما القصائد التي ينشدونها في وسط الدائرة فكلها من منظومات الشعراء الصوفيين · وقد رجوتهُ ان يترجم لي بعض ابيات من تلك الاشعار ففعل · وها انا انقل بعض ابيات منها :

ذاب قلبي من الوجد والغرام وجفوني لا تغمض من الحب والهيام
وجسمي مضنى من السقام هل يا ترى ارى حبيبي ولو في المنام
في ظلام الليل انشد حبيبي الغالي ودموعي على خدي كاللآلي
وفؤادي في لظى الشوق يا حمام الدوح لِمَ تنوح
قال على فراق الحبيب والبعاد احرق فؤادي [(1)]

وارى ان الانشاد الروحاني هو بمثابة نشيد الانشاد في التوراة · وقال لي جان سترى بعد غد حفلات ذكر اكبر من هذه وذلك في مولد النبي · ولكن يجب ان تقف بزي عربي صرف لان هذا العيد يقع هذه السنة في يوم وصول المحمل ورجوع الحجاج من الحجاز · وبين هؤلاء عدد كبير من حجاج المغاربة والجزائريين وهؤلاء على جانب عظيم من الحماس حتى انهم لا يطيقون ان يروا في حفلاتهم الدينية اجنبياً وخصوصاً اذا كان مثلك بزي افرنجي

— الخدمة المنزلية —

وفي صباح اليوم التالي دعوت عبد الله ترجماني وقلت لهُ اني عزمت ان لا اعود بعد الى الفندق واشرت اليهِ ان يعدّ لي الطعام في المنزل عن يد الطباخ مصطفى · وفي السوق كثير من اللحوم والدجاج والخضر والفاكهة ما عدا الاسماك التي تصاد من النيل وكلها تباع

(1) لم اتمكن من نظم هذه الابيات حسب وضعها الاصلي ولم اجد في قصائد ابن الفارض او البهاء زهير او غيرهما من شعراء الغرام ما يطابق الفاظ هذه الاشعار ولذلك عربتها تعريباً حرفياً و يغلب على ظني انها من اغاني العصر الماضي

باثمان بخسة جداً . فالدجاجة الصغيرة تشترى بغرش واحد والحمامة بنصف غرش وقال لي المسيو جان انهُ لا يذبح في مصر سوى الغنم والجمال واما لحم البقر فلا وجود له . والخضر كثيرة منها نوعان شائعا الاستعمال وهما البامياء والملوخية وليستا معروفتين عندنا في اوربا. ومع رخص هذه المواد الغذائية رأيت بعد بضعة ايام ان نفقات المطبخ فاقت كثيراً المصاريف التي كنت ادفعها في الفندق وتجاوزت الحد الذي كنت اظنهُ فتأكدت حينئذٍ صدق قول مواطني جان ان الخادم والطباخ والترجمان اتفقوا على سرقتي . وهذا ما كان يشكو منهُ السياح من قبلي . فشاتوبريان قال انهُ انفق مالاً طائلاً على مطبخهِ مدة اقامتهِ بمصر . ودي لامارتين نفدت دراهمهُ قبل ان يتمكن من اتمام سياحتهِ وكثيرون من السياح لم يمكثوا سوى بضعة اسابيع واضطروا ان يعودوا الى بلادهم قبل ان يتموا سياحتهم في هذه البلاد لنفاد ما عندهم من المال . واخيراً عزمت على ان اقتني جاريةً فاستغني بها عن الطباخ والترجمان واقتصد بعض النفقات حتى لا اضطر ان اعود الى فرنسا قبل اتمام سياحتي في مصر وسورية ولبنان . واتفقت مع عبدالله على ان اذهب في اليوم التالي الى سوق الجواري لاشتري جارية تقوم بخدمتي المنزلية

— وكالة سوق الجواري —

في صباح اليوم التالي اصطحبت ترجماني فاجتزنا في شوارع واسواق كثيرة الى ان وصلنا بعد ساعة الى منزل محاط بجدار عالٍ فدخلنا في بوابة كبيرة الى حوش واسع في وسطهِ بئر واشجار كثيرة من الجميز وقال لي عبد الله ان هذا المكان يدعى « وكالة الجلابة » او سوق الجواري . فلما وصلنا الى آخر الحوش رأينا نحو اثنتي عشرة جارية من الزنجيات والسودانيات متوسدات الثرى ومستندات الى الجدار . تستر اجسامهنَّ ثياب باليَة زرقاء وهيئاتهن تدل على الكآبة والبؤس . وحينئذٍ اقبل بعض النخاسين ارباب هذه الوكالة فاستقبلونا بترحاب وسألنا احدهم عما نريد من الجواري أسودانيات ام نوبيات ام حبشيات فقلت لهُ بواسطة ترجماني اريد ان اراهنَّ كلهن لانتقي منهن جارية تصلح لخدمتي

فادخلنا الى المنزل وهناك غرف ارضية رحبة فدخلنا في احداها واذا هناك ست جوار سودانيات وزنجيات جالسات على حصير فلما وقع نظرهن عليَّ استغرقن في الضحك والقهقهة لغرابة ملبسي الافرنجي فلم اظهر شيئاً من الغيظ وقد وجدت لهنَّ عذراً في ذلك لان انظارهن لم تألف بعد مرأى رجل بقبعةٍ طويلة ولباس ضيق . وربما كنت اول افرنجي وقف امامهنَّ . وكن لابسات اثواباً خلقة لا تكاد تستر اجسامهن ولست الوم النخاس في ذلك

لانهُ غير مضطر الى تحسين بضاعتهِ وتزيين جواريهِ وهن معروضات في كل ساعة للبيع · وكانت شعورهن مضفورة في عشرات من الجدائل الصغيرة الدقيقة ووجوههن لامعة من طلاء الشحم والزيت على عادة البلاد التي اتين منها · وكن لابسات في ايديهن وارجلهن وانافهن واذانهن كثيراً من الاسورة والخلاخل والاخزمة والاقراط النحاسية وعلى سواعدهن وصدورهن الوشم الازرق وعلى وجوههن اثار خطوط وندوب مما يزيدهن قبحاً · وقيل لي انهن جلبن من السودان وسنار · ورغماً عما كن فيهِ من نضارة الجسم وزهو الصبا لم تمل نفسي الى اقتناء جارية منهن لاني رأيت في ضخامة شفاههن و بروز الفك الاسفل وانساعهِ في وجوههن وانخفاض جباههن مما يجعلهن في نظر الاوربي قبيحات جداً وهو لم يتعود نظرهُ بعد هذا الصنف من النوع الانساني فاذا لم اجد جارية منهن تصلح لي فان قصور العظماء وسرايات الامراء لفي حاجة الى مثل هؤلاء الجواري للقيام بالخدمة المنزلية وهن موصوفات بقوة الجسم والنشاط والهمة والصبر على الخدمة والاعمال الشاقة

ورأيت في غرفة اخرى جواري نوبيات اقل قبحاً من الاوليات واصغر سنًّا واصفى لونًا ولو كنت غنيًّا وقصدت ان اقضي الحياة في البذخ والتنعم حسب المعيشة الشرقية المترفهة لابتعت كثيراً من هؤلاء الجواري ولكنني كسائح عابر سبيل لا اريد سوى جارية تصلح لخدمة منزلي · فطلبت من النخاس ان يريني احسن مما رأيت فقال لي ان ذلك منوط بمقدار ما ادفعهُ من المال ثمنًا للجارية فسألتهُ — وكم ثمن الجارية من هؤلاء السودانيات والنوبيات فاجاب كيسان · وعلمت ان الكيس خمسماية غرش او ١٢٥ فرنكاً وقال لي ايضاً اذا اشتريت جارية فلك ان تردها في مدة ثمانية ايام اذا رأيت فيها عيباً · فقلت لهُ اريد جارية احسن مما رأيتُ · فاخذني الى مخادع اخرى وفيها كثير من الجواري النوبيات وهن اصغر سنًّا واكثر نضارة واقل قبحاً من السابقات الاَّ انهن كلهن من صنف واحد · ثم عزم النخاس ان يعريهن من ثيابهن حتى يريني نضارة اجسامهن وانجدال عضلهن ومرونة صدورهن فاستهجنت هذا الامر · وهؤلاء الفتيات المسكينات الساذجات كن طوع امر سيدهن لا بل كن يضحكن و يقهقهن كأن هذا العمل مألوف عندهن وقد تعودنهُ وذلك ما جعل هذا المنظر المستهجن اقل تأثيراً في نفسي · وكل واحدة منهن عالمة انها خطفت او ابتيعت من بلادها لا لتبقى اسيرة عند النخاس بل لتباع لسيد تقيم عندهُ وربما لقيت حظوة لديهِ وحسنت حالتها وصلحت معيشتها · ثم قلت لعبد الله ان يسأل النخاس عن الجواري الحبشيات · فاجابني عن لسانهِ

ان الحبشيات لا يعرضن عادة للفرجة لكل قادم او متفرج من السياح والغرباء بل لمن تتأكد انهُ اتى بقصد الشراء حقيقةً . وعدا ذلك فالحبشيات اغلى ثمناً من غيرهن والواحدة منهنَّ تساوي ثلاثة او اربعة اكياس . وهنَّ نادرات الوجود الآن وفي بعض السنين لا يأتي « الجلابة » الأ ببضع جوارٍ منهنَّ . ثم اشار اليَّ ان انتقي من بين السودانيات جارية دنقلية فاجبتهُ لا اريد سوى حبشية . فقال لي عبد الله اذاً فلنذهب الى وكالة اخرى في خان جعفر او خان كوجك . ولما علم النخاس بعزمنا على الذهاب من عندهِ الى وكالة اخرى من غير ان نشتري جارية منهُ قال لي انهُ جلب عدداً من الجواري الحبشيات ولكنهُ وضعهنَّ في وكالة خارج المدينة لكي لا يضطر ان يدفع عنهنَّ رسم الدخولية وعرض علينا ان نصحبهُ الى هناك لكي نراهنَّ . فقلت لهُ لا بأس هيا بنا

خرجنا من هناك واجتزنا شوارع كثيرة الى ان خرجنا من المدينة شمالاً ومررنا بين مدافن على آكام وتلال والطريق هناك متربة يثور عثيرها الناعم في الهواء فيحجب عنا الجادَّة . ثم انحدرنا الى سهل واسع بقرب من حصنٍ قديم يقال لهُ باب المذبح وعلى مقربة منهُ جامع تداعت جدرانهُ للخراب فترجلنا عن الحمير واستقبلنا عند باب فضاء واسع بعض العربان . وفي وسطهِ خيام منصوبة وضعت فيها الجواري وعندما دنونا من تلك الخيام بلغ الى سمعنا جلبة وضوضاء فادخلنا الجلاَّب الى الخيمة الاولى وفيها بعض الجواري السودانيات فلما وقع نظرهنَّ عليَّ استغرقن في الضحك كغيرهنَّ . وفي وسط الخيام ساحة فيها بعض جوارٍ يعملن في الغسل والطبخ . واجتذب نظري جارية واقفة عند موقد النار تحرك الطعام في حلةٍ كبيرة فدنوت منها ورأيتها تطبخ نوعاً من الحبوب ولما وقع نظري عليها دهشت من اعتدال قوامها وتناسب اعضاء وجهها وصفاء لون بشرتها وعليها مسحة من الجمال فقصدت ان ابدأ الحديث معها بلفظة « طيّب » فلم تعرني انتباهاً ولم تلتفت اليَّ وظلت مكبة على عملها فتحولت عنها الى باقي الجواري فلم استحسن واحدة منهنَّ وتقززت من رائحة الشحم والزيت المدهونة بهِ شعورهنَّ واجسامهنَّ . وقال لي عبد الله ان ذلك من نوع التحلي والزينة في بلادهنَّ . وكنت كلما دنوت من واحدة منهنَّ تطلب مني « بقشيشاً » فاخذت بضعة فرنكات ودفعتها للنخاس لكي يوزعها عليهنَّ وخشيت ان يستأثر بها فقلت لهُ وزعها على مرأى مني فقال

انهنَّ لا يعرفنَ قيمة النقود ولا يدرين ما يصنعن بها والاولى ان اوزع عليهنَّ اشياء اخرى بقيمتها ثم احضر لهنَّ مقداراً من التمر الناشف والبطيخ والتبغ وزجاجة من العرق ووزعها عليهنَّ فاظهرن السرور والانبساط وبدأن يرقصنَ امامي علامة الشكر على هديتي .

واما الجارية الطويلة التي جذبت نظري فلم تحرك من مكانها ولم تشترك مع رفيقاتها بالسرور كانها تأنف ان تساوي نفسها بهن فدنوت منها وحدقت في وجهها فاظهرت النفور والانفة واخيراً وقعت عينها على كفيّ وعليها قفازان من جلد اسود فاظهرت الدهشة والاستغراب كيف ان لون وجهي ابيض و يداي سوداوان فتركت عملها ووقفت تنظر بحيرة الى هذا الامر الغريب الذي لم يدركهُ عقلها الساذج. ولكي ازيد دهشتها وضعت يديَّ وراء ظهري ونزعت عنهما القفازين ثم اظهرتهما مجردتين فذعرت من هذا التغيير الفجائي وظنتني ساحراً ففرت من امامي وهي تصرخ برعب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا عفريت هذا شيطان» فذعرت رفيقاتها فابتعدن عني وهنَّ ينظرن اليَّ شزراً . ثم دنوت من عبد الله وقلت لهُ لقد اعجبتني تلك الجارية الواقفة تطبخ عند الموقد فكم يبلغ ثمنها ؟ اجاب ان هذه الجارية لا يبيعها صاحبها لانها محظيتهُ وهو يرجو ان تلد لهُ ولداً وحينئذٍ امااَنهُ يعتقها ويجعلها زوجةً لهُ واما انهُ يبيعها بثمن طائل كمرضعة ولأدة فتأثرت من هذا الجواب ثم قلت لهُ

اليس عندهُ جارية حبشية لان نفسي تعاف مرأى هؤلاء الزنجيات فقال ان الحبشيات نادرات الوجود الآن واشار اليَّ ان انتظر مدة يومين عند وصول الحجاج من مكة . وكثيرون من تجار الجواري «الجلابة» ياتون معهم ويجلبون جواري حبشيات وتركيات وهنديات وغيرهنَّ من جزيرة العرب وسكان محيط الاوقيانس وقال ان الحجاج سيقفون في سهل بعيد عن المدينة يقال لهُ «بركة الحاج»

ثم خرجنا من تلك الوكالة ولما وصلنا الى باب المذبح وسرنا في شارع الحسنية رأينا رجلاً تركيًّا يتبعنا وقد خرج من تلك الوكالة يقود امامهُ جاريتين سودانيتين اشتراها فلاحت مني نظرة اليهما فرأيتهما تبكيان والدموع ملء اعينهما ولا اعلم لماذا تبكيان هل كان ذلك حزنًا على فراق رفيقاتهما ام فرحًا لتخلصهما من اسر النخاس وشظف العيش . ذهبتا وهما لا تعلمان ما خبأ لهما الزمن هل تكونان في بيت من اشتراهما كمحظيتين ام كخادمتين

— مرسح في القاهرة —

اجتزنا بشارع الحسنية ثم سرنا في طريق على محاذاة ضفة الخليج وعند آخره يتفرع بين حي الافرنج وحارة اليهود ثم سرنا في الموسكي وعند مدخل واغورن بالقرب من الفندق (خمارة النيل القديمة) رأيت اعلانات بحروف افرنجية معلقة عند مدخل قهوة كبيرة علمت منها ان ستمثل تلك الليلة رواية فرنسوية يقوم بتمثيل ادوارها نخبة من الافرنج غواة التمثيل لاعانة جمعية العميان الفقراء وهم في مصر كثيرون جدًّا فصرفت ترجماني عبدالله وذهبت

وتناولت العشاء في الفندق وعند الساعة التاسعة ذهبت الى الملعب فرأيت ساحة واغورن ضيقة على سعتها وقد ازدحمت فيها اقدام الذين قدموا لحضور التمثيل ومن المتفرجين والمارة والغلمان والمتسولين والحمارة والصراخ متواصل من كل جهة « بقشيش بقشيش » كلما رأوا افرنجياً داخلاً

فدخلت الى الملعب ورأيته مكتظاً بالوافدين والمقاعد السفلى ملأى بالجالسين من الطليان والارورام والمالطيين . وفي المقاعد الامامية قرب جوق الموسيقى كثيرون من الضباط الاتراك والباشاوات . واما الالواج فكلها ملأى بالنساء الافرنجيات والشرقيات ومعظمهن من السوريات وهؤلاء اكثرهن بهجة وزينة وافخرهن ملبساً وحلية وقد نزعن الحبرات عن رؤوسهن وجلسن سافرات الوجوه . وترددي الكثير بين احياء مصر والى منتزهاتها وكنائسها جعلني خبيراً بالتمييز بين اصناف المسيحيين نساءً ورجالاً فالنساء السوريات والمالطيات وبعض الايطاليات المتوطنات في مصر من زمن طويل يلبسن على رؤوسهن الطربوش الاحمر المطوق بالعصائب المقصبة . واليونانيات يلبسن طاقية حمراء مطرزة بالشريط الذهبي يقال لها في اللغة الرومية « تاتيكوس » والنساء الارمنيات يعرفن بوضع الشال على اكتافهن والغطاء الابيض على رؤوسهن . واما اليهوديات فحيث يحرم على المتزوجات منهن اظهار شعورهن لاجنبي حسب المذهب الرباني التلمودي يلصقن على رؤوسهن قبعة من ريش الطيور تغطي الشعر . واما اثواب النساء فتختلف بين الاوربيات والشرقيات وهؤلاء الاخيرات وخصوصاً السوريات والتركيات يلبسن ثوباً من الحرير مزركشاً بالقصب قصيراً الى الركبتين حتى تظهر تحته اطراف لباس ضخم معقود عند كاحل الرجلين يقال له « شنتيان » والثوب منفرج عند الصدر انفراجاً واسعاً حتى تبرز النهود وهو مشقوق من الجانبين حتى تظهر الخاصرتان . ويتمنطقن بمنطقة من الحرير الملون في اوساطهن . وهذا النوع من الزي ورد اخيراً من اسطنبول مع النساء التركيات والشركسيات ويقال له عندهم « اليلك » وكان قبلاً شائعاً في اوربا منذ بدء القرن الماضي . اضف الى ذلك ما يلبسن من الحلي والاقراط وما على رؤوسهن من الاهلة المرصعة بالماس والحجارة الكريمة وحول اجيادهن من العقود واللآلئ . ففي هذا الملعب معرض الجمال والزي الشرقي على اختلاف انواعه وابهة الفخفخة الشرقية . وهذا الجمال ليس طبيعياً صرفاً لاني رأيت اكثر النساء يبذلن ما في وسعهن ليظهرن جميلات مكحلات العيون مزججات الحواجب مبيضات الوجوه محمرات الوجنات يوسمن وجوههن وجباههن بشامات سوداء على عادة اهل القرن الماضي في

اوربا الأَ انها ابطلت في فرنسا بعد الثورة الفرنسوية · واما شعورهنَّ فمصبوغة بنبات يقال لهُ الحناء كأَن لونها الطبيعي لا يعجبهنَّ · فالمرأَة الشرقية بما عليها من الزينة والحلي والجواهر عنوان منزلة اهلها المالية والادبية تحمل على جسمها ثروة زوجها · واما النساء المسلمات فلم يكن في المسرح منهنَّ سوى بعض التركيات وكن محجبات وقيل لي انهُ لم يكن بينهنَّ امرأَة واحدة مصرية

ثم فتح الستار ومثلت رواية من نوع الفودفيل وكانت الممثلة الاولى مدام بونوم صاحبة المكتبة الفرنسوية التي سبق ذكرها · وعند انتهاء التمثيل خرج الجمع · اما النساء اللواتي وصفتهنَّ فخرجن محبرات بالسواد ساترات الوجوه ببرقع ابيض يقال لهُ « برغوث » وسار خدمهنَّ أَو رجالهنَّ يحملون امامهنَّ الشموع والفنارات ومن كن يسكن في مكان بعيد ركبن الحمير وذهبن

— الحلاَّق —

في اليوم السابق من وصول المحمل وركب الحجاج فكرت في مشورة مواطني جان وهي ان ابدل زيي الافرنجي بزي عربي لئلاَّ اعرض نفسي لخطر او اهانة من المغاربة المتحمسين · وكنت قد اشتريت قبلاً مشلحاً من الصوف فاخذتهُ وذهبت الى صديقي المصور ورجوت منهُ ان يأخذني الى حلاق يعرفهُ فخرجنا معاً واجتزنا شارعاً طويلاً على جانبيهِ دكاكين الاروام والارمن (بين السورين) ثم دخلنا الى دكان حلاق مالطي تطلُّ نوافذهُ على ترعة الخليج · فجزَّ شعري الطويل وترك خصلةً منهُ في ام رأسي حسب عادة المسلمين واصلح من شأني حلاقة وغسلاً وتزييناً ثم اشترينا طربوشاً احمر مغربياً وطاقية بيضاء تلبس تحتهُ دائرها مزركش بخيوط حريرية · وهذا النوع من الطرابيش يصنع في مدينة « تور » احدى مدن فرنسا ويرد منها الى كل بلاد المشرق · ولكي استر لباسي الافرنجي اشتريت سروالاً واسعاً من الجوخ الازرق فوقه صدرية حمراء مخرمة الطرف بشريط وازرار فضية ولما لبست هذا اللباس ووضعت على رأسي الطربوش تتدلى عليهِ الطرَّة الطويلة من الحرير الازرق وتدثرت بالمشلح الابيض على كتفي قال لي الحلاق والحاضرون انهُ يحق لي الآن ان اسمَّى « شلبي » وهي كلمة تركية تطلق عندهم على كل شاب حسن الهندام · وقال لي المصور اني صرت بزيي هذا اشبه اميراً سورياً لبنانياً وصل حديثاً من صيداء او بيروت

— ركب الحجاج —

وفي صباح اليوم التالي ذهبت مع صديقي المصور وترجماني للتفرج على ركب الحجاج

وكانوا قد وصلوا قبل بيوم ونزلوا مع المحمل في بركة الحاج بالقرب من المطرية · فاستأجرنا الحمير وخرجنا من باب الفتوح ورأينا في طريقنا جماهير الناس ذاهبين الى ذلك المكان بين مشاة وفرسان وعرباً راكبي الجمال وقد غصت بهم الطرق والسهول · ومرت فرقة من حرس الباشا الوالي باسلحتها اللامعة وخوذاتها النحاسية ورماحها الطويلة · وصلنا الى سهل واسع عند ترعة الخليج بالقرب من المطرية، وكانت هناك خيام مضروبة واعلام مرفوعة لاستقبال الحجاج الوافدين · وبلغ عددهم في هذا العام كما قيل لي ثلاثين الفاً بين مصريين واتراك ومغاربة من مراكش والجزائر وتونس · ومرت فرق عديدة من ارباب الطرق باعلامهم وشاراتهم المختلفة (١)

— السيد عبد الكريم —

في صباح اليوم التالي ذهبت مع ترجماني الى سوق الجواري في سوق العزي Souk-el-Ezzi (؟) بعد ان لبست ملابسي الجديدة الشرقية لئلاً يهزأ الجواري بي كما فعلن في المرة الاولى فوصلنا الى منزل ذي رحبة واسعة يدعى بيت الكاشف كان قبلاً لاحد امراء المماليك وفي صدرهِ ايوان واسع باعمدة من رخام حولهُ مقاعد ووسائد حريرية · فرأينا رجلاً اسمر اللون بدين الجسم واسع الصدر متربعاً على المقعد وهو يدخن نرجيلة وامامهُ كاتب قبطي جالس على الحصير ومعهُ ادوات الكتابة و يظهر انهُ كاتب سرهِ

فلما صعدنا الى الايوان استقبلنا الرجل بترحاب ولطف · وقال لي عبد الله هذا هو السيد عبد الكريم من اشهر واكبر الجلاَّبة تجار العبيد والجواري · ثم وضع عبد الكريم يدهُ على صدرهِ وجبهتهِ ورحب بي بقولهِ اهلاً ومهلاً · فرددت عليهِ السلام وادرك من لهجتي الغريبة اني افرنجي ثم دعاني للجلوس بالقرب منهُ على المقعد وامر ان تقدم لي القهوة والنرجيلة واما ترجماني فجلس عند طرف الايوان · وكان يترجم بيني و بين عبد الكريم فذكر لهُ منزلتي ورغبتي في هذه الزيارة واني اطلب جارية تقوم بخدمتي مدة اقامتي بمصر وذكر لهُ اني استأجرت منزلاً وفرشتهُ وجعلتهُ صالحاً للمعيشة العائلية · وكان عبد الكريم يكلمني من حين

(١) وهنا وصف السائح مرور الموكب في شوارع القاهرة ووصول المحمل الى القلعة واستقبال محمد علي باشا وانجالهِ واعضاء اسرتهِ والعلماء والاشراف له مما لا يخرج وصفهُ عن حد الحفلات المعتادة التي تعمل الآن · واتفق ان ذلك اليوم كان عيد مولد النبي ايضاً فوصف ما رآهُ في المساء من الزينات ومعالم الافراح في الجوامع والدكاكين وقصور العظماء والملاعب المختلفة في ساحة الازبكية والعتبة الخضراء مما لا داعي الى ذكرهِ

لآخر بلغة ايطالية سقيمة وظهر لي من هيئتهِ وحدة نظرهِ انهُ في غاية الذكاء والاقدام ولا تخلو ملامحهُ من المكر والدهاء ولا بدع فانهُ جاب البلاد وخبر العباد وطاف في مجاهل افريقية حتى الحبشة وسواحل بلاد العرب وخليج العجم الى المحيط الهندي . ورأيت في عينيهِ نوراً جذاباً وسلطة على ارادة من ينظر اليهِ ثم نزلنا من الايوان ودخلنا عرصة وراء المنزل فرأينا بعض الجواري النوبيات والسودانيات ثم اقبل بعض المشترين فتركنا عبد الكريم وذهب لاستقبالهم وكان يعرض عليهم كل جارية بمفردها ويطنب باوصافها ويعري اكتافها ويقرع بكفهِ على ظهرها وصدرها ليريهم قوة عضلاتها ونعومة جسمها وقد ساوم احدهم على جارية سودانية واشتراها . ثم رجع عبد الكريم الينا وادخلنا الى دهليز طويل في المنزل حولهُ غرف ومخادع عديدة ورأينا في عرصة داخلية بعض السود المعروضين للبيع ولما امعنت النظر فيهم رأيت بينهم رجلاً طويل القامة نحاسي اللون على كتفهِ مشلح مخطط ولهُ شعر طويل مسترسل على وجههِ وملامحهُ تدل على الوقار والرزانة والانفة . ورأيت على دهشةٍ مني في يدهِ سلسلة او قيداً من الحديد فرابني هذا الامر ولما سألت عبد الكريم عنهُ قال . انهُ امير من امراء الفلا بجوار الحبشة اسر في الحرب مع قبيلة اخرى معادية باعتهُ للنخاسين وانما قيد بالحديد لئلاً يؤذي نفسهُ او احداً غيرهُ اذا اطلق سبيلهُ لانهُ نخور انوف يأبى الاسر ترفعاً واستكباراً فملت عطفاً اليهِ واسفت على حالتهِ

ثم ادخلنا عبد الكريم الى قاعة واسعة رأيت فيها سرباً من الجواري الزنجيات والنوبيات الاَّ انهن اصغر سنًّا ممن رأيتهن قبلاً . وكن يقهقهن ضحكاً ويغنين طرباً الاَّ واحدة منهن كانت منزوية تبكي وتضم الى صدرها طفلاً رضيعاً وربما كانت تبكي حناناً على ابنها الرضيع وهي لا تعلم هل يباع معها ام يفصل عنها فحولت نظري عن هذا المنظر المؤثر وانفطر قلبي شفقة على تلك الام المسكينة التعيسة . ولم استطع كتمان غيظي وانفعالي فقال لي ترجماني ببرودة لا تجزع ولا تأخذنك الشفقة عليها فهذه الجارية مملوكة احد الافندية من موظفي الحكومة ارتكبت زنى او عصت امر سيدها فلكي يؤدبها احضرها الى هنا موهماً اياها بانهُ يريد ان يبيعها ولكنهُ اوصى السيد عبد الكريم ان يحتفظ بها الى ان يأتي اليوم او غداً ويسترجعها ولا اعلم مكان هذا الكلام من الحقيقة . أليس من الغرابة ان تبكي جارية خوفاً من العتق ؟ . ان العبيد والجواري لا يشترون في مصر وكل بلاد المشرق الاَّ للقيام بالخدمة المنزلية والحسان منهنَّ يقمن عند اسيادهنَّ مقام الزوجات بخلاف الرق في امريكا الجنوبية والبرتوغال والبرازيل حيث يشترون العبيد والجواري للاشغال الشاقة في حرث

الارض وزرعها والتعدين. أليس الرق في الاسلام اخف وطأة منهُ عند المسيحيين المتمدنين؟ أليس باي تونس المسلم الغى الرق في بلادهِ قبل ان تلغيهُ هولاندا والبرتوغال في مستعمراتها؟

— الجاوية —

صعد عبد الكريم الى منزل حرمهِ ورجع وقال لي ان في حرمهِ بعض الفتيات الحبشيات وهو كثير الاهتمام بهنَّ حتى انهُ سمح لهنَّ ان يأكلن على سفرتهِ مع اسرتهِ ويعاملهنَّ كما يعامل اهل بيتهِ . وانهُ امر ان ينزلن الى عرصة الدار لكي اراهنَّ. فجلسنا ننتظر في الايوان وبعد ساعة فتح باب داخلي وخرج منهُ سرب من الفتيات يبلغن نحو خمس عشرة جارية وكلهنَّ حبشيات نحاسيات اللون. خرجن من الباب يدفع بعضهن بعضاً ووثبن الى فناء الدار ركضاً وقفزاً كانهنَّ ظبيات خرجت من اقفاصها او بنات خرجن من قاعة الدرس الى ساحة اللعب. ثم ذهبن الى حوض ماء كبير واخذن يلعبن برش الماء بعضهنَّ على بعض . فهؤلاء المسكينات يحسبن انفسهنَّ على ضفاف الانهر في بلادهنَّ يسرحن مرحًا على مرأى من اعين امهاتهنَّ ولا يعلمن ما خبأ لهنَّ الدهر والاسر من الكوارث

فامعنت نظري فيهنَّ فاذا هنَّ جميلات متناسبات الوجوه واسعات العيون. وقال لي عبدالله ان كثيرات منهنَّ بعن اختياراً او احضرن برضاهنَّ قصد المبيع لعلهنَّ يجدن مستقبلاً حسناً سعيداً . ولما سألت عبد الكريم عن ثمن الجارية منهنَّ اجاب اربعة اكياس (٢٠٠٠ غرش) لان الحبشيات يبعن غالياً بثمن اغلى من النوبيات والسودانيات. ثم عرض عليَّ ان يريني منزل حرمهِ وقال لي ان عندهُ ايضاً جواري أُخر اغلى ثمنًا واحسن شكلاً . فاصعدني وحدي الى الطبقة العليا واراني في احدى الغرف خمس جوارٍ حبشيات على جانب عظيم من الجمال وكلهنَّ صغيرات بعيون واسعة وانوف معتدلة وشفاهٍ رقيقة ووجوه مستديرة لا فرق بينهنَّ وبين اجمل النساء الاوربيات الاَّ في لون البشرة النحاسي فالجارية منهنَّ تشبه في جمالها تمثال الزهرة الرخامي الابيض الذي اكمد لونهُ من حرارة الشمس وطول الزمن . وقال لي عبد الكريم انهنَّ نصرانيات من صميم الحبشة . فوقعت في حيرةٍ لا اعلم من اختار منهنَّ لانهنَّ متماثلات في كل شيء وحينئذٍ حانت مني التفاتة فرأيت جارية واقفة عند باب المخدع فلما وقع نظري عليها دهشت اذ رأيت امامي فتاة بديعة الجمال حسنة القوام لونها اصفر ضارب الى البياض عيناها لوزيتان ناضرة الجسم فادركت لاول وهلةٍ انها من الجنس الاصفر من سكان جاوه او جزائر المحيط الهندي فاقتربت قليلاً منها فرأيت من لمعان عينيها الجذابتين ونعومة بشرتها ما جعلني اميل اليها . ولما رأى عبد الكريم كثرة تحديقي

بها ولحظ ميلي اليها وضع يدهُ على كتفي برفقٍ وقال لي « بونو بونو مولتو بونو »

ثم نزلنا الى الايوان ودار الحديث بيننا على هذه الفتاة بواسطة ترجماني فعلمت انها وصلت بالامس مع ركب الحجاج من الحجاز وان بعض فرصان العرب في عمان اسروها من بلادها وهي صغيرة وباعوها لاحد امراء مسقط في خليج العجم . ولما توفي باعها ورثاؤهُ مع ما باعوهُ من تركتهِ لاحد مشايخ الحجاز في مكة وهي لم تبلغ بعد سن الحلم وهذا باعها في موسم الحجاج للنخاس . وقال لي عبدالله ان السيد عبد الكريم وضعها مع حرمهِ عندوصولها امس ولما رأى مني استنكاراً ادرك ما اريد فاقسم لي اعظم الايمان ان السيد عبد الكريم لا يأتي بعمل منكر امام حرمهِ لئلاَّ يجلب سخطهنَّ عليهِ وعدا ذلك فهو متدين تقي قضى الليل كلهُ في الجامع يصلي حرمة لعيد مولد النبي

ثم دارت المناقشة بيننا على الثمن فطلب عبد الكريم خمسة اكياس ثمناً لهذه الجارية الجاوية (٢٥٠٠ غرش) وقال لي عبد الله ان السيد يأبى عادةً ان يساوم في الثمن . فقبلت ورأيت من العار المساومة على ثمن امرأة . ولما سألتهُ عن اسمها قال لي ان اسمها « زْنَبْ » فعسر عليَّ لفظ ثلاثة حروف ساكنة واخيراً علمت ان زنب هو اسم زينب في لفظ عرب اليمن وعمان . ثم كتبت لعبد الكريم تحويلاً في الثمن لاحد الصيارفة الافرنج المودعة عندهُ اموالي واستلمت الجارية وخرجنا من هناك يرافقنا احد خدمة عبد الكريم يحمل صندوقاً صغيراً قال لي انهُ يحتوي على بعض ثياب للجارية كانت لها عند سيدها الاول في عمان

ولم نصل الى المنزل الاَّ عند المساء وكان مرورنا من حارة اليهود الى الخرنفش فوصلنا الى دار عظيمة واسعة الرحاب لاحد كبار مشايخ الطرق يقال لهُ السيد البكري فدخلنا ورأينا ازدحاماً عظيماً في فناء الدار ونحو ستين او سبعين شيخاً خاشعين ساجدين على ايديهم وركبهم والشيخ البكري راكب على جواد مطهم وعلى كتفهِ برنس ابيض متشح بهِ وهو يتنقل بجوادهِ على ظهور هؤلاء الناس والمنشدون من حولهم يذكرون اسم الله ويرتلون الآيات . وقال لي عبد الله ان هذه الحفلة تدعى « حفلة الدعسة » تعمل في السنة مرة في عيد مولد النبي وانها من الخوارق والعجائب لان بركة هذا الشيخ وصلاحهُ يخففان وطأة الجواد عن ظهورهم ويجعلهم يشعرون بالسرور والارتياح ولم يحدث قط في هذه الحفلة عطب او ضرر لاحدمن العباد من حوافر جواد الشيخ الشريف

وفي المقالة التالية ما جرى لهذا السائح مع جاريتهِ من الحوادث الغريبة

ديمتري نقولا

الخسارة البحرية

في الحرب الحاضرة

لما نشبت هذه الحرب كان زمام البحر في ايدي الحلفاء لتفوق اساطيلهم على اساطيل الجرمان . ورأى الجرمان ذلك فحشدوا ما استطاعوا من بوارجهم في مرافئهم اما السفن الحربية التي لم تستطع الوصول الى هذه المرافئ فبقيت تمخر في البحور البعيدة حيث الخطر عليها قليل تحاول قطع سبل التجارة على بواخر الحلفاء كما رأينا من اعمال الطراد امدن المشهورة وغيره . فعمد الحلفاء الى تطهير البحور منها ففازوا بهذا الارب ولكن بعد ان خسروا عدداً من سفنهم البحرية كما يتضح مما يلي . وسنبين في هذه المجالة خسارة الحلفاء في السفن البحرية في الميادين المختلفة وخسارة الجرمان ايضاً حتى مارس الماضي

خسارة الحلفاء

خسر الانكليز في تطهير البحار الجنوبية من الطرادات الالمانية ثلاثة طرادات وهي «جودهوب» ومحمولهُ ١٤١٠٠ طن « ومونموث » ومحمولهُ ٩٨٠٠ . وقد خسروهما في المعركة البحرية التي دارت بينهم و بين بعض الطرادات الالمانية على الساحل الغربي من اميركا الجنوبية بازاء شيلي . اما الطراد الثالث فاسمهُ « بيجاسوس » وهو اصغر من السابقين بكثير اذ حمولتهُ ٢١٣٥ طنًّا . وقد اغرقهُ الالمان في مياه زنجبار

هذا ما خسروهُ خارج مناطق الخطر الكبرى اما ما خسروهُ داخلها فهو البوارج والطرادات الكبيرة الآتية : ارزِ ستِبل . واوشن . وجليات . وترايمف وهي انكليزية . وبوفيه وليون غمبتا وهما فرنسويان

وفي المعركة التي جرت قرب السواحل الالمانية (وخسر الالمان فيها الطراد بلوخر واصيب بعض طراداتهم الاخرى باضرار مختلفة) عطب الطراد الانكليزي لَيُون وطرادات غيرهُ ولكنها أُصلحت

اما خسارة الحلفاء بالالغام فاعظم من خسارتهم في المعارك وقد خسروا بذلك البارجة اودايشس على ساحل ازلندا وهي من بوارج فوق الدردنوط . والبوارج « الملك ادورد » و« بلوارك » و« نتال » وكلها انكليزية و « بندتو برين » وهو ايطالي

وخسروا بتربيد الغواصات الطرادات « هوج » و« ابوقير » و« كريسي » و« فورمدابل » و« مادجستك » و« امالفي » و « غريبالدي » والاخيران ايطاليان

فمجموع السفن البحرية التي خسرها الحلفاء حتى ٤ مارس الماضي من كبيرة وصغيرة يناهز الثلاثين ولكن خسارتهم اياها لم تغيّر الحالة الحاضرة بل لا يزالون الآن متفوقين على اعدائهم في البحر تفوقهم عليهم في اول الحرب. وفي الرسم الاول صورة المدرعات والطرادات الكبيرة والصغيرة التي خسروها

خسارة الجرمان

بدأت الحرب والمانيا الثانية بين الدول البحرية ولكن الفرق بينها وبين انكلترا كبير جدًّا فالاصح ان يقال انها ثالثة لان الاسطول الانكليزي اول لا ثاني له — قوته اكثر من ضعفي قوة الاسطول الالماني. ومما يذكر في هذا الصدد ان نسبة قوة الواحد الى الآخر لم تتغير تغيراً محسوساً بانضمام اساطيل حلفائهِ اليهِ

ومعلوم ان طرادين كبيرين من الطرادات الالمانية وهما الطراد جوبن من طراز دردنوط والطراد برسلو وهو اصغر منهُ بكثير تمكنا من بلوغ المياه العثمانية قبل اشتراك تركيا في الحرب وافضى ذلك الى مفاوضات سياسية انتهت باغارتهما على بعض المرافئ الروسية في البحر الاسود والى دخول تركيا الحرب في جانب الجرمان. وقد تعددت الاشاعات بعطبهما ولكن عطبهما لم يمنعهما من مواصلة الحرب

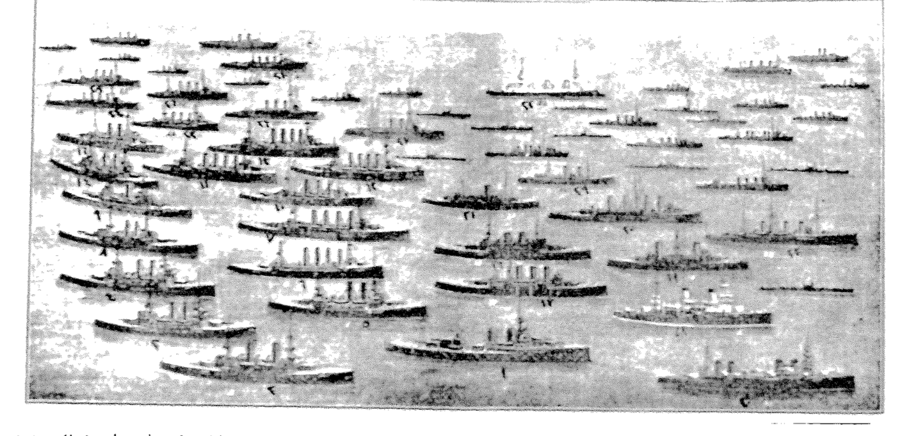
واول معركة تلاقت فيها الطرادات الانكليزية والالمانية معركة فوكلند على الساحل الجنوبي الشرقي من اميركا الجنوبية او جنوب الاتلانتيك وفيها فقد الالمان طرادين مدرعين هما «شارنهورست» و«جنيسنو» وطرادين خفيفين هما «لبتسك» و«نورنبرج». واستيق الطراد «درسدن» الى الباسيفيك حيث اغرق فيما بعد

اما الطرادات والبواخر المحوّلة التي انقطعت لقطع الطرق على البواخر التجارية فهي «امدن» و«كرلسروه» و«الامبراطور ولهلم الكبير» و«البرنس أيتل» و«فردريك» و«الكرونبرنز ولهلم». فاغرقت الثلاثة الاولى منها بعد ما خربت كثيراً ولجأت الثلاثة الباقية الى المرافئ الاميركية

وفقد الالمان في البحر البلطيك الطراد «مجدبرج» وشاع انهم فقدوا ايضاً طراداً من طرز «مولتكي» ولكن هذه الاشاعة لم تحقق حتى الآن. واغرقت غواصات الحلفاء البارجتين «مسعودية» و«بربروسا» العثمانيتين. وغرقت البارجة «مجيدية» بلغم

وهاجم الاسطول الانكليزي بعض الطرادات الالمانية ففقد الالمان المدرعة «بومرن» والطرادات «ماينتس» و«كولن» و«ار يادن»

السفن الحربية التي فقدتها انكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا واليابان في الحرب الحاضرة



(١) اودايشص (٢) ترايمف (٣) بلوارك (٤) ارزستبل (٥) اوشن (٦) ارجيل (٧) جودهوب (٨) فورمدابل (٩) مادجستك (١٠) مونموث
(١١) كريسي (١٢) ابوقير (١٣) هوج (١٤) جليات (١٥) هوك (١٦) بندتوبرين (١٧) امانفي (١٨) بوفيه (١٩) غريبالدي (٢٠) نسوجارو
(٢١) تكاشيهو (٢٢) جمفنج (٢٣) هرميس (٢٤) امفيون (٢٥) نيجر (٢٦) باثفيندر (٢٧) بيجاسوس (٢٨) سيدي (٢٩) كزابلانكا (٣٠) غمبتا
(٣١) ارثوزا (٣٢) الاميرال شارنر

واختلف تقدير الغواصات التي فقدها الجرمان فمن قائل انها ٣٥ ومن قائل انها ٧٥ . والحقيقة ضائعة

ويقال اجمالاً ان عدد السفن الحربية الكبيرة التي فقدها الحلفاء اكثر مما فقده الجرمان وربما كان بعض السبب في ذلك اننا نجهل خسارة الجرمان بالدقة لانهم يخفون خسارتهم البحرية . وهناك عدد من السفن الحربية الجرمانية ذكر الحلفاء في بياناتهم الرسمية ان الجرمان فقدوها ولكن هؤلاء سكتوا عنها . على ان خسارة الفريقين لم تفضِ الى تغيير يذكر في نسبة قوتهما البحرية بل لا تزال تقريباً كما كانت في بادئ الحرب

وفي الرسم الثاني صورة السفن الحربية الكبيرة والصغيرة التي فقدها الجرمان دون الغواصات . فان عدد ما فقدوه منها مجهول كما تقدم القول . اما النقالات والبواخر فقلَّما فقد الجرمان منها لانقطاعها عن السفر بسبب الحصر البحري . على انهم خسروا كثيراً من النقالات والسفن الشراعية العثمانية في الدردنيل والبحر الاسود

وهاك جدولاً ذكرنا فيهِ نوع السفن التي فقدها الفريقان حتى اوائل مارس وتفريغ كل منها وقوتها وسرعتها متبعين فيهِ نمرها في الرسمين

سفن الحلفاء

السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(١) اودايشص	فوق الدردنوط	٣١٠٠٠ حصان	٢١ ميلاً
(٢) ترايمف	قبل الدردنوط	١٤٠٠٠ «	٢٠ «
(٣) بلوارك	«	١٥٠٠٠ «	١٨ «
(٤) ارزستبل	«	١٥٠٠٠ «	٠٠ «
(٥) اوشن	«	١٣٥٠٠ «	١٨ $\frac{1}{2}$ «
(٦) ارجيل	طراد	٢١٠٠٠ «	٢٢ $\frac{1}{2}$ «
(٧) جودهوب	«	٣٠٠٠٠ «	٢٤ «
(٨) فورمدابل	قبل الدردنوط	١٥٠٠٠ «	١٨ «
(٩) مادجستك	«	١٢٠٠٠ «	١٦ «
(١٠) مونموث	طراد	٢٢٠٠٠ «	٢٤ «
(١١) [illegible]	«	٢١٠٠٠ «	٢١ «
	«	٢١٠٠٠ «	٢١ «

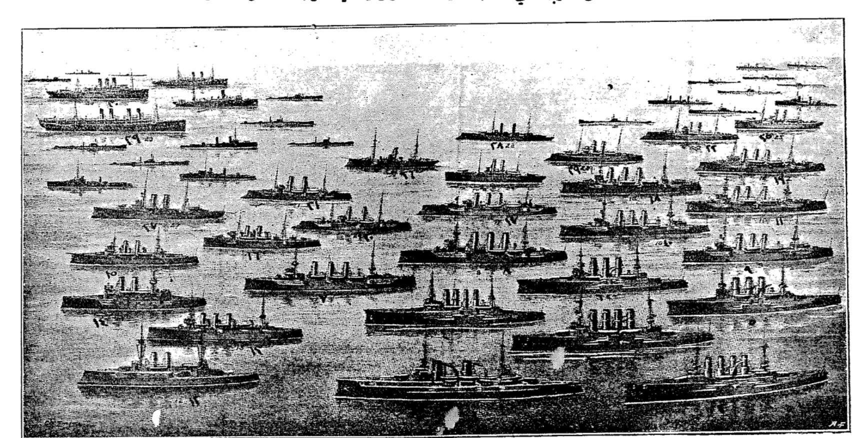
السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(١٣) هوج	طراد	٢١٠٠٠ حصان	٢١ ميلاً
(١٤) جليات	قبل الدردنوط	١٣٥٠٠ «	$18\frac{1}{2}$ «
(١٥) هوك	طراد	١٢٠٠٠ «	١٩ «
(١٦) بندتُّو برين	قبل الدردنوط	٢٠٤٧٥ «	٢١ «
(١٧) امالفي	طراد مدرع	١٩٠٠٠ «	$22\frac{1}{2}$ «
(١٨) بوفيه	قبل الدردنوط	١٥٠٠٠ «	١٨ «
(١٩) غريبالدي	طراد مدرع	١٤٧١٣ «	٢٠ «
(٢٠) تسوجارو[1]	طراد محمي	١١٦٠٠ «	٢٠ «
(٢١) تكاشيهو			
(٢٢) جمتشج			
(٢٣) هرميس	طراد خفيف	١٠٠٠٠ «	٢٠ «
(٢٤) امفيون			
(٢٥) نيجر			
(٢٦) باثفيدنر			
(٢٧) بيجاسوس	طراد خفيف	٠٧٠٠٠ «	$20\frac{1}{2}$ «
(٢٨) سبيدي			
(٢٩) كزابلانكا			
(٣٠) ليون غمبتا	طراد مدرع	٢٧٥٠٠ «	٢٢ «
(٣١) ارثوزا			
(٣٢) الاميرال شارنر			
	المجموع	٤٠٢٢٨٨	

سفن الجرمان

السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(١) بلوخر	طراد مدرع	٤٠٠٠٠	٢٥
(٢) شارنهورست	«	٢٦٠٠٠	٢٥
(٣) جنيسنو	«	٢٦٠٠٠	٥

(١) هو من الطرادات التي غنمتها اليابان من روسيا في حربها كان اسمهُ بلادا فغيرتهُ

السفن الحربية التي فقدتها المانيا والنمسا وتركيا في الحرب الحاضرة



(١) بلوخر (٢) شارنهورست (٣) جنيسنو (٤) يورك (٥) برنس ادلبرت (٦) فردريك كارل (٧) ماينتس (٨) كولن (٩) امدن
(١٠) دريسدن (١١) نورنبرج (١٢) بربروسا (١٣) مجيدية (١٤) مسعودية (١٥) القيصرة اليزابت (١٦) زنتا (١٧) بريمن [illegible] كونجسبرج
(١٩) ليبنسك (٢٠) اريادن (٢١) اندين (٢٢) باجوار (٢٣) الس (٢٤) نيجر (٢٥) لوكس (٢٦) كورموران (٢٧) البتروس (٢٨) نحيلا
(٢٩) القيصر ولهلم الكبير (٣٠) راس طرف الغار

السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(٤) يورك	طراد مدرع	١٩٠٠٠	٢١
(٥) برنس ادلبرت	«	١٨٠٠٠	٢٠
(٦) فردريك كارل	«	١٨٠٠٠	٢٠
(٧) ماينتس	طراد محمي	٢٠٠٠٠	٢٦
(٨) كولن	«	٣٠٠٠٠	٢٦
(٩) امدن	«	١٣٥٠٠	٢٤
(١٠) دريسدن	«	١٣٥٠٠	٤٤
(١١) نورنبرج	«	١٣٢٠٠	٢٣ ١/٢
(١٢) بربروسا	مدرعة	١١٠٠٠	١٧
(١٣) مجيدية	طراد	١٢٥٠٠	٢٢
(١٤) مسعودية			
(١٥) القيصرة اليصابات	طراد محمي	٠٨٠٠٠	١٩
(١٦) زنتا	«	٠٧٢٠٠	٢٠
(١٧) بريمن			
(١٨) كونجسبرج			
(١٩) ليبتسك	«	١٣٢٠٠	٢٣ ١/٢
(٢٠) اريادن	«	٠٨٥٠٠	٢١
(٢١) اندين	«	٠٨٥٠٠	٢١ ١/٢
(٢٢) باجوار (٢٣) إلتس			
(٢٤) نيجر (٢٥) لوكس			
(٢٦) كورموران			
(٢٧) البتروس (٢٨) هيلا			
(٢٩) القيصرولهلم الكبير	قبل الدردنوط	١٣٠٠٠	١٧ ١/٢
(٣٠) راس طرف الغار			
	المجموع	٣٣٩١٠٠	

اما السفن التي لم تذكر لها اوصاف فهي اما من السفن الصغيرة التي لا يحسب لضياعها حساب او من التي اغفلت كتب القوم وصفها . ومنها ما ذكر بعض اوصافهِ دون الآخر كما رأيت

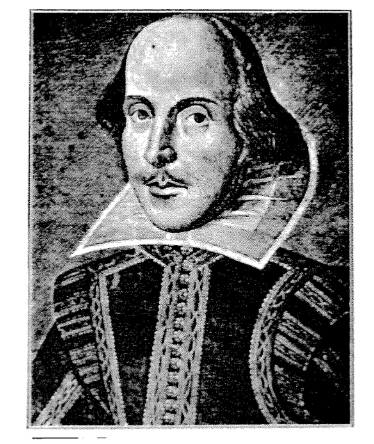
و يظهر من مقابلة المجموعين ان قوة السفن التي فقدتها المانيا وحليفتاها اقل قليلاً من السفن التي فقدتها انكلترا وحليفاتها

ولا يخفى ان الاسطول الالماني والنمسوي لاجئان الى مرافئهما فلم يتعرض منهما للخطر الأ البوارج التي كانت تمخر في البحار البعيدة عند اعلان الحرب وهذه قضي عليها كلها واما التي اختبأت في المرافيء الحصينة فلم تخرج منها الاَّ نادراً وكان خروجها دائماً لمفاجأة خصمها اي انها لم توافقهُ في ميدان النزال ليعلم القوي من الضعيف . واما بوارج الحلفاء فكانت تهاجم كلما لاحت لها فرصة وقد حاولت اقتحام الدردنيل وهو مملوء بالالغام والمدافع على جانبيهِ فخسرت خسارة كبيرة . ثم كانت اذا فاجأها اسطول عدوها في الزمان والمكان اللذين يختارهما تنهض لقتالهِ حالاً حتى اذا فرَّ من وجهها تبعتهُ ولو تعرَّضت لما يبذرهُ وراءهُ من الالغام . واذا وقفت بارجة منها تلتقط بحارة سفينة المانية عادت اليها بوارج الالمان واصلتها ناراً حامية فكل ذلك زاد في تعرضها للمخاطر

والعبرة في سفن الطرفين هي في حداثتها وقوة آلاتها البخارية فاذا قابلنا بين ما خسرتهُ المانيا من السفن الحربية الحديثة بوارج كانت او طرَّادات وما خسرتهُ انكلترا منها وعليهما وحدهما الاعتماد في الحرب البحرية وجدنا ان ما خسرتهُ المانيا من سفنها الحربية الحديثة يفوق في قوتهِ ما خسرتهُ انكلترا او هو مثلهُ . ومعلوم ان نسبة قوة انكلترا البحرية الى قوة المانيا البحرية كانت قبل الحرب مثل نسبة اثنين الى واحد فلو خسر الانكليز ما قوتهُ ستون الف حصان وخسر الالمان ما قوتهُ ثلاثون الف حصان فقط بقيت النسبة بين قوتي الدولتين على حالها واذا زادت خسارة الالمان على خسارة الانكليز زاد تفوُّق الانكليز البحري على تفوق الالمان . ناهيك ان الانكليز اقدر من الالمان على بناء السفن الحربية واسرع منهم في بنائها واعدادها للحرب ولذلك لا عجب اذا كانت قوة الاسطول البريطاني الآن مضاعف قوة الاسطول الالماني وبهذا يعلَّل التجاء الاسطول الالماني الى البحر البلطيك داخل ترعة كيال التي لا يمكن اقتحامها لضيقها وطولها وشدة تحصينها على جانبيها . ولو آنس من نفسهِ المقدرة على منازلة الاسطول البريطاني لخرج اليهِ وفاجأهُ او بيتهُ لان للمهاجم مزية كبرى على المهاجم ولكنهُ لا يفعل لانهُ يرجح ان الدائرة تدور عليهِ لعظم تفوق الاسطول البريطاني عليهِ



صورة تمثال شكسبير في كنيسة الثالوث بمدينة ستراتفورد وطنهِ



صورة شكسبير عن النسخة المطبوعة سنة ١٦٢٣

مقتطف يونيو ١٩١٦
امام الصفحة ٥٨١

شكسبير

تمهيد

احتفل كثيرون في ٢٣ من شهر ابريل الماضي بمرور ثلثمئة سنة على وفاة شكسبير الشاعر الانكليزي المشهور . فرأينا ان نكتب عنهُ شيئاً مما يدخل في مباحث المقتطف وتكون منهُ فائدة لقرائهِ . ومدار ما سنكتبهُ على شهرة شكسبير اي على دلائل هذه الشهرة واسبابها وكيفية وصولهِ اليها رجاء ان يكون من ذلك ما يدعو الى اصلاح التمثيل العربي

(١) دلائل هذه الشهرة

اتفق الذين كتبوا عن شكسبير على انهُ من المشاهير لكنهم اختلفوا في تحديد شهرتهِ فقال الذي كتب ترجمتهُ في انسكلوبيذيا ريس الانكليزية المطبوعة منذ مئة سنة انهُ « شاعر انكليزي من مؤلفي الروايات التمثيلية وهو اشهر من ألف من القدماء والمحدثين » . وقال الاستاذ سبنسر بينس في الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية انهُ « شاعر انكلترا واعظم شعراء الروايات التمثيلية الذين نشأوا في اوربا في العصور الحديثة » . وقال العالم ادمند كرشفر تشمبرس في الطبعة الحادية عشرة من الانسكلوبيذيا البريطانية التي طبعت سنة ١٩١٣ انهُ « شاعر انكليزي وممثل ومؤلف روايات تمثيلية »

وقال الاستاذ دودن في طبعة حديثة من سكلوبيذيا تشمبرس « انهُ اكبر شاعر من شعراء الروايات التمثيلية » وقال الدكتور بنيامين سمث محرر سكلوبيذيا السنتشري « انهُ شاعر انكليزي مشهور وهو اشهر واضعي الروايات التمثيلية » . وقال يوليو في قاموس الاعلام الفرنسوي « انهُ اول شاعر انكليزي صنف الروايات التمثيلية » وقال لاروس في الانسكلوبيذيا الفرنسوية « انهُ اعظم شاعر من شعراء الروايات التمثيلية »

واثبت الاستاذ كاتل الاميركي بالاستقراء ان شكسبير اشهر رجل عند الاوربيين والاميركيين بعد نبوليون بونابرت . وذلك انهُ اخذ ستة من اشهر الانسكلوبيذيات الانكليزية والفرنسوية والالمانية والاميركية واوسعها وفتش في كلٍّ منها عن الالف الذين شغلت ترجماتهم اوسع مكان فيهِ بالمقابلة مع غيرهم فاجتمع لديهِ ستة آلاف اسم فانتقى منهم الالف الذين ذكروا في هذه الانسكلوبيذيات الستة كلها وكانت ترجماتهم فيها اوسع من ترجمات غيرهم وقسمهم الى عشر طبقات حسب طول ترجماتهم ورتب اسماء كل طبقة حسب طول الترجمات فوجد رجالات الطبقة الاولى حسب الترتيب التالي

نبوليون بونابرت شكسبير · ڤولتر · باكون · ارسطوطاليس · غيتي · يوليوس قيصر · لوثيروس · افلاطون · نبوليون الثالث · بترك · هوميروس · اسحق نيوتن · شيشرون · ملتون · الاسكندر المكدوني · بت · وشنطون · اغسطس قيصر · ولنجتون · رفائيل · ده كارت · كولمبوس · كنفوشيوس · ولترسكوت · ميخائيل انجلو · سقراط الخ

ومن رجالات الطبقة الثانية فنلون · وهنيبال · وشاتوبريان · وداروِن · وكورنيل · وبطرس الاكبر · ولامرتين · وفلوطرخس · وشارلمان · وفيكتور هيغو · ودزرائيلي · ودكنس · وقسطنطين الكبير · ولافونتين · ومدام ده ستايل · وابقراط · وصفوقليس · وبركليس · وهيرودوتس

ومن الطبقة الثالثة مرقص انطونيوس · وبتوڤن · ومدام ده سفنيه · والفردوسي · وغاريبلدي · وايرونيموس · وريكاردوس قلب الاسد

ومن الطبقة الرابعة ماريا تريزا ووغنرو كوبرنكس وابن رشد وماري انطوانت وابن سينا وتيمور لنك وجنر ومحمد علي وصولون ولاڤوازيه

ومن الخامسة ارخميدس وفرنكلين وجالينوس واسكندر ديماس وبترارك ورشليو ورنان

ومن السادسة اقليدس ومحمد الفاتح وغمبتا وهيرودس وطيطس ومدام رولان

ومن السابعة صلاح الدين الايوبي وجنكيز خان ويوسيفوس والامام علي وكرومول ولامارك

ومن الثامنة صافو وكليوباطرة وزينون ولالند وهبرخس

ومن التاسعة نادر شاه ولفنستون وملثوس وثيوقريطس وابيودقليس

ومن العاشرة السلطان سليمان القانوني وبوب والبرنس البرت وفردرك وليم وسميونيدس

واغفل الدكتور كاتل ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليهِ رجال الدين بان شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر وعندهُ انما نقدم دليل استقرائي على ان الاوربيين والاميركيين يحسبون شكسبير اشهر الرجال كلهم ما عدا نبوليون واشهر الشعراء فلا يقاس احد بهِ من المتقدمين ولا من المتأخرين

واذا التفتنا الى ما كتب عن شكسبير ونبوليون في غير الانسكلو بيذيات ايضاً وجدنا شهرة شكسبير تفوق شهرة نبوليون كثيراً بل قد يكون سقراط وارسطو وافلاطون اشهر من نبوليون ايضاً من هذا القبيل

واشعار شكسبير ورواياتهُ التمثيلية تملأ مجلداً كبيراً ولو ترجمت الى العربية وطبعت بقطع المقتطف وحرفهِ لملأت ثلاثة آلاف صفحة ومع ذلك قد طبعت بالانكليزية مراراً لا تحصى وعلى اشكال مختلفة عددت منها الانسكلوبيذيا البريطانية الاخيرة ٧١ شكلاً طبعت في انكلترا وكل شكل منها طبع مراراً . ولا نظن ان احداً قرأ اللغة الانكليزية من ابنائها او من غير ابنائها الأ قرأ روايات شكسبير كلها او بعضها واقتنى نسخة او اكثر منها . ففي مكتبتنا اربع نسخ مختلفة بعضها قديم وبعضها حديث عدا الاجزاء التي لروايات مخصوصة او لاقوال مخصوصة مما يستشهد بهِ من اقوالهِ . فكم منها عند المئة والستين مليوناً من ابناء اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا والهند وعند غيرهم من قرَّاء هذه اللغة . وكم من الملايين طُبع من هذه النسخ منذ اكثر من ثلثمائة سنة الى الآن . فاذا فرضنا ان بيوت ابناء اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا ثلاثون مليون بيت (لانهم نحو مئة وستين مليون نفس) وفي كل بيت منها نسخة واحدة ففيها الآن ثلاثون مليون نسخة كاملة عدا المختارات الكثيرة الانواع

وقد ترجم شكسبير مراراً ترجمات مختلفة الى الالمانية والفرنسوية والايطالية والاسبانية والهولندية والدنماركية والاسوجيَّة والبوهيمية والمجرية والبولونية والروسيَّة

وفيهِ اكثر من ٢٥٠٠ كلمة من الكلمات التي لم تعد مألوفة ولذلك عني الانكليز بتفسيرها وبوضع الحواشي الكثيرة على رواياتهِ او بشرحها . وعني المصورون والحفارون في كل اللغات بتصوير المناظر التي ذكرت فيهِ على اساليب مختلفة وحفرها وطبعها . وقد عددت الانسكلوبيذيا البريطانية في طبعتها الاخيرة الكتب التي الفت على شكسبير في الانكليزية وغيرها من اللغات التي ترجم اليها شروحاً كانت او انتقادات او معجمات او ترجمات او تواريخ او ما اشبه فملأت اسماؤُها ما لو ترجم الى العربية لملأ اكثر من عشرين صفحة من صفحات المقتطف

وقد مرَّ على هذه الروايات الآن اكثر من ثلثماية سنة وهي تمثل في اوربا واميركا وفي كل البلدان التي ترجمت الى لغاتها حتى في هذه العاصمة والناس لا يملونها . وعني اشهر الممثلين والممثلات بتمثيلها او نالوا شهرتهم بها . ولم يشتهر خطيب ولا منشئ في الانكليزية الأ وقد رصَّع اقوالهُ بعبارات من امثال شكسبير وجوامع كلمهِ

والخلاصة اننا اذا استثنينا مشترعي الاديان الكثيرة الانتشار والاتباع فشكسبير اشهر رجل قام في كل العصور . وسنتكلم في الجزء التالي على اسباب هذه الشهرة وكيفية وصولهِ اليها



استغلال الارض
اركانهُ وكيفياتهُ
(٥)

المراقبة اما زراعية على فلاحة المزرعة من حيث اجراؤها متقنة في ابانها او كتابية على حساباتها من حيث ضبطها مطابقة للواقع او عامة عليهما وعلى سائر شؤونهما الاخرى تطبيقاً للقواعد الادارية والفنية والاقتصادية والعرف العام . والغرض منها ان يجري الموظفون في إداء اعمالهم على احسن الاساليب المختارة بجد واستقامة فتحث المتواني وتذكر الناسي وتنير السبيل للمسترشد وتنشط العامل فضلاً عن نبذ من لا يستبين صلاحهُ وفلاحهُ . وما دامت مبنية على مقتضيات الخبرة والنظام واللياقة فهي جليلة النفع جداً لا لخير العمل فقط بل لخير العمال ايضاً اذ يجد فيها الغيورون منهم افضل مشجع ومعين لهم على ما يبتغون من تسديد العمل وانجاحهِ . ومن الوهم استشعار بعضهم منها شيئاً من معنى الغض من كفاءتهم او الحط من كرامتهم الاَّ اذا جاءت في اسلوب منحرف عن الجادة . ومن الاسف انها قد تكون كذلك في بعض الاحوال

(١) كأن يجعل المالك في الخفاء احد العمال عيناً لهُ على سائرهم — اقول ما قيمة عمل كهذا ليس لعاملهِ من الوسائل فيهِ الاَّ تسقط الاخبار والاحوال من الافواه والاهواء

(٢) او ان يجعل للوشايات قيمة اكثر مما تستحق — اقول ان الموظف الحر ليتألم من رئيسهِ اذا انحرف مرة عن اللياقة في معاملتهِ فكيف اذا صار هدفاً لوشايات من دونهُ من جمهور اهل المزرعة وعمالها وماذا تصير قيمتهُ مع ذلك بينهم

(٣) او ان يضيق اختصاص العمال للغاية فيقيدهم بالرجوع اليهِ حتى فيما لا بد منهُ من كليات العمل وجزئياتهِ — اقول واذاً تتعطل فيهم مزايا التفكير والتدبير والاحتياط وتكييف العمل حسب الظروف والاحوال المنظورة لهم (ويرى الحاضر دواماً ما لا يراهُ الغائب) والشعور بالمسؤولية الحقيقية ولا يهتمون للنتائج لانهم ليس لهم رأي في مقدماتها وتضيع بينهم النسب الادبية والعملية لضعف التفاوت بين رئيسهم ومرؤوسهم

وما اشبه ذلك من الاساليب التي لا ترجع الى اصل من اصول المراقبة النظامية والتي لا تبقى معها لكفاءات العمال الممتازة قيمة

ولا شبهة في ان احوال بعض الموظفين السيئة حملت كثيرين من الملاك على المبالغة والحذر من سائرهم والاخذ في مراقبتهم بكل ما يمكن من الوسائل وان حقرت على مبدإ ان الغاية تبرر الواسطة · ولكن لا شبهة ايضاً في ان المشاهدات والاختبارات ترينا انهُ مع المراقبة السيئة تحل الفوضى محل النظام وتسود الاوهام على الحقائق فيرتبك حال العمل والعمال وتصير المراقبة ذاتها داء دويًّا على المزرعة وموظفيها

ان افضل وافعل اساليب المراقبة ما ساير منها العمل ونظامهُ فيراقب كل رئيس عمل مرؤسيهِ ويكون هو وهم تحت مراقبة الرئيس الاكبر منهُ وهكذا الى مراقبة المالك او وكيلهِ مراعى في كل ذلك الاصول المتبعة والنزاهة في تقدير الاعمال

ومما يعين على اتقان المراقبة وضع قواعد وضوابط عامة للعمل وتسديد مجهودات العمال تطبيقاً عليها نحو غرض معين لا التباس فيهِ ويوجد خصوصاً في المزارع الكبرى شيء من هذه القواعد ومع انها لا تزال قليلاً من كثير مما يجب ان يكون فانها لم تدون كلها تدويناً يساعد على التوسع فيها لجعل فائدتها اعم واشمل

ومن خير ما دوّن في هذا الموضوع القواعد التي وضعها حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون لمزارعهِ الواسعة والمزارع المستتبعة لها والجداول الزراعية التي وضعها حضرة الزراعي المستنير السيد افندي عبد الله مفتش عام شركة الاتحاد العقاري المصري وضعاً دقيقاً لا نظير لهُ في بابهِ حتى الآن في غير هاتين الدائرتين على ما اعلم

وفي مصلحة الدومين (مصلحة الاراضي الاميرية الآن) طائفة من القواعد الحسنة ايضاً ويا حبذا لو تفضل احد المطلعين عليها اطلاعاً تامًّا بتلخيصها ونشرها

وبعد فانهُ يجدر بكل مالك ان يلم ولو الماماً اجماليًّا باصول الفلاحة والادارة وان يشرف على مزارعهِ بنفسهِ بين كل حين وآخر فان ذلك يكون افعل وافضل في المراقبة من كل وسيلة اخرى وما القواعد والضوابط الا وسائل تأتي فائدتها بقدر ما في تطبيقها من العناية والنزاهة

احمد الالفي

قصب السكر وزراعتهُ في مصر

زرع الهنود قصب السكر منذ عهد متوغل في القدم واستخرجوا السكَّر من عصيره ومنهم تعلم الصينيون استخراج السكر قبل التاريخ المسيحي بنحو ٧٨٠ سنة . وكان الهنود يستخرجونهُ حبوبًا صغيرة كالسكر المصري الاسمر فسمي شركر بلغة الهند القديمة اي الحبوب او المحبب ومنهُ اسمهُ بالعربية والفارسية وكل اللغات الاوربية . ونقل قصب السكر الى مصر وبلاد العرب من بلاد الهند وزرع فيهما وبرع المصريون في استخراج السكر منهُ وتكريره حتى سمى الهنود السكر المكرر بالسكر المصري . وكان السكر المصري من اهم صادرات هذا القطر في القرون الوسطى وكان الانكليز يأخذونهُ من مصر ويرسلون اليها الصوف بدلاً منهُ

ثم لما كُشفت جزائر الهند الغربية زُرع قصب السكر فيها وجعل الانكليز يجلبون سكرهم منها ويتجرون بهِ في اوربا فكان مورد ثروة لهم اثمن من مناجم بيرو والمكسيك لاسبانيا

وبقي قصب السكر من اربح المزروعات لهذا القطر وسائر الاقطار التي تعتمد على زراعتهِ الى ان استخرج السكر من البنجر وضربت الحكومة الالمانية زراعة قصب السكر ضربةً قاضية لكي تميتها ثم تستبد بتجارة السكر فانها رأت ان بلادها من اصلح البلدان لزرع البنجر الكثير السكر فساعدت الزرّاع على زرعهِ والصناع على استخراج السكر منهُ والتجار على إصدارهِ وبيعهِ بارخص الاثمان ودفعت لهم بدل ما يخسرونهُ بترخيص سعرهِ حتى تضطر البلدان التي تزرع قصب السكر ان تبطل زرعهُ وتبدلهُ بمزروعات اخرى وحتى تفلس الشركات التي كانت تستخرجهُ وتخرب المعامل التي كانت تكررهُ فيصير الاعتماد كلهُ على سكر البنجر وحينئذٍ تغالي بثمنهِ وتفرض لهُ الثمن الذي تريدهُ فتسترد ما انفقتهُ على توسيع زراعة البنجر وترويج سكرهِ وتستبد بهِ لانهُ صار من الحاجيات التي لا يستغنى عنها كالقمح . وكانت ترمي بحيلتها التجارية هذه الى محاربة انكلترا بنوع خاص ففازت ببغيتها واضرت بالبلدان الانكليزية التي كانت تعتمد على زرع قصب السكر خاصة وبالقطر المصري ايضًا ضرراً كبيراً كما لا يخفى

وكانت انكلترا اكبر سوق في الدنيا لسكر القصب فصارت اكبر سوق في الدنيا لسكر البنجر عامة ولسكر البنجر الالماني خاصَّة كما ترى في هذا الجدول

الوارد الى انكلترا من سكر القصب

السنة	من املاكها	من سائر البلدان	المجموع
١٨٧٢	٢٧٦ ٤٨٧ طنًا	٢٤٢ ٤٧٥ طنًا	٥١٨ ٩٦٢ طنًا
١٨٨٢	١٩٨ ٨٤٣ «	٣٩٩ ٦٧٣ «	٥٩٨ ٥١٦ «
١٨٩٢	١٣٤ ٤٨٠ «	٢٥٤ ٧٠٠ «	٣٨٩ ١٨٠ «
١٩٠٢	٠٩٨ ١٦٤ «	٠٩٠ ٣٥٧ «	١٨٨ ٥٢١ «

الوارد الى انكلترا من سكر البنجر

السنة	من المانيا	من سائر البلدان	المجموع
١٨٧٢	٠٥٧ ٦٠٣ طنًا	١٧٤ ٦٢٠ طنًا	٢٣٢ ٢٢٣ طنًا
١٨٨٢	٢٧٩ ٦٦٧ «	٦٢٥ ٨٧٧ «	٩٠٥ ٥٤٤ «
١٨٩٢	٦٣٦ ١٦٧ «	٣٢١ ٤٠٦ «	٩٥٧ ٥٧٣ «
١٩٠٢	١٠٠٣٤٥٢ «	٣٨٧ ٤٢٣ «	١٣٩٠ ٨٧٥ «

اي كان سكر القصب الوارد الى انكلترا من مستعمراتها كان ٢٧٦ الف طن سنة ١٨٧٢ فصار ٩٨ الف طن فقط سنة ١٩٠٢ مع ان السكان كانوا ٣٢ مليونًا سنة ١٨٧٢ فبلغوا ٤٣ مليونًا سنة ١٩٠٢ فكان يجب ان يزيد السكر الوارد على هذه النسبة على الاقل ولكن ما نقص من سكر القصب زاد اضعافهُ من سكر البنجر فكان الوارد منهُ ٢٣٢ الف طن سنة ١٨٧٢ فبلغ مليونًا و ٣٩٠ الف طن سنة ١٩٠٢ كما ترى في الجدول المتقدم واكثر هذه الزيادة من المانيا فان الوارد منها كان ٥٧ الف طن فقط سنة ١٨٧٢ فصار اكثر من مليون طن سنة ١٩٠٢ اي زاد نحو ١٧ ضعفًا

ولم تنتبه انكلترا للخطر الذي احدق بها الاَّ بعد ما ضاقت حلقاتهُ عليها ولو انتبهت لذلك قبلاً لما خربت مزارع السكر فيها ولما اصيب هذا القطر بما اصيب بهِ برخص سكرهِ . لان استخراج السكر من البنجر وتحويلهُ حتى يصير مثل سكر القصب تمامًا عملان نفقاتهما غير قليلة ولولا مساعدة الحكومة الالمانية لمستخرجي هذا السكر بالمال ما استطاعوا ان يرخصوا ثمنهُ حتى يناظر سكر القصب . وقد بلغت الاموال التي انفقتها المانيا على مساعدة تجار سكر البنجر ومستخرجيهِ ثمانية ملايين من الجنيهات في بعض السنين . ولما انتبهت انكلترا والتأم مؤتمر بركسل لمنع المساعدات عن مستخرجي السكر وتجارهِ او لوضع حدٍّ لها كانت تجارة الالمان بالسكر قد توطدت اركانها وسكر القصب قد ضعف شأنهُ جدًّا وكانت النمسا قد اشتركت مع

المانيا في هذه الحرب التجارية فرفعتا ثمن سكرهما ٢٥ في المئة كما ترى من الجدولين التاليين وهما للسكر الوارد الى انكلترا سنة ١٩٠٣ و١٩١٣

سكر البنجر

سنة	السكر الالماني والنمسوي		سكر سائر البلدان	
	مقدارهُ	ثمنهُ	مقدارهُ	ثمنهُ
١٩٠٣	١ ١٢٤ ٣٧٢ طنًا	١١ ٢٢٢ ٩٢٣ جنيهًا	٢٥٤ ٩٠٧ طنًا	٢ ٤٩٨ ٨٣٧ جنيهًا
١٩١٣	١ ٢١٧ ٥٠٩ "	١٥ ١٢٩ ٥٤٨ "	٢٨٩ ١٥٣ "	٣ ٥٤١ ٣٨٣ "

سكر القصب

سنة	من الاملاك الانكليزية		من سائر البلدان	
١٩٠٣	٠٠٦٧ ٧٨٩ طنًا	٠٥١٠ ٤٣٣ جنيهًا	٠١٢٢ ٩٧٩	١ ١٢٦ ٤٣٤
١٩١٣	٠١٣٤ ٦٨٨ "	٠٩٣٠ ٩٣٣ "	٠٢٩٧ ٣١٣	٣ ٤٥٤ ٩٥٩

اي صارت انكلترا تستورد من سكر املاكها ما ثمنهُ اقل من مليون جنيه ومن السكر الالماني والنمسوي ما ثمنهُ اكثر من ١٥ مليون جنيه وكانت نتيجة الاعتماد على السكر الالماني ان ارتفع ثمن قنطار السكر في انكلترا عند شبوب هذه الحرب من ١٦ شلنًا الى ٤٥ شلنًا حتى اضطرت الحكومة الانكليزية ان تهتم بالامر وتبتاع ١ ٢٨٦ ٨٦٦ طنًا من السكر اكثرها من كوبا باميركا لئلاَّ ينفد السكر كلهُ من بلادها ويتعذَّر عليها جلب غيره. ولولا الولايات المتحدة التي نشَّطت زراعة قصب السكر لمَّا اهملتها انكلترا لكانت سوق السكر الآن في يد المانيا تقطع لهُ السعر الذي تريدهُ فان الولايات المتحدة لما ضمَّت كوبا وبورتوريكو وهواي ساعدت زارعي قصب السكَّر فيها بما يساوي ١٧٢ غرشًا عن كل طن فكانت النتيجة ان زاد محصول السكر فيها من ٦٥٥ ٥٨٥ طنًا سنة ١٨٩٩ الى ٣٥٠٠٠٠٠ طن سنة ١٩١٤

ولو اهتمت انكلترا بتعزيز زراعة القصب في املاكها وفي القطر المصري ايضًا لاستغنت عن جانب كبير ممَّا تنفقهُ على السكر زيادةً عمَّا كانت تنفقهُ عادة. ويقال ان هذه الزيادة لا تقل الآن عن عشرين مليون جنيه في السنة. ولنا الامل الوطيد انها تهتم بذلك بعد الحرب ويكون للقطر المصري النصيب الاكبر من اهتمامها

مستقبل زراعة قصب السكر

ابنا في النبذة المتقدمة ان ما عملتهُ المانيا من مساعدتها لزراعي البنجر ومستخرجي سكره كان القصد منهُ اضعاف زراعة القصب واستخراج سكره واضطرار انكلترا الى الاعتماد على

المانيا في ما تحتاج اليهِ من السكر وابنا الاضرار التي نجمت عن ذلك للاملاك الانكليزية التي كانت تزرع قصب السكر ولهذا القطر ايضاً

وقد حقق بعضهم انهُ اذا اهتمت انكلترا بزرع القصب في املاكها تيسّر لها ان تزيد مقدار ما يحصل منها من السكر حتى يبلغ اربعة ملايين ونصف مليون طن مع انهُ لا يبلغ الآن الاَّ ٨٠٠ الف طن فقط كما ترى في هذا الجدول

	المحصول الحاضر	المحصول الممكن
جزائر الهند الغربية	٢٢٩٠٠٠ طن	٢٦٥٠٠٠ طن
شرق افريقية	— «	٦٥٠٠٠٠ «
كوينسلند	١٤٤٠٠٠ «	٥٠٠٠٠٠ «
موريتوس	٢٥٠٠٠٠ «	٣٠٠٠٠٠ «
فيجي	١٧٧٠٠٠ «	١٠٠٠٠٠ «
ناتال	١٠٠٠٠٠ «	٣٣٠٠٠٠ «
	٨٠٠٠٠٠ «	٤٥٣٠٠٠٠ «

وقد ذكرنا غير مرة ان القطر المصري من اصلح البلدان لزرع قصب السكر من حيث تربتهُ ومن حيث قربهُ من اسواق اوربا

ويزرع قصب السكر الآن في نحو خمسين الف فدان من القطر المصري ولا يستخرج منها الاَّ نحو ستين الف طن من السكر مع ان محصول سكر القصب في المسكونة يختلف بين تسعة ملايين طن وعشرة ملايين طن فلو زاد السكر المصري عشرة اضعاف او عشرين ضعفًا لبقيت سوقهُ رائجة لانهُ لا يؤَثر في محصول سائر البلدان اي لو اتسعت زراعة القصب في القطر المصري حتى تناولت نصف مليون فدان او مليون فدان وبلغ مقدار السكر المصري مليون طن او مليوني طن لبقيت سوقهُ رائجة ولاسيما اذا ضربت بلدان الحلفاء الضرائب الثقيلة على سكر البنجر الالماني

ومتوسط غلة فدان القصب في القطر المصري نحو عشرين طنًا فيها من السكر نحو ١٢ الى ١٣ في المئة فينتج من الفدان نحو طنين ونصف فاذا اتسعت زراعة قصب السكر رويداً رويداً حتى بلغت نصف مليون فدان بلغ محصولهُ مليونًا وربع مليون من السكر. واذا ابطلت المانيا مساعدة اصحاب سكر البنجر ماليًا كما ستضطر ان تفعل بعد الحرب فارتفع ثمنهُ صارت زراعة القصب من اربح الزراعات في هذا القطر

الحمى القلاعية في المواشي

ارسلت الينا وزارة الزراعة المنشور التالي

انهُ بالنظر الى انتشار مرض الحمى القلاعية بين مواشي القطر المصري في الوقت الحاضر قد وضع هذا المنشور لشرح اسباب المرض واعراضهِ وطرق انتشارهِ وعلاجهِ الفاتاً لنظر الاهالي ليكون خير مرشد لهم لاتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة لمقاومتهِ

الحمى القلاعية او ابو الركب — مرض معد سريع الانتشار يصيب المواشي اكثر من غيرها من الحيوانات الاخرى · وقد تصاب بهِ الغنم والجمال و ينتقل الى الانسان وخصوصاً الاطفال بالعدوى من شرب لبن الماشية المصابة بهِ قبل غليهِ و يعرف المرض بوجود قروح صغيرة في الفم والشفتين واللسان والضرع و بين الظلفين

اسباب المرض — ينشأُ المرض من مكروب دقيق للغاية لم تساعد اكبر النظارات المعظمة على رؤيتهِ وهو يوجد في لعاب الحيوان المصاب ودموعهِ وفي المواد التي تسيل من قروح فمهِ وشفتيهِ ولسانهِ وبين ظلفيهِ

طرق انتشار المرض — ينتشر المرض بين الحيوانات من اختلاط المصاب منها مع السليم اذا كان يتغذى او يرعى او يشرب معهُ من مكان واحد او من استعمال ادوات الحيوانات المصابة للحيوانات السليمة و بالجملة كل ما لامس او قرب من حيوان مصاب سواء كان انساناً او حيواناً يعتبر حاملاً وناقلاً للعدوى بين الحيوانات

اما الحيوانات الصغيرة فانها تصاب بالمرض من رضعها امهاتها المصابة بقروح حول حلمة الضرع

اعراض المرض في المواشي — تبتدئ الاعراض بارتفاع درجة حرارة الحيوان المصاب و يظهر عليهِ القلق و يمتنع عن تناول علفهِ و يتحرك بثقل وتكلف و يقرض باسنانهِ وتنقبض شفتاهُ وقد يميل الحيوان للاكل ولكن يحول دون ذلك البثور المؤلمة في لسانهِ و باطن شفتيهِ وتكون تلك البثور في اول ظهورها بيضاء ضاربة الى السمرة و يختلف حجمها من قدر القرش الى حجم الريال وتسيل منها مادة زلالية رائقة لا تلبث ان تصير كدرة · ثم يسقط غشاء البثور و يبقى مكانها قروح حمراء فيسيل اللعاب من فم الحيوان المصاب على هيئة خيوط دقيقة · وقد يصاب الضرع بقروح كالتي توجد في الفم واللسان فتحدث فيهِ التهاباً و يتقيح فيتلف لبنهُ · و يكثر الحيوان من الرقاد و يمتنع عن السير وذلك لوجود قروح صغيرة مؤلمة بين ظلفيهِ فاذا تقيحت تلك القروح التهبت الاظلاف وعرج الحيوان عرجاً ظاهراً · وقد

ينفصل الظلف عن سطح الحافر احياناً من شدة الالتهاب الصديدي اما الماشية الحامل فانها تجهض احياناً اذا اشتدت عليها وطأة المرض ويقل اللبن في الماشية الحلوب

الاعراض في الغنم والجمال — اعراض المرض في الغنم اشبه شيء بمثلها في المواشي غير ان قروح الفم قليلة ولكن قروح الاظلاف تكون غائرة متقيحة فيعرج الخروف و يدب على ركبتيهِ من شدة الألم وقد يسقط الظلف احياناً من شدَّة التقيح . اما الاعراض في الجمال فخفيفة الوطأة وتنحصر في وجود قروح مختلفة الحجم في فم الجمل

مدة سير المرض ونسبة النافق بالموت — يسير المرض في اغلب الاحيان سيراً حسناً اذا عولج الحيوان في اول اصابتهِ و يشفى في مدة خمسة عشر يوماً من بدء ظهور الاعراض عليهِ . اما نسبة النافق من الحيوانات المصابة فقليل في المواشي ولكنهُ كثير بين الحيوانات الصغيرة

العلاج والاحتياطات الصحية — اول ما يجب عملهُ عند ظهور مرض الحمى القلاعية هو تبليغ العمدة وعزل الماشية المصابة عن السليمة ووضعها في مكان ظليل طلق الهواء بعيد عن الطرق العمومية ويجب اعطاء الحيوانات المصابة علفاً ليناً سهل الهضم كالبرسيم او النجيل او الردة المبلولة بالماء المغلي وماء كافياً لسقيها و يغسل فم الحيوان المصاب بمحلول الملح او محلول الشبة او محلول البوريك وتغسل الاظلاف بمحلول سلفات النحاس و بعد ذلك تدهن بالقطران حتى يحضر الطبيب البيطري . و يعمل ذلك يومياً ويتمم علاج الحيوان المصاب بالادوية التي تستعملها وزارة الزراعة لمكافحة هذا المرض ويجب تطهير اماكن الحيوانات المصابة ورشها بالجير وترك الزريبة معرضة للشمس والهواء النقي مدة من الزمن حتى تنقى مما فيها من الجراثيم

اما العلف الملوث بعدوى المواد السائلة من القروح او الفم او الاظلاف فيجب جمعهُ وحرقهُ

انتهى منشور وزارة الزراعة وحبذا لو اعلنت ايضاً عن طريقة العلاج التي يستعملها الطبيب البيطري اذ قد يتيسر لنظار الزراعات ان يستعملوها اذا تأخر حضور الطبيب . والمعروف عندنا ان الحيوان المصاب يطعم علفاً مسهلاً معهُ املاح مسهلة اذا دعت الحال

وهذا الداء معروف من قديم الزمان والمرجح انهُ دخل اوربا منذ اكثر من الفي سنة وهو شديد الفتك احياناً فقد انتشر في المانيا سنة ١٨٩٢ فامات من مواشيها ما ثمنهُ سبعة ملايين ونصف من الجنيهات . ولما كانت الوقاية خيراً من العلاج يجب ان ينتبه اصحاب المواشي بنوع خاص الى منع شربها من المساقي التي تشرب منها المواشي المصابة بهذا الداء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطير والسمك والمحار

ذكرنا في بعض الاجزاء الماضية ما يؤْكل من الغنم والبقر اي ما يؤْكل من لحمها ودهنها وشحمها ودماغها واحشائها المختلفة · وما في ذلك كلهِ من الغذاء منسوبًا بعضهُ الى بعض سواء كان الحيوان سمينًا او هزيلاً او بين بين · وقد رأينا الآن ان نستطرد الى ذكر ما يؤْكل من الطير والسمك ومحار البحر

الطير

الطيور التي تؤْكل عادة هي الديوك الرومية والدجاج (الفراخ) والوز وما يصاد من الطيور البرية · واذا قوبلت بعضها ببعض ولم تكن مسمَّنة وجد في لحمها من الماء والبروتين والدهن ما تراهُ في هذا الجدول

	ماء	بروتين	دهن	رماد
الديك الرومي	٥٥,٥ في المئة	٢١,١ في المئة	٢٢,٩ في المئة	١,٠ في المئة
الدجاج	٦٣,٧ «	١٩,٣ «	١٦,٣ «	١,٠ «
الوز	٤٦,٧ «	١٦,٣ «	٣٦,٢ «	٠,٨ «

لكنها اذا كانت مسمنة زاد الدهن فيها كثيراً فقلَّ الماء ثم ومن كانت الطيور المسمَّنة اكثر غذاء من غيرها ويجب ان تكون اغلى ثمنًا ولكن ذلك لا يستلزم ان تكون انفع من غيرها للذين يأْكلونها لان هضم الدهن ليس بالامر السهل والبعض لا يستطيعون هضمهُ ومن ثم يفضَّل اطعام السفاين (لحم الصدر الابيض) للمرضى والناقهين لانهُ اقل دهنًا من غيرهِ واسهل هضمًا · واما ما يقال من ان تولُّد الحامض اليوريك يكون اقل فيهِ مما هو في غيرهِ من اللحوم فلا دليل على صحتهِ · والحمام واليمام وكل ما يصاد من انواع الطير كالعصفور والبط والسماني قلما تختلف عن الطيور الاهلية ولكنها تختلف كثيراً من فصل الى آخر بمقدار ما فيها من الدهن

السمك

السمك من اللحوم المغذية السهلة الهضم وهو كالدجاج من هذا القبيل وبعضهُ يقيم في الانهار وبعضهُ في البحار وبعضهُ يقضي جانباً من عمرهِ في البحر وجانباً في النهر. وانواع السمك كثيرة جداً في كل البلدان وهي تختلف في مقدار ما فيها من الدهن ويختلف طعم النوع الواحد من السمك حسب كونهِ ذكراً او انثى وحسب عمرهِ والفصل الذي يصاد فيهِ والطريقة التي يطبخ بها والغالب ان طعمهُ يتوقف على مقدار ما فيهِ من الدهن فهو في سمك المشط نحو ١٤ ونصف في المئة وفي السلمون نحو ١٣ في المئة وفي الانكليس (ثعبان البحر) ٩ في المئة وفي المرجاني الاحمر (السلطان ابرهيم) اقل من خمسة في المئة

وقد امتحن ملنر مقدرة الانسان على هضم لحم الطير ولحم السمك ولحم المحار فاطعم رجالاً من سمك السلمون المحفوظ في العلب وآخر من لحم القد الطري المقلو وآخر من لحم الفراخ المحفوظ في العلب وآخر من لحم البط المشوي فوجد انهم هضموا نحو ٩٦ في المئة من لحمها ونحو ٩٧ في المئة من دهنها اي انهم هضموها كما يهضمون لحم الغنم والبقر بل ظهر ان لحم السمك القليل الدهن ولحم الدجاج القليل الدهن كلاهما اسهل هضماً من لحم البقر القليل الدهن. ولحم السمك والطير الكثير الدهن مثل لحم البقر الكثير الدهن من حيث سهولة الهضم ولذلك اذا اريد تنويع الاكل فيبدل لحم الغنم والبقر بلحم الطير والسمك والمحار

والغالب ان الاطباء يصفون لحم الطير والسمك اي اللحم الابيض حيث يحسبون ان اكل اللحم الاحمر عسر الهضم او غير نافع. ومن المحتمل ان لحم الطير والسمك اسهل هضماً من لحم الغنم والبقر ولكن لا دليل على وجود فرق كبير بين النوعين لاسيما وان هضم الطعام وتأثيرهُ في الجسم يتوقفان غالباً على الطريقة التي يطبخ بها وعلى اعتياد الجسم لهُ ورغبتهِ فيهِ فمن الناس من يستطيب السمك ويفضلهُ على كل طعام ويهضمهُ بسهولة تامة ومنهم من لا يستطيبهُ بل تقزز نفسهُ من رائحتهِ ولا يهضمهُ اذا اكلهُ. والذي يستطيب السمك قد يستطيب المقلو منهُ ويكره المسلوق او المطبوخ على صورة اخرى. ومنهم من يستطيب بعض انواع السمك ويكره انواعاً اخرى او يستطيبها اذا كانت سمينة ويكرهها اذا كانت نحيفة عجفاء. ومنهم من يستطيبها مع التوابل كالطرطور والمايونيز ومنهم من يكرهها اذا كانت كذلك وهلم جراً. وقس على ذلك لحم الطيور على انواعها فان سهولة هضمها وفائدتها يتوقفان على نوعها واعتيادها والطرق التي تطبخ بها

المحار

يراد بالمحار انواع الحلازين والاصداف والسراطين البحرية التي يؤْكل لحمها · وكلها ليست مما يكثر اكلهُ عندنا ولكن الاوربيين والاميركيين يكثرون من اكلهِ ويعتنون بتربيتهِ في البحر· ويقدّر ثمن لحم الاصداف البحرية الذي يؤْكل في الولايات المتحدة سنويًّا باربعة ملايين من الجنيهات · ويعترض على اكل هذه الحيوانات انها اذا صيدت من قرب شاطئ مدينة حيث تصب قاذوراتها فمنها خطر على آكليها لان القاذورات قد يكون فيها مكروب التيفويد فيقيم في ابدان هذه الحيوانات ويصل منها الى آكلها كما اوضحنا غير مرة ولذلك فقد يكون من اكلها خطر على آكليها لاسيما وانها لا تطبخ قبل اكلها طبخًا يميت المكروبات المرضية منها · وهاك جدول المواد المغذية في بعض هذه الانواع

	ماء	بروتين	دهن
لحم الصدف الطويل	٨٥,٨	٠٨,٦	٠١,٠
« « المستدير	٨٦,٢	٠٦,٥	٠٠,٤
« السرطان	٧٧,١	١٦,٦	٠٢,٠
« الكركند	٧٩,٢	١٦,٤	٠١,٨
« الباطيلينوس	٨٦,٩	٠٦,٢	٠١,٢
« السلحفاة	٧٤,٥	٢١,٢	٠٣,٥

ويظهر من هذا الجدول ان لحم انواع المحار اكثر ماء من لحم السمك واقل منها دهنًا ولكنها تشبهها في مقدار البروتين

والطيور الاليفة اي الدجاج والوز والدجاج الرومي غير قليلة في هذا القطر وكذلك الحمام كثير ايضًا ولكننا نرتاب في فائدة هذه الطيور من باب تجاري لان ما تأْكلهُ من الحبوب قد يساوي ثمن بيضها وفراخها ولكن اذا كانت الدجاج مطلقة في الاطيان حتى تأْكل مما تجدهُ فيها من الحشرات ولا تأْكل البذار وكذلك اذا اقام الوز في الترع والمساقي واكتفى بما يجدهُ فيها من الهوام والحشرات والجذور فمنها كلها ربح كبير

واربح من ذلك كلهِ تربية السمك في بركة قارون بالفيوم وفي كل البرك والبحيرات والمستنقعات والاعتناء بمصايد الاسماك على سواحل بحر الروم فان الربح من السمك يفوق كل ربح لانهُ قليل النفقة جدًّا ولحمهُ مغذٍ سهل الهضم كما تقدم · واذا بذلت العناية بتربية السمك على الاساليب العلمية كانت منهُ تجارة واسعة

وفاة اللادي باكر

نعت اخبار انكلترا اللادي باكر ارملة السر صموئيل باكر المشهور باكتشافاتهِ واعمالهِ في السودان المصري وصاحب الفضل على مصر في استعادة املاكها السودانية

قالت مجلة نانشر في تأبينها: «لا ريب ان معظم الفضل في تحويل باكر من صياد صرف الى مكتشف جغرافي ثم الى سيامي عائد عليها . وهي مجرية الاصل مرَّضت باكر في اثناء مرض شديد الَمَّ بهِ وهو عازب فتزوجها وكان اقترانهما نادراً في الفتهِ ونفعهِ . اما تحوُّل باكر من صياد الى مكتشف فحكايتهُ بالاختصار انهُ قصد اعالي النيل للصيد فحولت همَّهُ الى الاكتشاف الجغرافي . ولما رأيا سوء حال الاهالي هناك من الرق وتجارتهِ شهرا حرباً قلمية عليهِ قصد استئصال شأفتهِ فافضى ذلك الى حملة السودان الاولى والى اعمال غوردن المشهورة . وظاهر ان توسيع باكر لدائرة مشاغلهِ وصبغ رحلاتهِ الافريقية بصبغة المروءة والسياسة كان اجابة لداعي زوجتهِ . فانها صحبتهُ الى الحبشة في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٠ — ١٨٦٢ والى اعالي النيل في رحلتهِ سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٥ وهي التي انتهت باكتشاف بحيرة البرت نيانزا

وصحبتهُ ايضاً في الرحلة التالية اليها سنة ١٨٧٠ وهي الرحلة التي ايدت السلطة المصرية على تلك البلاد . ومن هذا التاريخ بدأَت حربهما الطويلة لمقاومة الرق في السودان فاسعدها الجد تارةً وخانهما اخرى ولكن تم لهما النصر اخيراً بانكسار شوكة المهدوية واستعادة السودان للمرة الثانية والاخيرة

ومما تجدر الاشارة اليهِ في تعداد فواضلها انها كانت حادة الذهن تقرأُ نيات السودانيين الذين جالت هي وقرينها بينهم من ملامح وجوههم وان سرعة ادراكها للمخاطر التي تعرضت لها الحملة برآسة قرينها وسرعة تدارك تلك المخاطر انقذتا الحملة من الوبال »

اما السر صموئيل باكر قرينها فاشترى سنة ١٨٧٤ ارضاً في مقاطعة سوث دفون بانكلترا واقام فيها حتى وفاتهِ سنة ١٨٩٣ اي نحو ١٩ سنة . وعاشت قرينتهُ نحو ٢٣ سنة بعدهُ وتوفيت في مارس الماضي

انواع الخبز الغريبة

يقال ان اهالي جبال كورسكا التي يكثر شجر السنديان فيها ييبسون بلوطهُ ويطحنونهُ ويصنعون منهُ خبزاً جيداً وهو طيب الطعم مغذٍ جداً ويبقى طرياً اسبوعين · واهالي نروج يصنعون الخبز من بعض الطحالب يجففونها ويسحقونها ويعجنونها ويخبزونها · ولا يخفى ان فلاحي هذا القطر يصنعون خبزهم من الذرة البلدية بعد ان يمزجوها بقليل من الحلبة ويستطيبون هذا الخبز وهو مغذٍ لهم ·

درّب ولدك على العمل

كتب المستر كلارك رئيس مدرسة كلارك الكلية بمدينة لندن ان خير وصية يوصي بها الوالدين ان يدربوا اولادهم على العمل الذي يختارونهُ ليكون حرفةً لهم في حياتهم كلها · فيجب ان لا يسروا بالعمل الوقتي لاولادهم ولو كان ربحهُ كثيراً بل ينبغي ان يفضلوا عليهِ العمل الذي يراد انقطاعهم لهُ ولو لم يعطوا اجرةً في اول الامر · ويجب ان يتمرنوا لهُ ويتدربوا عليهِ جيداً ويزاولوهُ حتى يتقنوهُ

وقد جرت عادة اصحاب المعامل والاشغال الكبيرة ان يدرّبوا اولادهم على العمل في مكاتب اخرى غير مكتبهم ومعامل اخرى غير معاملهم حتى يعاملوا هناك كأنهم غرباء ويعطوا اجرةً لا تزيد عن اجور امثالهم من الصناع او المستخدمين فاذا تدربوا على العمل جيداً يعودون الى مكاتب والديهم او معاملهم ويوضعون في الدرجة التي يستحقونها بين العمال وكلما اتقنوا فرعاً نقلوا الى غيرهِ الى ان يتقنوا كل فروع العمل ويتأهلوا لادارتهِ كلهِ

واهم ما يجب الانتباه لهُ ان لا يعطى الولد من الاجرة الاَّ ما يعطى لامثالهِ ولو كان ابوهُ على جانب كبير من الثروة وهو صاحب المحل حتى يشعر الولد انهُ كسب اجرتهُ باستحقاقهِ فيتدرّب على الانفاق منها بالحكمة والاقتصاد

ولا يخفى انهُ اذا كان الولد لا يميل الى العمل الذي يختارهُ لهُ والداهُ وثبت لهما ذلك بعد التجربة وجب ان لا يجبراهُ على تعاطيهِ لانهُ لا يفلح فيهِ كما يفلح في العمل الذي يميل اليهِ · وكثيراً ما يجبر الشاب على عمل فيمارسهُ بضع سنوات ثم يتركهُ ويعود الى العمل الذي يرى من نفسهِ ميلاً اليهِ

وشر الامور كثرة التقلب والانتقال من عمل الى عمل فان في ذلك اضاعة للوقت وترسيخاً لملكة عدم الثبات ولو كان فيهِ بعض الفائدة في توسيع الاختبار

فوائد منزلية

لا تترك بندقية او مسدَّساً في البيت والخرطوش فيها او فيهِ بل انزعهُ منها قبل تركها

اذا اردت ان تصب ماء سخناً في كاس من الزجاج وخفت أن تنكسر فضع فيها ملعقةً من الفضة او المعدن وصب الماء عليها

اذا وضع في فناجين الشاي مادة ابقت عليها لطخة يعسر نزعها بالغسل بالماء فافركها بالملح والخل فتزول

اذا قُطع السمك بسكين فبقيت رائحتهُ لاصقة بها فافركها بليمونة حامضة فتزول رائحة السمك منها

حان الوقت لرفع السجادات والبسط ووضع الفراء والثياب الصوفية كلها جانباً الى زمن الشتاء . وحان الوقت ايضاً لظهور العث واتلافهِ الامتعة الصوفية . اما السجادات والبسط وما اشبه فتنظف جيداً وتطوى ويوضع في طياتها حبوب النفتالين واما الفراء والثياب الصوفية فتوضع في اكياس من البفتة النظيفة وتخاط جيداً او تدرز درزاً حتى لا يبقى فيها سبيل لدخول فراش العث

واذا وجدت ان العث دخل السجادة وعسر اخراجهُ منها فبلّ منشفة بالماء السخن وابسطها عليها وامرّ عليها مكواة حامية فيدخل بخار الماء السخن بين خيوط السجادة ويقتل ما فيها من العث

اذا اذبت اوقية من الصمغ العربي الابيض النقي في ثماني اواقي من الماء الغالي واخذت ملعقة من هذا المذوب ومزجت بها رطلاً من النشا اكتسب ما ينشّى بهِ من القمصان والقبات لمعاناً شديداً

اذا شعرت بسوء هضم وكنت تكره شرب الدواء فاحسن علاج تعالج بهِ نفسك الصوم فلا تأكل في الصباح او اكتف بفنجان من اللبن او بكسرة من الخبز تمضغها جيداً او بيضة مسلوقة . وقلل ما تأكلهُ في الغداء والعشاء حتى يكون نصف ما تأكلهُ عادةً وامضغهُ جيداً فالغالب ان سوء الهضم يزول في يوم او يومين .

باب التقريظ والانتقاد

التقرير السنوي
لدار العلم السمثسونية

صدر هذا التقرير عن سنة ١٩١٤ وهو يقع في ٧٣٠ صفحة بحرف دقيق وقد افتتحهُ سكرتير مجلس الادارة العامل بتقرير مسهب عن مالية هذه الدار ومباحث اساتذتها والعلماء المتصلين بها في الطيران والجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات والانسان والفلك والتاريخ واحوال المتحف الوطني المتصل بها وما اضيف اليهِ تلك السنة من الامثلة والتحف · واحوال بستان الحيوانات والمرصد الفلكي الطبيعي والمكتبة والمطبعة ومجلس الادارة · وقد شغل هذا التقرير ١٣٣ صفحة ويليهِ ٣٢ مقالة لكبار العلماء واكثرها في المواضيع العلمية المحضة مثل اشعاع الشمس والآراء الحديثة فيها وشكل الارض وبنائها وتركيب الجوهر الفرد وثبوت الاروبلاتن والاقليم في العصور الجيولوجية وجيولوجية قاع البحر ونحو ذلك من المواضيع العلمية المفيدة

تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها

مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من اول عهد التاريخ الى اليوم لمؤلفهِ نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر وصاحب تاريخ السودان

نعوم بك شقير مؤَلف هـذا الكتاب النفيس بحَّاثة مولع بجمع الحقائق التاريخية وتبويبها وتنسيقها · وقد اختار حتى الآن موضوعين من اصعب المواضيع التاريخية التي ينكب المؤرخون عن الكتابة فيها لوعورتها وقلة المواد التي يسهل الوصول اليها فيها · فاذا اراد الكاتب ان يكتب عن تاريخ المصريين الاقدمين او اليونان او الرومان او الفرس او العرب او الانكليز او الفرنسويين او امثالهم من الامم القديمة والحديثة وجد المواد متوفرة لديهِ من مؤَرخي تلك الامم واما جمع تاريخ مطول عن السودان فلا يقدم عليهِ الأَ رجل ذو همَّة عالية وصبر عظيم وغرام شديد بجمع الحقائق والاخبار التاريخية · وما فعلهُ نعوم بك في تاريخ السودان فعلهُ في تاريخ سينا فجاء دائرة معارف عن ذلك القفر وسكانهِ وكل ما

يتصل بهِ قديماً وحديثاً فملأ نحو ثمانمئة صفحة كبيرة . وحالما وقع نظرنا عليهِ والتفتنا الى فهرسهِ لاح لنا أنهُ جرى فيهِ مجرى الاجسام الحيَّة النامية اي انهُ توسع في الموضوع رويداً رويداً حسب مقتضى الحال فاستطرد من الكلام على تاريخ سيناء القديم والحديث الى الكلام على كل ما لهُ علاقة بسيناء من تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وسكان هذهِ البلدان الحاضرين والغابرين ثم التفتنا الى مقدمتهِ فوجدنا انهُ اوضح ذلك كلهُ فيها احسن ايضاح حيث قال

« كان لي اتصال بسيناء منذ دخلت ادارة المخابرات بوزارة الحربية سنة ١٨٨٩ ثم لما حدثت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ عينت سكرتيراً للجنة المصرية التي ندبت لتعيين حدود سيناء الشرقية مع اللجنة العثمانية

« ولما كانت سيناء على اتساعها وشهرتها التاريخية وقربها من مصر مجهولة عند عامَّة المصريين وكان تاريخ السودان الذي فرغت من تأليفهِ سنة ١٩٠٤ قد لقي عند القراء الكرام اقبالاً لم اكن اتوقعهُ حملني ذلك على وضع تاريخ سيناء على مثال تاريخ السودان . فشرعت منذ ندبت مع لجنة الحدود في جمع كل ما امكن جمعهُ من الحقائق التاريخية والجغرافية لاسيما وقد كان عليَّ ان اتحرَّى تاريخ عرب الحدود وملكيتهم للاراضي والمياه وعلاقاتهم الحاضرة والماضية مع مصر وسوريا . ولكن ما عتمت ان وجدت دون جمع الحقائق التاريخية من بدو سيناء عقبات كؤُدة اهمها اولاً ان بدو سيناء على غاية الخشونة والجهل لاعلم لهم ولا شبه علم بل ليس في بادية سيناء كلها من يحسن القراءة والكتابة وثانياً ان اهل القبيلة الواحدة يجهلون كل الجهل بلاد القبائل المجاورة لهم وليس من يعرف احوال القبائل كلها من اهل سيناء الاَّ افراد قليلون يعدون على الاصابع . وثالثاً ان اكثر مشايخ القبائل في سيناء لا يعرفون من تاريخ قبائلهم وجغرافية بلادهم الاَّ اليسير وهذا اليسير لا يمكن الحصول عليهِ الاَّ بعد بذل الجهد لان البدو متكتمون الى الغاية عن الحكام خوفاً من التعرُّض لامورهم وادخال قانون القرعة في بلادهم

« على ان هذه العقبات التي لم اكن اتوقَّعها لم تكن لتثنيني عن عزمي بل بذلت الجهد في تذليلها . فكنت حيثما نزلت اجمع المشايخ والخبراء واتلطف في تسقُّط اخبارهم واستقصاء احوالهم مبيناً لهم ان ذلك في مصلحتهم . ولم اكن اكتفي بسؤَال واحد منهم عن اية حقيقة كانت ولو انهُ امنم مكان بل كنت اطرح السؤَال الواحد على اثنين او اكثر واسأل كلاً منهم على انفراد ثم اجمعهم اذا اقتضى الامر وأسألهم السؤَال عينهُ حتى استوثق من صحة

الجواب فاثبتهُ في يوميتي كما فعلت في تمحيص حقائق تاريخ السودان . ثم انهُ لم تسنح لي فرصة لاختبار البلاد واهلها بنفسي الاَّ اغتنمتها فزرت البدو مراراً في مخيماتهم وحضرت افراحهم ومراقصهم وغنائهم وسباقهم على الخيل واجتماعاتهم العمومية والخصوصية وجولت في انحاء الجزيرة في الجهات التي قضت عليَّ المصلحة بالتجوال فيها وفي كثير غيرها . وكنت في اثناء ذلك ابحث عن آثار البلاد القديمة والحديثة ولاسيما العربية منها فعثرت على كثير من النقود القديمة والحصون الأَثرية والحجارة التاريخية الهيروغليفية واليونانية والنبطية والعربية مما زادني علماً باحوال البلاد وتاريخها القديم والحديث

« هذا وقد كشف لي البحث في آثارها عن عادة جميلة لاهلها كانت عوناً لي على استطلاع الكثير من اخبارها وحوادثها التاريخية والتقليدية . وذلك انهم اعتادوا تخليد كل عمل جليل أو حادث هام حدث في الجزيرة بان يقيموا لهُ « رجماً » وهو حجر ابيض او كومة من الحجارة « على ماء شهير او درب جهير » — او يرسموا بضع دوائر او تلماً عن جانبيهِ حفر . وهم يعنون كل العناية باحياء هذه الرجم والرسوم

« ومن جملة عادات البدو التي اطلعت عليها في اثناء البحث فمكنتني من معرفة الكثير من غزواتهم وحروبهم الحديثة انهم ينظمون القصائد في كل غزوة او حرب شهيرة و يستظهرونها و يتوارثونها خلفاً عن سلف

« وقد دامت مهمة الحدود خمسة اشهر قضيتها كلها في ارض سيناء وبين اهلها فما انتهيت من المهمة حتى كان قد اجتمع عندي من الحقائق التاريخية والجغرافية واحوال البلاد واهلها قديماً وحديثاً ما يملأ مجلَّداً كبيراً

(مستندات التاريخ) فلما رجعت الى مصر في اوكتوبر سنة ١٩٠٦ باشرت وضع التاريخ الذي عزمت عليهِ فوجدت المعلومات التي جمعتها في التاريخ القديم والاجيال المتوسطة لا تزال قاصرة جدًّا فنقَّبت في كتب الاقدمين والآثار المصرية القديمة في التوراة . وكتابي « فجر العمران » « وجهاد الامم » للمسيو ماسبرو العالم الأَثري الفرنساوي . وكتاب « مباحث في سيناء » للمستر فلندرس بتري العالم الأَثري الانكليزي . وفي كتب مؤرخي العرب كالمقريزي . والمسعودي . واليعقوبي . والهمذاني . وابي الفداء . وغيرهم فجمعت منها حقائق جمة عن تاريخ سيناء القديم

« و بلغني ان في بلدة الطور كتاباً يدعى « الام » انشيء في قلعة الطور القديمة وفيهِ كثير من اخبار سيناء في القرون التي بعد الالف للهجرة . وكنت اتوق جدًّا الى مطالعة

الكتب والمستندات العربية التي في دير طور سيناء الشهير فاتفق اني نُدبت لمهمة الى بلاد الطور في ابريل سنة ١٩٠٧ فزرت مدينة الطور والدير واطلعت على كتاب « الام » في الطور وكتب شتى عربية في الدير وقفت منها على كثير من الحقائق التاريخية في الاجيال المتوسطة . وعدت الى مصر وانكببت على العمل فلم تنتهِ سنة ٩٠٧ حتى اتممت الكتاب فجاء في ثلاثة اجزاء كبيرة وهي :

« (الجزء الاول) في جغرافية سيناء الطبيعية والادارية . وفيهِ ذكر حدودها واراضيها . وجبالها . واوديتها . ومياهها . ومعادنها وهوائها . ونباتاتها . وحيواناتها . وسكانها . ومدنها وقراها . وديرها . وطرقها . وآثارها . وحكومتها وغير ذلك

« (الجزء الثاني) في بداوة سيناء وفيهِ ذكر لغة اهلها . وديانتهم . ومعارفهم . وزراعتهم . وتجارتهم . وعاداتهم . وخرافاتهم . وقضاتهم ومحاكمهم . وشرائعهم واحكامهم . مع نقد شريعة البدو وحكومتهم وطرق اصلاحهم

« (الجزء الثالث) في تاريخ سيناء القديم والحديث ويشمل تاريخ السكان الاصليين مع الفراعنة . وتغرب بني اسرائيل في سيناء . ومملكة النبط في البتراء . وتاريخ دير طورسيناء . وتاريخ سيناء في عهد اليونان والرومان والفتح الاسلامي الى هذا العهد . وحروب البدو في سيناء في عهد الاسرة العلوية . وتفصيل حادثة الحدود وغيرها

« هذا وقد جعلت تحت كل جزء ابواباً وتحت كل باب فصولاً تناولت جميع مباحث التاريخ القديم والحديث والجغرافية فجاء اوفى كتاب أُلف في سيناء في الافرنجية او العربية الى هذا العهد . وقد تفرَّد عن الكتب الافرنجية والعربية في المباحث الآتية :

« ١ . الحجارة التاريخية العربية ومنها الحجارة التاريخية في قلعة صلاح الدين الايوبي على عين سدر * ٢ . جلُّ ما جاء في كتب مؤرخي العرب عن سيناء واهلها * ٣ . لغة بدو سيناء وديانتهم وعاداتهم واخلاقهم وشرائعهم * ٤ . غزوات اهل سيناء وحروبهم الحديثة المأخوذة عن رجومهم وتقاليدهم واشعارهم * ٥ . كتاب الام وكتب الدير العربية

« ولما تمَّ الكتاب على هذا المنوال وهممت بتقديمهِ للطبع عرضت لي موانع لا محل لذكرها هنا اخرت طبعهُ الى شتاء سنة ١٩١٤ فاضفت اليهِ ما جدَّ عندي من الحوادث والمعلومات عن سيناء واهلها منذ اواخر سنة ١٩٠٧ و باشرت الطبع

« (الخاتمة) ولكن لم يتم طبع الجزئين الأولين منهُ حتى قامت الحرب المشؤومة الحاضرة ودخل الاتحاديون الحرب في جانب الالمان وجردوا جيشاً من سوريا والعراق والحجاز على

الانكليز في مصر عن طريق سيناء فاوقفت الطبع ريثما تنتهي الحملة فاجعلها خاتمة الكتاب . ثم خطر لي ان اضمّن الخاتمة جميع الحملات التي حملها الغزاة على مصر بطريق سيناء . ثم توسعت في ذلك فراجعت التاريخ القديم والحديث واخذت خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وكل ما كان بين مصر وجاراتها من الوقائع الحربية والصلات التجارية وغيرها عن طريق سيناء واضفت اليهِ وصف جزيرة العرب وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعدهُ في بلادهم وخارج بلادهم . وحركة السنوسي في الغرب . وتاريخ السوري في مصر . وغير ذلك من المباحث التي اوجبتها الحرب الحاضرة . وجعلتُ هذه الخلاصة مع وصف الحملة الاخيرة على مصر « خاتمة الكتاب » انتهى

والكتاب كما وصف موٴلفهُ بل ان مَن يتصفحهُ يجد فيهِ من الفوائد اكثر مما تدلُّ عليهِ هذه المقدمة ويأسف جدًّا لان الموٴلف لم يتمكن من الحاقهِ بفهرس مسهب على حروف المعجم بل باكثر من فهرس واحد تسهيلاً للمراجعة واجتلاء الفوائد . وحبذا لو لم يذكر من الاعلام الاَّ مَن تقتضي حوادث الكتاب ذكر اسمائهم حتى لا يكون اسم الشخص ومقامهُ مقصودين بالذات فلا يعتب عليهِ الذين لم يذكرهم مع غيرهم وهم حريون بالذكر معهم لاسيما وانهُ لا يحسن بالموٴلف ان يجعل اعتقادهُ حكمًا في مقامات معاصريه

والكتاب مطبوع طبعًا حسنًا جدًّا وفيهِ كثير من الصور بعضها في متنهِ وبعضها مطبوع وحدهُ على ورق صقيل . وحبذا لو طبعت كلها كذلك لتزيد وضوحًا . ويقيننا ان القراء سيقبلون عليهِ كما اقبلوا على تاريخ السودان

المفيد

مجلة علمية ادبية مدرسية تصدر في الشهر مرتين لصاحبها ومديرها المسوٴول علي افندي امين قال في فاتحتها انهُ رأى في كيان الصحافة العلمية المصرية فراغًا لمجلة وسط لا يعيي بفهمها ناشئٌ ولا يعجز عن اخذ مادتها مستفيد تكون انيسًا للطالب في وحدتهِ وسميرًا للغريب في غربتهِ ومرجعًا للحائر في حيرتهِ فاعدَّ نفسهُ لسد ذلك الفراغ القديم بهذه المجلة الجديدة ويلي ذلك مقالة حسنة في النهضة العلمية العربيَّة اشار فيها الى الشعراء الذين حاولوا صدع قيود الشعر والشذوذ عن طريقتهِ القديمة كالشربيني الذي كتب في عام ١٦٨٧ قصيدة باللغة المصرية العامية اسمها هز القاووق يسخر فيها من عادات الفلاحين ولغتهم ويطعن فيها على معلومات الفقهاء واخلاقهم . ولكن ريح التقليد انتسفت عملهُ الجليل فضاع شعرهُ في غمار القصائد التقليدية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مستقبل الانسان

احمد افندي عبد العال سلامه .

س . ان الانسان اصبح كما في مقالات مستقبل الانسان التي في المجلد الثامن عشر من المقتطف فما مصيرهُ اينقرض ام يرجع القهقرى ثم يرتقي وهكذا

ج . ان مستقبل الانسان متوقف بنوع عام على ما تصير اليهِ حال الارض بعد الوف كثيرة من السنين . والمرجح انها تصير غير صالحة لسكناهُ فينقرض كما انقرض غيرهُ من الحيوانات البائدة . ومعلوم ان الانسان يقاوم الفواعل الطبيعية ولا يستسلم لها عفواً ولكن مقاومتهُ لها تقف اخيراً عند حدٍّ محدود فاذا نضب ماء الارض كلهُ كما حدث في القمر استحال على الانسان ان يعيش فيها مهما تغيرت اطوارهُ وتغيَّر بدنهُ . هذا اذا لم يقع بالارض كارثة فجائية من الكوارث المعرَّضة لها مثل غيرها من كواكب السماء كأن يصدمها كوكب آخر فيشعلها او يمزقها . الأَّ ان الفواعل الطبيعية التي نعرف نواميسها لا ينتظر ان تقرض نوع الانسان قبل الوف من السنين فلا محل للاهتمام بها من الآن . والفواعل التي لا نعرف نواميسها كتصادم الكواكب حدوثها نادر جداً ويدل الاستقراء على ان احتمال وقوعها لا يبلغ واحداً في المليون

(٢) القانون الدولي

ومنهُ . تكرَّر ذكر القانون الدولي في الحرب الحالية فاذكروا لنا كل ما يعرف عنهُ

ج . لقد نشر في المقتطف ضمن مقالات حقوق الامم في المجلد الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين والسابع والثلاثين .

(٣) مصر وسفراؤُها

ومنهُ . هل لمصر سفراء لدى الدول

ج . كلاَّ .

(٤) التزوج من الاسر المالكة

ومنهُ . هل يمنع نظام الاجتماع الحالي عصامياً ذا مركز سام في الهيئة الاجتماعية التزوج من الاسر المالكة

ج . نعم ويُعدُّ ذلك غضاضة ولكن

العادة ان يرقّى العصامي حتى يصير من اشراف المملكة قبل تزوُّجهِ من الاسر المالكة . اما ابناء الاسر المالكة فيجوز لهم التزوج بنساء من غيرها في بعض الممالك كما حدث في السرب ورومانيا ولا يجوز في ممالك اخرى او يخسروا حق تمليك اولادهم كما حدث في النمسا

(٥) احسن مجلة فرنسوية

ومنهُ . ما احسن مجلة عمومية فرنسية

ج . الرفي دي ده موند

(٦) تخمير عجين الذرة

ايتاجوبي . الخواجه خليل اسطفان . ما هي الطريقة لتخمير دقيق الذرة

ج . يخمر عجين الذرة كما يخمر عجين القمح ثم ان المصريين يخلطون الذرة بالقمح فيرتفع خبزها او يخلطونها بالحلبة فيتماسك خبزها ولو كان ارغفة رقيقة كخبز التنور في سورية

(٧) البول السكري

مغاغه . محمد افندي حنفي . ارجو نشر مقالة بمجلتكم الزاهرة في مرض البول السكري وكيفية علاجهِ بالتفصيل

ج . تجدون مقالة في هذا الموضوع في المجلد العشرين من المقتطف صفحة ٣٣٦ وما بعدها بعنوان « الديابيطس وعلاجهُ » ومقالة اخرى في المجلد ٤٧ والصفحة ٥٦٩ وهي احدث ما كتب في هذا الموضوع

ومنهُ هل وجود السكر بمقدار قليل في الجسم يضر

ج . كلاَّ اذا لم يكن معهُ شيءٌ من الاعراض المرافقة لهذا المرض لان السكر موجود دائماً في الدم ويخرج قليل منهُ مع البول

ومنهُ . ما هي مقالة اللانست العلمية التي اشارت الى الدواء المفيد لمرض السكر وهو بيكربونات الصودا المضافة الى الملح حسبما قرَّر مجمع روكفلر العلمي كما جاء في الجرائد العربية منذ اربعة اشهر

ج . ان جريدة اللانست طبية لا علمية والذي نعرفهُ عن هذا العلاج هو ما ذكرناهُ في مقتطف نوفمبر الماضي في باب الاخبار العلمية نقلاً عن مجلة العلوم الطبية الاميركية وهو ان معهد روكفلر الخاص بالمباحث الطبية توصل الى صنع دواء يشفي من مرض البول السكري وان اهم عناصر هذا الدواء كربونات الصودا وقليل من ملح الطعام . ولكن يظهر من المقالة المنشورة في مقتطف ديسمبر الماضي ان في هذا العلاج شيئاً آخر مهمّاً غير كربونات الصودا والملح

(٨) الجيش الروسي

الضبعية . اسعد افندي باسيلوس . اصحيح ما يقال ان الجيش الروسي لا يزيد على مليوني جندي وليس عندهُ موُونة ولا ذخيرة ولا مدافع ضخمة للميدان

والحصار ولا نظام ولا قواد يعتمد عليهم

ج . لا صحة لشيء من ذلك . والاخبار ترد الآن يوميًّا عن فعال الجيش الروسي وتنشر في المقطم نعم انهُ لم يكن مستعدًّا في اول الحرب كالجيش الالماني من حيث كثرة الذخيرة والاسراع في عملها بدل ما يستعمل منها ولذلك انفق ما عندهُ منها بسرعة فتقدم في بلاد الالمان وبلاد النمسويين ولما نفدت ذخيرتهُ وعجزت معاملها التي في بلادهِ عن تقديم كل ما يلزم بالسرعة المطلوبة اضطر ان يرتد من امام اعدائهِ ثم جعلت الذخيرة تأتيهِ من انكلترا واليابان واميركا فصدَّ الالمان والنمسويين واوغل في البلاد العثمانية ولولا استعداد معامل الالمان والنمسويين لعمل المقادير الكبيرة من الذخيرة بسرعة تفوق كل ما كان ينتظر لما استطاعوا ان يخرجوا الروس من بلادهم على ما نظن . والروس يفوقون الالمان عدداً ولا يقلون عنهم شجاعة ولكن لا شبهة في ان الالمان يفوقون غيرهم في التدريب العسكري وكثرة الذخيرة لكثرة من عندهم من الضباط والكيماويين المتصرفين لعمل المواد الحربية

(٩) انتهاء العالم

ومنهُ . ان كل اشارات انتهاء العالم التي في التوراة حاصلة الآن وهي الحروب وطيران الانسان وقيام الممالك بعضها على بعض وحدوث الزلازل والمجاعات فهل قرب انتهاء العالم فعلاً

ج انا لا نرى ما يدلُّ على انتهاء العالم فالحروب والمجاعات لم تنقطع من الدنيا والزلازل ليست اكثر الآن مما كانت في عصور اخرى ولا نرى لطيران الانسان علاقة بانتهاء العالم اكثر مما لطيران العصافير علاقة بهِ

(١٠) احسن دولة استعمارية

ومنهُ . ما هي احسن دولة استعمارية اذا استعمرت بلاداً ساعدت اهلها على الرقي

ج . يشهد الاوربيون من كل الامم لانكلترا بانها اصلح دول اوربا للاستعمار وقد جعل الفرنسويون الآن ينسجون على منوال الانكليز . اما سائر الدول فما يعلم عن مستعمراتها لا يعود بالفخر عليها الاَّ الولايات المتحدة الاميركية فانها فعلت ما لم تفعلهُ دولة اخرى بمستعمراتها من حيث الانفاق بسخاء عليها لاجل تمدينها وترقيتها

(١١) المقتطف واخبار الحرب

ومنهُ . ما سبب حرمان قراء المقتطف من اخبار الحرب شهراً بعد شهر

ج . لان هذه الحرب واسعة النطاق جدًّا واخبارها كثيرة لا يتسع المقتطف لها ولاننا نطبع تاريخًا خاصًّا بهذه الحرب نذكر فيهِ كل اخبارها ناهيك عن انها تذكر في المقطم يومياً

(١٢) سكان مصر في الماضي والحاضر

ومنهُ . اصحيح ان سكان وادي النيل

بلغ عددهم في احد العصور القديمة ثلاثين مليون نسمة وكانوا كلهم من الاقباط . وفي اي عصر كان ذلك

ج . لا دليل على ان سكان هذا القطر بلغوا في عصر من العصور الغابرة ما بلغوهُ الآن وهو ثلاثة عشر مليونًا

ومنهُ . كم بلغ سكان هذا القطر في العصور الماضية

ج . ذكر ديودورس المؤرخ ان سكان القطر المصري لم يزيدوا على سبعة ملايين نفس في ايام البطالسة . وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي انهم كانوا سبعة ملايين ونصف مليون . وحسب لاين ان القطر المصري كان يعول ثمانية ملايين نفس . ثم قلَّ عددهم رويداً رويداً حتى صار مليونين ونصفًا سنة ١٨٢٠ وبلغ ٤٤٠ ٤٤٧٦ في تعداد سنة ١٨٤٦ ثم زاد فبلغ ١٣١ ٦٨٣١ في تعداد سنة ١٨٨٢ . و٤٠٥ ٧٣٤ ٩ في تعداد سنة ١٨٩٧ . و ٣٥٩ ٢٨٧ ١١ في تعداد سنة ١٩٠٧ . وهو الآن ١٣ مليونًا او اكثر قليلاً على ما يقدَّر

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يونيو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٩	١	٥٩	صباحًا
البدر	١٥	١١	٢٤	مساءً
الربع الاخير	٢٢	٣	١٦	«
الهلال	٣٠	٠	٤٣	«
القمر في الاوج	٣	١١	٣٠	«
« « الحضيض	١٦	٤	٣٦	«

السيارات في يونيو

لا يرى عطارد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخره

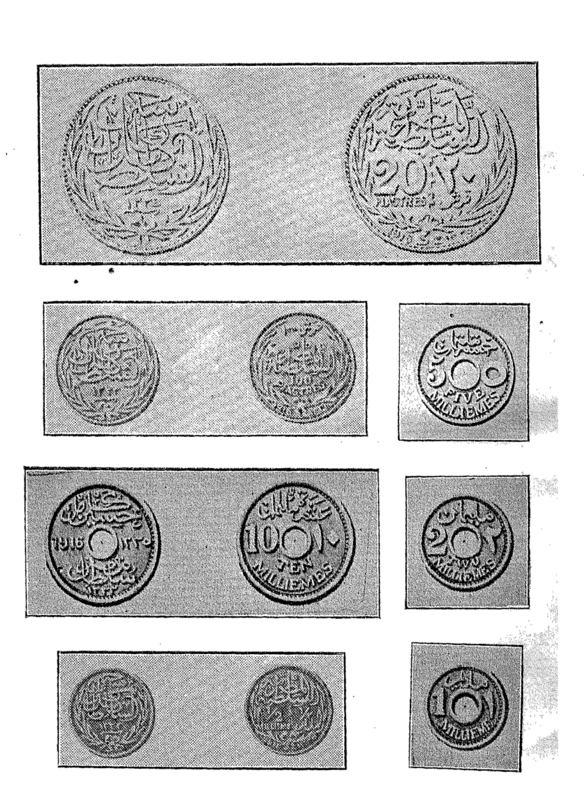
والزهرة وزحل يكونان كوكبي مساء

والمريخ يغرب نحو الساعة ١١ مساءً

والمشتري يكون كوكب صباح

السلطنة المصرية والنقود السلطانية

اطلعنا امس على دليل جديد من الادلة الكثيرة التي شاءت العناية الصمدانية ان تجعلها عنوانًا لمجد هذا القطر في عصر سلطانهِ الكامل وهو صور النقود السلطانية الجديدة التي قرَّ القرار على شكلها وهي تضرب الآن ليصير التعامل بها في هذا القطر مع غيرها من النقود التي يجيز القانون الآن التعامل بها .



مقتطف يونيو ١٩١٦

امام الصفحة ٦٠٦

وهي من الذهب والفضة والنيكل والنحاس

فالذهب او الجنيه المصري كالجنيه القديم في سعتهِ طول قطرهِ ٢٤ مليمتراً وقد نقش على وجههِ بخط معلق اسم «السلطان حسين كامل» وتحتهِ التاريخ الهجري لارتقائه عرش السلطنة وهو سنة ١٣٣٣ ويحيط بالاسم والتاريخ سعفان من النخل · وعلى الوجه الآخر كلمة «السلطنة المصرية» وفوقها «١٠٠ غرش» وتحتها بحروف افرنجية 100 Piastres ويحيط بذلك سعفان من النخل وتحتهما التاريخ الهجري لضرب الجنيه بالارقام الهندية ١٣٣٥ والمسيحي بالارقام الافرنجية 1916

والريال من الفضة وهو كالريال العادي وقطرهُ ٣٩ مليمتراً وقد نقش على وجههِ اسم «السلطان حسين كامل» وتحتهُ التاريخ الهجري لارتقائهِ ويحيط بذلك سعفان من النخل كما في الجنيه · وعلى الوجه الآخر «السلطنة المصرية» وتحتها بالعربية «٢٠ قرش» وبالافرنجية 20 Piasters ويحيط بذلك سعفان من النخل وتحتها تاريخ الضرب الهجري بالارقام الهندية والمسيحي بالارقام الافرنجية

ونقود النحاس مثل النقود الذهبية والفضية في شكلها وكتابتها الأ في تعيين قيمتها واما نقود النكل فمخروقة من وسطها حتى تصير كالحلقة

والرجاء ان يتم صك هذه النقود قريباً فيرى كل الذين يتعاملون بها سمة السلطنة المصرية وعنوان مجدها اذ قد اجمع الناس في الازمنة والبلدان المختلفة على ان السكة من ادل الدلائل على مجد البلاد حتى لقد كان الملوك يكتفون احياناً من البلدان الخاضعة لهم ان تكون سكتها باسمهم

المسكرات والوراثة

قضى الاستاذان ستوكارد و پاپينيكولو ردحاً من الزمان يسقيان خنازير غينيا الكحول او يدخلان بخار الكحول في رئاتها ليعلما هل يرث نسل هذه الخنازير العاهات والآفات التي تصاب اباؤُها وامهاتها بها من جراء دخول الكحول في ابدانها · وقد نشرا نتيجة بحثهما وتجاربهما في عدد اخير من احدى المجلات الاميركية التي تبحث في العلوم الطبيعية · ويؤْخذ مما كتباه فيها ان استنشاق الخنازير لابخرة الكحول وامتصاص الدم لها يضرّ نسلها اكثر كثيراً مما يضرهُ شرب الخنازير للكحول · ومما يستحق الذكر ان تأثير الابخرة في الخنازير التي تنشقها انما هو تنويمها او جعلها كثيرة الصخب والحركة بحسب امزجتها وفيما سوى ذلك لا تأثير لها البتة في اجسامها وهي حية او بعد موتها

وظهر من تجاربهما ايضاً ان الخنازير التي ابقيت في حالة سكر مستمرّ في زمن المزاوجة كانت تلد نسلاً مصاباً بالآفات بلا

استثناء وقلما يبلغ احدها سن البلوغ . والتي تعيش منها لتلد نسلاً كان يخرج نسلها كلهُ اضعف منها ولو لم تشرب الكحول او تستنشقهُ . وبعضهُ كان كثير التشوه . وكثير منهُ كان يولد بلا عيون . وكانت هذه العيوب تبقى ثلاثة اعقاب ثم كان العقم يظهر في العقب الرابع منها فيبيد بعضها . وكان الاستاذان المذكوران يسقيان بعض الخنازير الكحول بانبوبة او يمزجانهِ بالطعام ولكنهما عادا فعدلا عن ذلك اذ كانت الخنازير تصاب باختلال في الهضم او باعراض اخرى تقف في سبيل تجاربهما

قالت مجلة ناتشر في التعليق على هذه التجارب : ولا بدَّ للاستاذين من تجربة فعل الابخرة غير الكحولية في الجراثيم التي يتكون النسل منها قبلما يصح القول انهما ابانا عظم ضرر الابخرة الكحولية »

آثار مالطة

وصف الاستاذ اشبي الانكليزي وزميلاهُ المسيو زابيت اليوناني والمسيو وسبوت الفرنسوي في العدد الاخير من مجلة « فان » بعض آثار مالطة القديمة وما استخرجوهُ من الاحافير سنة ١٩١٤ . وفي جملة ا وصفوهُ بناء مبنيٌّ بالحجارة الضخمة في مكان اسمهُ الدبدبة اي الصوت او الصدى وقد قالوا انهم يجهلون غرض بانيهِ منهُ . ومن الاحافير ستة اعمدة من الحجر اسطوانية الشكل الأ انها تستدق في طرف كالمخروط . وقد عثروا على كثير من الشقف اي كسر الفخار وهي من آثار العصر المعروف باسم نيوليثك اي العصر الحجري الحديث ووجدوا ايضاً قطعاً من القرميد الاحمر الغامق ولكنهم قلما وجدوا شيئاً من الادوات الصوانية

المؤتمر العلمي الهندي

عقد المؤتمر العلمي الهندي للمرة الثالثة في مدينة لكنو بين ١٣ و ١٥ يناير الماضي وبالرغم من وقوف الحرب عقبة في سبيل العلم وتقدمهِ غصَّ المؤتمر بالاعضاء حتى بلغوا ٣٠٠ نفس وقرئت سبعون مقالة في مواضيع شتى . وخطب السر سدني برارد مدير مصلحة المساحة الهندية خطبة الرآسة وموضوعها « سهول الهند الشمالية وعلاقتها بجبال حملايا »

هدية لجامعة كليفورنيا

كانت الحكومة الفرنسوية قد عرضت في معرض بناما والباسيفيك اشياء كثيرة في جملتها مكتبة مؤلفة من ستة آلاف مجلد تتضمن آثار الفرنسويين في سير المدنية والحضارة فاهدت هذه المكتبة الى جامعة كليفورنيا الاميركية

الاقاليم وورق الاشجار

من رأي بعض العلماء ان لشكل اوراق الاشجار علاقة باقليم البلاد التي تكثر تلك الاشجار فيها وبالتالي ان شكل الورق يمكن اتخاذهُ دليلاً على الاقليم. فقد ظهر لهم بطول الاستقراء ان ورق الشجر في البلاد الحارة الواطئة غير مسنن في الغالب وفي البلاد الباردة مسنن كثيراً او قليلاً . واذا وجد في البلاد الحارة شجر مسنن الورق فذلك يكون في الاماكن المرتفعة الرطبة . واذا وجد في البلاد الباردة شجر غير مسنن الورق فانما يكون ذلك في الاماكن الحارة الجافة الهواء . وبناء على ذلك يمكن الحكم على اقاليم العصور السابقة التاريخ من آثار شجرها

المجذومون في اميركا

احصت مصلحة الصحة الاميركية سنة ١٩١٣ عدد المجذومين في الولايات المتحدة الاميركية فكان ١٤٨ نفساً اكثرهم من السكان الاصليين . ولما كان المجذومون يعزلون عن الاصحاء حالما يعرف امرهم فقد احتاطوا لذلك بالتنقل من بلد الى بلد . فاذا خافوا افتضاح امرهم في مكان ينزلونهُ هجروهُ الى غيره وهكذا على التوالي حتى يعييهم الاختفاء فيقبض عليهم . وقد عرض على مجلس النواب الاميركي مشروع قانون للنظر في هذه المسألة وزيادة العناية بالمجذومين فوافق عليهِ واحالهُ الى مجلس الشيوخ.

الدخان في قبرس

كانت زراعة الدخان زاهية في جزيرة قبرس في القرن الماضي ثم اهملت . وفي سنة ١٩٠٥ اوفدت وزارة المستعمرات الانكليزية مندوباً الى الجزيرة لدرس احوال الزراعة فيها فاقترح ان تعاد زراعة الدخان الى سابق عهدها وقد عادت الحكومة الانكليزية الى هذا الموضوع بعد ما ضمت قبرس الى املاكها على اثر الغاء السيادة العثمانية

وفاة محسن

توفي في انكلترا حديثاً السر جيمس كيرد احد كبار رجال الاعمال في مدينة دندي باسكتلندا وكان قد وهب الجمعية العلمية الانكليزية سنة ١٩١٢ مبلغ عشرة آلاف جنيه. وبلغ مجموع ما وهبهُ للجمعيات العلمية في حياتهِ ٢٥ الف جنيه منها ٥ آلاف للجمعية الملكية و ٢٤ الفاً لبعثة شكلتون الى الاصقاع القطبية الجنوبية

جوائز للاموات

من عادة مجمع العلوم الباريسي ان يمنح كل سنة جوائز للفرنسويين المتفوقين في فروع العلم المختلفة . وفي آخر جلسة عقدها

وقف الرئيس المسيو غاستون داربو واعلن ان معظم جوائز هذه السنة تقرر منحها لرهط من الشبان النابغين الذين قتلوا في الحرب. ثم عدّدهم وذكر خدمتهم لبلادهم وقال ان جائزة الرياضة منحت للمسيو مارتيه وقد قتل في معركة المورز سنة ١٩١٤ . وجائزة الكيمياء الطبيعية منحت للمسيو مرسلان وقد قتل عند فردان في تلك السنة . وجائزة قياس الوقت بالآلات للمسيو مولن الذي قتل في معركة المارن وهو باني معهد الكرونومتري (اي قياس الوقت بالآلات) في مدينة بزانسون . وجائزة الكيمياء الآلية للمسيو فيجيبه . وعلم الصخور للمسيو البردي رومو . ثم ذكر ثمانية غيرهم من العلماء الذين قتلوا في المعارك المختلفة ومنحهم المجمع جوائز على تفوقهم في بعض فروع العلم الاخرى فيجتزئ بالاشارة اليهم آسفين على شبابهم وعلى ثكل العالم اياهم وحرمانه خدمتهم النافعة

ثقل ذرات المسك

المفهوم ان الشمّ او الشعور بالرائحة ينتج عن ملامسة الذرات المنفصلة عن الاجسام ذات الرائحة لاعصاب الشمّ في الانف . فلذلك استدلوا ان هذه الاجسام لا بدّ ان يخف ثقلها على الدوام ما دامت الذرات تنفصل عنها وحاول بعض العلماء تأييد هذا الاستدلال بالتجربة والامتحان في المسك فلم يفلحوا . ولا نزال نقرأ في الكتب ان رائحة المسك تفوح منهُ على الدوام من غير ان يفقد شيئًا من وزنهِ ولاسيما ان الانسان يشعر برائحتهِ ولو كان منهُ جزء في عشرة ملايين جزء من الهواء ويشعر برائحة المادة المسماة «مركبتن» ولو كان منها جزء في ٥٠ الف مليون جزء من الهواء كما يقول بعض العلماء . وقد قام اخيرًا عالم ايطالي وزن رائحة المسك بميزان من اغرب الموازين وادقها فظهر لهُ ان قطعة من المسك زنتها ١٫٣٢٢٤٥ من المليغرام فقدت في سبعة اشهر ١٤ في المئة من ثقلها . وكان فقدها لرائحتها اسرع بكثير في اوائل التجربة منهُ في اواخرها . ووجد هذا العالم عند انتهاء تجربتهِ ان قطعة المسك فقدت رائحتها تمامًا فعالجها ببلّها بالماء وسحقها وتعريضها للهواء المطلق فلم يفلح ولم تعد الرائحة اليها

مقدار اشعاع الشمس

وجد علماء الظواهر الجوية بتجاربهم ان متوسط اشعاع الشمس لحرارتها الى هذه الكرة هو ١٫٩٣ من الوحدة الحرارية لكل سنتيمتر مربع في الدقيقة . وقد قيس ذلك في اعلى مكان بلغهُ البالون (علو ١٥ ميلاً) فوجد انهُ ١٫٨٤ من الوحدة الحرارية . وقيس على مساواة سطح البحر في وشنطون فوجد انهُ ١٫٥٨

الاقتصاد في الورق

قررت مجلة ناتشر الانكليزية المشهورة تصغير حجمها بضع صفحات بسبب ازمة الورق اسوة بسائر المجلات والصحف الانكليزية . وقد امتدت هذه الازمة الى اميركا ايضاً فكتب رئيس احدى شركات الورق الى وزارة التجارة الاميركية يوجه انظارها الى النقص الكبير الذي طرأ على المواد التي يصنع الورق منها مثل الخرق والورق القديم واشار على الوزارة ان تعلن في طول البلاد وعرضها وجوب الاقتصاد في هذه المواد والعناية بها فلا تبدد ولا تتلف كما يجري الآن بل تحفظ وتجمع . ومما جاء في مذكرته ان معامل اميركا تصنع كل يوم من الورق ما زنته ١٥ الف طن وان جزءا كبيراً منهُ يمكن استخدامهُ ثانية بعد الانتفاع بهِ لعمل ورق ادنى من الورق الاول ولكن الناس يحرقونهُ او يتلفونهُ بوسائط اخرى

الفحم الحجري في الدنيا

يقدر ما يستهلكهُ الناس من الفحم الحجري في السنة بنحو ١٣٠٠ مليون طن . ومن رأي احد العلماء الاميركيين ان الموجود منهُ في الارض يكفي اهلها زماناً يقدر بالقرون اذا بقي استهلاكهم اياهُ على هذا المنوال

جغرافية سترابو

عقدت الجمعية اليونانية في لندن جلستها السنوية فخطب الدكتور ليف الانكليزي خطبة الرآسة وموضوعها تاريخ التجارة اليونانية فاقترح على الجمعية ان تطبع الثلاثة الكتب الاولى من جغرافية سترابو وتنشرها وهي وصف مستفيض لبلاد اسيا الصغرى . وقد وعد السر وليم رمزي والمستر هوغارث ان يمدا يد المساعدة على انجاز هذا العمل

السم ترياق

تفشى الطاعون بين السناجيب في ولاية كليفورنيا الاميركية فسعت حكومتها في استئصالها خشية انتقال العدوى منها الى الناس . ومن جملة الوسائل التي استخدمتها لذلك نقع الشعير في محلول سلفات الستركنين والقاؤهُ في الاماكن التي يكثر تردد السنجاب اليها فيأكل منهُ ويموت . ولكنهم خشوا ان تأكل منهُ السماني التي يكثر وجودها في تلك الولاية فتنقرض فاحالوا بحث هذه المسألة الى لجنة من العلماء فظهر لها بعد التجارب الكثيرة انهُ يمكن اطعام السماني شيئاً كثيراً من سلفات الستركنين من غير ان تسمَّ بهِ في حين ان السنجاب يموت لاقل شيء يأكلهُ منهُ

السر تشارلس وطسن

نعت انباء انكلترا المرحوم السر تشارلس وطسن المعروف في القطر المصري والسودان . فانهُ رافق الجنرال غوردن في رحلتهِ الى الخرطوم والى جندوكورو في اعالي النيل فسح البحر الابيض وبحر الجبل من الباخرة التي كانوا يركبونها وكان هذا المسح اساساً لجميع الخرائط التي رسمت من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٩٠٠ . ولما اعيد مسح تلك الاراضي حديثاً سنة ١٩٠١ استعان المساحون بمعلوماته في تعيين مجرى بحر الجبل وروافدهِ وما طرأ عليها من التغيير . ومن اعمالهِ قياسهُ لمقدار الماء الذي يصبهُ نهر السبت في البحر الابيض . وفي سنة ١٨٧٥ مرض فسافر الى انكلترا ثم عاد الى مصر سنة ١٨٨٢ والتحق بالجيش المصري فمنعتهُ واجباتهُ العسكرية من متابعة الاعمال العلمية . وفي سنة ١٩٠٢ ترك خدمة الجيش

اثر سكوت

احتفل في الخامس من الشهر الماضي في لندن برفع الستار عن الاثر البرونزي الذي نصب في كنيسة سنت بول للكبتن سكوت الرحالة القطبي الشهير ورفقائهِ الذين ماتوا في الاصقاع القطبية . وقد ازاح الستار عن نصبهِ رئيس الوزارة الانكليزية

البحرية الانكليزية

لما نشبت الحرب كان في البحرية الانكليزية ١٤٦٠٠٠ ضابط ورجل ما عدا الاحتياطي وعددهُ ٦٧٠٠٠ . وفي آخر ينابر سنة ١٩١٥ اصبح عدد الموجود منهم في الخدمة العاملة ٣٢٠٠٠٠ . وكان البرلمان قد رخص لوزارة البحرية ان تحشد جيشاً عاملاً عددهُ ٣٥٠٠٠٠ فلم ينقض مارس الماضي حتى اجتمع عندها هذا العدد . يضاف اليهِ عدد الذين يعملون في بناء السفن وترميمها وغيرها من الاعمال الاضافية وهم يبلغون ٧٠٠٠٠٠ فالمجموع الكلي نحو مليون

العمى اللوني

يراد بالعمى اللوني ان يرى بعض الناس لونين مختلفين لوناً واحداً . فمنهم من يرى الاحمر والاخضر واحداً ومنهم من يرى الازرق والاصفر واحداً . ولم يتفق لاحد علماء الطبيعة قبل الآن ان رأى احداً من الناس يخلط بين سائر الالوان . ولكن عالماً المانيًّا اميركيًّا كتب في احدى المجلات العلمية يقول انهُ رأى انساناً يخلط اللونين الازرق والاخضر فيراها واحداً والاحمر والاصفر فيراها واحداً ايضاً وهو الوحيد على ما عرف حتى الآن . على ان من الناس من يعمى عن رؤية الالوان كلها ولا يميز لوناً منها

اكبر المدافع البحرية

اكبر المدافع البحرية المعروفة قطر فوهتها ١٥ بوصة وهي منصوبة في المدرعة « الملكة اليزابث » وما كان من طرزها. ويليها مدافع قطر فوهتها ١٤ بوصة وهي منصوبة في بعض البوارج الكبرى من الاساطيل الاميركية واليابانية • اما الاساطيل الالمانية فالمعروف ان فيها مدافع قطرها ١٢ بوصة ولكن شاع ان الالمان نصبوا في بوارجهم الضخمة مدافع قطرها ١٧ بوصة وهي اشاعة لم تثبت حتى الآن

خسارة الحلفاء والمحايدين في السفن التجارية

قدر الاميرال السر سبريان بريدج خسارة الحلفاء والمحايدين في السفن التجارية من اول الحرب حتى ٢٣ مارس الماضي بما يأتي :

مجموع خسارة الحلفاء ٥٣٨ باخرة وسفينة تجارية حمولتها ١٦٦٨٠٠٠ طن • منها ٤١٠ سفن لانكلترا حمولتها ١٣٣٩٠٠٠ و ٥٣ لفرنسا حمولتها ١٥٨٠٠٠ طن و ٢٧ لايطاليا حمولتها ٧٣٠٠٠ و ٣٥ لروسيا حمولتها ٤٩٠٠٠ و ١٠ للبلجيك حمولتها ٣٠٠٠٠ و ٣ لليابان حمولتها ١٩٠٠٠ اما المحايدون ففقدوا ٢١٨ سفينة حمولها ٣٩٣١٥١ طنًا

ترويج التجارة الاميركية

تألفت في اميركا شركة رأس مالها ٥٠ مليون ريال (١٠ ملايين جنيه) وهمها الاول ترويج التجارة الاميركية في الخارج • وستختار عمالها من الشبان خريجي الكليات وتدربهم على الاعمال التجارية ليكون منهم موظفون دائمون فيها • والرأي ان هذا العمل هو اهم الاعمال التي عملها رجال المال والاعمال في اميركا لترقية شأن التجارة الاميركية في الخارج

الاستاذ باولوف حيّ يرزق

نعينا في الجزء الماضي الى القراء نقلاً عن مجلة ناتشر الانكليزية الاستاذ ايفان باولوف الروسي من كبار علماء الفسيولوجيا • ولكننا قرأنا في احد اعدادها الاخيرة تكذيباً لذلك النعي حيث قالت : علمنا بمزيد السرور ان نبأ وفاة الاستاذ باولوف غير صحيح فبتنا نرجو ان يفسح الله في اجله لتطول خدمته النافعة • اما الذي توفي على ما أخبرنا من بطرغراد فهو الاستاذ بوجيني باولوف الجراح الشهير • واسم باولوف شائع في روسيا • وفي بطرغراد وحدها خمسة اساتذة يسمّون بهذا الاسم • فلا بدع اذا اخطأت التيمس في نعيه واخطأنا في نقلنا لهذا النعي عنها »

الحساب الغربي في البلغار

روت التيمس ان مجلس نواب البلغار قرر استبدال الحساب الشرقي الذي تتبعهُ البلغار اسوة بسائر البلاد الارثوذكسية بالحساب الغربي المتبع في سائر البلاد المسيحية. قالت: وهذا التغيير الذي اجل الى الآن بسبب مقاومة رجال الدين في روسيا انما يعدُّ مظاهرةً ضد روسيا وقد كان الباعث عليهِ رغبة البلغار في توسيع شقة الخلاف التي بين البلدين »

وقرأنا في مكان آخر ان الحكومة البلغارية استبدلت اسم الكنيسة الكبرى في صوفيا وهو القديس اسكندر نيوسكي (الروسي) باسم القديسين سيريل ومثوديوس. وقد فعلت ذلك اغضاباً لروسيا

كسوف الشمس سنة ١٩١٨

اخذ الفلكيون يعدون عدتهم من الآن لرصد كسوف الشمس الكلي الذي سيحدث في ٨ يونيو سنة ١٩١٨ . وسيبدأ في شمال الاوقيانوس الباسيفيكي ثم يسير شرقاً بجنوب فيدخل الولايات المتحدة الاميركية من ولاية وشنطن الواقعة في اقصى الشمال الغربي ويمرُّ بولايات اوريغن وايداهو ويومن وكولورادو وكنساس واوكلاهوما ومسسبي ثم بولاية فلوريدا في اقصى الجنوب الشرقي

الجامعات الالمانية وتلاميذها

كان في الفصل المدرسي الاخير من الجامعات الالمانية وسائر معاهد العلم العليا في المانيا قبيل الحرب ٧٩٠٧٧ تلميذاً منهم ٤٥٠٠ امرأة و ٩٠٠٠ اجنبي. ومن هؤلاء التلاميذ ٦٠٩٤٣ كانوا من تلاميذ الجامعات وحدها (وعددها ٢١ جامعة) وبينهم ٤١١٧ امرأة و ٤١٠٠ اجنبي . و ١٢٢٣٢ كانوا في مدارس الفنون (وعددها ١١) بينهم ٨٢ امرأة و ٢٥٠٠ اجنبي. و ٢٦٢٥ في مدارس التجارة الستّ و ١٤٠٤ في مدارس البيطرة الاربع. و ٩٣٨ في مدارس الزراعة الثلاث. و ٦٦٨ تلميذاً في مدارس التعدين الثلاث. و ٢٦٧ تلميذاً في مدارس الغابات الاربع

ففي الفصل المدرسي الاول بعد الحرب هبط مجموع الطلبة الى ٦٤٧٠٠ في ٤٧ من المعاهد العلمية المذكورة واقفلت مدارس الغابات وأُلحقت مدرسة مونخ البيطرية بجامعتها . وفي شتاء ١٩١٤—١٩١٥ انتظم ٥٠ الفاً منهم في سلك الخدمة العسكرية اي ثلاثة ارباعهم ثم انتظم غيرهم فلم يبق منهم في المدارس سوى ١٢ الفاً في آخر صيف ١٩١٥ اي ان الذين دخلوا منهم الجيش نحو ٨٢ في المئة من المجموع . اما في حرب سنة ١٨٧٠ فقد بلغ عدد تلاميذ الجامعات قبيل الحرب ١٣٧٨٥ فدخل الجيش منهم

٤٤٠٠ او ٣٢ في المئة من مجموعهم و٣٢٠٠ من هؤلاء نقدوا في الحرب

احتجاج فلكي على الحرب

في الجمعية الفلكية الفرنسوية عضو سويسري اسمهُ فيبل استعفى حديثاً من عضويتها بحجة انهُ قرأ في الصحف اليومية الشيء الكثير عن هذه الحرب الفظيعة بل المجزرة الهائلة فلما استجار منها بقراءة الصحف الفلكية كان كالمستجير من الرمضاء بالنار . والمراد من انتقاده هذا جريدة الجمعية المسماة «لاسترونومي» فانها ما فتئت منذ اول الحرب تطعن في الالمان غير مستثنية علماء الفلك منهم . وقد قال الفلكي المذكور في احتجاجه انهُ يفضل على قراءة هذه الجريدة قراءة جريدة «سيريوس» الفلكية الالمانية فانهُ لم يقرأ فيها كلمة واحدة عن الحرب منذ نشوبها الى الآن . وقد قبلت الجمعية استعفاءهُ حالاً

الكهربائية لكل شيء

سيقام في نيو يورك بناء مؤلف من ١٦ طبقة يكون نموذجاً لابنية اخرى تقام بعدهُ ومن اخص خصائصهِ ان جميع ما فيهِ من الحركات والسكنات يدار بالكهربائية حتى الطبخ في المطابخ وتبريد الماء وما شاكل من الاعمال المنزلية ......

الخيطان من الورق

الحاجة تفتق الحيلة . لما اعيا الالمان جلب كثير من المواد الخام من الخارج جرَّبوا استبدالها بمواد يكثر وجودها عندهم فظفروا ببغيتهم في بعض الاشياء واخفقوا في البعض الآخر . ومما ظفروا بهِ صنع خيطان الدوبارة والخيطان العادية من الورق وهي معروضة الآن في الاسواق للبيع . وليس صنع الخيطان من الورق بالامر الجديد . ففي اليابان كانوا يصنعون ملابس من غزل رب الورق منذ ١٠٠ سنة . وفي اميركا منذ ٦٠ سنة . وفي المانيا منذ ٢٦ سنة

بعثة جديدة الى القطب الشمالي

كان الرحالة امندصن الاسوجي الذي اشتهر باكتشاف القطب الجنوبي قد اعدَّ حملة قبل الحرب للسفر الى القطب الشمالي فمنحهُ مجلس النواب ١٢ الف جنيه للانفاق على البعثة ولكنهُ رفض هذا المبلغ بسبب نشوب الحرب . وعاد الآن فقرر السفر الى القطب في هذا الصيف من شمالي ألاسكا

اللادي كلفن

توفيت في مارس الماضي اللادي كلفن ارملة اللورد كلفن العالم المشهور فعاشت بعدهُ نحو تسع سنوات

فهرس الجزء السادس من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

